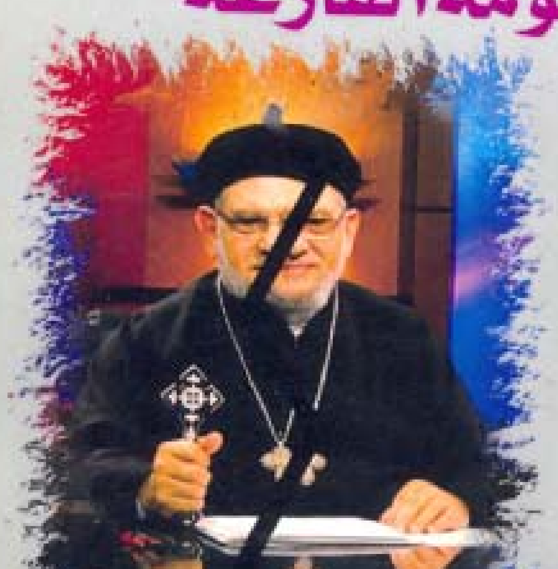
الرد على ضلالات زكريا بطرس

حقائق الإسلام الدامغة
وشبهات خصومه الفارغة





دكتور
ابراهيم عوض

جزيرة الورد
للنشر والتوزيع



الرد على ضلالات

زكريا بطرس

- أيهما أعظم... محمد أم المسيح ؟
- رسالة تافهة يطنطن بها المبشرون
- الوعود الإلهية عن محمد والمسيح
- تقاليع مخبولة فى دراسة السيرة النبوية
- القرآن و أمية بن أبى الصلت... أيهما أخذ من الآخر؟
- بين السيد المسيح والنبى محمد فى القرآن والإنجيل
- حدوتة الأنبا جرجى... هكذا يحارب المدلسون الإسلام
- هل أخطأ القرآن فى اسم والد مريم كما يزعم المتخرصون؟
- اعجاز قرآنى علمى أم مجرد ملاحظات ساذجة يعرفها كل أحد

جزيرة الورد
للنشر والتوزيع
Tel:02 278 77 574 - 010000 40 46

حُجَج الإسلام الدامغة
وشبهات خصومه الفارغة

(الرد على سفاهات زكريا بطرس وأمثاله من المبشرين)

د. إبراهيم عوض

مكتبة الإيمان - المنصورة
٠٢/٢٢٥٧٨٨٢

مكتبة جـزيرة الورد
القاهرة ؛ ٤ ميدان حليم - خلف بنك فيصل
شارع ٢٦ يوليو - من ميدان الأوبرا
ت ؛ ٠١٠٠١٠٤١١٥ - ٠٢٢٧٨٧٧٥٧٤
٠١٢٩٩٦١٦٢٥ - ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦

بطاقة الفهرسة

اسم الكتاب: خُخج الإسلام الدامغة وشبهات خصومه الفارغة

المؤلف: د. إبراهيم عوض

الطبعة: طبعة أولى / ١٤٣١هـ - ٢٠١٠ م

الناشر: مكتبة جزيرة الورد

رقم الإيداع:

رقم الإيداع: ٢٠١٠/١٠٨٠٥

حقوق الطبع محفوظة للناشر

مكتبة جزيرة الورد - القاهرة / ميدان حليم
خلف بنك فيصل شارع ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا
٠٢/٢٧٨٧٧٥٧٤ - ٠١٢/٩٩٦١٦٣٥
٠١٠/٠١٠٤١١٥ - ٠١٠/٠٠٠٤٠٤٦

مقدمـــة

مقدمة

أُخُوّة الوطن

تربطنا نحن المسلمين والنصارى فى بلادنا المحروسة رباط من الأخوة: أخوة الوطن، وأخوة اللغة، وأخوة الجيرة والزمالة والصداقة، وأخوة العادات والتقاليد، فضلا عن أخوة الإنسانية. وقد كنا طول عمرنا نعيش معا فى مودة وانسجام، وفى أسوإ الأحوال: فى ظل من المجاملات التى من شأنها تسهيل العيش المشترك وترطيب أجوائه. وإذا عاد واحد مثلى إلى الوراء وجد أنه كان يخالط فى صباه وشبابه كثيرا من النصارى: زملاء فى الدراسة، أو جيرانا فى المسكن، أو تجارا نشترى منهم ما نحتاج إليه، أو موظفين يقضون لنا مصالحنا الإدارية... وما إلى ذلك. ولست أستطيع أن اتذكر أن خصومة أو حتى حساسية عابرة نشأت بينى وبين أحد منهم البتة... إلى أن سمعت لأول مرة، وبدهشة شديدة، ما قاله زميلى الذى كان يسكن مع بعض رفقائه المسلمين المجندين غرفة مجاورة لغرفتى فى شقة مفروشة كنا نستأجرها أيام كنت معيدا صغيرا. وكان أصحاب البيت نصارى، وكانوا يجاملوننا نحن الشبان العزاب ببعض الحلوى وما أشبه من حين لآخر كانوا يبعثون بها مع ابنتهم الصغيرة من شقتهم التى تقع تحت شقتنا مباشرة فنتقبلها شاكرين مسرورين. فماذا قال لى ذلك الزميل، الذى كنت أضحك معه كثيرا وأطلق عليه على سبيل المعابثة: "فانوس" مثلما كنت أطلق اسم "أحمد الدنف" على زميله أحمد، الذى كان دائما ما يغلبه النوم وهو جالس معنا فيتدلى فكه أمامنا؟ لقد قال لى مرة ونحن واقفان فى شارع

رمسيس فى أعقاب حرب رمضان المجيدة ، وبدون مناسبة: أنتم عرب ، ولستم مصريين ، وهذه ليست بلادكم . وكانت العلاقة بيننا وقتذاك على أحسن ما يرام . ثم قرأت بعد هذا ما فسر لى الدافع وراء ذلك الكلام الضال ، وهو أن الكنيسة قد وسوست لهم فى آذانهم بهذا التخريف الآثم .

وكان من ثمار تلك السياسة فى الآونة الأخيرة هذا الكم الهائل من المواقع والمحطات الفضائية التى تهاجم الإسلام وتشتم المسلمين وتسب ربهم ورسولهم وقرآنهم وآباءهم وأمهاتهم سبا شنيعا بذيئا لا يمكن إيراد شىء منه هنا ، علاوة على تحدى المسلمين بأنهم لا يستطيعون الرد على ما تثيره من شبهات ضد دينهم . بل إنى كنت ولا أزال أستقبل على بريدى الضوئى من بعضهم رسائل تهاجم الإسلام أيما هجوم ، وبعضها من المدعو: زكريا بطرس حيث يورد لى أسماء كتب يستفزنى إلى الرد عليها إن كنت أستطيع . وفى الوقت ذاته كنت أتلقى طلبات من القراء المسلمين الذين يحسنون الظن بى تلح علىّ أن أرد على تلك الهجمات ، وهو ما لم يكن من السهل ولا من الحصافة تجاهله ، فكان تلك الفصول التى بين يدى القارئ ، والتى يتناول كل فصل منها بالتحليل والتفنيد كتابا منشورا على سبيل التحدى فى أحد المواقع التنصيرية . وهى فصول تدخل فى باب مقارنة الأديان والمناظرات الدينية ، هذا الباب الذى لا تخلو منه ثقافة من الثقافات ، وعن طريقه تتاح الفرصة للبشر كى يطالعوا الرأى والرأى المضاد . ولسوف أدع القراء يواجهون تلك الفصول مباشرة دون أن أقف بينهم وبينها شارحا أو معلقا . وعلى الله قصد السبيل .

***

بين السيد المسيح
والنبى محمد
فى القرآن والإنجيل

بين السيد المسيح والنبي محمد في القرآن والإنجيل

كتب زكريا بطرس فى موقعه المعروف على المشباك (الإنترنت) كلمة بعنوان "بين السيد المسيح والنبى محمد فى القرآن والإنجيل" يقارن فيها بين عيسى بن مريم ومحمد بن عبد الله عليهما جميعا السلام بغية الوصول إلى أن ثمة فرقا شاسعا لا يمكن اجتيازه بين المسيح (الله أو ابن الله عنده) وبين محمد ، الذى ينكر القُمّص نبوّته بطبيعة الحال . وتقوم الكلمة المذكورة على أساس أن القرآن الكريم يقول فى المسيح كذا وكذا مما لم يذكره لمحمد ، وهو ما يدل فى نظر القمص على أن محمدا رجل كذاب ، وأن عيسى بن مريم إله أو ابن للإله ، وذلك على النحو التالى:

"المسيح فى القرآن هو:

١- كلمة الله

٢- وروح منه

٣- آية من الله

٤- بلا مساس من البشر

٥- وأنه تكلم فى المهد

٦- خلق طيرًا

٧- شفى المرضى

٨- أقام موتى

٩- تنبأ بالغيب

١٠- مؤيد بالروح القدس

١١- مباركًا

١٢- خلت من قبله الرسل

١٣- ممسوح من الأوزار والخطايا

١٤- صعد إلى السموات

١٥- سيأتى حكمًا مقسطًا

١٦- وأنه وجيهًا فى الدنيا والآخرة".

ودائما ما يختم القمّص كلامه فى كل موضوع من هذه المواضيع بالسؤال التالى: وماذا عن محمد؟ وهو سؤال لا يحتاج إلى شرح ما يحمل فى طياته من مغزًى كما هو بَيِّنٌ واضح. وسوف نتناول ما قاله القمص بمنطق باتر يترك كل ما قاله مهلهلا لا يتماسك.

وسنبدأ بما قاله عن وصف القرآن للسيد المسيح بأنه "كلمة الله". وهذا كلامه بنصّه: "المسيح هو كلمة الله: (١) (النساء ٤: ١٧١)" إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه". (٢) (سورة آل عمران ٣: ٤٥)" إذ قالت الملائكة: يا مريم، إن الله يبشرك بكلمة منه، إسمه المسيح عيسى ابن مريم، وجيهًا فى الدنيا والآخرة ومن المقربين". (٣) (يوحنا ١: ١، ٢، ١٤)" فى البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله، هذا كان فى البدء عند الله. كان فى البدء عند الله. والكلمة صار جسدًا وحل بيننا، ورأينا مجده مجدًا كما لوحيد من الآب".

(٤) معنى الكلمة فى اللغة اليونانية التى كُتب بها الكتاب المقدس هى : لوغوس: أى عقل الله الناطق". والواقع أننى لا أدرى كيف يمكن الوصول إلى النتيجة التى يريدها هذا القمص من النصوص القرآنية التى أوردها . إن القرآن يؤكد أن المسيح عليه السلام لم يكن سوى رسول ، أى انه لم يكن إلها أو ابن إله ، إذ ليس للقَصْر فى هذا الموضع إلا ذلك المعنى. بل إن مجرد كونه رسولا ليس له من معنى إلا أنه كان بشرا ، فقد جاء فى القرآن عن الرسل قوله سبحانه وتعالى: "وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نُوحِى إليهم" (يوسف/ ١٠٩ ، والنحل/ ٤٣)، "ولقد أرسلنا رُسُلاً من قَبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية" (الرعد/ ٣٨)، "يا بنى آدم، إمّا يأتينكم رسل منكم (أى بشر مثلكم)..." (الأعراف/ ٣٥). أى أن الرسل لم يُبْعثوا إلا من البشر، سواء قلنا إن "الرجال" هنا معناها "البشر" على وجه العموم (جمع "رَجُل" و"رَجُلَة") أو "الذكور" منهم خاصة. ذلك أن الوثنيين كانوا يستنكرون أن يكون الرسول من البشر، قائلين: "أَبَعَثَ اللهُ بشرًا رسولا؟" (الإسراء/ ٩٤)، فردّ القرآنُ عليهم: "قل: لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنّين لنزّلنا عليهم من السماء مَلَكًا رسولا" (الإسراء/ ٩٥). وبالمثل يقع النص التالى قريبا من هذا المعنى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأنعام: ٨ - ٩]. فمعنى أن المسيح عليه السلام لم يكن سوى رسول أنه كان بشرا من البشر. وقد قال القرآن هذا ردًا على النصارى الذين ألّهوه عليه السلام كما هو معروف، لكن زكريا بطرس يظن أنه يستطيع خداع القراء، على حين أنه لا يخدع إلا نفسه ومن على شاكلته ممن يعيشون على الكذب والتدليس.

أما وصف القرآن له عليه السلام بأنه كلمة من الله فمعناه أنه قد خُلِق بالأمر المباشر لأنه لم تكتمل له الأسباب الطبيعية التى تحتاجها ولادة طفل

جديد: وهى الاتصال الجنسى بين رجل وامرأة ، وتأهّل كليهما للإنجاب ، ووقوع الاتصال فى الأوقات التى يمكن أن يتم فيها الحمل ، وغير ذلك . والمقصود أن الله قد قال له: "كن" فكان ، وهو نفسه الحال فى خَلْق آدم: "إنّ مَثَلُ عيسى عند الله كمَثَل آدم . خلقه من تراب ، ثم قال له: كن ، فيكون" (آل عمران/ ٥٩) . إن المدلّس يحاول الاستشهاد بالقرآن ، فكان من الواجب عليه الأمانة فى النقل عن القرآن وعدم اقتطاع أى نص من نصوصه من سياقه العام ولا من سياقه فى الآيات التى تحيط به . . . إلخ .

ثم إن المدلّس يسوق لنا كلام يوحنا ليدلل به على ألوهية المسيح عليه السلام ، وهو: "فى البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله ، هذا كان فى البدء عند الله . والكلمة صار جسدا وحل بيننا ، ورأينا مجده مجدا كما لوحيد من الآب" (يوحنا ١ : ١ ، ٢ ، ١٤) . وهذا كلام لا يوصّل لشىء مما يريد أن يدلّس به علينا ، إذ إنه يتناقض من الكلمة إلى الكلمة التى تليها مباشرة . كيف؟ لقد قال فى البداية إن الكلمة كان (أو كانت) عند الله . أى أنها لم تكن هى الله ، بل عند الله . ذلك أن الشىء لا يكون عند نفسه ، بل عند غيره . لكن يوحنا سرعان ما ينسى فيقول إن الكلمة التى كانت عند الله هى الله ذاته . ثم لا يكتفى بهذا أيضا بل يمضى فى التخبط قائلا إن الكلمة كانت كالابن الوحيد للأب (أو "الآب") ، وكل ذلك فى سطرين اثنين لا غير! ومع ذلك كله فإنه لا يكتفى بهذا ، بل يمضى فيقول إن معنى "الكلمة" فى اللغة اليونانية التى كُتب بها الكتاب المقدس هى "لوغوس" ، أى عقل الله الناطق .

معنى هذا أن "الكلمة" كانت فى البداية شيئا عند الله ، ثم صارت هى الله ذاته ، ثم عادت فأصبحت ابنه الوحيد ، ثم عادت ثانية فأضحت عقل الله (عقل الله الناطق من فضلك . ترى هل هناك عقل ناطق وعقل ساكت؟ ولمن؟ لله سبحانه!) . ألم يفكر القمص فيما سيحدث لله حين يتركه عقله

ويأتى فيتجسد فى دنيانا؟ ترى كيف سيدبر سبحانه العالم بدون عقل؟

ليس ذلك فقط، بل إن القمص ليتكلف خفة الظل تكلفاً رغم ثقل روحه، فيسوق قوله تعالى فى النبى محمد عليه السلام: "قل: سبحان ربى! هل كنت إلا بشرًا رسولاً؟" (الإسراء/ ٩٣)، "إنما أنا بشرٌ مثلكم" (الكهف/ ١١٠، وفُصِّلَتْ/ ٦) دليلا على أن القرآن، فى الوقت الذى يحكم فيه لعيسى أنه ابن الله أو الله نفسه، يقول عن محمد إنه ليس سوى رسول. وهذا كله كذب وخداع لا أدرى كيف يجرؤ أى إنسان يحترم نفسه أن يُقْدِم عليه! لقد كان على القمص أن يُطْلِع قارئه على الآيات القرآنية الكريمة التى تنفى الألوهية تماما عن عيسى عليه السلام وتؤكد أنه مجرد إنسان كسائر الناس، يأكل ويشرب ويدخل الحمام ليعمل كما يعمل الناس.

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٧٢) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٤) مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٧٥) قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٧٦) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (٧٧) ﴾ [المائدة: ٧٢ - ٧٧].

﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي

وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [المائدة: ١١٦ - ١١٧] .

﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [التوبة: ٣٠ - ٣١] . كما مر قبل قليل أن عيسى مثل آدم: كلاهما مخلوق بكلمة "كن" لا من اتصال رجل بامرأة!

ويستمر القمص فى تخاريفه التى يخال أنها يمكن أن تجوز على العقول، فتراه يستشهد على زعمه أن المسيح يختلف عن الرسول الكريم (فى أنه روح، وبالتالى فإنه إله لا إنسان) بقوله جل جلاله: "إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه" (النساء/ ١٧١) . ثم يعقب قائلا إن "البعض يعترض بأن معنى "روح" الله أى "رحمة" من الله . والواقع أنا لا أدرى لماذا يموّه المسلمون الحقائق . ففى "المعجم الوسيط" (الجزء الأول ص ٣٨٠) نجد هناك كلمتين : ١- (الرَّوْحُ): [بفتح الراء وسكون الواو] معناها: الراحة أو الرحمة . أو نسيم الريح . ٢- (الرُّوحُ): [بضم الراء ومد الواو] معناها: النفس . و(رُوحُ القدُس): [عند النصارى] الأقنوم الثالث . ويقول البعض أن المقصود بروح القدس فى القرآن هو جبريل عليه السلام (سيأتى الحديث عن ذلك بعد قليل) . وقد يعترض البعض أيضًا بأن مَثَل المسيح أنه روح من الله كمَثَل آدم الذى قيل عنه: "ونفختُ فيه من روحى" [سورة الحجر/ ٢٩، وسورة ص/ ٧٢] . فدعنا نناقش هذا الرأى . بمقارنة ما قيل عن المسيح وعن آدم نجد اختلافًا كبيرًا:

آدم	المسيح
ونفختُ فيه من روحى	**إنما المسيح... روح منه**
هذا التعبير الذى قيل عن آدم ليس كالتعبير الذى قيل عن المسيح، بل كالتعبير الذى قيل عن مريم [الأنبياء/ ٩١]: "والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا". فهل نحن نؤله العذراء؟	ومعنى روح منه: يتطابق مع الآيات القرآنية التى تتحدث عن تأييد السيد المسيح بالروح القدس، وهو فى المهد، كما توضح الآيات التالية ...

ومن الواضح الجلى أن الرجل قد غُشِىَ على عقله تماما، إذ مهما يكن معنى الروح فى كلام القرآن عن عيسى عليه السلام فلا ريب أن "الروح" هنا هى نفسها الروح فى حال سائر البشر، أما ما يقوله هو فكلام فارغ لا سبيل إلى صحته أبدا، إذ يضيف أن القرآن يقول عن آدم: "ونفختُ فيه من روحى"، مثلما يقول عن مريم: "ونفخنا فيها من روحنا". أى أن النفخ، حسبما يقول، لم يتم فى آدم وعيسى، بل فى آدم ومريم، فلا وجه للشَّبَه إذن بين آدم وعيسى. أتعرف أيها القارئ ما الذى يترتب على هذا؟ الذى يترتب عليه هو أن يكون الخارج من آدم ومريم متشابهين، أى أن البشر جميعا (وهم الذين خرجوا من صلب آدم) يشبهون عيسى (الذى خرج من رحم مريم). وعلى هذا فإما أن نقول إن الطرفين جميعا (البشر من ناحية، وعيسى من الناحية الأخرى) آلهة إذا قلنا إن "الروح" هنا تعنى "الألوهية"، أو أن نقول إنهما جميعا بشر على أساس أن "الروح" تعنى "الحياة والوعى والإرادة وما إلى ذلك". ويبقى آدم نفسه: فأما الإسلام فيقول إنه عليه السلام

بشر مخلوق من طين ، وأما الكتاب المقدس فيقول فى نسبه إنه ابن الله ، فى الوقت الذى ينسب عيسى فيه إلى يوسف النجار: "[٢٣] وَلَمَّا ابْتَدَأَ يَسُوعُ كَانَ لَهُ نَحْوُ ثَلاَثِينَ سَنَةً ، وَهُوَ عَلَى مَا كَانَ يُظَنُّ ابْنَ يُوسُفَ ، بْنِ هَالِي ، [٢٤] بْنِ مَتْثَاتَ ، بْنِ لاَوِي ، بْنِ مَلْكِي ، بْنِ يَنَّا ، بْنِ يُوسُفَ ، [٢٥] بْنِ مَتَّاثِيَا ، بْنِ عَامُوصَ ، بْنِ نَاحُومَ ، بْنِ حَسْلِي ، بْنِ نَجَّايِ ، [٢٦] بْنِ مَآثَ ، بْنِ مَتَّاثِيَا ، بْنِ شِمْعِي ، بْنِ يُوسُفَ ، بْنِ يَهُوذَا ، [٢٧] بْنِ يُوحَنَّا ، بْنِ رِيسَا ، بْنِ زَرُبَّابِلَ ، بْنِ شَأَلْتِيئِيلَ ، بْنِ نِيرِي ، [٢٨] بْنِ مَلْكِي ، بْنِ أَدِّي ، بْنِ قُصَمَ ، بْنِ أَلْمُودَامَ ، بْنِ عِيرِ ، [٢٩] بْنِ يُوسِي ، بْنِ أَلِيعَازَرَ ، بْنِ يُورِيمَ ، بْنِ مَتْثَاتَ ، بْنِ لاَوِي ، [٣٠] بْنِ شِمْعُونَ ، بْنِ يَهُوذَا ، بْنِ يُوسُفَ ، بْنِ يُونَانَ ، بْنِ أَلِيَاقِيمَ ، [٣١] بْنِ مَلَيَا ، بْنِ مَيْنَانَ ، بْنِ مَتَّاثَا ، بْنِ نَاثَانَ ، بْنِ دَاوُدَ ، [٣٢] بْنِ يَسَّى ، بْنِ عُوبِيدَ ، بْنِ بُوعَزَ ، بْنِ سَلْمُونَ ، بْنِ نَحْشُونَ ، [٣٣] بْنِ عَمِّينَادَابَ ، بْنِ أَرَامَ ، بْنِ حَصْرُونَ ، بْنِ فَارِصَ ، بْنِ يَهُوذَا ، [٣٤] بْنِ يَعْقُوبَ ، بْنِ إِسْحَاقَ ، بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، بْنِ تَارَحَ ، بْنِ نَاحُورَ ، [٣٥] بْنِ سَرُوجَ ، بْنِ رَعُو ، بْنِ فَالَجَ ، بْنِ عَابِرَ ، بْنِ شَالَحَ ، [٣٦] بْنِ قِينَانَ ، بْنِ أَرْفَكْشَادَ ، بْنِ سَامِ ، بْنِ نُوحِ ، بْنِ لاَمَكَ ، [٣٧] بْنِ مَتُوشَالَحَ ، بْنِ أَخْنُوخَ ، بْنِ يَارِدَ ، بْنِ مَهْلَلْئِيلَ ، بْنِ قِينَانَ ، [٣٨] بْنِ أَنُوشَ ، بْنِ شِيتِ ، بْنِ آدَمَ ، ابْنِ اللهِ" (لوقا/ ٣) . فالمسيح ، كما هو واضح من النص ، لم يُنسَب لله ، بل الذى نُسِب لله هو آدم! وهو ما يعنى أن الكتاب المقدس نفسه يضع آدم فى مكانة أعلى بما لا يقاس بالنسبة للمسيح ، عليهما جميعا السلام .

وفى النص التالى ، وهو عبارة عن الإصحاح الأول كله من إنجيل متى ، نقرأ: "[١] كِتَابُ مِيلاَدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ دَاوُدَ ابْنِ إِبْراهِيمَ: [٢] إِبْرَاهِيمُ وَلَدَ إِسْحَاقَ . وَإِسْحَاقُ وَلَدَ يَعْقُوبَ . وَيَعْقُوبُ وَلَدَ يَهُوذَا وَإِخْوَتَهُ . [٣] وَيَهُوذَا وَلَدَ فَارِصَ وَزَارَحَ مِنْ ثَامَارَ . وَفَارِصُ وَلَدَ حَصْرُونَ . وَحَصْرُونُ وَلَدَ أَرَامَ . [٤] وَأَرَامُ وَلَدَ عَمِّينَادَابَ . وَعَمِّينَادَابُ وَلَدَ نَحْشُونَ . وَنَحْشُونُ وَلَدَ سَلْمُونَ .

٥وَسَلْمُونُ وَلَدَ بُوعَزَ مِنْ رَاحَابَ . وَبُوعَزُ وَلَدَ عُوبِيدَ مِنْ رَاعُوثَ . وَعُوبِيدُ
وَلَدَ يَسَّى . ٦وَيَسَّى وَلَدَ دَاوُدَ الْمَلِكَ . وَدَاوُدُ الْمَلِكُ وَلَدَ سُلَيْمَانَ مِنَ الَّتِي
لأُورِيَّا . ٧وَسُلَيْمَانُ وَلَدَ رَحَبْعَامَ . وَرَحَبْعَامُ وَلَدَ أَبِيَّا . وَأَبِيَّا وَلَدَ آسَا . ٨وَآسَا
وَلَدَ يَهُوشَافَاطَ . وَيَهُوشَافَاطُ وَلَدَ يُورَامَ . وَيُورَامُ وَلَدَ عُزِّيَّا . ٩وَعُزِّيَّا وَلَدَ
يُوثَامَ . وَيُوثَامُ وَلَدَ أَحَازَ . وَأَحَازُ وَلَدَ حِزْقِيَّا . ١٠وَحِزْقِيَّا وَلَدَ مَنَسَّى . وَمَنَسَّى
وَلَدَ آمُونَ . وَآمُونُ وَلَدَ يُوشِيَّا . ١١وَيُوشِيَّا وَلَدَ يَكُنْيَا وَإِخْوَتَهُ عِنْدَ سَبْيِ بَابِلَ .
١٢وَبَعْدَ سَبْيِ بَابِلَ يَكُنْيَا وَلَدَ شَأَلْتِيئِيلَ . وَشَأَلْتِيئِيلُ وَلَدَ زَرُبَّابِلَ . ١٣وَزَرُبَّابِلُ وَلَدَ
أَبِيهُودَ . وَأَبِيهُودُ وَلَدَ أَلِيَاقِيمَ . وَأَلِيَاقِيمُ وَلَدَ عَازُورَ . ١٤وَعَازُورُ وَلَدَ صَادُوقَ .
وَصَادُوقُ وَلَدَ أَخِيمَ . وَأَخِيمُ وَلَدَ أَلِيُودَ . ١٥وَأَلِيُودُ وَلَدَ أَلِيعَازَرَ . وَأَلِيعَازَرُ
وَلَدَ مَتَّانَ . وَمَتَّانُ وَلَدَ يَعْقُوبَ . ١٦وَيَعْقُوبُ وَلَدَ يُوسُفَ رَجُلَ مَرْيَمَ الَّتِي وُلِدَ
مِنْهَا يَسُوعُ الَّذِي يُدْعَى الْمَسِيحَ . ١٧فَجَمِيعُ الأَجْيَالِ مِنْ إِبْرَاهِيمَ إِلَى دَاوُدَ
أَرْبَعَةَ عَشَرَ جِيلاً ، وَمِنْ دَاوُدَ إِلَى سَبْيِ بَابِلَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ جِيلاً ، وَمِنْ سَبْيِ
بَابِلَ إِلَى الْمَسِيحِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ جِيلاً . ١٨أَمَّا وِلاَدَةُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ فَكَانَتْ
هكَذَا: لَمَّا كَانَتْ مَرْيَمُ أُمُّهُ مَخْطُوبَةً لِيُوسُفَ ، قَبْلَ أَنْ يَجْتَمِعَا ، وُجِدَتْ
حُبْلَى مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ . ١٩فَيُوسُفُ رَجُلُهَا إِذْ كَانَ بَارًّا ، وَلَمْ يَشَأْ أَنْ
يُشْهِرَهَا ، أَرَادَ تَخْلِيَتَهَا سِرًّا . ٢٠وَلكِنْ فِيمَا هُوَ مُتَفَكِّرٌ فِي هذِهِ الأُمُورِ ، إِذَا
مَلاَكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ لَهُ فِي حُلْمٍ قَائِلاً: «يَا يُوسُفُ ابْنَ دَاوُدَ ، لاَ تَخَفْ أَنْ
تَأْخُذَ مَرْيَمَ امْرَأَتَكَ . لأَنَّ الَّذِي حُبِلَ بِهِ فِيهَا هُوَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ . ٢١فَسَتَلِدُ
ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ يَسُوعَ . لأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ» . ٢٢وَهذَا كُلُّهُ
كَانَ لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ مِنَ الرَّبِّ بِالنَّبِيِّ الْقَائِلِ: ٢٣«هُوَذَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ
ابْنًا ، وَيَدْعُونَ اسْمَهُ عِمَّانُوئِيلَ» الَّذِي تَفْسِيرُهُ: اَللهُ مَعَنَا . ٢٤فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ
يُوسُفُ مِنَ النَّوْمِ فَعَلَ كَمَا أَمَرَهُ مَلاَكُ الرَّبِّ ، وَأَخَذَ امْرَأَتَهُ . ٢٥وَلَمْ يَعْرِفْهَا
حَتَّى وَلَدَتِ ابْنَهَا الْبِكْرَ . وَدَعَا اسْمَهُ يَسُوعَ .

ولاحظ كيف أن سلسلة نسب المسيح تمر قبله مباشرة بيوسف النجار . لماذا؟ أترك الجواب لزكريا بطرس يفكر فيه على مهل! إذن فآدم (وليس المسيح) هو ابن الله، أما المسيح فابن يوسف النجار . وبالمناسبة فلم يحدث قط أن سُمِّيَ المسيح عليه السلام: "عمَّانوئيل" من أى إنسان، رغم أن هذا الاسم يُطْلَق على كثير من الناس الذين ليسوا بأبناء لله! كما أن النص يقول إنها ستسميه: "يسوع" لكى تتحقق النبوءة القديمة التى تقول إنه سيسمَّى: "عمانوئيل"! وهو كلام مضطرب جدا .

وكان الناس جميعا يقولون إن أبا عيسى هو يوسف النجار . كتب يوحنا فى إنجيله (١ / ٥) أن الناس كانت تسميه: "ابن يوسف"، وهو نفس ما قاله متى (١ / ٥٥) ولوقا (٣ / ٢٣، و ٤/ ٢٢)، وكان عيسى عليه السلام يسمع ذلك منهم فلا ينكره عليهم . بل إن لوقا نفسه قال عن مريم ويوسف مرارًا إنهما "أبواه" أو "أبوه وأمه" (٢ / ٢٧، ٣٣، ٤١، ٤٢) . كذلك قالت مريم لابنها عن يوسف هذا إنه أبوه (لوقا / ٢ / ٤٨) . وقد رأينا كيف أن الفقرات الست عشرة الأولى من أول فصل من أول إنجيل من الأناجيل المعتبرة عندهم، وهو إنجيل متى، تسرد سلسلة نسب المسيح بادئة بآدم إلى أن تصل إلى يوسف النجار (رجل مريم" كما سماه مؤلف هذا الإنجيل) ثم تتوقف عنده . فما معنى هذا للمرة الثانية أو الثالثة أو الرابعة . . . ؟

أما إذا أصر زكريا بطرس على القول بأن عيسى هو ابن الله، فليكن صادقا ويذكر أن كلمة "ابن الله" أو "أبناء الله" قد أُطْلِقت فى كتابه المقدس على بَشَر كثيرين منذ أول الخليقة حين سُمِّيَ آدم كما رأينا: "ابن الله". وهذه شواهد على ما تقول: "[١]وَحَدَثَ لَمَّا ابْتَدَأَ النَّاسُ يَكْثُرُونَ عَلَى الأَرْضِ، وَوُلِدَ لَهُمْ بَنَاتٌ، [٢]أَنَّ أَبْنَاءَ اللهِ رَأَوْا بَنَاتِ النَّاسِ أَنَّهُنَّ حَسَنَاتٌ. فَاتَّخَذُوا لأَنْفُسِهِمْ نِسَاءً مِنْ كُلِّ مَا اخْتَارُوا. [٣]فَقَالَ الرَّبُّ: «لاَ يَدِينُ رُوحِي فِي

الإِنْسَانِ إِلَى الأَبَدِ، لِزَيَغَانِهِ، هُوَ بَشَرٌ. وَتَكُونُ أَيَّامُهُ مِئَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً». كَانَ فِي الأَرْضِ طُغَاةٌ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ. وَبَعْدَ ذلِكَ أَيْضًا إِذْ دَخَلَ بَنُو اللهِ عَلَى بَنَاتِ النَّاسِ وَوَلَدْنَ لَهُمْ أَوْلاَدًا، هؤُلاَءِ هُمُ الْجَبَابِرَةُ الَّذِينَ مُنْذُ الدَّهْرِ ذَوُو اسْمٍ". (تكوين/ ٦)، "قدموا للرب يا أبناء الله قدموا للرب مجدا وعزًا" (مزمور/ ١/ ٢٩)، "من في السماء يعادل الرب. من يشبه الرب بين ابناء الله" (مزمور/ ٦/ ٨٩)، "اسرائيل ابني البِكْر" (خروج/ ١/ ٢٢، و٤/ ٢٢-٢٣). كما يصف الله داود قائلا: "أنت ابنى. أنا اليوم ولدتك". (مزمور/ ٢/ ٧)، ويبتهل إشعيا له بقوله: "أنت أبونا" (إشعيا/ ٦٣/ ١٥- ١٦)، كما يقول المسيح ذاته: "طوبى لصانعي السلام. لانهم أبناء الله يُدْعَوْن" (متى/ ٩/ ٥)، "احترزوا من أن تصنعوا صدقتكم قدام الناس لكى ينظروكم، وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذى فى السماوات" (متى/ ٦/ ١)، ويقول النصارى فى صلواتهم: "أبانا الذى فى السماوات..."، فضلا عن أن المسيح قد أخذه الشيطان ليجربه فوق الجبل ويدفعه إلى السجود له، وليس من المعقول أن يجرب الشيطان الله ليرى أيمكن أن يسجد له الله أم لا، مثلما ليس من المعقول أن يكون رد الله على الشيطان هنا هو: "اذهب يا شيطان، لأنه مكتوب: للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد"، وهو ما يعنى بكل جلاء أن عيسى كان ينظر لله على أنه "ربه" لا على أنه "هو نفسه" ولا على أنه "أبوه"، وعلى أن من الواجب عليه أن يسجد له. كما أنه عليه السلام قد سمّى نفسه أيضا: "ابن الإنسان" (متى/ ١١/ ١٩)، وهى ذات الكلمة التى استخدمها للإنسان كجنس (متى/ ١٢/ ٨). وفوق ذلك فإن له، عليه السلام، كلمة ذات مغزى خطير، إذ يُفْهَم منها أن "البنوّة" التى يعبّر بها أحيانا عن علاقته بالله ليست شيئا آخر سوى الطاعة المخلصة له سبحانه والانصياع لإرادته انصياعا تاما. ومن هنا نراه يقول عن كل من يفعلون

مثلما يفعل إنهم إخوته وأمه، كما هو الحال عندما أخبروه ذات مرة، وكان بداخل أحد البيوت، بأن أمه وإخوته بالخارج يريدونه، فأجابهم قائلا: "من هى أمى؟ ومن هم إخوتى؟ ثم مد يده نحو تلاميذه وقال: ها أمى وإخوتى، لأن من يصنع مشيئة أبى الذى فى السماوات هو أخى وأختى وأمى" (متى/ ١٢/ ٤٧- ٤٩). وهى إجابة يفهم منها أن أمه لم تكن تستحق بنوته لها ولا أن إخوته يستحقون أخُوّته لهم، وذلك لما يراه من تفريطها وتفريطهم فى الإيمان بدعوته.

بعد ذلك كله فإن الجواب على السؤال التالى الذى طرحه القمص: "هل قيل فى القرآن كله إن محمدًا هو روح من الله؟" هو: "لم يُقَلْ ذلك فى القرآن عن محمد وحده، بل قيل عن آدم أبى البشر، ومن ثم عن البشر كلهم بما فيهم محمد عليه السلام كما رأينا. والسبب هو أن آدم لم يُخْلَق بالطريق الذى أصبح هو الطريق المعتاد بعد خلق آدم وحواء، أى من خلال رجل وامرأة، فلذلك نفخ الله فيه مباشرة من روحه، وهو ما تكرر فى حالة السيد المسيح عليه السلام، وإن كان على نحو أضيق، إذ كانت له أم، بخلاف آدم، الذى لم يكن له أب ولا أم.

بل إننا لنذهب فى تحدى زكريا بطرس مدًى أبعدَ فنقول له إنه إذا كان يتخذ من خلق المسيح دون أب دليلا على أنه ابن الله، فليمض مع منطقه إلى آخر المدى ويجعل آدم هو الله نفسه (أستغفر الله!) لا ابنه فقط لأنه لم يكن له أب ولا أم، فهو إذن يتفوق على المسيح من هذه الناحية كما هو واضح، إن كان فى هذا تفوق على الإطلاق، وهو ما لا نسلم به، لكننا نتبنى منطقه لقطع الطريق عليه! ثم إن المسكين يستمر فى سياسته البهلوانية فيؤكد أن قوله تعالى على لسان مريم تخاطب الروح حين تمثل لها بشرا كى يهب لها

غلاما: "أنى يكون لى غلامٌ، ولم يَمْسَسْنى بَشَرٌ؟" معناها أنه عليه السلام "ليس من بشر". وهذا غير صحيح البتة، فقد جاء عليه السلام من بشر، وهى مريم، التى حملت به وحفظته فى رحمها وتغذى من دمها الذى يجرى فى عروقها تسعة أشهر، ثم وضعته وأرضعته من لبنها الذى فى صدرها، إلا أنه لم يكن له أب. وهذا كل ما هنالك! فإذا قلت: "النفخة"، كان جوابنا: لكن آدم تم النفخ فيه دون أن يكون هناك رَحِمٌ يحمله ولا صدرٌ يرضعه ولا أم تربّيه...، وهذا أَوْغَل فى الخروج عن السنن المعتادة فى الخلق!

بعد ذلك ينتقل زكريا بطرس إلى نقطة أخرى هى تأييد المسيح بروح القدس، الذى يجعله دليلا على أن عيسى يتفوق على محمد عليه السلام، وهذا نص كلامه: "التأييد بالروح القدس (البقرة ٢: ٧٨، ٢٥٣): "وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدُس". وللرد على ذلك نورد الأدلة والبراهين القاطعة التى تثبت بطلان هذا الإدعاء. من هذه الأدلة:

١-[سورة المائدة ٥: ١١٠] "إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا".

٢- فإن هذه الآية غاية فى الأهمية فى دلالتها، إذ توضح أن تأييد المسيح بروح القدس هو منذ أن كان فى المهد صبيا، ولذلك كلم الناس فى هذه السن. فكيف يكون الروح القدس هو جبريل، وهو الذى نطق على لسان من فى المهد؟

٣- كيف يتفق هذا مع ما جاء فى [سورة يوسف ١٢: ٨٧] "ولا تيأسوا من روح الله، ولا ييأس من روح الله إلا القومُ الكافرين" فهل معنى روح الله هنا هو جبريل؟

٤- وقد جاء تفسير روح الله فى [تفسير ابن كثير ج٢ ص٢٦٠] "لا تيأسوا أى لا تقطعوا رجاءكم وأملكم (من روح الله) أى من الله".

٥- [وأيضًا تفسير ابن كثير ج١ ص٨٧] روح منه: أى اسم الله الأعظم.

٦- وهناك آيات تشهد أن القدوس هو الله: [سورة الحشر ٥٩: ٢٣] "هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس" وأيضًا فى [سورة الجمعة ٦٢: ١] "يسبح لله ما فى السموات وما فى الأرض الملك القدوس".

وكما يرى القارئ بنفسه، فالرجل يدلس كثيرا دون أى احتياط. إنه يتصرف كقاتل ضُبط وهو يطعن ضحيته، وقد تضرجت يداه بالدماء، فهو يتخبط ويكذب ويحلف زورا بغية التفلت من قبضة الشرطة والعدالة. ولكن الأصداد تأخذه من كل ناحية. إنه يزعم أن المسيح، بنص القرآن، كان مؤيَّدا بالروح القدس، أما محمد فلا. يريد أن يقول إن عيسى عليه السلام كان إلها أو ابن إله، أما محمد فمجرد بشر عادى. لكن ما دام يستشهد بالقرآن، ألم يقرأ إذن قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ (١٠٠) وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١) قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (١٠٢) ﴾ [النحل: ٩٨ - ١٠٢]، ﴿ وَإِنَّهُ ﴾ (أى القرآن) ﴿ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (١٩٥) ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥]، ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ (١٥) ﴾ [غافر: ١٥]، ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ ﴾ (أى عادى) ﴿ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ

أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ أُوْلَٰئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (٢٢)﴾ [المجادلة: ٢٢]؟.

أو لم يقرأ ما قاله لوقا (فى الفصل الأول من إنجيله) عن يحيى عليه السلام وأبيه زكريا وأن الأول كان ممتلئا، منذ أن كان جنينا فى بطن أمه، بالروح القدس (ممتلئا منه لا مؤيدا به فحسب)، والثانى امتلأ به هو ايضا، لكن ليس من صغره: "[١١]فَظَهَرَ لَهُ (أى لزكريا عليه السلام) مَلاكُ الرَّبِّ وَاقِفًا عَنْ يَمِينِ مَذْبَحِ الْبَخُورِ. [١٢]فَلَمَّا رَآهُ زَكَرِيَّا اضْطَرَبَ وَوَقَعَ عَلَيْهِ خَوْفٌ. [١٣]فَقَالَ لَهُ الْمَلاَكُ: لاَ تَخَفْ يَا زَكَرِيَّا، لأَنَّ طِلْبَتَكَ قَدْ سُمِعَتْ، وَامْرَأَتُكَ أَلِيصَابَاتُ سَتَلِدُ لَكَ ابْنًا وَتُسَمِّيهِ يُوحَنَّا. [١٤]وَيَكُونُ لَكَ فَرَحٌ وَابْتِهَاجٌ، وَكَثِيرُونَ سَيَفْرَحُونَ بِوِلاَدَتِهِ، [١٥]لأَنَّهُ يَكُونُ عَظِيمًا أَمَامَ الرَّبِّ، وَخَمْرًا وَمُسْكِرًا لاَ يَشْرَبُ، وَمِنْ بَطْنِ أُمِّهِ يَمْتَلِئُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ"، "[٦٧]وَامْتَلأَ زَكَرِيَّا أَبُوهُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ"؟

فكما يرى القارئ العزيز، فإن روح القدس لا يؤيد الرسول الكريم فقط، بل ينزل على قلبه بالقرآن مثلما ينزل على كل الرسل والأنبياء، كما أنه يؤيد المؤمنين الذين لا يوادّون من حادّ الله ورسوله، ويمتلئ به يحيى منذ أن كان جنينا لا يزال. وليكن معنى "الروح القدس" بعد هذا ما يكون، فالمهم أنه لا يختص بعيسى عليه السلام، وعلى هذا لا يمكن اتخاذه ذريعة للقول بتميز عيسى تميز الإله أو ابن الإله عن سائر البشر. أما خلط صاحبنا فى قوله تعالى: "وَلا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ" (الذى يحرّفه فيكتبه هكذا: "ولا تياسوا من روح الله، ولا يياس من روح الله إلا القومُ الكافرين" متعمدا عدم ضبط "الروح" لغرض فى نفسه سيتضح للتو، ومبدلا عبارة "إنه لا يياس" إلى "ولا يياس"، ومخطئا

بجلافة لا تليق إلا بواحد مثله فيكتب: "الكافرين" مكان "الكافرون")، أقول: أما خلطه بين "الرُّوح" (بضم الراء المشددة) كما في الآيات الآنفة و "الرَّوْح" (بفتح الراء، وهو الراحة والرحمة) رغم أنه سبق أن فرق بينهما قبل قليل، فهو مصيبة المصائب. إنه، كما قلت، بهلوان، ومن ثم لا يثبت على حل ولا على حال، بل كلما رأى ما يظن أنه يمكن أن يخدم قضيته سارع باتخاذه دون أن يعي أنه قد سبق له اتخاذ عكس ذلك تماما.

وعلى أي حال فكيف يا ترى يكون روح الله وروح القدس هو الله؟ كيف يكون روح الله هو الله نفسه، أو يكون "روح القدس" هو "القدوس"؟ لكن إذا تذكرنا ما قلناه عن "كلمة الله" التي كانت "عند" الله، ثم أصبحت بعد قليل هي "الله" ذاته، لتعود مرة أخرى فتكون "وحيد الله"، ثم "عقل الله" عرفنا أن صلاح حال هذا الرجل ميؤوس منه! إن وصف الروح هنا بالقداسة لا يرتِّب للمسيح أية ألوهية أو بنوة لله، وإلا فقد وُصِف الوادي الذي رأى فيه موسى النار بـ "الوادي المقدس"، مثلما وُصِفت أرض فلسطين بـ "الأرض المقدسة" و "المباركة". أفنجعل منهما أيضا إلهين أو ولدين من أولاد الإله؟ قال عز شأنه على لسان موسى عليه السلام: "يا قوم، ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم" (المائدة/ ٢١)، وقال جل جلاله مخاطبا موسى: "يا موسى، إني أنا ربك، فاخلع نعليك. إنك بالوادي المقدَّس طُوًى" (طه/ ١٢). وعلى أية حال فلم يوصف عيسى عليه السلام في القرآن بالقداسة، فهل نقول إنه أقل مرتبة وشأنا من وادي الطور وأرض فلسطين؟

كذلك يشير صُوَيْحِبنا إلى وصف القرآن لعيسى عليه السلام بأنه "آية"، متسائلا: هل في القرآن أيضا أن محمدا آية كالمسيح؟ ولنقرأ ما قال نصًّا: "آية من الله: (١) [سورة المؤمنون ٢٣: ٥٠]"، وجعلنا ابن مريم وأمه آية".

(٢) [سورة الأنبياء ٢١: ٩١] "فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين". (٣) [سورة مريم ١٩: ٢١] "، قال كذلك قال ربك هو علىّ هين، ولنجعله آية للناس". (٤) [المعجم ج١ ص ٣٥]". آية تعنى: العلامة والإمارة، العبرة، والمعجزة". وماذا عن محمد؟ هل قيل فى القرآن كله أن محمدًا كان آية من الله؟".

وهو بهذا يظن أنه قد فتح عكا، مع أن الكلام الذى يقوله هنا لا يخرج عن الترهات التى يحسب أصحابها الجهلاء أنها هى العلم اللدنى. لقد وَصَفَتْ بعضُ الآيات القرآنية السيدةَ مريم مع المسيح معا بـ" الآية"، افنفهم من هذا أنها تساوى المسيح، فهى أيضا إله؟ فهذه واحدة، أما الثانية فالآية فى القرآن قد تكون ناقة، أو جرادا وضفادع ودما وقملا، أو طينا وطيرا، أو مائدة طعام، أو جثة فارقتها الروح قد لفظها البحر، أو عصًا تحولت إلى ثعبان، أو عَجْزًا عن النطق... إلخ؟ فهل نجعل الناقة والعصا والقملة والضفدعة والطين والطير آلهة مثلما تريد أن تجعل من وصف القرآن لعيسى عليه السلام بـ" الآية" دليلا على أنه إله وأنه يتميز من ثم على محمد عليه السلام؟ وهذا إن حصرنا معنى الآية فى المعجزة، وإلا فكل شىء فى العالم من حولنا هو آية على وجود الله وقدرته وحكمته. وقد تكررت الكلمة كثيرا فى القرآن بهذا المعنى كما هو معروف، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤]. ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ

وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٢) وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (١٣)﴾ [النحل: ١٠ - ١٣] ، ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ (٢٢) وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٢٣) وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢٤) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ (٢٥)﴾ [الروم: ٢١ - ٢٥] . . . إلخ .

إذن فأين الميزة التى تظن أيها القمص الذكى أن عيسى عليه السلام يتفوق بها هنا على سيد الأنبياء والمرسلين؟ إننا نحب سيدنا عيسى ونجلّه ونحترمه ونضعه فى العيون منا والقلوب ، بل نعد أنفسنا أتباعه الحقيقيين المخلصين ، لكننا لا يمكننا القبول بألوهيته ، وإلا كفرنا بالله سبحانه وبرسله الكرام الذين إنما أتوا ليدعُوا أول شىء إلى وحدانية الله سبحانه وعدم الإشراك به .

والآن لتنظر ، أيها القمص ، إلى قوله تعالى فى النصوص التالية التى تشهد لما نقول ، وذلك لو كان لك عينان للنظر أو أذنان للسمع ، وأشك فى ذلك كثيرا . يقول صالح عليه السلام لقومه: ﴿ وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ (٦٤)﴾ [هود: ٦٤] ، ويقول سبحانه عن قوم فرعون: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ (١٣٣)﴾ [الأعراف: ١٣٣] ، ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ

السَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ [المائدة: ١١٢ - ١١٤]، ويقول تعالى مخاطبا زكريا عليه السلام: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾ [آل عمران: ٤١] . . . إلخ . ثم إن "الآية" هى شىء يخلقه الله، أى أنها شىء مخلوق لا إله ولا ابن إله! هل رأيت الآن بنفسك، أيها القارئ الكريم، كيف ضاقت بل استحالت على الرجل السبل والمذاهب؟

وينتقل الجاهل إلى نقطة أخرى ليوقع كالعادة نفسه فى مأزق جديد ما كان أغناه عنه لولا سخف منطقه . إنه يذكر الآيات التى أجراها الله سبحانه على يد عيسى عليه وعلى نبينا الكريم أفضل الصلاة والسلام، وهى كلامه فى المهد، وإبراؤه الأكمه والأبرص وشفاؤه المرضى وإحياؤه الموتى وخلقه الطير من الطين بإرادة الله وقدرته لا بقدرة منه هو ولا بإرادته، فضلا عن تمكينه سبحانه إياه من التنبؤ بما يأكل الناس وما يدخرونه فى بيوتهم، ثم يتساءل قائلا: وماذا عن محمد؟ يعنى أن الرسول الكريم لا يمكن أن يسامى عيسى عليه السلام هنا أيضا! وهذه مكايدة صغيرة مضحكة، فإن لمحمد عليه السلام معجزاته التى روتها كتب السيرة والأحاديث، وإن كانت من نوع مختلف، مثلما أن لكل من الأنبياء والرسل الآخرين معجزته الخاصة به . أى أن عيسى لا يتميز عن غيره من النبيين والمرسلين هنا أيضا . وهبه انفرد بوقوع المعجزات على يديه دون غيره من الأنبياء والرسل الكرام، أفينبغى أن نعد هذا تميزا منه عليهم؟ لا، لأنه لم يفعل ذلك ولم يستطعه من تلقاء نفسه، بل بقدرة الله سبحانه وإرادته . وهو، قبل هذا وبعد هذا، ليس إلا نبيا من الأنبياء ورسولا من المرسلين، أى عبدا من العباد، وهذا هو المهم

لأنه هو جوهر الموضوع، أما وقوع المعجزات أو عدم وقوعها فلا يعنى شيئا ذا بال فى تلك القضية!

أما الإنباء بالغيب ففى القرآن نبوءة بانتصار الروم على الفرس فى بضع سنين، وقد تحققت. وفى القرآن نبوءة بانتصار الإسلام على غيره من الأديان، وقد تحققت. وفى القرآن نبوءة بأن الناس لن تستطيع قتل الرسول عليه السلام، وقد تحققت. وفى القرآن أن الحلىّ تُسْتَخْرَج من البحر العذب ومن البحر الملح كليهما، وهو ما لم يكن أحد يعرفه فى منطقة الشرق الأوسط على الأقل، ثم اتضح الآن أنه صحيح. وفى القرآن نبوءة بأن عبد العُزّى عم الرسول سيَصْلَى نارا ذات لهب، وقد تحققت، إذ مات كافرا. وفى الحديث نبوءة بأنه سيأتى يوم على المسلمين تتداعى عليهم الأمم كما تتداعى الأَكَلَة على قصعتها، لا من قلة فى العدد، بل لأنهم غُثَاء كغثاء السَّيْل، وقد تحققت فى الأعصر الأخيرة، وبخاصة هذه الأيام كما يرى كل من له عينان. وقد قال الرسول ذلك، والمسلمون فى عز قوتهم الإيمانية حينما كان الإسلام لا يزال أخضر غضًا فى النفوس، وهو ما لم يتصوره الصحابة حينذاك لأنه كان غريبا تمام الغرابة على العقل والمنطق، إذ كان مَدّ الإسلام من العنفوان والجيشان بحيث لم يكن أحد يتصور خلاف ذلك!

وعلى كل حال فليست العبرة بالمعجزات الحسية، وإلا فمن الأنبياء من لم تأت معجزاتهم بالثمرة المرجوة منها لأن أقوامهم قد بَقُوا رغم ذلك متمسكين بكفرهم وعصيانهم، ومن هؤلاء السيد المسيح، إذ كفر به اليهود إلا القليلين منهم، مما اضطر تلاميذه (حسبما ورد فى كتبهم ذاتها) إلى التحول بدعوته إلى الأمم الأخرى رغم أنه كان فى البداية يستنكر أن يتطلع أى من هذه الأمم إلى مشاركة بنى إسرائيل فى الدعوة التى أتى بها وكان

يشبّههم بالكلاب ، الذين ينبغى فى رأيه أن يُحْرَموا من الخبز ويُذَادوا عنه لأنه مخصص للأبناء وحدهم . بل لم تنفع المعجزات هنا أيضا ، إذ إن هؤلاء قد انحرفوا بالتوحيد الذى أتاهم به عليه السلام وحوّلوه إلى تثليث مثلما فعلت الأمم القديمة كالأغارقة والهنود والفرس والمصريين . وأخيرا وليس آخرا ، فالمعجزات ليست من البراهين الحاسمة ، فعلاوة على عدم استطاعتها تليين القلوب اليابسة والرؤوس الصلبة والرقاب الغليظة وإضاءة النفوس المعتمة كما قلنا ، فإنها لا تستطيع أن تغالب الأيام ، إذ ما إن يمر زمانها حتى تنصل صورتها فى النفوس ولا يعود لها أى تأثير ، بل تصبح مظنة التزييف والتلفيق! وهى فى حالة نبينا ، عليه وعلى إخوانه الأنبياء السلام ، لم تكن ردا على تحدى الكفار له ، بل كانت موجهة إلى المؤمنين (فى الدرجة الأولى على الأقل) تثبيتا لإيمانهم ، لا إلى الكفار الذين ثبت أنهم لا يصيخون السمع إليها!

وبالمناسبة فإن النصارى لا يُقِرّون بكلام عيسى فى المهد لأنه غير مذكور فى الأناجيل التى يعترفون بها ، وإن جاء فى بعض الأناجيل الأخرى غير المعتمدة عندهم شىء قريب من ذلك . أى أن القُمّص يحاججنا بما ورد فى القرآن رغم إعلانه الكفر به . وعلى كل حال فلست العبرة بإحياء شخص أو عدة أشخاص ثم ينتهى الأمر عند هذا الحد ، بل العبرة كل العبرة فى إحياء الأمم من العدم الحضارى والخلقى والنفسى والسياسى والاجتماعى والذوقى ، وهو ما كرّم الله محمدا به ، إذ أنهضت يداه المباركتان الميمونتان أمة العرب من حالة الهمجية والوحشية والتخلف المزرى الذى كان ضاربا أطنابه فوق بلادهم ومجتمعاتهم بل فوق حياتهم كلها ، فجعل منهم حكاما يسوسون العالم ويقودونه ثقافيا وخلقيا وعقيديا لعدة قرون دون سند ، اللهم إلا سند القرآن والإيمان! ولم يحيدوا حتى الآن عن عقيدة التوحيد رغم

كل المصائب التى وقعت فوق رؤوسهم، سواء كانت من صنع أيديهم أو من صنع أعدائهم، بخلاف غيرهم من الأمم التى ما إن يغيب عنها نبيها حتى ترتد إلى الوثنية والكفر، والعياذ بالله، وكأنك يا أبا زيد ما غزوت!

وبالمناسبة فملاحدة النصارى يفسرون معجزات عيسى عليه السلام بأنها حِيَلٌ وتواطؤات مع المرضى الذين شفاهم أو أعادهم إلى الحياة، على حين أنهم (حسبما يقول هؤلاء الملحدون) لم يكونوا قد ماتوا ولا كانوا مرضى أصلا! كما أن الموتى الذين عادوا على يديه إلى الحياة لم يحدّثونا عما خَبَروه فى العالم الآخر. ولَعَمْرِى إنه لأمر غريب أن يسكتوا فلا يذكروا شيئا عن تلك التجربة العجيبة! وفوق هذا فما الفائدة التى عادت على العالم أو حتى على المجتمع الإسرائيلى أو الرومانى من عودة من أعادهم إلى الدنيا كرة أخرى؟ إنها معجزات وقتية لا قيمة لها إلا لمن شاهدها، بل لا قيمة لها إلا لمن كتب الله له الإيمان، وإلا فاليهود بوجه عام لم يولوا هذه المعجزات أية أهمية وظلوا يكفرون بالمسيح ويتهمون أمه بأنها بَغِىٌّ، فضلا عن تآمرهم عليه ليصلبوه لولا أن توفاه الله إليه وتركهم فى ظلمات لا يبصرون بعد أن شُبِّه لهم أنهم قتلوه فعلا! بل إن معظم الذين اتبعوه قد انحرفوا بدعوته أفظع الانحراف، إذ قلبوها رأسا على عقب وحولوها من التوحيد إلى الشرك، والعياذ بالله!

كذلك أحيا النبىُّ إيليّا ميتًا مثلما فعل عيسى، فهل نَعُدّه ابنا ثانيا لله؟ وهذه قصة إيليّا حسبما حكاها الكتاب المقدس (الملوك الثانى/ ١٧):

"١٧ وَبَعْدَ هذِهِ الأُمُورِ مَرِضَ ابْنُ الْمَرْأَةِ صَاحِبَةِ الْبَيْتِ وَاشْتَدَّ مَرَضُهُ جِدًّا حَتَّى لَمْ تَبْقَ فِيهِ نَسَمَةٌ. ١٨ فَقَالَتْ لإِيلِيَّا: «مَا لِي وَلَكَ يَا رَجُلَ اللهِ! هَلْ جِئْتَ إِلَيَّ لِتَذْكِيرِ إِثْمِي وَإِمَاتَةِ ابْنِي؟». ١٩ فَقَالَ لَهَا: «أَعْطِينِي ابْنَكِ». وَأَخَذَهُ مِنْ

حِضْنِهَا وَصَعِدَ بِهِ إِلَى الْعُلِّيَّةِ الَّتِي كَانَ مُقِيمًا بِهَا، وَأَضْجَعَهُ عَلَى سَرِيرِهِ، ٢٠وَصَرَخَ إِلَى الرَّبِّ وَقَالَ: «أَيُّهَا الرَّبُّ إِلهِي، أَأَيْضًا إِلَى الأَرْمَلَةِ الَّتِي أَنَا نَازِلٌ عِنْدَهَا قَدْ أَسَأْتَ بِإِمَاتَتِكَ ابْنَهَا؟» ٢١فَتَمَدَّدَ عَلَى الْوَلَدِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، وَصَرَخَ إِلَى الرَّبِّ وَقَالَ: «يَا رَبُّ إِلهِي، لِتَرْجعْ نَفْسُ هذَا الْوَلَدِ إِلَى جَوْفِهِ». ٢٢فَسَمِعَ الرَّبُّ لِصَوْتِ إِيلِيَّا، فَرَجَعَتْ نَفْسُ الْوَلَدِ إِلَى جَوْفِهِ فَعَاشَ. ٢٣فَأَخَذَ إِيلِيَّا الْوَلَدَ وَنَزَلَ بِهِ مِنَ الْعُلِّيَّةِ إِلَى الْبَيْتِ وَدَفَعَهُ لأُمِّهِ، وَقَالَ إِيلِيَّا: «انْظُرِي، ابْنُكِ حَيٌّ» ٢٤فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ لإِيلِيَّا: «هذَا الْوَقْتَ عَلِمْتُ أَنَّكَ رَجُلُ اللهِ، وَأَنَّ كَلاَمَ الرَّبِّ فِي فَمِكَ حَقٌّ»".

كما صنع أليشع نفس المعجزة فأحيا طفلا آخر لأمه، فهل نعدّه ابنا ثالثا لله، أستغفر الله؟ وهذا ما كتبه مؤلفو الكتاب المقدس فى سفر "الملوك الثانى" (إصحاح رقم ٤) عن هذه الحكاية: "٣٢وَدَخَلَ أَلِيشَعُ الْبَيْتَ وَإِذَا بِالصَّبِيِّ مَيْتٌ وَمُضْطَجِعٌ عَلَى سَرِيرِهِ. ٣٣فَدَخَلَ وَأَغْلَقَ الْبَابَ عَلَى نَفْسَيْهِمَا كِلَيْهِمَا، وَصَلَّى إِلَى الرَّبِّ. ٣٤ثُمَّ صَعِدَ وَاضْطَجَعَ فَوْقَ الصَّبِيِّ وَوَضَعَ فَمَهُ عَلَى فَمِهِ، وَعَيْنَيْهِ عَلَى عَيْنَيْهِ، وَيَدَيْهِ عَلَى يَدَيْهِ، وَتَمَدَّدَ عَلَيْهِ فَسَخُنَ جَسَدُ الْوَلَدِ. ٣٥ثُمَّ عَادَ وَتَمَشَّى فِي الْبَيْتِ تَارَةً إِلَى هُنَا وَتَارَةً إِلَى هُنَاكَ، وَصَعِدَ وَتَمَدَّدَ عَلَيْهِ فَعَطَسَ الصَّبِيُّ سَبْعَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ فَتَحَ الصَّبِيُّ عَيْنَيْهِ. ٣٦فَدَعَا جِيحْزِي وَقَالَ: «اُدْعُ هذِهِ الشُّونَمِيَّةَ» فَدَعَاهَا. وَلَمَّا دَخَلَتْ إِلَيْهِ قَالَ: «احْمِلِي ابْنَكِ». ٣٧فَأَتَتْ وَسَقَطَتْ عَلَى رِجْلَيْهِ وَسَجَدَتْ إِلَى الأَرْضِ، ثُمَّ حَمَلَتِ ابْنَهَا وَخَرَجَتْ".

أما قول القمص البهلوان إن عيسى عليه السلام يتميز عن سيد الأنبياء والمرسلين بأنه "قد خلَتْ من قبله الرسل"، فهو ما لم أفهم مقصده منه، إذ إنه صلى الله عليه وسلم قد خلت الرسول من قبله هو أيضا. ألم يسبقه عيسى ويحيى وزكريا والْيَسَع وموسى وهارون وشُعَيْب وسليمان وداود

ويعقوب وإسحاق وإسماعيل ولوط وإبراهيم وهود وصالح ونوح وغيرهم؟ اللهم إلا إذا كان زكريا بطرس لم يفهم معنى "خَلَتْ"، وهو ما أرجحه. بل ما من نبى إلا خلت من قبله الرسل ما عدا أول نبى بطبيعة الحال. بَيْدَ أنى، رغم ذلك، لا أستطيع أن أفهم كيف يمكن أن يكون هذا ميزة لأحد من الأنبياء على أحد! أترى أول نبى كان يقل عمن جاءوا بعده لا لشىء إلا لأنه لم يَخْلُ قبله أحد من الرسل؟ أما إذا أصر القمص على ما يهرف به فإن محمدا عليه السلام يزيد على عيسى من هذه الناحية بدرجة، إذ إن عدد من خلا قبله من الرسل يزيد على من خلا قبل عيسى برسول هو عيسى نفسه. أليس كذلك؟ لا بل إن محمدا هو الذى يَفْضُل عيسى من هذه الناحية، فعيسى مَحْوطٌ بالمرسلين من قبل ومن بعد، أما الرسول الكريم فكان خاتم النبيين، وهو أمر لم يُكْتَب لأحد من إخوانه الكرام، فهو الختام المِسك الذى بلغت على يديه الكريمتين ظاهرة النبوة أسمق مستوياتها، ولم يعد هناك من جديد يمكن أن يضاف إليها، وبخاصة أن الكتاب الذى أتى به ما زال باقيا على حاله الأول غَضًّا نضرًا لم تمتد يد التضييع أو التزييف والعبث إليه على عكس بعض الكتب السابقة عليه.

إن ما قاله القرآن هنا ليجرى فى عكس الاتجاه الذى يلوى القُمّصُ الآيةَ نحوه، فالقرآن يقول: "ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل" (المائدة/ ٧٥)، ومعناه أن المسيح لا يمكن أن يكون إلها أو ابن إله، إنما هو واحد من الرسل الكثيرين الذين مَضَوْا من قبله، فكما كانوا بشرا فهو أيضا مثلهم بشر من البشر. وعلى أية حال فقد قيل الشىء نفسه عن محمد عليه الصلاة السلام، وبنفس التركيب، وهذا هو: "وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل" (آل عمران/ ١٤٤)، وكان ذلك حين ظُنّ فى معركة أُحُد أنه قد مات (صلى الله عليه وسلم، ومسح الأرض

بكرامة من يتطاول عليه من كل ضالّ مضلّ رجيم ، وعتلّ فاسد زنيم) ، فقال الله لهم إن محمدا ليس إلا رسولا كسائر الرسل الذين سبقوه ، وسيموت كما ماتوا ، ولا معنى لانقلاب أحد على عقبيه بعد موته ، لأن اللهَ صاحبَ الدين حيٌّ لا يموت ، أما محمد فلم يكن إلا رسولا جاء ليبلغ العِبَاد دعوة الله!

ومما يظن زكريا بطرس أنه يستطيع الشغب به على المسلمين قوله إن عيسى كان مباركا ، أما محمد فلا . ولا أدرى من أين له بأن عيسى وحده هو الذى بورك دون الأنبياء جميعا . لقد ذكر القرآن ، الذى يعتمد عليه بطرس فى محاولة التنقص من سيد الرسل والنبيين ، أن البركة قد أُنْزِلَتْ على أشياء وأشخاص كثيرين ، لا على عيسى وحده ، كما أن البركة فى غير حالة عيسى عليه السلام قد تُذْكَر بلفظ آخر ، أو يُذْكَر ما يزيد عليها فى الإكرام والمحبة . فبعض أجزاء الأرض قد باركها الله: "وأورثنا القومَ الذين كانوا يُسْتَضْعَفون مشارق الأرض ومغاربها التى باركْنا فيها" (الأعراف/ ١٣٧) ، والمسجد الأقصى بارك الله حوله: "سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله" (الإسراء/ ١) ، والموضع الذى رأى موسى فيه النار فى سيناء قد بارك الله حوله أيضا: "فلما جاءها نُودِىَ أنْ بُورِكَ مَنْ فى النار ومَنْ حولها" (النمل/ ٨) ، وإبراهيم وإسحاق قد بارك الله عليهما: "وباركنا عليه وعلى إسحاق" (الصافات/ ١١٣) ، وهناك نوح والأمم التى كانت مع نوح ، وقد بارك الله عليه وعليهم حسبما جاء فى كلامه سبحانه له: "يا نوح ، اهبط (أى من السفينة بعد انحسار الطوفان) بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك" (هود/ ٤٨) ، وهناك البيت الحرام ، وقد باركه الله: "إن أول بيت وُضِع للناس لَلَّذِى ببَكّةَ مباركا وهدى للعالمين" (آل عمران/ ٩٦) ،

وكذلك القرآن الكريم، وقد جعله الله مباركا أيضا: "وهذا ذِكْرٌ مباركٌ أنزلناه، أفأنتم له منكرون؟" (الأنبياء/ ٥٠)، كما أن الليلة التى أُنزِلَ فيها هذا الذكر هى أيضا ليلة مباركة: "إنا أنزلناه فى ليلة مباركة" (الدخان/ ٣).

أما بالنسبة لنبينا، عليه وعلى كل الأنبياء الكرام أفضل الصلوات وأزكى التسليمات، فقد جاء فى القرآن أنه عز وجل يريد أن يُذْهِب الرِّجْس عن أهل بيته جميعا ويطهِّرهم تطهيرا: "إنما يريد الله لِيُذْهِب عنكم الرِّجْس أهل البيت ويطهِّركم تطهيرا" (الأحزاب/ ٣٣)، كما أثنى المولى عليه أعطر الثناء، وذلك فى قوله: "وإنك لعلى خُلُقٍ عظيم" (القلم/ ٤)، وقوله: "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" (الأنبياء/ ١٠٧)، وقوله: "لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيزٌ عليه ما عَنِتُّم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوفٌ رحيمٌ" (التوبة/ ١٢٨)، وقوله: "رسولاً يتلو عليكم آياتِ الله مبيِّناتٍ لِيُخْرِج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور" (الطلاق/ ١١)، وقوله: "من يُطِعِ الرسولَ فقد أطاع الله" (النساء/ ٨٠)، وقوله: "إن الله وملائكته يصلّون على النبى. يا أيها الذين آمنوا صَلُّوا عليه وسَلِّموا تسليما" (الأحزاب/ ٥٦). والحق أن ما قاله سبحانه وتعالى فى تكريم حبيبه محمد فى هذه الآيات وغيرها لم ينزل مثله فى أى نبى آخر، وإن لم يكن مقصدنا هنا المقارنة بينه صلى الله عليه وسلم وبين إخوانه الكرام، اللهم إلا ردا على ذلك القمص الذى يريد أن يثيرها نعرة جاهلية رعناء.

ولقد بلغ من عظمة نفسه عليه السلام ونبل أخلاقه أنْ نَهَى أتباعه عن تفضيله على أى من إخوانه الكرام كما يتبين من الأحاديث التالية: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: استبَّ رجلان: رجل من المسلمين ورجل من اليهود. قال المسلم: والذي اصطفى محمدا على العالمين. فقال اليهودي:

والـذي اصطفى موسى على العالمين. فرفع المسلم يده عند ذلك فلطم وجه اليهودي، فذهب اليهودي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بما كان من أمره وأمر المسلم، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم المسلم فسأله عن ذلك فأخبره، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا تخيّروني على موسى فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأصعق معهم فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطش جانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبل أو كان ممن استثنى الله". وعن أبي هريرة أيضا قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم. قال: ولو لبثتُ في السجن ما لبث يوسف ثم جاءني الرسول أجبتُ. ثم قرأ: فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن". وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما ينبغي لعبد أن يقول إني خير من يونس بن متى".

ولم نكن لنحبّ أن ندخل فى هذا المضيق، إلا أن للضرورة أحكاما، إذ لم يكن متصوَّرا أن يهبّ بعض الناس فى هذا العصر فيتطاولوا على سيد الأنبياء جهارا نهارا، فكان لا مناص من إلجامهم بلجام الخَرَس حتى يعرفوا حدودهم ويلزموها فلا يُقِلّوا أدبهم عليه. وبالمناسبة فتكملة الآية الكريمة التى جاء فيها على لسان المسيح أن الله قد جعله مباركا هى "وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا" (مريم/ ٣١). أى أنه عبد له سبحانه وتعالى لا ربٌّ مثله ولا ابنٌ له كما يدّعى القمص البهلوان، ولذلك أمره الله بالصلاة والزكاة ما دام حيا، إذ الرب لا يُؤْمَر ولا يُنْهَى، بل الذى يُؤْمَر ويُنْهَى هو العبد. لكن القُمّص يتجاهل هذا ولا يستشهد به حتى لا تتكشف فضيحته!

كذلك جاء فى كلام القُمّص الأرعن أن عيسى عليه السلام سيأتى

حَكَمًا مُقْسِطًا بدليل الحديث التالى الذى أورده البخارى: "لن تقوم الساعة حتى ينزل فيكم (أى بينكم) ابن مريم حكمًا مقسطًا (أى عادلا)"، والذى يفسر الأرعنُ لفظَ "المقسط" فيه بأنه اسم من أسماء الله الحسنى، بما يفيد أن عيسى هو الله أو على الأقل ابن الله، إذ ذكر أن "المعجم الوسيط" قد شرح "المقسط" بأنه اسم من أسماء الله الحسنى. ثم ختم كلامه قائلا: "وماذا عن محمد؟". وهذا الكلام هو تخبيص فى تخبيص! أتدرى لماذا؟ لأن هذا الحديث وأمثاله من الآثار التى تتحدث عن عودة المسيح عليه السلام إلى الدنيا إنما تؤكد ما يَسُوء وجهَ هذا الأرعن. ذلك أن تلك الأحاديث إنما تتحدث عن رجوع المسيح ليكسر الصلبان ويحطم أوعية الخمور ويقتل الخنزير ويدعو الناس بدعوة التوحيد التى أتى بها نبينا عليه السلام وضلّ عنها من يزعمون أنهم أتباع عيسى عليه السلام وينسخ التثليث ويتبرأ من معتنقيه على رؤوس الأشهاد. لكن الماكر الخبيث يقتطع من هذه الأحاديث جملة ينتزعها من سياقها ظانًا أنه يمكن أن يُجْلِب بها على العقول ويمضى فى سبيله دون أن يعقب عليه أحد.

نقرأ مثلا فى "صحيح البخارى": "حدثنا إسحاق أخبرنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا أبي عن صالح عن ابن شهاب أن سعيد بن المسيِّب سمع أبا هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده ليُوشِكَنّ أن ينزل فيكم ابن مريم حَكَمًا عَدْلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها". ويقول صاحب "فتح البارى بشرح صحيح البخارى" فى تعليقه على هذا الحديث: "روى مسلم من حديث ابن عمر في مدة إقامة عيسى بالأرض بعد نزوله أنها سبع سنين. وروى نعيم بن حماد في "كتاب الفتن" من حديث ابن عباس أن عيسى إذ ذاك

يتزوج في الأرض ويقيم بها تسع عشرة سنة ، وبإسناد فيهم مبهم عن أبي هريرة: يقيم بها أربعين سنة . وروى أحمد وأبو داود بإسناد صحيح من طريق عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة مثله مرفوعا . وفي هذا الحديث "ينزل عيسى عليه ثوبان ممصران فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويدعو الناس إلى الإسلام ، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام ، وتقع الأمَنَة في الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل وتلعب الصبيان بالحيّات . وقال في آخره: ثم يُتَوَفَّى ويصلي عليه المسلمون". وروى أحمد ومسلم من طريق حنظلة بن علي الأسلمي عن أبي هريرة: "لَيُهِلَّنَّ ابنُ مريم بفجّ الروحاء بالحج والعمرة" الحديث . وفي رواية لأحمد من هذا الوجه: ينزل عيسى فيُقتَل الخنزير ويُمْحَى الصليب وتُجْمَع له الصلاة ويُعْطَى المال حتى لا يُقْبَل ويضع الخراج ، وينزل الروحاء فيحجّ منها أو يعتمر أو يجمعهما" . ولكى يعرف القراء الكرام مدى الخبث الخائب الذى يلجأ إليه ذلك العبيط أسوق إليهم كاملا نص الحديث الذى اقتطع منه المحتال الدجال ما اقتطع . جاء فى "صحيح البخارى": "حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا الليث عن ابن شهاب عن ابن المسيب أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده لَيُوشِكَنّ أن ينزل فيكم ابن مريم حَكَمًا مُقْسِطًا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد" . ويشبهه ما جاء فى "مسند أحمد بن حنبل": "حدثنا سفيان عن الزهري عن سعيد عن أبي هريرة يبلغ به النبيّ صلى الله عليه وسلم: يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا مُقْسِطًا يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد"، وكذلك ما جاء فى "سنن الترمذى": حدثنا قتيبة حدثنا الليث بن عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: والذي نفسي بيده

ليوشكنّ أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا مُقْسِطًا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد". ثم إن الأحاديث التى وردت فى هذا الموضوع تسمِّى كلُّها السيدَ المسيح: "ابن مريم"، أى أنه مولود لمريم، على حين أن القرآن الكريم ينفى نفيا قاطعا أن يكون الله قد وَلَدَ أو وُلِدَ، وهو ما يعنى أن الله لا يكون أبا أو ابنا، لكن العبيط يتجاهل هذا كله ويريد أن نتخلى عن عقولنا وديننا وتوحيدنا!

أما التحايل المتهافت الذى يتخابث به الأرعن من خلال الاستشهاد بـ"المعجم الوسيط" على أن "المقسط" هو اسم من أسماء الله الحسنى، فنفضحه بالإشارة إلى أن النبى الكريم قد وُصِف هو أيضا (وفى القرآن لا فى الحديث) بأنه رؤوف رحيم وكريم وحق وشهيد، وهى من أسماء الله الحسنى أيضا، كما وُصِف خُلُقه بأنه "عظيم"، وهو اسم آخر من تلك الأسماء الكريمة. كما أُمِر الرسول بأن يكون من المقسطين، و"المقسط" من أسماء الله الحسنى حسبما نقل صويحبنا عن "المعجم الوسيط". قال تعالى: "لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيزٌ عليه ما عَنِتُّم، حريص عليكم، بالمؤمنين رؤوف رحيم"، "إنه (أى القرآن) لَقَوْلُ رسولٍ كريمٍ" (الحاقة/ ٤٠)، "وشهدوا أن الرسول حق" (آل عمران/ ٨٦)، "لتكونوا شهداء على الناس ويكونَ الرسول عليكم شهيدا" (البقرة/ ١٤٣)، "وإنك لعلى خُلُقٍ عظيم" (القلم/ ٤)، "وإن حكَمْتَ فاحكم بينهم بالقِسْط، إن الله يحب المُقْسِطين" (المائدة/ ٤٢). وبناءً على هذا المنطق العيالى فالرسول محمد هو الإله أو ابن الإله!

إنه قلّما كان اسم من أسماء الله إلا أمكن استخدامه للبشر، إلا أنه بالنسبة إلى الله يكون مطلقا، أما فى حالة البشر فهو مقيَّد محدود. كذلك فقد قال الحديث إن "ابن مريم" (لاحظ: "ابن مريم" لا "ابن الله" ولا "الله"

ذاته) سوف ينزل "حَكَمًا مُقْسِطا"، بتنكير كلمة "حكَم"، وكأنه فرد فى مجموعة من جنسه، مع أنه سبحانه وتعالى هو الواحد الأحد، الذى ليس كمثله أحد. كما أن الله لا ينزل من رَحِم امرأة وفَرْجها ويخالط الناس ويمشى وسطهم ويأكل ويشرب ويتبول ويتبرز ويتقايأ وتصيبه الأمراض والمخاوف مثلهم، ودعنا من صلبه وقتله وطعنه بالرمح فى جنبه وشتمه وإهانته وصراخه من الألم والعذاب طالبا النجدة (النجدة ممن، إذا كان الله نفسه هو الذى يُضْرَب ويُقْتَل ويهان؟)، فضلا عن أن يُتَوَفَّى ويُصَلَّى عليه (يُصَلَّى "عليه" لا "له")، تعالى الله عن أن يُتَوَفَّى أو يُصَلَّىَ عليه أحد! وأخيرا فـ"المعجم الوسيط" (وغير الوسيط أيضا بطبيعة الحال) لا يقصد أن معنى "المقسط" ينحصر فى أنه اسم "من أسماء الله الحسنى" وحَسْب، بل يذكر ذلك على أنه معنى من المعانى التى تُسْتَخْدَم فيها الكلمة، وإلا فقد ورد هذا اللفظ فى القرآن عدة مرات منسوبا للبشر كما هو معروف، إذ قال عَزَّ شأنه مثلا: "إن الله يحب المقسطين" (المائدة/ ٤٢، والحجرات/ ٩، والممتحنة/ ٨).

ولا يكتفى المدلس بهذا، بل يضيف كذبة أخرى قائلا إن عيسى عليه السلام، طبقا لما يقول القرآن، سوف يكون شفيعا فى الدنيا والآخرة. وقد استشهد على هذه الكذبة بقوله تعالى عن ابن مريم عليه السلام مخاطبا أمه على لسان الملائكة: "يا مريم، إن الله يبشّرك بكلمةٍ منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين". وهذا نص كلامه: "شفيعًا فى الدنيا والآخرة: (١) سورة (آل عمران ٣ : ٤٥) "اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين". (٢) [ابن كثير ج١ ص ٢٨٣] "وفى الدار الآخرة يشفع عند الله..."، ثم يختم كالعادة بالسؤال التالى: "وماذا عن محمد؟". والملاحظ أولا أن القرآن الذى يستشهد به لم

يذكر الشفاعة لعيسى بل لم يشر إليها مجرد إشارة، وكل ما قاله أنه سيكون "وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين". إنما قال ذلك ابن كثير، وهو مجرد اجتهاد من عنده لا يُلْزِمنا بشيء ما دام لم يَسُقْ لنا الحيثيات التى أقام عليها هذه الدعوى. إن فى القرآن كلاما عن ابن مريم يوم القيامة يصوره عليه السلام وهو واقف أمام ربه يسأله عما أتاه أتباعه من بعده من تأليههم له سؤال الرب للعبد الخائف الراجف الذى يعرف حدوده جيدا، فهو يسارع بالتنصل من هذا الكفر الشنيع وممن قالوه. وحتى لو كانت له عليه السلام فى ذلك الموقف شفاعة، فما الذى فى هذه المكرمة مما يشنَّع به على محمد عليه الصلاة والسلام؟

إن محمدا عليه الصلاة السلام لهو صاحب الشفاعة العظمى حسبما نَصّ على ذلك كثير من الأحاديث النبوية. روى البخارى عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يُحْبَس المؤمنون يوم القيامة حتى يهمّوا بذلك فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا فيريحنا من مكاننا. فيأتون آدم فيقولون: أنت آدم أبو الناس. خلقك الله بيده وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته وعلّمك أسماء كل شيء. لِتَشْفَعْ لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا. قال: فيقول: لستُ هُنَاكم، قال: ويذكر خطيئته التي أصاب: أكْله من الشجرة وقد نُهِيَ عنها، ولكن ائتوا نوحا أول نبي بعثه الله إلى أهل الأرض. فيأتون نوحا فيقول: لستُ هُنَاكم، ويذكر خطيئته التي أصاب: سؤاله ربه بغير علم، ولكن ائتوا إبراهيم خليل الرحمن. قال: فيأتون إبراهيم، فيقول: إني لست هُنَاكم، ويذكر ثلاث كلمات كَذَبَهُنّ، ولكن ائتوا موسى عبدا آتاه الله التوراة وكلّمه وقرّبه نَجِيًا. قال: فيأتون موسى، فيقول: إني لستُ هُنَاكم، ويذكر خطيئته التي أصاب: قَتْله النفس، ولكن ائتوا عيسى عبد الله ورسوله وروح الله وكلمته. قال: فيأتون عيسى،

فيقول: لستُ هُنَاكم ، ولكن ائتوا محمدا صلى الله عليه وسلم عبدا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فيأتوني فأستأذن على ربي في داره فيؤذَن لي عليه ، فإذا رأيته وقعتُ ساجدا ، فيدعني ما شاء الله أن يدعني ، فيقول: ارفع محمد ، وقل يُسْمَعْ ، واشفع تُشَفَّعْ ، وسَلْ تُعْطَ . قال: فأرفع رأسي فأُثني على ربي بثناء وتحميد يعلّمنيه ، ثم أشفع فيحدّ لي حدًّا ، فأخرج فأُدْخِلهم الجنة . قال قتادة: وسمعته أيضا يقول: فأَخْرُج فأُخْرِجهم من النار وأُدْخِلهم الجنة ثم أعود الثانية فأستأذن على ربي في داره فيؤذَن لي عليه ، فإذا رأيته وقعت ساجدا ، فيدعني ما شاء الله أن يدعني ، ثم يقول: ارفع محمد ، وقل يُسْمَعْ ، واشفع تُشَفَّعْ ، وسَلْ تُعْطَ . قال: فأرفع رأسي فأُثني على ربي بثناء وتحميد يعلّمنيه . قال: ثم أشفع فيحدّ لي حَدًّا فأخرج فأُدْخِلهم الجنة . قال قتادة: وسمعته يقول فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود الثالثة فأستأذن على ربي في داره فيؤذَن لي عليه فإذا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقول: ارفع محمد ، وقل يُسْمَعْ ، واشفع تُشَفَّعْ ، وسَلْ تُعْطَه . قال: فأرفع رأسي فأُثني على ربي بثناءٍ وتحميدٍ يعلّمنيه . قال: ثم أشفع فيحدّ لي حدًّا فأخرج فأُدْخِلهم الجنة . قال قتادة: وقد سمعته يقول: فأَخْرُج فأُخْرِجهم من النار وأُدْخِلهم الجنة حتى ما يبقى في النار إلا من حبسه القرآن ، أي وجب عليه الخلود . قال: ثم تلا هذه الآية: عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا . قال: وهذا المقام المحمود الذي وُعِدَه نبيكم صلى الله عليه وسلم"، وهو ما يدل على أنه لا شفاعة لابن مريم فى ذلك الموقف ، بل ستكون الشفاعة لسيدنا محمد عليه السلام وحده من دون الأنبياء والرسل . وهذه إحدى المكرمات التى اختُصَّ بها سيدنا النبى صلى الله عليه وسلم ، وإن كان هذا لا ينال من عيسى ولا غيره من المرسلين فى شىء ، فتقديم أحد الأنبياء على سائر إخوانه لا يسىء إليهم فى

قليل ولا كثير، فكلهم مكرَّمون معظَّمون بفضل الله، لكنه يدل على أن صاحب التقديم قد اختُصَّ بمزيد من التكريم والتعظيم. وهذا هو وضع المسألة دون طنطنات ولا سخافات فارغة من تلك التى يبرع فيها أحلاس الجهل والحقد!

أما ما نقله المدلِّس عن ابن كثير فقد عبث به كعادته ليبلغ غاية فى نفسه، إذ أخذ منه ما يريد وحَذَف ما لا يريد، لكن الله لم يتركه يهنأ بتلك الغاية، إذ ذهب العبد لله إلى ابن كثير فألفيتُه يقول فى تفسير قوله تعالى عن المسيح بن مريم عليه السلام: "وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنْ الْمُقَرَّبِينَ": "أَيْ لَهُ وَجَاهَة وَمَكَانَة عِنْد اللَّه فِي الدُّنْيَا بِمَا يُوحِيه اللَّه إِلَيْهِ مِنْ الشَّرِيعَة وَيُنْزِلهُ عَلَيْهِ مِنْ الْكِتَاب وَغَيْر ذَلِكَ مِمَّا مَنَحَهُ اللَّه بِهِ وَفِي الدَّار الآخِرَة يَشْفَع عِنْد اللَّه فِيمَنْ يَأْذَن لَهُ فِيهِ فَيَقْبَل مِنْهُ أُسْوَة بِإِخْوَانِهِ مِنْ أُولِي الْعَزْم صَلَوَات اللَّه وَسَلامه عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ". ومعنى هذا، لو أخذنا بتفسير ابن كثير، أن عيسى لن تكون له هنا أية ميزة استثنائية، سواء بالنسبة لرسولنا محمد خصوصا أو بالنسبة للأنبياء كلهم عموما، فالشفاعة ستكون للجميع، وليس لعيسى وحده كما أراد هذا الأُبَيْليس أن يوهمنا كذبًا وزورًا. بَيْدَ أن الشفاعة العظمى إنما هى من نصيب سيد الأنبياء والمرسلين كما ورد فى الحديث الآنف الذكر.

ومن ادعاءات زكريا بطرس الطفولية قوله إن عيسى قد أُصْعِد إلى السماء حيا، فماذا عن محمد؟ والجواب هو أن محمدا قد عُرِج به إلى السماوات العلا حتى بلغ سدرة المنتهى كما ذكر القرآن الذى تُحَاجِجُنا به. هذه واحدة، والثانية هى أن النص القرآنى ليس قاطع الدلالة فى موضوع صعود عيسى عليه السلام بالجسد ولا صعوده حيًّا، إذ تقول الآية الكريمة: "إذ قال الله: يا عيسى، إنى متوفيك ورافعك إلىّ" (آل عمران/ ٥٥). وليس

فيها على سبيل القطع الذى لا تمكن المماراة فيه أنه سبحانه قد أصعده إلى السماء حيًا بجسده . إن من المسلمين من يفهم تلك الآية كما فهمها القُمّص ، لكن هناك أيضا من المسلمين من يقولون بالوفاة العادية ورِفْعَة المكانة لا الجسد . وعلى أية حال هل هناك فرق كبير بين قوله سبحانه عن السيد المسيح وبين قوله عن إدريس عليهما السلام: "واذْكُرْ فى الكتاب إدريس ، إنه كان صِدّيقًا نبيًا* ورفعناه مَكانًا عَلِيًا" (مريم/ ٥٦- ٥٧)؟ ثم إن الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى ذكر أيضا أن إيليًا قد رفعه الله إليه أيضا بالمعنى المادى ، أى أصعد جسده إلى السماء: "وَفِيمَا هُمَا يَسِيرَانِ وَيَتَكَلَّمَانِ إِذَا مَرْكَبَةٌ مِنْ نَارٍ وَخَيْلٌ مِنْ نَارٍ فَصَلَتْ بَيْنَهُمَا ، فَصَعِدَ إِيلِيَّا فِي الْعَاصِفَةِ إِلَى السَّمَاءِ . وَكَانَ أَلِيشَعُ يَرَى وَهُوَ يَصْرُخُ: «يَا أَبِي ، يَا أَبِي ، مَرْكَبَةَ إِسْرَائِيلَ وَفُرْسَانَهَا» . وَلَمْ يَرَهُ بَعْدُ" (ملوك ٢/ ٢/ ١١- ١٢) . إننى ، كما قلت من قبل ، لا أبغى أبدا التقليل من شأن سيدنا عيسى عليه السلام ، على الأقل لأننا نحن المسلمين نَعُدّ أنفسنا أتباعه الحقيقيين . كل ما هنالك أننا نحاول أن نقدم صورة منطقية ومستقيمة وصحيحة فى المقارنة بين النبيين العظيمين: محمد وعيسى عليهما السلام ، صورة تُظْهِرهما فى أبعادهما الصحيحة على أساس أن عيسى هو من محمد بمثابة الأخ الأصغر: سنًا وإنجازًا وأثرًا . وهذا كل ما هنالك . وفى النهاية نقول: فلنفترض أن عيسى قد أُصْعِد فعلا بجسده إلى السماء وأنه هو وحده الذى حدث له ذلك ، فالسؤال حينئذ هو: وماذا بعد؟ وما الفائدة التى عادت على الدعوة من جراء هذا؟ لقد انحرف فريق كبير من أتباعه بسبب هذا الصعود وغيره وأشركوه مع الله ، وهو البشر الضعيف العاجز الفانى!

ويتبقى كلام المدلس عن مسح عيسى عليه السلام من الأوزار وسؤاله المعتاد فى آخر الكلام: " وماذا عن محمد؟ " ، وهذا ما قاله نَصًّا:

ممسوح من الأوزار: (أنظر حتمية الفداء ص ٢٤): (١) [سورة مريم]. (٢) [سورة آل عمران]. (٣) الإمام الرازى ج٣ ص ٦٧٦. (٤) أبى هريرة. (٥) صحيح البخارى. وماذا عن محمد؟". وهو، بإشارته إلى سُورَتَىْ "آل عمران"، إنما يقصد قوله تعالى عن امرأة عمران (أم مريم عليها السلام) وإعاذتها إياها هى وذريتها عند ولادتها من الشيطان الرجيم: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٦]، أما سورة "مريم" فلم أجد فيها شيئا يتعلق بالموضوع الذى نحن بإزائه. وبالنسبة لما جاء فى "آل عمران" فليس فيه سوى أن زوجة عمران قد استعاذت لابنتها وذريتها بالله من الشيطان الرجيم، وهو ما يفعله كل مؤمن لنفسه ولأولاده. وفى تفسير الرازى: "روى أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: من استعاذ في اليوم عشر مرات وَكَّل الله تعالى به مَلَكًا يَذُود عنه الشيطان". وفى "سنن أبى داود" عن ابن عمر أن رسول الله قال: "من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سأل بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفا فكافئوه. فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تَرَوْا أنكم قد كافأتموه".

فليس فى الآية فى حد ذاتها ما يدل على أن عيسى عليه السلام كان ممسوحا وحده من الأوزار دون الأنبياء والمرسلين، وإن كنا نؤمن أنهم جميعا عليهم الصلاة السلام كانوا من خيرة صفوة البشر، وكانت أخلاقهم من السمو والرفعة بحيث تتلاءم مع المهمة الجليلة التى انتدبهم الله لها من بين سائر البشر. ومع هذا فهناك مثلا، فى مسند ابن حنبل، حديث عن النبى عليه السلام رواه أبو هريرة يقول فيه: "ما من مولود يُولَد إلا نخسه الشيطان فيستهلّ صارخا من نخسة الشيطان إلا ابن مريم وأمه. ثم قال أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم: وإنى أُعيذُها بك وذريتها من الشيطان الرجيم". وفى "سنن

الدارمى "عن ابن عباس أنه قال: "ليس من مولود إلا يستهلّ ، واستهلاله يعصر الشيطان بطنه فيصيح ، إلا عيسى ابن مريم". وليس فيه ، كما هو واضح ، أية إشارة إلى مسحه عليه السلام من الأوزار والخطايا ، بل الكلام فيه عن نخسة الشيطان التى يبكى الطفل بسببها عند الولادة أول ما يستقبل الحياة والتى يقول الأطباء إن سببها هو استنشاقه لأول مرة الهواء استنشاقا مباشرا ، فهو رد فعل بيولوجى لا مَعْدَى عنه لأى طفل. لكنْ لأن ولادة عيسى كانت ولادة غير طبيعية فلربما كان ذلك هو السبب فى أنه لم يصرخ عند نزوله من بطن أمه كما يصنع سائر الأطفال.

وأغلب الظن أن النبى عليه الصلاة والسلام قد أراد ، بذلك الحديث ، أن يدفع عن أخيه الصغير عيسى وأمه من طَرْفٍ خَفِىٍّ قالةَ السوء والشُّنْع التى بهتهما بها اليهود الأرجاس. إذن فليس فى القرآن ولا فى الحديث أن سيدنا عيسى عليه السلام كان ممسوحا من الأوزار والخطايا وحده دون النبيين والمرسلين أجمعين ، وإن لم يَعْنِ هذا أنه كان ذا أوزار وخطايا ، إذ الأنبياء والرسل كلهم هم من ذؤابة البشر خُلُقًا وفضلاً وسلوكًا لا عيسى وحده. ومع ذلك فقد قرأنا فى حديث الشفاعة العظمى كلام الرسول الأعظم عن غفران الله له هو كل ذنوبه: ما تقدم منها وما تأخر ، وهو ما استحق به وبغيره تلك المرتبة العالية ، وإن لم يعن هذا أيضا أنه ، صلى الله عليه وسلم ، كانت له ذنوب تُذْكَر ، وإلا ما قال الله فيه: "وإنك لعلى خُلُقٍ عظيمٍ" أو "لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيزٌ عليه ما عَنِتّم ، حريصٌ عليكم ، بالمؤمنين رؤوف رحيم" أو "إن الله وملائكته يصلّون على النبى. يا أيها الذين آمنوا ، صَلُّوا عليه وسلِّموا تسليما". وقد أورد الرازى الذى يستشهد به الأحمق الحديثَ التالى: "ما منكم أحد إلا وله شيطان. قيل : ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا ، إلا أن الله تعالى أعانني عليه فأَسْلَمَ".

وأظن أن هذا الحديث يضع حدا للجدال السخيف الذى فتح بابَه ذلك المتهالكُ العقل!

والآن إلى ما قاله الرازى فى هذا الموضوع: " ذكر المفسرون في تفسير ذلك القبول الحسن (يقصد القبول المذكور فى سورة "آل عمران" حين ابتهلت أم مريم إلى الله أن يعيذ ابنتها وذريتها من الشيطان الرجيم) وجوهًا: الوجه الأول: أنه تعالى عصمها وعصم ولدها عيسى عليه السلام من مس الشيطان. روى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما من مولود يُولَد إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهلّ صارخًا من مس الشيطان إلا مريم وابنها"، ثم قال أبو هريرة: اقرؤا إن شئتم: وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ". طعن القاضي في هذا الخبر وقال: "إنه خَبَرُ واحدٍ على خلاف الدليل، فوجَب ردُّه، وإنما قلنا إنه على خلاف الدليل لوجوهٍ أحدُها: أن الشيطان إنما يدعو إلى الشر من يعرف الخير والشر، والصبي ليس كذلك. والثاني: أن الشيطان لو تمكن من هذا النخس لفعل أكثر من ذلك من إهلاك الصالحين وإفساد أحوالهم. والثالث: لمِ خُصَّ بهذا الاستثناء مريمُ وعيسى عليهما السلام دون سائر الأنبياء عليهم السلام؟ الرابع: أن ذلك النخس لو وُجِد بَقِيَ أثره، ولو بقي أثره لدام الصراخ والبكاء، فلما لم يكن كذلك علمنا بطلانه". واعلم أن هذه الوجوه محتملة، وبأمثالها لا يجوز دفع الخبر، والله أعلم". ومن هذا يتبين لنا بأجلى بيان أن الكذاب لم يقطع عادته فى التدليس، إذ لم يقل الرازى إن عيسى عليه السلام قد مُسِح من الأوزار والخطايا، بل ساق كلام المفسرين القائلين بذلك، لكن بإيجاز شديد، أما من نَفَوْا هذا فقد فصَّل كلامهم تفصيلا. ثم اكتفى بالقول بأن وجوه الاعتراض التى اعترض بها هؤلاء ليست قاطعة فى النفى، وإن كان من الممكن رغم ذلك أن تكون صحيحة. أى أنه لم يَنفِ ولم يُثبِتْ، بل اكتفى بإيراد الرأيين.

وأقصى ما يمكن نسبته له من الرأى فى هذه القضية أن الأدلة التى احتج بها القاضى (عبد الجبار المعتزلى) لا تحسم الأمر . وهذا كل ما هنالك ، فأين ما نسبه زيكو إلى ذلك المفسر الكبير؟

وبهذا نكون قد فرغنا من تفنيد سخافات زيكو فى المقارنة بين محمد وعيسى عليهما السلام ، ونقيم نحن مقارنتنا بين النبيين الكريمين ، ولكن على أسس منطقية وتاريخية وحضارية سليمة: فالتوحيد الذى نادى به محمد بقى كما هو ، والحمد لله ، رغم مرور أربعة عشر قرنا من الزمان على رحيل سيد الأنبياء عن الدنيا ، ورغم كل الدواهى والمصائب التى نزلت على يافوخ المسلمين ، ورغم المؤامرات التى حاكها وما زال يحيكها الصليبيون والصهاينة ضدهم وضد دينهم ، بخلاف جمهور أتباع عيسى عليه السلام الذين سرعان ما عبثت أيديهم بما أتاهم به من التوحيد النقى . كذلك فتلاميذ عيسى قد تركوه عند أول تجربة حقيقية وهربوا ناجين بجلدهم حين جاء جند الرومان للقبض عليه حسبما تقول الأناجيل ذاتها ، رغم أنه قد أنبأهم بأنهم سوف يفرّون ويخلّفونه وحيدا فى يد الأعداء ورغم تأكيدهم مع ذلك أنهم لن يفعلوا . بل إن بطرس قد أنكر معرفته إياه وأقسم بالله إنه لا صلة له به على الإطلاق . أما صحابة محمد فكانوا يفدّون نبيهم بالنفس والنفيس . وقد ترّسُوا عليه مثلا فى غزوة أُحُد وتَلَقَّوْا عنه السهام بظهورهم ، ولولا ذلك لكان من الممكن أن تصل إليه يد الكفار بالأذى الشنيع ، إذ كانوا حريصين أشد الحرص على قتله آنذاك! كما أن رسالة محمد هى رسالة عالمية ، على عكس رسالة عيسى التى كانت خاصة ببنى إسرائيل . ليس ذلك فقط ، بل إن دعوة عيسى عليه السلام كما تصورها لنا الأناجيل ليست أكثر من مواعظ خلقية تسودها المبالغات المثالية التى لا يمكن نجاحها فى دنيا البشر ، أما رسالة محمد فرسالة شاملة ، إذ هى رسالة عقيدية خلقية اجتماعية

اقتصادية سياسية ثقافية. بعبارة أخرى هى رسالة حضارية تغطى جميع جوانب الحياة. ومرة ثانية لا يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل إن محمدا قد وضع رسالته موضع التنفيذ والتطبيق ونجح فى ذلك نجاحا مذهلا لم يحدث من قبل ولا من بعد، وكانت ثمرة ذلك أن أنهض الله على يديه المباركتين أمة العرب من العدم فحلّقت فى الذُّرَى العالية وأضحت سيدة العالم لقرون طوال. ومثال أو مثالان هنا يغنياننا عن ضرب غيرهما، فإن أمة لم تبلغ فى تجنب الخمر ما بلغته الأمة الإسلامية بفضل دعوة محمد وإيمانها بدعوة محمد، أما أمم النصرانية فالخمر جزء لا يتجزأ من حياتها. كما أن الرهبانية التى ابتدعها مدّعو التمسك بدين المسيح والتى حذّرنا منها رسول الفطرة النقية المستقيمة قد جرّتْ وراءها انحرافات جنسية خطيرة ومستطيرة، ليس أكبرها الاعتداء على الغلمان والنساء حتى فى أقدس الأماكن عندهم، فضلا عن العلاقات غير الشرعية بين الرهبان والراهبات، وكذلك المُلاَوَطَة بين الأولين، والمُسَاحَقة بين الأخيرات على حسب ما نقرأ فى الصحف هذه الأيام. وهذان مثالان اثنان لا غير على النجاح الخارق الذى أحرزته دعوة رسولنا الكريم والذى لم تستطعه دعوة أى نبى أو مصلح آخر على مدار التاريخ البشرى كله. أما دعوة عيسى عليه السلام حسبما نطالعها فيما يسمى بـ"الأناجيل" فلم تطبَّق ولو ليوم واحد. إننا طول الوقت إزاء جماعة من المرضى والممسوسين والعُرْج والبُرْص والعُمْى يَفِدون على السيد المسيح طلبًا للبركة والشفاء، مع بعض المواعظ المشجية، وكان الله يحب المحسنين.
ومرة ثالثة لا ينتهى الأمر هنا، ذلك أن عيسى، كما نقرأ فى الأناجيل، لم يأت إلى قومه بشريعة، ودعنا من نقضه الشريعة الموسوية رغم أنه قد أكد أنه لم يأت لينقض الناموس، بل ليكمله. ثم جاء بولس فأتى على البقية الضئيلة من تلك الشريعة! ومرة رابعة لا تنتهى المسألة عند هذا الحد، إذ لو

نظرنا إلى الموضوع من الزاوية الشخصية لوجدنا أن هناك فرقا بين محمد وعيسى كبيرا: فمحمد كان يعيش حياته كاملة فتزوج وأنجب ذرية ، أما عيسى فلم يمارس هذا الجانب من جوانب شخصيته . وقد كان محمد خير زوج وأب عرفته الأرض ، أما عيسى فلا شك أن حياته لم تعرف هذا الشيء ، وإن كنا لا نقف أمامه طويلا ولا نستطيع أن ندلى برأينا فى السبب الذى من أجله لم يقيَّض له عليه السلام أن يتزوج وينجب كما يفعل الرجال فى الظروف المعتادة ، إلا أننا نستنكر بشدة ما يتهمه به بعض الملاحدة الغربيين المجرمين من أنه عليه السلام كانت له علاقات منحرفة بهذه أو بذاك من أتباعه . أستغفر الله العظيم من هذا الرجس النجس الذى يراد به تلويث عِرْضِ واحدٍ من أطهر الرسل الكرام . وأخيرا وليس آخرا: أين يا ترى ذهب الإنجيل الذى بشر به السيد المسيح؟ إن الذى معنا الآن إنما هو مجموعة من السِّيَر كتبها بعض المنتسبين لدينه بعد وفاته بعشرات السنين ودون أن يلتزموا فيها بأى منهج ، إذ كل ما اعتمدوا عليه هو الأقاويل التى سمعوها من هنا وههنا وأوردوها بعَبَلها وعُجَرها وبُجَرها دون تمحيص . وهذه السِّيَر ليست هى السِّيَر الوحيدة التى وصلتنا ، بل هناك سِيَرٌ أخرى أهملتها الكنيسة وأخذت بهذه ، ولا أحد يعرف السبب الذى على أساسه تمت هذه التفرقة! أما القرآن الذى نزل على قلب محمد فباقٍ كما هو لم يتغير فيه شىء . بهذه الطريقة يمكننا أن نعرف الفرق الحقيقى بين محمد وعيسى عليهما السلام . وإنى لأشبِّههما ، كما قلت ، بأخوين: أخٍ أكبر (هو محمد) ، وأخٍ أصغر (هو عيسى) ، عليهما وعلى جميع الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه! .

* * *

أيهما أعظم: محمد أم المسيح ؟

أيهما أعظم: محمد أم المسيح ؟

الدراسة التى بين يدى القارئ هى فى الرد على كتاب من الكتب التى تمتلئ بها مواقع النصارى المهجريين يتحدَّوْن بها المسلمين، وعنوانه: "من هو الأعظم؟ المسيح أم محمد؟ سؤال لا بد من جوابه . رواية دينية بعد حادث واقعي". والملاحظ أن عبد المسيح وزملاءه، وهم مؤلفو الكتاب المذكور، يتكلمون عن الرسول محمد عليه الصلاة والسلام، لا على أنه دَعِيٌّ كذاب، بل على أنه نبى كبير وعظيم من عظماء التاريخ، بل على أنه ثانى أعظم عظيمين هما المسيح ومحمد عليهما السلام. وقد قمت فى الدراسة التى نحن بصددها الآن بتقسيم كتاب عبد المسيح وزملائه إلى عدة أقسام، بادئا أولاً كل قسم من هذه الأقسام بنجمة واحدة، ثم متبعًا إياه بالرد المطول على ما فيه، لكن عقب نجمتين. وبعد هذا التوضيح أترك القارئ مع الكتاب والرد عليه ليحكم بنفسه لنفسه فى هذا الموضوع الهام.

من هو الأعظم؟ المسيح أم محمد؟

سؤال لا بد من جوابه – رواية دينية بعد حادث واقعي

عبد المسيح وزملاؤه

***

تمهيـــــد

* نعيش في عصر السرعة حيث قرّبت الطائرات السريعة القارات البعيدة، وتحرك فيضان الكتب وبرامج التلفزيون قلوب الشعوب، وتختلط القبائل والأجناس تلقائيًا. وتطفو الأسئلة وتدور الأبحاث، فينبغي على الجميع أن يتساءلوا: ما هو الحق الأزلي؟ وما هي الأفكار البناءة التي نقبلها بضمير صالح وبدون اشمئزاز؟ فكل من يتعلم الاستماع والإصغاء لآراء الآخرين يكتسب أفقًا أوسع من محيطه المحدود.

** ونحن مع عبد المسيح وزملائه فى أن يفتح الناس جميعا عقولهم وقلوبهم لمعرفة ما فى أيدى الآخرين وتقليب البضاعة التى يعرضونها قبل أن يصدروا حكما عليها، إذ الحكم على الشىء فرع من تصوره. أما إذا كان التصور غير موجود أصلا لأن الإنسان لم يطلع على ذلك الشىء، فهل يا ترى من المستطاع له أن يصدر حكما بشأنه؟ بالطبع لا. والمعروف أنه فى كل مرة من المرات التى كان الكفار يعترضون على نبينا الكريم كان القرآن يدخل معهم فى حوار ويجادلهم ويعرض ما عنده فى سعة صدر، ويفنّد ما عندهم بمنطق مفحم، ويطلب منهم دائما تشغيل مخهم وعرض كل شىء على عقولهم قبل أن يرفضوه. ولم يقع قط أن صادر حقهم فى التفكير ولا فى القبول والرفض. كذلك يعلن القرآن فى مواضع متعددة منه أن العقل هو أساس الإيمان، وأن كل إنسان حر فى أن يؤمن بما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام أو يكفر، فهذه مسؤوليته الشخصية، لا دخل لأحد سواه فيها، ولا حساب عليه إلا فى حدود الوُسْع. وعلى هذا ينبغى أولا أن يُعْرَض الإسلام عليه عرضا حسنا يُبْدِى عما فيه من روعة وإبداع، وإلا فكيف يمكن أن يكون هناك حساب لمن لم يعرف شيئا عن الإسلام، أو عرفه ولكن بطريقة مشوهة تستر محاسنه وتضفى عليه عيوبا لا يعرفها ولا تعرفه،

وليس ثمة وسيلة يمكنه بها أن يعرف الحقيقة فى أمر ذلك الدين؟ قال سبحانه وتعالى: "لا يكلف الله نفسا إلا وسعها"، "لا إكراه فى الدين . قد تبيَّن الرشد من الغَيّ"، "وإنا أو إياكم لعلى هُدًى أو فى ضلال مبين"، "قل: لا تُسألون عما أجرمنا ولا نُسأل عما تعملون"، "كذلك زيّنا لكل أمةٍ عملَهم، ثم إلى ربِّهم مَرْجِعُهم فينبّئهم بما كانوا يعملون"، "وقل: الحقُّ مِنْ ربكم، فمن شاء فلْيُؤْمِنْ، ومن شاء فلْيكفُرْ"، "قل: إنى أعظكم بواحدةٍ: أن تقوموا لله مَثْنى وفُرَادَى، ثم تتفكروا: ما بصاحبكم من جِنّة . إنْ هو إلا نذيرٌ لكم بين يَدَيْ عذابٍ شديد". خلاصة القول أننا نوافق تماما عبد المسيح وأصحابه فيما يدعون إليه فى هذه الفقرة التمهيدية .

❋ ❋ ❋

١- السؤال المثير

❋ اعتاد أحد خدام الرب زيارة السجون في إحدى البلدان العربية ليُعْلِن طريق الحياة للمساجين . وكان يحصل على رخصة رسمية من دوائر الحكومة لزيارة كل من يريد أن يسمع بشارة الحق والسلام التي تطهّر القلوب وتغيّر الأذهان . وكان خادم الرب هذا يدخل الزنزانة بدون مرافقة حارسٍ، رافضًا الحراسة ومتأكدًا أن البحث الصريح لا يجري مع المسجونين تحت المراقبة، فكان يتقدم منفردًا إلى غرف المجرمين ويجلس معهم . دخل مرة إلى جماعة من السجناء محكوم عليهم بالسجن أكثر من عشر سنوات، وكانوا قد عرفوه من زياراته السابقة وتعوّدوا أن يستمعوا إلى إرشاداته للحق وبشرى الخلاص . وكانوا يتباحثون بعد خروجه حول خطاباته بشدة وحماس لا نظير لهما . لما دخل هذه المرة إلى زنزانتهم أقفلوا فورًا الباب وراءه قائلين له: إنك لن تخرج من هذه الغرفة إلا إذا جاوبتنا جوابًا قاطعًا وصريحًا على سؤالنا، فردّ خادم

الرب عليهم قائلا: إني آتي إليكم طوعًا وبدون حارس مسلح وأقدم لكم أجوبة من كلمة الله بقدر إمكانياتي، وما لا أعرفه لا أقوله. فأجابوه: لا ننتظر منك أسرارًا عن النجوم ولا أساليب السحر بل نطلب منك كرجل دين جوابًا قاطعًا ونهائيًا على السؤال المتداول بيننا: من هو الأعظم؟ محمد أم المسيح؟ لما سمع خادم الرب هذا السؤال قال في نفسه وهو في حيرة: إن قلت إنّ محمدًا هو الأعظم يهاجمني السجناء المسيحيون، لأنّ الجالسين في هذه الزنزانة كانوا مجرمين وبلا ضمير. وإن قلت إن المسيح هو الأعظم لربما يقوم أحد المسلمين عليّ ويكسر رقبتي من شدة غيظه، علمًا أن كل من يهين محمدًا أو يشتمه يُعتبر عند بعض المسلمين مجدّفًا يستحق الموت. فصلى خادم الرب في قلبه سائلاً ربه ليُلهمه الإجابة الحكيمة المقنعة لهؤلاء السجناء. وكل من يسأل إرشاد الرب في الأوقات الحرجة ينل منه الجواب فورًا. فألهم الروح القدس هذا الخادم المتضايق، وهو خلف الباب المغلق، جوابًا واضحًا قدمه بتواضع. ولما تباطأ خادم الرب أثناء صلاته الصامتة للإجابة على هذا السؤال قال له المساجين: لا تتهرب من مسؤوليتك، ولا تكن جبانًا، بل اعترف بالحق كله. فنتعهد لك بأن نتركك بلا إهانة ولا مضايقة مهما قلت لنا. فلا تكذب ولا تُخفِ أفكارك، بل أخبرنا بالحق الكامل. فابتدأ رجل الله يقول: أنا مستعد ان أقول لكم الحق الصريح، إنما السؤال المطروح أمامي ليس هو الموضوع الذي أعددته لكم اليوم من الكتاب المقدس، ولكن إن صمّمتم على أن تسمعوا المقارنة بين محمد والمسيح فلا أخفي عنكم الحقيقة. إنما لست مسؤولاً على ما ينتج عن شروحاتي، بل أنتم المسؤولون لأنكم تجبرونني على إجابة سؤال لم أطرحه وما نويته إطلاقًا. فهذا هو ردّي: لا أقرر أنا من هو الأعظم، بل أترك القرآن والحديث أن يُعطيكم جوابًا مقنعًا. تأملوا في القرآن بأعين الحق فتعرفوا الحق المخفيّ، والحق يحرركم.

** بالنسبة لهذه القصة يؤسفني أن أقول إنها لا تدخل العقل ، بل هى من اختراع المؤلف أو المؤلفين ، اخترعوها لتكون إطارا فنيا مشوقا متوسمين أن يكون الإقناع بها على هذا النحو أشد وأفعل فى نفس القارئ ، وإلا فأية دولة عربية تسمح لواحد من غير ضباط السجن وجنوده أن يدخل زنازين المسجونين ، فضلا عن أن يترك المسؤولون فى السجن باب الزنزانة وراء الوعاظ ليقوم المساجين بإغلاقه بأنفسهم من الداخل (الله أكبر!) أو تركه مفتوحا حسبما يحلو أو يعنّ لهم لا حسبما يريد المسؤولون فى السجن؟ إن المتَّبع فى مثل تلك الحالة هو إخراج المساجين من زنازينهم إلى قاعة كبيرة حيث تتم أمثال تلك المقابلات ، أما فى الزنزانة فلم نسمع بمثل هذا فى آبائنا الأولين! ثم كيف يا ترى يمكن أن نصدق لجوء المسلمين لواحد من القسس لحسم السؤال موضوع القصة؟ وهل يشك المسلم فى هذه القضية ، بَلْهَ أن يلجأ إلى قسيس يعلم هو قبل غيره أنه سيختار المسيح بطبيعة الحال؟ وكيف لم يلجأوا إلى عالم مسلم يستفتونه فى هذه المسألة إن ثار فى أذهانهم مثل هذا السؤال أصلا؟ ذلك أن المسلمين يؤمنون بكل الأنبياء والمرسلين ويحترمونهم كلهم . وهم ، وإن آمنوا بأن محمدا هو أفضل الأنبياء ، لا يجعلون منها قضية يدخلون بسببها فى مجادلات ومماريات مع كل من هب ودب .

ولنلاحظ التفرقة التى صور بها الكاتب أو الكتاب رد الفعل عند كلا الفريقين: فأقصى ما سيفعله النصارى بالقسيس إن اختار النبى محمدا أنهم سيهاجمونه . وليأخذ القارئ باله من أنهم "سيهاجمونه" وكَفَى دون أن يكون هناك تحديد لنوعية هذا الهجوم ، وهو ما قد يعنى العمل على ضربه دون أن يشفعوه بالتنفيذ بالضرورة . فهذا ما يفد على الذهن حين نسمع كلمة "يهاجمونه" . أما عندما وصف استجابة المسلمين لتفضيله المفترض للسيد المسيح فقد قال تحديدا: "وإن قلت إن المسيح هو الأعظم لربما يقوم أحد

المسلمين عليّ ويكسر رقبتي من شدة غيظه، علمًا أن كل من يهين محمدًا أو يشتمه يُعتبر عند بعض المسلمين مجدِّفًا يستحق الموت". والفرق واضح للأعمى، وهو يعني أن الكاتب أو الكتاب يصف المسلمين بالقسوة والفظاظة، بخلاف النصارى، فإن أقصى ما يُتَوَقَّع من مجرميهم عديمى الضمائر أن يهاجموه، لكن دون أن يكسر أحد منهم رقبته على الإطلاق. كما أنه فى الوقت الذى ينص على أن الموت ينتظر من يشتم النبى محمدا فإن النصارى لا يفكرون فى شىء من هذا البتة. ولم لا، وهم ناس متحضرون حتى لو كانوا مساجين مجرمين بلا ضمير؟

ولكن قبل ذلك كله كيف يريد منا مؤلف القصة الاقتناع بأن أمثال هؤلاء المجرمين عديمى الضمير (كما يسمونهم) يمكن أن تشغل عقولهم فى السجن (مرتع الجرائم والفساد كله) مثل تلك القضايا الترفية التى لا تفد إلا على أذهان من ارتقَوْا فى تدينهم وقطعوا فى ذلك أشواطا بعيدة؟ ثم قبل قبل ذلك كيف تسمح السلطات فى بلد من البلاد أن يدخل واعظ من دين ما الزنزانة على جميع المساجين من كل الأديان دون أن تفرز أبناء دينه على حدة فيكلمهم براحته فى شؤون دينهم دون أن يزعجوا الآخرين بما يقولون، بل بما يمكن أن تقوم بسببه فتنة فى الزنازين لا يعلم مدى فداحتها إلا الله وحده؟ بل هل يمكن أن يقبل العقل ترك السلطات المسلمة فى السجن واعظا نصرانيا يدخل على مساجين مسلمين يبشرهم بدينه مع أبناء طائفته؟ الحق أن هذا كلام لا يهضمه العقل مثلما لا يهضم العقلُ معكوسَ هذا الوضع من سماح السلطات فى بلد نصرانى لواعظ مسلم بالدخول على المساجين النصارى يعرض عليهم دينه ويعمل على إدخالهم فيه! وأخيرا فمنذ متى يحسن المجرمون عديمو الضمير أن يقولوا مثل هذه العبارة المتنوّقة: "لا ننتظر منك أسرارًا عن النجوم ولا أساليب السحر بل نطلب منك كرجل

دين جوابًا قاطعًا ونهائيًا على السؤال المتداول بيننا: من هو الأعظم؟ محمد أم المسيح؟"؟ وهل يا ترى سوف يقتنع المسلمون بما سيقوله واعظ نصرانى عن تفضيل المسيح؟ وكيف يعرفون أنه صادق فى حكمة أو كاذب؟ ما معيار الصدق والكذب هنا؟ إنه، لدى السائلين فى قصتنا، هو أن محمدا الأفضل، وما عدا هذا لن يكون فى نظرهم صدقا على الإطلاق!

ونصل إلى العبارة الأخيرة، وهى تكشف أن القصة كلها، كما قلت آنفا، قصة مخترعة، فها هو ذا القسيس يقول إنه سوف يترك القرآن والحديث يعطيانهم جوابا مقنعا. أى أن الكلام موجه إلى المسلمين وحدهم، وهو من ثم لا يريد أن يقدم لهم دليلا من خارج الكتاب والسنة اللذين لا يؤمنون إلا بهما. فأين ذهب النصارى إذن؟ أولم يكونوا ضمن من كانوا يتباحثون فى تلك القضية وسألوه الجواب فيها، وخاف هو نفسه منهم أن يهاجموه إذا أجابهم بما لا يتوقعونه ولا يريدونه؟ ثم إن قوله: "إن قلت إنّ محمدا هو الأعظم يهاجمني السجناء المسيحيون" هو دليل آخر على أن القصة مخترعة مفتراة، إذ كيف يتصور أن من المستطاع إقناعنا بأنه يمكن أن يصدر الحكم منه لصالح محمد، وهو الذى يؤمن بأن المسيح إله أو ابن الإله، ومحمد على أحسن تقدير هو مجرد نبي؟ فمن يا ترى يضع النبى البشر قبل الإله؟ اللهم إلا إذا أراد أن يقول لنا إنه كان واعظا تجريديا لا ينتمى إلى أى دين، بل يدعو إلى الفضيلة المطلقة دون ربطها بعقيدة أو عبادة معينة. لكن هذا الافتراض يكذبه تسميته بـ"عبد المسيح" تكذيبا شديدا! كذلك فإن الواعظ النصرانى يعلن أنه سوف يتخذ معياره من القرآن والحديث النبوى، فهل سيفى بوعده فعلا ويلتصق بكتاب الله وسنة نبيه لا يخرج عنهما، أو سوف ينسى هذا الوعد ويخرج عنهما إلى العهد الجديد ولو بين الحين والحين، علاوة على تفسيره نصوص القرآن والسنة بما لا يقبلانه من تفسير؟ لن

نسارع بالجواب الآن، وعما قليل سوف نرى ما يفعله "خادم الله" بنفسه.

* * *

٢- ولادة محمد والمسيح

* يعرف الجميع أن أبا محمد هو عبد الله، وأمه هي آمنة. فكان محمد إنسانًا حقًا من والد معروف وأم محترمة. لم يذكر القرآن ولا يقول علماء الإسلام إن محمدًا وُلد بطريقة غير طبيعية، فلم تخلقه بشارة ملاك، ولا وُلد من كلمة الله، بل وُلد بطريقة طبيعية مثل باقي الناس من أبيه عبد الله وأمه آمنة. ويخبرنا القرآن مرارًا أن المسيح لم يولد بطريقة طبيعية كسائر البشر، ولم يكن أبوه بشرًا، فوُلد من مريم العذراء بدون تدخل أي رجل لأن الله نفخ من روحه فيها. فالمسيح هو الإنسان الوحيد الذي وُلد من روح الله- سورة النساء ٤: ١٧١، وسورة الأنبياء ٢١: ٩١، وسورة التحريم ٦٦: ١٢. ليس المسيح إذن إنسانًا عاديًا بل روح إلهي وبنفس الوقت جسد عادي، إذ وُلد من روح الله ومن مريم العذراء. لم يولد محمد من روح الله، إنما وُلد من أب حق وأم حقة، فهو جسد عادي فقط لا روح إلهي.

** فأما أن محمدا قد وُلد من أب وأم معروفين ومحترمين فهذا مما لا يخالف فيه أحد، وإن كان قد ظهر بين الحمقى الموتورين من المبشرين فى الفترة الأخيرة من يستبله ويشكك فى هذا كتشكيكهم فى كل ما هو ثابت فى الإسلام لم يكن موضع شك أو جدال يوما من الأيام، لكنها الخطط التبشيرية الخبيثة ودعاياتها الفِجّة التى يظن أصحابها أنها يمكن أن توصلهم إلى شىء بعدما ذاقوا مرارة عجزهم عن أن ينالوا من المسلمين منالا، فكان لا بد لهم من اللجوء إلى الكذب، كالقمص العبيط، الذى يأتى فى برنامجه ببعض المعاتيه من شبان النصارى ويسمى كلا منهم بـ"الأخ محمد"، وكأن

كل مسلم اسمه "محمد"، وكأن المبشرين النصارى يتركون أى متنصر على اسمه القديم، فضلا عن أن يكون هذا الاسم هو "محمدا"، الذى لا يوجد فى الدنيا كلها اسم يسبب لهم هرشا فى الجلد وانتفاخا فى القولون وصداعا فى الرأس مثله! كما يلجأ القمص الكذال إلى رفع "دائرة المعارف الإسلامية" الاستشراقية التبشيرية بيده فى وجه المشاهدين كلما ظهر فى برنامجه قائلا: انظروا! أنا لا آتى بشىء من عندى، بل أستقى كلامى من الموسوعة الإسلامية، موهما الجهلة الذين ليس عندهم نبأ من الأمر أن تلك الموسوعة إنما كتبها مسلمون لا يهود ونصارى وملاحدة غربيون يكرهون محمدا ودين محمد كراهية العمى، بل كراهية الموت. وهو أسلوب لا يليق بمن يزعم أنه يتكلم باسم الله ويدعو الناس إلى الصراط المستقيم، على حين أن صراطه كله التواء وخبث وكيد شيطانى، وإن كان مفضوحا لدى كل من لديه ذرة من العلم بتلك الأمور. لكن مؤلف الكتاب الذى بين أيدينا لا ينتهج منهاج القمص السليط اللسان، بل يقف عند حدود الأدب، أو على الأقل: حدود المجاملة، وهو ما نشكره له ونبادله بمثلها كلما وجب ذلك ولم يتعارض مع أى من اعتقادات ديننا أو مبادئه، فشكرا له على هذا وعلى كل ما قاله فى الكتاب، وهو غير قليل، أيا ما كان باعثه على ذلك، أى سواء قاله من قلبه وضميره أو كان الدافع له هو مجرد المجاملة كما قلت، ومنه أن محمدا نبى كريم، وأن دينه دين عظيم وما إلى ذلك، مما نعيد شكره عليه محاولين أن نرد بنفس الأسلوب ما أمكن، وهو ما يدلّ على أننا لا ننتهج نفس الطريقة مع جميع المجادِلين من أتباع الديانات الأخرى، بل نميز بين مجادلٍ مهذَّبٍ، فهذا نحافظ على مشاعره، وخنزيرٍ نجسٍ دنسٍ حقير، فهذا ليس له عندنا إلا الحذاء.

وأما أن محمدا لم يولد بطريقة غير طبيعية فهذا صحيح، إذ وُلد كما يولد

سائر البشر من أب وأم بشريين، وإن كان هناك من علماء المسلمين من أحاط مولده صلى الله عليه وسلم بطائفة من الأعاجيب كالبشارة التى تلقتها أمه وهى نائمة بأنها بسبيل ولادة طفل لا نظير له، وكتصدع إيوان كسرى وانبلاج نورٍ أضاء ما بين الشام ومكة، وغير ذلك من المعجزات التى لا يصدِّق بها إلا بعض علماء المسلمين لا كلهم، وبخاصة أن القرآن لم يذكر شيئا من هذا ولا السنة النبوية الصحيحة. وهو مما يُحْسَب للإسلام ونبيه، الذى لو كان نبيا زائفا كما يتهمه الحَقَدة من مروِّجى الأكاذيب لزعم المزاعمَ حول ميلاده وشخصيته، لكنه لم يفعل، لسبب بسيط: هو أنه ليس مؤلف الدين، بل مجرد رسول نزل عليه القرآن فبلّغه كما هو للعالمين دون زيادة أو نقصان أو تحريف.

وأما أنه عليه السلام لم يُولَد بكلمة الله فهذا ما لا نوافق عليه بطل القصة المخترعة، إذ ما من شىء فى الدنيا إلا وقد أتى إلى الوجود بكلمة الله: "كن، فيكون". قال عز شأنه: "إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له: كن، فيكون"، "إنما أمرُنا لشىء إذا أردناه أن نقول له: كن، فيكون". كما نص القرآن على أن مولد عيسى، وإن اختلف قليلا عن الوضع الطبيعى لتوفر الأم فيه دون الأب، فهو لا يختلف عن ميلاد آدم من حيث إن كليهما تم بكلمة الله: "كن فيكون": "إن مَثَل عيسى عند الله كمَثَل آدم. خلقه من ترابٍ ثم قال له: كن، فيكون". بل إن أمر آدم أعجب وأدعى إلى الدهشة بالنسبة لنا نحن الذين تعودنا على أن نرى المواليد يأتون من جراء اللقاء الجنسى بين رجل وامرأة، لا من تراب، وهو يزيد بما لا يقاس عن ميلاد المسيح من مريم فقط عليها السلام مما يفسره اليهود الملاعين بأنه ثمرة الخطيئة بين الأم ورجل من البشر يقولون تارة إنه يوسف النجار، وتارة إنه جندى رومانى، وهو ما يرفضه المسلمون تماما ويعدون القول به كفرا بواحا لا ريب فى

ذلك . ووجه الإيغال في العجب والدهشة في أمر آدم أنه خُلِق من تراب ، لا من أب وأم ولا من أم فحسب ، بل من تراب . وهو أدعى إلى العجب والدهشة من أمر ميلاد المسيح كما هو واضح وضوح الشمس .

وأما قوله إن "القرآن يخبرنا مرارًا أن المسيح لم يولد بطريقة طبيعية كسائر البشر ، ولم يكن أبوه بشرًا ، فوُلد من مريم العذراء بدون تدخل أي رجل لأن الله نفخ من روحه فيها . فالمسيح هو الإنسان الوحيد الذي وُلد من روح الله: سورة النساء/ ١٧١ ، وسورة الأنبياء/ ٩١ ، وسورة التحريم/ ١٢" ففيه ، وفيه: فالمسيح فعلا لم يولد بالطريقة الاعتيادية التي يولد بها سائر البشر من بعد آدم وحواء ، لكن القرآن لم يقل إنه لم يولد من أب بشرى بما يومئ إليه هذا الكلام من مغزى ، بل الذى فيه أنه لم يولد من أب بشرى أو غير بشرى ، وإلا فليدلنا أيٌّ كان على أى نص فى كتاب الله يقول إن عيسى قد ولد من أب غير بشرى . القرآن واضح الدلالة فى أن عيسى هو ابن مريم فقط ، ولهذا سُمِّيَ كثيرا فى القرآن بـ"عيسى بن مريم" أو "المسيح عيسى بن مريم" ، وهو ما ليس له من معنى إلا أنه ابن امرأة فحسب ، ولا أب له على الإطلاق لا بشرى ولا غير بشرى . وأى قول بأنه هو ابن الله كما يُلْمِح الواعظ هنا من طَرْفٍ خَفِيّ هو كفر وشرك صراح لا جدال فى ذلك . وهذه النقطة هى أحد الفروق الجوهرية بين الإسلام والنصرانية ، ولكل إنسان أن يؤمن بما يريد لا مشاحّة لأحد سواه فى ذلك ، لكن هذا شىء ، والتلميح بأن القرآن يقول ببنوة المسيح عليه السلام لله شىء آخر مختلف تمام الاختلاف ، ولا يتماشى مع عقيدة الإسلام ولا نصوص القرآن والسنة فى قليل أو كثير . وأى محاولة للتضليل فى هذا السياق هى محاولة مقضيٌّ عليها بالفشل ولا تجدى صاحبها فتيلا ، فلا داعى لها إذن . المسيح فى الإسلام هو عبد الله ورسوله لا غير ، مثله مثل نوح وإبراهيم وموسى

وزكريا ويحيى وعيسى وهود وصالح وشعيب لا أكثر ولا أقل، مع اختلاف الدرجات من رسول إلى آخر، وزعيمهم كلهم هو محمد عليه السلام، إذ هو رسول للعالمين جميعا وخاتم النبيين والمرسلين، كما أنه لم يكن رسولا فقط، بل وضع مبادئه موضع التطبيق، فكان رئيس دولة وقاضيها، وكذلك قائدها العسكرى فى معظم الأحيان.

ويبقى قوله إن المسيح هو الإنسان الوحيد الذى وُلِد من روح الله، وهذا أيضا قول لم يقل به القرآن المجيد، بل قال إن البشر جميعا قد نُفِخ فيهم من روح الله، إذ جاء فى سورة "السجدة": ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [السجدة: ٦ - ٩]، وفى سورة "الحجر": ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الحجر: ٢٨ - ٢٩]، وفى سورة "ص": ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [ص: ٧١ - ٧٢]. بل جاء أيضا فى القرآن قوله تعالى إن الله سبحانه قد أوحى إلى محمد روحا من أمره: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الشورى: ٥٢]. فهل بعد هذا يمكن المجادلة بأن عيسى هو الوحيد الذى وُلِد من روح الله؟ لا إخال هذا ممكنا أبدا! وعلى ذلك فقول الواعظ فى آخر الفقرة السابقة: "ليس المسيح إذن إنسانًا عاديًّا بل روح إلهي، وبنفس الوقت جسد عادي، إذ وُلِد من روح الله ومن مريم العذراء. لم يولد محمد من روح الله إنما وُلِد من أب حق وأم حقة، فهو جسد عادي فقط لا روح إلهي" هو كلام لا يمكن التسليم به لأنه تَقَوُّلٌ على الله والقرآن بغير حق كما

رأينا معا . كذلك فقوله إن المسيح عليه السلام ، حسبما جاء فى القرآن ، روح الله ، هو كلام خاطئ تماما ، فالقرآن يقول إن الله نفخ فى مريم من روحه ، ولم يقل إن عيسى هو روح الله ، مثلما قال إن الله نفخ فى الطين من روحه فكان الإنسان الذى هو آدم وحواء وأولاد آدم وحواء إلى يوم يبعثون . لو أنه قال إنه وقومه يؤمنون بهذا فلا تثريب عليه ، إذ هو حر فى اعتقاده رغم أننا نراه مخطئا فى هذا الاعتقاد . كما أنه قد أخطأ فى نسبة هذا الاعتقاد إلى القرآن ، ولن نقول إنه "كَذَبَ" فى ذلك ، جريًا على ما قلناه قبل قليل من أننا سوف نتمسك بأهداب المجاملة إلى أقصى حد ما دمنا لن نخرج على مقتضيات إيماننا بالله وبرسوله وكتابه المجيد .

***

٢- الوعود الإلهية عن محمد والمسيح

* نقرأ في القرآن بخصوص المسيح أن الله بشرّ مريم العذراء أنه سيُولَد المسيح منها . فالقرآن يقول: ﴿يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥] . فالقدوس نفسه منح لمريم البشرى السارّة عن ولادة المسيح وسمّاه: كلمة منه . لقد استمع كل الأنبياء الصالحين إلى كلمة الله ونقلوها بإخلاص مهما كلّفهم الأمر . أما المسيح فلم يسمع الوحي ، بل هو كلمة الله المتجسّد . وحلّ فيه سلطان الكلمة الإلهية بقوتها الخالقة الشافعة الغافرة المعزّية والمجدّدة . فلأجل ذلك أعلن الله مسبقًا ولادة المسيح لمريم العذراء شخصيًا مؤكدًا لها الأعجوبة العظمى . لم نقرأ في القرآن عن محمد أنه كلمة الله المتجسد ، إنما نقرأ أنه تلقى الوحي ونقله إلى مستمعيه . ولم يبشر الله أمه آمنة ببشارة خاصة ، ولم ينفخ روحه فيها ، أما مريم العذراء فواجهها الملاك جبرائيل المرسل من الله فقبلت

منه روح القدس . وأصبحت المختارة بين النساء كقول القرآن: ﴿ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٢] . وقد ورد اسمها في القرآن ٣٤ مرة ، بينما لم يرد اسم أم محمد ولو مرة واحدة .

** لا خلاف على ما قاله الواعظ عن تبشير الملائكة مريم بولادة المسيح ، إذ الواعظ لم يزد على أن نقل ما نقرؤه فى القرآن عنه عليه السلام ، ولذلك لن نقف أمامه ، بل سننتقل لما قاله الواعظ بعده من أن عيسى هو كلمة الله المتجسد ، وهو ما لا وجود لشيء منه فى القرآن البتة . ولو كان هذا كلامًا يعبر به الواعظ عن اعتقاده فى السيد المسيح لكان حرًّا فيه ، أما أن ينسب ذلك للقرآن فلا بد أن نقف ونوقفه قائلين له إنه قد أخطأ خطأً فاحشا ، إذ ليس فى القرآن فى أى موضع منه أن عيسى عليه السلام هو كلمة الله المتجسد ، فالله فى الإسلام يستحيل أن يتجسد لأنه ليس كمثله شيء ، ومعروف أن هناك أشياء متجسدة لا تقع تحت الحصر والإحصاء ، ومن ثم فالله لا يشبهها ولا يتجسد تجسدها . كما أنه سبحانه هو الأول ، فلا شيء قبله ، والآخر ، فلا شيء بعده ، أما الأشياء المتجسدة فلها بداية ونهاية ، ووجودها محدود ، وليست أول شيء ولا آخره . كما أن قوله إن عيسى (طبقا لما ورد فى القرآن) لم ينزل عليه وحى هو قول خاطئ لا أدرى من أين أتى به ، ففى سورة " النساء " يطالعنا قوله عز وجل: ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ ﴾ [النساء: ١٦٣] . وفى هذا النص نقرأ أن الله قد أوحى إلى عيسى كما أوحى إلى محمد وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وأيوب . . . إلخ . ومثله قوله عز شأنه من سورة " المائدة ": ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا

بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [المائدة: ٤٦] ، فـ "إيتاء" الله عيسى الإنجيل هو هو نفسه "إيحاؤه" إياه إليه . أما لو قال واعظنا إن هذا هو اعتقاده لخَرَجَ بذلك من العهدة وأراحنا وأراح نفسه ، أما أن يعزو شيئا إلى القرآن ليس فى القرآن فدون ذلك خَرْط القَتاد كما كان العرب يقولون . ومثل ذلك قوله جلت قدرته: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ [البقرة: ٨٧] ، ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ [المائدة: ١١٠] ، فالله أرسل روح القدس لتأييد عيسى عليه السلام ، وهو ما يشبه قوله سبحانه فى سورة "النحل" وسورة "الشعراء" على التوالى عن القرآن الذى أنزله سبحانه على محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [النحل: ٩٨ - ١٠٢] ، ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٤] . ولا شك أن تخصيص القرآن سورة كاملة فيه لمريم عليها السلام وعدم تخصيص مثلها لأم الرسول الكريم ولا لأحد من زوجاته إنما هو برهان لا يُصَدّ ولا يُرَدّ على أنه رسول الله حقًا وصدقًا من رب العالمين ، وإلا لتحول الأمر عنده إلى منافسة شرسة فغطّى على ذِكْر مريم وصَنَع بدلا منه شهرةً لنسائه وأمه . فيا لعظمة النبى الكريم!

وعلى ذلك فكل ما رتبه الواعظ على هذا هو عندنا مرفوض رفضا باتا جملة وتفصيلا ، فسلطان الله وقدرته وقوته الخالقة لم تحلّ فى عيسى قط ، وما

كان لها أن تحل ، لأنه عليه السلام فى القرآن ليس أكثر من عبد ورسول . أما إذا كان قد أبرأ الأكمه والأبرص وأحيا الموتى فإننا لا نشاحّ فى هذا ، لكن القرآن واضح فى ذلك تمام الوضوح ولم يتركه مائعا ، إذ قال إنه إنما كان يصنع من ذلك ما يصنع بإذن الله لا بإذنه ، كما أكد القرآن أنه عليه السلام لا يملك لنفسه ولأحد غيره من الأمر شيئا . ثم إن غيره من الأنبياء صنع معجزات مثلما صنع . بل إن العلى الجبار سوف يوقفه أمامه يوم الحساب ويسأله كما يسأل عباده جميعا ، وسوف يتنصل ساعتها من الخطيئة العظمى التى اجترحها بعض البشر حين نَسُوا أو تناسَوْا أنه عبد واتخذوه إلها . جاء فى سورة "المائدة" : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٧) ﴾ [المائدة: ١٧] لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (٧٢) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧٤) مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٧٥) قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٧٦) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ (٧٧) ﴾ [المائدة: ٧٢ - ٧٧] ، ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ

أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ [المائدة: ١١٦ - ١١٨]. وفي سورة "مريم" وسورة "الزخرف" نقرأ تباعا ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ [مريم: ٣٠ - ٣٦]، ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِي ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الزخرف: ٥٧ - ٦٤].

***

٤- براءة محمد والمسيح

* لما كان محمد فتىً أتى إليه ملاكان وطهرا قلبه. وفي هذا يقول القرآن: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ ﴾ [الشرح: ١ - ٣]. ومنذ ذلك الوقت أصبح له اللقب الشريف المصطفى، فلم يكن صافيًا وطاهرًا في ذاته، إنما أخذ الملاكان الوزْر من قلبه تطهيرًا. لقد

احتاج محمد إلى عملية جراحية للقلب لتنقية فؤاده قبل أن يصبح نبيًا ورسولا لله . نقرأ عن ابن مريم في القرآن إنها ستلد غلامًا زكيًا حسب الآية: ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ [مريم: ١٩] . وأجمع المفسرون العلماء مثل الطبري والبيضاوي والزمخشري أن كلمة "زكيًا" تعني: صافيًا ونقيًا وبلا خطية . فقبل ولادة المسيح أعلن الوحي أنه يولد طاهرًا ويعيش بلا إثم . لم يكن محتاجًا إلى تطهير قلبه لأنه كان قدوسًا أصلا . ولم يستمع ابن مريم إلى كلمة الله فحسب ، بل كان هو الكلمة ذاته . فلا فرق بين رسالته وسلوكه ، إذ عاش ما قاله ، وثبت بلا لوم وبدون خطية . يشهد القرآن أن لكل الأنبياء والرسل خطايا معينة ، ويذكر الأخطاء لبعضهم ، ما عدا المسيح ، فكان دائمًا بريئًا وطاهرًا . لقد حفظه روح الله منذ ولادته في القداسة الكاملة رغم طبيعته البشرية ، فلم يسقط في التجربة لأنه كان روح الله المتجسد . اعترف محمد شخصيًا ثلاث مرات في القرآن بأن كان يجب عليه استغفار ربه ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٥٥﴾﴾ [غافر: ٥٥] . ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩] . ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾ [الأحزاب: ٣٧] . ويظهر أن أكثرية المسلمين يرفضون هذه الحقيقة ويؤولونها . إنما القرآن هنا واضح ويتكلم بصراحة . كان محمد إنسانًا طبيعيًا مولودًا من والدين طبيعيّين ، فعاش حياة الفِطرة ، وأخطأ مثلنا واستغفر ربه عن ذنوبه وخطاياه ، أما المسيح فوُلد من روح الله ، وهو كلمة الله المتجسّد ، وعاش قدوسًا وطاهرًا منذ حداثته .

** إن ما قاله الواعظ النصراني عن غسل الملاك قلب سيدنا محمد عليه السلام لهو شهادة عظيمة في حقه، إذ معنى ذلك أن الرسول قد أصبح طاهرا من حظ الشيطان، أما المسيح فلم يصنع به الله شيئا من هذا، وهو ما يمكن أن يتعلل به من يريد مجادلة الواعظ، لكننا لن نفعل لأن غايتنا هي بلوغ الحقيقة أو على الأقل: الاقتراب منها. فلنضرب الآن إذن عن هذا صفحا، ولسوف نعود إليه فيما بعد، وليكن المسيح عليه السلام بلا خطيئة كما قال واعظنا، أفيجعل هذا منه إلها أو ابن إله؟ الواقع أنه لا صلة بين هذا وذاك. وما دمنا بصدد الاستدلال بالقرآن فكيف يصح تجاهل قوله تعالى مما سبق ذكره في الفقرات الماضية: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ١٧]، ﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾ [المائدة: ٧٥ - ٧٦]، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾﴾ [الزخرف: ٥٩]... إلخ؟ كما أنه سبحانه لم يقل في حق عيسى مثل ما قاله في حق محمد في الآيات التالية: من سورة "القلم": ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٤]، وسورة "الانشراح": ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾ [الشرح: ٤]، وسورة "النساء": ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾﴾ [النساء: ٨٠]، وسورة "الحجرات": ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحجرات: ٢ - ٣]، وسورة "الأحزاب": ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ

بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ [الأحزاب: ٤٥ - ٤٦] مثلا . وبالمثل لم يقرن سبحانه اسمه باسم نبيه عيسى كما قرن بينه وبين اسم نبيه محمد ، ومنه ما نقرأ في سورة " الأحزاب ": ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ ﴾ [الأحزاب: ٥٧] ، وسورة " الفتح ": ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾ [الفتح: ٨ - ١٠] ، وسورة " النساء ": ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [النساء: ١٣ - ١٤] ، ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ ﴾ [النساء: ٨٠] . كما تكرر في القرآن القول بأن محمدًا رسولٌ للناس كافة ، على حين أن عيسى رسولٌ لبني إسرائيل ليس إلا . فأما فيما يخص محمدا فقد جاء في سورة " الأنبياء ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ، وفي سورة " سبأ ": ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [سبأ: ٢٨] ، وفي سورة " التكوير ": ﴿ إِنْ هُوَ ﴾ (أي القرآن) ﴿ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٧] . وأما بالنسبة لعيسى فنقرأ في سورة " آل عمران ": ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [آل عمران: ٤٨ - ٤٩] ، وفي سورة " الصف ": ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ

قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾ [الصف: ٦] .

وأما وصفه تعالى لعيسى بأنه " غلام زكىّ " فهو نفسه ما وُصِف به " الغلام " الذى قتله العبد الصالح فى قصة سورة " الكهف " ، إذ وُصِف بأنه " نفسٌ زكيّة " : ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ﴾ [الكهف: ٧٤] . فما الفرق إذن مما يعطى للواعظ الحق فى الطنطنة التى يطنطنها؟ إن كل الأطفال يولدون أطهارا أنقياء كلهم أجمعين أكتعين أبصعين ، حتى الذين سيصيرون فيما بعد من عتاة المجرمين والقتلة والجبارين المستبدين والزناة العاهرين . أم هناك من يجادل فى ذلك؟ ولهذا يقال: الأطفال أحباب الله! أما لماذا وصف الله عيسى هنا بأنه غلام زكى ما دام الأطفال كلهم يولدون دون خطيئة كما هو معروف ، إذ ينزلون من بطون أمهاتهم ، ونفوسهم وقلوبهم صفحات بيضاء ، علاوة على أنهم عند مولدهم يكونون خالين من الإرادة ، خيرا كانت هذه الإرادة أو شرا ، ومن ثم لا يمكن نسبة الشر إليهم ، فالجواب على ذلك هو أن قول روح القدس لمريم حسبما ورد فى السورة المسماة باسمها الكريم: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ ﴾ [مريم: ١٩] ، هو رد على ما كانت قد قالته له تصده عنها خشية أن يكون رجلا من الرجال جاء للاعتداء على عِرْضها وهو: ﴿ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾ [مريم: ١٨] . فكان رده ذاك تطمينا لها أنه ليس بشرا ، وأنه لم يأت للاعتداء عليها ، وأن الغلام من ثم سيولد ولادة طاهرة ، أى أنها ستُرْزَقه من الحلال لا من الحرام . ومعروف أننا لكى نفهم الكلام لا بد أن نأخذ بعين الاعتبار السياق الذى قيل فيه هذا الكلام ، وإلا أخطأنا معناه كله أو بعضه أو الظلال المحيطة به . وهذا هو سياق تلك العبارة التى وردت على لسان روح القدس كاملا: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا

سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ﴾ [مريم: ١٦ - ٢١] . ولنلاحظ أن رد الملاك عليها حين استغربت أن يكون لها ولد دون أن تعرف أحدا من الرجال هو نفس الرد على زكريا عندما بُشّر بأنه سيولد له ولد رغم تقدمه فى العمر ورغم عقم زوجته ، إذ سألت مريم روح القدس قائلة﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ ﴾ [مريم: ٢٠] ، فأجابها بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ﴾ [مريم: ٩] ، وهو ما أجيب به زكريا قبيل ذلك فى نفس السورة: ﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿٩﴾ ﴾ [مريم: ٧ - ٩] . وانظر الآيتين ٤٠ ، ٤٧ من سورة " آل عمران " ففيهما نفس المعنى ، وهو ما يدل على أن مولد المسيح ، رغم كل شىء ، لا يختلف عن مولد واحد كيحيى . وبالمثل نبّه القرآن أيضا فى الآية التاسعة والخمسين من سورة " آل عمران " إلى أنه لا يختلف عن خلق آدم . أى أنه لا ربوبية فيه عليه السلام بأى معنى من المعانى ، إنما هو عبد لله مثل بقية العباد .

ولنفترض بعد هذا كله أنه " غلامٌ زَكِيٌّ " بالمعنى الذى فهمه الواعظ النصرانى ، فهل معنى هذا أن الغلام الزكى لا يجوز عليه الخطأ قط؟ ترى لو قلنا إنه فلانا ذكىٌّ أو وقورٌ أو مُجِدٌّ ، أيكون معنى هذا أنه هكذا فى كل صغيرة وكبيرة وفى كل لحظة؟ لا ، بل المقصود أن هذا هو الغالب عليه وأنه لا يحيد عن هذا إلا على سبيل الاستثناء . وقد بينا أنه عليه السلام كان ينفعل ويلعن ويشتم ، ويتحدث إلى أمه فى لهجة خشنة لا احترام فيها ،

ويأكل من الحقول دون إذن أصحابها ، كما كان ينظر إلى نظافة اليد والفم قبل الأكل على أنها أمر معيب ، مؤكدا أن الأفضل تناول الإنسان طعامه دون غسل يديه أو فمه . . . إلخ حسبما كتب مؤلفو الأناجيل ، وإن كنا نحن المسلمين لا نصدق كثيرا مما ينسبه إليه أولئك المؤلفون من تصرفات خاطئة لا تليق برسل الله ، صلوات الله عليهم أجمعين! وحتى لو قبلنا أنه كان إلها كما يقولون ، فالرد هو أنه لم يكن إلها نقيا ، بل كان إلها متجسدا فى هيئة إنسان ، ومن ثم كان مهيأ للخطإ بين الحين والحين بصفته الإنسانية مثلما كان يخضع للجوع والعطش والحاجة إلى دخول الحمام ، ومثلما كان يقلق ويحزن ويغضب ويجزع من الألم لذات السبب! بل حتى لو قلنا إن "الزكى" هو الذى لا يرتكب خطيئة قط ، فالواقع أن هذا ليس خاصا بعيسى وحده صلى الله عليه وسلم . كيف ذلك؟ الجواب نأخذه من النص التالى الذى يتحدث فيه المسيح ذاته ، وليس أحدا سواه ، عن الدماء الزكية بين البشر بوصفها شيئا كثيرا غير موقوف عليه وحده ، وهو موجود فى الإصحاح الخامس والعشرين من متى: "[29] وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! لأَنَّكُمْ تَبْنُونَ قُبُورَ الأَنْبِيَاءِ وَتُزَيِّنُونَ مَدَافِنَ الصِّدِّيقِينَ ، [30] وَتَقُولُونَ: لَوْ كُنَّا فِي أَيَّامِ آبَائِنَا لَمَا شَارَكْنَاهُمْ فِي دَمِ الأَنْبِيَاءِ . [31] فَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنَّكُمْ أَبْنَاءُ قَتَلَةِ الأَنْبِيَاءِ . [32] فَامْلأُوا أَنْتُمْ مِكْيَالَ آبَائِكُمْ . [33] أَيُّهَا الْحَيَّاتُ أَوْلاَدَ الأَفَاعِي! كَيْفَ تَهْرُبُونَ مِنْ دَيْنُونَةِ جَهَنَّمَ؟ [34] لِذلِكَ هَا أَنَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ أَنْبِيَاءَ وَحُكَمَاءَ وَكَتَبَةً ، فَمِنْهُمْ تَقْتُلُونَ وَتَصْلِبُونَ ، وَمِنْهُمْ تَجْلِدُونَ فِي مَجَامِعِكُمْ ، وَتَطْرُدُونَ مِنْ مَدِينَةٍ إِلَى مَدِينَةٍ ، [35] لِكَيْ يَأْتِيَ عَلَيْكُمْ كُلُّ دَمٍ زَكِيٍّ سُفِكَ عَلَى الأَرْضِ ، مِنْ دَمِ هَابِيلَ الصِّدِّيقِ إِلَى دَمِ زَكَرِيَّا بْنِ بَرَخِيَّا الَّذِي قَتَلْتُمُوهُ بَيْنَ الْهَيْكَلِ وَالْمَذْبَحِ" . وقد تكررت فى الكتاب المقدس تلك العبارة أو ما يشبهها ، ومنها ما نقرؤه فى الإصحاح السادس والعشرين من سفر إرميا من تحذير

ذلك النبى لقومه من الإقدام على قتله لمجرد أنه بلغهم رسالة ربه بما ينتظرهم من دمار جراء عصيانهم وكفرهم واصفًا دمه الذى سيريقونه عندئذ بـ "الدم الزكى": "«لكِنِ اعْلَمُوا عِلْمًا أَنَّكُمْ إِنْ قَتَلْتُمُونِي، تَجْعَلُونَ دَمًا زَكِيًّا عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَعَلَى هذِهِ الْمَدِينَةِ وَعَلَى سُكَّانِهَا، لأَنَّهُ حَقًّا قَدْ أَرْسَلَنِي الرَّبُّ إِلَيْكُمْ لأَتَكَلَّمَ فِي آذَانِكُمْ بِكُلِّ هذَا الْكَلاَمِ»".

ثم لقد تكرر فى القرآن المجيد الكلام عن تزكّى هذا الشخص أو تزكيته بوصفه أمرا ممكنا جدا وليس فيه شىء خارق: ففى سورة "الشمس": ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠)﴾ [الشمس: ١ - ١٠]، وفى سورة "الليل": ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى (١٤) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٦) وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠)﴾ [الليل: ١٤ - ٢٠]. بل إن القرآن ليذكر أن النبى عليه السلام يزكّى الآخرين، أى يمنح الناس زكاة النفوس. قال تعالى فى سورة "البقرة": ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (١٥١)﴾ [البقرة: ١٥١]، وفى سورة "آل عمران: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (١٦٤)﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وفى سورة "التوبة": ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٠٣)﴾ [التوبة: ١٠٣]، وفى سورة "الجمعة": ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢)﴾ [الجمعة: ٢]. ثم إن فضل القرآن على عيسى عليه السلام لهو فضل عظيم، فهو الكتاب الوحيد الذى برّأ مريم

عليها السلام مما شنّع اليهود به عليها وافْتَرَوْا على عرضها الافتراءات النجسة مثلهم ، ووسمو ابنها بالجنون والسحر ، فتصدى القرآن لهم ومجّدها وابنها أيما تمجيد ، وإن لم يَعْدُ بهما رغم هذا حدود البشرية والعبودية لله الواحد الأحد ، وكفّر من يؤلهما تكفيرا .

ويقول الواعظ النصراني إنه "لا فرق بين رسالة عيسى وسلوكه ، إذ عاش ما قاله ، وثبت بلا لوم وبدون خطية" ، إلا أن كتبة الأناجيل لهم ، فيما يبدو ، رأى آخر ، إذ ذكروا مثلا أنه كان مارا هو وتلاميذه بحقل من الحقول ، فانقضوا عليه يأكلون ملء بطونهم دون إذن من صاحبه الذى كان غائبا! وبالإضافة إلى ذلك نجده ، صلى الله عليه وسلم ، يأمر أحد الرجال أن يذهب إلى إحدى الحظائر ويأخذ الأتان المربوطة هناك ويأتيه بها دون إذن من صاحبها ، كى يركبها عند دخوله القدس! كما أن أولئك الكتبة يجعلون أول معجزة يجريها عليه السلام هى تحويل الماء إلى خمر ، أى استبدال شراب الشيطان بشراب الفطرة! وهناك موقف غير مقبول البتة نسبوا إليه فيه احتقار امرأة كنعانية أو فينيقية احتقارا مزريا غير إنسانى بالمرة ، إذ أتته تلك المرأة ليشفى لها ابنتها ، بيد أنه رفض لأنها ، كما قال ، غير إسرائيلية ، وهو لم يُبْعَث إلا إلى خراف بنى إسرائيل الضالة ، وقال لها فى تجبر وتكبر مهين إن الطعام الذى يحتاجه الأولاد يحرم على الكلاب ، فما كان منها إلا أن قالت فى لهفة وحرقة وذلة ضارعة كى تنقذ ابنتها إن للكلاب أيضا نصيبا من الفتات المتساقط من المائدة تحت الأرجل ، فعندئذ وعندئذ فقط رضى أن يشفى لها ابنتها ، مع أن الشفاء لم يكن يكلفه شيئا ولا يقتضيه نَصَبًا ، فهو معجزة ربانية يجريها الله على يديه دون أى مجهود! وهناك إلى جانب هذا وذاك وذلك شتائمه المجلجلة لليهود ولعنه لهم وقلبه موائدهم فى الهيكل واستخدام السوط فى إخراجهم منه ، ونفيه الإيمان فى أكثر من مناسبة عن

تلاميذه ، و بالذات بطرس ، وجفاؤه فى كلامه إلى أمه وغيرها كما تقدمت الإشارة . فأين قوله الشهير عن محبة أعدائنا ومباركة لاعنينا وإدارة الخد الأيسر لمن يصفعنا على الخد الأيمن وترك الإزار بالمرة لمن يَغْصِبنا الرداء حتى نمشى فى الشوارع عرايا تماما وبلابيص نستعرض عوراتنا وسوآتنا مباهين بها؟ واضح أن هناك فجوة هائلة بين المبدإ والتطبيق ينفى صحة كل ما قاله الواعظ عن التطابق التام بين الدعوة والسلوك عنده عليه السلام . وليس هذا الكلام من لَدُنَّا ، بل من الأناجيل نفسها ، وكل دورنا منحصر فى الإشارة إلى ما فيها هى دون تدخل من جانبنا ، وإن كنا نحن المسلمين لا نصدق ما يقال عنه صلى الله عليه وسلم مما يسىء إلى صورته الكريمة .

وفى إنجيل الطفولة (THE ARABIC GOSPEL OF THE INFANCY OF THE SAVIOUR) نُلْفِى الغلام عيسى يتصرف تصرفات مخيفة تدل على قسوة وغلظة وشراسة تتناقض مع ما يدعيه الواعظ النصرانى له صلى الله عليه وسلم . وليس المسلمون هم الذين كتبوا هذا الإنجيل ، بل بعض النصارى الذين أردوا تمجيده عليه السلام والزعم بأنه إله: فمن ذلك أنه ، عندما ضرب أحد صبيان اليهود الغيورين على السبت بركة الماء الصغيرة التى صنعها عيسى بيده فى ذلك اليوم المقدس عند اليهود للعب عندها وشكّل بعض التماثيل الطينية حولها كما يفعل الأطفال ، قام عيسى بتجفيفه وإماتته عقابا له على ضَرْبه بقدمه الحوض الصغير وتجفيف مائه ، مع أن الخطأ الذى ارتكبه هذا الصبى اليهودى ليس بالخطإ الجسيم ، بل هو من وجهة نظر المتدينين باليهودية ، وعيسى لم يأت بنقض كلامه لينقضها بل ليكملها ، إنما هو عمل محمود . فما القول فى هذا؟ وكيف يمكن الادعاء إذن بأنه ، عليه السلام ، كان مثالا للوداعة والتسامح وطيبة القلب والعطف على ضعف البشر؟ وهَبْ أن ذلك تصرف خاطئ من الصبى

اليهودى ، أكذلك تكون عقوبة ذلك الخطإ الهين ، إن صح تسميته خطأ أصلا؟ ومن ذلك أيضا أن طفلا اصطدم به فى الطريق دون قصد وهو يجرى فأوقعه ، فما كان منه إلا أن توعده أنه سيقع فى الأرض كما أوقعه وأنه لن يقوم من سقطته ثانية . وقد كان ، إذ وقع الولد ميتًا فى الحال! فيا للتسامح والصبر والمرحة! أترى ينبغى أن نعلل ذلك بأنه لم يكن وقتئذٍ إلها ناضجا عنده خبرة تساعده على الفهم والتسامح؟ لكنْ هل الآلهة تكبر وتنضج ، وفى خلال ذلك تنقصها الخبرة مثلنا وتتخذ قراراتها فى عصبية وقسوة وضيقِ عَطَنٍ كصبيِّنا الإله؟ يا لها من ألوهية هزيلة! وهاتان هما القصتان كما قرأتهما فى الترجمتين الإنجليزية والفرنسية لذلك الإنجيل:

A- " 46. Again, on another day, the Lord Jesus was with the boys at a stream of water, and they had again made little fish-ponds. And the Lord Jesus had made twelve sparrows, and had arranged them round His fish-pond, three on each side. And it was the Sabbath-day. Wherefore a Jew, the son of Hanan, coming up, and seeing them thus engaged, said in anger and great indignation: Do you make figures of clay on the Sabbath-day? And he ran quickly, and destroyed their fish-ponds. But when the Lord Jesus clapped His hands over the sparrows which He had made, they flew away chirping. Then the son of Hanan came up to the fish-pond of Jesus also, and kicked it with his shoes, and the water of it vanished away. And the Lord Jesus said to

him: As that water has vanished away, so thy life shall likewise vanish away. And immediately that boy dried up. 47. At another time, when the Lord Jesus was returning home with Joseph in the evening. He met a boy, who ran up against Him with so much force that He fell. And the Lord Jesus said to him: As thou hast thrown me down, so thou shall fall and not rise again. And the same hour the boy fell down, and expired ".

B- " XLVI. - Un autre jour, le Seigneur Jésus se trouvait encore avec des enfants sur le bord de l'eau, et ils avaient détourné l'eau de ce ruisseau par des fossés, se construisant de petites piscines; et le Seigneur Jésus avait fait douze moineaux, et les avait arrangés, trois de chaque côté, autour de sa piscine. Or, c'était un jour de sabbat; et le fils du Juif Hanani, s'approchant et les voyant agir de la sorte: Est-ce ainsi, dit-il, qu'un jour de sabbat vous faites des figures de terre? Et accourant promptement, il détruisait leurs piscines. Mais lorsque le Seigneur Jésus eut frappé des mains sur les moineaux qu'il avait faits, ils s'envolaient en criant. Ensuite le fils d'Hanani s'approchant aussi de la piscine de Jésus pour la détruire, son eau s'évanouit, et le Seigneur Jésus lui dit: Comme cette eau s'est évanouie, de même votre vie

s'évanouira; et sur-le-champ cet enfant se dessécha. XLVII. - Dans un autre temps, comme le Seigneur Jésus retournait le soir à la maison avec Joseph, il fut rencontré par un enfant qui, courant rapidement, le heurta et le fit tomber. Le Seigneur Jésus lui dit: Comme vous m'avez poussé, de même vous tomberez, et ne vous relèverez pas; et, à la même heure, l'enfant tomba et expira ".

بل إنه حين بلغه مقتل أستاذه ومُعَمِّده يحيى عليه السلام مجده، حسبما يذكر مؤلفو الأناجيل أيضا، ينصرف إلى البَرِّيَّة هو وتلاميذه دون أية مبالاة حيث قَضَوْا هناك وقتا يأكلون ويشربون خفيفى النفوس والضمائر لم يذرفوا عليه دمعة، وكأن شيئا لم يحدث! وفوق كل هذا فإن الشيطان قد طمع فيه وفى إغوائه، فقاده هنا وههنا وأخذ يتنقل به من رأس الجبل إلى قلب البرية إلى قمة المعبد طالبا منه هذا وذاك من المطاليب الغريبة المخالفة للإيمان مما يقول النصارى عنه إنه كان تجريبا من الشيطان له! فكيف بالله يطمع إبليس فيه كل هذا الطمع؟ أترى أبا الشياطين كان قد طعن فى السن وضعف بصره فلم يعد يميز المرئيات ولم يدرك أنه إنما يتعامل مع الله نفسه لا مع واحد من البشر؟ فكيف لم ينبهه الرب ويقول له: "يا أخى، خَلِّ فى وجهك حصاة ملح، فهذا عيب لا يليق"، ثم يصفعه قلمًا على وجهه يجعل عينيه تطقّان شررا، وحينئذ يعرف أن الله حق ولا يعود لمثلها أبدا؟ بل كيف يطيع هو أبا الشياطين ويتبعه أينما أخذه وحيثما ساقه؟ بل كيف يصرح عليه السلام بأنه ما جاء لينقض الناموس، ثم ينقضّ على الناموس فى التو واللحظة ناسخًا هذا التشريع أو ذاك من التشريعات التى أتى بها موسى؟

وكل ذلك معروف لمن قرأ الأناجيل، ولسنا نحن المسلمين الذين قلنا هذا، بل كتبة العهد الجديد. وقبل ذلك كله فإنه، عليه السلام، قد خالف أشد المخالفة أساس دينه وجوهره والمحور الذى يحور هذا الدين إليه ويدور عليه، وذلك حين وضعه أعداؤه على الصليب طبقا لما ورد فى الأناجيل لا لما نؤمن نحن المسلمين به، إذ يعتقد النصارى أنه، عليه الصلاة والسلام، قد جاء ليفدى البشر جميعا (البشر جميعا لا بنى إسرائيل، الذين تكرر منه القول بأنه إنما أتى لهم وحدهم، ولكى يعلّمهم لا ليكفّر عنهم خطيئاتهم ولا يحزنون!)، لكننا ننظر فنراه يجزع قبلها ويقلق ويملؤه الهم والكرب، وفوق الصليب يصرخ ويجأر مستغيثا ولا مغيث، مما يفيد أنه نسى مهمته التى نزل من أجلها على الأرض أو على الأقل: لم يستطع أن يرتفع إلى مستواها. ومعنى هذا أن سلوكه لم يكن مطابقا لما ينادى به. فإذا أضفنا ما يقوله النصارى عن ربوبيته، ومعنى ذلك أن هذا الرب أضعف من أن يتجنب الخطأ، مع أنه هو الذى خلق، فيما خلق، الخطأ، وكان يستطيع أن يعفى نفسه من اجتراح هذا الخطإ، وأضعف كذلك من أن يتحمل العذاب والألم، مع أنه هو الذى خلق، فيما خلق، العذاب والألم، وكان يستطيع أن يعفى نفسه من الشعور بذلك العذاب والألم، وهذا إن كان الآلهة يخطئون ويألمون ويتعذبون. وعلى يد من؟ على يد المجرمين من مخلوقاتهم! عجبا! وبالمناسبة فمن المسلمين الأوائل والأواخر من تعرضوا لمثل هذا التعذيب وتحملوه وراحوا ضحيته دون طنطنة كهذه من زملائهم ومحبيهم!

وبالمناسبة أيضا فإننا لم نكن لنحب أن نعقد مثل هذه المقارنة، ونعتقد أن الرسول الكريم ما كان لينشرح صدره بمثل هذا الكلام، لولا... نعم لولا أن بعض النصارى يتحدَّوْن المسلمين بهذه المقارنة: فتجد مثلا هذا الكتاب الذى نحن بصدده الآن منشورا فى المواقع النصرانية المختلفة، كما أن بعض

القماصة يستفزوننا فى رسائلهم المشباكية للرد عليه وعلى أمثاله، مع التهور السفيه فى التباذؤ بحق الرسول الكريم، وإن كان مؤلفو هذا الكتاب (وهذه شهادة حق) حريصين على ألا ينزلوا إلى هذا المستنقع المنتن، وهو ما نحمده لهم ويظهر أثره فى ردنا عليهم كما لا بد أن القراء قد لاحظوا. فنحن إذن مضطرون إلى الرد على مثل تلك الاستفزازات والتحديات بين الحين والحين حتى لا يظن القراء الذين لا يحيطون بالأمر من جميع جوانبه أنه تحدٍّ صعب، مع أنه كما يرون بأنفسهم الآن ليس فيه من الصعوبة قليل أو كثير، وإن كنت أشعر بشىء من الحرج لما أسببه من ألم دون قصد لبعض الأصدقاء النصارى الذين يكاتبوننا ويبادلوننا المودة لأن هذا الكلام لا بد أن يكون له تأثير غير طيب فى نفوسهم مهما كانت سعة صدروهم وعقولهم. لكننا نعتمد رغم ذلك على حسن إنصافهم، فالهجوم على سيد المرسلين قد أضحى شغلة كل سافل لا شغلة له ولا مشغلة، وبخاصة ذلك القمص الملعون الذى يمطرنى كل قليل بطوائف من الكتب يتحدانى أن أرد عليها جميعا، وكلما فَنَّدْتُ له بعض ما يرسله من سخافات وجهالات ولم أترك فيه قطعة متصلة بقطعة أخرى على مدى عشرات الصفحات فى منطق محكمٍ باترٍ قال ببساطة دون أن يكلف نفسه الرد على شىء مما كتبناه: دعنا من هذا وتعال إلى شىء آخر، أو إن هذا الذى كتبتَه لا يقنعنى. هكذا فى "كلمتين وبَس"، وكان الله يحب المحسنين! فنرجو من هؤلاء الأصدقاء أن يعذرونا ولا يظنوا أننا مغرمون بإيلامهم، بل كل ما هنالك أننا نرد على بعض هذه التحديات التى أشرنا إليها، بعضها فقط مما نرى أنه يغنى عن الباقى، وليس كلها، وإلا فلن نفرغ من الكتابة والكلام، ولن نستطيع رغم ذلك أن نغطى ولا واحدا على الألف مما يُطرَح من استفزازات. كما أن الطرف الآخر لا يجشم نفسه الرد على ما نقول، وإذا فعل فإنه يلجأ إلى

الكذب والافتراء والتلاعب بالنصوص ، ولا يفصّل القول تفصيلا كما نفعل نحن دائما بحيث لا نترك ثغرة فى الموضوع دون أن نسدها .

ومما يحاول الواعظ النصرانى أن يميز به بين السيد المسيح وزملائه الأنبياء قوله: "يشهد القرآن أن لكل الأنبياء والرسل خطايا معينة ، ويذكر الأخطاء لبعضهم ما عدا المسيح ، فكان دائمًا بريئًا وطاهرًا" . ولقد كنا نود لو أنه ذكر الخطايا التى ادعى أن القرآن سجلها على الأنبياء ، لكنه لم يفعل ، وهو لم يفعل لأنه لا يذكر الحقيقة ، لا نقول: كذبا منه وبهتانا ، بل نقول: نسيانا منه أو خلطا بين القرآن والكتاب المقدس ، الذى ينسب لهم كل طامّة وطامّة من النوع الثقيل الذى لا يحتمل ، وكأن الأنبياء والرسل هم عصابة من المجرمين العتاة: فمنهم القاتل ، ومنهم الزانى ، ومنهم السكّير ، ومنهم المخادع ، ومنهم مُضاجع المحارم ، ومنهم المشارك فى الوثنية ، ومنهم المُهَيِّئ جوها ومباركها لمن يريد ممارستها من زوجاته ، ومنهم من يَنْظِم الغزل الشهوانى الفاجر الداعر ، ومنهم من يجدّف فى حق الله . . . وهلم جرا ، بخلاف القرآن ، الذى لم يذكر شيئا إلا عن موسى حين قتل المصرى عن غير عمد واستغفر ربه فى الحال فغفر له جل وعلا ، وإلا ما قاله فى حق ذى النون عندما ضاق ذرعا بقومه يأسا من صلاح حالهم فتركهم ومضى ، فكانت النتيجة أن التقمه الحوت حيث بقى فى بطنه يعانى بُرَحاء الهم والكرب إلى أن تجلى الله عليه برحمته . وهذه أو تلك ، كما ترى ، ليست خطيئة ، إذ إن قَتْل المصرى لم يكن مقصودا ، بل كان على سبيل الخطإ ، وتدارَك موسى الأمر فى الحال فاستغفر ربه من أعماق قلبه نادما مرتجفا مستعيذا بالله من الشيطان الرجيم عازما على أن يكون أكثر تنبها فى المرات القادمات وألا يكون ظهيرا للكافرين البتة . وكان الله عند حسن ظنه به فغفر له لمعرفته سبحانه أنه غير ملوم . كما أن ذا النون لم يقترف خطيئة ولا خطأ ، بل كل ما

وقع منه أنه ترك قومه يأسا منهم بعدما ذاق الأمرين في دعوتهم إلى دينه دون ثمرة ، وكان ينبغي ألا يفارقهم إلا بعد أن يأذن الله له . وهذا كل ما هنالك ، فلا خطيئة إذن . ذلك أن الأنبياء والرسل هم صفوة خلق الله الذين اختارهم سبحانه من بين البشر ، فلا يعقل أن يكونوا بهذا الخلق الإجرامي المنحط ، وإلا فقل: على النبوة العفاء . وهذا منطقي تماما ، لأنه إذا كان الأنبياء لا يتميزون عن سواهم من الناس وكانوا قابلين للوقوع في الجرائم والخطايا (لا الأخطاء التافهة التي لا يمكن البشر الفكاك منها مطلقا) فلا داعي إذن ولا معنى لشيء اسمه النبوة . ولينصرف كل نبي إلى حال سبيله ليصلح من شأنه ، وهيهات! وعلى هذا فسكوت القرآن عن ذكر خطايا عيسى لا يعني أنه انفرد من بين إخوانه الرسل بهذا ، بل هذا هو موقف القرآن منهم جميعا بوجه عام .

ونعود، كما وعدنا ، إلى قول واعظنا عن النبي محمد عليه الصلاة والتسليم: " لما كان محمد فتىً أتى إليه ملاكان وطهرا قلبه . وفي هذا يقول القرآن: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ ﴾ [الشرح: ١- ٣] . ومنذ ذلك الوقت أصبح له اللقب الشريف المصطفى فلم يكن صافيًا وطاهرًا في ذاته ، إنما أخذ الملاكان الوزر من قلبه تطهيرًا . لقد احتاج محمد إلى عملية جراحية للقلب لتنقية فؤاده قبل أن يصبح نبيًا ورسولا لله .
اعترف محمد شخصيًا ثلاث مرات في القرآن بأن كان يجب عليه استغفار ربه: ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٥٥﴾ ﴾ [غافر: ٥٥] . ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] . ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا

يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ [الأحزاب: ٣٧]. ويظهر أن أكثرية المسلمين يرفضون هذه الحقيقة ويؤولونها. إنما القرآن هنا واضح ويتكلم بصراحة. كان محمد إنسانًا طبيعيًا مولودًا من والدين طبيعيّين، فعاش حياة الفِطرة، وأخطأ مثلنا واستغفر ربه عن ذنوبه وخطاياه. أما المسيح فوُلد من روح الله، وهو كلمة الله المتجسّد، وعاش قُدّوسًا وطاهرًا منذ حداثته".

ونبدأ بتفسير الواعظ لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾﴾ [الشرح: ١- ٣]، الذى فسره بأن الملاكين قد جاءاه وهو صبى صغير فى كَنَف حليمة السعدية حسبما يروى بعض كتاب السيرة، فاستخرجا قلبه وغسلاه وطهراه وأعاداه مكانه الأول. والحق أنه لو كان الأمر كذلك فمعنى هذا أن محمدا قد تم تطهيره قبل أن يرتكب أى خطإ، ومعنى هذا بدوره أنه صلى الله عليه وسلم كان أحسن حظا من أخيه عيسى، الذى ظل دون عماد (أى ظل يعيش فى كنف الخطيئة) إلى أن تجاوز الثلاثين حسب كلام كتاب الأناجيل. ذلك أن التعميد فى النصرانية إنما هو لتطهير المتعمِّد من الخطايا ومساعدته على التوبة. وهذا واضح تماما من النص التالى الذى ننقله من بداية الإصحاح الثالث من إنجيل متى: "وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ جَاءَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ يَكْرِزُ فِي بَرِّيَّةِ الْيَهُودِيَّةِ ²قَائِلاً: «تُوبُوا، لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ. ³فَإِنَّ هذَا هُوَ الَّذِي قِيلَ عَنْهُ بِإِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ الْقَائِلِ: صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ. اصْنَعُوا سُبُلَهُ مُسْتَقِيمَةً». ⁴وَيُوحَنَّا هذَا كَانَ لِبَاسُهُ مِنْ وَبَرِ الإِبِلِ، وَعَلَى حَقْوَيْهِ مِنْطَقَةٌ مِنْ جِلْدٍ. وَكَانَ طَعَامُهُ جَرَادًا وَعَسَلاً بَرِّيًّا. ⁵حِينَئِذٍ خَرَجَ إِلَيْهِ أُورُشَلِيمُ وَكُلُّ الْيَهُودِيَّةِ وَجَمِيعُ الْكُورَةِ الْمُحِيطَةِ بِالأُرْدُنِّ، ⁶وَاعْتَمَدُوا مِنْهُ فِي الأُرْدُنِّ، مُعْتَرِفِينَ بِخَطَايَاهُمْ. ⁷فَلَمَّا رَأَى كَثِيرِينَ مِنَ الْفَرِّيسِيِّينَ وَالصَّدُّوقِيِّينَ يَأْتُونَ إِلَى

مَعْمُودِيَّتِهِ ، قَالَ لَهُمْ: «يَاأَوْلاَدَ الأَفَاعِي ، مَنْ أَرَاكُمْ أَنْ تَهْرُبُوا مِنَ الْغَضَبِ الآتِي؟ ٨فَاصْنَعُوا أَثْمَارًا تَلِيقُ بِالتَّوْبَةِ. ٩وَلاَ تَفْتَكِرُوا أَنْ تَقُولُوا فِي أَنْفُسِكُمْ: لَنَا إِبْرَاهِيمُ أَبًا. لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ اللهَ قَادِرٌ أَنْ يُقِيمَ مِنْ هذِهِ الْحِجَارَةِ أَوْلاَدًا لإِبْرَاهِيمَ. ١٠وَالآنَ قَدْ وُضِعَتِ الْفَأْسُ عَلَى أَصْلِ الشَّجَرِ، فَكُلُّ شَجَرَةٍ لاَ تَصْنَعُ ثَمَرًا جَيِّدًا تُقْطَعُ وَتُلْقَى فِي النَّارِ. ١١أَنَا أُعَمِّدُكُمْ بِمَاءٍ لِلتَّوْبَةِ، وَلكِنِ الَّذِي يَأْتِي بَعْدِي هُوَ أَقْوَى مِنِّي، الَّذِي لَسْتُ أَهْلاً أَنْ أَحْمِلَ حِذَاءَهُ. هُوَ سَيُعَمِّدُكُمْ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ وَنَارٍ. ١٢الَّذِي رَفْشُهُ فِي يَدِهِ، وَسَيُنَقِّي بَيْدَرَهُ، وَيَجْمَعُ قَمْحَهُ إِلَى الْمَخْزَنِ، وَأَمَّا التِّبْنُ فَيُحْرِقُهُ بِنَارٍ لاَ تُطْفَأُ». ١٣حِينَئِذٍ جَاءَ يَسُوعُ مِنَ الْجَلِيلِ إِلَى الأُرْدُنِّ إِلَى يُوحَنَّا لِيَعْتَمِدَ مِنْهُ. ١٤وَلكِنْ يُوحَنَّا مَنَعَهُ قَائِلاً: «أَنَا مُحْتَاجٌ أَنْ أَعْتَمِدَ مِنْكَ، وَأَنْتَ تَأْتِي إِلَيَّ!» ١٥فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: «اسْمَحِ الآنَ، لأَنَّهُ هكَذَا يَلِيقُ بِنَا أَنْ نُكَمِّلَ كُلَّ بِرّ». حِينَئِذٍ سَمَحَ لَهُ. ١٦فَلَمَّا اعْتَمَدَ يَسُوعُ صَعِدَ لِلْوَقْتِ مِنَ الْمَاءِ، وَإِذَا السَّمَاوَاتُ قَدِ انْفَتَحَتْ لَهُ، فَرَأَى رُوحَ اللهِ نَازِلاً مِثْلَ حَمَامَةٍ وَآتِيًا عَلَيْهِ، ١٧وَصَوْتٌ مِنَ السَّمَاوَاتِ قَائِلاً: «هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ»".

وأرجو أن نلاحظ معا كيف أنه لم يتم اعتراف السماء ببنوّة عيسى لله حسب اعتقاد النصارى إلا بعد التعميد ، أى بعد أن تم تطهيره وتوبته ، أما قبل ذلك فلا . كما أنه ، بعد أن وقع التطهير من الخطايا ، جاء الشيطان ليجربه فثبَت ، من خلال عصيانه لهذا الشرير ، أن التعميد قد أتى بمفعوله ، وإن لم يمنعه هذا من اللامبالاة فيما بعد بالقبض على يحيى (أستاذه ومعمِّده) وحبسه وقتله ، إذ انطلق هو وحواريوه بعد قطع رقبة يحيى عليه السلام إلى البرّية يأكلون ويشربون دون أن يذرفوا عليه دمعة أو يقولوا عنه كلمة تدل على أنه محط اهتمامهم ، وكأن يحيى لم يُجَزّ على مقربة منهم شرَّ جَزّ! كما أن تعميده ، عليه السلام ، لم يمنعه مثلا من توضيح أنه ما جاء لينقض

الناموس (الذى أكد أنه لن يزول حرف واحد أو حتى نقطة على حرف منه إلى أن تزول السماوات والأرضون، أى إلى يوم القيامة)، لينقضّ فى الحال على عدد من أحكامه فيلغيها إلغاء كما هو مسجل فى الإصحاح الخامس من متى، مناقضا بذلك نفسه مناقضة لا يمكن تسويغها بأى حال، ومدينا نفسه إدانة لا تغتفر حسب كلامه هو ذاته، إذ قال إن من ينقض أحد أحكام ذلك الناموس يكون أصغر فرد فى ملكوت السماوات: "١٧«لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ. ١٨فَإِنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ لاَ يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ. ١٩فَمَنْ نَقَضَ إِحْدَى هذِهِ الْوَصَايَا الصُّغْرَى وَعَلَّمَ النَّاسَ هكَذَا، يُدْعَى أَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. وَأَمَّا مَنْ عَمِلَ وَعَلَّمَ، فَهذَا يُدْعَى عَظِيمًا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. ٢٠فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ إِنْ لَمْ يَزِدْ بِرُّكُمْ عَلَى الْكَتَبَةِ وَالْفَرِّيسِيِّينَ لَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ". وهذه خطيئة، وأى خطيئة! كذلك فإنه، عليه السلام، فى الوقت الذى شدد فيه على تلاميذه أنه يجب عليهم أن يحبوا أعداءهم ويباركوا لاعنيهم ولا يكتفوا بحب من يحبونهم فقط، نراه عقب ذلك فى نفس الخطبة يلتفت إليهم وإلى من تبعه من الجموع متهما لهم بقلة الإيمان (متى/ ٦/ ٣١، و٨/ ٢٦)، ومناديا كل واحد منهم بـ"يا مرائى" (٧/ ٥)، وواصفا إياهم بأنهم "أشرار" (٧/ ١١). وقد تكرر منه هذا وأشباهه وأشد منه فى مواضع مختلفة من الأناجيل كما تعلم جميعا. ثم إنه كان يصلى ذات مرة فسأله أحد تلاميذه أن يعلمهم كيف يصلون فعلمهم الصلاة على النحو التالى كما فى الإصحاح الحادى عشر من إنجيل لوقا: "١وَإِذْ كَانَ يُصَلِّي فِي مَوْضِعٍ، لَمَّا فَرَغَ، قَالَ وَاحِدٌ مِنْ تَلاَمِيذِهِ: «يَارَبُّ، عَلِّمْنَا أَنْ نُصَلِّيَ كَمَا عَلَّمَ يُوحَنَّا أَيْضًا تَلاَمِيذَهُ». ٢فَقَالَ لَهُمْ: «مَتَى صَلَّيْتُمْ فَقُولُوا: أَبَانَا الَّذِي فِي

السَّمَاوَاتِ، لِيَتَقَدَّسِ اسْمُكَ، لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ، لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذلِكَ عَلَى الأَرْضِ. [3] خُبْزَنَا كَفَافَنَا أَعْطِنَا كُلَّ يَوْمٍ، [4] وَاغْفِرْ لَنَا خَطَايَانَا لأَنَّنَا نَحْنُ أَيْضًا نَغْفِرُ لِكُلِّ مَنْ يُذْنِبُ إِلَيْنَا، وَلاَ تُدْخِلْنَا فِي تَجْرِبَةٍ لكِنْ نَجِّنَا مِنَ الشِّرِّيرِ»"، فما معنى أمره لهم بأن يقولوا مثله: "وَاغْفِرْ لَنَا خَطَايَانَا"؟ معناه أنه كان يطلب من الله أن يغفر له خطاياه. وعلى كل فقد حسمها المسيح عليه السلام عندما صرح قائلا: "[11] اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَمْ يَقُمْ بَيْنَ الْمَوْلُودِينَ مِنَ النِّسَاءِ أَعْظَمُ مِنْ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ" (متى/ ١١). أى أن يحيى، حسب حكمه هو، أفضل منه. أليس عيسى واحدا من الذين ولدتهم النساء؟ كذلك حسمها عليه السلام عندما "[18] سَأَلَهُ رَئِيسٌ قَائِلاً: «أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ، مَاذَا أَعْمَلُ لأَرِثَ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ؟» [19] فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحًا؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحًا إِلاَّ وَاحِدٌ وَهُوَ اللهُ" (لوقا/ ١٨).

والآن ما هى الذنوب التى ارتكبها محمد عليه الصلاة والسلام فى نظر واعظنا الموقَّر؟ لنتركه يقول ما عنده بنفسه: "اعترف محمد شخصيًا ثلاث مرات في القرآن بأن كان يجب عليه استغفار ربه: ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ ﴾ [غافر: ٥٥]. ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩]. ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٧]. ويظهر أن أكثرية المسلمين يرفضون هذه الحقيقة ويؤولونها". هذا ما قاله الواعظ، والآن إلى القارئ الكريم تعليقنا على هذا الذى قاله: فأولا محمد عليه الصلاة والسلام لم

يعترف فى القرآن بشىء، بل هو كلام الله لا كلام الرسول . وثانيا ما هى يا ترى تلك الذنوب التى عزاها الواعظ إلى رسول الله تحديدا؟ الواقع أنه لا يوجد شىء من هذا القبيل على الإطلاق، فلا الرسول قد زنى مثلا ولا أراق دما زكيا ولا كذب على أحد ولا حقد عليه ولا أوقع بين أحد من البشر ولا تهاون فى تبليغ الدعوة التى كُلِّف بها ولا حاد عنها وقَبِل من الوثنيين وثنيتهم ولا شرب خمرا ولا سرق ولا استبد بالناس وروّعهم ولا أجحف بحقوقهم ولا ولا ولا مما لم يترك مؤلفو الكتاب المقدس أحدا من الأنبياء إلا زَنُّوه بشىء منه أو أكثر كما يعرف كل من قرأ ذلك الكتاب، وإلا فليدلّنا الواعظ النصرانى على أى مصدر يقول إن الرسول قد أتى أمرا من هذه الأمور! الحق أنه لا يوجد شىء من ذلك لا فى القرآن ولا فى الأحاديث ولا فى كتب السيرة والتاريخ.

إن استغفار الإنسان ربه إنما هو دليل الإيمان القوى به والخشية الشديدة منه والرجاء الكبير فيه سبحانه، وليس شرطا حينئذ أن يكون قد اجترح إثما، بل يمكن جدا أن يكون، كما فى حالة الرسول محمد عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليمات، قد اجتهد فلم توافقه السماء على اجتهاده، كما حدث مثلا حين أتاه أحد المسلمين وهو يحادث بعض الكفار العتاة فى جلسة هادئة رجا منها أن يكونوا أفضل إنصاتا، ومن ثم أحرى أن يهتدوا إلى الحق بعيدا عن مؤثرات الجماهير وأصوات العصبية، فبان فى وجهه صلى الله عليه وسلم شىء من عدم الارتياح ظنا منه أنه سيفسد جو الجلسة التى لم يكن يطمع فى أفضل منها، فنزل القرآن معاتبا له عليه السلام. فإن شئت أن تأخذ بما يقوله بعض المفسرين من أن الكلام فى الآيات موجه له فليكن، فهذا كل ما يمكن أن يقال عن الذنب الذى وقع منه صلى الله عليه وسلم مما ينبغى أن يستغفر ربه منه، لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين كما

يقال . وهو ، كما نرى ، أمر من التفاهة بمكان ، لكن الرسول إنما يحلق فى أفق آخر لا نظير له في السمو والسموق ، فكان لا بد من الاستغفار . وهذا إن أخذنا بذلك التفسير ، ولم يكن الانتهار موجها إلى أحد الكفار الحاضرين لا إليه صلى الله عليه وسلم كما يقول بعض العلماء الآخرين .

أما مسألة زينب وزواجه صلى الله عليه وسلم بها فلنفترض أسوأ ما يمكن أن يكون قد حصل ، وهو أنه عليه السلام قد رآها فوقعت فى نفسه وأحبها ، فما الذى حدث عندئذ؟ الذى حدث هو أنه صلى الله عليه وسلم كتم هواه ، ولم يستجب للعرض الذى عرضه عليه زيد زوجها بأن يطلقها ليتزوجها هو . فما وجه الخطإ هنا؟ هل يلام عليه السلام فى شىء لا مسؤولية فيه عليه؟ إن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن ، ولا تدخل فى سلطان صاحبها ولا تخضع لسيطرته ، ومن ثم فلا ملام عليه فيما يشعر به فى مجال المشاعر والعواطف ، والمهم ألا يستجيب لدواعى الشهوة فينغمس فى الحرام أو على الأقل: فيما لا يليق . فهل صدر عنه صلى الله عليه وسلم شىء من هذا؟ لا ثم لا ثم لا . فما المشكلة إذن؟ وهذا إن كان الأمر كما افترض بعض من يظنون أنهم يستطيعون الإساءة إليه ، وسايرتُهم أنا فيما افترضوه .

لكن الحكاية الحقيقية تختلف عن هذه تماما ، إذ كانت العلاقة بين زيد وزوجته يسودها التوتر منذ البداية لأنها كانت تشعر أنها من أعز قبيلة عربية ، وهى قبيلة قريش ، بينما زيد من قبيلة بنى كلب المغمورة ، فضلا عن أنه خَبَرَ الرِّقَّ فى بعض أطوار حياته ، فكان زيد يخبر النبى بأنه لم يعد يرى فى الاستمرار فى الزواج أى معنى ، لكن النبى كان يَثْنِيه عن عزمه هذا ، على حين تريد السماء منه أن يتزوج زينب بعد تطليق زيد لها حتى يقضى على التقليد الغريب الذى كان يرى فى الابن المتبنَّى نفس حقوق الابن

الطبيعي وما يترتب على وضعه من أحكام تشريعية وأوضاع اجتماعية، وهو ما كان النبي يخشاه، خوفا من انتقاد المتقدين وتشنيع المشنّعين. وهنا نزلت الآية الخاصة بذلك الموضوع من سورة "الأحزاب" والتي تعاتبه على أنه يخشى الناس والله أحق أن يخشاه. وتمامها: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا ﴾ (أي تزوجها ونال منها ما يناله الرجل من زوجته) زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ﴾. فواضح من الآية أنه لا علاقة بينها وبين ما يتقوله المتقولون على النبي عليه السلام مما لا مطعن فيه مع ذلك عليه، بل له الشرف كل الشرف أنْ استطاع أن يكتم مشاعره ولم يسمح لها بالاشرئباب رغم ما عرضه عليه زيد من تطليق زينب كي يتزوجها عليه السلام. نخرج من هذا كله بأن أقصى ما يمكن أن نتصور وقوعه منه صلى الله عليه وسلم مما استوجب استغفار ربه هو تصرفه نحو ابن أم مكتوم حين عبس وتولى بوجهه رجاء أن ينصرف ويأتيه في وقت آخر لا يكون حاضرا فيه ذلك النفر من المشركين الذين كان يطمع في حسن إصغائهم لما يقول وإيمانهم به، على حين يستطيع ابن أم مكتوم أن يطرق بابه في أي وقت آخر ليسأله عما يريد. أما هؤلاء المشركون فنادرًا ما كانت تتاح له معهم مثل تلك الفرصة السانحة! وهذا، بكل يقين، أقل بكثير مما ذكرنا وقوعه من المسيح عليه السلام.

* * *

٥- الوحي لمحمد والمسيح

* تلقى محمد الوحي بواسطة الملاك جبرائيل الروح الأمين. ورد في الأحاديث الصحيحة أنه كان إذا نزل عليه الوحي يُغْشَى عليه. وفي رواية: يصير كهيئة السكران. يعني: يقرب من حال المغشي عليه لتغيّره عن حالته

المعهودة تغيرًا شديدًا حتى تصير صورته صورة السكران. وقال علماء المسلمين إنه كان يُؤخذ من الدنيا. وعن أبي هريرة: كان محمد إذا نزل عليه الوحي استقبلته الرعدة. وفي رواية: كرب لذلك وتربّد له وجهه وغمّض عينيه، وربما غطّ كغطيط البكر. وعن عمر بن الخطاب: كان إذا نزل عليه الوحي يُسْمَع عند وجهه كدويّ النحل. وسُئل محمد: كيف يأتيك الوحي؟ فقال: أحيانًا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشدّ عليّ، فيفصم عني وقد وعيت ما قال. وأجمع علماؤهم على أن محمدًا كان يجد ثقلا عند نزول الوحي ويتحدر جبينه عرقًا في البرد كأنه الجُمان، وربما غط كغطيط البكر، محمرة عيناه. وعن زيد بن ثابت: كان إذا نزل الوحي على محمد ثقل لذلك. قال: ومرة وقع فخذه على فخذي، فوالله ما وجدت شيئًا أثقل من فخذ محمد. وربما أُوحِيَ إليه وهو على راحلته فترعد حتى يظن أن ذراعها ينقسم، وربما بركت. فالله لم يكلم محمدًا شخصيًّا، بل أوحى له بواسطة الملاك جبرائيل فقط، فكان الله بعيدًا عنه حتى أثناء الإيحاء. لم يرسل الله الملاك جبرائيل إلى المسيح البتَّة، ولم يتقبل المسيح وحيًا بواسطة شخص ثالث، لأنه كان نفسه قول الحق المتجسد- سورة مريم ١٩: ٣٤، وكلمة الله الأزلي، وروحًا منه، منبثقًا من الله نفسه عارفًا إرادته. فإن أراد أحد أن يتعمق في مشيئة الله فليدرس سيرة المسيح لأنه كلمة الله القدير المتجسد. يخبرنا القرآن أن الله ذاته علَّم المسيح قبل تجسده الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾﴾ [آل عمران: ٤٨]. فلم يتكلم إلا بكلام الله، وكان ينطق حسب القرآن بالوحي فورًا بعد ولادته معزيًا أمه ومرشدًا إياها: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾

[مريم: ٢٤ - ٢٦]. لقد تكلم المسيح حسب القرآن بكلمة الله وهو طفل بغير حاجة إلى ملاك أو وسيط لأنه كان فم الله وروحه ووحيه شخصيًا. لذلك عملت قوة الله في ابن مريم ظاهرة في الخلق والشفاء والغفران والتعزية والتجديد. إن خلاصة الوحي لمحمد في القرآن والحديث هي الشريعة التي تتضمن الأوامر والنواهي الإلهية: فوحي محمد أتى بكتاب: القرآن والشريعة، أما خلاصة الوحي للمسيح فهي ذاته لأن إنجيله ليس شريعة بل إعلان حياته وأقواله ووصف شخصيته. وقد منح المسيح أتباعه قوة روحه القدوس لإتمام وصاياه. فأتباع المسيح لا يؤمنون بالدرجة الأولى بكتاب ولا بدين ولا يعيشون تحت الشريعة، بل يؤمنون بشخص فريد، ويتعلقون بالمسيح شخصيًا ويتبعونه. فالمسيح هو وحي الله بالذات.

** هذه الفقرة مملوءة باللخبطات والتناقضات والكلام الكبير الذى ليس وراءه طائل، ولنبدأ على بركة الله: أولا الملاك جبريل، أى الروح الأمين حسبما جاء فى كلام الواعظ، هو هو الروح القدس، فقد جاء فى سورة "الشعراء" خطابا إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥]، وهو نفسه ما نقرؤه فى سورة "النحل" حيث يقول رب العزة لرسوله محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [النحل: ٩٨ - ١٠٢]. والآن هل صحيح أن الروح القدس لم يكن له دور فى حياة السيد المسيح كما يزعم

الواعظ هنا؟ سأترك "دائرة المعارف الكتابية" نفسها تتولى الجواب على هذا السؤال، إذ نقرأ في مادة "الروح القدس" ما يلي:

"بدأ عصر الانجيل بتحرك خاص من الروح القدس، فنقرأ عن يوحنا المعمدان السابق للمسيا أنه "من بطن أمه يمتلئ من الروح القدس" (لو ١: ١٥ و٨٠)، وبوحي من الروح أدرك سمعان الشيخ ظهور المسيا في شخص الطفل يسوع (لو ٢: ٥٢)، كما أن الملاك أعلن ليوسف أن الذي حُبِل به في مريم "هو من الروح القدس" (مت ١: ٢٠)، وبذلك تأيدت العبارة السابقة: "وُجِدَتْ حبلى من الروح القدس (مت ١: ١٨). وهكذا قال الملاك للعذراء مريم: "الروح القدس يحلّ عليك، وقوة العَلِيّ تُظلِّلك. فلذلك أيضا القدوس المولود منك يدعى: ابن الله" (لو ١: ٣٥). وعندما كان يسوع في الثلاثين من عمره جاء ليعتمد من يوحنا المعمدان، وكما حُبِل بيسوع بالروح القدس فولد "قدُّوسا" هكذا نزل عليه، عند المعمودية، الروح القدس "بهيئة جسمية مثل حمامة" إعلانا بأنه المسيا القدوس (مت ٣: ١٦، لو ٣: ٢٢). ولعل الرسول بطرس كان يشير إلى هذه الحادثة في حديثه الأول للأمم عن "يسوع الذي من الناصرة كيف مسحه الله بالروح القدس والقوة" (أع ١٠: ٣٨). ويشير يوحنا إلى ذلك بالقول: "لأن الذي أرسله الله يتكلم بكلام الله، لأنه ليس بكيل يعطي الله الروح" (يو ٣: ٤٣). وكانت قوة الروح القدس واضحة في حياة يسوع وخدمته، فبعد صعوده من الماء مباشرة أخرجه الروح إلى البرية حيث واجه المجرب (مت٣: ١ - ٣، مرقس ١: ١٢ و١٣، لو ٤: ١ - ٣)، وغلبه بقوة الروح القدس باعتباره "آدم الأخير"، أي الإنسان الكامل. وقد نسب الرب قدرته على إخراج الأرواح النجسة إلى الروح القدس (مت ١٢: ٢٨). وهكذا كان الأمر بالنسبة لتعليمه، فقد مسحه الروح القدس ليبشر المساكين ولينادي للمأسورين بالإطلاق (لو ٤:

١٨) . وطوال خدمته هنا على الأرض كان الناس ينبهرون من تلك القوة العجيبة التي له حتى قالوا: "إنه مختل" (مرقس ٣: ٢١) ، كما "بهتوا من تعليمه لأنه كان يعلمهم كمن له سلطان" (مرقس ١ : ٢١) . كما كان يبدو أحيانا متجاهلاً لحاجاته الجسدية (يو ٤: ٣١) حتى قال البعض عنه: "إنه سامري ، وبه شيطان" (يو ٨: ٤٨) . وعندما رجع السبعون من جولة كرازية ناجحة "تهلل يسوع بالروح" (لو ١٠: ٢١) . وقد يسأل البعض هذا السؤال: إذا كان يسوع هو الله الابن ، فلماذا كان في حاجة إلى قوة الروح القدس لإتمام خدمته؟ ويرجع جانب من الجواب إلى ناسوته الكامل الذي أخذه في تجسده ، فلم يقلل من ناسوته كونه الله ، فلم تحجب قدرته الالهية ناسوته ، فهو كإنسان كامل عاش معتمدًا على روح الله . فيسوع ، إذ صار إنسانا ، كان يعتمد على روح الله الحالّ فيه ، ولهذا فهو في تدبير الخلاص أخذ دور المسيا ، أي الذي مسحه روح الله ، وفي نفس الوقت كان مدركا لسلطانه الإلهي المطلق ، فهو لم يكن كسائر الأنبياء ، فلم يقل: هكذا يقول الرب ، بل: الحق الحق أقول لكم".

ومن هذا النص الذى اعتمد تمام الاعتماد على ما ورد فى العهد الجديد ، وبالذات الأناجيل ، نرى أن الروح القدس لم يترك عيسى بن مريم بتاتا فى أى أمر من أموره ، على عكس ما يقول واعظنا الطيب الذى على نياته (وأكتفى بهذا فلا أصفه بشىء آخر) ، حتى إن كاتب المادة يقول بعظمة لسانه: "إذا كان يسوع هو الله الابن ، فلماذا كان في حاجة إلى قوة الروح القدس لإتمام خدمته؟" ، وهو سؤال لا معنى له إلا أنه المسيح رغم كونه إلها كان بحاجة إلى الروح القدس! فلماذا ، يا واعظنا الطيب الذى على نياته ، ترى أن نزول روح القدس على سيدنا محمد هو نقصٌ فيه وفى رسالته ، وهو الذى لم يدّع يوما ولا ادّعى عنه أتباعه أنه إله أو ابن للإله أو فيه شىء

مما يختص به الإله، في الوقت الذي يحتاج المسيح (الإله أو ابن الإله حسب اعتقادكم) إلى الروح القدس في كل خطوة من خطواته، وهذا إن كان الآلهة يمشون ويَخْطُون؟ فهل ترى أن محمدا يفترق عن الإله عندكم؟ ولسوف نرى أن الأمر لا يقف عند هذا الحد، بل سيتبين أن محمدا، رغم الأخوة التي تربطه بعيسى وكل الأنبياء، قد فضّله الله على جميعهم، بما فيهم عيسى، بأشياء لا يمكن لمن عنده بعض إنصاف أن يماري فيها. ولْننتظر، فكل شيء بأوانه. ومع ذلك كله فليس نزول الوحي على محمد أو على عيسى عليهما السلام عن طريق الروح القدس معناه أن الله كان بعيدا عنهما، فالله ليس بعيدا عن أي من مخلوقاته، بل هو سبحانه لا يوصف في الحقيقة بقرب ولا بعد، لأنه فوق الزمان والمكان، إذ هو خالقهما، وهو سبحانه وتعالى أقرب لنا جميعا من حبل الوريد، وهو معنا حيثما كنا، فكيف برسله المُصْطَفَيْنَ الأخيار؟ أما أن محمدا عليه السلام كان يعاني عند نزول الوحي فلنعرف أنه على قدر ضخامة المسؤولية يكون العناء، ولم تكن رسالة محمد، كما هو الحال في دين عيسى طبقا لما نقرؤه في الأناجيل، بعضا من المواعظ الأخلاقية الخالية من التشريعات والتوجيهات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية، أو رسالة قبلية أو قومية مؤقتة، بل كانت رسالة شاملة لكل مناحي الحياة، وموجهة إلى البشر جميعا منذ أن نزلت إلى يوم يُبْعَثون.

ونأتي إلى قول واعظنا الطيب الذي على نياته: "لم يرسل الله الملاك جبرائيل إلى المسيح البتة، ولم يتقبل المسيح وحيًا بواسطة شخص ثالث، لأنه كان نفسه قول الحق المتجسد- سورة مريم ٣٤، وكلمة الله الأزلي، وروحًا منه، منبثقا من الله نفسه عارفًا إرادته. فإن أراد أحد أن يتعمق في مشيئة الله فليدرس سيرة المسيح لأنه كلمة الله القدير المتجسد. يخبرنا القرآن أن الله

ذاته علّم المسيح قبل تجسده الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ﴿وَيُعَلِّمُهُ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾﴾ [آل عمران: ٤٨]. فأما الجزء الأول من
كلامه فقد أثبتنا من كلام علماء النصارى فى "دائرة المعارف الكتابية" أنه غير
صحيح البتة، وتبقى دعواه بأن القرآن يقول عن عيسى عليه السلام فى
سورة "مريم" إنه "قول الحق المتجسد". فهل هذا صحيح؟ تعالَوْا نقرا معا ما
جاء فى تلك السورة:

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ
حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا
﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ
يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً
لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾
فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾
فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ
عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ
لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ۖ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ
شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ
قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾
وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ
يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ
عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَانَهُ ۚ إِذَا قَضَىٰ
أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَاخْتَلَفَ
الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾ [مريم: ١٦ - ٣٧].

والمعنى، كما يفهمه الناطقون بالعربية، أن ما روته الآيات هنا عن

السيد المسيح إنما هو قول الحق لا ما يقوله المسترون المؤلهون له الزاعمون أنه الله نفسه أو ابن الله . أى أن هذا هو وضع عيسى حسب قول الحق لا أن عيسى نفسه هو قول الحق . ومن هنا عقبت الآيتان اللتان تليان ذلك بقولهما على لسان عيسى ذاته: ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ [مريم: ٣٥ - ٣٦] . لكن الواعظ الطيب الذى على نياته يحاول أن يحرف المعنى عن مواضعه، وهيهات! فعيسى ينفى أن يكون الله قد اتخذ ولدا أو يمكن أن يتخذ ولدا، كما يؤكد عليه السلام أن الله هو ربه ورب البشر جميعا وليس أباه، فضلا عن أن يكون هو هو نفسه! ومع ذلك فإن نيافة الواعظ الطيب الذى على نياته يظن أنه من الذكاء بحيث يستطيع خداع المسلمين عما يقوله القرآن . فهل هذا يصح يا نيافة الواعظ المبجّل؟ ولنفترض أن عيسى هو نفسه قول الحق، فما الذى يترتب على ذلك مما يريد واعظنا الطيب الذى على نياته أن يرتبه له؟ لا شىء، فنحن كلما استشهدنا بنص قرآنى ردّدْنا عبارة "قال الله تعالى"، بما يعنى أن الآية أو الآيات القرآنية المستشهد بها هى "قول الله"، لكن هذا لا يجعل قول الله ذاك هو الله ذاته، مثلما أننا نحن البشر خلق الله، لكن هذا لا يجعلنا نحن الله. إن إضافة الشىء هنا إلى الله لا يجعل ذلك الشىء هو الله نفسه كما هو واضح وضوح الشمس! فقول الله ليس هو الله، وخلق الله ليس هو الله! بل نحن هنا أمام طرفٍ فاعلٍ وطرفٍ مفعولٍ لا أمام طرفٍ واحدٍ وذاته، ولا أدرى أى شيطان قد سوّل لذلك الواعظ أن يهرف بما لا يستقيم فى العقل ولا فى اللغة!

كذلك فإن قول واعظنا المبجل إن "القرآن يخبرنا أن الله ذاته علّم المسيح قبل تجسده الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [آل عمران: ٤٨] هو أيضا قول غير صحيح، إذ ليس فى

القرآن هنا ولا فى أى مكان آخر منه أى كلام عن التجسد لتناقضه الأبلق مع دعوته التوحيدية السمحة المستقيمة . ولنرجع إلى سورة "آل عمران" التى نقل منها الواعظ ما نقل لنقرأ النص فى سياقه كاملا: ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (٤٦) قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٤٧) وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ (٤٨) وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٤٩) وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٥٠) إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٥١) ﴾ [آل عمران: ٤٥ - ٥١] . والآن هل يستطيع عاقل أن يجد فى تلك الآيات أى كلام أو حتى مجرد إشارة إلى التجسد، أو أى شىء يمكن أن يفهم منه، ولو على سبيل التوهم من بعيد، أن الله قد علم عيسى التوراة والإنجيل وهو لا يزال فى بطن أمه؟ ترى هل فى بطون الأمهات كتاتيب ورياض أطفال ومدارس وجامعات؟ ليس فى النص أى شىء يستدل به على أن ذلك التعليم تم قبل ولادة عيسى عليه السلام، بل النص واضح الدلالة على أن وجاهته وتكليمه الناس فى المهد وفى الكهولة وتعليمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإرساله إلى بنى إسرائيل، كل ذلك سوف يتم بعد ولادته . ولنلاحظ، فيما يخص تعليمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل، أنه معطوف على تكليمه الناس فى المهد وفى الكهولة، وتكليمه الناس فى المهد وكهلا لم يتم إلا بعد نزوله بطن أمه، كما أن الفعل هنا هو نفسه هناك،

ألا وهو الفعل المضارع بما لا يمكن أن يقال معه إن لكل من الأمرين زمنا خاصا يختلف عن زمن وقوع الآخر، كما أن المضارع لا يدل على الزمان الماضى فى مثل هذا السياق أبدا. وهذا كله مما يستحيل معه أن يكون تعليم الله لعيسى الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل قد تم وهو لا يزال فى عالم الرحم ولم ينزل إلى الدنيا! ثم كيف يتم تعليم قبل أن يوجد المتعلم؟ إن هذا هو المستحيل بعينه. لا بد أن يوجد المتعلم أولا ليكون ثَمّ تعليمٌ ثانيا. هذه بديهية لا يغتفر تجاهلها! لكن متى كان القوم يراعون البديهيات أو يحترمون المنطقيات؟

وبالنسبة إلى ما ذكره الواعظ فى المقارنة بين الدينين: دين محمد ودين عيسى، وما جاء به هذان العظيمان، نقول إننا لا نختلف معه كثيرا فيما قاله من أن "وحي محمد أتى بكتاب: القرآن والشريعة، أما خلاصة الوحي للمسيح فهي ذاته لأن إنجيله ليس شريعة بل إعلان حياته وأقواله ووصف شخصيته". ذلك أن الإسلام شريعة وليس مجرد عبادة أو مجموعة من الأخلاق، وهذه الشريعة تغطى كل جوانب الحياة وأنشطة الحضارة البشرية كما هو معلوم، أما دين عيسى فلا يعدو بعض الوعظيات المغرقة فى المثالية والتى لا تصلح لأى بناء اجتماعى أو حضارى على الإطلاق. ومن هنا نفهم تأكيد السيد المسيح بأن مملكته ليست من هذا العالم، فهى عبارة صادقة، إذ إن ما نسبه إليه مؤلفو الأناجيل من مواعظ أخلاقية هى كلمات لا تسمن ولا تغنى من جوع، كما أن التصرفات المضافة له هناك من شأنها أن تقوض المجتمعات التى تحاول أن ترتكن إليها: فمثلا كيف يقوم مجتمع أو حضارة على نبذ العمل والمال تماما طبقا لما كان عيسى يأمر به أتباعه؟ أو كيف يقوم مجتمع أو حضارة على أساس التسليم للمجرمين لا بما يريدون فقط بل بأزيد مما كانوا يحلمون بحيث إذا هاجمك لص مثلا وأراد غَصْبك

رداءك فعليك أن تتنازل له عن الإزار أيضا . . . إلى آخر ما نعرفه عن موعظة الجبل وما يشبهها من الكلام المنمّق الجميل فى الأناجيل الذى لا يؤكّل عيشا . وبالمناسبة فالإزار هو قطعة الملابس التى تغطى الجزء الأسفل من الجسم ، ومن هنا يرانى القارئ أقول دائما إن عليه فى هذه الحالة أن يمشى "بلبوصا" ! . وأخيرا فلسنا نحب أن يفوتنا التنبيه إلى قول الواعظ ، وهو يتخبط فى كلامه عن المسيح من فقرة إلى أخرى ، بل من سطر إلى سطر أحيانا ، إن "المسيح هو وحي الله بالذات" ، وهو ما يفيد أنه عليه السلام ليس هو الله . ذلك أن وحى الله شىء ، والله شىء آخر . أم هناك من يَقِلّ عقله ويمارى فى هذا؟ وعلى كل حال فالحمد لله الذى لا يحمد على مكروه ولا محبوب سواه أن اختزل الواعظ الكريم السيد المسيح بجلالة قدره إلى مجرد وحى!

وعلى كل حال فليس عيسى هو وحده الذى كان "يقول" ، بل هذا أمر عام عند الأنبياء الآخرين ، إذ كانوا هم أيضا "يقولون" . وهذه بعض شواهد: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٧٤) ﴾ [الأنعام: ٧٤] ، ﴿ فَلَمَّا رَءَا (أى إبراهيم) ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (٧٩) وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٨٠) وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨١) ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ (٨٢) ﴾ [الأنعام: ٧٨ - ٨٢] ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٥٩) قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٦٠) قَالَ

يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ
لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ
لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِي ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا
ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟
ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي
سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن
رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ
ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ
نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا
لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ
﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسْمَآءٍ
سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ
ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا
وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ
إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا
تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ
خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ
ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [الأعراف:٥٩-٧٤]،
﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى
ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾﴾
[الأعراف: ١٠٤ - ١٠٥]، ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ
يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا
وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي

ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٢٨ - ١٢٩].

أما بالنسبة للرسول محمد فإلى القارئ الآيات القرآنية التالية: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٢٣ - ١٢٥]، ﴿ وَلَئِن قُلْتَ (يا محمد) إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [هود: ٧]، ﴿ قَالَ (أى النبى محمد) رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنبياء: ٤]، إلى جانب آيات أخرى يأمر فيها الله سبحانه نبيه محمدا أن يقول لقومه كذا وكذا، وهى آيات كثيرة جدا. وهذا فى القرآن، والأناجيل إنما تشبه سيرة النبى، ومن ثم فكلام عيسى بن مريم فيها لا يناظر ما جاء منسوبا للنبى محمد فى القرآن، بل يناظر كلامه عليه السلام فى السيرة وفى الأحاديث. ومعروف أن الأغلبية الساحقة من أحاديثه صلى الله عليه وسلم تبدأ بعبارة "قال رسول الله"، وكلها فى العقيدة والتشريع والتوجيه الأخلاقى والسلوكى. ولو قمنا بعمل مقارنة بين عدد الأحاديث والخطب النبوية ونظائرها عند السيد المسيح عليه السلام لرجحت كفة النبى محمد بلا أدنى جدال. وإذا أردنا عبارة "أقول لكم" التى وردت فى كلام السيد المسيح فها هى ذى بعض الشواهد على ذلك: "قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال فقال: إني لأنذركموه، وما من نبي إلا أنذره قومه. لقد أنذر نوح قومه، ولكني أقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لقومه..."، "ضربت امرأة ضرتها بحجر وهي حبلى فقتلتها، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما في بطنها غُرّة، وجعل عقلها على عصبتها. فقالوا: أنغرم من لا شرب ولا أكل ولا استهل؟ فمثل ذلك يُطَلّ.

فقال: أسجع كسجع الأعراب؟ هو ما أقول لكم"، "إن الله يأجركم على تلاوته (أى القرآن) بكل حرف عشر حسنات. أما إني لا أقول لكم: "الم" حرف، ولكن ألِفٌ حرف، ولام حرف، وميم حرف: ثلاثون حسنة"، "إياكم والبِغْضة، فإنها هيَ الحالقة. لا أقول لكم: تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين". كما أن قول السيد المسيح فى الأناجيل: "الحق أقول" قد ورد على لسان الخضر فى حديث من أحاديث "الزَّهر النَّضِر" رواه ابن حجر العسقلانى، ونص العبارة كاملة: "نعم، الحقَّ أقول: لقد سألتَني بأمر عظيم. أما إني لا أخيّبك. بوجه ربي يعْنِي". وهناك حديث يشهد فيه النبى لعمر على النحو التالى: "إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه". وفى حديث آخر نسمع أبا ذر الغفارى رضى الله عنه يقول عن الرسول عليه السلام: "وأوصاني أن أقول الحق، وإن كان مرا"، وهى كعبارة "الحق أقول"، إلا أنها جرَتْ على التركيب الأصلى من سَبْق الفعل للمفعول به.

ثم إن بولس قد استخدم هو أيضا هذه العبارة: "وَالآنَ أَقُولُ لَكُمْ: تَنَحَّوْا عَنْ هؤُلاَءِ النَّاسِ وَاتْرُكُوهُمْ!" (أعمال الرسل/ ٥/ ٣٨)، "هَا أَنَا بُولُسُ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ إِنِ اخْتَتَنْتُمْ لاَ يَنْفَعُكُمُ الْمَسِيحُ شَيْئًا!" (رسالة بولس إلى أهل غلاطية/ ٥/ ٢، وهو كلام خطير كما يرى القراء، إذ لو كان عيسى إلها فكيف يجرؤ بولس، مهما كانت الأسباب، على القول بأنه لن ينفع عباده بشىء؟)، "وَأَعْمَالُ الْجَسَدِ ظَاهِرَةٌ، الَّتِي هِيَ: زِنىً عَهَارَةٌ نَجَاسَةٌ دَعَارَةٌ. عِبَادَةُ الأَوْثَانِ سِحْرٌ عَدَاوَةٌ خِصَامٌ غَيْرَةٌ سَخَطٌ تَحَزُّبٌ شِقَاقٌ بِدْعَةٌ. حَسَدٌ قَتْلٌ سُكْرٌ بَطَرٌ، وَأَمْثَالُ هذِهِ الَّتِي أَسْبِقُ فَأَقُولُ لَكُمْ عَنْهَا كَمَا سَبَقْتُ فَقُلْتُ أَيْضًا: إِنَّ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ مِثْلَ هذِهِ لاَ يَرِثُونَ مَلَكُوتَ اللهِ" (رسالة بولس إلى أهل غلاطية/ ١٩- ٢١). بل لقد ردد قول المسيح بنصه: "اَلْحَقَّ أَقُولُ فِي الْمَسِيحِ وَلاَ أَكْذِبُ، مُعَلِّمًا لِلأُمَمِ فِي الإِيمَانِ وَالْحَقِّ" (رسالة بولس الأولى

إلى تيموثاوس/ ٢/ ٧)، فهل نقول إنه هو أيضا إله أو ابن للإله؟ كما أن المسيح قد استعمل بدوره عبارة "قال الرب" التي ينكر الواعظ الطيب الذى على نياته أن يكون قد قالها: "وَقَالَ لَهُمْ (اى المسيح) أَيْضًا مَثَلاً فِي أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُصَلَّى كُلَّ حِينٍ وَلاَ يُمَلَّ، قَائِلاً: «كَانَ فِي مَدِينَةٍ قَاضٍ لاَ يَخَافُ اللهَ وَلاَ يَهَابُ إِنْسَانًا. وَكَانَ فِي تِلْكَ الْمَدِينَةِ أَرْمَلَةٌ. وَكَانَتْ تَأْتِي إِلَيْهِ قَائِلَةً: أَنْصِفْنِي مِنْ خَصْمِي!. وَكَانَ لاَ يَشَاءُ إِلَى زَمَانٍ. وَلكِنْ بَعْدَ ذلِكَ قَالَ فِي نَفْسِهِ: وَإِنْ كُنْتُ لاَ أَخَافُ اللهَ وَلاَ أَهَابُ إِنْسَانًا، فَإِنِّي لأَجْلِ أَنَّ هذِهِ الأَرْمَلَةَ تُزْعِجُنِي، أُنْصِفُهَا، لِئَلاَّ تَأْتِيَ دَائِمًا فَتَقْمَعَنِي!». وَقَالَ الرَّبُّ: «اسْمَعُوا مَا يَقُولُ قَاضِي الظُّلْمِ. أَفَلاَ يُنْصِفُ اللهُ مُخْتَارِيهِ، الصَّارِخِينَ إِلَيْهِ نَهَارًا وَلَيْلاً، وَهُوَ مُتَمَهِّلٌ عَلَيْهِمْ؟ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ يُنْصِفُهُمْ سَرِيعًا! وَلكِنْ مَتَى جَاءَ ابْنُ الإِنْسَانِ، أَلَعَلَّهُ يَجِدُ الإِيمَانَ عَلَى الأَرْضِ؟»" (لوقا/ ١٨/ ١- ٨). فماذا إذن؟ إن المسألة، كما هو واضح، لا تستحق كل هذه الطنطنة!

* * *

٦- آيات محمد وآيات المسيح

* العجائب التي وهبها الله لمحمد هي آياته الفريدة في سور القرآن، فليست آيات محمد أعمالا بل كلامًا. ويشهد القرآن للمسيح بكلمات محدودة، إنما يبرز أعماله العجيبة وشفاءاته المتعددة. لم يلعن المسيح أعداءه، ولم يتصرف كجبار شقي، بل أظهر نفسه أنه ينبوع اللُّطف ومصدر المحبة والرحمة، وعظمت قوة الله فيه بآيات متعددة عجيبة.

الطبيب الأعظم المبارك

أ- لقد برهن القرآن أن المسيح شفى العُمْي بدون عملية جراحية وبلا أدوية، وأبراهم بكلمته القوية، وتضمنت كلماته قوة شافية آنذاك وحتى

اليوم . فالمسيح هو المبارك أينما يكون ومنبع البركة لجميع الناس في كل العصور - سورة آل عمران ٤٩ ، وسورة مريم ٣١ .

ب- لم يَخفْ ابن مريم من الأبرص بل لمس جلده وشفاه بكلمة سلطانه ، فالمسيح هو الطبيب الأعظم في كل أوان . أحب المساكين وقبل المرضى وخلق فيهم رجاءً وإيمانًا بقدرته ، وشفى كل مريض تقدم إليه .

محيي الموتى

ج- وأعظم عمل قام المسيح به هو إقامة الموتى المشهود له من الإنجيل والقرآن . لقد أقام ابن مريم طفلة صغيرة ، وشابًا راشدًا ، ورجلاً بالغًا من الموت . فمن يقدر أن يقيم الأموات ويعيدهم إلى الحياة إلا الله؟! فيجب علينا إدراك عمق هذا المعنى في الآيات القرآنية أن المسيح استطاع إقامة الموتى مرارًا . ويقول الناقد إن ابن مريم لم يقدر أن يقوم بآية ما من تلقاء نفسه ، بل الله هو الذي أيده بروح القدس ليستطيع أن يتمم مشيئة الله . وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ- سورة البقرة ٢: ٨٧ . تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ- البقرة ٢: ٢٥٣ . إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي . . . فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ- سورة المائدة ٥: ١١٠ . فيا للعجب! القرآن يشهد مرارًا بتعاون الله مع المسيح وروحه القدوس!

فالثلاثة اجتمعوا وتعاونوا في آيات المسيح في وحدة متكاملة ، فقوة الله عاملة في ضعف جسد ابن مريم بسلطان إلهي .

الفتى الخالق

د- ونقرأ في القرآن أن المسيح ، وهو طفل ، خلق من الطين كهيئة الطير ونفخ فيه فأصبح حيًا طائرًا في الفضاء . ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾- آل عمران ٣: ٤٩ . نجد في هذه الآية العبارة المدهشة: "أَخْلُقُ" الدالة على أن المسيح هو خالق مقتدر . لا يقدر إنسان أن يخلق من العدم شيئًا ولا أن يُعيد المادة الميتة إلى الحياة ، إلا المسيح . ويشهد القرآن بقدرة المسيح الخالقة بواسطة نفخته المحيية . فنفخ في هيئة الطير فأصبحت طائرًا حيًا كما أن الله نفخ نسمته في آدم سابقًا . فكان المسيح قادرًا أن يبث الحياة في الطين الميت .

الرزاق اللطيف

هـ - لاحظت الجماهير قدرة ابن مريم فتبعته حتى إلى الصحراء ناسية المكان والزمان وباقية معه حتى الليل . فالقرآن يشهد بأن المسيح أنزل لأتباعه مائدة من السماء وسط الصحراء وأشبع أتباعه المخلصين . ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾- سورة المائدة ١١٢-١١٥ . يبحث البعض في نوعية أطعمة السماء على المائدة أكثر من أن يتعمقوا ببحثهم في شخصية

وهّاب الهبة العجيبة . لقد أشبع المسيح حسب الإنجيل خمسة آلاف رجل ما عدا النساء والأولاد من خمسة أرغفة وسمكتين ، فأظهر بذلك قدرته الخالقة بطريقة عملية . لم يتفوّه بكلام فارغ بل عمل ما قاله وشفى وفعل أعمالا حقيقية .

كاشف الأسرار

و- استاء محمد من بعض أتباعه في المدينة لأنهم خبأوا في بيوتهم أطعمة وكنوزًا ولم يشاركوا فيها المهاجرين من مكة ، فأنذرهم قائلا إن المسيح سيأتي عن قريب وسينبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم لأن له عينًا خارقة ، ويبصر خلال الجدران ويخبر المنافقين بما يخبئون حسب قول المسيح في القرآن: وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ- آل عمران ٤٩ . يعرف المسيح الحقيقة ويقرأ أفكار القلوب ، ويعلم أيضًا أسرارك بالتفصيل ، وسوف يعلن لك أعمالك السيئة والصالحة . هو العليم بما في صدور الناس وليس أحد بارًا أمامه .

المشرّع العظيم

ز- ونقرأ أيضا في القرآن أن المسيح حلل لأتباعه ما حُرِّم عليهم في شريعة موسى ، ولم يأمرهم أن يحفظوا الشريعة كاملة . ويقول الإنجيل إن المسيح وضّح لحوارييه بخصوص أنواع الأطعمة أن ما يدخل في جوفهم لا ينجسهم ، بل ما يخرج من قلوبهم هو نجس ، لأن من القلب تخرج أفكار شريرة: الزنى . القتل . البغض . الكبرياء . الكذب . الحقد . والطمع . لقد أعلن المسيح بهذا الانقلاب الفكري والشرعي أنه هو المشرّع الذي يحق له بسلطانه أن يكمل الشريعة . لقد أثبت القرآن هذا الامتياز الفريد موضحًا أن المسيح لم يعش تحت الشريعة لتنفيذها ، بل إنه قائم فوقها لتكميلها . لقد كان

موسى وكل الناس في العهد القديم يعيشون تحت الشريعة ، وكان عليهم أن يتمموا الوصايا . أما المسيح فكان له السلطان أن يعدل الشريعة ، وأعلن حسب الإنجيل: قِيلَ: عَيْنٌ بِعَيْنٍ وَسِنٌّ بِسِنٍّ . . . وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ . بَارِكُوا لاعِنِيكُمْ . أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ . وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ - متى ٥: ٣٨ و٤٤ .

ح- طُوبَى لِمَن يُدرك أن المسيح ليس إنسانًا عاديًا ولا مجرد نبي ، بل هو المشرّع بسلطان الله . ولم يكن ابن مريم محتاجًا لأن يسأل أهل العهد القديم ما هي أسرار الناموس وما هي تفاصيل أحكامه كما أُوحِيَ لمحمد إذ كان في شك مما أُنزِل إليه- سورة يونس٩٤ . أما المسيح فكان الشريعة المتجسد ، وطلب الطاعة لنفسه . وهكذا قال: اتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ- سورة آل عمران ٥٠ . فلم يرشد المسيح البشر إلى التسليم لله فحسب ، بل طلب منهم أن يتبعوه مُطَبِّقِين تعاليمه . لذلك يسمي القرآن تلاميذ المسيح بأحسن الألقاب: حواريّين ، وأنصار الله ، ومسلمين مؤمنين ، وخاصة أتباعه . ونقرأ عن أتباعه في سورة الحديد: ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً- الحديد ٢٧ . وفي سورة آل عمران إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ- آل عمران ٥٥ . فيظهر أن أتباع المسيح هم طبقة خاصة مميزة من البشر لأنهم متواضعون ولا يستكبرون ، كما هو مكتوب في سورة المائدة: لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ- المائدة٨٢ . إن هذه الشهادة القرآنية تدل على أعظم آية من آيات المسيح . إنه لا يغير الأحوال السياسية والاجتماعية

بواسطة حروب وحيل، بل يجدد خطاة عصاة ويغيرهم من أنانيين إلى محبين، ومن أسياد متباهين إلى خدام الرب المتواضعين. كما أنه شخصيًا لم يأت لِيُخْدَم بل لِيَخْدُم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين- متى ٢٠: ٢٨. كل من يقارن آيات محمد بآيات المسيح يرى أن آيات محمد في القرآن هي كلمات كثيرة، ولكن آيات المسيح وعجائبه هي أعمال المحبة وخدمات الرحمة التي لا تُعَدّ.

** نبدأ بقول الواعظ إن "العجائب التي وهبها الله لمحمد هي آياته الفريدة في سور القرآن، فليست آيات محمد أعمالا بل كلامًا. ويشهد القرآن للمسيح بكلمات محدودة، إنما يبرز أعماله العجيبة وشفاءاته المتعددة. لم يلعن المسيح أعداءه، ولم يتصرف كجبار شقي، بل أظهر نفسه أنه ينبوع اللُّطف ومصدر المحبة والرحمة، وعظمت قوة الله فيه بآيات متعددة عجيبة"، وهو قول يدل على أن العقل قد غاب تماما عن الرجل. كيف؟ إن وضع الكلام على هذا النحو يعني أن المسيح لم يتكلم، وأن محمدا لم يعمل. فهل هذا صحيح؟ بل هل يدخل هذا عقل عاقل؟ الواقع أن كلا النبيين الكريمين قد قال وعمل. لقد جاء محمد بالقرآن من عند الله، وكانت له أحاديث تشرح القرآن أو توضح كيفية تطبيقه أو تضيف له تفصيلات لم يتطرق إليها تاركا الكلام فيها له عليه السلام أو تضيّق أو توسّع نطاق أحكامه حسب السياقات والظروف المختلفة... إلخ. وبالمثل جاء عيسى بالمواعظ وضرب الأمثال التي تملأ الأناجيل. وإذا كان عيسى قد أتى ببعض المعجزات فلسنا ننكر شيئا من ذلك. وكيف نفعل، والقرآن الكريم قد ذكرها، بل ذكر بعضا آخر منها لم توردها الأناجيل المعتمدة عند النصارى؟ لكن الانطلاق من ذلك إلى الزعم بأن محمدا لم يفعل شيئا هو (هل أقول: "كذبٌ صُرَاح، وتدليسٌ وَقَاح"، وأنا الذي قلت في بداية الدراسة إنني سأكون هادئا هذه

المرة؟ لا لا ، لا داعى ، بل سأكتفى بالقول بأن ذلك) خطأ بيّن . ألم يعمل الرسول بكل طاقته على إخراج الناس من ظلمات الشرك والوثنية إلى نور الإيمان الساطع؟ بلى . ألم يهاجر النبى من مكة إلى المدينة بعد أن وجد أنه قد وصل مع البيئة القرشية إلى طريق مسدود؟ بلى . ألم يعقد معاهدة بين المسلمين واليهود فى يثرب تنظم العلاقات السياسية والاجتماعية والدينية بين الفريقين؟ بلى . ألم يأت بتشريعات لم تغادر شيئا من شؤون الحياة إلا ونظمته وقننته على أحسن ما يكون التناغم مع فطرة البشر وأوضاع حياتهم وظروف مجتمعاتهم جامعة بين المثالية العاقلة الكريمة والواقعية الطاهرة الحكيمة؟ بلى . ألم يبن دولة ناجحة فى المدينة استطاعت ، فى غضون عدة عقود لا راحت ولا جاءت فى حساب التاريخ ، أن تتحول إلى إمبراطورية اكتسحت معاقل الشرك والتثليث وعبادة النار والبقر والبشر؟ بلى . أوهذا كله كان مجرد كلام لا يُشْبِع من جوع ولا يُرْوِى من ظمإ؟ أويظن الواعظ المحترم أن معجزات السيد المسيح على جلالها أنفع للعباد من هذه الإنجازات المحمدية بكل ما تشتمل عليه من تشريعات وأنشطة سياسية واجتماعية واقتصادية وعلمية وعسكرية وقانونية؟ كلا وحاشا ، فإن الذى يعطى الجائع صنارة ويعلّمه كيف يصنع ما شاء من الصنانير ، ثم يشرح له كيف يقوم بعملية الصيد ليسد جوعته ويدخر بعضا من السمك المصطاد ليبيعه لغيره مقابل شىء مما عند ذلك الغير لا يملك مثله هو ، فيَطْعَم ويغتنى ، ويُطْعِم ويُغْنِى بدوره مَنْ حوله ، لأفضل ألف مرة من تزويد غيره بأكلة سمك مرة أو مرتين ، ثم يتركه بعد ذلك للجوع والضياع والبطالة والانقضاض على حقول الآخرين ليأكل منها دون إذن من أصحابها ، وبخاصة أنه ليس عنده وقت لتلبية حاجات كل جائع ، وأنه عاجلا أو آجلا مغادره إلى الأبد ومُبْقِيه وجهًا لوجهٍ مع أمعائه الخاوية وزوجته وأطفاله الصارخين لا يعرفون كيف

يتصرفون ولا كيف يواجهون هذا المأزق العسير!

ومن المضحك أن يقول الواعظ الذكى إن " المسيح لم يلعن أعداءه، ولم يتصرف كجبار شقي، بل أظهر نفسه أنه ينبوع اللطف ومصدر المحبة والرحمة"، إذ الأناجيل إنما تقول لنا شيئا مخالفا لهذا الذى يقوله واعظنا. فالمسيح، بحسب تلك الأناجيل، لم يكن يلعن أعداءه فقط، بل كان يلعن أصدقاءه أيضا، وكذلك المدن والأشجار فوق البيعة. وإلى القارئ طائفة من تلك اللعنات والشتائم التى كان يسوط بها الظهور والوجوه والأقفاء والجُنُوب بحيث لا يترك موضعا دون أن يجود عليه بنصيب: فمن ذلك رده على أب استغاث به ليعالج ابنه الذي يصيبه الصَّرْع ويرهقه قائلا له في نفاد صبر وضجر: "أَيُّهَا الْجِيلُ غَيْرُ الْمُؤْمِنِ وَالْمُلْتَوِي إِلَى مَتَى أَكُونُ مَعَكُمْ وَأَحْتَمِلُكُمْ؟". ومنه كذلك قوله للمرأة الفينيقية التى كانت ترجو شفاءه لابنتها: "دَعِي الْبَنِينَ أَوَّلاً يَشْبَعُونَ، لأَنَّهُ لَيْسَ حَسَنًا أَنْ يُؤْخَذَ خُبْزُ الْبَنِينَ وَيُطْرَحَ لِلْكِلاَبِ". يقصد بالبنين بنى إسرائيل، وبالكلاب إياها وقومها وأمثالهم من الأمم الأخرى. وكان فى مجمع يهودىّ يوم سبت، وشفى امرأة من مرضها مما ساء رئيس المجمع لأنه رأى فى هذا اعتداء فى السبت، فما كان من عيسى بن مريم إلا أن سبه قائلا: "يَا مُرَائِي!". ودعاه أحد هؤلاء الفريسيين للطعام فلاحظ أنه، عليه السلام، لم يغسل يده وكلمه فى ذلك، فما كان منه إلا أن نزل عليه بسوط لسانه يلهبه بكل ما عنده من عزم: "أَنْتُمُ الآنَ أَيُّهَا الْفَرِّيسِيُّونَ تُنَقُّونَ خَارِجَ الْكَأْسِ وَالْقَصْعَةِ، وَأَمَّا بَاطِنُكُمْ فَمَمْلُوءٌ اخْتِطَافًا وَخُبْثًا. يَا أَغْبِيَاءُ، أَلَيْسَ الَّذِي صَنَعَ الْخَارِجَ صَنَعَ الدَّاخِلَ أَيْضًا؟ بَلْ أَعْطُوا مَا عِنْدَكُمْ صَدَقَةً، فَهُوَذَا كُلُّ شَيْءٍ يَكُونُ نَقِيًّا لَكُمْ. وَلكِنْ وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْفَرِّيسِيُّونَ! لأَنَّكُمْ تُعَشِّرُونَ النَّعْنَعَ وَالسَّذَابَ وَكُلَّ بَقْل، وَتَتَجَاوَزُونَ عَنِ الْحَقِّ وَمَحَبَّةِ اللهِ. كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَعْمَلُوا هذِهِ وَلاَ تَتْرُكُوا تِلْكَ. وَيْلٌ لَكُمْ

أَيُّهَا الْفَرِّيسِيُّونَ! لأَنَّكُمْ تُحِبُّونَ الْمَجْلِسَ الأَوَّلَ فِي الْمَجَامِعِ ، وَالتَّحِيَّاتِ فِي الأَسْوَاقِ . وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! لأَنَّكُمْ مِثْلُ الْقُبُورِ الْمُخْتَفِيَةِ ، وَالَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَيْهَا لاَ يَعْلَمُونَ!" . ولست أدرى كيف طاوعته نفسه على شتم مُضَيِّفه الذى أراد أن يحتفى به . وحتى لو كان باعث الفَرِّيسىّ على ملاحظته هذه هو الحذلقة والتنوّق الشكلى فى أمور الدين ، أفهناك من يقول إن النظافة شيء يعاب؟ لقد كان يمكنه لفت نظر الفريسى إلى أن النظافة الخارجية لا تكفى ، بل لا بد معها من نظافة القلب والضمير ، أما أن يندفع فى نوبة سباب وتهديد فهذا آخر ما كان يتوقعه الشخص منه صلى الله عليه وسلم! ومن ذلك أيضا سبابه للفريسيين بهذه العبارة الرهيبة: "[٣٤]يَا أَوْلاَدَ الأَفَاعِي! كَيْفَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَتَكَلَّمُوا بِالصَّالِحَاتِ وَأَنْتُمْ أَشْرَارٌ؟" .

وفى مناسبة أخرى انهال عليهم بمطارق الكلام التى تفلق الرؤوس بل تحطمها تحطيما: "[١]حِينَئِذٍ خَاطَبَ يَسُوعُ الْجُمُوعَ وَتَلاَمِيذَهُ [٢]قَائِلاً: «عَلَى كُرْسِيِّ مُوسَى جَلَسَ الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ ، [٣]فَكُلُّ مَا قَالُوا لَكُمْ أَنْ تَحْفَظُوهُ فَاحْفَظُوهُ وَافْعَلُوهُ ، وَلكِنْ حَسَبَ أَعْمَالِهِمْ لاَ تَعْمَلُوا ، لأَنَّهُمْ يَقُولُونَ وَلاَ يَفْعَلُونَ . [٤]فَإِنَّهُمْ يَحْزِمُونَ أَحْمَالاً ثَقِيلَةً عَسِرَةَ الْحَمْلِ وَيَضَعُونَهَا عَلَى أَكْتَافِ النَّاسِ ، وَهُمْ لاَ يُرِيدُونَ أَنْ يُحَرِّكُوهَا بِإِصْبِعِهِمْ ، [٥]وَكُلَّ أَعْمَالِهِمْ يَعْمَلُونَهَا لِكَيْ تَنْظُرَهُمُ النَّاسُ: فَيُعَرِّضُونَ عَصَائِبَهُمْ وَيُعَظِّمُونَ أَهْدَابَ ثِيَابِهِمْ ، [٦]وَيُحِبُّونَ الْمُتَّكَأَ الأَوَّلَ فِي الْوَلاَئِمِ ، وَالْمَجَالِسَ الأُولَى فِي الْمَجَامِعِ ، [٧]وَالتَّحِيَّاتِ فِي الأَسْوَاقِ ، وَأَنْ يَدْعُوَهُمُ النَّاسُ: سَيِّدِي سَيِّدِي! [٨]وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلاَ تُدْعَوْا سَيِّدِي ، لأَنَّ مُعَلِّمَكُمْ وَاحِدٌ الْمَسِيحُ ، وَأَنْتُمْ جَمِيعًا إِخْوَةٌ . [٩]وَلاَ تَدْعُوا لَكُمْ أَبًا عَلَى الأَرْضِ ، لأَنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ . [١٠]وَلاَ تُدْعَوْا مُعَلِّمِينَ ، لأَنَّ مُعَلِّمَكُمْ وَاحِدٌ الْمَسِيحُ . [١١]وَأَكْبَرُكُمْ يَكُونُ خَادِمًا لَكُمْ .

[12] فَمَنْ يَرْفَعْ نَفْسَهُ يَتَّضِعْ، وَمَنْ يَضَعْ نَفْسَهُ يَرْتَفِعْ. [13] «لكِنْ وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! لأَنَّكُمْ تُغْلِقُونَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ قُدَّامَ النَّاسِ، فَلاَ تَدْخُلُونَ أَنْتُمْ وَلاَ تَدَعُونَ الدَّاخِلِينَ يَدْخُلُونَ. [14] وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! لأَنَّكُمْ تَأْكُلُونَ بُيُوتَ الأَرَامِلِ، ولِعِلَّةٍ تُطِيلُونَ صَلَوَاتِكُمْ. لِذلِكَ تَأْخُذُونَ دَيْنُونَةً أَعْظَمَ. [15] وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! لأَنَّكُمْ تَطُوفُونَ الْبَحْرَ وَالْبَرَّ لِتَكْسَبُوا دَخِيلاً وَاحِدًا، وَمَتَى حَصَلَ تَصْنَعُونَهُ ابْنًا لِجَهَنَّمَ أَكْثَرَ مِنْكُمْ مُضَاعَفًا. [16] وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْقَادَةُ الْعُمْيَانُ! الْقَائِلُونَ: مَنْ حَلَفَ بِالْهَيْكَلِ فَلَيْسَ بِشَيْءٍ، وَلكِنْ مَنْ حَلَفَ بِذَهَبِ الْهَيْكَلِ يَلْتَزِمُ. [17] أَيُّهَا الْجُهَّالُ وَالْعُمْيَانُ! أَيُّمَا أَعْظَمُ: أَلذَّهَبُ أَمِ الْهَيْكَلُ الَّذِي يُقَدِّسُ الذَّهَبَ؟ [18] وَمَنْ حَلَفَ بِالْمَذْبَحِ فَلَيْسَ بِشَيْءٍ، وَلكِنْ مَنْ حَلَفَ بِالْقُرْبَانِ الَّذِي عَلَيْهِ يَلْتَزِمُ. [19] أَيُّهَا الْجُهَّالُ وَالْعُمْيَانُ! أَيُّمَا أَعْظَمُ: أَلْقُرْبَانُ أَمِ الْمَذْبَحُ الَّذِي يُقَدِّسُ الْقُرْبَانَ؟ [20] فَإِنَّ مَنْ حَلَفَ بِالْمَذْبَحِ فَقَدْ حَلَفَ بِهِ وَبِكُلِّ مَا عَلَيْهِ! [21] وَمَنْ حَلَفَ بِالْهَيْكَلِ فَقَدْ حَلَفَ بِهِ وَبِالسَّاكِنِ فِيهِ، [22] وَمَنْ حَلَفَ بِالسَّمَاءِ فَقَدْ حَلَفَ بِعَرْشِ اللهِ وَبِالْجَالِسِ عَلَيْهِ. [23] وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! لأَنَّكُمْ تُعَشِّرُونَ النَّعْنَعَ وَالشِّبِثَّ وَالْكَمُّونَ، وَتَرَكْتُمْ أَثْقَلَ النَّامُوسِ: الْحَقَّ وَالرَّحْمَةَ وَالإِيمَانَ. كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَعْمَلُوا هذِهِ وَلاَ تَتْرُكُوا تِلْكَ. [24] أَيُّهَا الْقَادَةُ الْعُمْيَانُ! الَّذِينَ يُصَفُّونَ عَنِ الْبَعُوضَةِ وَيَبْلَعُونَ الْجَمَلَ.
[25] وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! لأَنَّكُمْ تُنَقُّونَ خَارِجَ الْكَأْسِ وَالصَّحْفَةِ، وَهُمَا مِنْ دَاخِل مَمْلُوآنِ اخْتِطَافًا وَدَعَارَةً. [26] أَيُّهَا الْفَرِّيسِيُّ الأَعْمَى! نَقِّ أَوَّلاً دَاخِلَ الْكَأْسِ وَالصَّحْفَةِ لِكَيْ يَكُونَ خَارِجُهُمَا أَيْضًا نَقِيًّا.
[27] وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! لأَنَّكُمْ تُشْبِهُونَ قُبُورًا مُبَيَّضَةً تَظْهَرُ مِنْ خَارِجٍ جَمِيلَةً، وَهِيَ مِنْ دَاخِل مَمْلُوءَةٌ عِظَامَ أَمْوَاتٍ وَكُلَّ نَجَاسَةٍ.
[28] هكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا: مِنْ خَارِجٍ تَظْهَرُونَ لِلنَّاسِ أَبْرَارًا، وَلكِنَّكُمْ مِنْ دَاخِل

مَشْحُونُونَ رِيَاءً وَإِثْمًا. [٢٩] وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! لأَنَّكُمْ تَبْنُونَ قُبُورَ الأَنْبِيَاءِ وَتُزَيِّنُونَ مَدَافِنَ الصِّدِّيقِينَ، [٣٠] وَتَقُولُونَ: لَوْ كُنَّا فِي أَيَّامِ آبَائِنَا لَمَا شَارَكْنَاهُمْ فِي دَمِ الأَنْبِيَاءِ. [٣١] فَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنَّكُمْ أَبْنَاءُ قَتَلَةِ الأَنْبِيَاءِ. [٣٢] فَامْلأُوا أَنْتُمْ مِكْيَالَ آبَائِكُمْ. [٣٣] أَيُّهَا الْحَيَّاتُ أَوْلاَدَ الأَفَاعِي! كَيْفَ تَهْرُبُونَ مِنْ دَيْنُونَةِ جَهَنَّمَ؟ [٣٤] لِذلِكَ هَا أَنَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ أَنْبِيَاءَ وَحُكَمَاءَ وَكَتَبَةً، فَمِنْهُمْ تَقْتُلُونَ وَتَصْلِبُونَ، وَمِنْهُمْ تَجْلِدُونَ فِي مَجَامِعِكُمْ، وَتَطْرُدُونَ مِنْ مَدِينَةٍ إِلَى مَدِينَةٍ، [٣٥] لِكَيْ يَأْتِيَ عَلَيْكُمْ كُلُّ دَمٍ زَكِيٍّ سُفِكَ عَلَى الأَرْضِ، مِنْ دَمِ هَابِيلَ الصِّدِّيقِ إِلَى دَمِ زَكَرِيَّا بْنِ بَرَخِيَّا الَّذِي قَتَلْتُمُوهُ بَيْنَ الْهَيْكَلِ وَالْمَذْبَحِ. [٣٦] اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ هذَا كُلَّهُ يَأْتِي عَلَى هذَا الْجِيلِ!".

وفى موقف آخر جرى حوار بينه وبين بطرس كبير حوارييه فأسمع المعلّمُ تلميذه كلاما فى منتهى العنف والقسوة: "وَابْتَدَأَ يُعَلِّمُهُمْ أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ يَنْبَغِي أَنْ يَتَأَلَّمَ كَثِيرًا، وَيُرْفَضَ مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، وَيُقْتَلَ، وَبَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ يَقُومُ. وَقَالَ الْقَوْلَ عَلاَنِيَةً. فَأَخَذَهُ بُطْرُسُ إِلَيْهِ وَابْتَدَأَ يَنْتَهِرُهُ. فَالْتَفَتَ وَأَبْصَرَ تَلاَمِيذَهُ، فَانْتَهَرَ بُطْرُسَ قَائِلاً: اذْهَبْ عَنِّي يَا شَيْطَانُ! لأَنَّكَ لاَ تَهْتَمُّ بِمَا للهِ لكِنْ بِمَا لِلنَّاسِ". حتى أمه يكلمها بنبرة تخلو من أى احترام أو عطف، إذ كان ذات مرة فى عرسٍ بقانا الجليل ونَفِدَت الخمر، فلفتت أمه انتباهه إلى هذا كأنها تطلب منه أن يجد حلا، فرد عليها فى خشونة جافية: "مَا لِي وَلَكِ يَا امْرَأَةُ؟". وأنكى من ذلك أنه قام بعدها بتحويل الماء الموجود فى العرس إلى خمر، وكانت أول معجزة له. فيا لها من معجزة تليق بالأنبياء وأبناء الآلهة! وعلى أية حال أفلم يكن ينبغى أن يفعل هذا من البداية بدلا من هذه الخشونة التى لا تصح ولا تليق؟ حتى المدن يتهددها ويلعنها فى شراسة وحنق: "يَا أُورُشَلِيمُ، يَا أُورُشَلِيمُ! يَا قَاتِلَةَ الأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا، كَمْ مَرَّةٍ أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلاَدَكِ كَمَا

تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا، وَلَمْ تُرِيدُوا! هُوَذَا بَيْتُكُمْ يُتْرَكُ لَكُمْ خَرَابًا!"، "[20] حِينَئِذٍ ابْتَدَأَ يُوَبِّخُ الْمُدُنَ الَّتِي صُنِعَتْ فِيهَا أَكْثَرُ قُوَّاتِهِ لأَنَّهَا لَمْ تَتُبْ: [21] «وَيْلٌ لَكِ يَا كُورَزِينُ! وَيْلٌ لَكِ يَا بَيْتَ صَيْدَا! لأَنَّهُ لَوْ صُنِعَتْ فِي صُورَ وَصَيْدَاءَ الْقُوَّاتُ الْمَصْنُوعَةُ فِيكُمَا، لَتَابَتَا قَدِيمًا فِي الْمُسُوحِ وَالرَّمَادِ. [22] وَلكِنْ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ صُورَ وَصَيْدَاءَ تَكُونُ لَهُمَا حَالَةٌ أَكْثَرُ احْتِمَالاً يَوْمَ الدِّينِ مِمَّا لَكُمَا. [23] وَأَنْتِ يَا كَفْرَنَاحُومَ الْمُرْتَفِعَةَ إِلَى السَّمَاءِ! سَتُهْبَطِينَ إِلَى الْهَاوِيَةِ. لأَنَّهُ لَوْ صُنِعَتْ فِي سَدُومَ الْقُوَّاتُ الْمَصْنُوعَةُ فِيكِ لَبَقِيَتْ إِلَى الْيَوْمِ. [24] وَلكِنْ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ أَرْضَ سَدُومَ تَكُونُ لَهَا حَالَةٌ أَكْثَرُ احْتِمَالاً يَوْمَ الدِّينِ مِمَّا لَكِ»".

وحتى التينة التى توقّع عليه السلام أن يجد فيها فاكهة يأكلها من جوع، ولم يكن الوقت أوان ثمر، حتى هذه التينة قد لعنها حين لم يجد فيها تينا، ودعا عليها ألا تثمر إلى الأبد، فيبست فى الحال. بالله ما ذنب التينة المسكينة إن كان لها عقل وإدراك؟ وإذا لم يكن لها عقل وإدراك فهل هناك معنى للعنها؟ أم هل هناك معنى لتيبيسها وحرمان الآخرين من ثمرها إلى الأبد؟ أوهكذا يعلّمنا السيد المسيح الحفاظ على البيئة؟ لو كان تيبيسها فى مصلحة عامة ما قلنا شيئا. ثم أى إله هذا الذى يجوع؟ بل أى إله هذا الذى لا يدرى أذاك موسم التين أم لا ويطلب ثماره فى غير إبّانه؟ فماذا ترك لنا نحن البشر الغلابى إذن؟ ألا يرى القارئ أن الأمر كله عبث فى عبث؟ وفى النهاية أسوق هذا الكلمة التى قالها السيد المسيح عليه السلام وسجلها مؤلفو الأناجيل: "جِئْتُ لأُلْقِيَ نَارًا عَلَى الأَرْضِ، فَمَاذَا أُرِيدُ لَوِ اضْطَرَمَتْ؟ وَلِي صِبْغَةٌ أَصْطَبِغُهَا، وَكَيْفَ أَنْحَصِرُ حَتَّى تُكْمَلَ؟ أَتَظُنُّونَ أَنِّي جِئْتُ لأُعْطِيَ سَلاَمًا عَلَى الأَرْضِ؟ كَلاَّ، أَقُولُ لَكُمْ: بَلِ انْقِسَامًا. لأَنَّهُ يَكُونُ مِنَ الآنَ خَمْسَةٌ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ مُنْقَسِمِينَ: ثَلاَثَةٌ عَلَى اثْنَيْنِ، وَاثْنَانِ عَلَى ثَلاَثَةٍ. يَنْقَسِمُ

الأَبُ عَلَى الابْنِ، وَالابْنُ عَلَى الأَبِ، وَالأُمُّ عَلَى الْبِنْتِ، وَالْبِنْتُ عَلَى الأُمِّ، وَالْحَمَاةُ عَلَى كَنَّتِهَا، وَالْكَنَّةُ عَلَى حَمَاتِهَا". والآن أظن أن هذا يكفي.

أما أن القرآن قد قال على لسان المسيح: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [آل عمران: ٥٠]، فهذا صحيح، لكن الواعظ تجاهل الآية التالية لهذه الآية، وهي صريحة الدلالة على أن عيسى بن مريم ليس إلا عبدا لله باعترافه هو نفسه، لا إلها ولا ابنا للإله: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ۝﴾ [آل عمران: ٥١]، وهو ما يصكّ شبهته في وجهها صكّة تفتته تفتيتا. ثم إن هذه العبارة التي يظن الواعظ الطيب الذي على نياته أنها تؤسس وضعا خاصا بعيسى بوصفه ابن الله قد قالها بنصها نوح وهود وصالح ولوط وشعيب، ويمكن القارئ الرجوع حسبما نقرأ في الآيات ١٠٨، ١١٠، ١٢٦، ١٣١، ١٤٤، ١٥٠، ١٦٣، ١٧٩ من سورة "الشعراء"، إلى جانب الآية الثالثة من سورة "نوح"، فضلا عن الآية التالية التي وردت على لسان هارون: ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ [طه: ٩٠]. ذلك أن وجوب طاعة الرسول ليس أمرا خاصا بعيسى بن مريم وحده، بل هو حق للرسل جميعا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤]. وقد جاء مثله وأقوى منه في محمد عليه الصلاة والسلام، والشواهد عليه كثيرة، بيد أنني أكتفي بالآيات التالية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩]، ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [المائدة: ٩٢]، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝﴾ [النور: ٥٦]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ۝ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ۝﴾ [الأحزاب: ٦٤-٦٦]. والغريب أنني، وأنا في أكسفورد في سبعينات القرن

الماضى، قد قرأت مرة لبعض المبشرين الإنجليز يعيبون على النبى محمد عليه الصلاة والسلام أنه يقرن بين اسمه واسم الله تعالى فى مثل تلك الآيات، فقلت فى نفسى إن هؤلاء الناس لا يعجبهم العجب ولا الصيام فى رجب: فإذا ظنوا أن القرآن لا يحتوى على تلك الآيات التى تتحدث عن محمد سارعوا إلى القول بأن هذا دليل على أن عيسى هو وحده الذى قيل فى حقه ذلك، ومن ثم فهو ابن الله، وإن تنبهوا إلى أن القرآن قد ذكر فى حق محمد هذا قالوا إنه يتأله على اتباعه، مع أنه لا قول عيسى هذا يعنى ألوهيته بأى حل من الأحوال، ولا القرن بين طاعة الله وطاعة محمد يعنى أنه يضع نفسه مع الله على قدم وساق، إذ القرآن واضح تمام الوضوح فى تأكيد عبوديته له سبحانه! على أية حال فكتاب الله، كما هو واضح، لم يقرن فى مسألة الطاعة بين الله سبحانه وبين أى نبى من أنبيائه، اللهم إلا فى حالة محمد عليه الصلاة والسلام.

وبالمثل فإن استشهاد الواعظ بقوله تعالى فى الآيتين التاليتين: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً﴾ [الحديد: ٢٧]، ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٥] لا يوصله إلى شىء: ذلك أنه فى الآية الأولى قد حذف بقيتها، وهى كالآتى: ﴿وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٧]. ومن الواضح أن الصفات الكريمة التى جعلها الله فى قلوب أتباع عيسى لم تَبْقَ نقية كما أرادها الله، بل سرعان ما انحرف كثير من أتباعه بها فاستحقوا أن يصفهم الله بأنهم "فاسقون". كما أن قوله تعالى فى سورة "المائدة": ﴿لَتَجِدَنَّ

أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [المائدة: ٨٢] لا علاقة له بالقسيسين والرهبان من حيث إنهم قسيسون ورهبان، بل من واقع أنهم قد أسلموا واتبعوا النبى محمدا مُوفِين بذلك بما أخذه الله من ميثاق على أهل التوراة والإنجيل أنهم متى جاءهم رسول من عند الله لَيُؤمِنُنّ به ولَيَنصُرُنّه. فهم إذن مسلمون من أتباع محمد لا قسيسون ورهبان نصارى، فضلا عن أن تكون نصرانيتهم نصرانية مثلثة. وكى يكون القارئ متابعا لما نقول سوف أورد الآية المذكورة فى سياقها كاملا: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ ﴾ [المائدة: ٨٢ - ٨٦]. ومن الواضح أنهم ما إن سمعوا النبى محمدا وهو يتلو عليهم بعضا من الذكر الحكيم حتى فاضت أعينهم خشوعا وإيمانا بالقرآن والإله الذى أنزله والرسول الذى جاء به. والقصة معروفة فى أسباب نزول القرآن، إذ سمع نفر من رجال الدين النصارى بعض آيات القرآن فتأثرت قلوبهم وأخبتوا إلى ربهم فسارعوا إلى إعلان إيمانهم بالرسالة الجديدة وصاحبها. مرة أخرى نؤكد أن الآيات لا تمدح أحدا من النصارى بوصفه نصرانيا، بل تمدح نصارى تركوا نصرانيتهم وأصبحوا مسلمين من أتباع محمد عليه السلام.

❁ ❁ ❁

٧- موت محمد وموت المسيح

* يروي ابن هشام في كتابه عن سيرة النبي أنّ محمدًا مات بعد حمى شديدة، وقال إن سمّ اليهود كسّر قلبه. لقد دسّت امرأة يهودية السمّ في طعامه فمات الضيف عند محمد، ولكنه لاحظ السمّ وبصق الطعام قبل بلعه. إنما دخل قليل من السم في جوفه وأدى إلى وفاته. فمات محمد موتًا غصبًا عنه على صدر زوجته عائشة في المدينة المنوّرة. لم يمت المسيح حسب القرآن نتيجة لمرض أو حيلة من أعدائه. إنما الله تدخل في هذا الأمر حسب سورة آل عمران ٥٥ وقال للمسيح شخصيًا: إني متوفيك ورافعك إليّ، مع العلم أن هذه الحادثة غير معلنة في الإنجيل. فنستنتج من هذه الآية أن المسيح لم يمت موتًا عاديًا، بل تُوفّي حسب خطة الله ولطفه في السلام. ولا ينكر القرآن موت المسيح التاريخي، خاصة إن قرأنا نبوة المسيح عن نفسه في سورة مريم ٣٣ حيث يقول: ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴾ [مريم: ٣٣]. المسيح وُلد ومات وقام من قبره حسب القرآن، كما أخبرنا الإنجيل مسبقًا، وكل من يؤمن بهذه الحقيقة التاريخية يحيا مع الحي المقام من بين الأموات. سوف لن يموت المسيح بعد رجوعه على الأرض لأنه لم يقل: سوف أموت في المستقبل البعيد، بل قال: أموت في المستقبل القريب الحاضر. فالقرآن يعترف بولادة المسيح وموته وقيامته متتابعًا كما يشهد جميع المسيحيين متأكدين من تاريخية موت ابن مريم. مات المسيح بإرادته في سلام تام. ونقرأ في الإنجيل أن المسيح عرف كيفية موته مسبقًا وعيّن اليوم والساعة لوفاته في موعد طقوس عيد الفصح، فمات طوعًا لا غصبًا كحمل الله الذي رفع خطية العالم.

** حين وصلت إلى الفقرة السابقة من كلام الواعظ الموهوم قلت في نفسي: عجبا لابن آدم، يكون في ستر وعافية، وخيره كافٍ شرّه، فيأبى إلا

أن يعرّض نفسه دون معنى للفضائح هاتكا بيده ستر الله عليه . نعم ، فقد كان الواعظ النجيب فى غنًى عن ردى عليه وفضيحتى له ولما يدافع عنه ، إذ كنت ساكتا وواضعا يدى على خدى أجتر ذكرياتى وأفكر فى حالى ، إلى أن وقعتُ على هذا المقال وخطرَ فى بالى أن أرد عليه . ولما بلغت الفقرة السابقة ازداد استغرابى لأن فضيحة الواعظ هذه المرة ستكون من النوع المجلجل ذى الأجراس الكنسية الضخمة المصمّة للآذان ، إذ السؤال هو: وماذا فى أن يكون محمد عليه الصلاة والسلام قد مات مقتولا؟ وهل إذا قُتِل إنسان فى قضية شريفة يكون فى هذا معابة له؟ بالعكس إنه شرف ونبل وسموق لا يناظره أى شرف أو نبلٍ أو سموق آخر . إنها الشهادة فى أعظم وأجل صورها ، ومعروفةٌ مكانةُ الشهيد عند رب العالمين . ولكم ود النبى الكريم لو أنه قُتِلَ فى سبيل الله ثم أُحْيِىَ ثم قُتِل كرة أخرى ثم أُحْيِىَ . . . وهكذا دواليك ، لما يعلمه صلى الله عليه وسلم من منزلة الشهداء . ولماذا نذهب بعيدا ، ولدينا الأناجيل ، فتعالَوْا نطالع ما فيها حتى نعرف أرجلنا من رؤوسنا: أليس يحيى الذى هو أعظم من أنجبت النساء بنص كلام المسيح قد مات مقتولا؟ ترى أيعيبه هذا؟ كلا ، بل العيب كل العيب فيمن سمع بمقتله على النحو الشنيع الذى نعرف وبلغه أن رأسه قد احْتُزَّتْ وقُدِّمَتْ على طبق من ذهب هدية لعاهرة من العاهرات فلا يتحرك قلبه ولا تذرى عينه ولو دمعة واحدة من باب المجاملة رغم قرابته له ، ورغم تعمده وتطهره ونيله التوبة على يديه! أليس كذلك؟ ومرة أخرى نسأل: وماذا فى أن يموت الإنسان مقتولا؟ وكيف يثير الواعظ هذه النقطة ، وهو وقومه يقولون إن عيسى قد مات تلك الميتة البشعة المهينة المذلة التى يصفها مؤلفو الأناجيل والتى ناله فيها البصق والضرب بالرمح فى الجنب ، وبالعصا فوق الرأس ، والشتم والتهكم المر والعطش الحارق؟ فإذا عرفنا أنه عندهم إله تكون

الطامة قد تجاوزت حدود المعقول وبرجلت العقول! علاوة على أن المصلوب ملعون بنص الكتاب المقدس كما جاء فى الإصحاح الثانى والعشرين من سفر التثنية: "وَإِذَا كَانَ عَلَى إِنْسَانٍ خَطِيَّةٌ حَقُّهَا الْمَوْتُ، فَقُتِلَ وَعَلَّقْتَهُ عَلَى خَشَبَةٍ، [23] فَلاَ تَبِتْ جُثَّتُهُ عَلَى الْخَشَبَةِ، بَلْ تَدْفِنُهُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، لأَنَّ الْمُعَلَّقَ مَلْعُونٌ مِنَ اللهِ. فَلاَ تُنَجِّسْ أَرْضَكَ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَصِيبًا"، وهو النص الذى أطاش لب بولس فأخذ يبحث عبثا عن مخرج فلم يجد إلا التأويل التالى المسىء فى حق سيدنا عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم: "[13] اَلْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لأَجْلِنَا، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ عَلَى خَشَبَةٍ». [14] لِتَصِيرَ بَرَكَةُ إِبْرَاهِيمَ لِلأُمَمِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، لِنَنَالَ بِالإِيمَانِ مَوْعِدَ الرُّوحِ" (غلاطية/ ٣). أى أن الله يعرّض نفسه للعنة من أجل خلقه. ومن الذى يلعنه يا ترى؟ طبعا هو نفسه لأن اللعنة إنما تكون من الله! بالذمة هل فهم أحد شيئا؟ لا يا صاحبى، حَدُّ الله بيننا وبين الآلهة الملاعين! وطبع نحن لا نؤمن بشىء من هذا، بل أردت فقط أن أبين إلامَ تنتهى بنا الأمور لو طاوعنا الواعظ الطيب ومشينا معه لحد باب الدار، مع احترامنا التام لسيدنا عيسى بن مريم عليه وعلى أمه الصلاة والسلام.

وهذا إن كان الرسول قد مات مسموما كما قيل فى بعض الروايات، إذ السؤال هو: هل يمكن أن يموت أى شخص من مثل ذلك المقدار التافه من السم؟ ومتى؟ بعد عدة سنوات؟ ترى أمن المعقول ألا يصاب الرسول عليه السلام ساعتها بأى ألم أو عَرَض من أعراض التسمم، ثم يظهر مفعول السم بعد مرور عدة سنوات؟ ذلك أن تلك الرواية التى لا معنى لها تقول إن واقعة السم قد حصلت فى غزوة خيبر، أى سنة سبع للهجرة، بينما تمت الوفاة بعد هذا بثلاث سنوات! وفى الطب يُقسَّم التسمم إلى: تسمم حاد،

وفيه يتعرض الشخص لجرعة واحدة كبيرة من السم أو جرعات متعددة خلال فترة قصيرة من الزمن لا تتجاوز ٢٤ ساعة ، وتظهر الأعراض وتتطور بسرعة كبيرة وتنتهي بالوفاة إذا لم يُسْعَف المتسمم . وهناك التسمم المزمن ، وفيه يتعرض الشخص لجرعات صغيرة متتالية من السم خلال مدة طويلة من الزمن قد تمتد لعدة سنوات . وفى هذه الحالة فإن السم يتراكم في الجسم وتزداد نسبته تدريجيا حتى تبلغ حدا كافيا لظهور الأعراض المرضية . وإلى القارئ أيضا السطور التالية من مادة "Poison" فى "الويكيبيديا" ، وهى تجرى فى نفس المجرى: " Acute poisoning is exposure to a poison on one occasion or during a short period of time. Symptoms develop in close relation to the exposure. Chronic poisoning is long-term repeated or continuous exposure to a poison where symptoms do not occur immediately or after each exposure" . ومن الواضح أن حالة الرسول ، بناء على الرواية المذكورة ، لا تندرج تحت أىّ من هذين التصنيفين ، ومن ثم فلا معنى لترديد ذلك الكلام الغريب . وحتى لو تجاهلنا هذا كله ، وهو مما لا يصح تجاهله ، وقلنا إنه عليه السلام قد مات مسموما ، لقد قتلته يهودية كما قتل المسيحَ اليهودُ حسب زعم النصارى . فالحال بعضه من بعض إذن ، فلماذا الزعم بأن قتله صلى الله عليه وسلم ينال من كرامته؟

هذا ، وقد راجعت الحديث الخاص بتلك المسألة فى "موسوعة الحديث" المسماة: "تيسير الوصول إلى أحاديث الرسول" (بموقع "الدُّرَر السَّنِيّة") ، وهى من أضخم موسوعات الحديث النبوى وأحظاها بالخدمة العلمية ، فوجدت له أربع روايات أوردتها الموسوعة وخرّجتها جميعا على النحو التالى: "ما زالت أكلة خيبر تعاودني كل عام ، فهذا أوان انقطاع أبهري" .

الراوي: أبو هريرة . خلاصة الدرجة: فيه سعيد بن محمد الوراق ، ذكر من جرحه . المحدث: الذهبي . المصدر: ميزان الاعتدال- "ما زالت أكلة خيبر تعادني حتى هذا أوان قطعت أبهري" . الراوي: أبو هريرة . خلاصة الدرجة: فيه سعيد بن محمد الوراق ، ليس بالقوي ، وقد حدث عنه جماعة من أهل العلم واحتملوا حديثه . المحدث: الزيلعي . المصدر: تخريج الكشاف- "ما زالت أكلة خيبر تعادني فهذا أوان قطعت أبهري" . الراوي: أبو جعفر . خلاصة الدرجة: معضل . المحدث: الزيلعي المصدر: تخريج الكشاف- "ما زالت أكلة خيبر تعادني فهذا أوان قطعت أبهري" . الراوي: أبو هريرة . خلاصة الدرجة: فيه سعيد بن محمد الوراق ، ضعيف . المحدث: ابن حجر العسقلاني . المصدر: الكافي الشاف . فهذا هو وضع الحديث من جهة السند ، وهو وضع لا يبعث على الطمأنينة . أما من جهة المتن ، أو المضمون بلغة العصر ، فينبغي أن نلاحظ ما هو منسوب له صلى الله عليه وسلم من القول بأن آلام تلك الأكلة كانت تعاوده باستمرار . ومعنى هذا أنه كان دائم الشكاية منها والحديث عنها كما يصنع الآن في مرضه الأخير ، وهو ما لم يحدث ، بل إنه لم يحدث أن مرض رسول الله قبل تلك الحمى التى اعترته فى أيامه الأخيرة وفاضت روحه بعدها إلى بارئها . ثم ألم يكن عند العرب علاج للسم ، حتى لو لم تكن له أية قيمة طبية ، فيشير به صحابة رسول الله عليه طوال تلك السنوات الثلاث التى انقضت ما بين أكلة خيبر ووفاته صلى الله عليه وسلم ما دام الوجع يعاوده طوال تلك المدة؟ وسواء بعد ذلك أقبِلَ وصفتهم أم رفضها ، إذ تلك مسألة أخرى . لكن هذا أيضا لم يقع ، فما معناه؟ ثم لا ننس عبارة "فهذا أوان انقطع أبهرى" ، فـ"الأبهر" هو ما يسمونه اليوم بـ"الأورطى" ، وقد سألت صديقا لى طبيبًا كاتبًا أديبًا فقال إن معنى العبارة هو انفجار هذا الشريان ، فعدت أسأله عن أثر ذلك ، فكان

جوابه أنه هو الموت فى خلال دقائق معدودات ، وإن كان ممكنا تداركه الآن بعد التقدم الطبى الهائل بشرط أن تتم معالجة المريض فى الحال . وهذا أيضا لم يقع للنبى ، إذ ظل يشكو المرض عدة أسابيع ، ويقاسى وجع الحمى أياما ويحاول أن يعالجها بالماء البارد طوال ذلك الوقت . ويمكن القارئ الرجوع فى هذا إلى الكتاب الذى وضعه د . حسين مؤنس عن "التاريخ الصحى للرسول صلى الله عليه وسلم" (سلسلة "اقرأ"/ العدد ٦٥٧) . أى أنه لم يكن هناك ما يدل على أن مرضه الأخير كان من أثر السم حقا ، وهذا إن كان قد تسرب إلى بطنه شىء منه ذو بال ، وهو ما لا نتصور حدوثه ، وإلا لكان قد مات لساعته كما مات الصحابى الآخر وهو لم يبرح مكانه كما تقول بعض الروايات أو لعانى منه أشد المعاناة كما عانى ذلك الصحابى طبقا لما تقوله بعض الروايات الأخرى ، إذ كانت اليهودية قد تخيرت أقتل أنواع السموم . وعلى هذا فحتى لو كان قد تسرب منه شىء إلى معدته صلى الله عليه وسلم فلا بد أن يكون شيئا تافها لا يمكن أن يكون له كل هذا الأثر بعد انصرام ثلاث سنوات .

والعجيب أن يقول واعظنا الظريف إن المسيح مات طوعا ، فهل مات فعلاً المسيح طوعًا؟ ألم يكن يجأر فوق الصليب وينادى ، وما من مغيث؟ ومن قَبْلُ ألم يكن يطلب من ربه أن يجيز كأس الموت عنه؟ ألم يلعن من سلمه إلى أيدى اليهود ووصفه بأنه شيطان ، مما يفيد أنه ساخط على الصلب والموت على الصليب؟ ألم يذهب خارج المدينة هو وتلاميذه قبل ذلك حتى يبتعد عن أنظار المطاردين ، مما يشير بكل جلاء إلى أنه كان يتحاشى شرب تلك الكأس؟ جاء فى الإصحاح السادس من إنجيل يوحنا: "[٦٦] مِنْ هذَا الْوَقْتِ رَجَعَ كَثِيرُونَ مِنْ تَلاَمِيذِهِ إِلَى الْوَرَاءِ، وَلَمْ يَعُودُوا يَمْشُونَ مَعَهُ . [٦٧] فَقَالَ يَسُوعُ لِلاثْنَيْ عَشَرَ: «أَلَعَلَّكُمْ أَنْتُمْ أَيْضًا تُرِيدُونَ أَنْ

تَمْضُوا؟ » [68] فَأَجَابَهُ سِمْعَانُ بُطْرُسُ: «يَارَبُّ ، إِلَى مَنْ نَذْهَبُ؟ كَلاَمُ الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ عِنْدَكَ ، [69] وَنَحْنُ قَدْ آمَنَّا وَعَرَفْنَا أَنَّكَ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ الْحَيِّ» . [70] أَجَابَهُمْ يَسُوعُ: «أَلَيْسَ أَنِّي أَنَا اخْتَرْتُكُمْ ، الاثْنَيْ عَشَرَ؟ وَوَاحِدٌ مِنْكُمْ شَيْطَانٌ! » [71] قَالَ عَنْ يَهُوذَا سِمْعَانَ الإِسْخَرْيُوطِيِّ ، لأَنَّ هذَا كَانَ مُزْمِعًا أَنْ يُسَلِّمَهُ ، وَهُوَ وَاحِدٌ مِنَ الاثْنَيْ عَشَرَ" . وفى الإصحاح الذى بعده نقرأ: " [1] وَكَانَ يَسُوعُ يَتَرَدَّدُ بَعْدَ هذَا فِي الْجَلِيلِ ، لأَنَّهُ لَمْ يُرِدْ أَنْ يَتَرَدَّدَ فِي الْيَهُودِيَّةِ لأَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا يَطْلُبُونَ أَنْ يَقْتُلُوهُ" . وفى الإصحاح السادس والعشرين من إنجيل متى يصف مؤلف هذا الإنجيل مشاعر سيدناعيسى حين دنت الساعة التى سيُصْلَب فيها طبقا لما يقول النصارى: " حِينَئِذٍ جَاءَ مَعَهُمْ يَسُوعُ إِلَى ضَيْعَةٍ يُقَالُ لَهَا جَثْسَيْمَانِي ، فَقَالَ لِلتَّلاَمِيذِ: «اجْلِسُوا ههُنَا حَتَّى أَمْضِيَ وَأُصَلِّيَ هُنَاكَ» . [37] ثُمَّ أَخَذَ مَعَهُ بُطْرُسَ وَابْنَيْ زَبْدِي ، وَابْتَدَأَ يَحْزَنُ وَيَكْتَئِبُ . [38] فَقَالَ لَهُمْ: «نَفْسِي حَزِينَةٌ جِدًّا حَتَّى الْمَوْتِ . اُمْكُثُوا ههُنَا وَاسْهَرُوا مَعِي» . [39] ثُمَّ تَقَدَّمَ قَلِيلاً وَخَرَّ عَلَى وَجْهِهِ ، وَكَانَ يُصَلِّي قَائِلاً: «يَا أَبَتَاهُ ، إِنْ أَمْكَنَ فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسُ ، وَلكِنْ لَيْسَ كَمَا أُرِيدُ أَنَا بَلْ كَمَا تُرِيدُ أَنْتَ» . [40] ثُمَّ جَاءَ إِلَى التَّلاَمِيذِ فَوَجَدَهُمْ نِيَامًا ، فَقَالَ لِبُطْرُسَ: «أَهكَذَا مَا قَدَرْتُمْ أَنْ تَسْهَرُوا مَعِي سَاعَةً وَاحِدَةً؟ [41] اِسْهَرُوا وَصَلُّوا لِئَلاَّ تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ . أَمَّا الرُّوحُ فَنَشِيطٌ وَأَمَّا الْجَسَدُ فَضَعِيفٌ» . [42] فَمَضَى أَيْضًا ثَانِيَةً وَصَلَّى قَائِلاً: «يَا أَبَتَاهُ ، إِنْ لَمْ يُمْكِنْ أَنْ تَعْبُرَ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسُ إِلاَّ أَنْ أَشْرَبَهَا ، فَلْتَكُنْ مَشِيئَتُكَ» . [43] ثُمَّ جَاءَ فَوَجَدَهُمْ أَيْضًا نِيَامًا ، إِذْ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ ثَقِيلَةً . [44] فَتَرَكَهُمْ وَمَضَى أَيْضًا وَصَلَّى ثَالِثَةً قَائِلاً ذلِكَ الْكَلاَمَ بِعَيْنِهِ" .

كذلك نقرأ فى الإصحاح السابع والعشرين من متى أيضا الوصف التالى لما حدث له ، عليه السلام ، فى لحظاته الأخيرة حسب اعتقادات القوم: " [27] فَأَخَذَ عَسْكَرُ الْوَالِي يَسُوعَ إِلَى دَارِ الْوِلاَيَةِ وَجَمَعُوا عَلَيْهِ كُلَّ الْكَتِيبَةِ ،

[28] فَعَرَّوْهُ وَأَلْبَسُوهُ رِدَاءً قِرْمِزِيًّا، [29] وَضَفَرُوا إِكْلِيلاً مِنْ شَوْكٍ وَوَضَعُوهُ عَلَى
رَأْسِهِ، وَقَصَبَةً فِي يَمِينِهِ. وَكَانُوا يَجْثُونَ قُدَّامَهُ وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِ قَائِلِينَ:
«السَّلاَمُ يَا مَلِكَ الْيَهُودِ!» [30] وَبَصَقُوا عَلَيْهِ، وَأَخَذُوا الْقَصَبَةَ وَضَرَبُوهُ عَلَى
رَأْسِهِ. [31] وَبَعْدَ مَا اسْتَهْزَأُوا بِهِ، نَزَعُوا عَنْهُ الرِّدَاءَ وَأَلْبَسُوهُ ثِيَابَهُ، وَمَضَوْا بِهِ
لِلصَّلْبِ. [32] وَفِيمَا هُمْ خَارِجُونَ وَجَدُوا إِنْسَانًا قَيْرَوَانِيًّا اسْمُهُ سِمْعَانُ،
فَسَخَّرُوهُ لِيَحْمِلَ صَلِيبَهُ. [33] وَلَمَّا أَتَوْا إِلَى مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ جُلْجُثَةُ، وَهُوَ
الْمُسَمَّى «مَوْضِعَ الْجُمْجُمَةِ» [34] أَعْطَوْهُ خَلاً مَمْزُوجًا بِمَرَارَةٍ لِيَشْرَبَ. وَلَمَّا
ذَاقَ لَمْ يُرِدْ أَنْ يَشْرَبَ. [35] وَلَمَّا صَلَبُوهُ اقْتَسَمُوا ثِيَابَهُ مُقْتَرِعِينَ عَلَيْهَا، لِكَيْ
يَتِمَّ مَا قِيلَ بِالنَّبِيِّ: «اقْتَسَمُوا ثِيَابِي بَيْنَهُمْ، وَعَلَى لِبَاسِي أَلْقَوْا قُرْعَةً». [36] ثُمَّ
جَلَسُوا يَحْرُسُونَهُ هُنَاكَ. [37] وَجَعَلُوا فَوْقَ رَأْسِهِ عِلَّتَهُ مَكْتُوبَةً: «هذَا هُوَ يَسُوعُ
مَلِكُ الْيَهُودِ». [38] حِينَئِذٍ صُلِبَ مَعَهُ لِصَّانِ، وَاحِدٌ عَنِ الْيَمِينِ وَوَاحِدٌ عَنِ
الْيَسَارِ. [39] وَكَانَ الْمُجْتَازُونَ يُجَدِّفُونَ عَلَيْهِ وَهُمْ يَهُزُّونَ رُؤُوسَهُمْ [40] قَائِلِينَ:
«يَا نَاقِضَ الْهَيْكَلِ وَبَانِيَهُ فِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ، خَلِّصْ نَفْسَكَ! إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ
فَانْزِلْ عَنِ الصَّلِيبِ!». [41] وَكَذلِكَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ أَيْضًا وَهُمْ يَسْتَهْزِئُونَ مَعَ
الْكَتَبَةِ وَالشُّيُوخِ قَالُوا: [42] «خَلَّصَ آخَرِينَ وَأَمَّا نَفْسُهُ فَمَا يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَهَا!
إِنْ كَانَ هُوَ مَلِكَ إِسْرَائِيلَ فَلْيَنْزِلِ الآنَ عَنِ الصَّلِيبِ فَنُؤْمِنَ بِهِ! [43] قَدِ اتَّكَلَ
عَلَى اللهِ، فَلْيُنْقِذْهُ الآنَ إِنْ أَرَادَهُ! لأَنَّهُ قَالَ: أَنَا ابْنُ اللهِ!». [44] وَبِذلِكَ أَيْضًا
كَانَ اللِّصَّانِ اللَّذَانِ صُلِبَا مَعَهُ يُعَيِّرَانِهِ. [45] وَمِنَ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ كَانَتْ ظُلْمَةٌ
عَلَى كُلِّ الأَرْضِ إِلَى السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ. [46] وَنَحْوَ السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ صَرَخَ يَسُوعُ
بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلاً: «إِيلِي، إِيلِي، لِمَا شَبَقْتَنِي؟» أَيْ: إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا
تَرَكْتَنِي؟ [47] فَقَوْمٌ مِنَ الْوَاقِفِينَ هُنَاكَ لَمَّا سَمِعُوا قَالُوا: «إِنَّهُ يُنَادِي إِيلِيَّا».
[48] وَلِلْوَقْتِ رَكَضَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَأَخَذَ إِسْفِنْجَةً وَمَلأَهَا خَلاً وَجَعَلَهَا عَلَى
قَصَبَةٍ وَسَقَاهُ. [49] وَأَمَّا الْبَاقُونَ فَقَالُوا: «اتْرُكْ لِنَرَى هَلْ يَأْتِي إِيلِيَّا يُخَلِّصُهُ!».

"فَصَرَخَ يَسُوعُ أَيْضًا بِصَوْتٍ عَظِيمٍ، وَأَسْلَمَ الرُّوحَ".

ويبقى قول الواعظ عن موت المسيح وقيامته من قبره حسبما تروى الأناجيل: "ولا ينكر القرآن موت المسيح التاريخي، خاصة إن قرأنا نبوة المسيح عن نفسه في سورة مريم ٣٣ حيث يقول: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾ [مريم: ٣٣]. المسيح وُلد ومات وقام من قبره حسب القرآن، كما أخبرنا الإنجيل مسبقًا، وكل من يؤمن بهذه الحقيقة التاريخية يحيا مع الحي المقام من بين الأموات. سوف لن يموت المسيح بعد رجوعه على الأرض لأنه لم يقل: سوف أموت في المستقبل البعيد، بل قال: أموت في المستقبل القريب الحاضر. فالقرآن يعترف بولادة المسيح وموته وقيامته متتابعًا كما يشهد جميع المسيحيين متأكدين من تاريخية موت ابن مريم". ويلفت النظر فى كلام الواعظ هنا أنه يرى فى استعمال الفعل المضارع فى الآية الكريمة دلالة على أن عيسى عليه السلام "لن يموت بعد رجوعه على الأرض لأنه لم يقل: سوف أموت في المستقبل البعيد، بل قال: أموت في المستقبل القريب الحاضر..."، جاهلا أن هذا دليل متهافت تمام التهافت لا يصلح لما يريد الاستدلال به عليه لأن المضارع هنا لا يدل على شىء مما يزعم، وإلا فليقل لنا كيف يفهم المضارع مثلا فى الآيات التالية التى تتحدث عن يوم القيامة، وهو أبعد يوم فى المستقبل الدنيوى، إذ هو لا يأتى إلا بعد انتهاء الحياة على وجه البسيطة، وقد استُخْدِم المضارع فيها كلها فى تركيب مطابق للتركيب الذى بين أيدينا، إذ أتى الفعل المضارع بعد كلمة "يوم"، وفى القرآن منه الكثير: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنعام: ٢٢]، ﴿وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾ [إبراهيم: ٤٤]، ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ

﴿ الْأَرْضُ وَالسَّمَٰوَٰتُ ﴾ [إبراهيم: ٤٧ - ٤٨]، ﴿ فَسَيَقُولُونَ ﴾ (أي الكفار) ﴿ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٥١ - ٥٢]، ﴿ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ﴾ [غافر: ٣٢ - ٣٣]، ﴿ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ [ق: ٤١ - ٤٤]، ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا ﴾ [المعارج: ٤٢ - ٤٣]، ﴿ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ ﴾ [المزمل: ١٢ - ١٤]، ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ ﴾ [عبس: ٣٣ - ٣٤].

* * *

٨- محمد والمسيح بعد موتهما

* دُفِن محمد في المدينة المنورة، وقبره معروف حتى الآن، ويزوره ملايين من الحجاج سنويا مؤمنين أن عظام محمد لا تزال في قبره، وأن نفسه دخلت البرزخ وهو ينتظر يوم الدين العظيم. أما المسيح فرفعه الله إليه. ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران: ٥٥]. ﴿ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ [النساء: ١٥٨]. فالله أخرج ابن مريم من قبره، وأصعده إلى نفسه، وهو من المقربين، وجيهًا في الدنيا والآخرة. ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [آل عمران: ٤٥]. لقد وُجد قبر المسيح فارغًا لأنه قام حقًا كما أعلن مسبقًا، وأما عظام محمد فلا تزال في قبره. المسيح حي، وأما محمد فميّت: لم يقم بعد من

الأموات، ولم يصعد إلى جنة عدن حتى الآن. ما أعظم الفرق بين الموت والحياة! وكما أن الحياة أعظم من الموت، هكذا يكون المسيح أعظم من محمد. المسيح هو الحياة الأبدية بالذات.

** فى الرد على هذه الفقرة نعيد أولا ما قلناه قبلا من أن فى القرآن كلاما عن ابن مريم يوم القيامة يصوره عليه السلام وهو واقف أمام ربه يسأله عما أتاه أتباعه من بعده من تأليههم له، سؤالَ الرب لعبده الخائف الراجف الذى يعرف حدوده جيدا، فهو يسارع بالتنصل من هذا الكفر الشنيع وممن قالوه. ثم إن محمدا عليه الصلاة السلام لهو صاحب الشفاعة العظمى حسبما نَصَّ على ذلك كثير من الأحاديث النبوية، وهذا معنى قوله تعالى: "عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا". فالشفاعة ستكون لسيدنا محمد عليه السلام وحده من دون الأنبياء والرسل بما فيهم سيدنا عيسى عليه السلام. وهذه إحدى المكرمات التى اخْتُصَّ بها سيدنا النبى صلى الله عليه وسلم، وإن كان هذا لا ينال من عيسى ولا غيره من المرسلين فى شىء، فتقديم أحد الأنبياء على سائر إخوانه لا يسىء إليهم فى قليل ولا كثير، فكلهم مكرَّمون معظَّمون بفضل الله، لكنه يدل على أن صاحب التقديم قد اخْتُصَّ بمزيد من التكريم والتعظيم.

ومن مقارنات الواعظ الطيب الذى على نياته قوله إن عيسى قد أُصْعِد إلى السماء حيا، بينما لا تزال عظام محمد فى قبره. وتعقيبنا على هذا هو أن عيسى، طبقا لما يؤمن به الواعظ المحترم وطائفته، قد مات مثلما مات محمد، فما المشكلة إذن؟ لكنه يقول إن عيسى قام من الأموات، أما محمد فلا. ترى هل وجود عظام إنسان فى الأرض يعنى أن روحه هى أيضا فى الأرض؟ إن كل الأرواح عند فناء الجسد تصعد راجعة إلى ربها، أما الجسد فهو كساء وقتى تكتسيه الروح ثم تخلعه لدى الموت. وبناءً على هذا فوجود عظام

النبى الكريم فى المدينة المنورة لا يعنى أبدا أن روحه ليست عند ربه سبحانه وتعالى. ثم هل الله سبحانه وتعالى فى السماء فعلا؟ أم هو فوق الزمان والمكان بحيث إن ربْط الناس بينه سبحانه وبين السماء عادةً لا يعنى أنه فى السماء أو فوقها؟ وعلى أية حال فقد عُرِج به فى حياته صلى الله عليه وسلم إلى السماوات العلا حتى بلغ سدرة المنتهى كما ذكر القرآن الذى يستشهد به واعظنا الطيب. كذلك فالنص القرآنى ليس قاطع الدلالة فى موضوع صعود عيسى عليه السلام بالجسد ولا صعوده حيًا، إذ تقول الآية الكريمة: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ [آل عمران: ٥٥]، وليس فيها على سبيل القطع الذى لا تمكن المماراة فيه أنه سبحانه قد أصعده إلى السماء حيًا بجسده. إن من المسلمين من يفهم تلك الآية كما فهمها القُمّص، لكن هناك أيضا من المسلمين من يقولون بالوفاة العادية ورِفْعَة المكانة لا الجسد. وعلى أية حال هل هناك فرقٌ يُذْكَر بين قوله سبحانه عن السيد المسيح وبين قوله عن إدريس عليهما السلام: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ ﴾ [مريم: ٥٦ - ٥٧]؟ ثم إن الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى ذكر كذلك أن إيليا قد رفعه الله إليه أيضا بالمعنى المادى، أى أصعد جسده إلى السماء: "وَفِيمَا هُمَا يَسِيرَانِ وَيَتَكَلَّمَانِ إِذَا مَرْكَبَةٌ مِنْ نَارٍ وَخَيْلٌ مِنْ نَارٍ فَصَلَتْ بَيْنَهُمَا، فَصَعِدَ إِيلِيَّا فِي الْعَاصِفَةِ إِلَى السَّمَاءِ. وَكَانَ أَلِيشَعُ يَرَى وَهُوَ يَصْرُخُ: «يَا أَبِي، يَا أَبِي، مَرْكَبَةَ إِسْرَائِيلَ وَفُرْسَانَهَا». وَلَمْ يَرَهُ بَعْدُ" (ملوك ٢/ ٢/ ١١- ١٢). إننى لا أبغى أبدا التقليل من شأن سيدنا عيسى عليه السلام، فنحن المسلمين نَعُدّ أنفسنا أتباعه الحقيقيين ونؤمن أن غيرنا قد كفروا به وضلّوا عن سواء السبيل وأشركوا بالله ما لم ينزّل به سلطانا. كل ما هنالك أننا نحاول أن نقدم صورة منطقية ومستقيمة وصحيحة فى المقارنة بين النبيين العظيمين: محمد وعيسى عليهما السلام.

وفى النهاية نقول: فلنفترض أن عيسى قد أُصْعِد فعلا بجسده إلى السماء وأنه هو وحده الذى حدث له ذلك ، فالسؤال حينئذ هو: وماذا بعد؟ وما الفائدة التى عادت على الدعوة من جرّاء هذا؟ لقد ترتب على هذا الصعود وغيره أن أشركه كثير من البشر مع الله ، وهو البشر الضعيف العاجز الفانى! وأخيرا لقد سكتُّ طوال الفقرة كلها فلم أشأ أن أفسد على الواعظ الطيب الذى على نياته فرحته فأقول له: إنك بإصرارك على أن المسيح قد صعد فى السماء بجسده لتهدم معتقدك فى ألوهيته وتجسُّده حسبما تقول ، إذ إنه إنما تجسد هنا على الأرض كى يكون مثلنا ويذوق الألم كما نذوقه ويموت على الصليب كأى إنسان يموت عليه . . . إلخ ، فما معنى أن يبقى بجسده بعد ذلك كله إذن ، أى بعد أن تحققت الحكمة من تجسده وتم صلبه وفداؤه للبشر من خطيئتهم وعاد من حيث أتى ورجع إلها خالصا كما كان لا تشوبه شائبة من البشرية؟ ألا يرى واعظنا الطيب أنه يضع نفسه دائما فى مأزق عسر لا يمكنه التخلص منه؟

* * *

٩- سلام محمد وسلام المسيح

* ينطق جميع المسلمين عند ذكر اسم محمد بالعبارة: صلى الله عليه وسلم . أَلَمْ يحلّ سلام الله على محمد بعدُ حتى ينبغي على الله والملائكة أن يصلوا عليه كما هو مكتوب في سورة الأحزاب . ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦] . لَمْ يتبرّر محمد بعدُ ويتمتع بالخلاص الأبدي بل ينقصه سلام الله حتى يكون فرض على جميع المسلمين في كل العصور أن يصلوا عليه ويسلموا . أما المسيح فيشهد حسب القرآن: السلام عليّ يوم وُلِدْتُ ويوم أموت ويوم

أُبْعَث حيًا . فابن مريم هو رئيس السلام الذي عاش من بداية حياته إلى نهايتها في سلام مع الله وفي رضاه . قد تمت ولادته من مريم العذراء حسب إرادة الله وقدرته بدون خطية ، فعمّ السلام لأجل تجسد كلمة الله حتى انفتحت السماوات وأنشدت الملائكة مرنمة: الْمَجْدُ لِلَّهِ فِي الأَعَالِي . وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ . وَبِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ- لوقا ٢: ١٤ . مات المسيح موتًا حقيقيًا . إنما لم يمت بسبب خطاياه ، بل بسبب خطايانا نحن الخطاة . فاختبر المسيح حتى في موته السلام مع الله . جميع الناس يموتون بسبب خطاياهم الشنيعة لأَنَّ أُجْرَةَ الْخَطِيَّةِ هِيَ مَوْتٌ- رومية ٦: ٢٣ ، أما الله فسُرَّ بالمسيح لأنه صالحَ القدوس مع البشر بموته النيابي عنهم ، فتستقر مسرة الله على ابن مريم . إنّ قيامة المسيح من بين الأموات هي أعظم برهان على براءته وقداسته . لو ارتكب المسيح خطية واحدة في حياته لوجد الموت فيه حقًا وقبضه مثل محمد . لكنه لم يرتكب خطية ولا شبْه خطية ، ولأجل ذلك غلب الموت وترك قبره ظافرًا . فالمسيح حي ، أما محمد فميّت . لذلك يشهد جميع المسلمين عند ذكر اسم المسيح السلام عليه شاهدين بأنه يحيا في السلام . لقد اختبر محمد اضطهادات مُرّة وقام بالجهاد والحروب مرارًا وأمر بقتل أعدائه والمشركين والمرتدين . ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾﴾ [البقرة: ١٩١] . ﴿فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [النساء: ٨٩] . ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] . ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩] . ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ [التوبة: ٥] . فلم يأت محمد بسلام بدون جهاد ، بل أمر بغزوات واشترك بسفك

الدماء لأجل السلام . فكان أمير المؤمنين والقائد السياسي المحنك في الجزيرة العربية . اضطهد اليهود المسيح بالعنف أيضًا ، إنما لم يدافع عن نفسه بالسيف ، ومنع أتباعه من سفك الدماء قائلا: من يأخذ السيف فبالسيف يُؤخذ- متى ٢٦: ٥٢ . فكل مسيحي يقاتل لأجل نصر المسيحية بالسلاح سافكًا دم الأعداء يدخل جهنم لأنه يعصى ويخالف أمر سيده رئيس السلام ، أما المسلم الذي مات في الجهاد فيرجو انتقاله إلى الجنة مبررًا . فيظهر جليًا أن المسيح وحده أسّس سلامًا حقيقيًا دون قتال وحرب ، بينما فرض محمد الجهاد والقتال مرارًا على المسلمين ، أما المسيح ففضل أن يسفك دمه الثمين عوضًا عن دم أعدائه لكي لا يقتلهم . وصلى لأجل قاتليه: اغْفِرْ لَهُمْ لأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ- لوقا ٢٣: ٣٤ . فالمسيح هو المسالم والمسلم الحقيقي الوحيد إن اعتبرنا كلمة الإسلام والمسلم مشتقة من كلمة السلام.

** أولا: لم يقل الله إن محمدا لا يحظى بالسلام فى حياته أو بعد مماته حتى يجعل الواعظ اللمّاح من ذلك بابا إلى الملاحاة والمكايدة ، بل قال فى حقه صلى الله عليه وسلم: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ۝٥٦ ﴾ [الأحزاب: ٥٦] ، وفى ذات الوقت لم يقل سبحانه فى أحد سواه لا عيسى ولا غير عيسى إنه يصلى عليه هو وملائكته ، ولم يطلب من المؤمنين ولا من الكافرين أن يصلوا ويسلموا عليه تسليما مثلما فعل مع محمد . ومعنى الله وملائكته "يصلون" على النبى أن الصلاة مستمرة لا تتوقف ، لأن الفعل المضارع فى هذه الحالة يدل على الديمومة وعدم الانقطاع لا فى حياته ولا بعد وفاته . أى أن هذا شرف لم يحظ به إلا نبينا صلى الله عليه وسلم ، بيد أن الواعظ الظريف يقلب الأمور رأسا على عقب ، وهيهات ما يريد . ولو أردنا أن نتحاسب مع واعظنا الذكى بطريقته الذكية "لطلع لنا عليه حساب كبير" ، فالمسيح يقول: ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ

وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ﴾ [مريم: ٣٣]، وهو (بالمناسبة) نفس ما قيل في يحيى عليه السلام قبيل ذلك في سورة "مريم" نفسها . قال تعالى عن ذلك النبي الشهيد: ﴿ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ ﴾ [مريم: ١٥] . ومعنى هذا أن السلام على عيسى ويحيى مقصور على يوم ولادتهما ويوم مماتهما ويوم بعثهما ليس إلا ، بخلاف صلاة الله والملائكة على سيدنا رسول الله (صلاة الله والملائكة، وليس صلاة البشر . لاحظ!)، فهى متصلة لا نهاية لها . ومع هذا كله فنحن نحترم سيدنا عيسى احتراما شديدا لا يحترمه إياه سوى المسلمين ، لأن الإيمان فى ديننا لا يتم إلا بالإيمان به وبكل الأنبياء والرسل وتبجيلهم ، عليهم جميعا السلام . ومن احترامنا له وتبجيلنا إياه أننا عادة ما نلحق باسمه حين يأتى ذكره على ألسنتنا قولنا: "عليه السلام". فالأمر بالنسبة له ولنبينا فى هذه النقطة واحد رغم معرفتنا أن الله سبحانه وتعالى قد أمرنا بالصلاة والسلام على محمد فقط نصًا ، إلا أننا من شدة محبتنا لابن مريم وأمه نقرن اسميهما بالسلام أو بالصلاة والسلام جميعا . فكيف يتخذ الواعظ اللبق من احترامنا ومحبتنا لعيسى بن مريم مثارا للمناقرة والمماراة؟

وثانيا: يقول الواعظ إن الموت سببه الخطيئة . فلماذا إذن يا ترى لم يمح الله الموت من صفحة الوجود ما دام عيسى قد جاء وافتدى البشر من خطيئتهم ، فلم تعد هناك خطيئة ولا يحزنون؟ بل لماذا مات هو كما يعتقد الواعظ وشيعته ، وهو لم يرتكب خطيئة ، وفوق ذلك فهو إله حسبما يقولون لا يجوز عليه الموت؟ مشكلة كبيرة معقدة! أليس كذلك؟ فليكن الأمر ما يكون ، فالمهم أن ابن مريم وابن عبد الله بن عبد المطلب كلاهما قد مات ، ولا أحد أحسن من أحد . وعلى هذا فلا معنى ولا مغزى لكل هذه المماحكات التى لا تسمن ولا تغنى من جوع! أما قول واعظنا إن عيسى قد وُلد من مريم العذراء "حسب إرادة الله وقدرته" ، فالرد عليه أسهل شيء ،

لأن هذا يصدق على ولادة كل مولود ، من البشر وغير البشر . أم ترى نيافته يقول إن المسيح وحده هو الذى وُلد بإرادة الله وقدرته ، وبقية المخلوقات بقدرة الشيطان وإرادته؟ أرجو أن يتنبه الواحد منا لملافظه ويعرف أين هى ذاهبة أو آيبة ، وإلا انكشفت عورته وسهل اصطياده . كذلك يقول إنه بمجرد ولادة عيسى صلى الله عليه وسلم قد عم السّلام! فأرجو أن يدلنى نيافته على هذا السلام ، أين أراضيه؟ إن الناس تعيش فى اضطرابات ومتاعب وأحقاد منذ أن خلقهم الله ، مرورا بولادة عيسى ، وحتى الآن ، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . مرة أخرى يا نيافة الواعظ المسكين ، حاسب على كلامك ولا تنطق بما يجلب عليك سخرية الساخرين وشماتة الشامتين ، ولستُ منهم ، إنما أنا لك ناصح أمين! أم تراك لا تعيش معنا فى دنيانا هذه بنت الحرمة؟ صح النوم ، صحّى الله بدنك ، وأدام عليك عافيتك ، وبصّرك بمواقع الزّلَل ، وحماك من الخَطَل! أم هو كلام ، والسلام؟ إن كان الأمر كذلك فتعال أملأ لك تلاليس منه دون مقابل ، بل حسبةً لوجه الله!

وثالثا: يتطرق الواعظ إلى الكلام عن حروب رسول الله متخذا منها مغمزا فيه وفى دعوته ، مقارنا له بالمسيح عيسى بن مريم ، الذى لم يرفع السيف فى وجه أعدائه واستغفر لهم . لكن فات السيد الواعظ أن عيسى لم يستمر فى دعوته سوى ثلاث سنوات ليس إلا ، بخلاف محمد ، الذى استمر ثلاثا وعشرين سنة قضى منها فى مكة يتحمل أذى قومه وسخافاتهم وسفالاتهم وجبروتهم ثلاث عشرة سنة كاملات ، لا ثلاث سنين فحسب ، لم يرفع فى وجههم عود نبات ، فضلا عن أن يجرّد للقتال سيفًا ، ودعا الله أن يغفر لهم لأنهم لا يعلمون . كذلك فقد رأينا السيد المسيح فى لحظةِ مكاشَفَةٍ يعلنها صريحة مدوية فيقول: "جِئْتُ لأُلْقِيَ نَارًا عَلَى الأَرْضِ ، فَمَاذَا أُرِيدُ لَوِ اضْطَرَمَتْ؟ وَلِي صِبْغَةٌ أَصْطَبِغُهَا ، وَكَيْفَ أَنْحَصِرُ حَتَّى تُكْمَلَ؟ أَتَظُنُّونَ أَنِّي

جِئْتُ لأُعْطِيَ سَلاَمًا عَلَى الأَرْضِ؟ كَلاَّ ، أَقُولُ لَكُمْ: بَلِ انْقِسَامًا . لأَنَّهُ يَكُونُ مِنَ الآنَ خَمْسَةٌ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ مُنْقَسِمِينَ: ثَلاَثَةٌ عَلَى اثْنَيْنِ ، وَاثْنَانِ عَلَى ثَلاَثَةٍ . يَنْقَسِمُ الأَبُ عَلَى الابْنِ ، وَالابْنُ عَلَى الأَبِ ، وَالأُمُّ عَلَى الْبِنْتِ ، وَالْبِنْتُ عَلَى الأُمِّ ، وَالْحَمَاةُ عَلَى كَنَّتِهَا ، وَالْكَنَّةُ عَلَى حَمَاتِهَا". فلو أنه عليه السلام قد استمر على الأرض بضعةَ أعوامٍ أُخَرَ لكان له شأن آخر ، إذ الحياة لا تجرى على هذا النحو المغرق فى المثالية والسذاجة ، وإلا أكل القوى فيها الضعيف . وها هى ذى أمم الغرب النصرانية أكبر شاهد على ما نقول ، إذ لا تعرف ، منذ أن دخلت فى النصرانية وقرأت إنجيل السلام ، إلا لغة الحرب والسيف ، ثم المدفع والقنابل ، ثم الطائرات والدبابات والصواريخ ، ثم الأسلحة النووية ، ولم نقرأ أنها جنحت يوما إلى التعامل بالحسنى مع أحد إلا أن يكون قويا مثلها يخيفها ويوقفها عند حدها . ونحن اليوم ومنذ قرون نذوق من "سلامها" القتّال ما يُلْهِج ألسنتنا بالدعاء الحارّ من أعماق قلوبنا لها أن "يخرب الله بيتها خرابا مستعجلا ويريحنا منها"، ولا أظن ، إلا أن نتسلح مثلما يتسلحون ولا ننخدع بما يروجونه على ألسنة هذا الواعظ وأمثاله من أن النصرانية دين السلام ، فهى إذن أفضل من الإسلام دين القتال ، وذلك بغية تنويمنا حتى لا يقف لهم منا من ينغص عليهم احتلالهم لبلادنا وكسحهم لثرواتنا وتدميرهم لبيوتنا وانتهاكهم لأعراضنا وتقتيلهم لنا ولأولادنا ونسائنا ، لعنة الله على المخاتلين! وأخيرا لقد أضحكنى واعظنا النسّاء حين قال إن المسيح لم يحاول قط أن يلعن أعداءه ، بل كان يدعو لهم بالغفران . ترى من الذى يدمدم لسانه طوال الوقت فى الأناجيل ، لا على الأعداء فقط بل على الأعداء والأصدقاء معا ، باللعنات والشتائم والتهديد والوعيد بخراب الدّيار وذل الدّيّار مما سقنا بعض شواهده قبل قليل؟ يقينا لست أنا الذى فعل ذلك!

* * *

١٠- آية الله

* يسمّي الوحيُ حَسْبَ القرآن المسيحَ: "آية الله" لأن الله جعله وأمه آية للعالمين. ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١]. ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾ [مريم: ٢١]. ولم يتلقّ المسيح هذا اللقب الفريد من البشر بل من الله مباشرة، ولم يحصل على لقب "آية الله" لأجل دراساته العليا، بل كان منذ الولادة في هذه الصفة البارزة. يعرف الإسلام، وخاصة الشيعة، علماء كثيرين يحملون اللقب: "آية الله"، وغالى الشيعة في إكرام آية الله خميني إذ قال البعض منهم إنه قائدهم والروح القدس. يظهر أن للمسيحيين حسب القرآن "آية الله" خاص، كما أن الشيعة يدّعون أن لهم آية الله. فما هو الفرق بينهما؟ إنما المسيح شفى المرضى وبارك الأعداء وجعل سلامًا بين الله والبشر وخلّص ملايين من عذاب يوم الدّين. أما آية الله خميني فحرض المسلمين لحربين مع العراق وفي أفغانستان فمات الملايين. وكان الخميني يوافق على قتل آلاف الأبرياء من أهل إيران وكان يلعن الغرب والشرق. ما أعظم الفرق بين آية الله المسيحي وآية الله الشيعي. لقد اغتاظ علماء السُّنة من آية الله الخميني لأنه قَبِل ألقابًا لم يستحقها حتى محمد! فأجمع بعض العلماء من عدة بلدان عربية في مؤتمر بالدار البيضاء بقرارهم: إنه يجب على آية الله خميني أن يمنع أتباعه من أن يسموه: "روح الله" أو "روح القدس"، وإلاّ فإنه يُحْرَم من الإسلام لأنّ شخصًا واحدًا في الدنيا والآخرة يستحق أن يسمي نفسه: "روح القدس"، ألا وهو ابن مريم المولود من روح الله. إن كان آية الله خميني قائدًا خاصًا للفُرْس والشيعة أجمعين، فإنّ الله عيّن للمسيح بدعوة أوسع وسماه آية لجميع الناس. فليس ابن مريم آية الله للمسيحيين أو لليهود فحسب، بل أيضا للهندوسيين والبوذيين والكنفوشيين

وللملحدين وللمسلمين . فمن يتعمق في المسيح يدرك أنه آية الله الكامل لكل الناس .

** لا أظن أن سيدنا الواعظ جادٌّ حين يقول إن علماء المسلمين قد نبهوا الخميني إلى أن هناك واحدا فقط يصح تلقيبه بالروح القدس هو السيد المسيح! ذلك أن روح القدس في الإسلام ليس هو عيسى بن مريم ، بل هو جبريل عليه السلام . وقد ذكر الله تعالى فى القرآن أنه أيد عبده المسيح بروح القدس ، مما يدل على أنهما شيئان مختلفان (البقرة/ ٨٧ ، ٢٥٣ ، والمائدة/ ١١٠) . ولا أدرى من أين أتى واعظنا المفضال بكلامه هذا . لكنى فى ذات الوقت لا أسوّى الخمينى ولا يمكن أن أسوِّيَه أبدا بالمسيح عليه السلام ولا بأى نبى: الخمينى مجرد عالم من علماء الشيعة ، أما المسيح فنبىٌّ اصطفاه الله على عينه ، علاوة على أن مكانة النبى عند الله معروفة ، وكذلك مصيره فى الدار الآخرة ، أما الخمينى وأمثاله من العلماء فلا ندرى عنهم شيئا ، بل نكلهم إلى الله سبحانه . فأين هذا من ذاك؟ وما كنا نحب أن يتدهدى السيد الواعظ إلى هذا الدرك فى المقارنة بين المسيح والخمينى ، إذ لا يصح ولا يجوز ولا يليق ، لا من باب الدين ولا من باب العقل ولا من باب بالذوق ، أن نقارن الأنبياء على هذا النحو بغيرهم من البشر العاديين مهما بلغوا من المكانة بين أقوامهم . ومع ذلك فبالنسبة إلى ما ذكره الواعظ من أن الخمينى كان يلعن الشرق والغرب ، فقد رأينا عيسى عليه السلام فى الأناجيل يوزع لعناته وشتائمه ذات الشرق وذات الغرب هو أيضا رغم أنى لا أصدق أنه عليه الصلاة والسلام كان بهذه الحدة ولا بهذا الانفلات فى اللسان . وهنا أرجو أن يتنبه القراء إلى أننى ، حين أقول شيئا عن المسيح لا يقبله الضمير المسلم ، فإننى أستمده من الأناجيل التى لا أوافق بطبيعة الحال على كثير مما ورد فيها ، لكننى أحاجّ سيدنا الواعظ بما فى كتابه المقدس ليس إلا . أما

عقيدتى فيه، عليه السلام، فهى أنه نبى كريم طاهر مبرأ من كل ما ينسب له مما لا يليق بمن اختارهم الله أنبياء ورسلا، كما أنه لم يَعْدُ طوره يوما فيزعم أنه إله أو ابن للإله. فأرجو أن يكون ذلك مفهوما.

وتعليقا على ما جاء فى هذه الفقرة من أن القرآن قد وصف عيسى عليه السلام بأنه "آية" نقول إن كتاب الله قد وصف أيضا أشياء أخرى كثيرة بأنها "آية": منها ما رآه محمد فى معراجه إلى سِدْرة المنتهى التى عندها جنة المأوى، ومنها جَنّتا سبإ، وناقة صالح، ويد موسى وعصاه، ومنها الطوفان والجراد والقُمّل والضفادع والدم التى عاقب الله بها فرعون وملأه، ومنها الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم والبرق والرعد والرياح والسحاب والمطر والشجر والدواب والبحار والسفن واختلاف ألوان البشر ولغاتهم. أما دعوى الواعظ المسكين بأن المسيح هو البشر الوحيد الذى قيل فى القرآن إنه "آية" للناس، فهى دعوى خاطئة خطأ أبلق: ففى القرآن أن رجلا مر على قرية وهى خاوية على عروشها واستغرب كيف يحييها الله بعد موتها، فأماته سبحانه مائة عام ثم بعثه، ثم أمره أن ينظر إلى طعامه وشرابه وحماره كيف لم يتغير شىء منها، وإلى العظام كيف يُنْشِزها سبحانه ثم يكسوها لحما، وكذلك إلى نفسه، قائلا له إنه جاعله "آية للناس": ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٥٩) ﴾ [البقرة: ٢٥٩]. وهناك آية بشرية أيضا ذكرها القرآن فى قوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ۚ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً

لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿١٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣]، فضلا عن الآيات المتمثلة فى يوسف وإخوته: ﴿ ۞ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَـٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [يوسف: ٧]، وآيات أصحاب الكهف: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَـٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ ﴾ [الكهف: ٩]، وكذلك الآيات التى قال تعالى إنه سيريها للكفار فى أنفسهم: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [فصلت: ٥٣]. وقبل ذلك كله آية خلق البشر من التراب، وآية خلق أزواج لهم من أنفسهم، أى أن كل واحد من البشر، ذكرا كان أو أنثى، وليس عيسى وحده، هو فى حد ذاته "آية": ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم: ٢٠ - ٢١]. ومعنى ذلك أن واعظنا الطيب الذى على نياته يحشر نفسه فى مآزق ما كان أغناه عنها وعما يترتب عليها من إحراجٍ شديدٍ له وهَتْكٍ للسّتر الذى كان قَمِينًا أن يظل مغطيا عورته لو ملك لسانه ولم يتهور ويلق بنفسه فى المعاطب!

ولا يقتصر ذكر الآيات البشرية على القرآن الشريف، بل نجدها أيضا فى الكتاب المقدس مما يجعلنا نتساءل: ألِى هذا الحد يجهل نيافة واعظنا الطيب الذى على نياته كتابه المقدس؟ أم تراه يعرف ما فيه، لكنه يكتمه كى يحرز نقطة لصالحه بالباطل ضد المسلمين؟ سواء كان هذا أو ذاك فها هى ذى بعض النصوص التى تتحدث عن الآيات البشرية فى الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد: جاء فى الإصحاح الثانى من سفر الملوك الثانى: "[11] وَفِيمَا هُمَا يَسِيرَانِ وَيَتَكَلَّمَانِ إِذَا مَرْكَبَةٌ مِنْ نَارٍ وَخَيْلٌ مِنْ نَارٍ فَصَلَتْ بَيْنَهُمَا، فَصَعِدَ إِيلِيَّا فِي الْعَاصِفَةِ إِلَى السَّمَاءِ. [12] وَكَانَ أَلِيشَعُ يَرَى وَهُوَ يَصْرُخُ: «يَا أَبِي، يَا أَبِي، مَرْكَبَةَ إِسْرَائِيلَ وَفُرْسَانَهَا». وَلَمْ يَرَهُ بَعْدُ". ويقول

داود (مزمور/ ٧١): "٧ صِرْتُ كَآيَةٍ لِكَثِيرِينَ". وفى الإصحاح العشرين من سفر إشعياء نقرأ: "٢ فِي ذلِكَ الْوَقْتِ تَكَلَّمَ الرَّبُّ عَنْ يَدِ إِشَعْيَاءَ بْنِ آمُوصَ قَائِلاً: «اذْهَبْ وَحُلَّ الْمِسْحَ عَنْ حَقَوَيْكَ وَاخْلَعْ حِذَاءَكَ عَنْ رِجْلَيْكَ». فَفَعَلَ هكَذَا وَمَشَى مُعَرًّى وَحَافِيًا. ٣ فَقَالَ الرَّبُّ: «كَمَا مَشَى عَبْدِي إِشَعْيَاءُ مُعَرًّى وَحَافِيًا ثَلاَثَ سِنِينٍ، آيَةً وَأُعْجُوبَةً عَلَى مِصْرَ وَعَلَى كُوشَ، ٤ هكَذَا يَسُوقُ مَلِكُ أَشُّورَ سَبْيَ مِصْرَ وَجَلاَءَ كُوشَ، الْفِتْيَانَ وَالشُّيُوخَ، عُرَاةً وَحُفَاةً وَمَكْشُوفِي الأَسْتَاهِ خِزْيًا لِمِصْرَ. ٥ فَيَرْتَاعُونَ وَيَخْجَلُونَ مِنْ أَجْلِ كُوشَ رَجَائِهِمْ، وَمِنْ أَجْلِ مِصْرَ فَخْرِهِمْ". وفى الإصحاح الثانى عشر من سفر حزقيال يقابلنا النصان التاليان منسوبين لله يخاطب فيهما سبحانه حزقيال نفسه: "٦ وَاحْمِلْ عَلَى كَتِفِكَ قُدَّامَ عُيُونِهِمْ. فِي الْعَتَمَةِ تُخْرِجُهَا. تُغَطِّي وَجْهَكَ فَلاَ تَرَى الأَرْضَ. لأَنِّي جَعَلْتُكَ آيَةً لِبَيْتِ إِسْرَائِيلَ"، "١١ قُلْ: أَنَا آيَةٌ لَكُمْ. كَمَا صَنَعْتُ هكَذَا يُصْنَعُ بِهِمْ". وفى الإصحاح الرابع عشر، والمتكلم هو الله: "٧ لأَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ أَوْ مِنَ الْغُرَبَاءِ الْمُتَغَرِّبِينَ فِي إِسْرَائِيلَ، إِذَا ارْتَدَّ عَنِّي وَأَصْعَدَ أَصْنَامَهُ إِلَى قَلْبِهِ، وَوَضَعَ مَعْثَرَةَ إِثْمِهِ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ لِيَسْأَلَهُ عَنِّي، فَإِنِّي أَنَا الرَّبُّ أُجِيبُهُ بِنَفْسِي. ٨ وَأَجْعَلُ وَجْهِي ضِدَّ ذلِكَ الإِنْسَانِ وَأَجْعَلُهُ آيَةً وَمَثَلاً". وفى الإصحاح الرابع والعشرين، والمتكلم أيضا هو الله: "٢٣ . . . تَئِنُّونَ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ. ٢٤ وَيَكُونُ حِزْقِيَالُ لَكُمْ آيَةً . . . ٢٧ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ يَنْفَتِحُ فَمُكَ لِلْمُنْفَلِتِ وَتَتَكَلَّمُ، وَلاَ تَكُونُ مِنْ بَعْدُ أَبْكَمَ. وَتَكُونُ لَهُمْ آيَةً، فَيَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ". وفى الإصحاح الثالث من سفر زكريا، والمتكلم هو الملاك: "٨ فَاسْمَعْ يَا يَهُوشَعُ الْكَاهِنُ الْعَظِيمُ أَنْتَ وَرُفَقَاؤُكَ الْجَالِسُونَ أَمَامَكَ، لأَنَّهُمْ رِجَالُ آيَةٍ، لأَنِّي هأَنَذَا آتِي بِعَبْدِي «الْغُصْنِ». ٩ فَهُوَذَا الْحَجَرُ الَّذِي وَضَعْتُهُ قُدَّامَ يَهُوشَعَ عَلَى حَجَرٍ وَاحِدٍ سَبْعُ أَعْيُنٍ. هأَنَذَا نَاقِشٌ نَقْشَهُ، يَقُولُ رَبُّ

الْجُنُودِ، وَأُزِيلُ إِثْمَ تِلْكَ الأَرْضِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ". وفى الإصحاح الثانى عشر من إنجيل متى يقول عيسى بن مريم عليه السلام: "[38] حِينَئِذٍ أَجَابَ قَوْمٌ مِنَ الْكَتَبَةِ وَالْفَرِّيسِيِّينَ قَائِلِينَ: «يَا مُعَلِّمُ، نُرِيدُ أَنْ نَرَى مِنْكَ آيَةً». [39] فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: «جِيلٌ شِرِّيرٌ وَفَاسِقٌ يَطْلُبُ آيَةً، وَلاَ تُعْطَى لَهُ آيَةٌ إِلاَّ آيَةَ يُونَانَ النَّبِيِّ. [40] لأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَال، هكَذَا يَكُونُ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي قَلْبِ الأَرْضِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَال"، وهو ما تكرر فى الإصحاح السادس عشر من نفس الإنجيل: "[1] وَجَاءَ إِلَيْهِ الْفَرِّيسِيُّونَ وَالصَّدُّوقِيُّونَ لِيُجَرِّبُوهُ، فَسَأَلُوهُ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً مِنَ السَّمَاءِ. [2] فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: «إِذَا كَانَ الْمَسَاءُ قُلْتُمْ: صَحْوٌ لأَنَّ السَّمَاءَ مُحْمَرَّةٌ. [3] وَفِي الصَّبَاحِ: الْيَوْمَ شِتَاءٌ لأَنَّ السَّمَاءَ مُحْمَرَّةٌ بِعُبُوسَةٍ. يَا مُرَاؤُونَ! تَعْرِفُونَ أَنْ تُمَيِّزُوا وَجْهَ السَّمَاءِ، وَأَمَّا عَلاَمَاتُ الأَزْمِنَةِ فَلاَ تَسْتَطِيعُونَ! [4] جِيلٌ شِرِّيرٌ فَاسِقٌ يَلْتَمِسُ آيَةً، وَلاَ تُعْطَى لَهُ آيَةٌ إِلاَّ آيَةَ يُونَانَ النَّبِيِّ"، وكذلك فى الإصحاح الحادى عشر من إنجيل لوقا: "[29] وَفِيمَا كَانَ الْجُمُوعُ مُزْدَحِمِينَ، ابْتَدَأَ يَقُولُ: «هذَا الْجِيلُ شِرِّيرٌ. يَطْلُبُ آيَةً، وَلاَ تُعْطَى لَهُ آيَةٌ إِلاَّ آيَةُ يُونَانَ النَّبِيِّ. [30] لأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانُ آيَةً لأَهْلِ نِينَوَى، كَذلِكَ يَكُونُ ابْنُ الإِنْسَانِ أَيْضًا لِهذَا الْجِيلِ". ولا ننس بوجه خاص الموتى الذين أعادهم السيد المسيح إلى الحياة كرة أخرى بإذن الله، فهم من أعظم الآيات البشرية. وأخيرا فى الإصحاح الثانى عشر من سفر الرؤيا: "[1] وَظَهَرَتْ آيَةٌ عَظِيمَةٌ فِي السَّمَاءِ: امْرَأَةٌ مُتَسَرْبِلَةٌ بِالشَّمْسِ، وَالْقَمَرُ تَحْتَ رِجْلَيْهَا، وَعَلَى رَأْسِهَا إِكْلِيلٌ مِنَ اثْنَيْ عَشَرَ كَوْكَبًا، [2] وَهِيَ حُبْلَى تَصْرُخُ مُتَمَخِّضَةً وَمُتَوَجِّعَةً لِتَلِدَ".

* * *

١١- رحمة الله

* نقرأ عن المسيح في القرآن أن الله يسميه: آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا- سورة مريم ٢١ . كما قال الله عن محمد: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ- سورة الأنبياء ١٠٧ . إن كنا ندرك أن وحي محمد يختلف مبدئيًا عن وحي المسيح نرى أن مضمون الرحمة في هذين الرجلين يختلف أيضًا اختلافًا جذريًا . لقد كان محمد نبيًا مسلمًا وعبدًا لله يُخْبِر بما أملاه الملاك جبرائيل عليه ، أما المسيح فلم يكن نبيا ورسولا فحسب ، بل كان الوحيَ المتجسِّد ، فلم يكن محتاجًا إلى وسيط كالملاك بل كان في ذاته كلمة الله الأزلي . فكما أن الفرق شاسع بين الوحي في الإنجيل والقرآن ، هكذا تختلف رحمة محمد عن رحمة المسيح جوهريا . قد تم الوحي لمحمد بواسطة آيات القرآن وإعلاناته في الحديث وقدوته في السُّنَّة ، واتحدت هذه الإلهامات في الشريعة مع أوامرها ومحرماتها منظمة جميع نواحي حياة الأمة الإسلامية . فتُنَظِّم العبادات بالتفاصيل كالوضوء والصلاة والصوم والزكاة والحج ، وحتى الختان والدفن ، وأما المعاملات فتُنَظِّم جميع نواحي الحياة في العائلة والإرث والعقود والجهاد والعقوبات ، فتُسَيِّر حياة المسلم حسب الشريعة . وهكذا ظهرت خلاصة رحمة الله للمسلم في إنشاء الشريعة . يخبرنا الإنجيل أن الإنسان لا يتبرَّر بحفظ الشريعة لأنَّ لا أحد أكمل فرائضها . وهكذا لم يُنفِّذ مسلم ما الوضوء دون خطأ ، وأهملت الأكثرية الصلوات الخمس ، وكسر ملايين الصوم ، وقدموا الزكاة بالحيلة ، ولم يمارسوا الحج بدون هفوات . وكم من مرة أخطأ الرجل نحو زوجته وأولاده! وكم من عَقْد عُقِدَ بحيلة وخداع! وكم من مرة صَدَر من الشفتين كذب! وهل عُرِف إنسانٌ بدون كبرياء وأنانية وحقد ونجاسة؟ فشريعة الله تدين الإنسان بأعماله ونياته ، وخلاصة الشريعة هي الحكم على الإنسان الخاطئ لأجل الفشل والذنب

والفساد . نعم شريعة محمد نظمت حياة الأمة نظامًا شاملاً ، كما أن شريعة موسى ركزت الحياة على الله في كل نواحيها طالبة التسليم الكلي والخضوع للخالق ، إنما الشريعة لن تبرر الخاطئ ، ولن تحرر المذنب من ذنبه . فكل شريعة تحكم على الأثيم وتهلكه ، فبسبب الشريعة سيدخل الإنسان جهنم . الشريعة هي الديّان العادل ولا يستطيع أحد أن يرضيها . يتمنى كل تقي غفران الغفور ، ويرجو المسلم ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤] . ولكن بالحقيقة لن يحصل احد من الأمة الإسلامية على الغفران النهائي الشامل قبل يوم الدين لأن ليس عندهم بديل في الديتونة إلا الشريعة الحاكمة . لا ولن يوجد خلاصٌ في الشريعة لا معنويًا ولا لغويًا ، وسينال كل واحد في يوم الدين حسابه بسبب آثامه وفشله المبين . فالشريعة تدين أخيرًا أتباعه . ولذلك اعترف النبي بأن جميع أتباعه سيدخلون جهنم حتمًا . ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [مريم: ٦٨ - ٧١] . ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [هود: ١١٩] . نعترف بأن المسيحي والهندي والبوذي والمسلم أشرار بطبيعتهم لأن ليس أحد من البشر صالحًا ولا واحد . الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللّهِ- رومية ٣: ٢٣ . إنما الله منح في المسيح رحمة خاصة لكل الناس ، رحمة لا تدين الخطاة ولا تهلكهم ، بل تنجيهم من غضب الله ودينونته العادلة- يوحنا ٣: ١٧ و١٨ . لم يُلغ المسيح حفظ وصايا الله ، وطلب من حوارييه إتمامها عمليا . إنما الهدف الأخير لمجيء المسيح ليس تعيين شريعة يستحيل تطبيقها ، بل إعلان محبة الله للخطاة وتبريرهم المجاني . فعاش المسيح ما قاله وأكمل الشريعة بذاته ، وصار حَمَل الله الذي يرفع خطية العالم- يوحنا ١:

٢٩ . وأنبأ إشعياء النبي قبل ألفين وسبعمائة سنة موضحًا نيابة المسيح عنّا في دينونة الله: لَكِنَّ أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا . وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَابًا مَضْرُوبًا مِنَ اللَّهِ وَمَذْلُولاً . وَهُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا . مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا . تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ ، وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا . كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا . مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ . والرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا- إشعياء ٥٣: ٤ . خلص المسيح أتباعه من لعنة الشريعة ، ونجاهم من حكم الدينونة في اليوم الأخير ، وبرّر الذين يُقْبِلون إليه مؤمنين بتبريره . لقد صالح المسيح البشر بالله وأوجد سلامًا أبديًا . ويحرضنا الرسول بولس لقبول هذه الحقيقة الروحية كاتبًا إلينا: تَصَالَحُوا مَعَ اللَّهِ . لأَنَّهُ جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً خَطِيَّةً لأَجْلِنَا ، لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ اللَّهِ فِيهِ- ٢كورنثوس ٥: ٢٠ و٢١ . لذلك استطاع المسيح أن يؤكد للمفلوج أمامه: ثق يا بُنيّ ، مغفورة لك خطاياك . وأعلن أيضًا للخاطئة التائبة: مغفورة لكِ خطاياكِ . ويستمر المسيح بدعوته لكل تائب نادم على إثمه ، ويؤكد له: إنّ الله يحبك لأني صالحتك به . لم يرسل الله المسيح رسولا إلى العالمين لينشئ شريعة ثقيلة يستحيل تطبيقها . كلا! إنما المسيح نفسه كان رحمة الله المتجسد حين ظهرت فيه محبة القدوس للجميع ، وأحب الخطاة وبارك أعداءه وشجع الفاشلين . فابن مريم هو رحمة الرحمن الرحيم . ويدل هذا اللقب على أنه جوهر من جوهر وروح من الله في الجسد- سورة النساء ١٧١ . فليس خلاف ولا فرق بينه وبين رحمة الله . لذلك أصبحت كفّارته النائبة عن البشر كله عرض من الله للهالكين . فكل من يقبل نعمة التبرير يتصالح مع الله ويتبصر متأكدًا أن المسيح حي جالس عن يمين العظمة . فرحمة المسيح لا تديننا ولا تهلكنا بل أوجدت تبريرًا عامًّا ونعمةً خاصة وسلامًا مع الله . لا يعيش أتباع المسيح تحت شريعة موسى فيما بعد ولا تحت شريعة محمد بل يثبتون في نعمة الإنجيل . ويثبت القرآن هذا الامتياز بكل

وضـوح: ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤٧) ﴾ [المائدة: ٤٧] . فالقرآن يحرر المسيحيين من الشريعة شرعيًا ويثبتهم رسميًا في نعمة الإنجيل ، فإن رحمة المسيح تمنح سلامًا عامًا ونشاطًا روحيًا في يقين الخلاص وتقودنا لخدمات المحبة والرجاء اليقين .

** هذه الفقرة مملوءة بالمغالطات والأخطاء والتناقضات الواضحة لكل من يحكّم عقله ، وبخاصة إذا كان على معرفة بالقرآن الكريم والكتاب المقدس . ونبدأ بقول الواعظ الطيب الذى على نياته إن المسيح طلب من أتباعه الالتزام بالشريعة ، وقوله فى ذات الوقت إن النصرانية قد ألغت الشريعة . كيف؟ لا أدرى ، ولست إخال أحدا آخر يدرى! وهذا هو كلامه بنصه: "لم يُلغ المسيح حفظ وصايا الله ، وطلب من حوارييه إتمامها عمليا" ، "خلص المسيح أتباعه من لعنة الشريعة ، ونجاهم من حكم الدينونة في اليوم الأخير" . ترى كيف يأمر المسيح أتباعه بأن يلتزموا بوصايا الشريعة ، بل بأن يُتموها إتماما ، وفى نفس الوقت يقال إنه قد خلّصهم منها ومن لعنتها؟ معنى هذا أنه ، عليه السلام ، حين أمرهم بإتمامها قد أمرهم أن يلتزموا باللعنة . أليس كذلك؟ هذا ما يقوله كلام الواعظ بمنتهى الوضوح! الواقع أن المشكلة فى كلام ذلك الواعظ وأشباهه أنهم يريدون أن يسوّقوا لنا كلاما لا معنى له ، وعلينا أن نقبله بوصفه مجرد جَرْس لفظى يملأ الفضاء والأذن والوقت فحسب ، ولا ينبغى أن نجعله موضوعا لتفكيرنا ، بل نقبل دون تفكير ما يريد الواعظ وأمثاله منا أن نرتبه عليه رغم أنه لا يؤدى إلى شىء من النتائج المراد ترتيبها عليه حتى لا ينكشف عُوار كلامه ، ويبين تهافُت منطقه ، وتظهر الثُّغرات القبيحة فى طريقة تفكيره كما هو حادثٌ الآن .

ثم كيف يقال إن المسيح قد خلصهم من لعنة الشريعة؟ ترى هل هناك مجتمع فى الدنيا يعيش دون شريعة؟ فكيف ينظم الناس حياتهم ويميزون بين

الصواب والخطإ ويعرفون حقوقهم وواجباتهم والعقوبات التى تردع المجرم عن إجرامه، أو على الأقل: تكون عبرة لغيره من أن يسلك نفس السبيل؟ ترى تحت أى بند نضع تعاليم السيد المسيح التى كان يوصى بها أتباعه كما تقول الأناجيل؟ ألم يكن يأمر كل من آمن به أن يترك عمله الذى يتكسب منه ويتبعه؟ ألم يرفض أن يذهب أحد المؤمنين به لتشييع جثمان أبيه قائلا له: دع الموتى يدفنون موتاهم، بما يفيد أنه لو آمن أفراد المجتمع كلهم به لكان معنى هذا أن تبقى جثث الموتى فى البيوت والشوارع والحقول حتى تنتن وتأكلها الكلاب والثعالب والنسور لأنه لن يكون هناك فى هذه الحالة موتى (أى كفار لم يؤمنوا به عليه السلام) يقومون بدفن موتاهم؟ ألم يبين لهم كيف يصلون؟ ألم يقل لهم إن على الأغنياء التخلى عن كل ثرواتهم حتى يدخلوا ملكوت السماوات؟ ألم يوجب عليهم أن يتركوا إزارهم لمن يغصبهم رداءهم وأن يديروا خدهم الأيسر لمن يصفعهم على خدهم الأيمن وأن وأن وأن؟ أليس فى النصرانية تشريعات خاصة بالقُدّاس والميلاد والزواج والطلاق والصلاة والصيام والحج والموت والدفن مثلا، ودعك من أن كثيرا منها تشريعاتٌ مُعْنِتَةٌ جدا؟ أليس فى النصرانية حَرْمٌ يسلّه الباباوات على رقاب من يخرجون عن طوعهم أو طوع الكنيسة؟ أليس القتل والسرقة والكذب والخيانة وإهانة الأب والأم مثلا حراما فى النصرانية؟ أم إن النصرانى يستطيع أن يزنى ويقتل ويسرق ويغتاب وينم ويستبد ويتجسس ويخون ويكذب دون أن يخشى عقابا من الله يوم القيامة ما دام السيد المسيح، صلى الله عليه وسلم، قد جاءه بالرحمة والغفران الشامل؟ فإذا كان الأمر كذلك، وهو بكل يقين كذلك، ولا يمكن أن يكون إلا كذلك، فأى فرق إذن بين النصرانية وبين الإسلام أو أى دين آخر يُسَوِّغ لواعظنا الطيب الذى على نياته الزعم بأن الوضع فى دينه مختلف عما عند الآخرين؟ إن آفة بعض

الناس أنهم لا يستطيعون أن يكذبوا على أنفسهم ولا أن يذهبوا فيرددوا ما يسمعونه دون أن يعرضوه على عقولهم وينظروا فيه نظر الفاحص المنتقد، بل لا بد لهم من النظر والتفكير في كل ما يُعْرَض عليهم، ونحن نحمد الله من هذا الصنف من البشر، فإنْ قَبِلَت عقولنا ما يقال لنا، وإلا نبذناه وراء ظهورنا! وهذا الكلام الذى يقوله الواعظ الطيب الذى على نياته لا يصمد لَهَبّةٍ واهيةٍ من نسمة التفكير، بل ينطفئ فى التوّ واللحظة!

ومن تناقضات كلام واعظنا قوله: "لقد كان محمد نبيًا مسلمًا وعبدًا لله يُخْبِر بما أملاه الملاك جبرائيل عليه، أما المسيح فلم يكن نبيا ورسولا فحسب، بل كان الوحيَ المتجسِّد، فلم يكن محتاجًا إلى وسيط كالملاك بل كان في ذاته كلمة الله الأزلي". ذلك أنه يقر بأن محمدا نبى من أنبياء الله، فما معنى هذا؟ أليس معناه أنه ينبغى الإيمان به صلى الله عليه وسلم؟ أم ترى الله سبحانه قد أرسله على سبيل العبث فلم يرد من عباده أن يؤمنوا به بل أن يتخذوا دينه زينة يضعونها فى حجرة الاستقبال كـ"أنتيكة" من الأنتيكات؟ أعطونى عقولكم أيها القراء! أوليس التالى ينسخ السابق كما أن مقررات المرحلة الإعدادية تأخذ مكان مقررات المرحلة الابتدائية لأنها تشتمل عليها وتزيد عنها وتفصل القول فيها وتحذف أشياء منها لم تعد مناسبة لمدارك الكبار . . . إلخ، وكما تأخذ الثانوية مكان الإعدادية، والجامعة مكان الثانوية؟

كذلك يضحكنا قول الواعظ الطيب: "لقد صالَح المسيح البشر بالله وأوجد سلامًا أبديًا"، نعم يضحكنا لمناقضته الواقع الذى يفقأ العين. ذلك أن الدنيا قد ركبها وما زال يركبها ألف عفريت وعفريت! أين بالله هذا السلام الذى يأبى واعظنا إلا أن يجعله سلاما أبديا؟ نعم أين هذا السلام؟ أتراه يتحدث عن السلام فى المريخ مثلا أو فى الزهرة؟ وإلا فما معنى كل

هذه الحروب والخصومات والاشتباكات والتناحر والقلق والسأم والخوف وعدم الرضا فى كل مكان على وجه الأرض؟ أم تراه يقول إن هذا هو السلام؟ إن مصيبة بعض العباد أنهم يعيشون أُسَارَى لما يلوكونه من ألفاظ لا يحاولون أن يخرجوا من أَسْرها إلى طلاقة الواقع والهواء والنور والحياة الحقيقية ليَرَوْا مدى صدق ما يقولون أو كذبه! وواعظنا وأشباهه للأسف من ذلك الصنف من الناس!

ويقول واعظنا أيضا إن "الله لم يرسل المسيح رسولا إلى العالمين لينشئ شريعة ثقيلة يستحيل تطبيقها. كلا! إنما المسيح نفسه كان رحمة الله المتجسد حين ظهرت فيه محبة القدوس للجميع، وأحب الخطاة وبارك أعداءه وشجع الفاشلين. فابن مريم هو رحمة الرحمن الرحيم. ويدل هذا اللقب على أنه جوهر من جوهر وروح من الله في الجسد- سورة النساء١٧١. فليس خلاف ولا فرق بينه وبين رحمة الله. لذلك أصبحت كفّارته النائبة عن البشر كله عرض من الله للهالكين. فكل من يقبل نعمة التبرير يتصالح مع الله ويّصير متأكدًا أن المسيح حي جالس عن يمين العظمة. فرحمة المسيح لا تدينا ولا تهلكنا بل أوجدت تبريرًا عامًا ونعمةً خاصةً وسلامًا مع الله". كلام كلام كلام. كلام فقط، والسلام. كلام لا محصلة من ورائه. ومع هذا فلا بد أن نبين شيئا تجاهله الواعظ الحكيم، ألا وهو أنه إذا كانت النصرانية قد أتت بالرحمة من خلال الله الذى تجسد فى المسيح قبل نحو ألفين من الأعوام، فإن الإسلام لم يترك البشر دون رحمة وغفران كل تلك الملايين من السنين منذ أن خُلِق الإنسان إلى أن أتى المسيح عليه السلام، بل أكد لنا أن الله سبحانه وتعالى قد تاب على آدم بمجرد أن ارتكب المعصية وعوقب عليها بالنزول من الجنة واستغفر ربه، ويا دار ما دخلك شر، ولا تجسُّد ولا يحزنون، ولا لخبطة ولا تعقيدات لا يفهمها العقل ولا تنسجم مع عدل الله ورحمته

وقدرته ووحدانيته واستحالة تجسده . أم سيقال إن الله كان ناسيا أن آدم قد ارتكب ذنبا أدى إلى حرمانه من رحمته سبحانه طوال تلك الملايين من السنين ، إلى أن نبهه منبِّهٌ فتنبه وتدارك ما كان قد فاته كل تلك الأحقاب المتطاولة ، أستغفر الله؟ فماذا إذن عن الأجيال التى مضت قبل هذا التذكر وقبل تجسد المسيح ابن الله وموته على الصليب؟

ومما ينبغى الوقوف عنده لتوضيح وجه الحقيقة فيه قول واعظنا البارع فى تسويق ما لا جدوى له من الكلام إن "الشريعة لن تبرر الخاطئ ، ولن تحرر المذنب من ذنبه ، فكل شريعة تحكم على الأثيم وتهلكه ، فبسبب الشريعة سيدخل الإنسان جهنم". يا أخى ، فال الله ولا فالك! لقد جاءت الشريعة لتنظم حياة الناس فلا يعتدى أحد على أحد ، وإلا عوقب فى الدنيا ، أما الآخرة فقد يعاقب فيها ، وقد يسامحه الله أو يخفف عنه حسب ظروفه وفهمه ومدى ما بذل من جهد لتجنب وقوع الخطإ منه ، وكذلك حسب ما عمل من الصالحات التى من شأنها أن تعادل ما اقترف من ذنب ، بل ربما كانت العقوبة الدنيوية كافية لغفران الذنب فى الآخرة . ومع هذا كله ، فهناك رحمة الله الواسعة التى تسبق دائما غضبه وعدله . أليس الله كريما؟ أليس عَفُوًّا غفورا لطيفا بارا حنونا عطوفا؟ فكيف يكون سبحانه كذلك ، وهو أعظم من ذلك ، دون أن يظهر فى حسابه لعباده كل ذلك؟ فالغفران إذن لا ينتظر بالضرورة إلى الآخرة ، بل قد يتم هنا فى الدنيا أولا بأول ما دام الشخص يستغفر ربه ويندم على ما فرط منه من معصية ويسارع إلى فعل الخيرات . ثم لقد خلق الله الإنسان ضعيفا ، وهو سبحانه لا يكلف نفسا إلا وسعها ، وليس ثمة ذنب إلا وعفو الله أكبر منه وأعظم . ولا ننس فوق هذا كله أن الحسنة فى الإسلام بعشر أمثالها ، بل إنها لتتضاعف إلى سبعمائة ضعف وأكثر إلى ما شاء الله ، على حين أن السيئة إنما تُجْزَى بمثلها

فقط ، وهذا إن جُوزِيَتْ أصلا ، وكثيرا ما لا يجازى الإنسان عليها كما نعرف من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية .

ولو عرفنا أن كل ما يفعله الشخص يعوِّض ما ارتكبه من آثام أولا بأول تبين لنا أن الأمر يختلف بالكلية عما يهرف به واعظنا . ولا يقتصر الأمر على الصلاة والصيام والصدقات فحسب ، بل يدخل فى هذا بكل جدارة ، وربما بجدارة أجدر من كل جدارة ، التبسم فى وجوه الناس وإماطة الأذى عن الطريق ومَحْض النصح للآخرين والسهر فى طلب العلم وسعى الشخص على لقمة عيشه ونأيه بنفسه عن البطالة وتأديته أى عمل نافع له وللناس من حوله وإمداده كلبا أو قطا أو عصفورا شربة ماء ومناولته لزوجته اللقمة فى فمها ، بل إن معاشرته لها فى الفراش لَتُدِرّ عليه وعليها أجرا . على أن هذا ليس هو كل شىء ، بل إن المسلم إذا همَّ بحسنة كُتِب له بها أجر ، فإذا عملها فعلا كُتِب له سبعة أجور إلى ما شاء الله ، أما إذا هم بسيئة فإنه لا يُكتَب عليه شىء ، فإذا فعلها كُتِب عليه ذنب واحد ، فإذا خاف ربه وامتنع عنها كُتِب له أجر على مجرد الامتناع . يا خلق هو ، إن الإسلام دين عبقرى ، لكن أصحاب العقول المتخلفة لا يفقهونه ، فهو مثل لؤلؤة ثمينة لا تستطيع الخنازير أن تقدرها حق قدرها . والمهم أن يبذل كل منا جهده وطاقته وأن يتجنب ، ما أمكنه التجنبُ ، سبيلَ المعاصى والذنوب ، فإذا زلت قدمه سارع إلى باب مولاه ونادى أنِ " افتح لى يا إلهى باب كرمك ولا تغلقه فى وجهى " ، وليترك حوله بعد هذا على الله ، ولن يخذله الله أبدا . فكما ترى أيها القارئ ، ليس هناك أبسط ولا أكثر منطقية ولا أقرب إلى فطرة البشر ولا أقدر على معالجة أمورهم مما يقوله الإسلام . وليس معنى هذا أن كل شىء سيكون تمام التمام ، فليس هناك فى حياة البشر شىء اسمه تمام التمام ، لأننا لسنا فى دولة من دول العالم الثالث التى تقوم أمورها كلها على الكذب

والنفاق والضحك على ذقون الحكام المتخلفين مثل رعاياهم والذين يحبون أن يسمعوا أن كل شيء عال العال رغم معرفتهم قبل غيرهم أنهم لا يسمعون إلا كذبا وزورا، بل نحن فى ملكوت الله المطلع على كل شيء والذى خلق عباده ضعفاء خطائين، وكل ما هو مطلوب منهم، كما قلت، أن يبذلوا جهدهم وطاقتهم لا يألون منهما شيئا، وأن يتباعدوا عن مواطن التقصير والحرام والإساءة ما أمكنهم ذلك، وأن يسارعوا إلى الاستغفار والعزم على عدم العودة إلى الذنب إن وقعوا فى شيء منه، ثم أن يتركوا الباقى بين يدى الله. ونِعْمَ بالله! ترى بالله ماذا يريد الواحد منا أكثر من هذا؟ إنه إذن لختّارٌ كفورٌ يستأهل ضرب المتوفلى! ترى هل هناك ما يضاهى فى العبقرية قوله صلى الله عليه وسلم: "سدِّدوا وقاربوا" أو قوله: "إن المنبتّ لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى"؟ ثم أين نحن من قوله عز شأنه: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤]؟ بل أين نحن من قوله: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣]؟.

وأترك القراء مع هذه الباقة العجيبة من أحاديث سيد المرسلين فى هذا الموضوع: "إن الله كتب الحسنات والسيئات: فمَنْ هَمَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة. فإن هَمَّ بعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة. ومَنْ هَمَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة. فإن هو هَمَّ بعملها كتبها الله له سيئة واحدة"، "إن عبدا أصاب ذنبا... فقال: ربِّ، أذنبت... فاغفر لي. فقال ربه: أعَلِمَ عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرتُ لعبدي. ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنبا... فقال: ربِّ، أذنبت... آخر، فاغفره؟ فقال: أعَلِم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرتُ لعبدي. ثم مكث ما شاء

الله ، ثم أذنب ذنبا . . . ، قال: رب أصبت . . . آخر ، فاغفره لي . فقال: أعَلِمَ عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي ، ثلاثا ، فليعمل ما شاء". وفي الحديث "أن الناس قالوا: يا رسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل تضارون في القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله . قال: فهل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله . قال: فإنكم ترَوْنَه كذلك . يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئا فليتبعه . فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ، ويتبع من كان يعبد القمر القمر ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت ، وتبقى هذه الأمة فيها شافعوها ، أو منافقوها ، شك إبراهيم ، فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم . فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا جاءنا ربنا عرفناه . فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون ، فيقول: أنا ربكم . فيقولون: أنت ربنا . فيتبعونه ، ويُضْرَب الصراط بين ظهري جهنم ، فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها ، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلِّم سلِّم . وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان! هل رأيتم السعدان؟ قالوا: نعم يا رسول الله . قال: فإنها مثل شوك السعدان ، غير أنه لا يعلم ما قَدْر عِظَمها إلا الله ، تخطف الناس بأعمالهم: فمنهم المؤمن يبقى بعمله ، أو الموبَق بعمله ، أو الموثَق بعمله ، ومنهم المخردل ، أو المجازى ، أو نحوه ، ثم يتجلى . حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار ، أمر الملائكة أن يُخْرِجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئا ممن أراد الله أن يرحمه ممن يشهد أن لا إله إلا الله ، فيعرفونهم في النار بأثر السجود ، تأكل النار ابن آدم إلا أثر السجود ، حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود ، فيخرجون من النار قد امتُحِشوا ، فيصب عليهم ماء الحياة ، فينبتون تحته كما تنبت الحبة في حميل السيل ، ثم

يفرغ الله من القضاء بين العباد، ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار هو آخر أهل النار دخولا الجنة، فيقول: أي رب اصرف وجهي عن النار، فإنه قد قشبني ريحها، وأحرقني ذَكَاؤها. فيدعو الله بما شاء أن يدعوه، ثم يقول الله: هل عسيت إن أُعْطِيت ذلك أن تسألني غيره؟ فيقول: لا وعزتك لا أسألك غيره. ويعطي ربه من عهود ومواثيق ما شاء، فيصرف الله وجهه عن النار. فإذا أقبل على الجنة ورآها سكت ما شاء الله أن يسكت، ثم يقول: أي رب قَدِّمْني إلى باب الجنة. فيقول الله له: ألستَ قد أَعْطَيْتَ عهودك ومواثيقك أن لا تسألني غير الذي أُعْطِيت أبدا؟ ويلك يا ابن آدم! ما أغدرك! فيقول: أي رب. ويدعو الله حتى يقول: هل عسيتَ إن أُعْطِيتَ ذلك أن تسأل غيره؟ فيقول: لا وعزتك لا أسألك غيره. ويعطي ما شاء من عهود ومواثيق، فيقدّمه إلى باب الجنة، فإذا قام إلى باب الجنة انفهقت له الجنة فرأى ما فيها من الحبرة والسرور، فيسكت ما شاء الله أن يسكت، ثم يقول: أي رب، أدخلْني الجنة. فيقول الله: ألستَ قد أعطيتَ عهودك ومواثيقك أن لا تسأل غير ما أُعْطِيت؟ فيقول: ويلك يا ابن آدم! ما أغدرك! فيقول: أي رب، لا أكونن أشقى خلقك! فلا يزال يدعو حتى يضحك الله منه، فإذا ضحك منه قال له: ادخل الجنة. فإذا دخلها قال الله له: تَمَنَّهْ. فسأل ربه وتمنى، حتى إن الله ليذكّره، يقول: كذا وكذا، حتى انقطعت به الأماني. قال الله: ذلك لك، ومثله معه"، "يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه، فيقول: أعملتَ كذا وكذا؟ فيقول: نعم. ويقول: أعملتَ كذا وكذا؟ فيقول: نعم. فيقرره ثم يقول: إني سترت عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم"، "قال رجل لم يعمل حسنة قط لأهله: إذا مات فحرّقوه، ثم اذروا نصفه في البر، ونصفه في البحر. فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنّه عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين. فلما مات الرجل فعلوا ما أمرهم. فأمر الله البرّ فجمع ما فيه،

وأمر البحر فجمع ما فيه، ثم قال: لم فعلت هذا؟ قال: من خشيتك يا رب، وأنت أعلم. فغفر الله له". ثم أتساءل: أمن الممكن أن يسمع الإنسان مثل هذه الأحاديث العظيمة فى العفو والغفران والرحمة الإلهية ويتصور أن ثم موضعا لفكرة التجسد والصلب والفداء؟ حاشا لله وكلا!

ومن هذا يتضح لنا أن كل ما قاله واعظنا من أن كل مسلم سيدخل لا محالة النار قبل أن يَرِيح ريح الجنة فهو كلام من لا يفهم مرامى الآيات المذكورة ولا سياقاتها وأسباب نزولها. يقول الواعظ: "اعترف النبي بان جميع أتباعه سيدخلون جهنم حتمًا: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا (٦٨) ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا (٦٩) ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا (٧٠) وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (٧١) ﴾ [مريم: ٦٨ - ٧١]. ﴿ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١١٩) ﴾ [هود: ١١٩]". ووجه الحق هو أن الكلام فى الآيتين خاص بالكافرين المعاندين الذين أصموا آذانهم عن دعوة الحق والتفكير فيها ورفضوا أن يفتحوا قلوبهم للنور منذ البداية رَفْضَ المتمردين المتصلبين! ومعنى الآية الثانية أن جهنم لن تقتصر على عصاة البشر فحسب، بل ستشمل نظراءهم من الجن أيضا، كما أنها لن تقتصر من هؤلاء وهؤلاء على فريق دون فريق، بل كل العصاة سوف يَصْلَوْن نارها: فقراء كانوا أو أغنياء، ورجالا كانوا أو نساء... وهكذا. ولنلاحظ أن القرآن لم يقل إنه سبحانه سوف يملأ جهنم "بـ" الجنة والناس أجمعين، بل "من" الجنة والناس أجمعين. فالحرف "من" يفيد التبعيض، بمعنى أن بعض الجن وبعض الإنس هم الذين سيملأون جهنم لا الجن والإنس جميعا. وأرجو أن يلتفت القارئ إلى قوله تعالى فى نفس السورة للمسلمين قبل انتقال الآيات إلى الحديث عن الكافرين بقليل: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ

مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ [هود: ١١٣]، وهو ما يفيد أنه لو لم يركن المسلمون إلى الذين ظلموا ما مستهم النار مجرد مَسّ، فكيف يفهم فاهم أن المسلمين المطيعين سوف يدخلون النار ويصلَوْن عذابها ضربةَ لازب؟ وإلا فأين المهرب من جنة عرضها السماوات والأرض كما جاء فى سورة "آل عمران" وسورة "الحديد"؟ أما إن أصرَّ مُصِرٌّ على أن الكلام فى سورة "مريم" يعنى أن البشر جميعا سوف يَرِدُون النار أوّلاً، فلا بد أن نعرف إذن أن الورود لا يعنى الدخول والمقاساة، فورود الماء معناه الوصول إلى العين أو البئر لا نزول الشخص فيه. وعلى هذا يكون المراد هو أن النار ستكون فى الطريق إلى الجنة: فمن استحق الجنة اجتاز الطريق لدار النعيم مباشرة دون أن يناله من النار أذى لأنه لن يدخلها، وإلا أخذ من العذاب نصيبه حتى يتطهر فيخرج عندئذ ليلتحق بأصحاب الفردوس.

ومضيًا فى المقارنة بين مصير المسلمين والنصارى يقول الواعظ إنه "لن يحصل أحد من الأمة الإسلامية على الغفران النهائي الشامل قبل يوم الدين لأن ليس عندهم بديل في الدينونة إلا الشريعة الحاكمة"، أما على الجانب الآخر فقد "خلّص المسيح أتباعه من لعنة الشريعة، ونجّاهم من حكم الدينونة في اليوم الأخير". وهو لا يكتفى بهذا، بل يضيف أن "إشعياء النبي أنبأ قبل ألفين وسبعمائة سنة موضحًا نيابة المسيح عنّا في دينونة الله: لَكِنَّ أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا. وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَابًا مَضْرُوبًا مِنَ اللهِ وَمَذْلُولاً. وَهُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا. مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ، وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا. كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ. وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا- إشعياء ٥٣: ٤". والواقع أن هذا كله ليس إلا كلاما فى كلام. كيف؟ يقول إن المسلمين لن يحصلوا على الغفران النهائى الشامل إلا يوم الدين بعكس النصارى، وهو ما يفهم منه أن

المسلمين منغمسون هنا فى العذاب والمعاناة، على خلاف النصارى، الذين يرتعون فى الدنيا فى بحبوحة الجنة وما أعده الله فيها لعباده المخلصين مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. فهل هذا صحيح؟ الحق أنه لا يقول بهذا إلا مجنون، فكلا الفريقين يعيش فى هذه الأرض كما يعيش الفريق الآخر: يعمل ويكد لكى يعيش، ويعانى متاعب الحياة بألوانها المختلفة من أمراض ومخاوف وقلق وملل وفقر وطمع وجهل، ويتطلع إلى التغلب على هذا كله فينجح أحيانا ويخفق أحيانا. وفى بلادنا نرى الفريقين كليهما يصرخان من نار الغلاء والزبالة والحفر التى تملأ الشوارع واختفاء الرصيف والزحام الرهيب فى البشر والسيارات، والصنايعية غير المهرة الذين يتقاضون أجورا عالية لا يستحقونها، والمدارس والجامعات التى هى أكثر من الهم على القلب وتأكل المليارات أكلا ثم لا تخرج إلا جهلة لا يستطيع أغلبهم كتابة اسمه كتابة صحيحة، والدروس الخصوصية التى لا علم فيها بل حفظ ملخصات كلها جهل وتخلف، والمستشفيات العامة هى فى الحقيقة زرائب، والضجة التى تُصِمّ الآذان وتكاد تصيب الناس بالجنون، والكذب وخلف الوعد، والألفاظ البذيئة التى تحاصر الآذان فى كل مكان، والأغانى الهابطة المصحوبة برقص بنات شبقات يحككن أردافهن فى الجدران كأنهن قطط جائعة، والصحف التافهة التى لا تثقّف عقلا ولا ترقّى ذوقا ولا تقول الصدق غالبا... إلخ. أم ترى واعظنا يزعم أن النصارى لا يقاسون شيئا من هذا، بل يعيشون فى جنة عرضها كعرض السماء والأرض يأتيهم فيها رزقهم بكرة وعشيًا دون أن يخرجوا من بيوتهم بل دون أن يغادروا فراشهم، وكل ما عليهم أن يفعلوه هو أن يتمطوْا بدلال يليق بأهل السعادة من ساكنى الجنان ويفتحوا أفواههم وهم مستلقون على ظهورهم فيتساقط الطير مشويا فى حلوقهم ومعه ما لذ وطاب من العصائر

الحلوة من عرقسوس وتمر هندى وسوبيا ودوم وخرنوب (ولا داعى للكوكاكولا والبيبسى نزولا على حكم المقاطعة لأمريكا)، وقد هبت عليهم نسائم الفردوس الخَضِلة العَطِرة ودخلت الملائكة عليهم من كل باب: "سلامٌ عليكم بما صبرتم، فنِعْمَ عُقْبَى الدار"، على حين أن المسلمين غائصون حتى أذقانهم فى طفح المجارى، وقد انهالت على جلودهم مقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غمٍّ أعيدوا فيها: "وذوقوا عذاب الحريق"، وسربلتهم ثياب من زفت وقطران، وليس لهم طعامٌ إلا شجرة الزَّقُّوم، ولا شرابٌ إلا غَلْى الحميم؟ فليكن النصرانى قد غُفِرَتْ له ذنوبه، والمسلم لا، فالواقع الذى لا يكذب هو أن ثمرة هذا أو ذاك لن تظهر إلا فى الآخرة، ومن ثم فلا فرق فى دنيانا هذه بين حالة الأول وحالة الأخير. وهذا إن صدقنا أن ما يقوله الواعظ صحيح، وهو بكل تأكيد غير صحيح.

ونصل إلى إشارة الواعظ إلى نبوءة إشعياء، وهو بطبيعة الحال يقصد أن عيسى عليه السلام هو الله أو ابن الله الذى شفى المسوسين، وفاته أنه قد تكررت الإشارة فى سفر إشعياء إلى أن الكلام عن "عبد" لله لا عن ابن لله ولا عن الله نفسه. وهذا هو النص فى سياقه كاملا كما ورد فى السفر المذكور: "[13]هُوَذَا عَبْدِي يَعْقِلُ، يَتَعَالَى وَيَرْتَقِي وَيَتَسَامَى جِدًّا. [14]كَمَا انْدَهَشَ مِنْكَ كَثِيرُونَ. كَانَ مَنْظَرُهُ كَذَا مُفْسَدًا أَكْثَرَ مِنَ الرَّجُلِ، وَصُورَتُهُ أَكْثَرَ مِنْ بَنِي آدَمَ. [15]هكَذَا يَنْضِحُ أُمَمًا كَثِيرِينَ. مِنْ أَجْلِهِ يَسُدُّ مُلُوكٌ أَفْوَاهَهُمْ، لأَنَّهُمْ قَدْ أَبْصَرُوا مَا لَمْ يُخْبَرُوا بِهِ، وَمَا لَمْ يَسْمَعُوهُ فَهِمُوهُ. [1]مَنْ صَدَّقَ خَبَرَنَا، وَلِمَنِ اسْتُعْلِنَتْ ذِرَاعُ الرَّبِّ؟ [2]نَبَتَ قُدَّامَهُ كَفَرْخٍ وَكَعِرْقٍ مِنْ أَرْضٍ يَابِسَةٍ، لاَ صُورَةَ لَهُ وَلاَ جَمَالَ فَنَنْظُرَ إِلَيْهِ، وَلاَ مَنْظَرَ فَنَشْتَهِيَهُ. [3]مُحْتَقَرٌ وَمَخْذُولٌ مِنَ النَّاسِ، رَجُلُ أَوْجَاعٍ وَمُخْتَبِرُ الْحَزَنِ، وَكَمُسَتَّرٍ عَنْهُ وُجُوهُنَا، مُحْتَقَرٌ فَلَمْ نَعْتَدَّ بِهِ. [4]لكِنَّ أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا، وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا. وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَابًا مَضْرُوبًا مِنَ

اللهِ وَمَذْلُولاً . ٥وَهُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا ، مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا . تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ ، وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا . ٦كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا . مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ ، وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا . ٧ظُلِمَ أَمَّا هُوَ فَتَذَلَّلَ وَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ . كَشَاةٍ تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ ، وَكَنَعْجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَازِّيهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ . ٨مِنَ الضُّغْطَةِ وَمِنَ الدَّيْنُونَةِ أُخِذَ . وَفِي جِيلِهِ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ قُطِعَ مِنْ أَرْضِ الأَحْيَاءِ ، أَنَّهُ ضُرِبَ مِنْ أَجْلِ ذَنْبِ شَعْبِي؟ ٩وَجُعِلَ مَعَ الأَشْرَارِ قَبْرُهُ ، وَمَعَ غَنِيٍّ عِنْدَ مَوْتِهِ . عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ ظُلْمًا ، وَلَمْ يَكُنْ فِي فَمِهِ غِشٌّ . ١٠أَمَّا الرَّبُّ فَسُرَّ بِأَنْ يَسْحَقَهُ بِالْحَزَنِ . إِنْ جَعَلَ نَفْسَهُ ذَبِيحَةَ إِثْمٍ يَرَى نَسْلاً تَطُولُ أَيَّامُهُ ، وَمَسَرَّةُ الرَّبِّ بِيَدِهِ تَنْجَحُ . ١١مِنْ تَعَبِ نَفْسِهِ يَرَى وَيَشْبَعُ ، وَعَبْدِي الْبَارُّ بِمَعْرِفَتِهِ يُبَرِّرُ كَثِيرِينَ ، وَآثَامُهُمْ هُوَ يَحْمِلُهَا . ١٢لِذلِكَ أَقْسِمُ لَهُ بَيْنَ الأَعِزَّاءِ وَمَعَ الْعُظَمَاءِ يَقْسِمُ غَنِيمَةً ، مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ سَكَبَ لِلْمَوْتِ نَفْسَهُ وَأُحْصِيَ مَعَ أَثَمَةٍ ، وَهُوَ حَمَلَ خَطِيَّةَ كَثِيرِينَ وَشَفَعَ فِي الْمُذْنِبِينَ" (إشعيا/ ٥٢/ ١٣- ١٥ ، و٥٣/ ١- ١١) .

فإن أصر قداسة الواعظ على أن يرى هنا المسيح عليه السلام ، فها هو ذا مؤلف سفر إشعياء يصفه على لسان المولى سبحانه بأنه عبد لله لا ابن له . ولا ننس أنه لم يحدث مرة أن قال المسيح عليه السلام لأحد ممن تعامل معهم: "يا عبدى ، أو يا عبادى" ، بل إنه لم يسمهم حتى "عَبِيدًا" (وهى الكلمة التى تُسْتَخْدَم عادة لعبد الإنسان لا لعبد الله ، الذى يُجْمَع عادة على "عِبَاد") بل سماهم: "احبّاء": "لاَ أَعُودُ أُسَمِّيكُمْ عَبِيدًا ، لأَنَّ الْعَبْدَ لاَ يَعْلَمُ مَا يَعْمَلُ سَيِّدُهُ ، لكِنِّي قَدْ سَمَّيْتُكُمْ أَحِبَّاءَ لأَنِّي أَعْلَمْتُكُمْ بِكُلِّ مَا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي" (يوحنا/ ١٥/ ١٥) . أى أن المسيح ، عليه السلام ، من الناحيتين: الإيجابية والسلبية كلتيهما ، هو عبدٌ لله كسائر عباد الله ، وإنْ زاد عنهم بأنه كان رسولا نبيا . لكن قول مؤلف إشعياء عن ذلك العبد: "٧ظُلِمَ أَمَّا هُوَ فَتَذَلَّلَ

وَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ. كَشَاةٍ تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ، وَكَنَعْجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَازِّيهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ. ^٨مِنَ الضُّغْطَةِ وَمِنَ الدَّيْنُونَةِ أُخِذَ. وَفِي جِيلِهِ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ قُطِعَ مِنْ أَرْضِ الأَحْيَاءِ، أَنَّهُ ضُرِبَ مِنْ أَجْلِ ذَنْبِ شَعْبِي؟ ^٩وَجُعِلَ مَعَ الأَشْرَارِ قَبْرُهُ، وَمَعَ غَنِيٍّ عِنْدَ مَوْتِهِ" لا ينطبق على السيد المسيح صلى الله عليه وسلم، إذ إنه لم يكن صامتا بل كان يتكلم طوال الوقت مع تلامذته أو أعدائه أو المرضى المتعَبين، وهذا الكلام هو الذى ألَّب عليه المجرمين الفَسَقة. حتى عندما وُضِع على الصليب حَسْب روايات مؤلفى الأناجيل لم يكفّ عن الكلام، بل كان يجيب على ما يوجَّه له من أسئلة وتهكمات، كما أخذ يصيح ويتألم وهو فى نزعه الأخير حسبما يزعمون. ثم إنه لم يُدْفَنْ مع أشرار، ولا مات مع أغنياء، ورواية الصَّلْب موجودة لكل من يريد، فليدلّنا القوم على خلاف ما نقول! وفوق ذلك كيف يقال إنه قد ظُلِم، وهو ابن الله أو الله ذاته؟ هل الآلهة يمكن أن تُظْلَم؟ أوليس أبوه هو الذى أرسله بنفسه لكى يموت هذه الميتة فداء للبشرية؟ فكيف يسمَّى هذا ظلما؟ الواقع أنه إذا قلنا إنه كان هناك ظلم فليس أمامنا إلا القول بأن هذا الظلم هو مِنَ الذى اختاره وأرسله، أستغفر الله، لا مِنَ الذين أسلموه لقتلته ولا من الذين صلبوه لأن هؤلاء جميعا إنما كانوا الأدوات المنفذة للمشيئة الإلهية التى إنما عملت ما عملت رحمة بالبشرية وتكفيرا لها عن ذنوبها كما يقول القوم! كذلك فالسيد المسيح لم يكن محتقرا، معاذ الله! وإذا كان فمِنْ قِبَل المجرمين المنافقين من بنى إسرائيل فقط، وهؤلاء لا قيمة لهم عند الله، أما الذين آمنوا به فقد أحبوه واحترموه. والأناجيل مملوءة بالكلام الطيب الذى كانوا يغدقونه عليه. وفوق ذلك فإن قول إشعياء: "لكن أحزاننا حملها، وأوجاعنا تحمّلها" لا ينطبق على السيد المسيح بحال لأنه لم يحدث أن حمل أحزان أحد ولا تحمّل أوجاعه، بل كل ما هنالك أنه أذهب عن بعض المرضى (وليس

عنا كلنا نحن البشر) الأحزان والأوجاع التى كانوا يقاسونها ولم يتحمل هو نفسه شيئا منها، وإلا فهل كان فى كل مرة يشفى فيها أحدا من مرضه كان يصاب هو بدلا منه بذلك المرض؟ هذا هو معنى العبارة، وهو ما لا ينطبق على المسيح بتاتا، بيد أن القوم فى تفكيرهم وتفسيرهم لكتابهم المقدس لا يجرون على أى منهج أو منطق، بل يقولون كل ما يعنّ لهم بغض النظر عما فيه من شطط فى الخروج على كل منطق وعقل! كذلك فإن الكلام يخلو تماما مما يعتقده النصارى فى السيد المسيح من أنه قام من الأموات وصعد إلى السماء! ثم إن نهاية النص تتحدث عن نسل له تطول أيامه، وليس للمسيح أى نسل، لسبب بسيط هو أنه لم يتزوج كما يعلم جميع الناس: "أَمَّا الرَّبُّ فَسُرَّ بِأَنْ يَسْحَقَهُ بِالْحَزَنِ. إِنْ جَعَلَ نَفْسَهُ ذَبِيحَةَ إِثْمٍ يَرَى نَسْلاً تَطُولُ أَيَّامُهُ، وَمَسَرَّةُ الرَّبِّ بِيَدِهِ تَنْجَحُ".

ولا بد من التنبيه إلى أن كثيرا من المفسرين اليهود يؤكدون أن المقصود فى هذه النبوءة هو النبى إرميا وليس عيسى عليه السلام، أما الفريق الآخر منهم الذى يرى أن الكلام عن المسيح فإن المسيح عندهم ليس هو ابن مريم بل شخصا آخر لا يزالون فى انتظار مجيئه كما هو معروف (انظر "Matthew Henry Complete Commentary on the Whole Bible" فى التعليق على الفقرات ١٣ - ١٥ من الإصحاح الثانى والخمسين من سفر إشعياء)، وهذا الشخص لن يكون واحدا من الأقانيم المعروفة لأنهم لا يعرفون التثليث النصرانى الذى هو، فى الواقع، نتاج الفكر المتأخر عن المسيح. وعلاوة على هذا نجد ألفرد جيوم فى "A New Commentary on Holy Scripture" (لندن/ ١٩٢٩م/ ٤٥٩) يؤكد أن هناك خلافا حادا حول حقيقة الشخص المومإ إليه هنا لم يهدأ أُوارُه، وأن التفسير القديم الذى كان يرى أن المراد فى نبوءتنا هو السيد المسيح قد أخلى

مكانه لحساب القول بأن المقصود هم بنو إسرائيل كلهم ، وبخاصة أنه قد سبق في سفر إشعياء استعمال لفظ "العبد" مرادا به بنو إسرائيل ، كما أنه من غير المعقول أن يكون الكلام بهذا التفصيل عن شخص لن يظهر إلا بعد ٥٠٠ عام تقريبا . ومن هذا يتبين لنا أن كلام السيد الواعظ هو كلام خاطئ تماما .

* * *

١٢ - من هو الأعظم؟

* لا يناسب هذا السؤال الخطير هاتين الشخصيتين البارزتين لأنهما أعظم شخصيات في تاريخ البشر: فأتباع محمد يبلغون ١١٠٠ مليون مسلم بعد مرور ١٣٧٠ سنة بعد الهجرة ، بينما يبلغ الذين يؤمنون بالمسيح ١٧٠٠ مليون بعد ١٩٦٠ سنة من وفاته . وتأثر أتباعه من محبة مخلصهم حتى قبلوا لأنفسهم اللقب: "المسيحيون" . لا دين آخر ولا حزب ، لا فلسفة ولا مذهب جمع عددا أوفر مما جمع هذان الرجلان في مذهبهما . لهذا يقدّر التاريخ المسيح ومحمدًا القمتين عبر العصور . كان محمد منذرًا لشعبه محتملا الاضطهاد والحقد ١٢ سنة في مكة المكرمة ، وتغير بعد الهجرة في سنة ٦٢٢ م إلى شخصية بارزة ماهرة في السياسة والتشريع والجهاد حتى أصبح أمير المؤمنين وخليفة الله في أرضه للأمة الإسلامية . أما المسيح فلم يقبل السؤال: من هو الأعظم؟ لأنه تواضع جدا وقال إنه لم يأت ليُخدَم بل ليَخدُم ، كما أعلن أن الذي يريد أن يكون الأول يكون الآخِر ، ومن يريد أن يترأس فليكن عبدًا للجميع . فكل من يطلب العظمة لم يفهم المسيح وقصده بعد لأنه اعترف بأنه وديع ومتواضع القلب ، فالودعاء فقط هم الذين يرثون الأرض- متى ٥: ٥ . وهكذا نقرأ عن المسيح أنه أصبح مذلولاً ومحتقرًا

وملعونًا مرفوضًا من أمته ومهانًا حتى رفعوه على خشبة العار بأيدي الأثمة- اشعياء ٥٣: ١-٣ . فالمسيح أراد وعاش إنكار النفس معنويا وعمليا . قد سمى بطرس مقدام رسله شيطانًا مجرّبًا عندما حاول أن يمنعه عن طريق الاحتقار والموت النيابي عن البشر- متى ١٦: ٢٣ . وأعلن المسيح تواضعه أيضًا بالنسبة لله وقال: لا يَقْدِرُ الا بْنُ أَنْ يَعْمَلَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا إلا مَا يَنْظُرُ الآبَ يَعْمَلُ . لأَنْ مَهْمَا عَمِلَ ذَاكَ فَهذَا يَعْمَلُهُ الابْنُ كَذلِكَ- يوحنا ٥: ١٩ . وقال أيضًا: الْكَلامُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ نَفْسِي ، لكِنَّ الآبَ الْحَالَّ فِيَّ هُوَ يَعْمَلُ الأَعْمَالَ- يوحنا ١٤: ١٠ . واعترف المسيح أن الآب أعظم منه ، فمجّد اسم الآب وأنكر نفسه . كل من يريد أن يفهم المسيح فلا بد أن يتواضع أولاً ويسأل: من هو الأصغر؟ وليس من هو الأعظم؟ لأن المسيح جعل نفسه أصغر الجميع ، وأصبح خطية لأجلنا لنصبح نحن برّ الله فيه . لذلك بذل نفسه فدية عن الأشرار والمجرمين ليتحرروا من دينونة الله ويتغيروا إلى صورة محبته القدوسة .

** يا أيها الواعظ ، لقد حيرتني ، فما دمت تؤمن بنبوة محمد وعظمته ، فلماذا الشغب إذن والضرب تحت الحزام من حين لحين كتلميحك إلى أن محمدا إذا كان قد عاش حياته فى مكة رجل سلام يتحمل الاضطهاد والحقد بصبر نبيل ، فقد انقلب فى المدينة رجل عدوان؟ لقد وصلتنى الليلة رسالة بالإنجليزية عن "الهولوكوست الإسلامى" ، وهى تكفى فى الرد عليك ، إذ إن مرتكبى الهولوكوستات المذكورة فيها هم فى غالبيتهم الساحقة من النصارى الذين يقولون إنهم أتباع المسيح نبى الوداعة والسلام . وهناك هولوكوستات أخرى لم تُذكر ، كالهولوكوست الذى اجترمه الإسبان فى شبه جزيرة إيبريا غداة انتصار النصارى على بنى نصر آخر حكام الإسلام فى تلك البلاد ، إذ لم يبق مسلم هناك بعد فترة قصيرة يوحّد الله! فأين ذهب المسلمون ، وكانوا

يُعَدّون بالملايين؟ والرسالة تجرى على النحو التالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

In the Name of Allah, Most Gracious, Most Merciful

Muslims Holocaust and Genocide Remembrance Day

Muslims Against Terrorism

http: //www. m- a-t. org

In order to remember more than 32 million Muslims killed \ displaced during the past 1400 years, Muslims Against Terrorism (MAT) will be holding two memorial ceremonies in Toronto and Calgary.

Major holocausts and genocide of Muslims are as follows.

Crusaders killed more than half million Muslims during and after occupying Jerusalem.

Ganges Khan and his forces killed more than a million Muslims during the occupation of Iraq and neighboring areas. More than a million Muslims were killed \ forced to change religion by Spanish Crusaders in South America.

More than 2 million Muslims were killed \ forced to

change religion \ displaced by Spanish and other European extremists during the rebellion against Ottoman empire.

More than 3 million Muslims were killed by the European colonial powers during and after the occupation of Muslim countries.

More than 8 million Muslims were killed \ displaced by Tsars of Russia.

More than 3 million Muslims were killed \ displaced by communist government of Russia.

More than 1. 5 million Muslims have been killed in China, Cambodia, Vietnam, and other Far East countries since the world war II.

More than half million Muslims have been killed \ displaced in Burma since world war II.

More than half million Muslims have been killed in India and Kashmir since 1947.

More than half million Muslims were killed by Serbs and Croats in Bosnia during early 90s.

More than 100,000 Muslims were killed in Kosovo and Albania during mid 90s.

More than a million Muslims were killed in East European countries during the communist governments.

More than 5 million Muslims have been killed \ displaced in Palestine since 1948.

More than 6 million Muslims were killed \ displaced by the Russian occupation of Afghanistan.

Thousands of Muslims have been killed by secular \ dictator governments (backed by the West) in Muslim countries since the independence from the colonial powers.

Why 32 million Muslims killed \ displaced during past 1400 hundred years?

يا أيها الواعظ ، إذا كنت وقومك تبجلون المسيح فنحن المسلمين نبجله أيضا ونحبه حبًا جَمًّا وندفع عنه وعن أمه الطاهرة الأذى والعدوان من أية جهة يأتيان ، لكننا رغم ذلك لا نؤلهه ولا نرتفع به فوق النبوة ، فما هو فى نهاية المطاف إلا عبد الله ورسوله مثلما محمد عبد الله ورسوله ، ومثلما نوح وإبراهيم ولوط وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وداود وسليمان واليَسَع ويونس وزكريا وهُود وصالح وشُعَيْب عباد الله ورسله ، عليهم جميعا الصلاة والسلام . كذلك فنحن لا نستطيع قبول كثير مما تقصه الأناجيل عنه وتنسبه إليه مما أشرنا إلى بعضه فيما مضى من فقرات . ولكن ما دمت فتحت موضوع المقارنة بين النبيين الكريمين العظيمين فلا بد أن ندلى بدلونا . وسوف تدور المقارنة على ثلاثة محاور: الأول هو مدى توفير كل من

الدينين للتشريعات التى تنظم أمور الحياة . والثانى هو القيم الحضارية التى يبشر بها كل من الدينين . والثالث هو عنصر الرجال الذين رباهم كل من الرسولين حسبما نقرأ فى كتب قومه .

ونبدأ بالتشريعات ، ومعروف أن النصرانية تخلو تماما من أى شىء يتعلق بتنظيم المجتمع أو الدولة: سواء فى مجال السياسة والحكومة ، أو الاقتصاد والعمل والإنتاج والصناعات والحرف والبيع والشراء والربا ، أو العلاقات التى تربط أفراد الأسر والأقارب والجيران بعضهم ببعض ، أو الحروب والمبادئ التى ينبغى الالتزام بها أثناءها . ذلك أن النصرانية ليست سوى طائفة من النصائح الأخلاقية المغرقة فى المثالية الساذجة التى تتأبى على التطبيق مهما كانت رغبة الشخص أو المجتمع فى ذلك لأنها تدابر الفطرة البشرية وتفترض فى الناس أنهم مجموعة من الملائكة الأطهار الأبرار ، أو من ألواح الثلج ، فهم لا يحسون ولا يغضبون ولا يتألمون ولا يقلقون على شىء ولا يرون له قيمة ، ومن ثم لا يثورون ولا يتمردون على أية إهانة أو إذلال . وبطبيعة الحال فإن الناس ليسوا كذلك ولا يمكن أن يكونوا كذلك ، ولهذا كان لا بد من تشريعات تنظم أمورهم فى مجالات الحياة المختلفة ، وهو ما قام به الإسلام على خير وجه ، وراعى فيه إقامة توازن عبقرى بين واقعية القوانين ومناسبتها للطبيعة الإنسانية مع العمل فى ذات الوقت على السموّ بتلك الطبيعة إلى أقصى ما يمكنها بلوغه من درجات الرقى والسموق رغم ذلك . وعلى ذلك فمن الظلم وضع الإسلام موضع المقارنة مع النصرانية ، إذ لا تستطيع هذه الديانة الأخيرة أن تصمد لحظة من نهار أو ليل لتلك المقارنة إلا على سبيل المكابرة من جانب بعض الناس . وينبغى ألا ننس ما قاله المسيح عليه الصلاة والسلام من أن مملكته ليست من هذا العالم ، وهى كلمة قاطعة الدلالة على أن النصرانية ، حتى دون تحريف ، لا تصلح للحياة

الدنيا ، فكيف تصح مقارنتها بالإسلام ، فضلا عن تفضيلها عليه؟ إن هذا كلام لا يدخل العقل! وهنا ننتقل إلى المحور الثانى فى المقارنة بين محمد والمسيح عليهما جميعا السلام ، وهو محور القيم الحضارية .

ومن المعروف أن الحضارة تقوم على عدة أسس هى العقيدة ، والأخلاق ، والقانون ، والعلم ، والذوق ، والعمل . وليكن آخر شيء هنا ، وهو العمل ، هو أول ما نتناوله فى المقارنة بين الإسلام والنصرانية . وكان المسيح عليه السلام ، طبقا لما يقوله كتّاب الأناجيل ، ينظر إلى العمل على أنه عائق فى طريق دعوته ، ولهذا كان يأمر كل من يدخل فى تلك الدعوة أن يترك وراء ظهره مهنته التي يأكل منها ، وكذلك أسرته ، ويتبعه: "[17] مِنْ ذلِكَ الزَّمَانِ ابْتَدَأَ يَسُوعُ يَكْرِزُ وَيَقُولُ: «تُوبُوا لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ» . [18] وَإِذْ كَانَ يَسُوعُ مَاشِيًا عِنْدَ بَحْرِ الْجَلِيلِ أَبْصَرَ أَخَوَيْنِ: سِمْعَانَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ بُطْرُسُ ، وَأَنْدَرَاوُسَ أَخَاهُ يُلْقِيَانِ شَبَكَةً فِي الْبَحْرِ ، فَإِنَّهُمَا كَانَا صَيَّادَيْنِ . [19] فَقَالَ لَهُمَا: «هَلُمَّ وَرَائِي فَأَجْعَلَكُمَا صَيَّادَيِ النَّاسِ» . [20] فَلِلْوَقْتِ تَرَكَا الشِّبَاكَ وَتَبِعَاهُ . [21] ثُمَّ اجْتَازَ مِنْ هُنَاكَ فَرَأَى أَخَوَيْنِ آخَرَيْنِ: يَعْقُوبَ بْنَ زَبْدِي وَيُوحَنَّا أَخَاهُ ، فِي السَّفِينَةِ مَعَ زَبْدِي أَبِيهِمَا يُصْلِحَانِ شِبَاكَهُمَا ، فَدَعَاهُمَا . [22] فَلِلْوَقْتِ تَرَكَا السَّفِينَةَ وَأَبَاهُمَا وَتَبِعَاهُ" (متى/ ٤) ، "وَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ جُمُوعًا كَثِيرَةً حَوْلَهُ ، أَمَرَ بِالذَّهَابِ إِلَى الْعَبْرِ . [19] فَتَقَدَّمَ كَاتِبٌ وَقَالَ لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ ، أَتْبَعُكَ أَيْنَمَا تَمْضِي» . [20] فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «لِلثَّعَالِبِ أَوْجِرَةٌ وَلِطُيُورِ السَّمَاءِ أَوْكَارٌ ، وَأَمَّا ابْنُ الإِنْسَانِ فَلَيْسَ لَهُ أَيْنَ يُسْنِدُ رَأْسَهُ» . [21] وَقَالَ لَهُ آخَرُ مِنْ تَلاَمِيذِهِ: «يَا سَيِّدُ ، ائْذَنْ لِي أَنْ أَمْضِيَ أَوَّلاً وَأَدْفِنَ أَبِي» . [22] فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «اتْبَعْنِي ، وَدَعِ الْمَوْتَى يَدْفِنُونَ مَوْتَاهُمْ» " (متى/ ٨) ، "[9] وَفِيمَا يَسُوعُ مُجْتَازٌ مِنْ هُنَاكَ ، رَأَى إِنْسَانًا جَالِسًا عِنْدَ مَكَانِ الْجِبَايَةِ ، اسْمُهُ مَتَّى . فَقَالَ لَهُ: «اتْبَعْنِي» .

فَقَامَ وَتَبِعَهُ" (متى/ ٩) . وبالمناسبة فهذا النص الصغير يدل دلالة قاطعة على أن كاتب هذا الإنجيل ليس هو متى حوارى عيسى ، فهو يتكلم عن متى نفسه بوصفه شخصا آخر ، وهذا ظاهر من استعمال ضمير الغائب لا المتكلم " ، "[٢٤] حِينَئِذٍ قَالَ يَسُوعُ لِتَلاَمِيذِهِ: «إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعْنِي" (متى/ ١٦) .

ويتصل بهذا تهوينه عليه السلام من شأن المال ، مع أن المال فى أصله عنصر رئيسى من عناصر الحياة ، إذ هو ترجمة الجهد المبذول فى العمل والإنتاج أو فيما يحتاج إليه الإنتاج كى يمكن إنجازه . ولا يمكن أن يُدان المال ومالكوه ، اللهم إلا إذا كان قد أتى من حرام ، أو يُنفَق فى حرام ، أما إدانته والتنفير منه والدعوة إلى كراهيته كأنه شرٌّ فى ذاته كما كان المسيح يفعل طبقا لما يقول مؤلفو الأناجيل فهو ما لا يمكن الموافقة عليه ، لأنه يهدم ركنا من أركان الحياة والعمران البشرى ، وإلا فمن أين يأكل الناس ويشربون ويلبسون ويسكنون إذا أهملوا العمل وما يترتب على العمل من كسب ومال؟ : "[١٩] «لاَ تَكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزًا عَلَى الأَرْضِ حَيْثُ يُفْسِدُ السُّوسُ وَالصَّدَأُ، وَحَيْثُ يَنْقُبُ السَّارِقُونَ وَيَسْرِقُونَ. [٢٠] بَلِ اكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزًا فِي السَّمَاءِ، حَيْثُ لاَ يُفْسِدُ سُوسٌ وَلاَ صَدَأٌ، وَحَيْثُ لاَ يَنْقُبُ سَارِقُونَ وَلاَ يَسْرِقُونَ، [٢١] لأَنَّهُ حَيْثُ يَكُونُ كَنْزُكَ هُنَاكَ يَكُونُ قَلْبُكَ أَيْضًا. [٢٢] سِرَاجُ الْجَسَدِ هُوَ الْعَيْنُ، فَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ بَسِيطَةً فَجَسَدُكَ كُلُّهُ يَكُونُ نَيِّرًا، [٢٣] وَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ شِرِّيرَةً فَجَسَدُكَ كُلُّهُ يَكُونُ مُظْلِمًا، فَإِنْ كَانَ النُّورُ الَّذِي فِيكَ ظَلاَمًا فَالظَّلاَمُ كَمْ يَكُونُ! [٢٤] «لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْدِمَ سَيِّدَيْنِ، لأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبْغِضَ الْوَاحِدَ وَيُحِبَّ الآخَرَ، أَوْ يُلاَزِمَ الْوَاحِدَ وَيَحْتَقِرَ الآخَرَ. لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَخْدِمُوا اللهَ وَالْمَالَ. [٢٥] «لِذلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ تَهْتَمُّوا لِحَيَاتِكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَبِمَا تَشْرَبُونَ، وَلاَ لأَجْسَادِكُمْ بِمَا تَلْبَسُونَ. أَلَيْسَتِ الْحَيَاةُ أَفْضَلَ مِنَ

الطَّعَامِ، وَالْجَسَدُ أَفْضَلَ مِنَ اللِّبَاسِ؟ ٢٦ أُنْظُرُوا إِلَى طُيُورِ السَّمَاءِ: إِنَّهَا لاَ تَزْرَعُ وَلاَ تَحْصُدُ وَلاَ تَجْمَعُ إِلَى مَخَازِنَ، وَأَبُوكُمُ السَّمَاوِيُّ يَقُوتُهَا. أَلَسْتُمْ أَنْتُمْ بِالْحَرِيِّ أَفْضَلَ مِنْهَا؟ ٢٧ وَمَنْ مِنْكُمْ إِذَا اهْتَمَّ يَقْدِرُ أَنْ يَزِيدَ عَلَى قَامَتِهِ ذِرَاعًا وَاحِدَةً؟ ٢٨ وَلِمَاذَا تَهْتَمُّونَ بِاللِّبَاسِ؟ تَأَمَّلُوا زَنَابِقَ الْحَقْلِ كَيْفَ تَنْمُو! لاَ تَتْعَبُ وَلاَ تَغْزِلُ. ٢٩ وَلكِنْ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ وَلاَ سُلَيْمَانُ فِي كُلِّ مَجْدِهِ كَانَ يَلْبَسُ كَوَاحِدَةٍ مِنْهَا. ٣٠ فَإِنْ كَانَ عُشْبُ الْحَقْلِ الَّذِي يُوجَدُ الْيَوْمَ وَيُطْرَحُ غَدًا فِي التَّنُّورِ، يُلْبِسُهُ اللهُ هكَذَا، أَفَلَيْسَ بِالْحَرِيِّ جِدًّا يُلْبِسُكُمْ أَنْتُمْ يَا قَلِيلِي الإِيمَانِ؟ ٣١ فَلاَ تَهْتَمُّوا قَائِلِينَ: مَاذَا نَأْكُلُ؟ أَوْ مَاذَا نَشْرَبُ؟ أَوْ مَاذَا نَلْبَسُ؟ ٣٢ فَإِنَّ هذِهِ كُلَّهَا تَطْلُبُهَا الأُمَمُ. لأَنَّ أَبَاكُمُ السَّمَاوِيَّ يَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَحْتَاجُونَ إِلَى هذِهِ كُلِّهَا. ٣٣ لكِنِ اطْلُبُوا أَوَّلاً مَلَكُوتَ اللهِ وَبِرَّهُ، وَهذِهِ كُلُّهَا تُزَادُ لَكُمْ. ٣٤ فَلاَ تَهْتَمُّوا لِلْغَدِ، لأَنَّ الْغَدَ يَهْتَمُّ بِمَا لِنَفْسِهِ. يَكْفِي الْيَوْمَ شَرُّهُ" (متى/ ٦).

ولقد يبدو أن ما يقوله المسيح هنا يشبه ما قاله الرسول الكريم محمد عليه الصلاة والسلام عندما أشار إلى أن الله سوف يرزقنا كما يرزق الطير. بيد أن هناك فرقا ضخما وخطيرا بين الكلامين، ألا وهو أن الرسول محمدا قد وضّح ماذا يقصد بالمقارنة بيننا وبين الطير، وهو ألا نركن إلى الكسل ونهمل العمل، بل علينا أن نطلب الرزق من مظانّه. وإذا كانت الطير تترك أعشاشها وتطير فى فضاء الله الوسيع سعيا وراء الحبة والدودة، وحينئذ تحصل على رزقها، فكذلك ينبغى أن نتحرك نحن أيضا ونجتهد ونتعب حتى نحصل على رزقنا، فالرزق لا يأتى دون تعب وعرق وكد وكدح. وهذا معنى ربطه صلى الله عليه وسلم بين الرزق وبين شرط التوكل على الله حقّ توكُّله: "لو توكلتم على الله حقّ توكُّله لرزقكم كما يرزق الطير: تغدو خِمَاصًا، وتروح بِطَانًا". وهذا ما لا نجده فى حديث السيد المسيح عليه السلام، بل فيه أن الله يرزق الطير دون مجهود من جانبها، وهذا غير

صحيح كما يعرف جميع الناس .

ولنتابع: "[16] وَإِذَا وَاحِدٌ تَقَدَّمَ وَقَالَ لَهُ: «أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ ، أَيَّ صَلاَحٍ
أَعْمَلُ لِتَكُونَ لِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ؟ » [17] فَقَالَ لَهُ: «لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحًا؟
لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحًا إِلاَّ وَاحِدٌ وَهُوَ اللهُ . وَلكِنْ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ
فَاحْفَظِ الْوَصَايَا» . [18] قَالَ لَهُ: «أَيَّةَ الْوَصَايَا؟ » فَقَالَ يَسُوعُ: «لاَ تَقْتُلْ . لاَ
تَزْنِ . لاَ تَسْرِقْ . لاَ تَشْهَدْ بِالزُّورِ . [19] أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ ، وَأَحِبَّ قَرِيبَكَ
كَنَفْسِكَ» . [20] قَالَ لَهُ الشَّابُّ: «هذِهِ كُلُّهَا حَفِظْتُهَا مُنْذُ حَدَاثَتِي . فَمَاذَا
يُعْوِزُنِي بَعْدُ؟ » [21] قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلاً فَاذْهَبْ وَبِعْ
أَمْلاَكَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ ، وَتَعَالَ اتْبَعْنِي» .
[22] فَلَمَّا سَمِعَ الشَّابُّ الْكَلِمَةَ مَضَى حَزِينًا ، لأَنَّهُ كَانَ ذَا أَمْوَال كَثِيرَةٍ . [23] فَقَالَ
يَسُوعُ لِتَلاَمِيذِهِ: «الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ يَعْسُرُ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ
السَّمَاوَاتِ! [24] وَأَقُولُ لَكُمْ أَيْضًا: إِنَّ مُرُورَ جَمَل مِنْ ثَقْبِ إِبْرَةٍ أَيْسَرُ مِنْ أَنْ
يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ اللهِ! » . [25] فَلَمَّا سَمِعَ تَلاَمِيذُهُ بُهِتُوا جِدًّا قَائِلِينَ:
«إِذًا مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْلُصَ؟ » [26] فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: «هذَا عِنْدَ
النَّاسِ غَيْرُ مُسْتَطَاعٍ ، وَلكِنْ عِنْدَ اللهِ كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ . [27] فَأَجَابَ بُطْرُسُ
حِينَئِذٍ وَقَالَ لَهُ: «هَا نَحْنُ قَدْ تَرَكْنَا كُلَّ شَيْءٍ وَتَبِعْنَاكَ . فَمَاذَا يَكُونُ لَنَا؟ »
[28] فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الَّذِينَ تَبِعْتُمُونِي ، فِي
التَّجْدِيدِ ، مَتَى جَلَسَ ابْنُ الإِنْسَانِ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ ، تَجْلِسُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا
عَلَى اثْنَيْ عَشَرَ كُرْسِيًّا تَدِينُونَ أَسْبَاطَ إِسْرَائِيلَ الاثْنَيْ عَشَرَ . [29] وَكُلُّ مَنْ تَرَكَ
بُيُوتًا أَوْ إِخْوَةً أَوْ أَخَوَاتٍ أَوْ أَبًا أَوْ أُمًّا أَوِ امْرَأَةً أَوْ أَوْلاَدًا أَوْ حُقُولاً مِنْ أَجْلِ
اسْمِي ، يَأْخُذُ مِئَةَ ضِعْفٍ وَيَرِثُ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ . [30] وَلكِنْ كَثِيرُونَ أَوَّلُونَ
يَكُونُونَ آخِرِينَ ، وَآخِرُونَ أَوَّلِينَ . »" (متى/ ١٩ . ولو قيل إن الغنى إذا كان
من حرام أو يدفع إلى حرام أو يشغل صاحبه عن طاعة الله ويغريه بالإثم

فإنه يشكل عندئذ عقبة تمنع صاحبه من دخول ملكوت السماوات، أما التنفير من المال مطلقا فلا أدري كيف يكون!).

ولذلك كان من ثمرة هذا الموقف المبدئى من السيد المسيح أنه وتلاميذه كانوا يعتمدون فى مطعمهم وملبسهم ومركبهم... إلخ على ما يجود به عليهم الآخرون، أو على ما يقابلهم فى طريقهم من حقول أو حظائر يهجمون عليها دون إذن من أصحابها، أو على معجزات السيد المسيح الطعامية. وإن لم تأت المعجزة بالثمرة المطلوبة لعن التينة المسكينة التى لم تستجب له لأن الأوان ليس أوان تين، وليس لها ذنب فى ذلك. وليس على تلك الأسس تقوم المجتمعات البشرية، بل على العمل والجدّ والإنتاج وامتهان الحرف والصنائع المختلفة، وإلا انقرض المجتمع وضاع: "[٥] هؤُلاَءِ الاثْنَا عَشَرَ أَرْسَلَهُمْ يَسُوعُ وَأَوْصَاهُمْ قَائِلاً: «إِلَى طَرِيقِ أُمَمٍ لاَ تَمْضُوا، وَإِلَى مَدِينَةٍ لِلسَّامِرِيِّينَ لاَ تَدْخُلُوا. [٦] بَلِ اذْهَبُوا بِالْحَرِيِّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ. [٧] وَفِيمَا أَنْتُمْ ذَاهِبُونَ اكْرِزُوا قَائِلِينَ: إِنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ. [٨] اِشْفُوا مَرْضَى. طَهِّرُوا بُرْصًا. أَقِيمُوا مَوْتَى. أَخْرِجُوا شَيَاطِينَ. مَجَّانًا أَخَذْتُمْ، مَجَّانًا أَعْطُوا. [٩] لاَ تَقْتَنُوا ذَهَبًا وَلاَ فِضَّةً وَلاَ نُحَاسًا فِي مَنَاطِقِكُمْ، [١٠] وَلاَ مِزْوَدًا لِلطَّرِيقِ وَلاَ ثَوْبَيْنِ وَلاَ أَحْذِيَةً وَلاَ عَصًا، لأَنَّ الْفَاعِلَ مُسْتَحِقٌّ طَعَامَهُ" (متى/ ١٠)، "[١] فِي ذلِكَ الْوَقْتِ ذَهَبَ يَسُوعُ فِي السَّبْتِ بَيْنَ الزُّرُوعِ، فَجَاعَ تَلاَمِيذُهُ وَابْتَدَأُوا يَقْطِفُونَ سَنَابِلَ وَيَأْكُلُونَ. [٢] فَالْفَرِّيسِيُّونَ لَمَّا نَظَرُوا قَالُوا لَهُ: «هُوَذَا تَلاَمِيذُكَ يَفْعَلُونَ مَا لاَ يَحِلُّ فِعْلُهُ فِي السَّبْتِ!» [٣] فَقَالَ لَهُمْ: «أَمَا قَرَأْتُمْ مَا فَعَلَهُ دَاوُدُ حِينَ جَاعَ هُوَ وَالَّذِينَ مَعَهُ؟ [٤] كَيْفَ دَخَلَ بَيْتَ اللهِ وَأَكَلَ خُبْزَ التَّقْدِمَةِ الَّذِي لَمْ يَحِلَّ أَكْلُهُ لَهُ وَلاَ لِلَّذِينَ مَعَهُ، بَلْ لِلْكَهَنَةِ فَقَطْ. [٥] أَوَ مَا قَرَأْتُمْ فِي التَّوْرَاةِ أَنَّ الْكَهَنَةَ فِي السَّبْتِ فِي الْهَيْكَلِ يُدَنِّسُونَ السَّبْتَ وَهُمْ أَبْرِيَاءُ؟ [٦] وَلكِنْ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ ههُنَا أَعْظَمَ مِنَ

الْهَيْكَلِ! [7] فَلَوْ عَلِمْتُمْ مَا هُوَ: إِنِّي أُرِيدُ رَحْمَةً لاَ ذَبِيحَةً ، لَمَا حَكَمْتُمْ عَلَى الأَبْرِيَاءِ! [8] فَإِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ هُوَ رَبُّ السَّبْتِ أَيْضًا» [9] (متى/ ١٢ . والطريف أن كاتب الإنجيل يعرض المسألة على أنها انتهاك لحرمة السبت ، وينسى أو يتناسى انتهاك حرمة الحقل فى غياب صاحبه والأكل منه دون إذنه) ، «[14] فَلَمَّا خَرَجَ يَسُوعُ أَبْصَرَ جَمْعًا كَثِيرًا فَتَحَنَّنَ عَلَيْهِمْ وَشَفَى مَرْضَاهُمْ. [15] وَلَمَّا صَارَ الْمَسَاءُ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ تَلاَمِيذُهُ قَائِلِينَ: «الْمَوْضِعُ خَلاَءٌ وَالْوَقْتُ قَدْ مَضَى. اِصْرِفِ الْجُمُوعَ لِكَيْ يَمْضُوا إِلَى الْقُرَى وَيَبْتَاعُوا لَهُمْ طَعَامًا» . [16] فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «لاَ حَاجَةَ لَهُمْ أَنْ يَمْضُوا. أَعْطُوهُمْ أَنْتُمْ لِيَأْكُلُوا» . [17] فَقَالُوا لَهُ: «لَيْسَ عِنْدَنَا ههُنَا إِلاَّ خَمْسَةُ أَرْغِفَةٍ وَسَمَكَتَانِ» . [18] فَقَالَ: «ائْتُونِي بِهَا إِلَى هُنَا» . [19] فَأَمَرَ الْجُمُوعَ أَنْ يَتَّكِئُوا عَلَى الْعُشْبِ. ثُمَّ أَخَذَ الأَرْغِفَةَ الْخَمْسَةَ وَالسَّمَكَتَيْنِ ، وَرَفَعَ نَظَرَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ وَبَارَكَ وَكَسَّرَ وَأَعْطَى الأَرْغِفَةَ لِلتَّلاَمِيذِ ، وَالتَّلاَمِيذُ لِلْجُمُوعِ . [20] فَأَكَلَ الْجَمِيعُ وَشَبِعُوا. ثُمَّ رَفَعُوا مَا فَضَلَ مِنَ الْكِسَرِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ قُفَّةً مَمْلُوءةً . [21] وَالآكِلُونَ كَانُوا نَحْوَ خَمْسَةِ آلاَفِ رَجُل ، مَا عَدَا النِّسَاءَ وَالأَوْلاَدَ» (متى/ ١٤) ، «[32] وَأَمَّا يَسُوعُ فَدَعَا تَلاَمِيذَهُ وَقَالَ: «إِنِّي أُشْفِقُ عَلَى الْجَمْعِ ، لأَنَّ الآنَ لَهُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ يَمْكُثُونَ مَعِي وَلَيْسَ لَهُمْ مَا يَأْكُلُونَ. وَلَسْتُ أُرِيدُ أَنْ أَصْرِفَهُمْ صَائِمِينَ لِئَلاَّ يُخَوِّرُوا فِي الطَّرِيقِ» [33] فَقَالَ لَهُ تَلاَمِيذُهُ: «مِنْ أَيْنَ لَنَا فِي الْبَرِّيَّةِ خُبْزٌ بِهذَا الْمِقْدَارِ ، حَتَّى يُشْبِعَ جَمْعًا هذَا عَدَدُهُ؟ » [34] فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «كَمْ عِنْدَكُمْ مِنَ الْخُبْزِ؟ » فَقَالُوا: «سَبْعَةٌ وَقَلِيلٌ مِنْ صِغَارِ السَّمَكِ» . [35] فَأَمَرَ الْجُمُوعَ أَنْ يَتَّكِئُوا عَلَى الأَرْضِ ، [36] وَأَخَذَ السَّبْعَ خُبْزَاتٍ وَالسَّمَكَ ، وَشَكَرَ وَكَسَّرَ وَأَعْطَى تَلاَمِيذَهُ ، وَالتَّلاَمِيذُ أَعْطَوُا الْجَمْعَ . [37] فَأَكَلَ الْجَمِيعُ وَشَبِعُوا. ثُمَّ رَفَعُوا مَا فَضَلَ مِنَ الْكِسَرِ سَبْعَةَ سِلاَل مَمْلُوءةٍ ، [38] وَالآكِلُونَ كَانُوا أَرْبَعَةَ آلاَفِ رَجُل مَا عَدَا النِّسَاءَ وَالأَوْلاَدَ» (متى/ ١٥) ، «[1] وَلَمَّا قَرُبُوا مِنْ أُورُشَلِيمَ وَجَاءُوا إِلَى

بَيْتِ فَاجِي عِنْدَ جَبَلِ الزَّيْتُونِ، حِينَئِذٍ أَرْسَلَ يَسُوعُ تِلْمِيذَيْنِ [2] قَائِلاً لَهُمَا: «اذْهَبَا إِلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمَامَكُمَا، فَلِلْوَقْتِ تَجِدَانِ أَتَانًا مَرْبُوطَةً وَجَحْشًا مَعَهَا، فَحُلاَّهُمَا وَأْتِيَانِي بِهِمَا. [3] وَإِنْ قَالَ لَكُمَا أَحَدٌ شَيْئًا، فَقُولاَ: الرَّبُّ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِمَا. فَلِلْوَقْتِ يُرْسِلُهُمَا» (متى/ ٢١)، [18] وَفِي الصُّبْحِ إِذْ كَانَ رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ جَاعَ، [19] فَنَظَرَ شَجَرَةَ تِينٍ عَلَى الطَّرِيقِ، وَجَاءَ إِلَيْهَا فَلَمْ يَجِدْ فِيهَا شَيْئًا إِلاَّ وَرَقًا فَقَطْ. فَقَالَ لَهَا: «لاَ يَكُنْ مِنْكِ ثَمَرٌ بَعْدُ إِلَى الأَبَدِ!». فَيَبِسَتِ التِّينَةُ فِي الْحَالِ (متى/ ٢١)، [17] وَفِي أَوَّلِ أَيَّامِ الْفَطِيرِ تَقَدَّمَ التَّلاَمِيذُ إِلَى يَسُوعَ قَائِلِينَ لَهُ: «أَيْنَ تُرِيدُ أَنْ نُعِدَّ لَكَ لِتَأْكُلَ الْفِصْحَ؟» [18] فَقَالَ: «اذْهَبُوا إِلَى الْمَدِينَةِ، إِلَى فُلاَنٍ وَقُولُوا لَهُ: الْمُعَلِّمُ يَقُولُ: إِنَّ وَقْتِي قَرِيبٌ. عِنْدَكَ أَصْنَعُ الْفِصْحَ مَعَ تَلاَمِيذِي». [19] فَفَعَلَ التَّلاَمِيذُ كَمَا أَمَرَهُمْ يَسُوعُ وَأَعَدُّوا الْفِصْحَ (متى/ ٢٦).

هذا ما تقوله الأناجيل فى موضوع العمل والمال، وهو (كما نرى) لا يصلح للمجتمعات البشرية، فإن المسيح لن يبقى على الأرض طول الحياة حتى يوالى الناس بما يحتاجون، كما أنه لن يظل يصنع معجزات، والدليل على ذلك قصة الحقل وقصة التينة وقصة عيد الفصح، ولن يستفيد من معجزاته إلا من حوله حسبما شاهدنا. ليس هناك إذن سوى سبيل واحد هو العمل والإنتاج والاعتماد على النفس والتعاون وتوزيع الاختصاصات، كل شخص فيما يحسن ويتقن. وهذا ما يقوله الإسلام: لقد تكرر فى القرآن الشريف مراتٍ بعد مراتٍ، عقب الإيمان مباشرةً، الأمرُ بالأعمال الصالحات، وهى تشمل كل شىء تحتاجه الحياة الإنسانية كى تتحرك وتستمر، وأوجب العمل على المسلمين: "وقل: اعملوا، فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون". وفى أحاديث الرسول ما يدل على أنه لا بد من العمل واتخاذ كل إنسان مهنة يزاولها ويعيش منها مُعينًا إخوانه فى المجتمع والإنسانية

ومستعينًا بهم ، وأن المال خيرٌ ما كان من حلال وما أُنفِق فى حلال وأُدِّىَ فيه حق الله والآخرين ، وأن العمل واجب حتى آخر نَفَس فى حياة الإنسان ، بل حتى آخر لحظة فى عمر الدنيا ، وأن العبادة لا ينبغى أن تعطل الإنسان عن عمله ولا أن تجور عليه ، وربما قُدِّم فى بعض الظروف عليها ، بل على العابد بعد أن يفرغ من عبادته أن ينطلق سعيا وراء الرزق ممارسًا مهنته ومؤديًا عمله ، وأن المهن كلها محترمة ، وأنه لا يكفى أن يؤدى الإنسان العمل ، بل لابد من إتقانه على الوجه المطلوب . باختصار ليس فى الدنيا ما يعاب على من يستمتع بطيباتها ما دام يراعى ربه فيها . فالإسلام لا يدابر الحياة ولا يتجهم لها ، بل يأخذ بيدها ويتعاون معها على خير البشرية . يقول الرسول الكريم: "من بات كالاًّ من عمل يده بات مغفورا له"، "ألا أخبركم بخير الناس؟ رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله . ألا أخبركم بالذي يتلوه؟ رجل معتزل في غُنَيْمَةٍ له يؤدي حق الله فيها"، "المؤمن القوى خير وأحبّ إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفى كلٍّ خير"، "خير الصدقة ما كان عن ظَهْرِ غِنًى ، وابدأ بمن تَعُول"، "دينارٌ أنفقته في سبيل الله ، ودينارٌ أنفقته في رقبة ، ودينارٌ تصدقتَ به على مسكين ، ودينارٌ أنفقته على أهلك: أعظمها أجرا الذي أنفقته على أهلك"، "نِعْمَ المال الصالح للمرء الصالح"، "من أحيى أرضا ميتة فهي له"، "من كانت له أرض فليزرعها أو ليمنحها أخاه فإن أبي فليمسك أرضه"، "لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أتاه المهاجرون فقالوا: يا رسول الله ، ما رأينا قوما أبذل من كثير ولا أحسن مواساة من قليل من قوم نزلنا بين أظهُرهم . لقد كَفَوْنا المؤونة وأشركونا في المهنأ حتى لقد خفنا أن يذهبوا بالأجر كله . فقال: لا ، ما دعوتم الله لهم وأثنيتم عليهم" .

وعن السائب بن أبي السائب أنه كان يشارك رسول الله صلى الله عليه

وسلم قبل الإسلام في التجارة . فلما كان يوم الفتح جاءه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: مرحبا بأخي وشريكي! كان لا يداري ولا يماري! يا سائب ، قد كنت تعمل أعمالا في الجاهلية لا تُقبَل منك ، وهي اليوم تُقبَل منك . وكان ذا سَلَفٍ وصِلَة"، "ما بعث الله نبيا إلا راعي غنم . قال له أصحابه: وأنت يا رسول الله؟ قال: وأنا . كنت أرعاها لأهل مكة بالقراريط"، "الخيل لثلاثة: لرجلٍ أجر ، ولرجلٍ ستر ، وعلى رجل وزر: فأما الذي له أجر فرجُلٌ ربَطها في سبيل الله فأطال لها في مَرْجٍ أو روضة ، فما أصابت في طِيَلها ذلك في المرج والروضة كان له حسنات . ولو أنها قطعت طِيَلها فاستنت شرفا أو شرفين كانت آثارها وأرواثها حسنات له . ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن يسقي به كان ذلك حسنات له . فهي لذلك الرجل أجر . ورجلٌ ربطها تغنيا وتعففا ، ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها ، فهي له ستر . ورجلٌ ربطها فخرًا ورئاءً ، فهي على ذلك وزر"، "على كل مسلم صدقة . قالوا: فإن لم يجد؟ قال: فيعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق . قالوا: فإن لم يستطع أو لم يفعل؟ قال: فيعين ذا الحاجة الملهوف . قالوا: فإن لم يفعل؟ قال: فليأمر بالخير ، أو قال: بالمعروف . قال: فإن لم يفعل؟ قال: فليمسك عن الشر ، فإنه له صدقة"، "ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده . وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده"، "عن سعد بن أبي وقاص: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني عام حجة الوداع من وجع اشتد بي ، فقلت: إني قد بلغ بي من الوجع ، وأنا ذو مال ، ولا يرثني إلا ابنة ، أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: لا . قلت: بالشطر؟ فقال: لا . ثم قال: الثلث ، والثلث كبير ، أو كثير . إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس"، "أفضل الصدقة ما ترك غِنًى ، واليد العليا خير من اليد السفلى ، وابدأ بمن تعول"، "عن أبي هريرة

قال: إن الناس يقولون أكثر أبو هريرة . ولولا آيتان في كتاب الله ما حدثت حديثا . ثم يتلو: "إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات . . . إلى قوله: الرحيم". إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصَّفْق بالأسواق ، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم ، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشبع بطنه ، ويحضر ما لا يحضرون ، ويحفظ ما لا يحفظون"، "كان (معاذ بن جبل رضي الله عنه) يصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم يأتي قومه فيصلي بهم الصلاة ، فقرأ بهم "البقرة" . . . فتجوَّز رجل فصلى صلاة خفيفة ، فبلغ ذلك معاذا فقال: إنه منافق . فبلغ ذلك الرجل ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ، إنا قوم نعمل بأيدينا ، ونسقي بنواضحنا ، وإن معاذا صلى بنا البارحة ، فقرأ "البقرة"، فتجوزتُ ، فزعم أني منافق . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا معاذ ، أفتان أنت؟ (ثلاثا) . اقرأ: "والشمس وضحاها" و"سبح اسم ربك الأعلى" ونحوها .

و"كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فصام بعض وأفطر بعض ، فتحزَّم المفطرون وعملوا ، وضَعُفَ الصُّوَّام عن بعض العمل . قال: فقال في ذلك: ذهب المفطرون اليوم بالأجر"، "لأن يغدو أحدكم فيحطب على ظهره فيتصدق به ويستغني به من الناس خير له من أن يسأل رجلا أعطاه أو منعه ذلك ، فإن اليد العليا أفضل من اليد السفلى ، وابدأ بمن تعول"، "جاء الفقراء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: ذهب أهل الدثور من الأموال بالدرجات العلا والنعيم المقيم: يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ، ولهم فضل من أموال يحجون بها ويعتمرون ويجاهدون ويتصدقون! قال: ألا أحدثكم إن أخذتم أدركتم من سبقكم ولم يدرككم أحد بعدكم ، وكنتم خير من أنتم بين ظهرانَيْه إلا من عمل مثله؟

تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثا وثلاثين"، "ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة"، "من بات كالاً من عمله بات مغفورا له"، "إن قامت على أحدكم القيامة وفي يده فسلة فليغرسها"، "عن سلمان (وكان عبدا مملوكا لبعض أهل المدينة، فأراد أن يتحرر من رقّه، فكاتبهم على أن يغرس لهم شجرا بحيث إذا نجح الشجر أعتقوه) قال: فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له قال: اغرس واشترط لهم، فإذا أردت أن تغرس فآذني. قال: فآذنْتُه. قال: فجاء فجعل يغرس بيده إلا واحدة غرستها بيدي، فعَلِقْن إلا الواحدة"، "الدنيا خضرة حلوة... فمن أخذها بحقها بورك له فيها، ومن أخذها بغير حقها لم يبارَك له، وكان كالذي يأكل ولا يشبع"، "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خيرٌ. احرص على ما ينفعك واستعن بالله، ولا تعجز"، "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه"... إلخ.

كما نظّم الإسلام الصدقات ولم يتركها لمزاج المسلم: إن شاء أداها، وإن شاء لم يؤدها، وإن شاء أخرج كثيرا، وإن شاء أخرج قليلا، وإن شاء استمر فى تأديتها، و إن شاء توقف، بل قننها وجعلها حقا للفقير لا بد من إخراجه، وجعل لها موظفين يقومون على جمعها وتوزيعها. أى أنه أتبع المبدأ بتطبيقه ولم يتركه كلاما فى الهواء. وتمثل النسبة التى يخرجها المسلم القادر من ماله فى مجال الصدقات مقدارا معقولا يكفى للقضاء على الفقر، ولا يسلب الأغنياء كل ثروتهم بل يترك لهم الكثير رغم ذلك. والمقصود بالفقر هنا الفقر الناشىء عن عجز صاحبه عن الكسب أو من اختلال الأحوال الاجتماعية والاقتصادية لا الفقر الناتج عن الكسل والبلادة وقلة الكرامة والطمع فيما فى أيدى الآخرين دون وجه حق. ولأن الزكاة نظام

مقنن فى الإسلام فقد استمر حتى عصرنا هذا الذى لم تعد الحكومات الإسلامية فيه تهتم بتطبيقه، إذ لا يزال كثير من المسلمين يخرجون حق المحتاجين فى أموالهم طيبة به نفوسهم راجين قبول الله له وإثابتهم عليه.

هذا عن العمل، والآن إلى بعض ما جاء به الإسلام عن العلم وفضله ومكانة أهله عند الله: ففى القرآن نقرأ مثلا الآيات المتلألئة التالية: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩]، ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١]، ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝١٨﴾ [آل عمران: ١٨]، ﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٣]، ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، ﴿وَإِنَّهُ (أى يوسف) لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ [يوسف: ٦٨]، ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦].

أما الأحاديث المحمدية فها هى بعض دُرَرِها: "من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضًا لطالب العلم، وإن العالم يستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورِّثوا دينارا ولا درهما، وإنما ورَّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر"، "فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم... إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض، حتى النملة في جحرها وحتى الحوت، ليصلُّون على معلم الناس الخير"، "فقيهٌ واحدٌ أشد على الشيطان من ألف عابد"، "من سُئِل عن عِلْمٍ عَلِمه ثم كتمه أُلْجِم يوم القيامة بلجام من نار"، "نضَّر الله عبدا سمع مقالتي

فحفظها ووعاها وأداها . فرُبَّ حامل فقهٍ غيرُ فقيه ، ورُبَّ حاملِ فقهٍ إلى من هو أفقه منه"، "من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الإسلام فبينه وبين النبيين درجة واحدة في الجنة"، "من طلب العلم فأدركه كان له كِفْلان من الأجر ، فإن لم يدركه كان له كِفْلٌ من الأجر"، "إن مما يَلْحَق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته عِلْمًا علمه ونشره ، وولدا صالحا تركه ، ومصحفا ورّثه أو مسجدا بناه أو بيتا لابن السبيل بناه أو نهرا أجراه أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته يلحقه من بعد موته"، و"عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل تدرون من أجود جودا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم . قال: الله تعالى أجود جودا ، ثم أنا أجود بني آدم ، وأجودهم من بعدي رجلٌ علّم علما فنشره ، يأتي يوم القيامة أميرا وحده . أو قال: أمة وحده"، "إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة عالم لا يُنْتَفَع بعلمه"، "مَثَل علم لا ينتفع به كمَثَل كنز لا يُنْفَق منه في سبيل الله"، "إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقةٍ جاريةٍ ، أو علمٍ يُنْتَفَع به ، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له"، "من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهّل الله له طريقا إلى الجنة ، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغَشِيَتْهم الرحمة وحَفَّتْهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده"، "إذا اجتهد (المؤمن) فأصاب فله أجران ، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر".

ومن هذه الجواهر يتبين لنا قيمة العلم ومدى اهتمام الإسلام بل اعتزازه به وحضه عليه وتشجيعه من يسعى لتحصيله . ويكفي أنه هو الشيء الوحيد الذي أمر الله رسوله عليه السلام أن يستزيد منه ، وأنه هو الشيء الوحيد أيضا الذي لم يورِّث الأنبياء شيئا آخر سواه ، وأن فضل العالم على سائر الناس ، بما فيهم العابد ، هو فضلٌ جدُّ كبير ، وأن المجتهد مأجور حتى لو

أخطأ، وهو ما لا مثيل له ولا قريب منه فى أى مذهب أو فلسفة أو نظام أو دين آخر، بل أقصى ما يطمع فيه المخطئ فى هذ الحالة هو أن تخفف عنه العقوبة، أما أن يُخْفَى منها تماما فهذا حلم صعب المنال. لكنْ أن يُؤْجَر رغم خطئه فهذه هى عبقرية دين محمد عليه الصلاة والسلام. وليس فى النصرانية واحد على المليون من كل ذلك، والعهد الجديد متاح لمن يريد التحقق من هذا الذى نقول، فليقلّبْه براحته وعلى أقلّ من مهله، وأنا زعيم أنه لن يعثر على شىء من ذلك بتاتا، بل سيخرج بانطباعٍ مؤدّاه أن العلم بالنسبة للنصرانية هو شىء لا وجود له على الإطلاق، وكأننا حين نتحدث عن العلم فإنما نتحدث عن العنقاء! ترى كيف يمكن أن تقوم حضارة دون علم؟ لكن ينبغى ألا ننسى ما هو منسوب للمسيح عليه السلام من قوله إن مملكته ليست من هذا العالم! وهذا هو محور الاختلاف بين الإسلام والنصرانية: الإسلام هو دين الحضارة والحياة والحيوية والتقدم. والنصرانية، على العكس من ذلك، تعطى ظهرها للحياة وترتدى ثياب الرهبان وتستقبل الموت والسكون، ولا تهش لحركة العقل وتوثّب الحضارة!

أما فى الجانب الخلقى فيردد النصارى أن المسيح عليه السلام قد أتى بشريعة التسامح. يقصدون قوله: "أحبوا أعداءكم. باركوا لاعنيكم... إلخ"، لكننا سبق أن قلنا وكررنا القول إن هذه المبادئ الخلقية لا تصلح للمجتمعات البشرية، وإلا تحوّل الأمر فيها إلى كارثة! ترى ماذا يريد المجرمون والظلمة أحسن من ذلك الكلام الذى لن يجنى منه أصحاب الحق والمظلومون سوى الألم والهوان والضياع، مما ينشر الاضطراب فى المجتمع كله ويأخذه إلى الهاوية والانهيار؟ إننا قد نفهم أن يلجأ الإنسان إلى التسامح فى بعض الظروف، وبخاصة إذا كان أقوى ممن أساء إليه أو كان عاجزا عن أخذ حقه أو وجد أن نيله هذا الحق سوف يؤدى إلى ضرر أفدح من ضرر

الصبر والتغاضى ، أما أن يتحول التسامح والإغضاء إلى سياسة دائمة فهو البوار والانتحار الاجتماعى والسياسى . لنأخذ مثلا ما فعله الغرب فينا حين جلب اليهود من كل أرجاء المسكونة وأقام لهم برغم أنوفنا نحن العرب دولة على أرض فلسطين وشرد معظم أهل البلاد فى الآفاق وانتهج مع الباقين سياسة التقتيل والترويع والاعتقال وهدم البيوت والحصار وتقييد الحريات والتنكيل والتحقير والتشنيع عليهم بأنهم هم المعتدون والإرهابيون ، وأن الصهاينة قوم مساكين لا يبغون أكثر من أن يأخذوا بلاد الفلسطينيين ويقتلوهم ويستعملوا الباقين خدما يلعقون أحذيتهم صباح مساء دون أن يقابل ذلك من جانب اليهود حمد أو شعور بالجميل . . . إلى آخر ما يعرفه كل أحد عن طريقة التعامل الصهيونى والغربى مع الفلسطينيين المظاليم ، فبالله عليكم ماذا يريد الصهاينة أفضل من نصح الفلسطينيين بالسكوت على ما حدث لهم ، مع شَفْعه بتقديم بناتهم وزوجاتهم وأمهاتهم للمحتلين اليهود ليفسقوا بهن جريا على سياسة: من صفعك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر ، ومن اغتصبك رداءك فاترك له الإزار أيضا ، ومن سخّرك ميلا فسَخِّرْ نفسك له ميلين ، وأعطه كل ما معك فوق البيعة واستسمحه أن يخفف عن نفسه الملل بصفعك على قفاك ولكمك فى وجهك وتحطيم أنفك وأسنانك وركلك فى أردافك والبصق فى وجهك وإمطارك بالشتائم المعتبَرة المنتقاة حتى تُدْخِل البهجة على نفسه وتتركه وأنت مطمئن أنه قد استوفى رغبته المريضة فى إيذائك واشتفى من الأُكَال الذى يعذّبه والذى لا يهدّئه إلا إيذاء الآخرين من العرب والمسلمين؟

وفوق ذلك فإنه لا يوجد ولم يوجد ولن يوجد فى يوم من الأيام مجتمع بشرى يقوم على التسامح المطلق ، وإلا فلنلغ الشرطة والقوانين والمحاكم والحكومات ونعيش كما يعيش الناس فى الحدوتة التى كنت أسمعها وأنا

طفل صغير والتى تقول إنه كان هناك أيام زمان بلاد لا يتعامل الناس فيها بالفلوس ، بل كل من أراد شيئا فما عليه إلا أن يذهب إلى التاجر أو الصانع أو الزارع الذى عنده ذلك الشىء ويقول له: أعطنى كذ وكذا مما عندك "بالصلاة على النبى" . فيعطيه ما يريد ويذهب هو بما أخذ دون أن يكلف نفسه بنطق كلمة "شكرا" . فهل هذا معقول؟ إننا إنما نعيش فى دنيا الواقع والحقائق لا فى دنيا الحواديت ، فلنأخذ بالنا حتى لا يضحك علينا الناس! ثم إنه إذا كان عيسى عليه السلام قد دعا إلى التسامح على هذا النحو فإنه ، كما وضحنا من قبل ونكرره الآن ، كان أول من خرج على ذلك الكلام ولم يلتزم به قط ، وإلا فمن الذى كان يلعن بنى إسرائيل لا يكف لسانه عنهم أبدا ويصفهم بـ"المرائين" و"قتلة الأنبياء وراجمى المرسلين" و"أولاد الأفاعى" و"خراف بنى إسرائيل الضالة" و"فاعلى الإثم" و"الشعب الصُّلْب الرقبة" و"الجيل الشرير" و"لصوص المغارة" ؟ أليس هو عيسى عليه السلام حسبما نقرأ فى الأناجيل فى كل مناسبة وفى كل غير مناسبة حتى إننا لنظن أنه لم يكن يعرف هدوء الأعصاب ، ولا لسانُه التوقفَ والسكينةَ ، وأن الداعى إلى التسامح شخص آخر غيره ، بل شخص يعاديه ويجرى على نقيض سنّته . بل إنه لم يُعْفِ تلامذته أنفسهم من سوط لسانه ، إذ اتهمهم بقلة الإيمان أكثر من مرة ، وبالذات بطرس الذى تكرر إفراده له بذلك الاتهام . أما أمه فلا أذكر أنه وجه لها كلمة طيبة قط طوال وجوده على الأرض ، بل كان خشنا فظا معها حتى إنه ذات مرة رد على من نبهوه إلى أنها تنتظره هى وإخوته خارج البيت الذى كان فيه ، قائلا إن أمه وإخوته الحقيقيين هم من يؤمنون برسالته . فما معنى هذا؟ وهذا كله موجود فى الأناجيل . وحتى لو صدقنا أنه كان يتسامح فعلا كما كان يأمر غيره أن يفعل ، فإن مدة التسامح والصبر لم تتجاوز ثلاثة أعوام ، ثم ترك الدنيا ومضى إلى ربه .

أما محمد فإنه قد جرى على خطة الصبر والغفران لا أعواما ثلاثة فحسب، بل ثلاثة عشر عاما قبل أن يؤذن له بالقتال بعدما كانت كل فرص الصبر والعفو والتغاضي قد نَفِدَتْ كلها ولم تأت بنتيجة. ولا شك أن لكل شيء فى دنيانا هذه من نهاية! فحبال الصبر لا يمكن أن تمتد إلى الأبد إلا إذا كنا نعيش فى غير دنيا البشر! ثم هاتوا لى إنسانا واحدا أضربه على خده الأيمن فيدير لى خده الأيسر، والعنه فيباركنى حسبما توصى الأناجيل! هذا أمر مستحيلٌ استحالةَ طلوع الشمس من مغربها، وتلك الاستحالة أمر طبيعى تماما، فهكذا طُبِع الناس منذ الأزل حتى الأبد. كما أن الحياة لا تستقيم بالتسامح المطلق الدائم، "ولولا دَفْعُ الله الناسَ بعضَهم ببعضٍ لفسدت الأرض" كما جاء فى القرآن المجيد، إذ لا يَفُلّ الحديدَ إلا الحديد! والبشر كلهم يعرفون ذلك أكثر مما يعرفون أبناءهم، وإن فريقا من المخادعين ليكتمون الحقيقة عامدين متعمدين. والمسيح عليه السلام هو نفسه القائل إنه ما جاء ليلقى سلاما بل سيفا، وإنه سيكون سببا فى انقسام البيت الواحد على نفسه، بما يدل أقوى دلالة وأجلاها على أن خطة التسامح لا يمكن أن تكون مطلقة مفتحة الأبواب على الدوام، وأن الاصطدام قادم قادم مع استمرار العنت والاضطهاد والعدوان من جانب الخصوم، وإلا فالعفاء على كل شيء وكل أحد! ومن ناحية أخرى فقد سمعنا الرسول الكريم يدعو لقومه فى عز اضطهادهم له ولأتباعه قائلا: رب، اغفر لقومى، فإنهم لا يعلمون!

إن القرآن لا يأمر أتباعه بإدارة الخد الأيسر، لكنه يوصيهم مع ذلك بالحِلْم والصبر والرد على الجاهلين بكلمة "سلام" وبالعفو عند المقدرة، إلا أن لكل شيء نهاية كما قلنا. ولابد أن يأتى يوم يفيض فيه الكيل ويتخذ الإنسان عندئذ من الإجراءات ما يُسْكِت عنه المجرمين المتوحشين ليتنفس

الصُّعَداء، وإلا فلْتُلْغِ الشرطة والنيابة والقضاء والمحاكم والحكومات كما قلنا من قبل ساخرين! وهذه بعض من النصوص التى تحث المسلم على الصبر ومقابلة السيئة بالحسنة، وإن كان القرآن لا يوجب عليه ذلك، وإنما يؤثر فقط العفو والصفح فى كثير من الظروف على رد العدوان بالعدوان: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الشورى: ٤٣]، ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [النحل: ١٢٦ - ١٢٨]، ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فصلت: ٣٤ - ٣٥]، ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ ﴾ [ق: ٣٩ - ٤٠]، ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ ﴾ [المزمل: ١٠]... وهلم جرا. ومع ذلك نجد فى القرآن عقوبة لكل جريمة يرتكبها الشخص فى حق الأفراد أو فى حق المجتمع ككل، وبغير هذا فلا قيام ولا استمرار لأى كيان جماعى فى دنيا البشر، اللهم إلا إذا أمكن مثلا إلغاء نظام المرور وترك سائقى السيارات والقطارات والدراجات والطائرات يفعلون ما يحلو لهم، وهو ما لا بد أن تكون نتيجته التوقف تماما عن الحركة فى كثير من الحالات أو البطء الشديد فى الانتقال من مكان إلى مكان، فضلا عن الحوادث والمصائب المرورية التى لا تعد ولا تحصى. فهل هذا ممكن؟ وعليه فقِسِ النظام الاجتماعى كله بمؤسساته وهيئاته وإداراته وقوانينه ومحاكمه وسجونه. تصور مجتمعا يحاول أى شخص فيه أن ينجز شيئا، وهو يعرف أنه لا ضمان لحصوله على ثمرة كده، ولا أمان له إن خرج إلى الشارع لأن السفلة ينتظرونه على باب الدار ليشتموه، والمجرمين

يتربصون به ليضربوه ويسرقوه، والقتلة يمسكون بسكاكينهم أو مسدساتهم ليجهزوا على حياته وإلى القبر يشيعوه، والعهرة يتمترسون على الناصية حتى إذا خرجت واحدة من نساء بيته هتكوا عرضها وأهانوه وفضحوه ودمّروه! هل يستطيع مثل ذلك الشخص أن يكون عنده نفس للعمل والإنتاج؟ قل له من هنا للصبح: "تسامح يا أخي الكريم! يا أخي الكريم من صفعك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر، ومن قتلك مرة فقم من موتك وتعرض له كي يقتلك مرة أخرى فيكون لك مكان بارز في ملكوت السماوات"، لكنه لن يأخذ حرفا واحدا مما تقول على سبيل الجِدّ، فأرح نفسك إذن، بل اسألها: أأستطيع أنا فلان الفلاني أن أفعل هذا؟ والجواب معروف سلفا، فلا تضيع وقتك إذن، بل تَحَلَّ بالعقل، وكُلْ وعِشْ وقُلْ: يا باسط، واحمد ربك أن هناك شرطة وسجونا ومحاكم وقوانين وحاجة اسمها "عيب" و"حرام" و"ممنوع" "وضد القانون"، وإلا كانت حياتك كارثة بكل المقاييس!

والآن إلى بعض لمحات من أخلاق الإسلام: فمن الآيات القرآنية نقرأ:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١) الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٦٢) قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (٢٦٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٢٦٤) وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

﴿٢٦٥﴾ أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها
من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت
كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون ﴿٢٦٦﴾ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من
طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم
بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غني حميد ﴿٢٦٧﴾ الشيطان يعدكم الفقر
ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم ﴿٢٦٨﴾ يؤتي
الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا
الألباب ﴿٢٦٩﴾ وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه وما
للظالمين من أنصار ﴿٢٧٠﴾ إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها
الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير
﴿٢٧١﴾ [البقرة: ٢٦١ - ٢٧١]، ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما
يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا
كريما ﴿٢٣﴾ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا
﴿٢٤﴾ ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا ﴿٢٥﴾
وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ﴿٢٦﴾ إن المبذرين كانوا إخوان
الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا ﴿٢٧﴾ وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل
لهم قولا ميسورا ﴿٢٨﴾ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما
محسورا ﴿٢٩﴾ إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيرا بصيرا ﴿٣٠﴾﴾
[الإسراء: ٢٣ - ٣٠]، ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى
لهم إن الله خبير بما يصنعون ﴿٣٠﴾ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن
ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن
إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن
أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو

ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ
وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ
لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ (٣١)﴾ [النور: ٣٠ - ٣١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ
أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ
وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ
عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ (٥٨) وَإِذَا بَلَغَ
ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ
ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ (٥٩) وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرۡجُونَ نِكَاحٗا فَلَيۡسَ
عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ غَيۡرَ مُتَبَرِّجَٰتِۢ بِزِينَةٖۖ وَأَن يَسۡتَعۡفِفۡنَ خَيۡرٞ لَّهُنَّۗ
وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ (٦٠) لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞ وَلَا
عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَن تَأۡكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ
إِخۡوَٰنِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَعۡمَٰمِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ
أَخۡوَٰلِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمۡ أَوۡ مَا مَلَكۡتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوۡ صَدِيقِكُمۡۚ لَيۡسَ
عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَأۡكُلُواْ جَمِيعًا أَوۡ أَشۡتَاتٗاۚ فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتٗا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ
تَحِيَّةٗ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةٗ طَيِّبَةٗۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ
لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ (٦١)﴾ [النور: ٥٨ - ٦١]، ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ
وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ (١٤) وَإِن جَٰهَدَاكَ
عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ
سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ (١٥)﴾ [لقمان: ١٤ - ١٥]،
﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ (١٨) وَٱقۡصِدۡ
فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ (١٩)﴾ [لقمان: ١٨ - ١٩]،
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ
نَٰدِمِينَ (٦)﴾ [الحجرات: ٦]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا

مِنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ (١١) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ (١٢) يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣) ﴾ [الحجرات: ١١ - ١٣] .

أما أحاديث النبى عليه السلام فى هذا الميدان فنسوق منها الأحاديث التالية: "كل ذنوب يؤخر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة إلا البغي وعقوق الوالدين أو قطيعة الرحم ، يعجّل لصاحبها في الدنيا قبل الموت "، "عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ، ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان . فقال له رجل: إنه يعجبني أن يكون ثوبي حسنا ، ونعلي حسنة . قال: إن الله يحب الجمال ، ولكن الكبر من بطر الحق وغمص الناس "، "عن عائشة قالت: كنت أطيّب النبي صلى الله عليه وسلم بأطيب ما يجد حتى أجد وَبيص الطيب في رأسه ولحيته "، "لا يَفْرَكْ (أى لا يبغض) مؤمن مؤمنة . إن كره منها خُلُقًا رضي منها آخر "، "إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه . قيل: يا رسول الله ، وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: يسب الرجل أبا الرجل ، فيسب أباه ويسب أمه "، " من نفّس عن مؤمنٍ كُرْبَةً من كُرَب الدنيا نفس الله عنه كُرْبة من كُرَب يوم القيامة ، ومن يسَّر على مُعْسِرٍ يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنْيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه "، "اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فإن لم تجد فبكلمة طيبة "، وعن أبى موسى الأشعرى: "قال النبي صلى الله عليه وسلم: على كل مسلم صدقة . قالوا: فإن لم يجد؟ قال: فيعمل بيديه فينفع نفسه

ويتصدق . قالوا: فإن لم يستطع أو لم يفعل؟ قال: فيعين ذا الحاجة الملهوف . قالوا: فإن لم يفعل؟ قال: فيأمر بالخير، أو قال: بالمعروف . قال: فإن لم يفعل؟ قال: فيمسك عن الشر، فإنه له صدقة "، "كلّ معروفٍ صدقة "، "تبسُّمك في وجه أخيك لك صدقة، وأمْرك بالمعروف ونهْيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة، وإماطتك الحجر والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة "، "إخوانكم خَوَلكم (أي خَدَمكم)، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليُطْعِمْه مما يأكل، وليُلْبِسْه مما يَلْبَس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم "، "لا يقولنّ أحدكم: عبدي، فكلكم عبيدالله، ولكن ليقل: فتاي . ولا يقل العبد: ربي، ولكن ليقل: سيدي "، "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يُنْزَع من شيء إلا شانه "، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص: "لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا، وإنه كان يقول: إن خياركم أحاسنكم أخلاقا "، "إن مِنْ أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحسنكم أخلاقا "، "إن أحبكم إليّ أحاسنكم أخلاقا، الموطَّؤون أكنافا، الذين يألفون ويؤلفون، وإن أبغضكم إليّ المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الملتمسون للبُرآء العيب "، "ما شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق، وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ درجة صاحب الصوم والصلاة "، "إنكم لن تَسَعُوا الناس بأموالكم ، ولكن يَسَعُهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق "، "من مشى في حاجة أخيه المسلم أظله الله بخمسة وسبعين ألف ملك يدعون له، ولم يزل يخوض في الرحمة حتى يفرغ، فإذا فرغ كتب الله له حجة وعمرة . ومن عاد مريضا أظله الله بخمسة وسبعين ألف ملك لا يرفع قدما إلا كتب له به حسنة، ولا يضع قدما إلا حط عنه

سيئة ورفع له بها درجة حتى يقعد في مقعده، فإذا قعد غمرته الرحمة فلا يزال كذلك حتى إذا أقبل حيث ينتهي إلى منزله"، "الحياء خير كله"، "لا يحل لرجل أن يفرق بين اثنين (أىْ شخصين متجاورين في مجلس أو اجتماع) إلا بإذنهما"، "عن جابر بن سمرة: كنا إذا أتينا النبي صلى الله عليه وسلم جلس أحدنا حيث ينتهي (أى حيث ينتهي به المجلس)"، "عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا صافح الرجل لم ينزع يده من يده حتى يكون هو الذي ينزع يده، ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون هو الذي يصرف وجهه عن وجهه، ولم يُرَ مقدِّمًا ركبتيه بين يَدَيْ جليس له"، "عن أبي أمامة الباهلي: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكئا على عصا، فقمنا إليه، فقال: لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظِّم بعضها بعضا"، "يُشَمَّت العاطس ثلاثا، فما زاد فهو مزكوم"، "قام أعرابي فبال في المسجد، فتناوله الناس، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: دعوه وهَرِيقُوا على بوله سَجْلاً من ماء، أو ذَنُوبًا من ماء، فإنما بُعِثتم ميسِّرين، ولم تُبعثوا معسِّرين"، "لا يحلّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث. يلتقيان فيَصُدّ هذا، ويَصُدّ هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام"، "لا تَبَاغضوا ولا تَحَاسَدوا ولا تَدَابروا، وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يحلّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال"، "ليس منا من لم يوقِّر الكبير ويرحم الصغير ويأمر بالمعروف وينْهَ عن المنكر"، "لا يدخل الجنةَ قتّات (أى نمّام)"، "سِبَاب المسلم فسوق، وقتاله كُفْر"، "من آذى ذِمِّيًا فأنا خَصْمه"، "الا من ظلم معاهَدًا أو انتقصه حقه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ له شيئا بغير حقه فأنا حجيجه يوم القيامة. وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده إلى صدره: ألا ومن قتل رجلا له ذمة الله ورسوله حَرَّم الله عليه الجنة، وإنّ ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفا"، "دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش

الأرض، حتى ماتت". "(وعن رسول الله) أن رجلاً وجد كلباً يلهث من العطش فنزل بئرا فملأ خفه منها ماء، فسقى الكلب حتى رَوِيَ. قال الرسول: فشكر الله له فغفر له. فقال الصحابة: أإن لنا في البهائم لأجرا يا رسول الله؟ قال: في كل كبدٍ رطبةٍ أجر".

كذلك ففي الوقت الذي نقرأ في الأناجيل ما يدل على أن المسيح لم يكن يبالي بالنظافة، بل كان يؤثر العكس طبقا لما تخبرنا به تلك الأناجيل، نجد العكس من ذلك تماما في القرآن والسنة كما سوف نرى بعد قليل. لنأخذ مثلا النص التالي الموجود في الإصحاح الحادي عشر من إنجيل لوقا:

"٣٧ وَفِيمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ سَأَلَهُ فَرِّيسِيٌّ أَنْ يَتَغَدَّى عِنْدَهُ، فَدَخَلَ وَاتَّكَأَ. ٣٨ وَأَمَّا الْفَرِّيسِيُّ فَلَمَّا رَأَى ذلِكَ تَعَجَّبَ أَنَّهُ لَمْ يَغْتَسِلْ أَوَّلاً قَبْلَ الْغَدَاءِ. ٣٩ فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «أَنْتُمُ الآنَ أَيُّهَا الْفَرِّيسِيُّونَ تُنَقُّونَ خَارِجَ الْكَأْسِ وَالْقَصْعَةِ، وَأَمَّا بَاطِنُكُمْ فَمَمْلُوءٌ اخْتِطَافًا وَخُبْثًا. ٤٠ يَا أَغْبِيَاءُ، أَلَيْسَ الَّذِي صَنَعَ الْخَارِجَ صَنَعَ الدَّاخِلَ أَيْضًا؟ ٤١ بَلْ أَعْطُوا مَا عِنْدَكُمْ صَدَقَةً، فَهُوَذَا كُلُّ شَيْءٍ يَكُونُ نَقِيًّا لَكُمْ. ٤٢ وَلكِنْ وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْفَرِّيسِيُّونَ! لأَنَّكُمْ تُعَشِّرُونَ النَّعْنَعَ وَالسَّذَابَ وَكُلَّ بَقْل، وَتَتَجَاوَزُونَ عَنِ الْحَقِّ وَمَحَبَّةِ اللهِ. كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَعْمَلُوا هذِهِ وَلاَ تَتْرُكُوا تِلْكَ. ٤٣ وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْفَرِّيسِيُّونَ! لأَنَّكُمْ تُحِبُّونَ الْمَجْلِسَ الأَوَّلَ فِي الْمَجَامِعِ، وَالتَّحِيَّاتِ فِي الأَسْوَاقِ. ٤٤ وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! لأَنَّكُمْ مِثْلُ الْقُبُورِ الْمُخْتَفِيَةِ، وَالَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَيْهَا لاَ يَعْلَمُونَ!». ٤٥ فَأجَابَ وَاحِدٌ مِنَ النَّامُوسِيِّينَ وَقالَ لَهُ: «يَامُعَلِّمُ، حِينَ تَقُولُ هذَا تَشْتُمُنَا نَحْنُ أَيْضًا!». ٤٦ فَقَالَ: «وَوَيْلٌ لَكُمْ أَنْتُمْ أَيُّهَا النَّامُوسِيُّونَ! لأَنَّكُمْ تُحَمِّلُونَ النَّاسَ أَحْمَالاً عَسِرَةَ الْحَمْلِ وَأَنْتُمْ لاَ تَمَسُّونَ الأَحْمَالَ بِإِحْدَى أَصَابِعِكُمْ. ٤٧ وَيْلٌ لَكُمْ! لأَنَّكُمْ تَبْنُونَ قُبُورَ الأَنْبِيَاءِ، وَآبَاؤُكُمْ قَتَلُوهُمْ. ٤٨ إِذًا تَشْهَدُونَ وَتَرْضَوْنَ بِأَعْمَالِ آبَائِكُمْ، لأَنَّهُمْ هُمْ

قَتَلُوهُمْ وَأَنْتُمْ تَبْنُونَ قُبُورَهُمْ. ٤٩لِذلِكَ أَيْضًا قَالَتْ حِكْمَةُ اللهِ: إِنِّي أُرْسِلُ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَ وَرُسُلاً، فَيَقْتُلُونَ مِنْهُمْ وَيَطْرُدُونَ ٥٠لِكَيْ يُطْلَبَ مِنْ هذَا الْجِيلِ دَمُ جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ الْمُهْرَقُ مُنْذُ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ، ٥١مِنْ دَمِ هَابِيلَ إِلَى دَمِ زَكَرِيَّا الَّذِي أُهْلِكَ بَيْنَ الْمَذْبَحِ وَالْبَيْتِ. نَعَمْ، أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ يُطْلَبُ مِنْ هذَا الْجِيلِ! ٥٢وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا النَّامُوسِيُّونَ! لأَنَّكُمْ أَخَذْتُمْ مِفْتَاحَ الْمَعْرِفَةِ. مَا دَخَلْتُمْ أَنْتُمْ، وَالدَّاخِلُونَ مَنَعْتُمُوهُمْ». كما أنه لا ينادى أمه إلا بـ "يا امرأة". ومن ذلك أنه كان فى عرس فى قانا الجليل ونفدت الخمر فلفتت أمه نظره إلى ذلك، فكان جوابه عليها: "ما لى وما لك يا امرأة؟" (إنجيل يوحنا/ ٢/ ٤). ولم تفارقه هذه الخشونة والفظاظة حتى حين كان على الصليب يستقبل الموت حسبما نقرأ فى الإصحاح التاسع عشر من إنجيل يوحنا: "٢٥وَكَانَتْ وَاقِفَاتٍ عِنْدَ صَلِيبِ يَسُوعَ، أُمُّهُ، وَأُخْتُ أُمِّهِ مَرْيَمُ زَوْجَةُ كِلُوبَا، وَمَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ. ٢٦فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ أُمَّهُ، وَالتِّلْمِيذَ الَّذِي كَانَ يُحِبُّهُ وَاقِفًا، قَالَ لأُمِّهِ: «يَا امْرَأَةُ، هُوَذَا ابْنُكِ». ٢٧ثُمَّ قَالَ لِلتِّلْمِيذِ: «هُوَذَا أُمُّكَ». وَمِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ أَخَذَهَا التِّلْمِيذُ إِلَى خَاصَّتِهِ". ومن جهة أخرى نجد أن تعاليمه عليه الصلاة والسلام، حسبما تخبرنا الأناجيل، تخلو من أى توجيه يتعلق بالذوق والصحة.

أما تعاليم القرآن المجيد والسنة المشرفة فمملوءة بكل ما يحمى المجتمع من مظاهر القبح والتشويه والأذى والمرض، والتنبيه إلى أن كل شىء فى الدنيا إنما يجرى بحساب منضبط ويخضع لميزان دقيق، ومن ثم فلا إفراط ولا تفريط لمن يريد النجاة من متاعب الحياة والاستمتاع بصحة جيدة، وأن ثمة قواعد للذوق واللياقة ينبغى مراعاتها فى التعامل اليومى حتى تمضى عجلة الحياة والعلاقات الاجتماعية سَلِسَةً دون توقف أو صرير، ويسود الحب والتفاهم والصفاء. ففى القرآن مثلا نقرأ قوله تعالى: "وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ"

(البقرة/ ١٤٥)، "وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ" (البقرة/ ٢٢٢)، "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ* إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ" (المائدة/ ٩٠- ٩١)، "وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ" (الأعراف/ ٣١)، "وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ* ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" (النحل/ ٦٨- ٦٩)، "فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ* إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ" (النحل/ ١١٤- ١١٥)، "وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ* أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ* وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ" (الرحمن/ ٧- ٩)، "مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا* وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا" (النساء/ ٨٥- ٨٦)، "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ* فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ* لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ"

(النور/ ٢٧- ٢٩)، "إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ" (الحجرات/ ٣- ٥)، "لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ" (الممتحنة/ ٨- ٩)، "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ" (المجادلة/ ١١).

وفى الحديث النبوى: "إن الله جعل لكل داء دواء، فتداوَوْا، ولا تَداوَوْا بحرام"، "لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل"، "ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه. بحسب ابن آدم أكلات يُقِمْنَ صُلْبه، فإن كان لا محالة فثلثٌ لطعامه، وثلثٌ لشرابه، وثلثٌ لنَفَسه"، "إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها"، "عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أتى مريضا أو أُتِيَ به قال: أَذْهِب الباس ربَّ الناس. اشْفِ وأنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقما"، "عُرِضَتْ عليَّ أمتي بأعمالها حَسَنةً وسيئةً: فرأيت في محاسن أعمالها إماطة الأذى عن الطريق، ورأيت في سيئ أعمالها النُّخَاعة في المسجد لا تُدْفَن"، "الإيمان بضع وسبعون بابا: أدناها إماطة الأذى عن الطريق، وأرفعها قول لا إله إلا الله"، "بينما رجل يمشي بطريقٍ وجد غصن شوك على الطريق فأخَّرَه، فشكر الله له فغفر له"، "لا

يبولَنَّ أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري ثم يغتسل فيه"، "اغتسلوا يوم الجمعة واغسلوا رؤسكم، وإن لم تكونوا جُنُبًا، وأصيبوا من الطِّيب"، "لولا أن أشُقَّ على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة"، "تَسَوَّكوا، فإن السواك مَطْهَرَةٌ للفم، مرضاةٌ للرب. ما جاءني جبريل إلا أوصاني بالسواك"، "مالكم تدخلون عليَّ قُلْحًا؟ استاكوا، فلولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل طهور"، "الفِطْرة خمس: الختان والاستحداد (أى حلق العانة) وقصّ الشارب وتقليم الأظفار ونتف الآباط"، "عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شرب لبنا فمضمض وقال: إن له دسما"، "من أكل ثوما أو بصلا فليعتزلنا، أو قال: فليعتزل مسجدنا، وليقعد في بيته"، وعن أبى أيوب الأنصارى "أن النبي صلى الله عليه وسلم نزل عليه فنزل النبي صلى الله عليه وسلم في السُّفْل، وأبو أيوب في العُلْو. قال: فانتبه أبو أيوب ليلة فقال: نمشي فوق رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فتَنَحَّوْا فباتوا في جانب، ثم قال للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: السُّفْل أرفق. فقال: لا أعلو سقيفة أنت تحتها. فتحول النبي صلى الله عليه وسلم في العلو، وأبو أيوب في السفل. فكان يصنع للنبي صلى الله عليه وسلم طعاما، فإذا جيء به إليه سأل عن موضع أصابعه، فيتتبع موضع أصابعه. فصنع له طعاما فيه ثوم، فلما رُدَّ إليه سأل عن موضع أصابع النبي صلى الله عليه وسلم، فقيل له: لم يأكل. ففزع وصعد إليه فقال: أحرام هو؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا، ولكني أكرهه. قال: فإني أكره ما تكره، أو ما كرهت. قال: وكان النبي صلى الله عليه وسلم يُؤْتَى (أى يأتيه الوحى فى أى وقت، فلهذا لم يكن يأكل الثوم)"، "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد، فدخل رجل ثائر الرأس واللحية، فأشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده

أن "اخرُجْ"، كأنه يعني إصلاح شعر رأسه ولحيته. ففعل الرجل ثم رجع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أليس هذا خيرا من أن يأتي أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان؟"، "قال (أبو رجاء العطاردي): خرج علينا عمران بن حصين، وعليه مُطْرَفٌ من خزٍّ لم نره عليه قبل ذلك ولا بعده، فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من أنعم الله عز وجل عليه نعمة فإن الله عز وجل يحب أن يرى أثر نعمته على خَلْقه"، "عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غيّر اسم "عاصية"، وقال: أنتِ جميلة (أى هذا اسمك من الآن فصاعدا)"، وعن أبي سعيد الخدرى: "إذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يُؤْذَن له فليرجع"، "يسلم الراكب على الماشي، والماشي على القاعد، والقليل على الكثير"، "إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما، فإن ذلك يحزنه"، "لا يقيم الرَّجُلُ الرَّجُلَ من مقعده ثم يجلس فيه، ولكن تفسَّحوا وتوسَّعوا"، "إن تبسمك في وجه أخيك يُكْتَب لك به صدقة"، "قبّل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي، وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسا، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبّلت منهم أحدا. فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: من لا يَرْحَم لا يُرْحَم"، "الجنة تحت أقدام الأمهات"، "إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا ازددت بها درجة ورفعة، حتى اللقمة تضعها في في امرأتك (أى فى فمها)"، "ألا عسى أحدكم أن يضرب امرأته ضرب الأَمَة! ألا خيْركم خيركم لأهله (أى لزوجته)"، "خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي. ما أكْرَم النساءَ إلا كريم، و لا أهانهنّ إلا لئيم"، "أعطوا الأجير أجره قبل أن يجفّ عرقه"، "إن الله يبغض كل جَعْظَرِيٍّ جَوّاظ صخّاب في الأسواق"، "رِفقًا بالقوارير (أى الجنس اللطيف)".

ونصل إلى المقارنة بين العقيدتين: والإسلام، كما هو معروف، دين

التوحي النقي الذي لا يدانيه دين آخر في هذا . أما النصرانية فهي ديانة التثليث ، وهذا التثليث لا يدخل العقل: فأولا كيف يتجسد الله بحيث لا يشغل من الزمان والمكان إلا حيزا محدودا ضئيلا ، وهو الذي خلق الزمان والمكان والكون كله ، والمطلق الذي لا تحده حدود ، والأرض جميعا في قبضته ، والسماوات مطويات بيمينه المباركة؟ وكيف يحتويه الزمان والمكان ، وهو الذي خلقهما؟ وثانيا كيف تتفرد النصرانية بهذا التثليث من بين الأديان السماوية كلها؟ ولدينا العهد القديم الذي يحكي تاريخ أنبياء بني إسرائيل ، فأين منه هذا التثليث؟ الجواب هو أنه لا وجود فيه لتثليث ولا تربيع ولا تخميس! فلماذا النصرانية بالذات دون سائر أديان السماء؟ بل إن الأناجيل ذاتها تخلو تماما من ألفاظ "الثالوث والتثليث والأقانيم الثلاثة"، وليس لهذا من معنى إلا أن تلك العقيدة لم تظهر في النصرانية إلا بعد المسيح وكتابة الأناجيل . أي أنها لم تكن يوما من العقيدة التي جاء بها السيد المسيح عليه السلام وأنها إنما اختُرِعَتْ بأَخَرة . وثالثا أن النصرانية لا تتفرد فقط بالتثليث شذوذا على أديان السماء ، بل تتفق في ذلك مع بعض ديانات الوثنية ، إذ كان عند الفراعنة تثليث ، وعند الإغريق تثليث ، وعند الهنود تثليث . وهذا من الوضوح بمكان بحيث لا تمكن المماراة فيه بأي حال ، وهو ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: "وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ" (التوبة/ ٣٠) . ورابعا أنه لا يصح أن يقال إن الله قد تجسد ليموت على الصليب ويُصْفَع ويهان ويُضْرَب بالحربة في جنبه ويسخر به كل من هب ودب ويجأر في الفضاء العريض دون أن يجد من يجيبه ويحميه ، وذلك من أجل أن يفدي البشر من خطيئتهم . وإذا قيل لقد كان الله قادرًا على الغفران والفداء دون شيء من هذا السخف جاء الرد أمعن في السخف ، إذ يزعم

الزاعمون إنه إنما فعل ذلك كى يشعر بآلام عباده . وهو سخف أمعن فى الضلال ، إذ معناه أنه سبحانه ليس عنده القدرة على إدراك آلام البشر أو تخيلها على الأقل إلا إذا ضُرِب وأُهِين وشُتِم وسُمِّر على الخشبة وقُتِل . فأى إله هذا العديم الإدراك والكليل الخيال إلى هذا الحد؟ فمن إذن الذى خلق الآلام والأوجاع؟ وهل هناك شىء فى كون الله لم يخلقه الله نفسه؟ وسادسًا هل هذا الكائن الجسدانى هو الله؟ بطبيعة الحال لا ، إذ يقولون إن هذا هو الجانب الناسوتى فى المسيح . ومعنى ذلك أن الله ليس هو الذى تألم وصُلِب وقُتِل . أى أنه سبحانه لم يخض تجربة التألم ومقاساة العذاب ، بل الذى خاضها هو إنسان مثلى ومثلك أيها القارئ . وعلى هذا فهو سبحانه لم يَفْدِ أحدا ، بل الذى تحمل عبء الفداء شخص ليس له فى الثور ولا فى الطحين ، شخص مسكين استضعفه الله و"شَيَّله" القضية دون أن يكون قد ارتكب ذنبا ، وهذا واضح من صراخه وهو على الصليب: إلهى ، إلهى ، لم تركتنى؟ وهو ما يتضح أيضا من كلامه قبل ذلك عن الله سبحانه بوصفه "رَبّه"، كما فى رده على إبليس مثلا حين أخذه ليجربه وطلب منه ، ضمن ما طلب ، أن يخر ساجدا له ، فما كان منه إلا أن أجابه قائلا: مكتوب أنه للرب إلهك وحده تسجد! وهو ما يعنى مرة أخرى أن الخطيئة القديمة قد عولجت بظلم أشنع منها . فأى لخبطة هذه؟ وسابعًا لو أنه سبحانه وتعالى قد تجسد وصُلِب وقُتِل فداءً لعباده ، أفلم يكن ينبغى أن تكون النتيجة هى الغفران الشامل لكل الناس فى كل الأزمان؟ لكننا ننظر فنجد أننا لا نزال فى مكاننا السابق لم نبارحه ، إذ يجب على الناس أن يؤمنوا بتجسد الله وموته على الصليب كى يتم الفداء . إذن فلماذا نزل وتجسد ومات إذا كان كل هذا لا أثر له؟ وثامنًا لقد كان ينبغى أن يكرَّم يهوذا مرشد الجند إلى المكان الذى كان يختفى فيه السيد المسيح مع تلامذته . أليس هو الأداة التى أعانت على تنفيذ

الخطة الإلهية للتكفير عن خطايا البشرية؟ بيد أن النصرانية تقول عكس ذلك تماما ، فيهوذا فيها ملعون . عجيبة! وتاسعًا ليس يهوذا وحده هو الملعون ، بل أيضا الإله الذى كان تسليم يهوذا إياه للسلطات سببا فى أن يبوء هو باللعنة ، فقد جاء فى سفر التثنية كما بينا من قبل أن من يُصْلَب فهو ملعون . إذن فيهوذا ملعون ، والإله الذى سلمه يهوذا للسلطات ملعون أيضا . أى أن النصرانية تسوى بين القاتل والمقتول ، الظالم والمظلوم . ومعنى هذا أن الأمر قد ازداد تعقيدا وتشابكا: فعيسى قد أتى لافتكاك البشر من اللعنة التى استحقوها بسبب الخطيئة ، لكن موته بدلا من هذا قد جلب اللعنة على يهوذا ، وهو واحد من أولئك البشر الذين نزل الله من عليائه ليفك ربقة اللعنة من حول رقابهم . وفوق هذا فإن الله قد جلب اللعنة على نفسه . ثم إنه بعد هذا كله لم يحل مشكلة الخطيئة المزعومة ، بل أضاف إليها خطيئة كفر اليهود وغير اليهود به واستحقاقهم من ثم اللعنة الأبدية . وهى أبدية لأن أحدا لن يأتى بعد ذلك ليعتق البشر من أوهاقها ، فالمسيح لا يأتى إلا مرة واحدة ، بالضبط كعود الكبريت ، لا يشتعل إلا مرة واحدة وحسب! وعاشرًا ما الحكمة يا ترى فى سكوت الله كل تلك الدهور المتطاولة التى يعدها علماء الطبيعة بملايين السنين قبل أن يفكر فى رحلته تلك الأرضية التى لم تأت بالنتيجة المرجوّة ، إذ ما زال مليارات الناس يكفرون بالتجسد ، بل يكفرون حتى بعيسى مجرد نبى؟ ولنلاحظ أنه عندما مات المسيح على الصليب كما تقول الأناجيل لم يكن هناك أحد غير الحواريين يؤمن به . وحتى الحواريون لم يكونوا يؤمنون به كلهم ، بل كانوا ناقصين واحدا هو يهوذا ، علاوة على أن إيمانهم بالمسيح لم يكن على المستوى المطلوب . وهذا ليس رأينا نحن ، بل رأيه هو ، إذ كان يتهمهم بقلة الإيمان وعدم الفهم ، كما كان ينادى كبيرهم بـ" يا شيطان " ؟ وتاسعا فإن صورة الجنة والنار فى

النصرانية غير واضحة ولا مقنعة ، على عكسها فى الإسلام كما يعرف ذلك كل من له أدنى معرفة بالديانتين . وحادِيَ عَشَرَ فإن المبادئ الخلقية التى أتت بها النصرانية لا تناسب الطبيعة البشرية فى شىء حسبما وضحنا ، والدليل على ذلك أنه لا يوجد حتى ممن يتعصبون أشد التعصب لتلك الديانة من يطبّق شيئا مما هو منسوب للسيد المسيح من دعوة مفرطة فى المثالية الساذجة غير القابلة للتطبيق لتَعَاكُسِها تمام التَّعَاكُس مع فطرة البشر . وثانِيَ عَشَرَ كيف يكون المسيح ابن الله ، وفى إنجيل يوحنا (١ / ٥) أن الناس كانت تسميه: "ابن يوسف"، وهو نفس ما قاله متى (١ / ٥٥) ولوقا (٣ / ٢٣ ، و ٤/ ٢٢)، وكان عيسى عليه السلام يسمع ذلك منهم فلا ينكره عليهم؟ بل إن لوقا نفسه قال عن مريم ويوسف بعظمة لسانه مرارًا إنهما "أبواه" أو "أبوه وامه"(٢ / ٢٧ ، ٣٣ ، ٤١ ، ٤٢). كذلك قالت مريم لابنها عن يوسف هذا إنه أبوه (لوقا / ٢ / ٤٨). كما أن الفقرات الست عشرة الأولى من أول فصل من أول إنجيل من الأناجيل المعتبرة عندهم ، وهو إنجيل متى ، تَسْرُد سلسلة نسب المسيح بادئة بآدم إلى أن تصل إلى يوسف النجار ("رجل مريم" كما سماه مؤلف هذا الإنجيل) ثم تتوقف عنده . فما معنى هذا للمرة الثانية أو الثالثة أو الرابعة . . . ؟ لقد توقعتُ ، عندما قرأت الإنجيل لأول مرة فى حياتى ، أن تنتهى السلسلة بمريم على أساس أن عيسى ليس له أب من البشر ، إلا أن الإنجيل خيَّب ظنى تخييبا شديدا . وهو ما يؤكده النص التالى المأخوذ من مطلع إنجيل توما (أحد الأناجيل غير القانونية) " And a certain Jew when he saw what Jesus did, playing upon the Sabbath day, departed straightway and told his father Joseph: Lo, thy child is at the brook, and he hath taken clay and fashioned twelve little birds, and hath

"polluted the Sabbath day"، إذ يقول المؤلف إن أحد اليهود الغيارى على الشريعة الموسوية، حين رأى عيسى الصغير يصنع يومَ سبتٍ من الطين طيرًا، ذهب من فوره إلى "أبيه يوسف" وشكا له ما صنع ابنه من الاعتداء على حرمة اليوم المقدس. ومثله قول مؤلف ذلك الإنجيل في موضع آخر إن عيسى ذهب ذات يوم لزراعة القمح مع "والده" في حقلهم: "Again, in the time of sowing the young child went forth with his father to sow wheat in their land: and as his father sowed, the young child Jesus sowed also one corn of wheat"... وغير ذلك من المواضع التي وُصِف فيها يوسف بأنه "أبوه". بل إننا لنقرأ أن يوسف، تعجُّبًا من المعجزات التي كان يعملها عيسى الصغير، قد دعا ربه شاكرا أنْ أعطاه غلاما مثله: "Happy am I for that God hath given me this young child".

والآن إلى المقارنة بين موقف كل من أصحاب النبيين الكريمين رضي الله عن الفريقين كليهما: فأما أصحاب السيد المسيح فلسوف نورد تصرفاتهم منذ ظهر الخطر على حياته صلى الله عليه وسلم حتى تم صلبه بناء على معتقدات النصارى. وها هو ذا ما صنعوه حسبما كتب مؤلف إنجيل متى (في الإصحاحين: ٢٦- ٢٧)، وهو يكفي عن مؤلفي الأناجيل الآخرين: "٢٠ وَلَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ اتَّكَأَ مَعَ الاثْنَيْ عَشَرَ. ٢١ وَفِيمَا هُمْ يَأْكُلُونَ قَالَ: «الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ وَاحِدًا مِنْكُمْ يُسَلِّمُنِي». ٢٢ فَحَزِنُوا جِدًّا، وَابْتَدَأَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَقُولُ لَهُ: «هَلْ أَنَا هُوَ يَارَبُّ؟» ٢٣ فَأَجَابَ وَقَالَ: «الَّذِي يَغْمِسُ يَدَهُ مَعِي فِي الصَّحْفَةِ هُوَ يُسَلِّمُنِي! ٢٤ إِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ مَاضٍ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَنْهُ، وَلكِنْ وَيْلٌ لِذلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي بِهِ يُسَلَّمُ ابْنُ الإِنْسَانِ. كَانَ خَيْرًا لِذلِكَ الرَّجُلِ لَوْ لَمْ يُولَدْ!». ٢٥ فَأَجَابَ يَهُوذَا مُسَلِّمُهُ وَقَالَ: «هَلْ أَنَا هُوَ يَا

سَيِّدِي؟ » قَالَ لَهُ: «أَنْتَ قُلْتَ» . ٢٦ وَفِيمَا هُمْ يَأْكُلُونَ أَخَذَ يَسُوعُ الْخُبْزَ ،
وَبَارَكَ وَكَسَّرَ وَأَعْطَى التَّلاَمِيذَ وَقَالَ: «خُذُوا كُلُوا . هذَا هُوَ جَسَدِي» .
٢٧ وَأَخَذَ الْكَأْسَ وَشَكَرَ وَأَعْطَاهُمْ قَائِلاً: «اشْرَبُوا مِنْهَا كُلُّكُمْ ، ٢٨ لأَنَّ هذَا هُوَ
دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ الَّذِي يُسْفَكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا .
٢٩ وَأَقُولُ لَكُمْ: إِنِّي مِنَ الآنَ لاَ أَشْرَبُ مِنْ نِتَاجِ الْكَرْمَةِ هذَا إِلَى ذلِكَ الْيَوْمِ
حِينَمَا أَشْرَبُهُ مَعَكُمْ جَدِيدًا فِي مَلَكُوتِ أَبِي» . ٣٠ ثُمَّ سَبَّحُوا وَخَرَجُوا إِلَى
جَبَلِ الزَّيْتُونِ . ٣١ حِينَئِذٍ قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «كُلُّكُمْ تَشُكُّونَ فِيَّ فِي هذِهِ اللَّيْلَةِ ،
لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: أَنِّي أَضْرِبُ الرَّاعِيَ فَتَتَبَدَّدُ خِرَافُ الرَّعِيَّةِ . ٣٢ وَلكِنْ بَعْدَ قِيَامِي
أَسْبِقُكُمْ إِلَى الْجَلِيلِ» . ٣٣ فَأَجَابَ بُطْرُسُ وَقَالَ لَهُ: «وَإِنْ شَكَّ فِيكَ الْجَمِيعُ
فَأَنَا لاَ أَشُكُّ أَبَدًا» . ٣٤ قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ فِي هذِهِ اللَّيْلَةِ
قَبْلَ أَنْ يَصِيحَ دِيكٌ تُنْكِرُنِي ثَلاَثَ مَرَّاتٍ» . ٣٥ قَالَ لَهُ بُطْرُسُ: «وَلَوِ
اضْطُرِرْتُ أَنْ أَمُوتَ مَعَكَ لاَ أُنْكِرُكَ! » هكَذَا قَالَ أَيْضًا جَمِيعُ التَّلاَمِيذِ .
٣٦ حِينَئِذٍ جَاءَ مَعَهُمْ يَسُوعُ إِلَى ضَيْعَةٍ يُقَالُ لَهَا جَثْسَيْمَانِي ، فَقَالَ لِلتَّلاَمِيذِ:
«اجْلِسُوا ههُنَا حَتَّى أَمْضِيَ وَأُصَلِّيَ هُنَاكَ» . ٣٧ ثُمَّ أَخَذَ مَعَهُ بُطْرُسَ وَابْنَيْ
زَبْدِي ، وَابْتَدَأَ يَحْزَنُ وَيَكْتَئِبُ . ٣٨ فَقَالَ لَهُمْ: «نَفْسِي حَزِينَةٌ جِدًّا حَتَّى
الْمَوْتِ . اُمْكُثُوا ههُنَا وَاسْهَرُوا مَعِي» . ٣٩ ثُمَّ تَقَدَّمَ قَلِيلاً وَخَرَّ عَلَى وَجْهِهِ ،
وَكَانَ يُصَلِّي قَائِلاً: «يَا أَبَتَاهُ ، إِنْ أَمْكَنَ فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسُ ، وَلكِنْ لَيْسَ
كَمَا أُرِيدُ أَنَا بَلْ كَمَا تُرِيدُ أَنْتَ» . ٤٠ ثُمَّ جَاءَ إِلَى التَّلاَمِيذِ فَوَجَدَهُمْ نِيَامًا ،
فَقَالَ لِبُطْرُسَ: «أَهكَذَا مَا قَدَرْتُمْ أَنْ تَسْهَرُوا مَعِي سَاعَةً وَاحِدَةً؟ ٤١ اِسْهَرُوا
وَصَلُّوا لِئَلاَّ تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ . أَمَّا الرُّوحُ فَنَشِيطٌ وَأَمَّا الْجَسَدُ فَضَعِيفٌ» .
٤٢ فَمَضَى أَيْضًا ثَانِيَةً وَصَلَّى قَائِلاً: «يَا أَبَتَاهُ ، إِنْ لَمْ يُمْكِنْ أَنْ تَعْبُرَ عَنِّي هذِهِ
الْكَأْسُ إِلاَّ أَنْ أَشْرَبَهَا ، فَلْتَكُنْ مَشِيئَتُكَ» . ٤٣ ثُمَّ جَاءَ فَوَجَدَهُمْ أَيْضًا نِيَامًا ، إِذْ
كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ ثَقِيلَةً . ٤٤ فَتَرَكَهُمْ وَمَضَى أَيْضًا وَصَلَّى ثَالِثَةً قَائِلاً ذلِكَ الْكَلاَمَ

بِعَيْنِهِ. ⁴⁵ثُمَّ جَاءَ إِلَى تَلاَمِيذِهِ وَقَالَ لَهُمْ: «نَامُوا الآنَ وَاسْتَرِيحُوا! هُوَذَا السَّاعَةُ قَدِ اقْتَرَبَتْ، وَابْنُ الإِنْسَانِ يُسَلَّمُ إِلَى أَيْدِي الْخُطَاةِ. ⁴⁶قُومُوا نَنْطَلِقْ! هُوَذَا الَّذِي يُسَلِّمُنِي قَدِ اقْتَرَبَ!».

⁴⁷وَفِيمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ، إِذَا يَهُوذَا أَحَدُ الاثْنَيْ عَشَرَ قَدْ جَاءَ وَمَعَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ بِسُيُوفٍ وَعِصِيٍّ مِنْ عِنْدِ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَشُيُوخِ الشَّعْبِ. ⁴⁸وَالَّذِي أَسْلَمَهُ أَعْطَاهُمْ عَلاَمَةً قَائِلاً: «الَّذِي أُقَبِّلُهُ هُوَ هُوَ. أَمْسِكُوهُ». ⁴⁹فَلِلْوَقْتِ تَقَدَّمَ إِلَى يَسُوعَ وَقَالَ: «السَّلاَمُ يَا سَيِّدِي!» وَقَبَّلَهُ. ⁵⁰فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «يَا صَاحِبُ، لِمَاذَا جِئْتَ؟» حِينَئِذٍ تَقَدَّمُوا وَأَلْقَوْا الأَيَادِيَ عَلَى يَسُوعَ وَأَمْسَكُوهُ. ⁵¹وَإِذَا وَاحِدٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَ يَسُوعَ مَدَّ يَدَهُ وَاسْتَلَّ سَيْفَهُ وَضَرَبَ عَبْدَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ، فَقَطَعَ أُذْنَهُ. ⁵²فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «رُدَّ سَيْفَكَ إِلَى مَكَانِهِ. لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ! ⁵³أَتَظُنُّ أَنِّي لاَ أَسْتَطِيعُ الآنَ أَنْ أَطْلُبَ إِلَى أَبِي فَيُقَدِّمَ لِي أَكْثَرَ مِنِ اثْنَيْ عَشَرَ جَيْشًا مِنَ الْمَلاَئِكَةِ؟ ⁵⁴فَكَيْفَ تُكَمَّلُ الْكُتُبُ: أَنَّهُ هكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ؟». ⁵⁵فِي تِلْكَ السَّاعَةِ قَالَ يَسُوعُ لِلْجُمُوعِ: «كَأَنَّهُ عَلَى لِصٍّ خَرَجْتُمْ بِسُيُوفٍ وَعِصِيٍّ لِتَأْخُذُونِي! كُلَّ يَوْمٍ كُنْتُ أَجْلِسُ مَعَكُمْ أُعَلِّمُ فِي الْهَيْكَلِ وَلَمْ تُمْسِكُونِي. ⁵⁶وَأَمَّا هذَا كُلُّهُ فَقَدْ كَانَ لِكَيْ تُكَمَّلَ كُتُبُ الأَنْبِيَاءِ». حِينَئِذٍ تَرَكَهُ التَّلاَمِيذُ كُلُّهُمْ وَهَرَبُوا. ⁵⁷وَالَّذِينَ أَمْسَكُوا يَسُوعَ مَضَوْا بِهِ إِلَى قَيَافَا رَئِيسِ الْكَهَنَةِ، حَيْثُ اجْتَمَعَ الْكَتَبَةُ وَالشُّيُوخُ. ⁵⁸وَأَمَّا بُطْرُسُ فَتَبِعَهُ مِنْ بَعِيدٍ إِلَى دَارِ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ، فَدَخَلَ إِلَى دَاخِلٍ وَجَلَسَ بَيْنَ الْخُدَّامِ لِيَنْظُرَ النِّهَايَةَ. ⁵⁹وَكَانَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالشُّيُوخُ وَالْمَجْمَعُ كُلُّهُ يَطْلُبُونَ شَهَادَةَ زُورٍ عَلَى يَسُوعَ لِكَيْ يَقْتُلُوهُ، ⁶⁰فَلَمْ يَجِدُوا. وَمَعَ أَنَّهُ جَاءَ شُهُودُ زُورٍ كَثِيرُونَ، لَمْ يَجِدُوا. وَلكِنْ أَخِيرًا تَقَدَّمَ شَاهِدَا زُورٍ ⁶¹وَقَالاَ: «هذَا قَالَ: إِنِّي أَقْدِرُ أَنْ أَنْقُضَ هَيْكَلَ اللهِ، وَفِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أَبْنِيهِ». ⁶²فَقَامَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ وَقَالَ لَهُ: «أَمَا تُجِيبُ بِشَيْءٍ؟ مَاذَا يَشْهَدُ بِهِ هذَانِ

عَلَيْكَ؟ » ٦٣ وَأَمَّا يَسُوعُ فَكَانَ سَاكِتًا . فَأَجَابَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ وَقَالَ لَهُ: «أَسْتَحْلِفُكَ بِاللهِ الْحَيِّ أَنْ تَقُولَ لَنَا: هَلْ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ؟ » ٦٤ قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَنْتَ قُلْتَ! وَأَيْضًا أَقُولُ لَكُمْ: مِنَ الآنَ تُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ جَالِسًا عَنْ يَمِينِ الْقُوَّةِ، وَآتِيًا عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ» . ٦٥ فَمَزَّقَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ حِينَئِذٍ ثِيَابَهُ قَائِلاً: «قَدْ جَدَّفَ! مَا حَاجَتُنَا بَعْدُ إِلَى شُهُودٍ؟ هَا قَدْ سَمِعْتُمْ تَجْدِيفَهُ! ٦٦ مَاذَا تَرَوْنَ؟ » فَأَجَابُوا وَقَالُوا : «إِنَّهُ مُسْتَوْجِبُ الْمَوْتِ» . ٦٧ حِينَئِذٍ بَصَقُوا فِي وَجْهِهِ وَلَكَمُوهُ، وَآخَرُونَ لَطَمُوهُ ٦٨ قَائِلِينَ: «تَنَبَّأْ لَنَا أَيُّهَا الْمَسِيحُ، مَنْ ضَرَبَكَ؟ » . ٦٩ أَمَّا بُطْرُسُ فَكَانَ جَالِسًا خَارِجًا فِي الدَّارِ، فَجَاءَتْ إِلَيْهِ جَارِيَةٌ قَائِلَةً: «وَأَنْتَ كُنْتَ مَعَ يَسُوعَ الْجَلِيلِيِّ!» . ٧٠ فَأَنْكَرَ قُدَّامَ الْجَمِيعِ قَائِلاً: «لَسْتُ أَدْرِي مَا تَقُولِينَ!» ٧١ ثُمَّ إِذْ خَرَجَ إِلَى الدِّهْلِيزِ رَأَتْهُ أُخْرَى، فَقَالَتْ لِلَّذِينَ هُنَاكَ: «وَهذَا كَانَ مَعَ يَسُوعَ النَّاصِرِيِّ!» ٧٢ فَأَنْكَرَ أَيْضًا بِقَسَمٍ: «إِنِّي لَسْتُ أَعْرِفُ الرَّجُلَ!» ٧٣ وَبَعْدَ قَلِيلٍ جَاءَ الْقِيَامُ وَقَالُوا لِبُطْرُسَ: «حَقًّا أَنْتَ أَيْضًا مِنْهُمْ، فَإِنَّ لُغَتَكَ تُظْهِرُكَ!» ٧٤ فَابْتَدَأَ حِينَئِذٍ يَلْعَنُ وَيَحْلِفُ: «إِنِّي لاَ أَعْرِفُ الرَّجُلَ!» وَلِلْوَقْتِ صَاحَ الدِّيكُ . ٧٥ فَتَذَكَّرَ بُطْرُسُ كَلاَمَ يَسُوعَ الَّذِي قَالَ لَهُ: «إِنَّكَ قَبْلَ أَنْ يَصِيحَ الدِّيكُ تُنْكِرُنِي ثَلاَثَ مَرَّاتٍ» . فَخَرَجَ إِلَى خَارِجٍ وَبَكَى بُكَاءً مُرًّا .

١ وَلَمَّا كَانَ الصَّبَاحُ تَشَاوَرَ جَمِيعُ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَشُيُوخُ الشَّعْبِ عَلَى يَسُوعَ حَتَّى يَقْتُلُوهُ، ٢ فَأَوْثَقُوهُ وَمَضَوْا بِهِ وَدَفَعُوهُ إِلَى بِيلاَطُسَ الْبُنْطِيِّ الْوَالِي . ٣ حِينَئِذٍ لَمَّا رَأَى يَهُوذَا الَّذِي أَسْلَمَهُ أَنَّهُ قَدْ دِينَ، نَدِمَ وَرَدَّ الثَّلاَثِينَ مِنَ الْفِضَّةِ إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالشُّيُوخِ ٤ قَائِلاً: «قَدْ أَخْطَأْتُ إِذْ سَلَّمْتُ دَمًا بَرِيئًا» . فَقَالُوا: «مَاذَا عَلَيْنَا؟ أَنْتَ أَبْصِرْ!» ٥ فَطَرَحَ الْفِضَّةَ فِي الْهَيْكَلِ وَانْصَرَفَ، ثُمَّ مَضَى وَخَنَقَ نَفْسَهُ . ٦ فَأَخَذَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ الْفِضَّةَ وَقَالُوا: «لاَ يَحِلُّ أَنْ نُلْقِيَهَا فِي الْخِزَانَةِ لأَنَّهَا ثَمَنُ دَمٍ» . ٧ فَتَشَاوَرُوا وَاشْتَرَوْا بِهَا حَقْلَ الْفَخَّارِيِّ مَقْبَرَةً

لِلْغُرَبَاءِ. ^8^لِهذَا سُمِّيَ ذلِكَ الْحَقْلُ «حَقْلَ الدَّمِ» إِلَى هذَا الْيَوْمِ. ^9^حِينَئِذٍ تَمَّ مَا قِيلَ بِإِرْمِيَا النَّبِيِّ الْقَائِلِ: «وَأَخَذُوا الثَّلاَثِينَ مِنَ الْفِضَّةِ، ثَمَنَ الْمُثَمَّنِ الَّذِي ثَمَّنُوهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، ^10^وَأَعْطَوْهَا عَنْ حَقْلِ الْفَخَّارِيِّ، كَمَا أَمَرَنِي الرَّبُّ». ^11^فَوَقَفَ يَسُوعُ أَمَامَ الْوَالِي. فَسَأَلَهُ الْوَالِي قِائِلاً: «أَأَنْتَ مَلِكُ الْيَهُودِ؟» فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَنْتَ تَقُولُ». ^12^وَبَيْنَمَا كَانَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالشُّيُوخُ يَشْتَكُونَ عَلَيْهِ لَمْ يُجِبْ بِشَيْءٍ. ^13^فَقَالَ لَهُ بِيلاَطُسُ: «أَمَا تَسْمَعُ كَمْ يَشْهَدُونَ عَلَيْكَ؟» ^14^فَلَمْ يُجِبْهُ وَلاَ عَنْ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، حَتَّى تَعَجَّبَ الْوَالِي جِدًّا. ^15^وَكَانَ الْوَالِي مُعْتَادًا فِي الْعِيدِ أَنْ يُطْلِقَ لِلْجَمْعِ أَسِيرًا وَاحِدًا، مَنْ أَرَادُوهُ. ^16^وَكَانَ لَهُمْ حِينَئِذٍ أَسِيرٌ مَشْهُورٌ يُسَمَّى بَارَابَاسَ. ^17^فَفِيمَا هُمْ مُجْتَمِعُونَ قَالَ لَهُمْ بِيلاَطُسُ: «مَنْ تُرِيدُونَ أَنْ أُطْلِقَ لَكُمْ؟ بَارَابَاسَ أَمْ يَسُوعَ الَّذِي يُدْعَى الْمَسِيحَ؟» ^18^لأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّهُمْ أَسْلَمُوهُ حَسَدًا. ^19^وَإِذْ كَانَ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيِّ الْوِلاَيَةِ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِ امْرَأَتُهُ قَائِلَةً: «إِيَّاكَ وَذلِكَ الْبَارَّ، لأَنِّي تَأَلَّمْتُ الْيَوْمَ كَثِيرًا فِي حُلْمٍ مِنْ أَجْلِهِ». ^20^وَلكِنَّ رُؤَسَاءَ الْكَهَنَةِ وَالشُّيُوخَ حَرَّضُوا الْجُمُوعَ عَلَى أَنْ يَطْلُبُوا بَارَابَاسَ وَيُهْلِكُوا يَسُوعَ. ^21^فَأجَابَ الْوَالِي وَقَالَ لَهُمْ: «مَنْ مِنَ الاثْنَيْنِ تُرِيدُونَ أَنْ أُطْلِقَ لَكُمْ؟» فَقَالُوا: «بَارَابَاسَ!». ^22^قَالَ لَهُمْ بِيلاَطُسُ: «فَمَاذَا أَفْعَلُ بِيَسُوعَ الَّذِي يُدْعَى الْمَسِيحَ؟» قَالَ لَهُ الْجَمِيعُ: «لِيُصْلَبْ!» ^23^فَقَالَ الْوَالِي: «وَأَيَّ شَرٍّ عَمِلَ؟» فَكَانُوا يَزْدَادُونَ صُرَاخًا قَائِلِينَ: «لِيُصْلَبْ!» ^24^فَلَمَّا رَأَى بِيلاَطُسُ أَنَّهُ لاَ يَنْفَعُ شَيْئًا، بَلْ بِالْحَرِيِّ يَحْدُثُ شَغَبٌ، أَخَذَ مَاءً وَغَسَلَ يَدَيْهِ قُدَّامَ الْجَمْعِ قَائِلاً: «إِنِّي بَرِيءٌ مِنْ دَمِ هذَا الْبَارِّ! أَبْصِرُوا أَنْتُمْ!». ^25^فَأَجَابَ جَمِيعُ الشَّعْبِ وَقَالُوا: «دَمُهُ عَلَيْنَا وَعَلَى أَوْلاَدِنَا». ^26^حِينَئِذٍ أَطْلَقَ لَهُمْ بَارَابَاسَ، وَأَمَّا يَسُوعُ فَجَلَدَهُ وَأَسْلَمَهُ لِيُصْلَبَ. ^27^فَأَخَذَ عَسْكَرُ الْوَالِي يَسُوعَ إِلَى دَارِ الْوِلاَيَةِ وَجَمَعُوا عَلَيْهِ كُلَّ الْكَتِيبَةِ، ^28^فَعَرَّوْهُ وَأَلْبَسُوهُ رِدَاءً قِرْمِزِيًّا،

٢٩ وَضَفَرُوا إِكْلِيلاً مِنْ شَوْكٍ وَوَضَعُوهُ عَلَى رَأْسِهِ ، وَقَصَبَةً فِي يَمِينِهِ . وَكَانُوا
يَجْثُونَ قُدَّامَهُ وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِ قَائِلِينَ: «السَّلاَمُ يَا مَلِكَ الْيَهُودِ! » ٣٠ وَبَصَقُوا
عَلَيْهِ ، وَأَخَذُوا الْقَصَبَةَ وَضَرَبُوهُ عَلَى رَأْسِهِ . ٣١ وَبَعْدَ مَا اسْتَهْزَأُوا بِهِ ، نَزَعُوا
عَنْهُ الرِّدَاءَ وَأَلْبَسُوهُ ثِيَابَهُ ، وَمَضَوْا بِهِ لِلصَّلْبِ .

٣٢ وَفِيمَا هُمْ خَارِجُونَ وَجَدُوا إِنْسَانًا قَيْرَوَانِيًّا اسْمُهُ سِمْعَانُ ، فَسَخَّرُوهُ
لِيَحْمِلَ صَلِيبَهُ . ٣٣ وَلَمَّا أَتَوْا إِلَى مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ جُلْجُثَةُ ، وَهُوَ الْمُسَمَّى
«مَوْضِعَ الْجُمْجُمَةِ» ٣٤ أَعْطَوْهُ خَلاًّ مَمْزُوجًا بِمَرَارَةٍ لِيَشْرَبَ . وَلَمَّا ذَاقَ لَمْ
يُرِدْ أَنْ يَشْرَبَ . ٣٥ وَلَمَّا صَلَبُوهُ اقْتَسَمُوا ثِيَابَهُ مُقْتَرِعِينَ عَلَيْهَا ، لِكَيْ يَتِمَّ مَا
قِيلَ بِالنَّبِيِّ: «اقْتَسَمُوا ثِيَابِي بَيْنَهُمْ ، وَعَلَى لِبَاسِي أَلْقَوْا قُرْعَةً» . ٣٦ ثُمَّ جَلَسُوا
يَحْرُسُونَهُ هُنَاكَ . ٣٧ وَجَعَلُوا فَوْقَ رَأْسِهِ عِلَّتَهُ مَكْتُوبَةً: «هذَا هُوَ يَسُوعُ مَلِكُ
الْيَهُودِ» . ٣٨ حِينَئِذٍ صُلِبَ مَعَهُ لِصَّانِ ، وَاحِدٌ عَنِ الْيَمِينِ وَوَاحِدٌ عَنِ الْيَسَارِ .
٣٩ وَكَانَ الْمُجْتَازُونَ يُجَدِّفُونَ عَلَيْهِ وَهُمْ يَهُزُّونَ رُؤُوسَهُمْ ٤٠ قَائِلِينَ: «يَا نَاقِضَ
الْهَيْكَلِ وَبَانِيَهُ فِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ ، خَلِّصْ نَفْسَكَ! إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَانْزِلْ عَنِ
الصَّلِيبِ! » . ٤١ وَكَذلِكَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ أَيْضًا وَهُمْ يَسْتَهْزِئُونَ مَعَ الْكَتَبَةِ
وَالشُّيُوخِ قَالُوا: «خَلَّصَ آخَرِينَ وَأَمَّا نَفْسُهُ فَمَا يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَهَا! إِنْ كَانَ
هُوَ مَلِكَ إِسْرَائِيلَ فَلْيَنْزِلِ الآنَ عَنِ الصَّلِيبِ فَنُؤْمِنَ بِهِ! ٤٢ قَدِ اتَّكَلَ عَلَى اللهِ ،
فَلْيُنْقِذْهُ الآنَ إِنْ أَرَادَهُ! لأَنَّهُ قَالَ: أَنَا ابْنُ اللهِ! » . ٤٤ وَبِذلِكَ أَيْضًا كَانَ اللِّصَّانِ
اللَّذَانِ صُلِبَا مَعَهُ يُعَيِّرَانِهِ . ٤٥ وَمِنَ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ كَانَتْ ظُلْمَةٌ عَلَى كُلِّ
الأَرْضِ إِلَى السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ . ٤٦ وَنَحْوَ السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ
عَظِيمٍ قَائِلاً: «إِيلِي ، إِيلِي ، لِمَا شَبَقْتَنِي؟ » أَيْ: إِلهِي ، إِلهِي ، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟
٤٧ فَقَوْمٌ مِنَ الْوَاقِفِينَ هُنَاكَ لَمَّا سَمِعُوا قَالُوا: «إِنَّهُ يُنَادِي إِيلِيَّا» . ٤٨ وَلِلْوَقْتِ
رَكَضَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَأَخَذَ إِسْفِنْجَةً وَمَلأَهَا خَلاًّ وَجَعَلَهَا عَلَى قَصَبَةٍ وَسَقَاهُ .
٤٩ وَأَمَّا الْبَاقُونَ فَقَالُوا: «اتْرُكْ . لِنَرَى هَلْ يَأْتِي إِيلِيَّا يُخَلِّصُهُ! » . ٥٠ فَصَرَخَ

يَسُوعُ أَيْضًا بِصَوْتٍ عَظِيمٍ ، وَأَسْلَمَ الرُّوحَ".

إن الإنسان ليستعجب أشد الاستعجاب ويتساءل: ترى أين الجموع الذين كانوا يحيطون بالمسيح ويتبعونه فى كل مكان يذهب إليه ، ويعُدّهم مؤلفو الأناجيل بالآلاف ، وكان عليه السلام يطعمهم ، ويشفى أصحاب الأمراض المستعصية منها ، بل ويعيد بعضهم إلى الحياة مرة أخرى بعد أن ماتوا؟ بل أين حواريوه المقرَّبون؟ لقد تبخروا كلهم ، وكأنهم فَصّ ملح وذاب؟ واليمين التى أقسمها بطرس بأنه لن ينكره ولن يتخلى عنه ، ترى كيف نسيها وهان سيده عليه إلى هذا الحد؟ ولدينا أيضا ذلك التلميذ الآخر الذى أمسكه الجند من ملابسه فخلعها عن جسمه وتركها لهم وانطلق هاربا وهو عريان كيوم ولدته أمه . الحق أنها محنة! وأى محنة! أهذه ثمرة كل تلك التربية التى تَلَقَّوْها على يديه صلى الله عليه وسلم؟ أهذه حصيلة كل تلك الصحبة التى صحبوها إياه؟ فأين ذهبت كل تلك الخطب والأمثال التى كان يَسُحّ بها فى آذانهم سحًا؟ أتراهم لم يكونوا يهتمون بما يقول ، بل بما كانوا ينتظرونه على يديه من شفاء فقط؟ ولا ننس فوق ذلك أن عيسى ، فى نظر النصارى ، هو إله ، وليس بشرا . أفهذه غاية جهد الإله؟ إن محمدا إذن ، كما سوف نرى حالا ، لأبرك أثرا وأقدر فى التربية والتوجيه ، وهو البشر الذى لم يزعم هو ولا زعم له أحد من أتباعه أنه إله أو ينحدر من صلب الآلهة! أليس كذلك؟ ولا يقل أحد إن المسيح قد نهى تلاميذه عن الدفاع دونه وأمر بطرس أن يغمد سيفه مرة أخرى . ذلك أن رواية الأحداث على هذا النحو لا تقنع أحدا ، إذ من أين أتى بطرس بالسيف؟ وكيف لم يتنبه المسيح إلى ذلك السيف قبل أن يشهره حواريّه؟ بل لماذا كان بطرس يحمل سيفا أصلا ، ولم تكن هناك معارك تسوّغ ذلك؟ ولماذا هو بالذات دون سائر زملائه؟ كما أن الحواريين لم يكونوا رجال حرب . ثم إن محاولات السيد المسيح الابتعاد

مع تلاميذه عن أنظار أعدائه دليل على أنه لم يكن يريد الموت . ويعضد هذا صلاته قبل القبض عليه وابتهاله إلى الله أن يجيز عنه تلك الكأس المرة ، وكذلك صرخاته على الصليب ، وتحقيره قبل القبض عليه من شأن تلميذه الخائن الذى تنبأ بأنه سوف يسلمه إلى الأعداء طبقا لما يرويه مؤلفو الأناجيل . فإذا أضفنا إلى هذا أن السيد المسيح عليه السلام قد أعلنها صريحة مدوية أنه إنما جاء بالسيف ، كان من الصعب علينا جدا الاطمئنان إلى ما يُنسَب له من أن ما أخِذ بالسيف فبالسيف يؤخذ ، وإلا كان كمن يكذّب نفسه بنفسه .

هؤلاء إذن أصحاب المسيح عليه السلام ، وأما أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام فنورد لهم تصرفاتهم فى موقفين من أخطر المواقف التى مرت به صلى الله عليه وسلم ، ولسوف نراهم وهم يضحون بحياتهم وراحتهم من أجله ويفدونه بكل غال لديهم ، وكلهم حب له وحرص على ألا يخلص إليه سوء أو يناله أذى ، يستوى فى ذلك الرجال والنساء . إنها ملحمة ، وأى ملحمة! ملحمة البطولة والإيمان والإخلاص والنبل والتطلع لنيل الشهادة والفوز برضا الله . وها هما ذان الموقفان: فأما الأول فمن قلب المعمعة أثناء معركة أحد بعد أن تحولت كِفّة الميزان لصالح المشركين وتطورت الأحداث بسرعة وأحدق المشركون بالنبى يريدون قتله . وإلى القارئ ما جاء فى سيرة ابن هشام بشىء من التصرف: "وانكشف المسلمون فأصاب فيهم العدو ، وكان يوم بلاء وتمحيص أكرم الله فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة حتى خلص العدو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدُثَّ بالحجارة حتى وقع لشِقِّه فأصيبت رباعيته وشُجَّ في وجهه وكُلِمَتْ شفته ودخلت حلقتان من حلق المغفر وجنته ، ووقع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حفرة من الحفر التي عمل أبو عامر ليقع فيها المسلمون وهم

لا يعلمون ، فأخذ علي بن أبي طالب بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورفعه طلحة بن عُبَيْد الله حتى استوى قائما ، ومَصَّ مالك بن سنان الدم عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ازدرده . وعن عائشة عن أبي بكر الصديق أن أبا عبيدة بن الجراح نزع إحدى الحلقتين من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقطت ثَنِيَّته ، ثم نزع الأخرى فسقطت ثنيته الأخرى ، فكان ساقط الثنيتين . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين غَشِيَه القوم: مَنْ رجلٌ يشري لنا نفسه؟ فقام زياد بن السكن في نفر خمسة من الأنصار فقاتلوا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا ثم رجلا ، يُقْتَلون دونه حتى كان آخرَهم زيادٌ أو عمارة ، فقاتل حتى أثبتته الجراحة . ثم فاءت فئة من المسلمين فأجهضوهم عنه . وقاتلت أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية يوم أحد . قالت: خرجتُ أول النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس ومعي سِقَاءٌ فيه ماء ، فانتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أصحابه ، والدولة والريح للمسلمين . فلما انهزم المسلمون انحزْتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقمت أباشر القتال وأذبّ عنه بالسيف وارمي عن القوس حتى خَلَصَت الجراح إليّ . وكان على عاتقها جرح أجوف له غَوْرٌ ، قالت: إن ابن قمئة ، لما ولّى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أقبل يقول: دُلّوني على محمد ، فلا نجوتُ إن نجا . فاعترضتُ له أنا ومصعب بن عمير وأناس ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فضربني هذه الضربة ، ولكن فلقد ضربته على ذلك ضربات ، ولكن عدو الله كان عليه درعان . وتَرَّس دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو دجانة بنفسه يقع النَّبْل في ظهره ، وهو منحنٍ عليه حتى كثر فيه النبل . ورمى سعد بن أبي وقاص دون رسول الله . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رمى عن قوسه حتى اندقت سِيَتُها . وأصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان

حتى وقعت على وجنته فردها (أي الرسول) بيده، فكانت أحسن عينيه وأحدّهما. وانتهى أنس بن النضر إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار، وقد ألقوا بأيديهم، فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: قُتِل رسول الله صلى الله عليه وسلم! قال: فماذا تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم استقبلَ القومَ فقاتل حتى قُتِل. وقد وجدوا به يومئذ سبعين ضربة فما عرفه إلا أخته، عرفته ببنانه. أما عبد الرحمن بن عوف فأصيب فُوه يومئذ فهُتِمَ وجُرِح عشرين جراحة أو أكثر، أصابه بعضها في رجله فعَرِجَ".

وأما الموقف الثاني فكان في غزوة الحديبية حين لجّ الخلاف بين قريش والمسلمين وأضحى الأمر على شفير الانفجار في أية لحظة، وبدأت المفاوضات الشاقة. جاء في صحيح البخاري: "خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية، حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي صلى الله عليه وسلم: إن خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة، فخذوا ذات اليمين. فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقَتَرة الجيش، فانطلق يركض نذيرا لقريش. وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالثنيّة التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته، فقال الناس: حل حل. فألحّتْ، فقالوا: خلأت القصواء! خلأت القصواء! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخُلُق، ولكن حبسها حابس الفيل. ثم قال: والذي نفسي بيده لا يسألونني خُطّةً يعظّمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها. ثم زجرها فوثبت. قال: فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحُدَيْبِيَة على ثَمَدٍ قليل الماء يتبرّضه الناس تبرُّضا، فلم يلبثه الناس حتى نزحوه. وشُكِيَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش، فانتزع سهما من كنانته، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه. فوالله مازال يجيش لهم بالرِّيِّ حتى صدروا عنه.

فبينما هم كذلك إذ جاء بُدَيْل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة، وكانوا عَيْبَةَ نُصْحِ رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل تهامة، فقال: إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا أعداد مياه الحديبية، ومعهم العُوذ المطافيل، وهم مقاتلوك وصادّوك عن البيت. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنا لم نجئ لقتال أحد، ولكنا جئنا معتمرين. وإن قريشا قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم. فإن شاؤوا ماددْتُهم مدة ويُخلّوا بيني وبين الناس. فإن أظْهرْ، فإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جمّوا. وإن هم أبَوْا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنّهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي، ولينفذنّ الله أمره. فقال بُدَيْل: سأبلغهم ما تقول. قال: فانطلق حتى أتى قريشا، قال: إنا قد جئناكم من هذا الرجل، وسمعناه يقول قولا، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا. فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشيء. وقال ذوو الرأي منهم: هات ما سمعتَه يقول. قال: سمعته يقول كذا وكذا. فحدثهم بما قال النبي صلى الله عليه وسلم، فقام عروة بن مسعود فقال: أيْ قوم، ألستم بالوالد؟ قالوا: بلى. قال أو لستُ بالولد؟ قالوا: بلى. قال: فهل تتهمونني؟ قالوا: لا. قال: ألستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ، فلما بلّحوا عليّ جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني؟ قالوا: بلى. قال: فإن هذا قد عرض لكم خُطّة رُشْد، اقبلوها ودعوني آتيه. قالوا ائته. فأتاه، فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم نحوا من قوله لبُدَيْل. فقال عروة عند ذلك: أي محمد، أرأيتَ إن استأصلتَ أمر قومك، هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك؟ وإن تكن الأخرى فإني والله لأرى وجوها، وإني لأرى أشوابا من الناس خليقًا أن يفرّوا ويَدَعوك. فقال له أبو بكر: امصص ببظر اللات! أنحن نفرّ عنه وندعه؟ فقال: من ذا؟ قالوا: أبو بكر. قال: أما والذي نفسي

بيده لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتك . قال: وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم ، فكلما تكلم أخذ بلحيته ، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي صلى الله عليه وسلم ، ومعه السيف وعليه المغفر ، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبي صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنعل السيف ، وقال له: أخِّرْ يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم . فرفع عروة رأسه ، فقال: من هذا؟ قالوا: المغيرة بن شعبة . فقال: أيْ غُدَر ، ألستُ أسعى في غدرتك؟ وكان المغيرة صحب قوما في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ، ثم جاء فأسلم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أما الإسلام فأَقْبَل ، وأما المال فلستُ منه في شيء . ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعينه ، قال: فوالله ما تنخّم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم ، فدلك بها وجهه وجلده . وإذا أمرهم ابتدروا أمره . وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه . وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ، وما يُحِدّون إليه النظر تعظيما له . فرجع عروة إلى أصحابه فقال: أيْ قوم ، والله لقد وفدت على الملوك ، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي ، والله إنْ رأيتُ مَلِكًا قَطُّ يعظِّمه أصحابه ما يعظِّم أصحابُ محمد صلى الله عليه وسلم محمدا . والله إنْ تنخّم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده . وإذا أمرهم ابتدروا أمره . وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه . وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ، وما يُحِدّون إليه النظر تعظيما له . وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها . فقال رجل من بني كنانة: دعوني آتيه . فقالوا: ائته . فلما أشرف على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذا فلان ، وهو من قوم يعظِّمون البُدْن (أي الأضاحي) ، فابعثوها له . فبُعِثَتْ له ، واستقبله الناس يُلَبّون . فلما رأى ذلك قال: سبحان الله! ما ينبغي لهؤلاء أن يُصَدّوا

عن البيت . فلما رجع إلى أصحابه قال: رأيت البُدْن قد قُلِّدَتْ وأُشْعِرَتْ ، فما أرى أن يُصَدّوا عن البيت . فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص ، فقال: دعوني آتيه . فقالوا: ائته . فلما أشرف عليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم: هذا مكرز ، وهو رجل فاجر . فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم ، فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو . قال معمر: فأخبرني أيوب عن عكرمة أنه لما جاء سهيل بن عمرو قال النبي صلى الله عليه وسلم: لقد سهل لكم من أمركم . قال معمر: قال الزهري في حديثه: فجاء سهيل بن عمرو فقال: هات اكتب بيننا وبينكم كتابا . فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الكاتب ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بسم الله الرحمن الرحيم . قال سهيل: أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو ، ولكن اكتب: "باسمك اللهم" كما كنت تكتب . فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا "بسم الله الرحمن الرحيم" . فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اكتب: "باسمك اللهم" . ثم قال: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله . فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ، ولكن اكتب: محمد بن عبد الله . فقال النبي صلى الله عليه وسلم: والله إني لرسول الله ، وإن كذبتموني . اكتب: محمد بن عبد الله . قال الزهري: وذلك لقوله: لا يسألوني خُطَّةً يعظمون بها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: على أن تخلّوا بيننا وبين البيت فنطوف به . فقال سهيل: والله لا تتحدث العرب أنا أُخِذْنا ضغطة ، ولكن ذلك من العام المقبل . فكتب ، فقال سهيل: وعلى أنه لا يأتيك منا رجل ، وإن كان على دينك ، إلا رددته إلينا . قال المسلمون: سبحان الله! كيف يُرَدّ إلى المشركين وقد جاء مسلما؟ فبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده ، وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر

المسلمين ، فقال سهيل: هذا يا محمد أول ما أقاضيك عليه أن تردّه إليّ . فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إنا لم نقض الكتاب بعد . قال: فوالله إذًا لم أصالحك على شيء أبدا . قال النبي صلى الله عليه وسلم: فأجِزْه لي . قال: ما أنا بمجيزه لك . قال: بلى ، فافعل . قال: ما أنا بفاعل . قال مكرز: بل قد أجزناه لك . قال أبو جندل: أيْ معشر المسلمين ، أُرَدّ إلى المشركين وقد جئتُ مُسْلِما؟ ألا تَرَوْن ما قد لقِيت؟ وكان قد عُذّب عذابا شديدا في الله . قال: فقال عمر بن الخطاب: فأتيت نبي الله صلى الله عليه وسلم فقلت: ألست نبي الله حقا؟ قال: بلى . قلت: ألسنا على الحق ، وعدوّنا على الباطل؟ قال: بلى . قلت: فلِمَ نعطي الدنية في ديننا إذن؟ قال: إني رسول الله ، ولست أعصيه ، وهو ناصري . قلت: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى ، أفأخبرتك أنا نأتيه العام؟ قال: قلت: لا . قال : فإنك آتيه ومُطَوِّفٌ به . قال: فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر ، أليس هذا نبي الله حقا؟ قال: بلى . قلت: ألسنا على الحق ، وعدونا على الباطل؟ قال: بلى . قلت: فلِمَ نعطي الدنية في ديننا إذن؟ قال: أيها الرجل ، إنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس يعصي ربه ، وهو ناصره ، فاستمسِكْ بغرزه ، فوالله إنه على الحق . قلت: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى ، أفأخبرك أنك تأتيه العام؟ قلت : لا . قال: فإنك آتيه ومطوِّفٌ به . قال الزهري: قال عمر: فعملت لذلك أعمالا . قال: فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: قوموا فانحروا ثم احلقوا . قال: فوالله ما قام منهم رجل ، حتى قال ذلك ثلاث مرات . فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس ، فقالت أم سلمة: يانبي الله ، أتحب ذلك؟ اخرج لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بُدْنك وتدعو حالقك فيحلقك . فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك: نحر

بُدْنَه ودعا حالقه فحلقه . فلما رَأَوْا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل غما . ثم جاءه نسوة مؤمنات ، فأنزل الله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا ، إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهنّ ، الله أعلم بإيمانهن . فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترْجِعوهن إلى الكفار ، لا هُنّ حِلٌّ لهم ولا هُمْ يَحِلّون لهن ، وآتوهم ما أنفقوا . ولاجناح عليكم أن تنْكِحوهن إذا آتيتموهن أجورهن ، ولا تُمْسِكوا بعِصَم الكَوَافِر" . فطلّق عمر يومئذ امرأتين كانتا له في الشِّرْك ، فتزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان ، والأخرى صفوان بن أمية . ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فجاءه أبو بصير ، رجل من قريش وهو مسلم ، فأرسلوا في طلبه رجلين ، فقالوا: العهد الذي جعلت لنا . فدفعه إلى الرجلين ، فخرجا به حتى إذا بلغا ذا الحليفة ، فنزلوا يأكلون من تمر لهم ، فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيدا . فاستلّه الآخر ، فقال: أجل ، والله إنه لجيد ، لقد جربت به ثم جربت . فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه . فأمكنه منه ، فضربه حتى بَرَد (أي مات) ، وفرّ الآخر حتى أتى المدينة ، فدخل المسجد يعدو . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآه: لقد رأى هذا ذعرا . فلما انتهى إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: قُتِل والله صاحبي ، وإني لمقتول . فجاء أبو بصير فقال: يا نبي الله ، قد والله أوفى الله ذمتك . قد رددتني إليهم ثم نجاني الله منهم . قال النبي صلى الله عليه وسلم: ويل أمه مِسْعَر حرب ، لو كان له أحد . فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم ، فخرج حتى أتى سِيفَ البحر . قال: وينفلت منهم أبو جندل بن سهيل ، فلحق بأبي بصير ، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير ، حتى اجتمعت منهم عصابة . فوالله ما يسمعون بِعِيرٍ خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم . فأرسلت قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم

تناشده بالله والرحم لما أرسل: فمن أتاه فهو آمن . فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إليهم ، فأنزل الله تعالى: "وهو الذي كَفَّ أيديَهم عنكم وأيديَكم عنهم ببطن مكةَ من بعد أن أظفركم عليهم ، وكان الله بما تعملون بصيرا* هم الذين كفروا وصَدّوكم عن المسجد الحرام ، والهَدْيَ معكوفا أن يبلغ مَحِلَّه . ولولا رجالٌ مؤمنون ونساءٌ مؤمناتٌ لم تَعْلَموهم أن تطؤوهم فتُصيبكم منهم مَعَرّةٌ بغير علم لو تَزَيَّلوا لعذّبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما* إذ جَعَل الذين كفروا في قلوبهم الحميّةَ حَميّةَ الجاهلية". وكانت حميّتهم أنهم لم يُقرّوا أنه نبي الله ، ولم يُقرّوا بـ"بسم الله الرحمن الرحيم"، وحالوا بينهم وبين البيت".

* * *

الخاتمة

* أصغى المساجين في غرفة السجن بصمت إلى كلمات خادم الرب ، ونظر البعض إليه بغضب ، وأبرقت من أعينهم البغضة والحقد ، بينما كان الآخرون مذهلين ومندهشين . وأما الأقلية ففرحت بجوابه واستخلصت من كلامه رجاء وتعزية . وقال خطيب الجماعة لخادم الرب: قد رأينا أنك مستقيم ، وقلتَ لنا جهرًا أفكار قلبك ولم تخدعنا . سوف نفكّر بكلامك ونقارن أقوالك بالقرآن والحديث ، ونجيبك جوابًا قاطعًا . لا نوافق على كلامك ، بل نطلب منك استمرارية المباحثة حتى تستمع إلى ما نقوله نحن أيضًا . لن نلمسك ولا نضرّك رغم أن بعضًا منا مغتاظين جدًا من كلامك لأننا وعدناك بالأمن وطلبنا منك أن تتكلم بما تريده . سوف نفتح الباب أمامك طالبين اليك العودة . قليلون من يقولوا الحق في الاستقامة والاحترام . جاوبهم رجل الله: كلّ مَن من الحق يسمع صوت الحق ، والحق

يحرره تحريرًا . فإن أردتم أن تعرفوا الحق الكامل عن المسيح ومحمد فأتكلم لكم من الإنجيل بصراحة أكثر . فكل من لا يملك منكم الإنجيل الشريف ويريد أن يقرأ فيه ، فأقدم له نسخة هدية لكي يتأمل في الحق الكامل . وبعد هذا الكلام قام من وسطهم ، ولم يمنعه أحد بل فتحوا الباب وسمحوا له بالخروج . أما الأبحاث فتهيجت في هذه الزنزانة واستمرت إلى الليل . وأما خادم الرب فشكر ربّه الحي لأنه أوكله أن يبّرز الحق حسب معرفته من القرآن والحديث ومن غنى التوراة والإنجيل .

** أما تعليقى على هذا الكلام فهو أن الواعظ الطيب الذى على نياته إنما كان يحلم! أو . . . أو ماذا؟ أو أنه مسلم ، لكنه لا يريد أن يكشف عن إسلامه مرة واحدة ، فهو يلجأ إلى هذا الأسلوب التدريجى ، فيصف محمدا عليه السلام بأنه نبى عظيم ، مع التظاهر أنه يفضل عليه عيسى رغبة فى تضليل القارئ النصرانى عن حقيقة معتقده . هى فكرة طرأت لى ، وقد تكون صحيحة ، أو هى على الأقل فكرة وجيهة تحتاج فى التثبت منها إلى التربص والانتظار . فلنكن ، أيها القراء ، إذن من المتربصين حتى يقضى الله أمرًا كان مفعولا!

***

رسالة تافهة يطنطن بها المبشّرون!
(هتك الستار عما في رسالة الكنديّ الحمار من عار وعوار)

رسالة تافهة يطنطن بها المبشرون!

(هتك الستار عما فى رسالة الكندى الحِمار من عار وعُوار)

فى عَسَّةٍ من عَسَّاتى التى لا تتوقف خلال المشباك وقعتُ فى بعض المواقع النصرانية على رسالتين دينيتين جداليتين منشورتين معا: الأولى من مسلم اسمه عبد الله بن إسماعيل الهاشمى إلى مسيحى يسمى عبد المسيح بن إسحاق يدعوه فيها إلى الإسلام، والثانية رد من هذا إلى ذاك يفند فيها الإسلام ويتطاول على الرسول الكريم ويبين له أن النصرانية أفضل من الدين الذى أتى به سيد الأنبياء محمد عليه الصلاة والسلام وأن المسيح إله نزل من عليائه وتجسد فى شكل بشر ليفدى العالم من خطيئته، على حين أن محمدا ما هو إلا نبى كذاب. وكان الهاشمى والكندى صديقين عربيين يعيشان فى أيام الخليفة العباسى المأمون بن هارون الرشيد، الذى يمت إليه عبد الله بن إسماعيل بآصرة القربى، ويشتغل فى خدمته عبد المسيح بن إسحاق على ما يقول ناشرو الرسالتين. ومن يقرأ ما كتبه هؤلاء الناشرون وما قدم به المستشرق وليام موير لرسالة الكندى فى ترجمتها الإنجليزية التى قام بها، يدرك مدى اعتزاز المبشرين بما كتبه الكندى ونظرهم إليه على أنه شىء متفرد ومتفوق على كل ما يشبهه من رسائل جدلية، إذ تثير فى وجه المسلم شبهات وبراهين لا يمكنه الرد عليها حسب تصورهم. ويمكن القارئَ العزيزَ أن يطالع هذا الكلام فى مقدمة وليام موير لرسالة الكندى المنشورة فى عدد من المواقع التبشيرية، وكانت فى الأصل ورقة ألقاها أمام الجمعية الاسيوية الملكية فى بريطانيا فى أوائل ثمانينات القرن التاسع عشر. وقد

استغرتنى الرسالتان إلى قراءتهما ودراستهما بهدوء ، فكان هذا الكتاب الذى بين يدى القارئ والذى يبين أن نَفَس هؤلاء الضالين المضلين طلع على شُونَة ، فرسالة الكندى رسالة متهافتة أشد التهافت كما سوف يرى بنفسه. ومعنى هذا أن كلامهم عن خطورة رسالة الكندى هو أضغاث أحلام لا حقائق صلبة . كيف؟ تعالوا نطالع معا ما حبّره كاتوبى الظريف ، لا حرمنى الله منه ولا من خفة دمه وسحر جماله الذى ليس على أحد! آمين يا رب العالمين!

١ - وأول ما يثور فى الذهن عند مطالعة هاتين الرسالتين هو السؤال التالى: منذ متى كان الأصدقاء الحميمون على شاكلة الهاشمى والكندى يتحاورون فى الدين كتابة ، وهم يتقابلون فى كل وقت ، ويمكنهم النقاش شفاها؟ إن أقصى ما يمكن أن يقع هو قيام طرف ثالث بتسجيل ما دار فى أية مناقشة شفوية بينهما كما فى كثير من كتب المناظرات والمحاورات ، مثل كتاب: "الإمتاع والمؤانسة" لأبى حيان التوحيدى ، وبعض الصفحات فى كتب الجاحظ ، لا أن يكتب كل منهما رسالة وكأنهما عدوّان لا يستطيعان أن يتفاهما دون عراك وتشاتم ، أو شخصان متباعدان لا يتقابلان أصلا ، ومن ثم لا يمكن أن يتم حوار شفوى بينهما . والمفروض أن كلا منهما قد اطلع ، من خلال المناقشات الشفوية ، على ما فى ضمير الآخر وعرف ما يجنه من أفكار وآراء ، وأدرك أنه من الصعوبة بمكان ، إن لم يكن من الاستحالة فى ظل الظروف القائمة آنذاك ، أن يتنازل عن شيء من هذه الأفكار أو الآراء ، وإلا لكان قد ظهر فى خلال النقاش أنه مستعد لهذا التغيير ، إن لم يكن قد تغير فعلا ، وعندئذ لا داعى لكتابة مثل هذه الرسائل لأنها ستكون فى هذه الحالة "تطبيلا فى المطبّل" كما يقولون فى الريف عن المسحّراتى الذى يترك الأحياء التى لم يضرب طبلته فيها ويعيد التطبيل فى

تلك التي سبق أن طبّلها وأيقظ سكانها ليتناولوا سَحُورهم ، فما بالنا إذا كان الأمر يتعلق بالعقائد والأديان؟

٢- الثانية هي ما قدم به الناشرون لهاتين الرسالتين ، فقد قالوا: "في القرن التاسع الميلادي ، في زمن الخليفة (العباسي) عبد الله المأمون (سنة ٢٤٧هـ و٨٦١م) ، كتب مسلم تقي هو عبد الله بن إسماعيل الهاشمي رسالة لصديق له مسيحي ، هو عبد المسيح بن إسحق الكِنْدي ، يدعوه فيها إلى الإسلام . وكان عبد الله معروفًا بالتقوى وشدة القيام بفروض الإسلام ، كما كان عبد المسيح مشهورًا بتقواه وتمسكه بالمسيحية ، كما كان في خدمة الخليفة مقرّبًا إليه . وقد ذكر الرسالتين أبو ريحان محمد بن أحمد البيروني في كتابه: "الآثار الباقية عن القرون الخالية" . وقد قيل إن أمر الرسالتين بلغ الخليفة المأمون ، فأمر بإحضارهما وقُرِئتا عليه . فلم يزل ناصتًا حتى جاء إلى آخرهما فقال: ما كان دعاه إلى أن يتعرض لما ليس من عمله حتى أجاز كتاف نفسه؟ فأما النصراني فلا حُجّة لنا عليه ، لأن الأمر لو لم يكن عنده هكذا لما أقام على دينه . والدين دينان: أحدهما دين الدنيا ، والآخر دين الآخرة . أما دين الدنيا فالدين المجوسي وما جاء به زرادشت ، وأما دين الآخرة فهو دين النصارى وما جاء به المسيح . وأما الدين الصحيح فهو التوحيد الذي جاء به صاحبنا ، فإنه الدين الجامع الدنيا والآخرة" . وجاء في ذلك التقديم أيضا: "كان في زمن عبد الله المأمون أحد نبلاء الهاشميين ، وأظنه من ولد العباس ، قريب القرابة من الخليفة ، معروفٌ بالنسك والورع والتمسك بدين الإسلام وشدة الإغراق فيه والقيام بفرائضه وسننه ، مشهور بذلك عند الخاصة والعامة . وكان له صديق من الفضلاء ذو أدب وعلم ، كِنْدي الأصل مشهور بالتمسك بدين النصرانية ، وكان في خدمة الخليفة وقريبًا منه مكانًا . فكانا يتوادّان ويتحابان ويثق كل منهما بصاحبه وبالإخلاص له . وكان أمير

المؤمنين المأمون وجماعة أصحابه والمتصلون به قد عرفوهما بذلك ، وهما عبد الله بن إسماعيل الهاشمي ، وعبد المسيح بن إسحق الكِنْدي" . وهو نفس ما قاله ناشرو الطبعة الإنجليزية لرسالة الكندى سنة ١٨٨٧م ، تلك الطبعة التى قدم لها وليام موير أحد عتاولة الاستشراق فى عصره . وهذا نص ما كتبوه على الغلاف الخارجى:

" THE APOLOGY OF AL KINDY, WRITTEN AT THE COURT OF AL MÂMÛN (Circa A. H. 215; A. D. 830), IN DEFENCE OF CHRISTIANITY AGAINST ISLAM. With an essay on its Age and Authorship read before the Royal Asiatic Society by SIR WILLIAM MUIR, K. C. S. I. LL. D. D. C. L. ; PRINCIPAL EDINBURGH UNIVERSITY; AUTHOR OF " THE LIFE OF MAHOMET, " " ANNALS OF THE EARLY CALIPHATE, " ETC. SECOND EDITION. PUBLISHED UNDER THE DIRECTION OF THE TRACT COMMITTEE. LONDON: SOCIETY FOR PROMOTING CHRISTIAN KNOWLEDGE, NORTHUMBERLAND AVENUE, CHARING CROSS, W. C. ; 43, QUEEN VICTORIA STREET, E. C. 26, ST. GEORGE"S PLACE, HYDE PARK CORNER, S. W. BRIGHTON : 135, NORTH STREET. NEW YORK: E. & J. B. YOUNG & CO. 1887 ".

وهذا كلام لا يدخل عقل صبى ولا امرأة عجوز مخرفة ، لأنه لو كان

هذا الهاشمى وذلك الكندى معروفين على النحو الذى يذكره القديم لكانت كتب التراث امتلأت بخبر تلك المناظرة، وبخاصة أن النصرانى قد نال فيها من الرسول والعرب والمسلمين نَيْلاً وقحًا شنيعًا بخلاف ما زعمه وليام موير فى ص ١٦ من مقدمة النشرة الإنجليزية للرسالة من أن الكندى إنما تحدث عن الرسول باحترام مع تفنيده ادعاءات محمد بعنف، وانتقاده الإسلام بمنتهى القسوة. وهذا نص كلامه كما جاء فى الأصل الإنجليزى: "While our Apologist speaks respectfully of the person of Mahomet, he vigorously denounces his claims as a prophet, and attacks the whole system of Islam with uncompromising severity"، وهو كلام كاذب، فقد قال الكندى عن رسول الله عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليمات مثلا مخاطبا الهاشمى: "صاحبك اعرابي جلْف، فخَطَر خاطرٌ في قلبه فسجَعه بلسانه وصار به إلى قوم بَدْوٍ فتقرَّب به إليهم، وهم يشهدون في كتابهم أن الأعراب أشدّ كفرًا ونفاقا"، وهذا مجرد مثال ليس إلا. نعم لو كان هذا الهاشمى وذلك الكندى معروفين على النحو الذى يذكره القديم لكانت كتب التراث امتلأت بخبر تلك المناظرة، ولكان انبرى للرد على الكندى الوقح السافل وتطيين عيشته وعيشة أهله كثير من الكتاب. وهذا إن سكتت السلطات أصلا عن هذه السفاهة والسفالة ولم تؤدّبه الأدب الشرعى الذى ينبغى أن يتلقاه كل مجرم زنيم. أما أن يصمت الجميع ويكفأوا على الخبر ماجورا فهذا ما لا يمكن أن يكون، وبخاصة أن هناك كتبا كثيرة جدا فى الأدب الجدالى حبرتها يراعات المفكرين المسلمين كالجاحظ وابن حزم والقرطبى والغزالى والجوينى وابن تيمية، فضلا عن أحبار اليهود وقساوسة النصارى الذين أسلموا ولم يحتّموا أن أدْلَوْا هم أيضا بدلوهم بوصفهم من أهل البيت

العارفين بخباياه المطلعين على أسراره، الجديرين بأن تكون كلمتهم أشد وقعا وأصوب للهدف، وذلك فيما هو دون ما نقرؤه فى رسالة الكندى الخنزير النجس بمراحل، فكيف يمكن أن نتخيل سكوت الكتّاب ورجال الحاشية المأمونية عن الرد على ذلك العلج السفيه وما ارتكبه من سفالات منتنة مثله؟ أو كيف يمكن أن نصدق أن المأمون، سيد العالم فى وقته، قد علم بأمر هذه الرسالة وسكت عن سفالة الكافر المجرم التى سوّدها فلم يسوِّد عيشته لو كان له وجود حقيقى، ولم تكن الرسالتان منسوبتين زورا لشخصين لم يكن لهما حقيقة، وإنما كتبهما شخص آخر لم يصرح باسمه، ولم يكن يعيش فى عصر المأمون بتاتا كما سوف يتبين بعد قليل؟ بل كيف يمكن أن نصدق تسمية المأمون لرسول الله بـ "صاحبنا" فى قوله: "وأما الدين الصحيح فهو التوحيد الذي جاء به صاحبنا"! إن هذا لهو المستحيل بعينه!

ذلك أن كاتب الرد المعلن هو شخص اسمه "عبد المسيح بن إسحاق الكندى"، كان قد تلقى رسالة من شخص مسلم يدعى: "عبد الله بن إسماعيل الهاشمى"، فكتب ردا عليها نال فيها من العرب والرسول والإسلام نيلا تجاوز كل الحدود، ولم يترك شيئا فى الإسلام دون أن يتناوله بالتحقير، وهذا الـ "عبد المسيح" لا وجود له فى كتب التراث بأى حال، اللهم إلا إشارة عارضة فى كتاب البيرونى: "الآثار الباقية عن القرون الخالية" ذكر فيها شيئا المفروض أن الكندى قد قاله فى كتابه عن الصابئة، وهذا كل ما هنالك. أمّا مَنِ الكندى هذا فلا أحد يعرف، حتى لقد ظن المستشرق ساخاو (ناشر الطبعة الإنجليزية من كتاب البيرونى: "الآثار الباقية عن القرون الخالية" عام ١٨٧٩م بعنوان" The Chronology of Ancient Nations") أنه هو الكندى الفيلسوف، وهذا موجود فى الملاحظات الملحقة فى آخر الكتاب (الملاحظة رقم ١٨٧ الموجودة فى صفحة ٤١٩ على

وجه التحديد)، وإنْ علّق وليام مُوير (ص ٦ من مقدمته لترجمة الرسالة المنسوبة للكندى) بأن ذلك غير ممكن لأن الكندى الفيلسوف كان مسلما لا نصرانيا، ومن ثم لا يُعْقَل أن يكون هو كاتب الرسالة التى تهاجم الإسلام وتنتصر للنصرانية.

ومع هذا فإن لويس شيخو، وهو معروف بوقاحته وجمود وجهه وغِلَظ جلده حتى لقد جعل كل شعراء الجاهلية الوثنيين نصارى مما أثار عليه بلديّه الكاتب اللبنانى النصرانى الساخر مارون عبود فتهكم على هذا التعميد العجيب الذى يُسْتَخْدَم فيه الحبر بدلا من الماء، هذا الـ "شيخو" يمضى فى الغَىّ والتنطع فيزعم أن الكندى كاتب الرسالة هو فعلا الكندى الفيلسوف المعروف، ثم يتمادى فى بطلانه قائلا إنه نصرانى وإن أباه كان يتولى الكوفة للمهدى والرشيد الخليفتين العباسيين، وكأن من الممكن أن يتولى نصرانى فى تلك الأيام ولاية فى الدولة الإسلامية، فضلا عن أن تكون تلك الولاية هى الكوفة التى تقع قريبا من دست الحكم فى بغداد. ومع هذا كله لا يكتفى المتنطع بذلك، بل يضيف أن عبد المسيح بن إسحاق هو من أنسباء هذا الفيلسوف يعقوب بن إسحاق. فانظر، بالله عليك أيها القارئ، لهذه البجاحة التى لا مثيل لها فى الأولين والآخرين، وتعجب ما حلا لك التعجب، فلن تقضى من ذلك العجب حتى لو ظللت تتعجب إلى يوم الدين! ولو كان الكندى الفيلسوف رجلا نكرة، أو كان عليه خلاف كأن يكون نصرانيا هو أو أبوه مثلا ثم أسلم، إذن لكان هناك بعض العذر لشيخو الكذاب، أما أن يكون الكندى مسلما من سلالة مسلمين فى سلسلة طويلة تمتد راجعة فى التاريخ إلى عصر النبى عليه السلام بحيث يكون جده البعيد صحابيا من صحابة رسول الله، فهذا ما يقطع كل عذر لذلك الكذاب الذى لا يعرف وجهه شيئا اسمه الحياء. وهذا يعطيك فكرة عن

الأساليب المداورة التي يلجأ إليها هؤلاء القوم الذين مرودوا على التحريف والتكذيب والتزييف طَوال تاريخهم، وبالذات بعد أن جاء رسول الله بالإسلام، نكايةً منهم فيه صلى الله عليه وسلم وفي دينه، وهيهات! ولنلاحظ كذلك أن شيخو لم يذكر لنا من أين استقى ما قاله عن عبد المسيح ذاك، وهذا أمر طبيعي، فهو من بُنَيّات خياله السقيم ليس إلا، إذ ليس لذلك الرجل ذكر في كتب التراث كما قلت آنفا.

وهذا نص ما كتبه شيخو في كتابه: "مجاني الأدب في حدائق العرب" عن الكندي الفيلسوف: "هو يعقوب بن إسحاق الكندي النصراني. وكان شريف الأصل بصريًا، وكان أبوه إسحاق أميرًا على الكوفة للمهدي والرشيد. ويعقوب هذا أوحد عصره في فنون الآداب، وشهرته تغني عن الأطناب. وكان له اليد الطولى بعلوم اليونان والهند والعجم متفننًا عالمًا بالطب والمنطق وتأليف اللحون والهندسة والهيئة والفلسفة، وله في أكثر هذه العلوم تآليف مشهورة. ولم يكن في العرب من اشتهر عند الناس بمعاناة علم الفلسفة حتى سموه: "فيلسوفًا" غير يعقوب. وكان معاصرًا لقسطا بن لوقا الفيلسوف البعلبكي النصراني، واستوطن بغداد وأخذ عن أبي معشر البلخي. ومن أنسباء يعقوب هذا عبد المسيح بن إسحاق الكندي، وله رسالة مشتهرة فنّد فيها اعتراضات ابن إسماعيل الهاشمي على النصرانية ذكرها أبو الريحان البيروني في تاريخه". والحق أن هذا الكذاب يكذب تلك الكذبة البلقاء البجحة دون خجل، فالكندي الفيلسوف مسلم لم يقل أحد قط إنه نصراني غيره، علاوة على أن المهدي والرشيد لا يمكن أن يوليا نصرانيا ولاية، فضلا عن أن تكون ولاية الكوفة. كما أن عبد الله الهاشمي كان بعد المأمون بزمن طويل، وهو ما سنعرفه بعد قليل كما قلنا، فلا شأن له بذلك الخليفة إذن!

وفى "الفهرست" لابن النديم نقرأ فى ترجمة الكندى الفيلسوف ما يلى: "هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن الصباح بن عمران بن إسماعيل بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي بن معدي كرب بن معاوية بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن كندة وهو ثور بن مرتع بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن الهميسع بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب ، فاضل دهره وواحد عصره في معرفة العلوم القديمة بأسرها ، ويسمى: فيلسوف العرب . وكتبه في علوم مختلفة مثل المنطق والفلسفة والهندسة والحساب والأرثماطيقى والموسيقى والنجوم وغير ذلك . وكان بخيلا ، إنما وصلنا ذكره بالفلاسفة الطبيعيين إيثارًا لتقديمه لموضعه في العلم . ونحن نذكر جميع ما صنفه في سائر العلوم إن شاء الله تعالى"، فهو مسلم بن مسلم بن مسلم بن مسلم ، أى مسلم أصيل فى الإسلام كما هو واضح .

وفى "القانون فى الطب" لابن سينا نقرأ عن الكندى أيضا: "يعقوب بن إسحاق الكندي فيلسوف العرب وأحد أبناء ملوكها . وكان أبوه إسحاق بن الصباح أميرًا على الكوفة للمهدي وللرشيد . وليعقوب بن إسحاق الكندي من الكتب: كتاب الفلسفة الأولى فيما دون الطبيعيات والتوحيد . كتاب الفلسفة الداخلة والمسائل المنطقية والمعتاصة وما وافق الطبيعيات . رسالة في أنه لا تُنَال الفلسفة إلا بعلم الرياضيات . كتاب الحث على تعلم الفلسفة . رسالة في كمية كتب أرسطوطاليس . كتاب في قصد أرسطوطاليس في المقولات . رسالته الكبرى في مقياسه العلمي ، وغيرها كثير".

وفى "طبقات الأطباء" لابن أبى أصيبعة: "يعقوب بن إسحاق الكندي فيلسوف العرب وأحد أبناء ملوكها ، وهو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن الصباح بن عمران بن إسماعيل بن محمد بن الأشعث بن قيس بن معدي

كـرب بـن معاويـة بـن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية الأكبر بن الحرث الأصغر بن معاوية بن الحرث الأكبر بن معاوية بن ثور بن مرتع بن كندة بن عفير بـن عـدي بن الحرث ابن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيـد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . وكان أبوه إسحاق بن الصباح أميرًا على الكوفة للمهدي والرشيد، وكان الأشعث بن قيس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وكان قبل ذلك ملكًا على جميع كندة، وكـان أبـوه قـيس بن معدي كرب ملكًا على جميع كندة أيضًا عظيم الشأن، وهـو الـذي مدحـه الأعشى، أعـشى بـني قـيس بن ثعلبة، بقصائده الأربع الطـوال الـتي أولاهن: "لعمرك ما طول هذا الزمن". والثانية: "رحلت سمية غـدوة أجمالهـا". والثالثة: "أأزمعت من آل ليلى ابتكارا؟". والرابعة: "أتهجر غانـية أم تلـم؟". وكـان أبـوه معدي كرب بن معاوية ملكًا على بني الحارث الأصـغر بـن معاويـة في حـضرموت، وكـان أبـوه معاويـة بـن جبلة ملكًـا بحضرموت أيضًا على بني الحارث الأصغر، وكان معاوية بن الحارث الأكبر وأبوه الحارث الأكبر وأبوه ثور ملوكًا على معبد بالمشقر واليمامة والبحرين. وكـان يعقـوب بن إسحاق الكندي عظيم المنزلة عند المأمون والمعتصم وعند ابنه أحمد، وله مصنفات جليلة ورسائل كثيرة جدًا في جميع العلوم".

وفـي "أخـبار العلمـاء" للقفطي: "يعقـوب بـن إسـحاق بن الصباح بن عمـران بـن إسماعيل بن محمـد بـن الأشعث بن قيس بن معدي كرب بن معاويـة بـن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية الأكبربن الحارث الأصغر بن معاويـة بـن الحـارث الأكبر بن معاوية بن ثور بن مرقع بن كندة بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرة أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كيلان ابـن سـبأ بـن يـشجب بن يعرب بن قحطان، أبو يوسف الكندي المشتهر في الملـة الإسـلامية بالتبحـر في فـنون الحكمـة اليونانـية والفارسـية والهـندية،

المتخصص بأحكام النجوم وأحكام سائر العلوم، فيلسوف العرب وأحد أبناء ملوكها. وكان أبو إسحاق بن الصباح أميرًا على الكوفة للمهدي والرشيد، وكان جده الأشعث بن قيس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وكان قبل ذلك ملكًا على جميع كندة، وكان أبوه قيس بن معدي كرب ملكًا على جميع كندة أيضًا عظيم الشأن وهو الذي مدحه أعشى قيس بقصائده الأربع الطوال...".

فهذا نسب الكندى، وهو كما ترى نسب معروف ليس عليه أدنى خلاف، ومظنّة أن يكون شيخو جاهلا بهذا النسب مستحيلةٌ تمام الاستحالة، فهو من مؤرخى الأدب العربى، علاوة على أنه يعرف والد الكندى وعمله وولايته على الكوفة أيام المهدى والرشيد، بما يدل على أنه يعرف كل شيء عن الرجل بما فى ذلك نسبه، لأن كلام المؤرخين عن والد الكندى إنما ورد فى تضاعيف الكلام عن نسبه كما رأينا. فتأمل أيها القارئ هذه الأساليب القذرة التى يلجأ إليها بعض الناس فى حربهم ضد الإسلام، ثم يرمون المسلمين بعد هذا بكل بجاحة بعيوبهم هم، ولا يخجلون!

وكى يتبين القارئ كم كان شيخو الكذاب مُلِمًّا بالتراث العربى الإلمام الذى يستحيل معه أن يكون على جهل بدين رجل كالكندى الفيلسوف الذى طارت شهرته فى الآفاق حتى لقد سَمَّوْه: "المعلّم الثانى" بعد أرسطو المعلم الأول ننقل له النص التالى فى التعريف بشيخو، وهو بقلمه لا بقلم أحد آخر، إذ قال معرفا بنفسه فى كتابه: "تاريخ الآداب العربية": "الأب لويس شيخو مدير مجلة المشرق، له مصنفات مختلفة منها دينية ولاهوتية كالبرهان الصريح في لاهوت السيد المسيح، ومجموعة مقالات دينية لقدماء كتبة النصرانية، وتراجم بعض القديسين كالقديس يوحنا الدمشقي والقديس بطرس كانيزيوس والطوبوي بلرمينوس، وأولياء الله في لبنان، والتعبد

لطفولية السيد المسيح . ومنها جدالية كالأناجيل القانونية وأناجيل الزور ، ومحاورات جدالية ، وردود مختلفة على التنير ، والمجلات الوطنية ، وكشف أسرار الشيعة الماسونية . ومنها فلسفية كمجموعة مقالات فلسفية لقدماء الفلاسفة ، ومقالات في النفس ، والضمير والتساهل الديني ، والألفاظ السحرية . ومنها كتابية في شرح مشاكل واردة في الأسفار المقدسة وتفنيد آراء فاسدة فيها . ومنها تاريخية كبيروت أخبارها وآثارها وكتاريخ جزيرة العرب حاضرًا ، وتاريخ الحرب الكونية ، وتاريخ النصرانية وآدابها في عهد الجاهلية ، وتاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر وفي الربع الأول من القرن العشرين ، والمخطوطات العربية لكتبة النصرانية ، وتاريخ أساقفة طور سينا ، وتاريخ الطباعة في الشام وفلسطين والعراق ، ووصف مخطوطات المكتبة الشرقية (خمسة أجزاء) ، وتاريخ الرهبانية اليسوعية ، والطائفة المارونية ، وتاريخ النهضة الأدبية في حلب ، وتاريخ القصادة الرسولية في الشام ، وابن العبري تاريخه وآثاره . ونشر من التواريخ تاريخ بيروت وأمراء الغرب لصالح بن يحيى ، وتاريخ شاكر بن الراهب ، وتاريخ سعيد بن بطريق مع ملحقه لسعيد بن يحيى الإنطاكي ، وتاريخ محبوب المنبجي ، وتاريخ طبقات الأمم لأبي القاسم صاعد الأندلسي ، وتاريخ حوادث لبنان ودمشق سنة ١٨٦٠ . وله في اللغة كتاب نزهة الطرف في مختصر الصرف ، والوسائل لترقية اللغة العربية واللغة العامية بإزاء اللغة الفصيحة . ونشر من كتب اللغة الألفاظ الكتابية للهمذاني ، وفقه اللغة للثعالبي ، وتهذيب الألفاظ لابن السكيت ، وكتاب الكتاب لابن درستويه ، والبلغة في شذور اللغة ، وغراماطيق عربي في اللاتينية مع منتخبات ومعجم . وفي الأدبيات الشعرية كتاب شعراء النصرانية في عهد الجاهلية ثم بعد الإسلام ، ونشر دواوين الخنساء والخرنق والسموأل والمتلمس وسلامة بن جندل وأبي العتاهية

ومراثي شواعر العرب وحماسة البحتري . وله في الأدبيات النثرية والمنتخبات ترقية القارئ، ومرقاة المجاني ، ومجاني الأدب مع شروحه ، وأطرب الشعر وأطيب النثر ، والأحداث الكتابية ، والتشابيه النصرانية في شعراء الجاهلية ، وأطيب الفكاهات في أربع روايات ، وروضة الأحداث في أطايب الأحداث ، ونشر منها كليلة ودمنة عن أقدم نسخة مؤرخة ، وكتاب فضائل الكلاب لابن المرزبان ، وقانون وزارة بني عثمان أصاف تامه . وله أسفار وسياحات شتى كسفره من بيروت إلى الهند وأسفاره إلى حمص وحماة وحلب ودمشق وجبيل مع ذكر آثار كل مدينة . وكتب فنية كمقالة الضوء لأرسطو ، والآلات المنغمة لمورسطوس ، والآلات المزمرة لبني موسى ، والمكحلة للصقلي".

أما بالنسبة لعبد الله بن إسماعيل فنقرأ في "تاريخ الإسلام" للذهبي تحت عنوان "وفاة الهاشمي خطيب جامع المنصور": "وفيها (أى فى سنة ٣٥٠ هـ) تُوُفِّيَ أبو جعفر عبد الله بن إسماعيل الهاشمي خطيب جامع المنصور ، وكان ذا قعدد في الأبوة ، فإنه في طبقة الواثق ، إذ هو عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم بن عيسى بن المنصور أبي جعفر". وفى "النجوم الزاهرة" لابن تغرى بردى أيضا أن عبد الله بن إسماعيل هذا توفى سنة ٣٥٠هـ، وأنه كان خطيبا لجامع المنصور مثل أبيه ، وأنه كان من بنى العباس ، وفى طبقة هارون الواثق فى علو النسب . فإذا عرفنا أن المأمون وُلِد سنة ١٧٠هـ، ومات سنة ٢١٨هـ، تبين لنا أن بينه وبين الهاشمى هذا أكثر من قرن . ويبدو أن هذا الهاشمى كذلك من رواة الحديث ، إذ ورد نفس الاسم فى عدد من روايات أسباب النزول فى كتاب الواحدى ، وفى سلسلة بعض الأحاديث فى كتاب "سير أعلام النبلاء" للذهبى مثلا . ومع ذلك فإنى لا أظن أنه هو مؤلف الرسالة التى تدعو الكندى المزعوم إلى الإسلام للأسباب التى سوف يطّلع

عليها القارئ فى هذا الكتاب .

٣- ليس ذلك فقط ، بل إن النص الذى ورد عند البيرونى واستشهد به هؤلاء المفترون الكذابون لَيدينهم إدانة باهظة ، إذ هو يجرى على النحو التالى: "وكذلك حكى عبد المسيح بن اسحاق الكندى النصارى عنهم (أى الصابئة) فى جوابه عن كتاب عبد الله بن اسماعيل الهاشمى أنهم يُعْرَفون بذبح الناس ، ولكن ذلك لا يمكنهم اليوم جهرا". وقد علق عليه وليام موير فى ص ١٧ من النشرة الإنجليزية للكتاب بأن هذا الكلام موجود فى ص ٢٥ (وأحسبه يشير إلى نشرة جمعية ترقية المعارف المسيحية التى صدرت فى لندن عام ١٨٨٥م) ، ونصه: "لا يكاتمون (أى الصابئة) ولا يسترون منها شيئًا غير القرابين التى يتخذونها من الناس ، فإن ذبح الناس لا يتهيّأ لهم اليوم جهرًا ، بل يحتالون فيه فيفعلونه سرًا". لكن هذا الكلام ، فى الواقع ، غير موجود لا فى رسالة الكندى ولا فى رسالة الهاشمى الموجودتين بين يدينا الآن ، فما معنى ذلك؟ معناه أن المسألة كلها مملوءة بالاضطراب وأن ما بين أيدينا من رسالة الكندى لم يكن هكذا فى الأصل ، بل اعترته تغييرات ، وربما لم تكن تحتوى على الكلام المنحط فى حق الرسول عليه السلام ، بل هو من إضافات بعض الخنازير من المتأخرين ، فضلا عن أن البيرونى لم يقل إنه رأى رسالة الهاشمى ، بل كل ما هنالك أنه نقل نصا من رسالة الكندى فقط . وهكذا يتبين للقارئ الكريم أن الجريمة الكاملة لا وجود لها مهما تكن عبقرية المجرم ، فما بالنا والمجرم هنا هو جنس المبشرين ، وهم أكذب خلق الله ، ولا يتورعون عن اللجوء إلى أخس الأساليب فى حرب الإسلام . وعلى كل فإن البيرونى هو من أهل القرن الرابع الهجرى ، أى ليس كلامه حجة على أن الهاشمى والكندى كانا من معاصرى المأمون .

٤- وهذا يقودنا إلى النقطة الرابعة ، وهى العصر الذى عاش فيه صاحبا

الرسالتين لو كانا هما فعلا الهاشمى والكندى المذكورين: فأما عبد المسيح فكل ما وجدناه عنه هو زعم لويس شيخو الكذاب أنه من أنسباء الفيلسوف الكندى المشهور الذى جعله نصرانيا دون أدنى خجل، وهو طبعا كلام مرفوض جملة وتفصيلا لمخالفته حقائق التاريخ التى لا تجرى على هوى أحد، سواء كان هذا الأحد شيخو أو ميخو أو برابيخو، بل يجب على شيخو وغير شيخو العُتُوّ لها والخضوع أمام سطوتها دون التنطع ولو بكلمة واحدة. ولو كان عبد المسيح هذا ذا وجود تاريخى حقيقى، فأين يا ترى كتاباته الأخرى مادام صاحب أسلوب وقدرة على الجدل والوقاحة بالشكل الذى تعكسه رسالته؟ إن مثله لا يمكن أن يَبيض هذه البيضة الوحيدة ثم يصوم عن البيض إلى الأبد، بل لا بد لمثله من مواصلة التأليف والدخول مع المسلمين فى جدالات أخرى، وبخاصة أن الكتب الإسلامية فى دراسة النصرانية وتخطئتها كثيرة متنوعة، ومن شأنها أن تستفز إلى الجدال كل صاحب قلم من أهلها، فإن لم يكن عبد المسيح أحد هؤلاء الذين تستفزهم تلك الكتابات فمن يا ترى سوف تستفزه؟ كما أن مثله لن يكتفى بالكتابة فى الدفاع عن دينه، بل سوف يكتب فى شرح عقيدته وعبادات ديانته للجمهور، وكذلك سوف يكتب عن تاريخها ورجالها وما إلى ذلك. فأين تلك الكتب؟ وأما بالنسبة لذلك الهاشمى فيقول ساخاو (ص ١٨٧) إنه لا يعرف شيئا عن عبد الله بن إسماعيل هذا. وقد حاولت أنا أن أصل إلى شىء يزيل تلك الظلمات المتراكبة حوله فلم أجد أحدا بهذا الاسم إلا رجلا فى القرن الرابع الهجرى لا الثانى الذى كان يعيش فيه المأمون العباسى. وهذا الرجل هو أحد رواة الأحاديث، وكان يشتغل خطيبا لجامع المنصور ببغداد كما سلف القول. أى أن كل ما قيل عن أنه من أقرباء المأمون، وأن ذلك الخليفة قد علم بما كان بينه وبين عبد المسيح المكذوب من جدال وقرّعه

على التصدى لأمر لا يحسنه هو كلام فى المجايص ، لأنه من الناحية التاريخية مستحيل تمام الاستحالة ، إذ يفصل بينه وبين المأمون قرن كامل حسبما رأينا ، فهل من الممكن أن يتعاصر شخصان يفصل بينهما عشرة عقود؟ إن ذلك لا يمكن أن يقع إلا فى حالة واحدة هى أن يكون زاعم ذلك احد أتباع الكتاب الذى يجعل الابن أكبر من أبيه بعامين كما فى سفر "أخبار الأيام الثانى" حسبما يعرف ذلك كل من له أدنى اتصال بالكتاب المقدس ، إذ نقرأ فيه أن عُمْر ياهورام حين تولى الملك كان اثنين وثلاثين سنة ، ثم مات بعد ذلك بثمانى سنوات ، فيكون عمره حين هلك أربعين سنة ، ثم بعد أقل من ثلاثة أسطر نفاجأ بكاتب السفر يقول إن ابنه أخزيا ، الذى تولى الملك بعده مباشرة ، كان عمره آنذاك اثنين وأربعين سنة . وليس لهذا من معنى إلا أن الولد أكبر من أبيه بسنتين (الإصحاح/ ٢١/ ٢٠ ، و٢٢/ ١- ٢)!

٥- ثم إن مثل الهاشمى الذى كان من رجال الحديث وخطيبًا لواحد من أكبر الجوامع فى بغداد ذلك العصر المتوهج بالثقافة والفكر الإسلامى لا يمكن أن يخطئ تلك الأخطاء العجيبة التى تشتمل عليها الرسالة المنسوبة له ، ومنها قوله إنه قد افتتح رسالته إلى خصمه النصرانى بالسلام عليه والرحمة تشبُّها بسيده وسيد الأنبياء محمد رسول الله لأن الثقات ، كما قال ، قد رَوَوْا عنه أن هذه كانت عادته ، وأنه كان إذا افتتح كلامه مع الناس يبادئهم بالسلام والرحمة في مخاطبته إياهم ، ولا يفرّق بين الذمّي منهم والأمي ، ولا بين المؤمن والمشرك . والحق أن النبى كان ، مع احترامه لجميع البشر ، لا يحييهم جميعا بذات التحية . وهذا واضح من تحاياه على الأقل للملوك والزعماء غير المسلمين الذين أرسل إليهم يدعوهم إلى الإسلام ، إذ كان يكتفى بقوله: "سلْمٌ أنت" أو "السلام على من اتبع الهدى" أو "السلام على

من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله"، ولم يكن يقول: "السلام عليك ورحمة الله" كما يزعم كاتب الرسالة. وهذا من الوضوح بمكان بحيث لا يسع أى مسلم له أدنى اطلاع على السيرة النبوية أن يجهله، فما بالنا بمثل ذلك العالم الجليل المنتسب للدوحة الهاشمية والماتّ بصلة القرابة إلى خلفاء بنى العباس؟

٦- كذلك جاء فى رسالة الهاشمى المزعومة الحديثان التاليان منسوبين لرسول الله عليه السلام: "بُعِثْتُ بِحُسْنِ الخلق إلى الناس كافة، ولم أُبعث بالغلظة والفظاظة" و"محبة القريب ديانة وإيمان". وقد بحثت عن هذين الحديثين فى موسوعة الأحاديث الصحيحة والضعيفة المسماة: "تيسير الوصول إلى أحاديث الرسول" فى إصدارها التاسع المتاح بموقع "الدرر السنية"، فلم أجد لهما أى أثر لا بين الصحاح ولا بين الضعاف. بل لقد زدت فحاولت العثور على كلمة "فظاظة" أو "ديانة" فى أى حديث منسوب للرسول الكريم، صحيحا كان أو ضعيفا، فلم أوفق إلى شىء بالنسبة للكلمة الثانية، أما الأولى فلم أجدها وردت إلا على لسان اليهود فى رواية منقطعة ذكَرها ابنُ كثير فى تفسيره لقوله تعالى: "من كان عدوًا لجبريل فإنه نزّله على قلبك بإذن الله..."، وهو قولهم لعمر بن الخطاب لا للرسول عليه السلام، الذى لم يكن حاضرا: "إن جبريل مَلَك الفظاظة والغلظة والإعسار والتشديد والعذاب". ولا يعقل أن يكون الرجل من رواة الأحاديث ويجهل أن ذينك الحديثين لا وجود لهما لا بين صحيح الأحاديث النبوية الشريفة ولا ضعيفها. فتأمل أيها القارئ مغزى هذه النتائج!

٧- كذلك أجد من الصعوبة الصعبية أن يقول أى مسلم فى تلك الأيام، بَلْهَ هاشميا من بنى العباس، فضلا عن أن يكون هذا الهاشمى من رواة الأحاديث وخطباء المساجد الكبار: "ويقول الله مؤكدا"، ناسبا التأكيد

إلى الله سبحانه، فمثل هذه اللغة غريبة جدا جدا على كتّاب تلك العصور، بل إنى لأحسبها لا تزال حتى فى عصرنا هذا غريبة كما كانت آنذاك. وبالمثل لا أخال مسلما يسمّى كتب اليهود المعروفة بـ "العهد القديم" بـ "الكتب العتيقة"، أو كتب النصارى المعروفة بـ "العهد الجديد" بـ "الكتب الحديثة"، فضلا عن أن يسمى أى إنجيل بـ "البشارة" كما صنع الهاشمى فيما هو منسوب إليه مَيْنًا وزُورًا، دعك من أن يستخدم كلمة "مَحْق" للدلالة على الانكسار والاتضاع (لا على الشذوذ الجنسى بين النساء مرادفا لـ "السِّحَاق" كما كان يستعملها المسلمون أحيانا فى القديم)، وذلك فى حديثه عن رجال الدين النصارى و"قيامهم فيها (أى فى الأديرة) حفاة على المسوح والرماد باكين بكاءً كثيرًا متواترًا بانهمال دموع من الأعين والجفون متحبين بسحقٍ عجيب" كما نُسب إليه، فهذه كلها رطانة كتابية لم يكن يعرفها المسلمون وقتذاك، زيادة على ركاكة الكلام فى قوله: "قيامهم على المسوح والرماد"، إذ المسوح هى الملابس المتقشفة التى كان يلبسها بعض الرهبان إعلانا عن زهدهم فى الدنيا، والرماد معروف، وهو التراب المتخلف عن النار، فما معنى أن يقوم إنسان على المسوح والرماد؟ وكيف؟ ذلك كلام غريب لا يُتصوَّر صدوره من عربى فى القرن الثانى أو الثالث أو الرابع الهجرى ولا فيما بعد ذلك بعدة قرون، ودعنا من أن الهاشمى لم يكن عربيا عاديًا لا فى نسبه ولا فى ثقافته. كما أن المسلم لا يقول: "الإنجيل"، وهو يقصد الأناجيل التى كتبها (فيما يقال) متى ومرقص ويوحنا ولوقا، وأعمال الرسل ورسائلهم ورؤيا يوحنا، إذ الإنجيل فى الإسلام هو الكتاب الذى أنزله الله تعالى على عيسى لا الكتب التى كتبها بعض الناس بعد تركه عليه السلام الأرض. ومن المستحيل أن يدور فى ذهن أى مسلم أن أولئك الناس المسَمَّيْن فى العهد الجديد بـ "الرسل" والذين يدور حولهم سفر

أعمال الرسل" هم حواريّو المسيح كما جاء فى رسالة الهاشمى ، ذلك أن حواريى المسيح لا يمكن أن يكونوا كهؤلاء الناس من المثلّثين . وبالمثل لا يمكن أن يقول مسلم عالم ومن الهاشميين عن المسيح وحوارييه إنه "بعثهم إلى الأمم دُعاةً له"، لأن هذا القول يناقض ما جاء فى القرآن مرارا من أن عيسى عليه السلام إنما أُرْسِل لبنى إسرائيل ليس إلا ، وهو ما أكده الرسول حين قارن بين نفسه وبين إخوانه السابقين من الرسل والأنبياء بما فيهم طبعا السيد المسيح ، فقال إن كل نبى قبله كان يُبْعَث فى قومه خاصة ، أما هو فبُعِث إلى الناس كافّة . كذلك من المستحيل أن يُثْنِىَ مسلم على إيمان القساوسة والرهبان من أهل التثليث وعلى عبادتهم ورهبانيتهم وهو يقرأ فى القرآن ويتلو من أحاديث الرسول أنهم كفار وأنهم قد ابتدعوا تلك الرهبانية التى حرمها الله سبحانه وتعالى لمخالفتها سنة الفطرة ، بَلْهَ أن يكون المادح عالما من قرابة النبى له وزنه ومكانته ، وفى وقت كان المسلمون سادة للعالم لا يحتاجون إلى المواراة والالتواء فى حديثهم إلى أهل ذمتهم .

٨- وبالمثل فالمسلم ، فضلا عن أن يكون هذا المسلم عالما كبيرا كهذا الهاشمى المنسوبة له الرسالة التى بين أيدينا ، لا يتصور أن يكون المراد بالقسيسين والرهبان فى قوله تعالى من سورة "المائدة": ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [المائدة: ٨٢-٨٥] هم القساوسة والرهبان المؤمنين بالتثليث والصليب ، بل القساوسة والرهبان

الذين سمعوا القرآن على عهد النبى فبكَوْا حتى فاض الدمع من عيونهم وآمنوا بدينه . أى أنهم لم يعودوا نصارى ، بل أصبحوا مسلمين موحدين يتبعون دين النبى الكريم ، وهذا واضح من آيات سورة "المائدة" المارة آنفا لا مماراة فيه . ومن ثم لا يمكن القبول بأن ذلك الهاشمى قد كتب عن القساوسة والرهبان المثلثين فى عصر النبى هذا الكلام الذى لا يُتصَوَّر صدوره عن مسلم: " وعرف النبي عليه السلام، بما أُنزِل عليه من الوحي، صحة ضمائرهم ونياتهم ، وأنهم أصحاب المسيح حقًّا السائرون بسيرته الآخذون بسننه ، إذ كانوا لا يقبلون القتال ولا يستحلّون المال ولا يغشّون أحدا ولا يريدون بالناس سوءا ولا مكروهًا ، وأنهم طالبو السلامة ولا يصرّون على حقدٍ ولا عداوة" ، إذ لو كان أولئك القسس والرهبان أصحابا للمسيح وسائرين على سنته حقا كما يُنسَب القول بذلك للهاشمى لكانوا آمنوا بالرسول محمد عليه السلام . كما أن القرآن لا يثنى فى أى موضع فيه على أى واحد من أهل الكتاب على عهد الرسول عليه السلام إلا إذا كان قد ترك ما هو عليه والتحق بأمة المسلمين . أما سائر الأحبار والرهبان فيكفى أن نعرف من سورة "التوبة" ما قاله القرآن فى حقهم: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ

وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة: ٣٠ - ٣٥] حتى يتبين لنا استحالة صدور مثل ذلك المديح للقسس والرهبان من عالم مسلم في تلك العهود! كذلك يستحيل أن يقول المأمون عن النصرانية إنها دين آخرة، إذ معنى هذا أن من يعتنقها ناج يوم القيامة، وهو ما لا يمكن أن يقول به مسلم، لأن الدين عنده هو الإسلام، فهو الدين الوحيد الذى لا يصح الإيمان إلا به، أما أى دين آخر غير الإسلام فلا يصلح، إذ الإسلام يجب ما قبله من الأديان، وبخاصة تلك التى تعرضت للعبث والتحريف واتهم القرآن والحديث أصحابها بالكفر ونصّا على أن جهنم هى مصيرهم، بغض النظر عن اعتقاد كل إنسان فى دينه وصحته، وبغض النظر عن احترامنا بدورنا لاعتقاد كل إنسان.

٩- وينخرط الهاشمى، طبقا لما ينسبونه إليه، فى فاصل من الاستعراض الثقافى فيذكر قراءاته فى كتب القوم ومناظراته لرؤسائهم. وهو فاصل غير مفهوم، إذ المفروض أن الكندى يعرف كل ذلك عنه من واقع أنهما صديقان، ولا يعقل أن تكون بينهما كل تلك الصداقة التى يتحدث عنها مقدمو الرسالتين ثم يبقيا صامتين لا يتناقشان فى أمور الدين، وفجأة تطلع فى ذهن الهاشمى أن يكتب هذه الرسالة لصديقه يدعوه فيها إلى الإسلام، مما لا يقبله المنطق ولا يتسق مع طبائع الأشياء. بل هل يعقل أن يمضى الهاشمى فيحاضر الكندى فى دينه وكتُبه وفِرَقه، وكأنه يكلمه فى أمور لا يعرفها هذا الكندى، مع أنها من صميم دينه، ومن ثم فهو يعرفها معرفة مباشرة.

١٠- ومما تناوله الهاشمى فى رسالته كلامه عن النسطورية، الذين

سماهم: "أصحابك"، أي أصحاب الكندى، بما يدل على أن الكندى نسطورى. وقد انطلق فوصفهم بأنهم "أقرب وأشبه بأقاويل المنصفين من أهل الكلام والنظر وأكثرهم ميلاً إلى قولنا معشر المسلمين، وهم الذين حَمِد نبينا صلى الله عليه وسلم أمْرَهم ومَدَحهم وأعطاهم العهود والمواثيق، وجعل لهم من الذمة في عنقه وأعناق أصحابه ما جعل، وكتب لهم في ذلك الكتب، وسجل لهم السجلات، وأكد أمرهم عندما صاروا إليه حين أفضى الأمر إليه واستوثق له، فأتَوْه وتحرّموا بحرمته وذكّروه بمعونتهم إياه على إعلان أمره وإظهار دعوته. وذلك أن الرهبان كانوا يبشرونه ويخبرونه قبل نزول الوحي عليه بما مكّن الله له وصار إليه. فلذلك كان يُكْثِر توادّه لهم وإطالة محادثتهم، ويُرَى كثيرا عندهم مخاطبا لهم في تردّده إلى الشام وغيرها. وكان الرهبان وأصحاب الأديرة يكرمونه ويجلّونه طوعا، ويخبرون أصحابهم بما يريد الله أن يرفع من أمره ويعلن من ذكره، وكانت النصارى تميل إليه وتخبره بمكيدة اليهود ومشركي قريش وما يبتغونه له من الشرّ، مع مودتهم له وإجلالهم إياه وأصحابه".

وهذا كلام كله خبث وشيطنة، إذ متى عامل النبى النساطرة معاملة خاصة وأثنى عليهم؟ ومتى كان النساطرة يوادّونه ويساعدونه على رسالته ويعضدونه؟ وإذا كان هذا صحيحا فلم إذن يتسافه هذا الكندى النسطورى ويجرم فى حقه عليه السلام ويقول فيه الكلام البذيء الذى سوف نطّلع عليه بعد قليل إذا كان ما ينسبونه للهاشمى من أن النساطرة يحبونه عليه السلام ويوادونه ويعضدونه صحيحا؟ يقولون فى الأمثال الشعبية إن الجمل صعد النخلة، فقال أحدهم: هذا الجمل، وهذه النخلة، فأرونا كيف صعد الجمل النخلة. وهو ما نقوله نحن: هذا تاريخ الرسول، وهذا تاريخ النساطرة، فأرونا متى حدث ما ذكرتموه على لسان الهاشمى. إن الذين دعاهم النبى

من النصارى إلى الإسلام إما ناس أسلموا ، وهؤلاء لا شأن لنا بهم هنا ، وإما نصارى بَقُوا على ما كانوا عليه ، فدعاهم عليه السلام إلى المباهلة ، وهى الدعاء على الكاذب المدلس من الطرفين أن يهلكه الله ويخزيه ويلعنه هو وأهله من نساء وأبناء ، لكنهم حاصوا وهربوا من المباهلة وآثروا أن يدفعوا الجزية لمعرفتهم أنه نبى صادق ، لكن حظوظ الدنيا غلبتهم على ضمائرهم ومنعتهم من الدخول فى الدين الحق . فمتى كان النساطرة يتمتعون لديه بوضع خاص؟ إن هذا هو الكذب المبين ، لعنة الله على كل كذاب أفاك لئيم! ثم متى كان النبى عليه الصلاة والسلام يكثر من التردد على النساطرة ويحب محادثتهم؟ ترى ماذا كان يقول لهم ويقولون له؟ إن كاتب هذا القَىْءِ يريد اتهام الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه صنيعة نصرانية ، إذ كان يستمع إلى ما لدى القساوسة ويتعلم منهم حتى استطاع فى نهاية المطاف أن يصبح رسولا . الله أكبر! أرأيتم إلى هذا اللف والدوران؟ أرأيتم إلى هذا الخبث الحقير والكيد الوضيع وكيف يسندون اتهام الرسول إلى رجل من الهاشميين وعالم من علمائهم ، وفوق ذلك تقى متمسك أشد التمسك بدينه؟ إن الكذابين يزعمون أن الرسول عليه السلام كان يتردد على القساوسة كلما ذهب إلى الشام ، مع أن كل ما ذكره بعض كتاب السيرة أنه قابل بحيرا مرة واحدة وهو صبى صغير ، وأن تلك المقابلة كانت بطلب من بحيرا لا العكس ، وأن ذلك الراهب قد حذر عمه أبا طالب من كيد يهود ضد ابن أخيه لأنه سوف يكون نبيا . وهذا كل ما حدث ، فلا كلام ولا سماع ولا دياولو ، كما أن ذلك لم يتكرر مرة أخرى . وقد دفع مثل هذا الزعم الكاتب الأسكتلندى الشهير توماس كارلايل إلى السخرية من المستشرقين والمبشرين الذين يقولون إن الرسول قد تعلم على يد بحيرا ، متسائلا ما الذى يمكن أن يتعلمه صبى فى نحو الرابعة عشرة من راهب

كبيرا أو غيره لا يعرف لغته؟ (انظر كتابه: "الأبطال"/ ترجمة محمد السباعى/ كتاب الهلال/ العدد ٣٢٦/ فبراير ١٩٧٨م/ ٦٩) . كذلك يقول كاتب الرسالة إن قساوسة النساطرة كانو يجلونه هو وأصحابه، فهل كان للرسول آنذاك أصحاب، وهو لم يكن قد بدأ دعوته بعد، ومن ثم لم يكن له أتباع أصلا؟ وأعجب من ذلك وأبعث على الضحك أن يقال إن الوحى عندئذ قد نزل مثنيا عليهم بآيات سورة "المائدة" الآنفة الذكر والتى بينتُ قبل قليل أنها إنما نزلت فيمن أسلم من قِسِّيسِى النصارى ورهبانهم، رغم أنه لم يكن ثمة وحى بعد، إذ كيف ينزل وحى، والنبى لم يكن قد أصبح نبيا آنذاك، لأن الكلام هو عن رحلاته إلى الشام، ومعروف أنه صلى الله عليه وسلم لم يذهب إلى الشام من قبل بدء الدعوة بزمن؟ إن هذا لا يمكن صدوره من مسلم، فضلا عن عالم كبير من علماء المسلمين!

١١- ويقول الهاشمى فيما هو منسوب إليه: "ولقيتُ جماعةً من الرهبان المعروفين بشدة الزهد وكثرة العلم، ودخلتُ كنائسَ وأديرةً كثيرةً وحضرت صلواتهم تلك الطوال السبع التي يسمّونها: "صلوات الأوقات"، وهي صلاة الليل، وصلاة الغداة، وصلاة الثالثة التي هي صلاة السَّحَر، وصلاة نصف النهار، أعني صلاة الظهر، وصلاة التاسعة التي هي قريبة من وقت العصر والعِشاء، وصلاة الشفع وهي صلاة العِشاء المفروضة، وصلاة النوم التي يصلّونها قبل أخذهم مضاجعهم. ورأيت ذلك الاجتهاد العجيب والركوع والسجود بإلصاق الخدود بالأرض وضرب الجبهة والتكتُّف إلى انقضاء صلواتهم، خاصة في ليالي الآحاد وليالي الجُمَع وليالي الأعياد التي يسهرون فيها منتصبي الأرجل بالتسبيح والتقديس والتهليل الليل كله، ويصلّون ذلك بالقيام نهارهم أجمع، ويكثرون في صلواتهم ذكر الآب والابن والروح القدس، وأيام الاعتكاف التي يسمونها أيام الباعيث (صلوات الاستمطار)"،

فينبثق التساؤل التالى فى الحال: ماذا كان يصنع هذا الرجل بالضبط فى حياته؟ أوكان رجلا فاضيا بحيث إنه لم يجد ما يشغل به وقته سوى التردد على الكنائس والأديرة بل مواصلة النهار بالليل فيها؟ لكننا نعرف أن الأديرة كانت فى ذلك العصر مرتادا لجماعات من المجّان والسكارى المسلمين الذين يذهبون إلى هناك للتحرش بالرهبان الشبان، وما أدراكم ما الرهبان الشبان والتحرش بهم؟ فكيف شذ صاحبنا عن هذا؟ وإلى القارئ واحدة من القصص التى كانت تتكرر كثيرا فى ذلك العصر، وهى منقولة عن كتاب "الديارات" للأصفهاني: "كان بكر بن خارجة يتعشق غلاما نصرانيا يقال له: عيسى بن البراء العبادي الصيرفي، وله فيه قصيدة مزدوجة يذكر فيها النصارى وشرائعهم وأعيادهم، ويسمي دياراتهم، ويفضلهم. قال: وحدثني من شهد دعبلاً وقد أنشد قوله في عيسى بن البراء العبادي:

زنّارهُ في خصره معقودُ ::: كأنه من كبدي مقدودُ

فقال دعبل: ما يعلم الله أني حسدتُ أحدًا قط كما حسدت بكرًا على هذين البيتين! وقال بكر بن خارجة في عيسى بن البراء العبادي:

فبالإنجيل تتلوه شيوخٌ ::: رهابينٌ بدير الجاثليقِ
وبالقربان والصلبان إلا ::: رثيت لقلبيَ الدنِفِ المشوقِ
أجرْني، متُّ قبلك من همومي ::: وأرشدني إلى نهج الطريقِ
فقد ضاقت عليّ وجوه أمري ::: وأنت المستجارُ من المضيقِ

وكان بكر بن خارجة كثير المقام بهذا الدير مشتهرا بالشراب فيه، افتتانا بهذا الغلام النصراني، وفيه يقول أرجوزة مليحة منها قوله:

من عاشقٍ ناءٍ هواه دانِ ::: ناطقِ دمعٍ صامتِ اللسانِ
موثقِ قلبٍ مطلقِ الجثمانِ ::: معذّبٍ بالصدّ والهجرانِ
من غير ذنب كسبت يداهُ ::: إلا هوًى نمّت به عيناه
شوقًا إلى رؤية من أشقاه ::: كأنما عافاه من أبلاه

يا ويحه من عاشق ما يلقى :::: بأدمع منهلّة ما ترقى
ذاب إلى أن كاد يخفى عشقا :::: وعن دقيق الفكر فيه دقّا
لم يبق فيه غير طرف يبكي :::: بأدمع مثل نظام السلكِ
كأنه قطر السماء يحكي :::: يخمد نيران الهوى ويذكي
إلى غزالٍ من بني النصارى :::: عذارُ خديه سَبَى العذارى
يترك ألباب الورى حيارى :::: في ربقة الحبِّ له أسارى
ريمٌ بدير الروم رام قتلي :::: بمقلة كحلاء لا من كُحلِ
وطُرَّة بها استطار عقلي :::: وحُسْنِ دلٍّ وقبيح فعلِ
ها أنا ذا من قدِّه مقدودُ :::: والدمع من خدّي له أخدود
ما ضرَّ مَنْ قلبي به معمودُ :::: لو لم يكدِّر صَفْوَه الصدودُ؟
يا ليتني كنت له صليبا :::: فكنت منه أبدا قريبا
أُبصر حسنًا وأشمُّ طيبا :::: لا واشيًا أخشى ولا رقيبا
أو ليتني كنتُ له قُربانا :::: ألثم منه الفمَ والبنانا
أو جاثليقًا كنت أو مطرانا :::: كيما يرى الطاعة لي إيمانا
أو ليتني كنتُ له زُنّارا :::: يدور بي خصراه حيث دارا
حتى إذا الليل طوى النهارا :::: صرتُ له تحت الدجى إزارا
يا ليتني في النحر منه عُوذَة :::: أو خمرة يشربني ملذوذة
أو حلسة يلبسني مقدودة :::: ليست إذا ما أخلقت مقدودة
يا ليتني كنت لعمرٍو مصحفا :::: أو قلمًا يكتب بي ما ألفا
من حسن أشعارٍ له قد صنّفا :::: فإن لي من بعض هذا ما كفى
يا للذي بحسنه أضناني :::: وابتزَّ صبري والضنى كساني
ظبيٌّ على البعاد والتداني :::: حلَّ محلَّ الروح من جثماني
واكبدي من خده المضرَّج :::: واحزني من ثغره المفلّج
لا شيء مثل الطرف منه الأدعج :::: أذهب للنسك وللتحرج
إليك أشكو يا غزال الأنس :::: يا من هلالي وجهه وشمسي
ما بي من الوحشة بعد الأنس :::: لا تقتل النفسُ بغير النفس
ها أنا في بحر الهوى غريقُ :::: سكران من حبّك لا أفيقُ

محترقٌ ما مسَّني حريقٌ :::: يرحمني العدوُّ والصديقُ

ويقول فيها:

يا عمرو ناشدتك بالمسيح :::: ألا سمعت القول من نصيح
يعربُ عن قلبٍ له قريح :::: ليس من الحبِّ بمستريح؟
يا عمرو بالحق من اللاهوتِ :::: والروح روح القدس والناسوت
ذاك الذي قد خُصَّ بالنعوتِ :::: النطق في المهد وبالسكوت
بحق من في شامخ الصوامعِ :::: من ساجد لربه وراكعِ
يبكي إذا ما نام كلُّ هاجعِ :::: خوفاً من الله بدمعٍ هامعِ

ثمّ يقسم عليه بكل قسم يعرفه النصارى ويقول:

ألا نظرت يا أميرَ أمري :::: محتسبًا فيِّ عظيم الأجر؟

كذلك ألم يكن للهاشمى زوجة وأولاد وأهل يستفسرون منه عن سر ذلك التردد الكثير على دور العبادة النصرانية والبقاء الطويل فيها وتركهم دون عائل يقوم بمطالبهم؟ وهل من الممكن على من تكثّف أن يسجد أو أن يضرب نفسه؟ وهل يكون السجود بوضع الخد على الأرض؟ الواقع أن هذا كلام يبرجل الدماغ! ومرة أخرى نحن أمام محاضرة فى العبادات النصرانية ، ولا أظن الهاشمى ، لو كان شخصية حقيقية ، يمكن أن يتخرط فى هذا الدرس الذى لم يطلبه منه الكندى ولا يحتاج له . وعلى الناحية الأخرى نجد الكندى يشرح للهاشمى فى رده على رسالته ألفاظا فى كلامه لم تكن ثمة حاجة إلى شرحها ، إلا أن يكون الكندى قد افترض أن صاحبه من العوام فهو يشرحها له ، فهو يقول له أثناء حديثه عن جمع القرآن: "فاجتمع أمرهم وجمعوا ما كان حَفِظه الرجال من أجزائه كسورة "التوبة" التي كتبوها عن الأعرابي الذي جاءهم من البادية وغيره من الشاذ والواقد، وما كان مكتوبا على اللِّخاف (وهي حجارة بيض رقاق واحدتها لَخْفة ، وهي في حديث زيد بن ثابت جامع القرآن) والعُسُب (وهو جريد النخل) وعلى عظم الكتف

ونحو ذلك ، ولم يُجمع في مصحف". فهل مما يدخل المخ أن يكون الهاشمي بحاجة إلى من يشرح له معنى "العُسُب" و "اللّخاف"، وعلى يد من؟ على يد نصراني! ثم هل من المعقول أن يقضى الهاشمى كل تلك الأوقات فى الكنائس والأديرة مخالطا للقسيسين والرهبان مشاهدا ما يصنعون ويدخل معهم فى مجادلات حول الإسلام والنصرانية ثم لا يهتم بوضع رسائل فى المقارنة بين الديانتين للناس جميعا مسلمين ونصارى ما دامت حماسته للجدال الدينى على النحو الذى تعكسه رسالته للكندى؟ أوتلك الرسالة القصيرة المجملة هي كل ما جادت به قريحته بعد كل تلك التجارب الكنسية والديرية التى خاضها بسلامته طوال ذلك الوقت؟ والمضحك، وكل شىء فى تلك الرسالة مضحك، أن يقول للكندى إنه قد ذكر له كل شىء عن مشاهداته وتجاربه ونقاشاته فى الكنائس والأديرة حتى يعلم كل من يطلع على خطابه إليه أنه كان عالما بالقضية! ترى ما معنى هذه الإشارة إلى من يمكن أن يطلعوا على الخطاب، وهو ليس سوى خطاب شخصى المفروض أنه لن يطلع عليه أحد آخر سوى صاحبه؟ أما إذا كان في نيته أن يقرأه الآخرون، أفلم يكن الأحرى به أن يضع فى ذلك كتابا يقرؤه الناس جميعا كما قلنا قبل قليل؟ وأخيرا هل يعقل أن ينقضّ ذلك العالم المسلم على أهل دينه بهذه الحماقة وذلك الاحتقار تقربا إلى الكندى كما صنع فى سياق كلامه عن مناظراته مع القساوسة والرهبان: "ناظرتُهم مناظرةً نصفة طالبا للحق، مسقِطا بيني وبينهم اللجاج والمكابرة والصلف بالحسب، وأوْسعتُهم أمنا أن يقوموا بحجّتهم ويتكلموا بجميع ما يريدونه، غير مؤاخذٍ لهم بذلك ولا متعنّت عليهم في شيء كمناظرة الرّعاع والجهال والسفهاء من أهل ديانتنا، الذين لا أصل لهم ينتهون إليه ولا عقل فيهم يعوّلون عليه، ولا دين ولا أخلاق تحجبهم عن سوء الأدب، وإنما كلامهم العَنَت والمكابرة والمغالبة بسلطان الدولة بغير

علم ولا حجة". الحق أن هذا ليس كلام الهاشمى، بل كلام نصرانى خبيث حقود يهتبل الفرصة لإفراغ ما يكُظّ قلبه من سم هارٍ يمزق مصارينه!

١٢- وفى الرسالة المنسوبة إلى الهاشمى نقرأ أيضا، فيما نقرأ، قوله لصديقه النصرانى: "فأنا الآن أدعوك بهذه المعرفة كلها منّي بدينك الذي أنت عليه إلى هذا الدين الذي ارتضاه الله لي وارتضيته لنفسي، ضامنًا لك به الجنة ضمانًا صحيحًا والأمن من النار". والسؤال هو: أمن الممكن أن يتألّى مثل هذا الهاشمى على الله ويضمن الجنة لأحد من الخلق؟ فمن هو يا ترى؟ أهو الله؟ أم هو نبى من أنبياء الله تلقى الوحى بذلك من الله؟ لا هذا ولا ذاك، وأى مسلم يعرف أنه لا أحد من البشر يمكنه أن يعرف مصير أحد فى الآخرة: لا مصيره هو ولا مصير سواه. وهذا مفهوم فى الإسلام، ولا مماراة فيه، فكيف يقع فى هذه الغلطة البلقاء مثل ذلك العالم الكبير؟ هذا كلام رجل لا يعرف الإسلام، وهو من الأسباب القوية التى تدفع إلى التشكك الشديد فى الرسالة وفى نسبتها إلى عالم مسلم كهذا الهاشمى، الذى كان فوق ذلك من أهل الحديث وخطيبا لجامع المنصور فى بغداد.

١٣- وجاء فى كلام الهاشمى أيضا عن الشهادتين: "وهذه الشهادة هي الشهادة التي شهد الله بها قبل أن يخلق الخلائق، إذ كان على العرش مكتوبا: لا إله إلا الله. محمد رسول الله". وقد تقصيت هذا الحديث فى "الدرر السنية" فوجدت الآتى: "عن أبي هريرة قال: مكتوب على العرش لا إله إلا الله وحده لا شريك له، محمد عبدي ورسولي، أيدته بعلي بن أبي طالب، وذلك قوله (تعالى) في كتابه: "هو الذي أيدك بنصره و بالمؤمنين" يعني: بعلي". خلاصة الدرجة: كذب موضوع. المحدث: ابن تيمية. المصدر: منهاج السنة". فالحديث إذن موضوع لا أصل له، فهل من الممكن أن يردد عالم كالهاشمى مثل هذا الكلام الذى هو بالعوامّ أشبه، فضلا عن أن يذهب

مذهب الشيعة الذين لا يَرَوْن في الدنيا إلا عليًا كرم الله وجهه ولا يكادون يعترفون لأحد من الصحابة بشيء من الفضل إلا لأفراد قلائل منهم، مع أن ذلك الهاشمي هو من بني العباس، الذين كانوا يشيعون في المسلمين أن العم أقرب رحما بالنبي من ابن العم، كما كان شعراؤهم يقولون في الدعاية لهم وإقناع جماهير المسلمين بأنهم أحق بالخلافة من العلويين؟ ومنه قول أبان اللاحقيّ:

نَشدْتُ بحق الله من كان مسلما ::: أعَمُّ بما قد قلته العُجْم والعَرَبْ
أعم رسول الله أقرب زُلْفَةً ::: لديه أم ابن العم في رتبة النسبْ؟
وأيهما أوْلَى به وبعهده؟ ::: ومن ذا له حق التراث بما وجبْ؟
فإن كان عباسٌ أحقَّ بتلكمو ::: وكان عليٌّ بعد ذاك على سببْ
فأبناء عباسٍ همو يرثونه ::: كما العمُّ لابن العم في الإرث قد حَجَبْ

وقول مروان بن أبي حفصة:

يا بن الذي وَرِثَ النبيَّ محمدًا ::: دون الأقارب من ذوي الأرحام
الوحيُ بين بني البنات وبينكم ::: قَطَعَ الخصامَ، فلاتَ حين خصامِ
ما للنساء مع الرجال فريضةٌ ::: نزلت بذلك سورة الأنعام
أنَّى يكون، وليس ذاك بكائن ::: لبني البنات وراثة الأعمام؟
ألغى سهامَهم الكتابُ فحاولوا ::: أن يشرعوا فيها بغير سهام
ظفرتْ بنو ساقي الحجيج بحقهم ::: وغُررْتمو بتوهُّم الأحلام

وقول منصور النمري للرشيد:

يا ابنَ الأئمة من بَعْد النبي ويا ابـ ::: ـنَ الأوصياء أقرَّ الناسُ أو دَفَعُوا
إنَّ الخلافةَ كانتْ إرْثَ والدكمْ ::: من دُون تَيْمٍ، وعَفْوُ الله مُتَّسِعُ
لَوْلاَ عَدِيٌّ وتَيْمٌ لم تكنْ وَصَلَتْ ::: إلى أُمَيَّةَ تمْريها وتَرْتَضِعُ
وما لآلِ عَليٍّ في إمارتكمْ ::: وما لهم أبدًا في إرْثكُمْ طَمَعُ
يا أيها الناسُ لا تَعْزُبْ حُلومُكُمْ ::: ولا تُضفْكُمْ إلى أكْنافها البِدَعُ
العَمُّ أَوْلى من ابْنِ العَمِّ، فاستمعوا ::: قَوْلَ النَّصيحة. إنَّ الحَقَّ مُسْتَمَعُ

١٤- ومما لا يقتنع به العقل أبدا ولا يصدّق أن من الممكن صدوره عن عالم مسلم قول الهاشمى يدعو الكندى إلى الدخول فى الإسلام وتأدية الصلاة: "وأدعوك إلى الصلوات الخمس التي مَنْ صلاّها م يخب ولم يخسر بل يربح ويكون في الدنيا والآخرة من الفائزين ، وهي الفرض فيها فرضان: فرضٌ من الله ، وفرضٌ من رسوله مثل الوتر . وهي ثلاث ركعات بعد العشاء الأخيرة ، وركعتان في الفجر ، وركعتان بعد الظهر ، وركعتان بعد المغرب . فمن ترك شيئا من هذه فليس بجائزٍ له ، ويجب على من تركها أياما الأدب ويُستتاب منه". فهل يقال فى الإسلام إن الصلاة فرضان: فرض من الله ، وفرض من الرسول؟ إن المعروف أن الصلاة نوعان: فرض وسنة ، فأما الفرض ففاعله مأجور مثاب ، وتاركه يعاقب عليه ، وأما السنة فمؤديها مأجور ، وتاركها غير آثم ، بخلاف ما زعمه الهاشمى من أن لتارك الصلاة بنوعيها ، دون تفريق بين فرض ونافلة ، عقوبة واستتابة ، إذ لا عقاب على تارك النوافل كما هو معلوم للمسلمين كافة . أما القول بأن ثمة عقوبة على من لم يصلّ النوافل فهو هزل لا يليق! ثم هل فرغ الهاشمى من كل شيء مع الكندى ، ودخل الكندى الإسلام ، ولم يبق إلا أن يفرّق له بين العشاء والعَتَمَة ويعلّمه أن الرسول قد نهى عن تسمية العشاء بـ"العَتَمة": "وقد نهى رسول الله أن يُقال: العَتَمة ، وقال: هي عتمة الليل ، وإنما سُمّيَتْ: "عَتَمَة" لتأخرها في العِشاء وإبطائها"؟ ألا إن هذا لمما يبعث على القهقهة!

١٥- ويمضى الهاشمى قائلا لصديقه النسطورى: "ثم أدعوك إلى الحج إلى بيت الله الحرام الذي بمكة ، والنظر إلى حرم رسول الله وآثاره ومواضعه المباركة وتلك المشاعر العجيبة" مما يدل ، كما هو واضح جلىّ ، على أن حرم رسول الله هو المسجد الحرام . فهل يسمى المسجد الحرام: "حرم رسول الله"؟ فضلا عن أنه ليس هناك فى كتب الموسوعة الشعرية ، وهى بالمئات ، عبارة

"المشاعر العجيبة". وفى "المياه والأمكنة والجبال" للزمخشرى نقرأ أن "الحرم مكة وما حولها، وحرم رسول الله ﷺ المدينة". وفى كتب الأدب العربى القديمة أن الأنصار ذهبوا إلى عمر بن عبد العزيز وكلموه فى رد الأحوص الشاعر إلى "حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم"، أى إلى المدينة. وكذلك جاء على لسان عائشة رضى الله عنها أن عثمان قُتِل وطُلَّ دمه (أى ذهب هدْرًا) فى "حرم رسول الله"، أى فى المدينة. وجاء على لسان عبد المطلب فى كتب التاريخ والسيرة قوله عن نفسه وقومه، وكذلك قول غيره عنهم، إنهم "أهل حرم الله"، أى مكة. كما يشار كثيرا فى كتب الأدب والتاريخ إلى مكة بأنها "حرم الله"، وإلى المدينة بأنها "حرم رسول الله"، وإلى أهل المدينة بأنهم "أهل حرم رسول الله"، ولا يوجد فى أى كتاب أن المسجد الحرام هو حرم رسول الله.

١٦- وثمة أخطاء أخرى لا تليق بأن يقع فيها مثل ذلك العالم المبجَّل، منها قوله عن شفاعة النبى يوم القيامة: "ويقول الرحمن للملائكة: إني أستحي أن أردّ شفاعة صفيي وحبيبي محمد"، فأين هذا الكلام؟ ومن أين أتى به الكاتب؟ هل يعقل أن يقول هذا رجل من رجال الحديث؟ لقد بحثت عنه فى "موسوعة الأحاديث" فى كل من موقع "الدرر السنية" وموقع "بلِّغوا عنى ولو آية"، فلم أجده لا فى الأحاديث الصحيحة ولا فى الضعيفة. ومنها أيضا: "وأما الزكاة فهي ربع العُشر"، مع أن هذه النسبة إنما هى فى أنواع معينة من الأموال فقط، أما فى الأنواع الباقية فالنسبة مختلفة عن ذلك، وهو ما يدل على أن الكاتب لا يعرف الإسلام إلا لماما. ثم إنه يضيف قائلا: "إذا أتى على المال وهو في ملك صاحبه حَوْلٌ كاملٌ، فتَصْرِف ذلك على المساكين من ملّتك والفقراء من أهلك"، وتعليقنا هو أن مستحقى الزكاة أكثر من ذلك، إذ هم ثمانية أصناف من البشر، فأين الباقون؟ مرة

أخرى هذا كلام رجل لا يعرف الإسلام إلا لماما . ومن ذلك أيضا قوله إن الله ليحب أن يؤخذ بعزائمه وتشديداته . فهل إلى هذا الحد يجهل الهاشمي المزعوم حديث رسول الله في ذلك الموضوع فلا يستطيع أن يورده على الوجه الصحيح الذي يدل على أن الله سبحانه يحب لعباده اليسر لا العسر وأنه إذا كان ثمة رخصة فهو يريد للمسلم الأخذ بها ، إذ يقول الرسول الكريم: "إن الله يحب أن تُؤتَى رُخَصه كما يكره أن تُؤتَى معصيته" ، وفي رواية أخرى: "إن الله يحب أن تُؤتَى رُخَصه كما يحب أن تُؤتَى عزائمه"؟ ثم إنه ليس في الإسلام أية تشديدات ، بل جاء نبينا الرحيم برسالة اليسر والتيسير وأعفى الناس مما كان في دين اليهود من تشديداتٍ مُعْنِتَةٍ كان الله قد عاقبهم بها جراء تمردهم وعصيانهم ومسارعتهم في كل مناسبة إلى الكفر؟ بل إن لفظ "التشديدات" لا وجود له في القرآن الكريم ولا في الحديث الشريف لا بصيغة المفرد ولا بصيغة الجمع بأي حال من الأحوال . ومرة أخرى بحثت عن كلمة "تشديدات" في "الموسوعة الشعرية" في كلا القسمين: قسم الشعر الذي يضم كل الشعر العربي تقريبا حتى منتصف القرن الماضي ، وقسم المكتبة التي تضم عدة مئات من أشهر كتب التراث ، وكذلك في "المكتبة التراثية" بموقع الوراق ، فلم يرتدّ لي من البحث إلا أربعة شواهد كلها من كتب لاحقة للتاريخ الذي ينتمي إليه كاتبا الرسالتين على أبعد تقدير ، وهذه الشواهد موجودة في الكتب المنشورة في موقع "الوراق" فقط .

١٧- وأخيرا فقد ختم الهاشمي رسالته بالعيب على دين الكندي وعقائده وعباداته وشرائعه وعقله ، إذ يقول له: "فدع ما أنت فيه من تلك الضلالة وتلك الحمية الشديدة الطويلة المتعبة ، وجهد ذلك الصوم الصعب والشقاء الدائم الذي أنت منغمس فيه ، الذي لا يجدي عليك نفعا إلا

إتعابك بدنك وتعذيبك نفسك، وقولك بذلك التخليط الذي تعرفه ولا تنكره، وهو قولكم بالآب والابن والروح القدس، وعبادة الصليب التي تضر ولا تنفع، فإني أربأ بك عنه وأجلُّ فيه علمك وشرف حسبك عن خساسته، فإني وجدت الله تبارك وتعالى يقول: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [النساء: ٤٨]، وقال: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [المائدة: ٧٢ - ٧٥] . . . فقد نصحتُ لك يا هذا وأدّيتُ إليك حق المودّة وخالص المحبة، إذ أحببتُ أن أخلطك بنفسي، وأن أكون أنا وأنت على رأي واحد وديانة واحدة. فإني وجدت ربي يقول: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾ ﴾ [البينة: ٦ - ٨]، وقال في موضع آخر: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]. وأشفقت عليك أن تكون من أهل النار الذين هم شر البرية، ورجوت أن تكون بتوفيق الله إياك من المؤمنين الذين رَضِيَ الله عنهم ورَضُوا عنه وهم خير البرية، ورجوت أن تكون من هذه الأمة التي هي خير أمة أُخرجت للناس... فَدَعْ ما أنت فيه من تلك الضلالة وتلك الحمية الشديدة الطويلة المتعبة، وجهد ذلك الصوم

الصعب والشقاء الدائم الذي أنت منغمس فيه، الذي لا يجدي عليك نفعا إلا إتعابك بدنك وتعذيبك نفسك . . . فإن أبَيْتَ إلاّ جهلاً وتماديًا في كفرك وطغيانك الذي أنت فيه . . . "، وهذا يناقض ما كان قد كاله قبلا من ثناء له وللقساوسة والرهبان، وللنصرانية أيضا في بعض الأحيان، فكيف ذلك؟

١٨- وبالمناسبة فقد كان المخطوط الأصلى الذى حققه وطبعه الدكتور تين (Dr.Tien) خاليا من اسمَيْ صاحِبَي الرسالتين، وهذا هو نص المقدمة التى كانت فى المخطوط ثم تم حذفه وكُتِبَ مكانه الاسمان: "ذُكِر أنه كان فى زمن عبد الله المأمون رجل من نبلاء الهاشميّين، وأظنّه من ولد العباس قريب القرابة من الخليفة، معروفٌ بالنسك والورع والتمسك بدين الإسلام وشدّة الإغراق فيه والقيام بفرائضه وسننه مشهورٌ بذلك عند الخاصة والعامة . وكان له صديق من الفضلاء ذو أدبٍ وعِلْم كِنْدِيّ الأصل مشهورٌ بالتمسك بدين النصرانية، وكان فى خدمة الخليفة وقريبا منه مكانا، فكانا يتوادّان ويتحابّان ويثق كل منهما بصاحبه وبالإخلاص له . وكان أمير المؤمنين وجماعة أصحابه والمتّصلون به قد عرفوهما بذلك، وكرهنا أن نذكر اسميهما لعلة من العلل . فكتب الهاشمى الى النصرانى كتابا هذه نسخته". وهذا يدل، كما سبق الإيماء، على أن فى الأمر كثيرا من الاضطراب من شأنه أن يلقى الريبة فى الصدور، وبخاصة أننا نقرأ فى مقدمة الطبعة العربية أن ناشريها قد أجْرَوْا فيها بعض التعديلات والتغييرات حسبما يقول النص التالى: "ويسرنا أن نقدم للقارئ العربي رسالتي الهاشمي والكِنْدي في هذه الطبعة الحديثة التي قدمنا فيها رسالة الهاشمي كما وجدناها، أما رسالة الكندي للهاشمي فقد حذفنا منها المترادفات، والتكرار، والتحيات، ونقلنا الاقتباسات الكتابية من ترجمة بيروت المعروفة بترجمة البستاني . وقد تركنا كلمة "نصارى ونصرانية" كما هي رغم معرفتنا أن المقصود بها هنا هو

"المسيحية" وليس فرقة النصارى". كما أن وليام موير حين ترجم الرسالة المنسوبة للكندى لم يترجمها كاملة كما هى، بل اكتفى بترجمة مختارات منها وحذف الباقى كما أخبرنا فى المقدمة (ص ٨)، بما يدل على أن النص الأصلى لم يبق على حاله. وهنا أرجو أن ينتبه القراء إلى دلالة اسمَىْ صاحِبَيِ الرسالتين: عبد الله بن إسماعيل، وعبد المسيح بن إسحاق. فـ"عبد المسيح" تقابل "عبد الله"، و"إسحاق" تقابل "إسماعيل"، على اعتبار أن المسلم يتعبد لله، على حين يتعبد النصرانى للمسيح، وينتسب المسلم إلى إسماعيل، أما النصرانى فهو يفضل أن ينتسب إلى إسحاق، على أساس أن إسماعيل هو ابن إبراهيم الذى إليه يعتزى العرب، ومنهم محمد صلى الله عليه وسلم، بينما إسحاق هو ابنه الآخر الذى إليه ينتسب بنو إسرائيل، ومنهم المسيح عليه السلام. لكل ما سبق فإننى أرجح أن الرسالتين مصنوعتان صنعا على يد نصرانى لم يصرح باسمه بل تخفى وراء الاسمين المذكورين.

هذا ما عنّ لنا فيما يخص رسالة الهاشمى، أو بالأحرى: الرسالة المنسوبة إلى الهاشمى، أما بالنسبة إلى رسالة الكندى المزعوم، ذلك الذى لا نعرف عنه شيئا بالمرة، فإلى القارئ العزيز ملاحظاتنا عليها:

١- يلاحظ إسراف الكاتب فى تبجيل الخليفة (الذى من المفترض أنه هو المأمون، والذى رأينا أنه لا يمكن أن يكون المأمون)، فى الوقت الذى يتسافه فى حق رسول الله. ولا أدرى كيف يكون ذلك، وهو ما يدفعنى إلى القول بأن الرسالة لم تكن فى الأصل هكذا رغم أنها (كما قلت) لا تبعث أبدا على الاطمئنان إلى أن مؤلفها هو الكندى، بل دخلها عبث كثير مع هذا. ذلك أن من يحرص على تبجيل الخليفة كل هذا التبجيل وعلى التخاشع أمامه بكل تلك المذلة لا بد أن يحرص، على الأقل، على ألا يمس

الرسول الذى يحكم ذلك الخليفة باسمه فلا يصفه بـ " صاحبك الجلف " مثلا ، وهو الوصف الذى لو كان قد كتبه الكاتب فعلا إلى أحد المسلمين لكان قد ضربه بما فى قدمه على وجهه وحطم أنفه ومرغه فى الطين ، إذ ليس الأمر هنا أمر حرية تفكير وتعبير بل أمر تسافه وتباذؤ على أكبر رمز عند المسلمين ، وبالذات فى تلك العصور حيث كانت الدولة تقوم على العقيدة والشريعة اللتين أتى بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم . فإذا أضفنا إلى ذلك أن الخلفاء العباسيين هم من نفس السلالة التى منها رسول الله تبين لنا كيف كان من المستحيل اجتراء مثل ذلك الكلب الكندى على تناول رسول الله فى رسالة له إلى أحد بنى العباس بما تناوله به! ولست محتاجا إلى الإشارة إلى قلة أدب الكندى المزعوم وسفاهة عقله وعمى قلبه عن أنه لا يصح له قول ما قال فى حق رجل غيّر مسار التاريخ وعلّم البشر من قيم الحضارة والرقىّ الإنسانى والاجتماعى والأخلاقى ما كانت تجهله وما زالت تجهله حتى الآن! لكن ما علينا ، فإن الحلاليف من أمثال هذا الوغد لا يمكنها أن تقدر اللآلئ قدرها الحق . ذلك أن قيمة اللآلئ إنما يعرفها خبراء الحلىّ والأحجار الثمينة ، أما الحلاليف فهى ، راحت أم جاءت ، حلاليف لا تفهم إلا فى تشمم الزبالة وغمس قراطيسها فيها بحثا عن الفضلات! وإلى القارئ بعض ما قاله ذلك الكلب النجس عن الخليفة: " قرأت رسالتك وحمدت الله على ما وُهب لي من رأي سيدي أمير المؤمنين ، ودعوت الله الذي لا يخيب داعيه إذا دعاه بنيّة صادقة أن يطيل بقاء سيدنا أمير المؤمنين في أسبغ النعم برحمته " . ومن الواضح أنه يكذب أيضا فى إشارته إلى ما وُهب له من رأى سيده أمير المؤمنين ، إذ ليس فى رسالة الهاشمى أية إشارة من قريب أو من بعيد إلى أنه كان لأمير المؤمنين (أيا ما يكن أمير المؤمنين ذاك) رأى يخص ذلك الكلب الدنس!

٢- ومما قاله الكندى المزيف لصديقه المسلم: "مكتوب في التوراة التي أنزلها الله تعالى على موسى النبي، وناجاه بجميع ما فيها وخبّره أسراره في السفر الأول من أسفارها الخمسة، وهو المعروف بسفر "الخليقة" (التكوين)، أن إبراهيم كان نازلاً مع آبائه بحاران، وأن الله تجلّى له بعد تسعين سنة، فآمن به وحُسِب له ذلك بِرًّا. ولكنه كان قبل ذلك التجلّي يعبد الصنم المسمّى: العزّى، المتّخذ على اسم القمر، لأن أهل حاران كانوا يعبدون هذا الصنم، فكان إبراهيم يعبد الصنم حنيفًا مع آبائه وأجداده وأهل بلده كما أقررتَ أنت أيها الحنيف وشهدتَ بذلك عليه، إلى أن تجلّى الله له فَآمَنَ بِالرَّبِّ فَحَسِبَهُ لَهُ بِرًّا (تكوين ١٥: ٦). فترك الحنيفية التي هي عبادة الأصنام، وصار موحّدًا مؤمنًا، لأننا نجد الحنيفية في كتب الله المنزلة اسمًا لعبادة الأصنام، فورّث إبراهيم ذلك التوحيد إسحق، الذي هو ابن الموعد، وهو الذي قرّبه لله ففداه الله بالكبش، لأنه هكذا أمره الله: خُذِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ الَّذِي تُحِبُّهُ إِسْحَاقَ وَاذْهَبْ إِلَى أَرْضِ الْمُرِيَّا، وَأَصْعِدْهُ هُنَاكَ مُحْرَقَةً عَلَى أَحَدِ الْجِبَالِ الَّذِي أَقُولُ لَكَ (تك ٢٢: ٢)". ولو رجعنا إلى سفر "التكوين" (أو سفر "الخليقة" كما سماه الكلب النجس كاتب الرسالة) لتبين لنا أنه كذاب قرارى لا يخجل ولا يستحى على وجهه، إذ ليس فى ذلك السِّفْر ولا فى أى سفر آخر من الكتاب المقدس عنده هو وأمثاله شيء مما زعم: فليس فيه أن إبراهيم كان وثنيا يعبد الأصنام. وليس فيه كلمة "حنيف" ولا "حنيفية". وليس فيه أن الله قد اختار إبراهيم بعد بلوغه التسعين من عمره، بل قبل ذلك بطويل زمن. والسفر المذكور ما زال بحمد الله موجودا فى العهد القديم، فليرجع إليه القارئ بنفسه ليرى مدى الكيد الدنس الذى يتعامل به ذلك المأفون مع خصمه المسلم المزعوم. ومن بجاحته وعراقته فى الكذب أنه يقوّل خصمه المسلم ما لم يقل، لكن الله قد أبى إلا أن يفضح

مؤلفهما فجعله يناقض نفسه بنفسه ويكذّب نفسه بنفسه، فهو يقول مثلا للمسلم: "كان إبراهيم يعبد الصنم حنيفًا مع آبائه وأجداده وأهل بلده كما أقررتَ أنت أيها الحنيف وشهدتَ بذلك عليه"، مع أن المسلم لم يقل شيئا من ذلك، أو بالأحرى: أن الذى كتب رسالة المسلم لم يقل على لسان المسلم شيئا من ذلك، لكن إرادة الله اقتضت فضحه وهتك الستر عن سوأته أمام أبصار الناس جميعا!

وفى ص ٧٧ وما بعدها من كتاب "أعاجيب الأكاذيب" لمحمد جواد، وهو متاح على المشباك لمن يطلبه، يطالع القارئ خلاصة تحقيق ذلك العالم لتلك المسألة فى السطور التالية المخزية للكندى الكذاب الذى يجرى على سنة أمثاله فى الافتراء والتدليس والتزييف دون أن يطرف له جفن. يقول الأستاذ محمد جواد: "قال عبد الله الهاشمي في صحيفة ١٢ في ذكر إبراهيم النبي عليه السلام: "ملّة أبينا إبراهيم، فإنه كان حنيفًا مسلمًا"، وذكر في صحيفة ٦ قول الله تعالى في سورة "آل عمران": ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٧]، فقال عبد المسيح، صحيفة ٣٠، إن إبراهيم إنما كان نازلا بحرّان مع آبائه تسعين سنة، لم يعبد إلاّ الصنم المسمّى بالعزّى. ثم قال: فكان إبراهيم يعبد الصنم حنيفًا مع آبائه وأجداده وأهل بلده، كما أقررت به أنت أيها الحنيف وشهدت به، إلى أن تجلّى الله له. ثم قال: لأنا نجد الحنيفيّة في كتب الله المنزلة اسمًا لعبادة الأصنام. فليت شعري من أين ينسب عبادةَ الأصنام لإبراهيم، ولم يجئ هذا ذكر في توراته ولا كُتُب وحيه؟! وأما قوله إن إبراهيم إنما كان نازلا بحرّان مع آبائه تسعين سنة، لم يعبد إلاّ الصنم المسمّى بالعزّى، فإنه قد اشتمل على أكاذيب عديدة:

(١) إنّ توراتهم تكذّب قوله هذا، فإنها تذكر في أواخر الأصحاح

الحادي عشر من سفر التكوين أن إبراهيم كان ساكنًا في أرض ميلاده أور الكلدانيّين فيما بين النهرين وبقي فيها إلى أن تزوّج هو وأخوه الأصغر منه هاران ، وولد لهاران ولده لوط ، ثم خرج من أور الكلدانيين ليذهبوا إلى أرض كنعان فأتى إلى حاران . فأين نزوله تسعين سنة مع آبائه في حاران؟ وأيضًا في الأصحاح الثاني عشر من التكوين ، في العدد الرابع ، أن إبراهيم لما خرج من حاران وأتى إلى أرض كنعان كان عمره خمسًا وسبعين سنة ، فأين تكون التسعون سنة في حاران؟ وبمقتضى دلالة التوراة وتواريخهم أن إبراهيم لم يسكن في حاران إلاّ سنين قليلة ، وتواريخهم المعلّقة على توارتهم تذكر أن خروجه من بلاده أرض الكلدانيّين كان سنة ١٩٢٣ قبل المسيح ، وخروجه من حاران كان سنة ١٩٢١ قبل المسيح ، فيكون مكثه في حاران سنتين ، فأين التسعون سنة؟!

(٢) إن إبراهيم لم يكن له آباء وأجداد في حاران .

(٣) إن عبد الله الهاشمي لم يعترف ولم يشهد بأن إبراهيم كان عابد وثن ، وإنما ذكر من القرآن الكريم أنه "كان حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين" ، فما هذه الأكاذيب المتتابعة؟

وأيضًا أين عبد المسيح عن مقدّسه كتاب العهد الجديد؟ فإنه يذكر في "أعمال الرسل" ، في الأصحاح السابع في العدد الثاني ، أنّ الله ظهر لإبراهيم وهو فيما بين النهرين قبلما سكن في حاران ، وأمره بالخروج إلى الأرض التي يريه الله إيّاها وهي أرض كنعان ، فخرج بأمر الله ووحيه . فإبراهيم دخل حاران وسكن فيها وهو نبيٌّ مُوحًى إليه ، فأين تكون عبادته للأصنام في حاران؟ هَبْ أن في الكذب للكاذب شرفًا ودينًا ، ولكن ما ذنب إبراهيم مع عبد المسيح ، الشخصي أو النوعي ، حتى يرمي قُدْسه بعبادة الأصنام ، ويكذب عليه بهتانًا وزورًا؟ ومن الظرائف قول عبد المسيح: "لأنا نجد

"الحنيفية" في كتب الله المنزلة اسمًا لعبادة الأصنام"! ويا للعجب! هذه الكتب التي يزعم عبد المسيح وأصحابه أنها منزلة من الله بين أيدينا، وليَضمّوا إليها أيضًا ما رفضته المجامع، وما رفضه البروتستنت من كتبهم، ويُرُونا أين يوجد فيها أن "الحنيفية" اسم لعبادة الأصنام؟ أفلا يعلمون أن في المسلمين من قرأ كتبهم حرفًا حرفًا؟ ولكن ماذا نقول؟

لا تنتهي الأنفسُ عن غيِّها ::: ما لم يكن منها لها زاجر

أيها القارئ، ما هو حالك في الدهشة والأسف عن الصدق والأمانة والشرف والاستقامة والدين؟ هب أن الناس يتسامحون في الكذب في الأمور الدنيوية ومعاملات المعيشة، ولكن الديانة المطلوب بها الهدى والصلاح والاستقامة كيف يُبْنى أمرها على الكذب الصريح المتسلسل من رجال الدعوة إلى الدين، ومن الكتب المنسوبة إلى الوحي الإلهي؟ فأين الشرف والأمانة والصلاح؟! وأين الدين والتقوى؟! وما هذه الجراة على قدس الرسل والأنبياء والصالحين؟ وما هذه الجرأة القبيحة على جلال الله وقدسه؟ ويا للعجب المدهش من أناس يدعوننا بمثل ما ذكرناه من الكذب إلى مثل ما ذكرناه من الكذب والجرأة على جلال الله وقدسه! ويا للأسف! وحسبنا الله ونعم الوكيل، وسبحان ربك رب العزّة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين".

هذا ما قاله محمد جواد، ولكي يتابع معنا القارئ ما نقول أرى أن أضع بين يديه ما كتبه مؤلف سِفْر "التكوين" عن إبراهيم عليه السلام فيما يتعلق بتلك الفترة التي يشير إليها ذلك المدلّس، وهو موجود في الإصحاحين الحادي عشر والثاني عشر: "[٢٧] وَهذِهِ مَوَالِيدُ تَارَحَ: وَلَدَ تَارَحُ أَبْرَامَ وَنَاحُورَ وَهَارَانَ. وَوَلَدَ هَارَانُ لُوطًا. [٢٨] وَمَاتَ هَارَانُ قَبْلَ تَارَحَ أَبِيهِ فِي أَرْضِ مِيلاَدِهِ فِي أُورِ الْكَلْدَانِيِّينَ. [٢٩] وَاتَّخَذَ أَبْرَامُ وَنَاحُورُ لأَنْفُسِهِمَا امْرَأَتَيْنِ: اسْمُ امْرَأَةِ

أَبْـرَامَ سَارَايُ، وَاسْمُ امْرَأَةِ نَاحُورَ مِلْكَةُ بِنْتُ هَارَانَ، أَبِي مِلْكَةَ وَأَبِي يِسْكَةَ.
[٣٠]وَكَانَـتْ سَارَايُ عَاقِرًا لَيْسَ لَهَا وَلَدٌ. [٣١]وَأَخَذَ تَارَحُ أَبْرَامَ ابْنَهُ، وَلُوطًا بْنَ
هَـارَانَ، ابْـنَ ابْـنِهِ، وَسَارَايَ كَنَّتَهُ امْـرَأَةَ أَبْـرَامَ ابْـنِهِ، فَخَرَجُوا مَعًا مِنْ أُورِ
الْكَلْدَانِيِّينَ لِيَذْهَبُوا إِلَى أَرْضِ كَـنْعَانَ. فَأَتَـوْا إِلَـى حَارَانَ وَأَقَامُوا هُنَاكَ.
[٣٢]وَكَانَـتْ أَيَّامُ تَـارَحَ مِئَتَيْنِ وَخَمْسَ سِنِينَ. وَمَاتَ تَارَحُ فِي حَارَانَ. [١]وَقَالَ
الرَّبُّ لأَبْرَامَ: «اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الأَرْضِ
الَّتِي أُرِيكَ. [٢]فَأَجْعَلَكَ أُمَّةً عَظِيمَةً وَأُبَارِكَكَ وَأُعَظِّمَ اسْمَكَ، وَتَكُونَ بَرَكَةً.
[٣]وَأُبَـارِكُ مُبَارِكِـيكَ، وَلاَعِـنَكَ أَلْعَنُهُ. وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ».
[٤]فَـذَهَبَ أَبْـرَامُ كَمَـا قَـالَ لَهُ الرَّبُّ وَذَهَبَ مَعَهُ لُوطٌ. وَكَانَ أَبْرَامُ ابْنَ خَمْسٍ
وَسَبْعِينَ سَنَةً لَمَّا خَرَجَ مِنْ حَارَانَ. [٥]فَأَخَذَ أَبْرَامُ سَارَايَ امْرَأَتَهُ، وَلُوطًا ابْنَ
أَخِيهِ، وَكُلَّ مُقْتَنَيَاتِهِمَا الَّتِي اقْتَنَيَا وَالنُّفُوسَ الَّتِي امْتَلَكَا فِي حَارَانَ. وَخَرَجُوا
لِيَذْهَبُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ. فَأَتَوْا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ". وكما يرى القارئ ليس

فى النص أى كلام عن عبادة إبراهيم للأوثان، وليس فيه لفظة "حنيف"، وليس فيه أن إبراهيم ظل فى حاران حتى بلغ التسعين من عمره، وليس فيه أن الله تجلى له وهو ابن تسعين عاما، بل الذى فيه أنه تجلى له وهو ابن خمسة وسبعين. ورغم ذلك يقول مؤلف "أعمال الرسل" (فى الإصحاح السابع منه) إن الله تجلى لإبراهيم قبل ذلك بكثير حين كان لا يزال فى أرض الكلدانيين، وهو ما ينقض ما قرأناه لتونا فى سفر "التكوين": "ظَهَرَ

إِلهُ الْمَجْدِ لأَبِينَا إِبْرَاهِيمَ وَهُوَ فِي مَا بَيْنَ النَّهْرَيْنِ، قَبْلَمَا سَكَنَ فِي حَارَانَ
[٣]وَقَالَ لَهُ: اخْرُجْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ، وَهَلُمَّ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ.
[٤]فَخَرَجَ حِينَئِذٍ مِنْ أَرْضِ الْكَلْدَانِيِّينَ وَسَكَنَ فِي حَارَانَ. وَمِنْ هُنَاكَ نَقَلَهُ، بَعْدَ
مَا مَاتَ أَبُوهُ، إِلَى هذِهِ الأَرْضِ الَّتِي أَنْتُمُ الآنَ سَاكِنُونَ فِيهَا. [٥]وَلَمْ يُعْطِهِ فِيهَا
مِيرَاثًا وَلاَ وَطْأَةَ قَدَمٍ، وَلكِنْ وَعَدَ أَنْ يُعْطِيَهَا مُلْكًا لَهُ وَلِنَسْلِهِ مِنْ بَعْدِهِ".

٣- ويمضي الكذاب قائلا إنه "من نسل إسحق من سارة الحرة خرج المسيح مخلص العالم"، ولن أسوق في الرد على ذلك الهراء ونقضه وتدميره إلا ما قاله الإنجيل المنسوب لمن اسمه متى في أول فقرة من أول إصحاح منه، وهو يجرى على النحو التالي: "[١] كِتَابُ مِيلاَدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ دَاوُدَ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ: [٢] إِبْرَاهِيمُ وَلَدَ إِسْحَاقَ. وَإِسْحَاقُ وَلَدَ يَعْقُوبَ. وَيَعْقُوبُ وَلَدَ يَهُوذَا وَإِخْوَتَهُ. [٣] وَيَهُوذَا وَلَدَ فَارِصَ وَزَارَحَ مِنْ ثَامَارَ. وَفَارِصُ وَلَدَ حَصْرُونَ. وَحَصْرُونُ وَلَدَ أَرَامَ. [٤] وَأَرَامُ وَلَدَ عَمِّينَادَابَ. وَعَمِّينَادَابُ وَلَدَ نَحْشُونَ. وَنَحْشُونُ وَلَدَ سَلْمُونَ. [٥] وَسَلْمُونُ وَلَدَ بُوعَزَ مِنْ رَاحَابَ. وَبُوعَزُ وَلَدَ عُوبِيدَ مِنْ رَاعُوثَ. وَعُوبِيدُ وَلَدَ يَسَّى. [٦] وَيَسَّى وَلَدَ دَاوُدَ الْمَلِكَ. وَدَاوُدُ الْمَلِكُ وَلَدَ سُلَيْمَانَ مِنَ الَّتِي لأُورِيَّا. [٧] وَسُلَيْمَانُ وَلَدَ رَحَبْعَامَ. وَرَحَبْعَامُ وَلَدَ أَبِيَّا. وَأَبِيَّا وَلَدَ آسَا. [٨] وَآسَا وَلَدَ يَهُوشَافَاطَ. وَيَهُوشَافَاطُ وَلَدَ يُورَامَ. وَيُورَامُ وَلَدَ عُزِّيَّا. [٩] وَعُزِّيَّا وَلَدَ يُوثَامَ. وَيُوثَامُ وَلَدَ أَحَازَ. وَأَحَازُ وَلَدَ حِزْقِيَّا. [١٠] وَحِزْقِيَّا وَلَدَ مَنَسَّى. وَمَنَسَّى وَلَدَ آمُونَ. وَآمُونُ وَلَدَ يُوشِيَّا. [١١] وَيُوشِيَّا وَلَدَ يَكُنْيَا وَإِخْوَتَهُ عِنْدَ سَبْيِ بَابِلَ. [١٢] وَبَعْدَ سَبْيِ بَابِلَ يَكُنْيَا وَلَدَ شَأَلْتِيئِيلَ. وَشَأَلْتِيئِيلُ وَلَدَ زَرُبَّابِلَ. [١٣] وَزَرُبَّابِلُ وَلَدَ أَبِيهُودَ. وَأَبِيهُودُ وَلَدَ أَلِيَاقِيمَ. وَأَلِيَاقِيمُ وَلَدَ عَازُورَ. [١٤] وَعَازُورُ وَلَدَ صَادُوقَ. وَصَادُوقُ وَلَدَ أَخِيمَ. وَأَخِيمُ وَلَدَ أَلِيُودَ. [١٥] وَأَلِيُودُ وَلَدَ أَلِيعَازَرَ. وَأَلِيعَازَرُ وَلَدَ مَتَّانَ. وَمَتَّانُ وَلَدَ يَعْقُوبَ. [١٦] وَيَعْقُوبُ وَلَدَ يُوسُفَ رَجُلَ مَرْيَمَ الَّتِي وُلِدَ مِنْهَا يَسُوعُ الَّذِي يُدْعَى الْمَسِيحَ. [١٧] فَجَمِيعُ الأَجْيَالِ مِنْ إِبْرَاهِيمَ إِلَى دَاوُدَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ جِيلاً، وَمِنْ دَاوُدَ إِلَى سَبْيِ بَابِلَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ جِيلاً، وَمِنْ سَبْيِ بَابِلَ إِلَى الْمَسِيحِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ جِيلاً". والآن ارجوك أن تنظر أيها القارئ الكريم إلى آخر سلسلة النسب هذه، ولسوف تلاحظ في الحال أنه لا صلة البتة بين المسيح وإبراهيم، لأن السلسلة تنتهي، لا بمريم أم المسيح التي جاء منها المسيح، بل

بيوسف النجار، الذى لا تربطه علاقة أبوة بالمسيح، اللهم إلا إذا قلنا كما يقول من يكفرون بالله وبالمسيح، ولسنا منهم، إن يوسف النجار هو أبوه، وهى فضيحة نكراء نعوذ بالله منها وممن يقولونها، ومنهم مؤلف إنجيل متى كما هو واضح للأسف. وتقول الأناجيل بكلام صريح مباشر إن يوسف هو أبوه فعلا، وقد جاء هذا الكلام على لسان أمه فيما جاء.

وهو ما يؤكده النص التالى المأخوذ من مطلع إنجيل توما: "And a certain Jew when he saw what Jesus did, playing upon the Sabbath day, departed straightway and told his father Joseph: Lo, thy child is at the brook, and he hath taken clay and fashioned twelve little birds, and hath polluted the Sabbath day"، إذ يقول المؤلف إن أحد اليهود الغيارى على الشريعة الموسوية، حين رأى عيسى الصغير يصنع يومَ سبتٍ من الطين طيرًا، ذهب من فوره إلى "أبيه يوسف" وشكا له ما صنع ابنه من الاعتداء على حرمة اليوم المقدس. ومثله قول مؤلف ذلك الإنجيل فى موضع آخر إن عيسى ذهب ذات يوم لزراعة القمح مع "والده" فى حقلهم: "Again, in the time of sowing the young child went forth with his father to sow wheat in their land: and as his father sowed, the young child Jesus sowed also one corn of wheat. . . "، وغير ذلك من المواضع التى وُصِف فيها يوسف بأنه "أبوه". بل إننا لنقرأ أن يوسف، تعجُّبًا من المعجزات التى كان يعملها عيسى الصغير، قد دعا ربه شاكرا أنْ أعطاه غلاما مثله: "Happy am I for that God hath given me this young child". وفى "يسوع ابن الإنسان" لجبران خليل جبران كلام على لسان يوحنا بن زبدى أحد

الحواريين مؤداه أن أباه رجل من البشر: "قد وُلد يسوع الناصري ونشأ مثلنا، وكان أبوه وأمه كوالدينا، وكان هو إنسانا مثلنا" (المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران المعرَّبة عن الإنجليزية/ دار صادر- دار بيروت/ بيروت/ ١٩٦٤م/ ٢٣٦). ولا ننس أيضا أن سلسلة النسب الآنفة تذكر أن عيسى هو ابن داود، ومعروف من هو داود في العهد القديم! إنه الزاني القتال المجرم الأثيم، المنتسب إلى يهوذا ولوط الزانيين بمحارمهما: الأول بزوجة ابنه، والثاني ببنتيه اللتين حبلتا منه، أستغفر الله العظيم!

وها هي ذي نصوص من العهد الجديد تقول بصريح كلام لا لبس فيه إن عيسى هو ابن يوسف. ونبدأ بما جاء في لوقا في الإصحاح الثالث: "٢٣ وَلَمَّا ابْتَدَأَ يَسُوعُ كَانَ لَهُ نَحْوُ ثَلاَثِينَ سَنَةً، وَهُوَ عَلَى مَا كَانَ يُظَنُّ ابْنَ يُوسُفَ، بْنِ هَالِي، ٢٤ بْنِ مَتْثَاتَ، بْنِ لاَوِي، بْنِ مَلْكِي، بْنِ يَنَّا، بْنِ يُوسُفَ، ٢٥ بْنِ مَتَّاثِيَا، بْنِ عَامُوصَ، بْنِ نَاحُومَ، بْنِ حَسْلِي، بْنِ نَجَّايِ، ٢٦ بْنِ مَآثَ، بْنِ مَتَّاثِيَا، بْنِ شِمْعِي، بْنِ يُوسُفَ، بْنِ يَهُوذَا، ٢٧ بْنِ يُوحَنَّا، بْنِ رِيسَا، بْنِ زَرُبَّابِلَ، بْنِ شَأَلْتِئِيلَ، بْنِ نِيرِي، ٢٨ بْنِ مَلْكِي، بْنِ أَدِّي، بْنِ قُصَمَ، بْنِ أَلْمُودَامَ، بْنِ عِيرِ، ٢٩ بْنِ يُوسِي، بْنِ أَلِيعَازَرَ، بْنِ يُورِيمَ، بْنِ مَتْثَاتَ، بْنِ لاَوِي، ٣٠ بْنِ شِمْعُونَ، بْنِ يَهُوذَا، بْنِ يُوسُفَ، بْنِ يُونَانَ، بْنِ أَلِيَاقِيمَ، ٣١ بْنِ مَلَيَا، بْنِ مَيْنَانَ، بْنِ مَتَّاثَا، بْنِ نَاثَانَ، بْنِ دَاوُدَ، ٣٢ بْنِ يَسَّى، بْنِ عُوبِيدَ، بْنِ بُوعَزَ، بْنِ سَلْمُونَ، بْنِ نَحْشُونَ، ٣٣ بْنِ عَمِّينَادَابَ، بْنِ أَرَامَ، بْنِ حَصْرُونَ، بْنِ فَارِصَ، بْنِ يَهُوذَا، ٣٤ بْنِ يَعْقُوبَ، بْنِ إِسْحَاقَ، بْنِ إِبْرَاهِيمَ، بْنِ تَارَحَ، بْنِ نَاحُورَ، ٣٥ بْنِ سَرُوجَ، بْنِ رَعُو، بْنِ فَالَجَ، بْنِ عَابِرَ، بْنِ شَالَحَ، ٣٦ بْنِ قِينَانَ، بْنِ أَرْفَكْشَادَ، بْنِ سَامِ، بْنِ نُوحِ، بْنِ لاَمَكَ، ٣٧ بْنِ مَتُوشَالَحَ، بْنِ أَخْنُوخَ، بْنِ يَارِدَ، بْنِ مَهْلَلْئِيلَ، بْنِ قِينَانَ، ٣٨ بْنِ أَنُوشَ، بْنِ شِيتِ، بْنِ آدَمَ، ابْنِ اللهِ". ثم نثني بما جاء في الإصحاح الرابع منه: "٢٢ وَكَانَ

الْجَمِيعُ يَشْهَدُونَ لَهُ وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْ كَلِمَاتِ النِّعْمَةِ الْخَارِجَةِ مِنْ فَمِهِ، وَيَقُولُونَ: «أَلَيْسَ هذَا ابْنَ يُوسُفَ؟ »". ثم نثلث بما قاله مَن يقولون إنه يوحنا فى الإصحاح الأول من الإنجيل المنسوب له: "٤٣ فِي الْغَدِ أَرَادَ يَسُوعُ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الْجَلِيلِ، فَوَجَدَ فِيلُبُّسَ فَقَالَ لَهُ: «اتْبَعْنِي». ٤٤ وَكَانَ فِيلُبُّسُ مِنْ بَيْتِ صَيْدَا، مِنْ مَدِينَةِ أَنْدَرَاوُسَ وَبُطْرُسَ. ٤٥ فِيلُبُّسُ وَجَدَ نَثَنَائِيلَ وَقَالَ لَهُ: «وَجَدْنَا الَّذِي كَتَبَ عَنْهُ مُوسَى فِي النَّامُوسِ وَالأَنْبِيَاءُ يَسُوعَ ابْنَ يُوسُفَ الَّذِي مِنَ النَّاصِرَةِ». ٤٦ فَقَالَ لَهُ نَثَنَائِيلُ: «أَمِنَ النَّاصِرَةِ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ صَالِحٌ؟ » قَالَ لَهُ فِيلُبُّسُ: «تَعَالَ وَانْظُرْ»". ثم نربّع بما كتبه مؤلف إنجيل يوحنا فى الإصحاح السادس منه: "٤١ فَكَانَ الْيَهُودُ يَتَذَمَّرُونَ عَلَيْهِ لأَنَّهُ قَالَ: «أَنَا هُوَ الْخُبْزُ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ». ٤٢ وَقَالُوا: «أَلَيْسَ هذَا هُوَ يَسُوعَ بْنَ يُوسُفَ، الَّذِي نَحْنُ عَارِفُونَ بِأَبِيهِ وَأُمِّهِ؟ فَكَيْفَ يَقُولُ هذَا: إِنِّي نَزَلْتُ مِنَ السَّمَاءِ؟ » ٤٣ فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: «لاَ تَتَذَمَّرُوا فِيمَا بَيْنَكُمْ. ٤٤ لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يُقْبِلَ إِلَيَّ إِنْ لَمْ يَجْتَذِبْهُ الآبُ الَّذِي أَرْسَلَنِي، وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ" (ولنلاحظ أنه عليه السلام لم ينكر عليهم نسبتهم إياه إلى يوسف النجار!). ثم نخمّس الآن بما ورد فى الإصحاح الثانى مما يسمى: إنجيل لوقا: "٢٥ وَكَانَ رَجُلٌ فِي أُورُشَلِيمَ اسْمُهُ سِمْعَانُ، وَهذَا الرَّجُلُ كَانَ بَارًّا تَقِيًّا يَنْتَظِرُ تَعْزِيَةَ إِسْرَائِيلَ، وَالرُّوحُ الْقُدُسُ كَانَ عَلَيْهِ. ٢٦ وَكَانَ قَدْ أُوحِيَ إِلَيْهِ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ أَنَّهُ لاَ يَرَى الْمَوْتَ قَبْلَ أَنْ يَرَى مَسِيحَ الرَّبِّ. ٢٧ فَأَتَى بِالرُّوحِ إِلَى الْهَيْكَلِ. وَعِنْدَمَا دَخَلَ بِالصَّبِيِّ يَسُوعَ أَبَوَاهُ، لِيَصْنَعَا لَهُ حَسَبَ عَادَةِ النَّامُوسِ، ٢٨ أَخَذَهُ عَلَى ذِرَاعَيْهِ وَبَارَكَ اللهَ وَقَالَ: ٢٩ «الآنَ تُطْلِقُ عَبْدَكَ يَا سَيِّدُ حَسَبَ قَوْلِكَ بِسَلاَمٍ، ٣٠ لأَنَّ عَيْنَيَّ قَدْ أَبْصَرَتَا خَلاَصَكَ، ٣١ الَّذِي أَعْدَدْتَهُ قُدَّامَ وَجْهِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. ٣٢ نُورَ إِعْلاَنٍ لِلأُمَمِ، وَمَجْدًا لِشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ»" (ولنلاحظ هنا أيضا وصف سمعان ليسوع بأنه عبد الله لا ابنه

سبحانه) . ثم نسدّس بهذا النص من نفس الإصحاح حيث تؤكد مريم لابنها أن أباه هو يوسف: "[٤١] وَكَانَ أَبَوَاهُ يَذْهَبَانِ كُلَّ سَنَةٍ إِلَى أُورُشَلِيمَ فِي عِيدِ الْفِصْحِ . [٤٢] وَلَمَّا كَانَتْ لَهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَةً صَعِدُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ كَعَادَةِ الْعِيدِ . [٤٣] وَبَعْدَمَا أَكْمَلُوا الأَيَّامَ بَقِيَ عِنْدَ رُجُوعِهِمَا الصَّبِيُّ يَسُوعُ فِي أُورُشَلِيمَ ، وَيُوسُفُ وَأُمُّهُ لَمْ يَعْلَمَا . [٤٤] وَإِذْ ظَنَّاهُ بَيْنَ الرُّفْقَةِ ، ذَهَبَا مَسِيرَةَ يَوْمٍ ، وَكَانَا يَطْلُبَانِهِ بَيْنَ الأَقْرِبَاءِ وَالْمَعَارِفِ . [٤٥] وَلَمَّا لَمْ يَجِدَاهُ رَجَعَا إِلَى أُورُشَلِيمَ يَطْلُبَانِهِ . [٤٦] وَبَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ وَجَدَاهُ فِي الْهَيْكَلِ ، جَالِسًا فِي وَسْطِ الْمُعَلِّمِينَ ، يَسْمَعُهُمْ وَيَسْأَلُهُمْ . [٤٧] وَكُلُّ الَّذِينَ سَمِعُوهُ بُهِتُوا مِنْ فَهْمِهِ وَأَجْوِبَتِهِ . [٤٨] فَلَمَّا أَبْصَرَاهُ انْدَهَشَا . وَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ: «يَا بُنَيَّ ، لِمَاذَا فَعَلْتَ بِنَا هكَذَا؟ هُوَذَا أَبُوكَ وَأَنَا كُنَّا نَطْلُبُكَ مُعَذَّبَيْنِ ! »" . وبطبيعة الحال فنحن المسلمين لا نقول بهذا ، بل نؤمن أنه وُلد دون أب من البشر ، لكن هذا لا يجعل منه عليه الصلاة والسلام ابنا لله ، إنما هو عبد من عباده سبحانه (كما جاء على لسان سمعان الكاهن) ، ونبي من أنبيائه .

٤- وفي محاولة من كذابنا الكندي لإثبات صدق التثليث نراه يقول ، في تفسير الكلام التالي الذى كتبه مؤلف سفر "الخروج" في الإصحاح الثالث منه: "[١٣] فَقَالَ مُوسَى للهِ: «هَا أَنَا آتِي إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَقُولُ لَهُمْ: إِلهُ آبَائِكُمْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ . فَإِذَا قَالُوا لِي: مَا اسْمُهُ؟ فَمَاذَا أَقُولُ لَهُمْ؟ » [١٤] فَقَالَ اللهُ لِمُوسَى: «أَهْيَهِ الَّذِي أَهْيَهْ» . وَقَالَ: «هكَذَا تَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: أَهْيَهْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ» . [١٥] وَقَالَ اللهُ أَيْضًا لِمُوسَى: «هكَذَا تَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: يَهْوَهُ إِلهُ آبَائِكُمْ ، إِلهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلهُ إِسْحَاقَ وَإِلهُ يَعْقُوبَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ . هذَا اسْمِي إِلَى الأَبَدِ وَهذَا ذِكْرِي إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ" ، إن الله هنا قد "جدّد ذكر التوحيد والْغز عن سرّ الثالوث حيث قال: إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب ، فكرر بذلك القول ذكر الثلاثة الأقانيم بعد ذكر التوحيد كما كان

قديمًا ، فهو واحد ذو ثلاثة أقانيم لا محالة ، لأنه أجمل في قوله: "إله آبائكم"، ثم قال مكررًا اسم الجلالة ثلاث مرات . فإن قلنا إنها ثلاثة آلهة أشركنا ، وإن قلنا إله واحد مكررًا ثلاث مرات نكون قد دفعنا للكتاب حقه ، لأنه قد كان يمكنه أن يقول: إله آبائكم إبراهيم وإسحق ويعقوب". يقصد البكاش صاحب الثلاث ورقات أنه قال أولا: "إله آبائكم"، وهذا توحيد لأنه ذكر كلمة "إله" مرة واحدة ، ثم عاد فقال: "إله إبراهيم ، وإله إسحاق ، وإله يعقوب" مكرَّرًا كلمة "إله" هنا ثلاث مرات . ولو لم يكن يقصد الثالوث فى العبارة الأخيرة لقال بدلا منها: "إله آبائكم إبراهيم وإسحق ويعقوب" دون تكرير كلمة "إله" فى كل مرة مع اسم كل نبى من الأنبياء الثلاثة . ولاحظ أولا قوله إن الله قد "ألغز عن سر الثالوث"، وكأن الله طارح ألغاز ، وكأننا فى سمرٍ شتوى أمام موقد نتدفأ ونتحاكى الحواديت والفوازير تقصيرا لليل الشتاء الطويل! كذلك من المضحك لجوؤه إلى الزعم بأن عبارة "إله آبائكم" توحيد ، على حين أن عبارة "إله إبراهيم ، وإله إسحاق ، وإله يعقوب" تعديد ، رغم أن هذه هى تلك ، وأن أحمد هو الحاج أحمد بقضه وقضيضه لا يزيد ولا ينقص . وإلا فلو قلت عن نفسى مثلا إننى أستاذ محمد ، وأستاذ سيد ، وأستاذ نبيل ، أأكون حينئذ ثلاثة أساتذة أو ثلاثة أقانيم فى أستاذ؟ فماذا لو قلت إننى أستاذ فلان وفلان وفلان وفلان وفلان وفلان وفلان . . . حتى بلغت بالعدد عدة ألوف كما ينبغى أن أقول عن نفسى لأن تلاميذى يعدون فعلا بالألوف ، أأكون فى هذه الحالة آلاف الأساتيذ معا أو آلاف الأقانيم فى أستاذ؟ إن هذا الغبى لا يفقه شيئا فى أساليب اللغة ، فإن قولنا: "إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب" هو نفسه قولنا: "إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب" لا يزيد ولا ينقص ، اللهم إلا أن فى التكرار شيئا من التأكيد ، كما أن فى تكرار "لا" فى قولنا مثلا: "لا أحب البطاطس

ولا القلقاس" تأكيدا للنفى لا وجود له فى قولنا: "لا أحب البطاطس والقلقاس"، وكما فى تكرار آية عبارة أخرى لتثبيتها فى الذهن أو للتنبيه إلى أهميتها أو خطورتها مثل قول الواحد منا: "أنا أكره الثرثرة. قلت لك: إنى أكره الثرثرة. ألا تفهم؟ أنا أكره الثرثرة. بالله عليك كُفّ عن اللت والعجن، فأنا أكره الثرثرة". فهذا كل ما هنالك. أما قول مجادلنا الصغير العقل إن الله لو لم يكن يقصد الثالوث فى العبارة الأخيرة لقال بدلا منها: "إله آبائكم إبراهيم وإسحق ويعقوب" فالرد عليه هو أنه قالها يا كذاب يا مداور فى الآية التى بعد ذلك مباشرة حيث نقرأ ما نصه: "[16] اِذْهَبْ وَاجْمَعْ شُيُوخَ إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمْ: الرَّبُّ إِلهُ آبَائِكُمْ، إِلهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ"، وقالها أيضا فى الإصحاح الثالث من سفر "الخروج": "[16] اِذْهَبْ وَاجْمَعْ شُيُوخَ إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمْ: الرَّبُّ إِلهُ آبَائِكُمْ، إِلهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ"، إذ لم يقل: "إله إبراهيم، وإله إسحاق، وإله يعقوب"، بل قال: "إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب"، دون أن يكرر كلمة "إله"! فما القول فى ذلك؟ كذلك أرجو من القارئ العزيز أن يتنبه إلى أن كلمة "إله" فى الكتاب المقدس يمكن أن تُطْلَق على البشر أيضا، فالله سبحانه وتعالى يقول لموسى عليه السلام فى أول آية من الإصحاح السابع من سفر "الخروج": "فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «انْظُرْ! أَنَا جَعَلْتُكَ إِلهًا لِفِرْعَوْنَ. وَهَارُونُ أَخُوكَ يَكُونُ نَبِيَّكَ"، وهو ما يدل على أن الكتاب المقدس لا ينبغى أن يؤخذ بكل تلك الجديّة.

ثم إن معنى كلامه هو أن إله إبراهيم كان هو الآب، على حين أن إله إسحاق كان هو الابن، وإله يعقوب هو الروح القدس مثلا. فمن هو يا ترى إله موسى؟ ومن هو إله داود؟ ومن إله سليمان؟ ومن إله زكريا؟ بل من إله كل نبى من الأنبياء؟ ترى أهو إلهٌ قطّاعيّ؟ ولماذا لم يقل يهوه ذلك بوضوح مباشر بدلا من هذا اللف والدوران؟ وإذا كان قد فاته هذا هنا

فلماذا لم يستدركه بعد ذلك؟ بل لماذا لم يقله منذ آدم وانتظر إلى زمن موسى؟ بل على الأقل لماذا لم يقله منذ إبراهيم المنسوب له هذا الكلام وانتظر حتى كليم الله؟ ولماذا لم يقله موسى إذن بوضوح إذا كان يقصد هذا؟ بل لماذا لم يبشّر موسى بعيسى نفسه؟ ولماذا لم يقل إبراهيم بصريح العبارة إن الله ثالوث فيريح ويستريح؟ إن المسيح ذاته لم يقلها، فكيف نصدق بما يقوله كاتب الرسالة المدلس؟ وبالمناسبة فقد جاء في النص السابق أن الله سوف يُدْعَى إلى الأبد: "أَهْيَهِ الَّذِي أَهْيَهْ"، ثم نراه عقب ذلك يقول إن اسمه "يَهْوَه"، وهو ما يربك العقل، إذ لا يعرف الإنسان أيٌّ من الاسمين هو المقصود، وإن كان التاريخ قد أثبت أن هذا وذاك كلام في الهواء، لأنه ما إن جاء المسيح حتى لم يعد أحد يسميه بهذا الاسم أو ذاك، إذ يقول النصارى إنه هو الآب، ثم جاء محمد فقال وقلنا معه إنه هو "الله"! أما قول صاحبنا المداور المفتئت على الحق: "فأي دليل أوضح من هذا إلا لمن عاند الحق الذي أودعه في كتبه التي أنزلها على أنبيائه، وهي في أيدي أصحاب التوراة؟ إلى هذا الوقت لم يكونوا يفهمونه حتى جاء صاحب السرّ الذي هو المسيح سيدنا وكشفه لنا"، فليس له من معنى إلا أن كل الأنبياء قبل عيسى عاشوا وماتوا دون أن يعرفوا أن الله ثلاثة أقانيم، أي ماتوا جهلاء بالدين الحق! بل إن عيسى نفسه لم يتطرق إلى أي ذكر للتثليث! وأيا ما يكن الأمر فماذا نحن قائلون في كلام يعقوب التالي، وهو موجود في الإصحاح الثاني والثلاثين من ذات السفر: "٩وَقَالَ يَعْقُوبُ: «يَا إِلهَ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَإِلهَ أَبِي إِسْحَاقَ، الرَّبَّ الَّذِي قَالَ لِيَ: ارْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ وَإِلَى عَشِيرَتِكَ فَأُحْسِنَ إِلَيْكَ. ١٠صَغِيرٌ أَنَا عَنْ جَمِيعِ أَلْطَافِكَ وَجَمِيعِ الأَمَانَةِ الَّتِي صَنَعْتَ إِلَى عَبْدِكَ. فَإِنِّي بِعَصَايَ عَبَرْتُ هذَا الأُرْدُنَّ، وَالآنَ قَدْ صِرْتُ جَيْشَيْنِ. ١١نَجِّنِي مِنْ يَدِ أَخِي، مِنْ يَدِ عِيسُوَ، لأَنِّي خَائِفٌ مِنْهُ أَنْ يَأْتِيَ وَيَضْرِبَنِي الأُمَّ مَعَ الْبَنِينَ. ١٢وَأَنْتَ قَدْ قُلْتَ:

إِنِّي أُحْسِنُ إِلَيْكَ وَأَجْعَلُ نَسْلَكَ كَرَمْلِ الْبَحْرِ الَّذِي لاَ يُعَدُّ لِلْكَثْرَةِ» " حيث قال " إله إبراهيم ، وإله إسحاق " فقط ، أى أنه كرر كلمة " إله " مرتين لا ثلاثا؟ ترى هل ينبغى أن نفهم من هذا أن الله ثانُوٌ لا ثالوث؟ ألا يرى القارئ أننا أمام أمرٍ كلّه هزلٌ لا جِدّ فيه؟

وفى دفاعه عن التثليث يسأل الكندى خصمه وصديقه المسلم قائلا: " ألا تعلم أن الواحد لا يُقال له واحدًا إلا على ثلاثة أوجه: إما في الجنس ، وإما في النوع ، وإما في العدد . ولستُ أرى أحدًا يدّعي غير هذا ، أو يقدر أن يجد غير هذه الأوجه الثلاثة . فإن قلت إنه واحد في الجنس صار واحدًا عامًّا لأنواع شتى ، لأن حكم الواحد في الجنس هو الذي يضمّ أنواعًا كثيرة مختلفة ، وذلك مما لا يجوز في الله . وإن قلت إنه واحد في النوع صار ذلك نوعًا عامًّا لأقانيمَ شتّى ، لأن حكم النوع يضم أقانيمَ كثيرةً في العدد . وإن قلت إنه واحد في العدد ، كان ذلك نقضًا لكلامك أنه واحد فرد صمد ، لأنه لو سألك سائل عن نفسك: كم أنت؟ لا تقدر أن تجيبه أنك واحد فرد . فكيف يقبل عقلك هذه الصفة التي لا تُفضّل إلهك عن سائر خلقه؟ وليتك مع وصفك إياه بالعدد كنت وصفته أيضًا بالتبعيض والنقصان . ألا تعلم أن الواحد الفرد بعض العدد ، لأن كمال العدد ما عمّ جميع أنواع العدد ، فالواحد بعض العدد ، وهذا نقضٌ لكلامك . فإن قلت إنه واحد في النوع ، فللنوع ذواتٌ شتّى لا واحدٌ فرد . وإن قلت إنه واحد في الجوهر ، نسألك: هل تخالف صفةُ الواحد في النوع عندك صفةَ الواحد في العدد؟ أو هل تعني واحدٌ في النوع واحدًا في العدد لأنه عام؟ فإن قلت: قد تخالف هذه تلك ، قلنا لك: حدّ الواحد في النوع عند أهل الحكمة اسم يعمّ أفرادًا شتّى ، وواحد الواحد ما لا يعمّ غير نفسه . فهل تقرّ أن الله واحد في الجوهر يعم أشخاصًا شتى ، أو هل هو شخص واحد؟ وإن كان معنى قولك إنه واحد

في النوع واحد في العدد، فإنك لم تعرِّف الواحد في النوع ما هو وكيف هو، ورجعت إلى كلامك الأول أنه واحد في العدد، وهذه صفة المخلوقين. وإن قلتَ: هل تقدر أنت أن تصف الله واحدًا في العدد إذا كان كزعمك الواحد في العدد بعضًا وليس بكامل؟ قلنا لك: إننا نصفه واحدًا كاملاً في الجوهر مثلثًا في العدد، أي في الأقانيم الثلاثة، فقد كملت صفته من الوجهين جميعًا. أما وصفنا إياه واحدًا في الجوهر فلأنه أعلى من جميع خَلْقه، لا يشبهه شيء منها ولا يختلط في غيره، بسيط غير كثيف وروحاني غير جسماني، أب على كل شيء بقوة جوهره من غير امتزاج ولا اختلاط ولا تركيب. وأما في العدد فلأنه عام لجميع أنواع العدد لأن العدد لا يُعَدّ، وإن تكن أنواعه نوعين زوجًا وفردًا، فقد دخل هذان النوعان في هذه الثلاثة. فبأي الأنحاء وصفناه لم نعدل عن صفة الكمال شيئًا كما يليق به. فوَصْفنا الله واحدًا ليس على ما وصفته أنت. وأرجو أن يكون هذا الجواب مقنعًا لك وللناظر في كتابنا هذا، إذا نظر بعين الإنصاف".

ونحن بدورنا نقول فى الرد على ذلك إن هذه سفسطة سخيفة لا طائل من ورائها، وهيهات أن تفتح لصاحبها مسربا يهرب منه كالثعالب. ذلك أنه لا معنى لقوله إن الواحد قد يقال له: "واحد فى الجنس أو فى النوع"، لأن هذا تحصيل حاصل، إذ الجنس بطبيعته لا يمكن أن يكون اثنين، وإلا ما كان جنسا. وبهذا يتجلى للقارئ ما فى ذلك الكلام من سفسطة. وبالنسبة للنوع هناك رتب كثيرة تندرج تحته، وتحت الرتب تندرج أفراد لا حصر لهم. وكل رتبة وكل فرد هو كيان مستقل لا علاقة لها أو له بما يسمونه: الأقانيم، أما الكاتب فيدوس كل منطق ويقول رغم ذلك إنها أقانيم. وهذه أول مرة نسمع فيها هذا، وهو بفعلته تلك يريد أن يخترع مصطلحات جديدة لمنطق جديد، وهذا المنطق الذى يريد اختراعه هو السفسطة بعينها، والغاية

منه هو إيهام القراء بأن حكاية الأقانيم أمر منطقى ، ولكن هيهات . وبطبيعة الحال فإن واحدية الله ليست واحدية جنس ولا نوع لأنه ليس جنسا ولا نوعا ، وإلا كان هناك أنواع تحت الجنس الإلهى متعددة ، وأفراد تحت نوعه متعددة أيضا ، والله غير متعدد . ويبقى كلامه عن "الواحد فى العدد" ومحاولته الإجلاب على التوحيد الإسلامى بقوله: "وإن قلت إنه واحد في العدد ، كان ذلك نقضًا لكلامك أنه واحد فرد صمد ، لأنه لو سألك سائل عن نفسك: كم أنت؟ لا تقدر أن تجيبه أنك واحد فرد . فكيف يقبل عقلك هذه الصفة التي لا تُفضّل إلهك عن سائر خلقه؟ وليتك مع وصفك إياه بالعدد كنت وصفته أيضًا بالتبعيض والنقصان . ألا تعلم أن الواحد الفرد بعض العدد ، لأن كمال العدد ما عمَّ جميع أنواع العدد ، فالواحد بعض العدد . وهذا نقضٌ لكلامك". وتفنيد ذلك من أيسر ما يمكن ، إذ إن الله سبحانه مطلق لا يُحَدّ ولا ينقسم ولا يتكرر ، بخلاف المخلوقات ، فإنها تُحَدّ وتنقسم وتتكرر . ومن ثم فقولنا إن الله واحد يختلف اختلافا تاما عن قول الواحد منا عن نفسه إنه واحد ، لأن قولنا: الله واحد" معناه أنه لا جنس له يشمل أنواعا متعددة متشابهة ، ولا نوع له يشمل أفرادا متعددين متشابهين ، بخلاف قولنا إن فلانا واحد ، فهو يدل على أنه واحد من آحاد كثيرة متشابهة . وهذا جَلِيٌّ بين ، إلا أن صاحبنا يسفسط فى سياق لا يحتمل من السفسطة كثيرا ولا قليلا . إن الله فى الإسلام واحد أحد لأنه ، حسبما شرحت الآن ، لا يمكن أن يكون هناك شبيه له لا فى قوته المطلقة ولا فى إرادته المطلقة ولا فى علمه المطلق ولا فى وجوده المطلق الذى لا يحده حد ولا بداية له ولا نهاية . . . إلخ ، ومن ثم فهو ليس واحدا فى سلسلة من الآحاد . أى أنه واحد ليس له ثان ولا ثالث ولا رابع ولا خامس . . . ، فضلا عن أن يتجسد فيحتويه المكان والزمان ويخضع للقوانين والضرورات ،

شأنه شأن كل من يعيش داخل نطاق الزمان والمكان . تعالى الله عن ذلك ، فهو سبحانه وتعالى خالق المكان والزمان والقوانين والضرورات ، فكيف يمكن أن يخضع لشيء منها؟ أما ما يقوله صاحبنا البكاش فكلام ماسخ لا طعم له! وفي النهاية نسوق هذه الفقرة التي كتبها مؤلفو "دائرة المعارف الكتابية"، وهم مجموعة من كبار رجال اللاهوت النصارى في مصر ، في مادة "وجد": "الوجود في كل مكان أمر مقصور على الله وحده ، وهو يعني أن الله لا يقيده أو يحده مكان أو زمان ، إذ هو دائم الوجود في كل مكان (مز ١٣٩ : ٧- ١٠ ، إرميا ٢٣ : ٢٣ و٢٤ ، أع ١٧ : ٢٧ ، عب ١ : ٣ . . . إلخ) . فمن اللازم أن تتجنب ، فيما يتعلق بالله ، المفاهيم المادية لوجوده حتى لا تختلط الأمور . فالله روح ، ووجوده غير المحدود يجب النظر إليه بالمعنى الديناميكي ، وليس بالمعنى المادي ، فهو متميز عن كل خليقته ، بينما تحيط قوته وحكمته وصلاحه وجوده بكل الخليقة ، فهو "حامل كل الأشياء بكلمة قدرته" (عب ١ : ٣) ، وهو الذي "به نحيا ونتحرك ونوجد" (أع ١٧ : ٢٨) ، وفي جلاله وعظمته الإلهية هو "أبونا الذي في السماء" (مت ٦ : ٩)". أما أن الله روح أو أي شيء آخر فهذا ما لا نقول فيه إلا أنه "ليس كمثله شيء"، وإلا فإذا كان الله روحا كما يقول كتاب المادة اعتمادا على ما جاء في إنجيل يوحنا (٤/ ٢٤) ، فماذا نقول في "روح الله" الواردة في تكوين/ ١/ ٢ ، و٤١/ ٣٨ ، وخروج/ ٣١/ ٣ ، و٣١/ ٣٥ ، وعدد/ ٢١/ ٢ ، وصموئيل ١/ ١٠/ ١٠ ، و١١/ ٦ . . . ، ومتى/ ٣/ ١٦ ، و١٢/ ٢٦ مثلا؟ أنقول إنها "روح الروح"؟ أرأيت كيف أن بعض الناس لا ينتبهون إلى مرامي ما يقولون؟

وعلى ذات الشاكلة من السفسطة يستمر الكندي في مزاعمه مخاطبا الهاشمي المزعوم بقوله: "وأما قولك إنه لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا ولم يكن له

كفوًا أحد ، فإن أنت أنصفتنا أقررتَ لي بأن الذي وصفه بذلك هو الذي شنّع عليه . وأما نحن فلا نقول إن لله صاحبة ، ولا إنه اتخذ ولدًا ولا إنه كان له كفوًا أحد". ومن الواضح أن الرجل قد فقد عقله! ألا يقولون إن عيسى هو ابن الله؟ ألا ينسبون لله القول بأنه هو ابنه الوحيد؟ ألا يقولون عن مريم إنها أم الإله؟ ألا يؤلهها بعض النصارى؟ ألا يقولون بالآب والابن والروح القدس؟ ثم إن الكاتب نفسه قبل قليل قد أشار إلى عبارة "إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب" ومغزاها . سيقول إن المقصود هو أنها ثلاثة أقانيم لا آلهة ، لكنه هو وأهل ملته يتحدثون عن كل منها على أنه ذات مستقلة ، وهذا من الوضوح بمكان ، فهل الأقانيم ينفصل بعضها عن بعض ويستقل كل منها بوجود متمايز ، ويكون أحدها فى السماء ، والثانى على الأرض ، والثالث ذاهب آيب ما بين السماء والأرض؟ هل يمكن أن يتجه أحد الأقانيم إلى أقنوم آخر فيقول له: أنت أبى أو إلهى ، ويسجد له ويبتهل ويصرخ طالبا العون ، ويؤكد للناس من حوله أنه سوف يعود إليه بعد مماته ، وأنه سوف يجلس عن يمينه يوم القيامة ويحاسب الناس معه ويشرب الخمر عنده كما كان عيسى عليه السلام يفعل حسبما كتب مؤلفو الأناجيل؟ وهذا يعنى أنه حتى بعدما يعود الابن إلى أبيه ويجلس عن يمينه سوف يتصرف تصرفات مستقلة لا يتصرفها الآب . الحق أنه ليس أمامنا إن أردنا أن نقبل هذا الذى يقوله ذلك الرجل إلا أن نخلع عقولنا ونرميها فى أقرب مقلب للقمامة! ولكن هيهات!

ومن سفسطته أيضا الجملة التالية التى ينقض ذيلها رأسها ، وهى فى الحديث عن الله وصفاته: "فأما صفات ذاته فجوهر ذو كلمة وروح أزلي لم يزل متعاليًا مرتفعًا عن جميع النعوت والأوصاف". ذلك أنه فى الوقت الذى يقر فى بداية الجملة بأن لله تعالى صفات ، يعود فى نهايتها فينفى أن تكون له

أية صفات ، ليعود كرة ثانية عقب ذلك فيتحدث عن صفات الله ويذكر له منها عددا غير قليل: "وتعلم أن الصفات في الله صفتان مختلفتان: صفة طبيعية ذاتية لم يزل متّصفًا بها ، وصفة اكتسبها هي صفة فعله . فأما الصفات التي اكتسبها من أجل فعله فمثل رحيم وغفور ورؤوف . وأما الصفات المنزلة التي هي الطبيعية الذاتية التي لم يزل جل وعز متّصفًا بها فهي الحياة والعلم ، فإن الله لم يزل حيًا عالمًا . فالحياة والعلم إذًا أزليان لا محالة". وسبحان مثبّت العقل والدين! ومُضِيًّا مع السفسطة الماسخة يحاول أن يقنعنا بصحة النتيجة التالية: "فقد صحّت نتيجة هذه المقدمات أن الله واحد ذو كلمة ، وروح في ثلاثة أقانيم قائمة بذاتها يعمّها جوهر اللاهوت الواحد . فهذه هي صفة الواحد المثلث الأقانيم الذي نعبده ، وهذه الصفة التي ارتضاها لنفسه ودلّنا على سرّها في كتبه المنزلة على ألسنة أنبيائه ورسله . فأوّل ذلك ما ناجى به موسى كليمه ، حيث أعلمه كيف خلق آدم ، فقال في السِّفْر الأول من كتاب التوراة: في البدء خلق الله (وفي العبرية: الآلهة بصيغة الجمع) السموات والأرض (تكوين ١: ١) . فبهذا يشير الكتاب المقدس إلى تثليث الأقانيم الإلهية الثلاثة ، وبقوله "خَلَق" بضمير المفرد يشير إلى وحدة الطبيعة والجوهر الذي هو للأقانيم الإلهية الثلاثة . وقال أيضًا في هذا السِّفْر إن الله قال عند خلقه آدم: نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا (تكوين ١: ٢٦) ، ولم يقل: أعمل على صورتي وشبهي . وقال في هذا السِّفْر عندما أخطأ آدم: هُوَذَا الإِنْسَانُ قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنَّا عَارِفًا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ (تكوين ٣: ٢٢) ، ولم يقل: مثلي . وقال عزّ وجل في هذا السفر: هَلُمَّ نَنْزِلْ وَنُبَلْبِلْ هُنَاكَ لِسَانَهُمْ (تكوين ١١: ٧) ، وذلك لما اجتمعوا ليبنوا صرحًا يكون رأسه في السماء ، ففرّق الله ضعف رأيهم وقلة عقولهم في ما فكروا فيه . ولم يقل: أنزِل أُبَلْبِل". ووجه السفسطة هنا هو أنه يقر بأن النص العبرى يقول: "آلهة"

لا "إله" واحد ، أى أننا إزاء شرك سافر ، لأن الآلهة شيء ، والأقانيم شيء آخر . أما استعمال ضمير الجمع فى حديث المتكلم عن نفسه فليس دليلا على التعدد ، وإلا فكل رئيس أو ملك أو سلطان دائما ما يفعل ذلك ، ولا يفهم أحد من ذلك أنه ثلاثة ملوك أو ثلاثة رؤساء أو ثلاثة سلاطين ، اللهم إلا إذا كان البعيد غبيًا قَدِمًا أو سوفسطائيا معوج العقل والضمير! أما فيما عدا هذا فكلا ثم كلا! والعجيب أنه يعود فيقر بأن البشر أيضا يستعملون ضمير الجمع فى الحديث عن أنفسهم ، لكنه يسارع إلى السفسطة كعادته الرذيلة قائلا: "فإن قلتَ: نعم قد أجازته (أى اللغات البشرية) حيث يقول الرجل الواحد منهم: أَمَرْنا وأَرْسَلْنا وقلنا ولَقِينا وما أشبه ذلك ، نقول لك إن ذلك صحيح جائز في المؤلَّف من أشياء مختلفة والمركَّب من أعضاء غير متشابهة ، لأن الإنسان واحد كثيرة أجزاؤه ، فأول أجزاءٍ من الإنسان النفس والجسد ، والجسد مبني من أجزاء كثيرة وأعضاء شتى . فلذلك جاز له أن ينطق بما وصفتَ من: قلنا وأَمَرْنا وأوحينا ، إذ هو عدد واحد كما ذكرت . فإن قلت إن ذلك تعظيمٌ لله أن يقول: أرسلنا وأمرنا وأوحينا ، قلنا لك: لو لم يقل ذلك من ليس بمستحقٍ للتعظيم لجاز قولك". وطبعا لا أظن أن هناك من يرافقه على هذا التنطع ، وإلا لم يجز لأى بشرى إلا أن يقول دائما: "نحن فعلنا ونمنا وأكلنا وشربنا وسفسطنا" ، لأن البشر دائما وأبدا متركبون من أجزاء . أم تراهم يكونون فى بعض الأحيان متركبين من أجزاء ، وفى أحيان أخرى كتلة واحدة لا تقبل انقساما ، وأنهم لا يستعملون ضمير الجمع إلا حين يكونون متركبين من أجزاء ، فإن أصبحوا كتلة واحدة لا تقبل الانقسام عادوا فقال الواحد منهم: "أنا أكلت وشربت ونمت وسفسطت"؟ لكننا نعلم أنه لا أحد منهم يستخدم ضمير الجمع لنفسه إلا الملوك والرؤساء والسلاطين ، كما أن أولئك الملوك والسلاطين والرؤساء لا يفعلون ذلك فى

كلامهم مع آبائهم وزوجاتهم وأولادهم وعشيقاتهم مثلا . أم ترى علينا أن نقول إنهم حين يكونون مع الرعية يكونون متركبين من أجزاء ، لكن سرعان ما تلتئم هذه الأجزاء وتضحى كتلة واحدة لا تقبل الانقسام حين يخلون إلى أسَرهم وعشيقاتهم؟ ألا ما أقبح العقول الزنخة!

ويستمر صاحبنا فى السفسطة السخيفة والجدال السمج قائلا: "ولكن الله سبحانه يعلّمنا أنه واحد ذو ثلاثة أقانيم ، قد نطق بالصيغتين من "أمرْتُ وأمرْنا ، وخلقْتُ وخلقْنا ، وأوحيْتُ وأوحيْنا": فإن الأولى دليل على الوحدانية ، والثانية على تعدد الأقانيم . وبيان ذلك قول موسى النبي في التوراة ما معناه أن الله تراءى لإبراهيم وهو في بلوطات مورا جالسًا على باب خبائه في وقت حرّ النهار ، فرأى ثلاثة رجال وقوفًا بإزائه ، فاستقبلهم قائلاً: يَا سَيِّدُ إِنْ كُنْتُ قَدْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ فَلاَ تَتَجَاوَزْ عَبْدَكَ (تكوين ١٨ : ٢ ، ٣) . ألا ترى أن المنظور إليه من إبراهيم ثلاثة ، ولكن الخطاب لشخص واحد؟ فسمّاهم ربًا واحدًا ، وتضرع إليه سائلاً طالبًا أن ينزل عنده . فاعتباره الثلاثة سرّ الأقانيم الثلاثة ، وتسميته إياهم ربًا واحدًا لا أربابًا سرّ لجوهرٍ واحدٍ ، فهي ثلاثة بحق ، وواحد بحق كما وصفنا" . وتسفيه ذلك هو التنبيه إلى أنه فى الإصحاح ١٢ من التكوين مثلا ليس هناك فى الحديث عن إبراهيم إلا كلام عن رب واحد: "[6] وَاجْتَازَ أَبْرَامُ فِي الأَرْضِ إِلَى مَكَانِ شَكِيمَ إِلَى بَلُّوطَةِ مُورَةَ . وَكَانَ الْكَنْعَانِيُّونَ حِينَئِذٍ فِي الأَرْضِ . [7]وَظَهَرَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ وَقَالَ: «لِنَسْلِكَ أُعْطِي هذِهِ الأَرْضَ» . فَبَنَى هُنَاكَ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ الَّذِي ظَهَرَ لَهُ . [8]ثُمَّ نَقَلَ مِنْ هُنَاكَ إِلَى الْجَبَلِ شَرْقِيَّ بَيْتِ إِيل وَنَصَبَ خَيْمَتَهُ . وَلَهُ بَيْتُ إِيلَ مِنَ الْمَغْرِبِ وَعَايُ مِنَ الْمَشْرِقِ . فَبَنَى هُنَاكَ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ وَدَعَا بِاسْمِ الرَّبِّ" . ثم إنه إذا كان هؤلاء الثلاثة هم الله ، فهل الله رجال؟ وهل الله يأكل ويشرب ويستريح؟

ومع ذلك فإني أرجو من القارئ الكريم أن يقرأ القصة كلها لا القطعة التي اقتطعها المأفون منها، ولسوف يفاجأ بأن الأمر كله عراك في غير معترك، وأن الرجال الثلاثة ليسوا هم الله، إذ سوف ينصرف الثلاثة بعد قليل من المكان، ويبقى إبراهيم رغم هذا واقفا قبالة ربه يحدثه ويرد عليه في حوار طويل فيه رجاء من جانب إبراهيم أن يسامح الله قوم لوط، وإصرار من جانب الله على عقاب قوم لوط. أي أن الرجال الثلاثة شيء، والله شيء آخر، ولا صلة بين الاثنين حسبما يهرف به كِنْدِيّنا. ولنقرأ: "[1]وَظَهَرَ لَهُ الرَّبُّ عِنْدَ بَلُّوطَاتِ مَمْرَا وَهُوَ جَالِسٌ فِي بَابِ الْخَيْمَةِ وَقْتَ حَرِّ النَّهَارِ، [2]فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا ثَلاَثَةُ رِجَال وَاقِفُونَ لَدَيْهِ. فَلَمَّا نَظَرَ رَكَضَ لاسْتِقْبَالِهِمْ مِنْ بَابِ الْخَيْمَةِ وَسَجَدَ إِلَى الأَرْضِ، [3]وَقَالَ: «يَا سَيِّدُ، إِنْ كُنْتُ قَدْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ فَلاَ تَتَجَاوَزْ عَبْدَكَ. [4]لِيُؤْخَذْ قَلِيلُ مَاءٍ وَاغْسِلُوا أَرْجُلَكُمْ وَاتَّكِئُوا تَحْتَ الشَّجَرَةِ، [5]فَآخُذَ كِسْرَةَ خُبْزٍ، فَتُسْنِدُونَ قُلُوبَكُمْ ثُمَّ تَجْتَازُونَ، لأَنَّكُمْ قَدْ مَرَرْتُمْ عَلَى عَبْدِكُمْ». فَقَالُوا: «هكَذَا تَفْعَلُ كَمَا تَكَلَّمْتَ». [6]فَأَسْرَعَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى الْخَيْمَةِ إِلَى سَارَةَ، وَقَالَ: «أَسْرِعِي بِثَلاَثِ كَيْلاَتٍ دَقِيقًا سَمِيذًا. اعْجِنِي وَاصْنَعِي خُبْزَ مَلَّةٍ». [7]ثُمَّ رَكَضَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى الْبَقَرِ وَأَخَذَ عِجْلاً رَخْصًا وَجَيِّدًا وَأَعْطَاهُ لِلْغُلاَمِ فَأَسْرَعَ لِيَعْمَلَهُ. [8]ثُمَّ أَخَذَ زُبْدًا وَلَبَنًا، وَالْعِجْلَ الَّذِي عَمِلَهُ، وَوَضَعَهَا قُدَّامَهُمْ. وَإِذْ كَانَ هُوَ وَاقِفًا لَدَيْهِمْ تَحْتَ الشَّجَرَةِ أَكَلُوا. [9]وَقَالُوا لَهُ: «أَيْنَ سَارَةُ امْرَأَتُكَ؟» فَقَالَ: «هَا هِيَ فِي الْخَيْمَةِ». [10]فَقَالَ: «إِنِّي أَرْجِعُ إِلَيْكَ نَحْوَ زَمَانِ الْحَيَاةِ وَيَكُونُ لِسَارَةَ امْرَأَتِكَ ابْنٌ». وَكَانَتْ سَارَةُ سَامِعَةً فِي بَابِ الْخَيْمَةِ وَهُوَ وَرَاءَهُ. [11]وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ وَسَارَةُ شَيْخَيْنِ مُتَقَدِّمَيْنِ فِي الأَيَّامِ، وَقَدِ انْقَطَعَ أَنْ يَكُونَ لِسَارَةَ عَادَةٌ كَالنِّسَاءِ. [12]فَضَحِكَتْ سَارَةُ فِي بَاطِنِهَا قَائِلَةً: «أَبَعْدَ فَنَائِي يَكُونُ لِي تَنَعُّمٌ، وَسَيِّدِي قَدْ شَاخَ؟» [13]فَقَالَ الرَّبُّ لإِبْرَاهِيمَ: «لِمَاذَا ضَحِكَتْ سَارَةُ قَائِلَةً:

أَفَبِالْحَقِيقَةِ أَلِدُ وَأَنَا قَدْ شِخْتُ؟ [14] هَلْ يَسْتَحِيلُ عَلَى الرَّبِّ شَيْءٌ؟ فِي الْمِيعَادِ
أَرْجِعُ إِلَيْكَ نَحْوَ زَمَانِ الْحَيَاةِ وَيَكُونُ لِسَارَةَ ابْنٌ». [15] فَأَنْكَرَتْ سَارَةُ قَائِلَةً:
«لَمْ أَضْحَكْ». لأَنَّهَا خَافَتْ. فَقَالَ: «لاَ! بَلْ ضَحِكْتِ». [16] ثُمَّ قَامَ الرِّجَالُ
مِنْ هُنَاكَ وَتَطَلَّعُوا نَحْوَ سَدُومَ. وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ مَاشِيًا مَعَهُمْ لِيُشَيِّعَهُمْ. [17] فَقَالَ
الرَّبُّ: «هَلْ أُخْفِي عَنْ إِبْرَاهِيمَ مَا أَنَا فَاعِلُهُ، [18] وَإِبْرَاهِيمُ يَكُونُ أُمَّةً كَبِيرَةً
وَقَوِيَّةً، وَيَتَبَارَكُ بِهِ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ؟ [19] لأَنِّي عَرَفْتُهُ لِكَيْ يُوصِيَ بَنِيهِ وَبَيْتَهُ
مِنْ بَعْدِهِ أَنْ يَحْفَظُوا طَرِيقَ الرَّبِّ، لِيَعْمَلُوا بِرًّا وَعَدْلاً، لِكَيْ يَأْتِيَ الرَّبُّ
لإِبْرَاهِيمَ بِمَا تَكَلَّمَ بِهِ». [20] وَقَالَ الرَّبُّ: «إِنَّ صُرَاخَ سَدُومَ وَعَمُورَةَ قَدْ كَثُرَ،
وَخَطِيَّتُهُمْ قَدْ عَظُمَتْ جِدًّا. [21] أَنْزِلُ وَأَرَى هَلْ فَعَلُوا بِالتَّمَامِ حَسَبَ صُرَاخِهَا
الآتِي إِلَيَّ، وَإِلاَّ فَأَعْلَمُ». [22] وَانْصَرَفَ الرِّجَالُ مِنْ هُنَاكَ وَذَهَبُوا نَحْوَ
سَدُومَ، وَأَمَّا إِبْرَاهِيمُ فَكَانَ لَمْ يَزَلْ قَائِمًا أَمَامَ الرَّبِّ. [23] فَتَقَدَّمَ إِبْرَاهِيمُ وَقَالَ:
«أَفَتُهْلِكُ الْبَارَّ مَعَ الأَثِيمِ؟ [24] عَسَى أَنْ يَكُونَ خَمْسُونَ بَارًّا فِي الْمَدِينَةِ.
أَفَتُهْلِكُ الْمَكَانَ وَلاَ تَصْفَحُ عَنْهُ مِنْ أَجْلِ الْخَمْسِينَ بَارًّا الَّذِينَ فِيهِ؟ [25] حَاشَا
لَكَ أَنْ تَفْعَلَ مِثْلَ هذَا الأَمْرِ، أَنْ تُمِيتَ الْبَارَّ مَعَ الأَثِيمِ، فَيَكُونُ الْبَارُّ
كَالأَثِيمِ. حَاشَا لَكَ! أَدَيَّانُ كُلِّ الأَرْضِ لاَ يَصْنَعُ عَدْلاً؟» [26] فَقَالَ الرَّبُّ:
«إِنْ وَجَدْتُ فِي سَدُومَ خَمْسِينَ بَارًّا فِي الْمَدِينَةِ، فَإِنِّي أَصْفَحُ عَنِ الْمَكَانِ
كُلِّهِ مِنْ أَجْلِهِمْ». [27] فَأَجَابَ إِبْرَاهِيمُ وَقَالَ: «إِنِّي قَدْ شَرَعْتُ أُكَلِّمُ الْمَوْلَى
وَأَنَا تُرَابٌ وَرَمَادٌ. [28] رُبَّمَا نَقَصَ الْخَمْسُونَ بَارًّا خَمْسَةً. أَتُهْلِكُ كُلَّ الْمَدِينَةِ
بِالْخَمْسَةِ؟» فَقَالَ: «لاَ أُهْلِكُ إِنْ وَجَدْتُ هُنَاكَ خَمْسَةً وَأَرْبَعِينَ». [29] فَعَادَ
يُكَلِّمُهُ أَيْضًا وَقَالَ: «عَسَى أَنْ يُوجَدَ هُنَاكَ أَرْبَعُونَ». فَقَالَ: «لاَ أَفْعَلُ مِنْ
أَجْلِ الأَرْبَعِينَ». [30] فَقَالَ: «لاَ يَسْخَطِ الْمَوْلَى فَأَتَكَلَّمَ. عَسَى أَنْ يُوجَدَ هُنَاكَ
ثَلاَثُونَ». فَقَالَ: «لاَ أَفْعَلُ إِنْ وَجَدْتُ هُنَاكَ ثَلاَثِينَ». [31] فَقَالَ: «إِنِّي قَدْ
شَرَعْتُ أُكَلِّمُ الْمَوْلَى. عَسَى أَنْ يُوجَدَ هُنَاكَ عِشْرُونَ». فَقَالَ: «لاَ أُهْلِكُ

مِنْ أَجْلِ الْعِشْرِينَ». ٣٢فَقَالَ: «لاَ يَسْخَطِ الْمَوْلَى فَأَتَكَلَّمَ هذِهِ الْمَرَّةَ فَقَطْ. عَسَى أَنْ يُوجَدَ هُنَاكَ عَشَرَةٌ». فَقَالَ: «لاَ أُهْلِكُ مِنْ أَجْلِ الْعَشَرَةِ». ٣٣وَذَهَبَ الرَّبُّ عِنْدَمَا فَرَغَ مِنَ الْكَلاَمِ مَعَ إِبْرَاهِيمَ، وَرَجَعَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى مَكَانِهِ. واضح تمام الوضوح أن الرجال قد انصرفوا وبقى الله مع إبراهيم يتحدثان ويتجادلان، إلى أن جاء الوقت الذى انصرف فيه المولى سبحانه بدوره. فهناك إذن انصرافان: الأول انصراف الرجال الثلاثة، والثانى انصراف الله. أى أن الرجال الثلاثة ليسوا هم الله.

وطبعا نحن المسلمين لا نؤمن بتجسد الله ولا برؤية العباد له فى الدنيا ولا بمجيئه وانصرافه كأنه شخص من الأشخاص، لكننى آخذ الكندى على راحته حتى أُفْحِمه على أساس من اعتقاداته هو وأُلْزِمه الحُجّة بالمنطق الذى يتفاخر به ويطنطن فى الآفاق. ومع ذلك لم تنته المسرحية بعد، إذ نقرأ فى الإصحاح الذى بعد هذا الإصحاح مباشرة ما يلى: "١فَجَاءَ الْمَلاَكَانِ إِلَى سَدُومَ مَسَاءً، وَكَانَ لُوطٌ جَالِسًا فِي بَابِ سَدُومَ. فَلَمَّا رَآهُمَا لُوطٌ قَامَ لاسْتِقْبَالِهِمَا، وَسَجَدَ بِوَجْهِهِ إِلَى الأَرْضِ. ٢وَقَالَ: «يَا سَيِّدَيَّ، مِيلاَ إِلَى بَيْتِ عَبْدِكُمَا وَبِيتَا وَاغْسِلاَ أَرْجُلَكُمَا، ثُمَّ تُبَكِّرَانِ وَتَذْهَبَانِ فِي طَرِيقِكُمَا». فَقَالاَ: «لاَ، بَلْ فِي السَّاحَةِ نَبِيتُ». ٣فَأَلَحَّ عَلَيْهِمَا جِدًّا، فَمَالاَ إِلَيْهِ وَدَخَلاَ بَيْتَهُ، فَصَنَعَ لَهُمَا ضِيَافَةً وَخَبَزَ فَطِيرًا فَأَكَلاَ. ٤وَقَبْلَمَا اضْطَجَعَا أَحَاطَ بِالْبَيْتِ رِجَالُ الْمَدِينَةِ، رِجَالُ سَدُومَ، مِنَ الْحَدَثِ إِلَى الشَّيْخِ، كُلُّ الشَّعْبِ مِنْ أَقْصَاهَا. ٥فَنَادَوْا لُوطًا وَقَالُوا لَهُ: «أَيْنَ الرَّجُلاَنِ اللَّذَانِ دَخَلاَ إِلَيْكَ اللَّيْلَةَ؟ أَخْرِجْهُمَا إِلَيْنَا لِنَعْرِفَهُمَا». ٦فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ لُوطٌ إِلَى الْبَابِ وَأَغْلَقَ الْبَابَ وَرَاءَهُ ٧وَقَالَ: «لاَ تَفْعَلُوا شَرًّا يَا إِخْوَتِي. ٨هُوَذَا لِي ابْنَتَانِ لَمْ تَعْرِفَا رَجُلاً. أُخْرِجُهُمَا إِلَيْكُمْ فَافْعَلُوا بِهِمَا كَمَا يَحْسُنُ فِي عُيُونِكُمْ. وَأَمَّا هذَانِ الرَّجُلاَنِ فَلاَ تَفْعَلُوا بِهِمَا شَيْئًا، لأَنَّهُمَا قَدْ دَخَلاَ تَحْتَ ظِلِّ سَقْفِي». ٩فَقَالُوا: «ابْعُدْ

إِلَى هُنَاكَ» . ثُمَّ قَالُوا: «جَاءَ هذَا الإِنْسَانُ لِيَتَغَرَّبَ ، وَهُوَ يَحْكُمُ حُكْمًا . الآنَ نَفْعَلُ بِكَ شَرًّا أَكْثَرَ مِنْهُمَا» . فَأَلَحُّوا عَلَى الرَّجُلِ لُوطٍ جِدًّا وَتَقَدَّمُوا لِيُكَسِّرُوا الْبَابَ . [١٠] فَمَدَّ الرَّجُلاَنِ أَيْدِيَهُمَا وَأَدْخَلاَ لُوطًا إِلَيْهِمَا إِلَى الْبَيْتِ وَأَغْلَقَا الْبَابَ . [١١] وَأَمَّا الرِّجَالُ الَّذِينَ عَلَى بَابِ الْبَيْتِ فَضَرَبَاهُمْ بِالْعَمَى ، مِنَ الصَّغِيرِ إِلَى الْكَبِيرِ ، فَعَجِزُوا عَنْ أَنْ يَجِدُوا الْبَابَ . . . إلى آخر القصة" . فما الذى نفهمه من هذا؟ ألا نفهم أن الرجال كانوا ملائكة؟ لكن أين ذهب الثالث؟ والعجيب أن مؤلف السفر بعد أن نص بصريح القول على أنهما ملاكان اثنان لا ملاك واحد عاد فجعل لوط يقول لهما: "يا سيد" بصيغة المفرد . واللافت للنظر أنهما هما أيضا يأكلان كما فعل الثلاثة فى قصة إبراهيم ، وهذه أول مرة نعلم فيها أن الملائكة تأكل وتشرب مثلنا! أما فى القرآن فإنهم لم يمدوا يدا إلى الطعام: لا هنا ولا عند إبراهيم .

إن التفسير المنطقى للأشياء هو أن كلا من إبراهيم ولوط كانا يتحدثان مع الملائكة الذين يريد كاتب السفر أن يقول لنا إنهم كانوا يمثلون الله فينطقون عنه ما يريد إبلاغه إليهما عليهما السلام ، وإنْ كان الكاتب قد أفسد الأمر بإضافات لم تكن فى الأصل فأربك كل شيء . وتتضح منطقية هذا التفسير إذا قرأنا الإصحاح الثانى والعشرين من السفر ذاته مثلا ، ففيه نجد أن الله نفسه ينادى إبراهيم قائلا له كذا وكذا: "[١] وَحَدَثَ بَعْدَ هذِهِ الأُمُورِ أَنَّ اللهَ امْتَحَنَ إِبْرَاهِيمَ ، فَقَالَ لَهُ: «يَا إِبْرَاهِيمُ!» . فَقَالَ: «هأَنَذَا» . [٢] فَقَالَ: «خُذِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ ، الَّذِي تُحِبُّهُ ، إِسْحَاقَ ، وَاذْهَبْ إِلَى أَرْضِ الْمُرِيَّا ، وَأَصْعِدْهُ هُنَاكَ مُحْرَقَةً عَلَى أَحَدِ الْجِبَالِ الَّذِي أَقُولُ لَكَ» ، ، لنفاجأ بعد قليل أن الكاتب ينص على أن الملاك قال لإبراهيم كلاما ، لكن بطريقة توحى أن الله هو الذى يتكلم فعلا لا أن الملاك ينقل ما قال: "[١٥] وَنَادَى مَلاَكُ الرَّبِّ إِبْرَاهِيمَ ثَانِيَةً مِنَ السَّمَاءِ [١٦] وَقَالَ: «بِذَاتِي أَقْسَمْتُ يَقُولُ الرَّبُّ ، أَنِّي مِنْ أَجْلِ

أَنَّكَ فَعَلْتَ هذَا الأَمْرَ، وَلَمْ تُمْسِكِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ، [17]أُبَارِكُكَ مُبَارَكَةً، وَأُكَثِّرُ نَسْلَكَ تَكْثِيرًا كَنُجُومِ السَّمَاءِ وَكَالرَّمْلِ الَّذِي عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ، وَيَرِثُ نَسْلُكَ بَابَ أَعْدَائِهِ، [18]وَيَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ، مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِي»". واضح أم نقول من جديد؟ ومن النصوص التى ذُكِر فيها الرب على أنه إلهُ اثنين فقط لا ثلاثةٍ النص التالى الذى يقول فيه سبحانه ليعقوب حسبما نقرأ فى الإصحاح الثامن والعشرين من سفر "التكوين": "[10]فَخَرَجَ يَعْقُوبُ مِنْ بِئْرِ سَبْعٍ وَذَهَبَ نَحْوَ حَارَانَ. [11]وَصَادَفَ مَكَانًا وَبَاتَ هُنَاكَ لأَنَّ الشَّمْسَ كَانَتْ قَدْ غَابَتْ، وَأَخَذَ مِنْ حِجَارَةِ الْمَكَانِ وَوَضَعَهُ تَحْتَ رَأْسِهِ، فَاضْطَجَعَ فِي ذلِكَ الْمَكَانِ. [12]وَرَأَى حُلْمًا، وَإِذَا سُلَّمٌ مَنْصُوبَةٌ عَلَى الأَرْضِ وَرَأْسُهَا يَمَسُّ السَّمَاءَ، وَهُوَذَا مَلاَئِكَةُ اللهِ صَاعِدَةٌ وَنَازِلَةٌ عَلَيْهَا. [13]وَهُوَذَا الرَّبُّ وَاقِفٌ عَلَيْهَا، فَقَالَ: «أَنَا الرَّبُّ إِلهُ إِبْرَاهِيمَ أَبِيكَ وَإِلهُ إِسْحَاقَ"، وكذلك النص الذى نسمع يعقوب يناديه سبحانه فيه بقوله: "يَا إِلهَ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَإِلهَ أَبِي إِسْحَاقَ" (وكأنه إله أبيه وجده فقط، لا إله هو أيضا/ تكوين/ ٣٢/ ٩)، وقول موسى عنه عز وجل: "هذَا إِلهِي فَأُمَجِّدُهُ، إِلهُ أَبِي فَأُرَفِّعُهُ" (خروج/ ١٥/ ٢). فهل نقول إنه سبحانه وتعالى أقنومان اثنان لا غير؟

ولنفترض أننا قبلنا كلام الكندى وغضضنا البصر عما قلناه ونسفناه به، فهل نفهم من هذه القصة أن الله تجسد قبل عيسى؟ إذن ما فضل عيسى فى التجسد، وبخاصة أن ثمة تجسدات أخرى لله سبحانه فى هيئة بشرية غير هذه يحكيها لنا الكتاب المقدس؟ من ذلك ما قصه علينا مؤلف سفر "الخلق" ذاته فى النص السابق من أن يعقوب "[12]رَأَى حُلْمًا، وَإِذَا سُلَّمٌ مَنْصُوبَةٌ عَلَى الأَرْضِ وَرَأْسُهَا يَمَسُّ السَّمَاءَ، وَهُوَذَا مَلاَئِكَةُ اللهِ صَاعِدَةٌ وَنَازِلَةٌ عَلَيْهَا. [13]وَهُوَذَا الرَّبُّ وَاقِفٌ عَلَيْهَا" (وهذه أول مرة نعرف أن الله يقف فوق

السلام. ترى ماذا كان يفعل سبحانه وتعالى هناك؟)، وكذلك ما نقرؤه فى الإصحاح الثانى والثلاثين من أن يعقوب قام فى ليلة من الليالى "[٢٢]وَأَخَذَ امْرَأَتَيْهِ وَجَارِيَتَيْهِ وَأَوْلاَدَهُ الأَحَدَ عَشَرَ وَعَبَرَ مَخَاضَةَ يَبُّوقَ. [٢٣]أَخَذَهُمْ وَأَجَازَهُمُ الْوَادِيَ، وَأَجَازَ مَا كَانَ لَهُ. [٢٤]فَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ، وَصَارَعَهُ إِنْسَانٌ حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ. [٢٥]وَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، ضَرَبَ حُقَّ فَخْذِهِ، فَانْخَلَعَ حُقُّ فَخْذِ يَعْقُوبَ فِي مُصَارَعَتِهِ مَعَهُ. [٢٦]وَقَالَ: «أَطْلِقْنِي، لأَنَّهُ قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ». فَقَالَ: «لاَ أُطْلِقُكَ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي». [٢٧]فَقَالَ لَهُ: «مَا اسْمُكَ؟» فَقَالَ: «يَعْقُوبُ». [٢٨]فَقَالَ: «لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ إِسْرَائِيلَ، لأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللهِ وَالنَّاسِ وَقَدَرْتَ». [٢٩]وَسَأَلَ يَعْقُوبُ وَقَالَ: «أَخْبِرْنِي بِاسْمِكَ». فَقَالَ: «لِمَاذَا تَسْأَلُ عَنِ اسْمِي؟» وَبَارَكَهُ هُنَاكَ. [٣٠]فَدَعَا يَعْقُوبُ اسْمَ الْمَكَانِ «فَنِيئِيلَ» قَائِلاً: «لأَنِّي نَظَرْتُ اللهَ وَجْهًا لِوَجْهٍ، وَنُجِّيَتْ نَفْسِي». [٣١]وَأَشْرَقَتْ لَهُ الشَّمْسُ إِذْ عَبَرَ فَنُوئِيلَ وَهُوَ يَخْمَعُ عَلَى فَخْذِهِ. [٣٢]لِذلِكَ لاَ يَأْكُلُ بَنُو إِسْرَائِيلَ عِرْقَ النَّسَا الَّذِي عَلَى حُقِّ الْفَخْذِ إِلَى هذَا الْيَوْمِ، لأَنَّهُ ضَرَبَ حُقَّ فَخْذِ يَعْقُوبَ عَلَى عِرْقِ النَّسَا". إن الذى صارعه يعقوب فى تلك الليلة هو الله. ولنلاحظ أنه هنا رجل واحد لا ثلاثة ولا اثنان كما هو الحال فى قصة إبراهيم ولوط على التوالى. وعلى أية حال فها هو ذا عبد إبراهيم الخليل ينادى الله باعتباره "إله إبراهيم" فقط: "أَيُّهَا الرَّبُّ إِلهَ سَيِّدِي إِبْرَاهِيمَ" (تكوين/ ٢٤/ ١٢)، مما لو جرينا فيه على طريقة صاحبنا لقلنا إن الإله هنا هو إله إبراهيم وحده وليس إله أى شخص آخر، وهو فهم يبعث على القهقهة! وقد تكرر ذلك فى المواضع التالية: تكوين/ ٢٤/ ٢٧، ٤٢، ٤٨. بل إن الله نفسه سبحانه وتعالى لا يقول عن نفسه لإسحاق بن إبراهيم إلا أنه "إله إبراهيم أبيك" (تكوين/ ٢٦/ ٢٤)، على حين أنه فى الإصحاح السادس والأربعين من سفر "التكوين" يقول

ليعقوب إنه إله أبيه (أى إله إسحاق): "فَارْتَحَلَ إِسْرَائِيلُ (وإسرائيل هو يعقوب كما هو معلوم) وَكُلُّ مَا كَانَ لَهُ وَأَتَى إِلَى بِئْرِ سَبْعٍ، وَذَبَحَ ذَبَائِحَ لإِلهِ أَبِيهِ إِسْحَاقَ. فَكَلَّمَ اللهُ إِسْرَائِيلَ فِي رُؤَى اللَّيْلِ وَقَالَ: «يَعْقُوبُ، يَعْقُوبُ!». فَقَالَ: «هأَنَذَا». فَقَالَ: «أَنَا اللهُ، إِلهُ أَبِيكَ...»"، وإسحاق بدوره يقول لابنه عنه سبحانه: "إلهك" (إلهك فقط، لاحظ/ تكوين/ ٢٧/ ٢٠)، وكذلك يقول يعقوب عنه سبحانه: "إِلهُ أَبِي كَانَ مَعِي" (لاحظ: إله أبيه إسحاق فقط هذه المرة، لكن لا إلهه هو ولا إله جده إبراهيم/ تكوين/ ٣١/ ٥)، و"إله إبراهيم" (إله إبراهيم وحده هذه المرة دون إسحاق ودون يعقوب/ تكوين/ ٣١/ ٥٣)، و"إله إسرائيل" (أى إلهه هو وحده دون غيره، فيعقوب هو نفسه إسرائيل كما هو معروف/ تكوين/ ٣٣/ ٢٠)، ويقول مخاطبا يوسف ابنه إنه سبحانه وتعالى "إله أبيك" (تكوين/ ٤٩/ ٢٥). وبالمثل يقول موسى عنه سبحانه: "إِلهُ أَبِي" (خروج/ ١٨/ ٤)، ويقول له الله: "أنا الربّ إلهك" (خروج/ ٢٠/ ٢، ٥. وانظر كذلك: خروج/ ٢٠/ ١٠/ ١٢، و٢٣/ ١٩ حيث يقول سبحانه عن نفسه له أيضا: "الرب إلهك"، وكذلك خروج/ ٣٢/ ١١ حيث نقرأ أن موسى تضرّع: "أَمَامَ الرَّبِّ إِلهِهِ"، وخروج/ ٣٤/ ٢٤، ٢٦، وتثنية/ ٧/ ١، ٢، ٦، ٩، ١٢، ١٦، و١٥/ ١٥، ١٨، ١٩، ٢٠، ١٢... إلخ حيث يقول الله عن نفسه مخاطبا كليمه أو شعب إسرائيل قائلا: إننى "الرب إلهك"). أما فى الأناجيل فلا يقابلنا إلا عبارة "الرب إلهك" (متى/ ٤/ ٧، ١٠، و٢٢/ ٣٧، ومرقس/ ١٢/ ٣٠، ولوقا/ ٤/ ٨، ١٢، و١٠/ ٢٧)، أو عبارة "إلهى" (متى/ ٢٦/ ٤٧، ومرقس/ ١٥/ ٣٤)، أو عبارة "إله إسرائيل" (متى/ ١٥/ ٣١، ولوقا/ ١/ ٦٨)، أو ما أشبه حيث لا تثليث ولا يحزنون (وهناك مرة واحدة استشهد فيها عيسى عليه السلام بالعبارة التى أثارت كل

هذا الأخذ والرد فى العهد القديم: "أَفَمَا قَرَأْتُمْ مَا قِيلَ لَكُمْ مِنْ قِبَلِ اللهِ الْقَائِلِ: [32]أَنَا إِلهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلهُ إِسْحَاقَ وَإِلهُ يَعْقُوبَ؟"/ متى/ ٢٢/ ٣٢، وانظر كذلك مرقس/ ١٢/ ٢٦، ولوقا/ ٢٠/ ٣٧. وهى، كما يرى القارئ، ليست شيئا جديدا، بل تذكرة بما قيل قديما)، فما رأى الكندى فى هذا كله؟ وهذا غير تسميته سبحانه لنفسه فى خطابه لبنى إسرائيل مباشرة: "الرب إلهكم"، وهو ما تكرر كثيرا جدا فى العهد القديم. فهل نقول على طريقة صاحبنا الكندى إن أقانيمه سبحانه تبلغ الملايين بمقدار عدد بنى إسرائيل على مدى الدهر؟ ثم هناك التسمية التالية التى تستطيع عن طريق البهلوانية التى يجرى عليها صاحبنا فى الاستنتاج أن نرتفع بعدد الأقانيم الإلهية فنقول استنادا إليها إن أقانيمه سبحانه لا تُعَدّ ولا تُحْصَى لأن موسى وهارون قد ابتهلا إليه قائلين: "اللهمّ إله أرواح جميع البشر" (عدد/ ١٦/ ٢٢، و٢٧/ ١٦)، إذ من منّا يستطيع أن يحصى أرواح البشر جميعا فى كل العصور والأقاليم؟

ونعود مرة أخرى فنتساءل: ما الميزة التى يختص بها عيسى عليه السلام فى مسألة التجسد إذن إذا كان الله قد تجسد من قبله بأزمان طوال لكل من إبراهيم وحفيده يعقوب، ومن قبلهما تجسد سبحانه وتعالى لآدم، ومن بعدهما تجسد لموسى، وأستغفره جَلّ وعَزّ على ترديد هذا الكلام؟ فأما تجسده لآدم ففى الإصحاح الأول من السفر الذى نحن فيه: "[1]وَكَانَتِ الْحَيَّةُ أَحْيَلَ جَمِيعِ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ الَّتِي عَمِلَهَا الرَّبُّ الإِلهُ، فَقَالَتْ لِلْمَرْأَةِ: «أَحَقًّا قَالَ اللهُ لاَ تَأْكُلاَ مِنْ كُلِّ شَجَرِ الْجَنَّةِ؟» [2]فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ لِلْحَيَّةِ: «مِنْ ثَمَرِ شَجَرِ الْجَنَّةِ نَأْكُلُ، [3]وَأَمَّا ثَمَرُ الشَّجَرَةِ الَّتِي فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ فَقَالَ اللهُ: لاَ تَأْكُلاَ مِنْهُ وَلاَ تَمَسَّاهُ لِئَلاَّ تَمُوتَا». [4]فَقَالَتِ الْحَيَّةُ لِلْمَرْأَةِ: «لَنْ تَمُوتَا! [5]بَلِ اللهُ عَالِمٌ أَنَّهُ يَوْمَ تَأْكُلاَنِ مِنْهُ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا وَتَكُونَانِ كَاللهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرَ

وَالشَّرَّ». [6] فَرَأَتِ الْمَرْأَةُ أَنَّ الشَّجَرَةَ جَيِّدَةٌ لِلأَكْلِ، وَأَنَّهَا بَهِجَةٌ لِلْعُيُونِ، وَأَنَّ الشَّجَرَةَ شَهِيَّةٌ لِلنَّظَرِ. فَأَخَذَتْ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ، وَأَعْطَتْ رَجُلَهَا أَيْضًا مَعَهَا فَأَكَلَ. [7] فَانْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَعَلِمَا أَنَّهُمَا عُرْيَانَانِ. فَخَاطَا أَوْرَاقَ تِينٍ وَصَنَعَا لأَنْفُسِهِمَا مَآزِرَ. [8] وَسَمِعَا صَوْتَ الرَّبِّ الإِلهِ مَاشِيًا فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ هُبُوبِ رِيحِ النَّهَارِ، فَاخْتَبَأَ آدَمُ وَامْرَأَتُهُ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ الإِلهِ فِي وَسَطِ شَجَرِ الْجَنَّةِ. [9] فَنَادَى الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ وَقَالَ لَهُ: «أَيْنَ أَنْتَ؟». [10] فَقَالَ: «سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ فَخَشِيتُ، لأَنِّي عُرْيَانٌ فَاخْتَبَأْتُ». [11] فَقَالَ: «مَنْ أَعْلَمَكَ أَنَّكَ عُرْيَانٌ؟ هَلْ أَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ أَنْ لاَ تَأْكُلَ مِنْهَا؟» [12] فَقَالَ آدَمُ: «الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِي هِيَ أَعْطَتْنِي مِنَ الشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ». [13] فَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ لِلْمَرْأَةِ: «مَا هذَا الَّذِي فَعَلْتِ؟» فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: «الْحَيَّةُ غَرَّتْنِي فَأَكَلْتُ»". فالله هنا يتمشى فى الجنة وينادى على آدم الذى أحس به فاختبأ منه حتى لا يراه سبحانه وتعالى عاريا، وكأن الله يَخْفَى عليه شىء فى الأرض أو فى السماء! ولكنْ هكذا اقتضت مشيئة مؤلف السِّفْر الذى من الواضح أنه يقيس الله على البشر. ولم لا؟ ألا يتجسد مثل البشر ويأكل ويشرب ويستريح ويتنزه مثل أى عمدة فى الريف فى أملاكه مستمتعا بمرآها؟ فما الغريب فى أن يجرى عليه ما يجرى علينا نحن البشر ويخفى عليه آدم حين يختبئ منه؟ ولنلاحظ اضطراب مؤلف السفر فى حكايته المضحكة، إذ ذكر هو نفسه أن أبوينا كانا قد صنعا لنفسيهما مئزرين تغطيا بهما، ومع ذلك يصر على القول على لسان آدم إنهما لا يزالان عريانين! والآن مع تجسده سبحانه لموسى وبعض رجال قومه فوق الجبل طبقا لما كتبه مؤلف سفر "الخروج" فى الإصحاح الرابع والعشرين: "[9] ثُمَّ صَعِدَ مُوسَى وَهَارُونُ وَنَادَابُ وَأَبِيهُو وَسَبْعُونَ مِنْ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ، [10] وَرَأَوْا إِلهَ إِسْرَائِيلَ، وَتَحْتَ رِجْلَيْهِ شِبْهُ صَنْعَةٍ مِنَ الْعَقِيقِ الأَزْرَقِ الشَّفَّافِ، وَكَذَاتِ السَّمَاءِ فِي النَّقَاوَةِ.

"وَلكِنَّهُ لَمْ يَمُدَّ يَدَهُ إِلَى أَشْرَافِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. فَرَأَوْا اللهَ وَأَكَلُوا وَشَرِبُوا".
والآن نعيد التساؤل المنطقى جدا: ترى ما الذى يتميز به عيسى عليه السلام فى مسألة التجسد كى يجعل منها النصارى سببا لتأليهه وعبادته؟ وأرجو أن تلاحظ حكاية الأكل والشرب فى كل مرة يتجسد فيها الله!

ورغم كل ما قدمنا فإننا على استعداد لأن نضرب عنه كله صفحا ونسأل: إذا كان تفسير الكندى لحكاية الرجال الثلاثة الذين ظهروا لإبراهيم هو التفسير الصحيح للأمر فلم لم يلتزمه الله سبحانه وتعالى فى كل كلام قاله لإبراهيم وسائر الأنبياء، وكذلك فى كل كلام قاله إبراهيم وسائر الأنبياء عن الله؟ إننا ننظر فى كلام عيسى مثلا عن الله فلا نجده استخدم فى الإشارة إليه إلا ضمير المفرد، فماذا ترى صاحبنا المسفسط قائلا؟ وقد ذكرت عيسى بالذات لأن اعتقاد الكندى فى التثليث من خلال إيمانه به عليه السلام هو الذى دفعه إلى كل تلك السفسطات، فأردت أن آخذ من ذقنه وأفتل له، وإلا فالكتاب المقدس يقوم فى الأساس على استعمال الضمير المفرد لله سبحانه وتعالى، ولا يلجأ لضمير الجمع إلا على سبيل النُّدْرة الشديدة التى لا تكاد تُذْكَر! والنصوص التى مرت وستمر فى هذه الدراسة، وهى كثيرة جدا، خير شاهد على ما نقول. ومن يرد أن يطالع نصوصا أخرى فأمامه الكتاب المقدس لدى اليهود والنصارى يستطيع أن يفتحه على أية صفحة ليرى بنفسه صدق هذا الكلام.

ولكى يثبت المدلس أن الله ثلاثة أقانيم يشير إلى ما جاء فى المزمور ٣٣/ ٦ منسوبا إلى داود عليه السلام من أنه "بِكَلِمَةِ الرَّبِّ صُنِعَتِ السَّمَاوَاتُ وَبِنَسَمَةِ فِيهِ كُلُّ جُنُودِهَا" قائلا إن داود قد صرح بالثلاثة الأقانيم حيث قال: الله وكلمته وبنسَمة فيه (أي بروحه). ثم يتساءل بخبث غبى مفضوح: "فهل زدنا في وصفنا على ما قال داود؟". والرد عليه هو أن من المضحك أن يفسر

النسمة بروح الله . لقد سبق أن أشرنا إلى قول بولس إن الله روح ، وهو ما ردده مؤلفو " دائرة المعارف الكتابية " كما رأينا ، فكيف تكون روح الله الذى هو أصلا روح؟ أتكون هى روح الروح؟ ثم لقد نسى الغبى أن النص الذى اقتطعه من سياقه ظنا منه أنه يخدم زعمه إنما يتكلم عن رحمة الله وكلمته وروحه لا عن الله وكلمته وروحه . ومع هذا فتعالَوْا أيها القراء نقرأ النص كاملا معا ، وها هو ذا: " امْتَلأَتِ الأَرْضُ مِنْ رَحْمَةِ الرَّبِّ . [6]بِكَلِمَةِ الرَّبِّ صُنِعَتِ السَّمَاوَاتُ ، وَبِنَسَمَةِ فِيهِ كُلُّ جُنُودِهَا . [7]يَجْمَعُ كَنَدٍّ أَمْوَاهَ الْيَمِّ . يَجْعَلُ اللُّجَجَ فِي أَهْرَاءٍ . [8]لِتَخْشَ الرَّبَّ كُلُّ الأَرْضِ ، وَمِنْهُ لِيَخَفْ كُلُّ سُكَّانِ الْمَسْكُونَةِ . [9]لأَنَّهُ قَالَ فَكَانَ . هُوَ أَمَرَ فَصَارَ . [10]الرَّبُّ أَبْطَلَ مُؤَامَرَةَ الأُمَمِ . لاَشَى أَفْكَارَ الشُّعُوبِ . [11]أَمَّا مُؤَامَرَةُ الرَّبِّ فَإِلَى الأَبَدِ تَثْبُتُ . أَفْكَارُ قَلْبِهِ إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ . [12]طُوبَى لِلأُمَّةِ الَّتِي الرَّبُّ إِلهُهَا ، الشَّعْبِ الَّذِي اخْتَارَهُ مِيرَاثًا لِنَفْسِهِ . [13]مِنَ السَّمَاوَاتِ نَظَرَ الرَّبُّ . رَأَى جَمِيعَ بَنِي الْبَشَرِ . [14]مِنْ مَكَانِ سُكْنَاهُ تَطَلَّعَ إِلَى جَمِيعِ سُكَّانِ الأَرْضِ . [15]الْمُصَوِّرُ قُلُوبَهُمْ جَمِيعًا ، الْمُنْتَبِهُ إِلَى كُلِّ أَعْمَالِهِمْ . [16]لَنْ يَخْلُصَ الْمَلِكُ بِكَثْرَةِ الْجَيْشِ . الْجَبَّارُ لاَ يُنْقَذُ بِعِظَمِ الْقُوَّةِ . [17]بَاطِلٌ هُوَ الْفَرَسُ لأَجْلِ الْخَلاَصِ ، وَبِشِدَّةِ قُوَّتِهِ لاَ يُنَجِّي . [18]هُوَذَا عَيْنُ الرَّبِّ عَلَى خَائِفِيهِ الرَّاجِينَ رَحْمَتَهُ ، [19]لِيُنَجِّيَ مِنَ الْمَوْتِ أَنْفُسَهُمْ ، وَلِيَسْتَحْيِيَهُمْ فِي الْجُوعِ . [20]أَنْفُسُنَا انْتَظَرَتِ الرَّبَّ . مَعُونَتُنَا وَتُرْسُنَا هُوَ . [21]لأَنَّهُ بِهِ تَفْرَحُ قُلُوبُنَا ، لأَنَّنَا عَلَى اسْمِهِ الْقُدُّوسِ اتَّكَلْنَا . [22]لِتَكُنْ يَا رَبُّ رَحْمَتُكَ عَلَيْنَا حَسْبَمَا انْتَظَرْنَاكَ " . وفى هذه السطور يتضح أن هناك ثمانية أشياء تتعلق بالرب لا ثلاثة فقط كما فى النص الذى اقتطعه المأفون واجتزأه وعبث فوق ذلك به لكى يتم له التدليس المراد . وهذه الأشياء الثمانية هى: رحمته وكلمته ونسمةٌ فيه ومؤامرته وأفكار قلبه ومكان سكناه وعينه واسمه القدوس . فهل معنى هذا أنه ثمانية أقانيم؟ ثم إن كلمة الله ، حسب ذلك

الكلام الأبله، هى وحدها التى خلقت السماوات، بينما نسمة فمه هى التى خلقت جنودها، أما رحته فلم تفعل شيئا، بل امتلأت بها الأرض فقط. فهل نفهم من ذلك أن الأقنوم الثانى هو الذى خلق السماوات، وأن الأقنوم الثالث هو الذى خلق جنودها؟ وأن الأقنوم الأول لم يخلق أى شىء؟ إن معنى هذا بكل وضوح أن الله لم يشترك بكليته فى خلق كل شىء، بل قام أقنوم بخلق شىء، وأقنوم آخر بخلق شىء آخر، وباقى الكون له رب اسمه الكريم! لكن المسيح فى الأناجيل (وهو الأقنوم الثانى عند النصارى كما نعرف) لم ينسب لنفسه خلق أى شىء، بل كل شىء منسوب فى كلامه للأقنوم الأول الذى لم يرد رغم ذلك هنا أنه خلق أى شىء. فما القول فى هذا كله؟ وعلى أية حال لماذا لم يجر الكلام فى الكتاب المقدس كله هكذا؟ وكيف غفل كل الأنبياء وأقوامهم عن ذلك إلى أن جاء متكلمو النصرانية؟ ولنلاحظ أننى قد اكتفيت بالنص الذى استشهد الكندى المزعوم بجزء منه ولم أتوسع فى الكتاب المقدس كله، وإلا لبلغت الأقانيم عددا أكبر كثيرا من ثمانية!

ثم يمضى هذا الكندى الموهوم مشيرا إلى ما جاء فى سِفْر "إشَعْياء" من أن الله عز وجل تراءى له والملائكة حافّون به مقدّسون له قائلين: "قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْجُنُودِ. مَجْدُهُ مِلْءُ كُلِّ الأَرْضِ" (إشعياء ٦: ١-٣)، لينتهى من ذلك إلى القول بأن تقديس الملائكة لله ثلاث مرات واقتصارهم على ذلك بلا زيادة ولا نقصان سرٌّ لتقديسهم الأقانيم الثلاثة إلهًا واحدًا وربًّا واحدًا، وهذا شأنهم منذ خُلقوا إلى أبد الآبدين. وهذا نص كلامه تقريبا. إلا أن الأبعد ينسى أن الله وصَف نفسه فى الإصحاح الثامن والعشرين من نفس ذلك السفر بأنه قدوس مرة واحدة لا ثلاثا: "[١٧] هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ فَادِيكَ قُدُّوسُ إِسْرَائِيلَ". وتكرر هذا فى الكتاب المقدس عشرات المرات،

أما تثليث القُدُّوس فقد تكررت مرتين فقط: فى هذا النص، وكذلك فى النص التالى من "رؤيا يوحنا"(٤/ ٨): "والأربعة الحيوانات لكل واحد منها ستة أجنحة حولها ومن داخلٍ مملوءة عيونا، ولا تزال نهارا وليلا قائلة: قدوس قدوس قدوس الرب الاله القادر على كل شيء الذي كان والكائن والذي يأتي". ليس ذلك فقط بل وُصِف هارون أيضا بأنه "قدوس" فى المزمور ١٠٦: "١٦وَحَسَدُوا مُوسَى فِي الْمَحَلَّةِ، وَهارُونَ قُدُّوسَ الرَّبِّ"، وكذلك كل إسرائيلى يبقى فى أورشليم كما جاء فى إشَعْيا/ ٤: "٢فِي ذلِكَ الْيَوْمِ يَكُونُ غُصْنُ الرَّبِّ بَهَاءً وَمَجْدًا، وَثَمَرُ الأَرْضِ فَخْرًا وَزِينَةً لِلنَّاجِينَ مِنْ إِسْرَائِيلَ. ٣وَيَكُونُ أَنَّ الَّذِي يَبْقَى فِي صِهْيَوْنَ وَالَّذِي يُتْرَكُ فِي أُورُشَلِيمَ، يُسَمَّى قُدُّوسًا. كُلُّ مَنْ كُتِبَ لِلْحَيَاةِ فِي أُورُشَلِيمَ". وهناك أيضا "قدوسون" كثيرون لا قدوس واحد، كما فى دانيال/ ٩: "٢١وَأَنَا مُتَكَلِّمٌ بَعْدُ بِالصَّلاَةِ، إِذَا بِالرَّجُلِ جِبْرَائِيلَ الَّذِي رَأَيْتُهُ فِي الرُّؤْيَا فِي الابْتِدَاءِ مُطَارًا وَاغِفًا لَمَسَنِي عِنْدَ وَقْتِ تَقْدِمَةِ الْمَسَاءِ. ٢٢وَفَهَّمَنِي وَتَكَلَّمَ مَعِي وَقَالَ: «يَا دَانِيآلُ، إِنِّي خَرَجْتُ الآنَ لأُعَلِّمَكَ الْفَهْمَ. ٢٣فِي ابْتِدَاءِ تَضَرُّعَاتِكَ خَرَجَ الأَمْرُ، وَأَنَا جِئْتُ لأُخْبِرَكَ لأَنَّكَ أَنْتَ مَحْبُوبٌ. فَتَأَمَّلِ الْكَلاَمَ وَافْهَمِ الرُّؤْيَا. ٢٤سَبْعُونَ أُسْبُوعًا قُضِيَتْ عَلَى شَعْبِكَ وَعَلَى مَدِينَتِكَ الْمُقَدَّسَةِ لِتَكْمِيلِ الْمَعْصِيَةِ وَتَتْمِيمِ الْخَطَايَا، وَلِكَفَّارَةِ الإِثْمِ، وَلِيُؤْتَى بِالْبِرِّ الأَبَدِيِّ، وَلِخَتْمِ الرُّؤْيَا وَالنُّبُوَّةِ، وَلِمَسْحِ قُدُّوسِ الْقُدُّوسِينَ". وفى إنجيل لوقا نقرأ أنه "مَكْتُوبٌ فِي نَامُوسِ الرَّبِّ: أَنَّ كُلَّ ذَكَرٍ فَاتِحَ رَحِمٍ يُدْعَى قُدُّوسًا لِلرَّبِّ". ثم لو كان تكرار "القدوس" ثلاث مرات دليلا على ما يقول، فلماذا لم يجر الكتاب المقدس على هذه الخطة باستمرار؟ ولماذا ترك سبحانه وتعالى الأنبياء كلهم على جهل بهذا؟ أو إذا كان قد نوّرهم، فلماذا لم ينوّرونا بدَوْرهم ويريحوا ويستريحوا بدلا من كل هذه المتاعب؟ ولماذا "قُدّوس" وحدها هى التى

تكررت (وفى موضعين اثنين فقط) ثلاث مرات ولم يحدث هذا مع "رحيم" و"كريم" و"قوى" و"عزيز" وسائر الصفات الربانية؟

وفى الكتاب المقدس عبارات معينة تتكرر كثيرا بعضها فى إثر بعض، ومنها عبارة "إلى الأبد رحمته"، التى تكررت ما لا أدرى كم من المرات فى عدد من الأسفار، والتى سوف أكتفى بما تكرر منها فى المزمور السادس والثلاثين وحده، وهذا هو: "[1]إِحْمَدُوا الرَّبَّ لأَنَّهُ صَالِحٌ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. [2]احْمَدُوا إِلهَ الآلِهَةِ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. [3]احْمَدُوا رَبَّ الأَرْبَابِ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. [4]الصَّانِعَ الْعَجَائِبَ الْعِظَامَ وَحْدَهُ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. [5]الصَّانِعَ السَّمَاوَاتِ بِفَهْمٍ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. [6]الْبَاسِطَ الأَرْضَ عَلَى الْمِيَاهِ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. [7]الصَّانِعَ أَنْوَارًا عَظِيمَةً، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. [8]الشَّمْسَ لِحُكْمِ النَّهَارِ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. [9]الْقَمَرَ وَالْكَوَاكِبَ لِحُكْمِ اللَّيْلِ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. [10]الَّذِي ضَرَبَ مِصْرَ مَعَ أَبْكَارِهَا، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. [11]وَأَخْرَجَ إِسْرَائِيلَ مِنْ وَسْطِهِمْ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. [12]بِيَدٍ شَدِيدَةٍ وَذِرَاعٍ مَمْدُودَةٍ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. [13]الَّذِي شَقَّ بَحْرَ سُوفٍ إِلَى شُقَقٍ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. [14]وَعَبَّرَ إِسْرَائِيلَ فِي وَسْطِهِ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. [15]وَدَفَعَ فِرْعَوْنَ وَقُوَّتَهُ فِي بَحْرِ سُوفٍ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. [16]الَّذِي سَارَ بِشَعْبِهِ فِي الْبَرِّيَّةِ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. [17]الَّذِي ضَرَبَ مُلُوكًا عُظَمَاءَ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. [18]وَقَتَلَ مُلُوكًا أَعِزَّاءَ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. [19]سِيحُونَ مَلِكَ الأَمُورِيِّينَ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. [20]وَعُوجَ مَلِكَ بَاشَانَ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. [21]وَأَعْطَى أَرْضَهُمْ مِيرَاثًا، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. [22]مِيرَاثًا لإِسْرَائِيلَ عَبْدِهِ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. [23]الَّذِي فِي مَذَلَّتِنَا ذَكَرَنَا، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. [24]وَنَجَّانَا مِنْ أَعْدَائِنَا، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. [25]الَّذِي يُعْطِي خُبْزًا لِكُلِّ بَشَرٍ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ.

"احْمَدُوا إِلهَ السَّمَاوَاتِ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ". والآن نتساءل: كم أقنوما يا ترى سوف يقول الكندى إن هذه العبارة تتكون منه؟ من المؤكد أن أقانيمها ستبلغ العشرات.

والعجيب الغريب أن المتنطع بعد ذلك كله يرمى القرآن بالخطإ والتجنى لتكفيره من يقول إن الله ثالث ثلاثة، مؤكدا أنهم لا يقولون بهذا، بل المرقونيون المارقون. لكن أليس الكندى وأمثاله يقولون بالآب والابن والروح القدس؟ ألا يشرحون ذلك بأن الله هو الآب، والمسيح هو الابن، فضلا عن الروح القدس الذى كان يقوم بمهمة الرسول بينهما أيام أن كان عيسى عليه السلام يعيش على الأرض؟ ألم يقل المسيح إنه يسجد لله، بما يعنى أن الله شىء، والمسيح شىء آخر؟ ألا يقولون إن الله أرسل ابنه إلى الأرض ليفدى البشرية من خطيئتها الأولى بما يعنى أن الآب كان فى السماء، والابن على الأرض؟ ألم يكن الروح القدس ينزل على الابن آتيا من عند الآب حسبما يقول مؤلفو الأناجيل؟ ألم يصرخ هذا الابن إلى أبيه كى يخف لنجدته وهو على الصليب طبقا لما جاء أيضا فى تلك الأناجيل؟ ألم يقل إنه يوم القيامة سوف يشرب ماء الكَرْمَة عند ذلك الأب؟ ألم يقل إنه سيجلس على يمينه يوم الدينونة ويحاسب الناس معه؟ فعلام يدل هذا كله؟ ألا يدل على أن هناك ثلاث ذوات مستقلة؟ وهل قال القرآن شيئا غير هذا؟ وأعجب من ذلك وأشد إمعانا فى الغرابة والتدليس أن يقول الكندى الكذاب للهاشمى المزعوم إن "صاحبك (يقصد النبى عليه السلام)... حثكم على الإيمان بالمسيح سيد العالم ومخلّص البشر: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى

ٱلْأَرْضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ [النساء: ١٧١] . فهل دعانا الرسول إلى أن نؤمن بعيسى سيدا للأكوان ومخلصا للعالم؟ فأين هذا يا ترى؟ كيف ، وفى الآية السابعة عشرة من سورة "المائدة" أن الله لو أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعا ما استطاع أحد أن يعقّب عليه سبحانه بشىء؟ ولماذا نذهب بعيدا ، وهذا النص الذى استشهد به المدلس ينهى النصارى بأقوى عبارة عن الغلوّ فى أمر المسيح باتخاذه إلها ، ويؤكد أنه عليه السلام لا يزيد عن أن يكون رسول الله وكلمته ، أى كلمة "كن فيكون" التى خلق بها آدم ويخلق بها كل شىء ، ويكفّر من يؤلّه السيد المسيح أو يقول بصلبه وقتله؟ الواقع أن هذا الرجل يجرى الكذب فى دمه ويتنفسه تنفسا ولا يمكنه العيش من دونه ، وإلا مات كما تموت السمكة إذا خرجت من الماء! أما ما قاله عن المارقيونيين وأنهم هم المثلثة لا هم فهو كذب صراح يبرهن على أنه لا يعرف الخجل ولا حمرته ، إذ إن مارقيون أقرب ما يكون إلى الثنوية ، لأن الله عنده إلهان: إله العهد القديم العادل الذى خلق العالم ، لكنه إله قاس وعنيف وغضوب لا يعرف الرحمة اتخذ اليهود شعبا مختارا له ، بخلاف إله العهد الجديد ، إله العطف والمرحمة . ومن هنا نراه يرفض ما فى العهد الجديد ولا يقبل إلا ما جاء فى إنجيل لوقا وبعض الرسائل الموجودة فى العهد الجديد ، وإن كان هناك من يقول إن لوقا هو الذى أخذ منه . وهو على كل حال يقول ببنوة المسيح لإله العطف والمرحمة . جاء فى "دائرة المعارف الكاثوليكية: Catholic Encyclopedia" تحت عنوان "Marcionites":

" Heretical sect founded in A. D. 144 at Rome by Marcion and continuing in the West for 300 years, but in the East some centuries longer, especially outside the

Byzantine Empire. They rejected the writings of the Old Testament and taught that Christ was not the Son of the God of the Jews, but the Son of the good God, who was different from the God of the Ancient Covenant. They anticipated the more consistent dualism of Manichaeism and were finally absorbed by it. As they arose in the very infancy of Christianity and adopted from the beginning a strong ecclesiastical organization, parallel to that of the Catholic Church, they were perhaps the most dangerous foe Christianity has ever known ".

وهو نفسه ما نجده فى مادة "Marcionisme" من المعجم اللفظى (Glossaire) الخاص بموقع "www.cef.fr/catho"، إذ تقول هذه المادة:

"Mouvement hérétique fondé par Marcion, philosophe gnostique. Le Marcionisme oppose le Dieu de Justice de l'Ancien Testament au Dieu d'Amour du Nouveau Testament Il nie la réalité de l'Incarnation du Christ prétendant qu'il est homme en apparence ".

وليس لهذا أية علاقة بالإسلام كما نرى، فالله فى الإسلام واحد أحد لا إلهان، والمسيح ليس سوى عبد لله ورسوله، ولا يمكن أن يكون ابنا له سبحانه. أى أن حديث الكندى الملعون عن مارقيون والمارقيونيين هو كذب فى كذب فى كذب!

٥- ثم ينتقل الكذاب إلى الحديث عن نبوة الرسول الكريم صلوات الله

وسلامه عليه فيقول إنه تربى يتيما فى بيت عمه أبى طالب وشارك أهلَه عبادة اللات والعزى بدليل ما جاء فى سورة "الضحى" من قوله تعالى: "أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى* وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى* وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى"، ثم لما تزوج بخديجة واغتنى بمالها أراد أن يرأس قومه، لكن لم يتبعه على ذلك إلا القليلون، فما كان منه إلا أن خدع البدو بأنه نبى من عند الله. وسهَّل عليه مهمتَه أنهم لم يكونوا ذوى عهد بالنبوة والأنبياء، فكانوا لا يعرفون كيف يختبرون صدقه، وهكذا صار نبيا. والحق أن هذا كله ليس سوى كذب منتن كالعقل واللسان اللذين خرج منهما: فالرسول لم يعبد اللات والعزى ولا أى صنم فى حياته، وإلا لما سكت عنه المشركون ولجعلوا منه هدفا لتهكمهم المُضْنِى عندما جاءهم بدعوة التوحيد، وهم الذين لم يتركوا شيئا فى الدنيا من الأكاذيب إلا وشنّعوا به عليه. ومع ذلك لم يحدث أن قالوا عنه قط إنه كان يعبد الأوثان. أما هداية الله له من الضلال فمن قال إن معناها إنقاذه من الوثنية؟ لقد وردت الكلمة فى مواضع غير قليلة من القرآن الكريم فى غير هذا المعنى، كقوله تعالى على لسان موسى حين عايره فرعون بأنه قتل مصريا ثم فر هاربا فرد عليه قائلا: "فعلتُها إذن وأنا من الضالين" (الشعراء/ ٢٠)، فهل كان موسى وثنيا حين قتل المصرى خطأً؟ طبعا ليس هذا هو المعنى المراد، بل المقصود أنه حين قتل المصرى كان مندفعا مع عاطفة الغضب للإسرائيلى المظلوم، فكان أنْ وكز الظالم وكزة عنيفة قضت عليه. ليس ذلك فقط، إذ كانت تهمة فرعون له أنه فعلها وهو من الكافرين، فكان رد موسى أنه إنما فعلها وهو من الضالين لا الكافرين. فالضلال هنا عكس الكفر كما هو واضح، وموسى يتبرأ من الكفر وينسب نفسه للضلال، أى أنه فعل ما فعل عن غير قصد، بل فى نوبة انفعال واندفاع أراد فيها أن يحمى واحدا مظلوما من أبناء قومه، فكان ما كان من قتله

المصرى من وكزة لا تقتل عادة . فما رأى غبينا المطموس البصر والبصيرة؟ وكقول إخوة يوسف لأبيهم حين شم قميص يوسف عن بعد وأخبرهم بذلك فقالوا له: ﴿ قَالُواْ تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ ﴾ [يوسف: ٩٥]، أى ما زلت مقيما على حبك ليوسف ، فأنت تتوهم الأوهام الباطلة وتتصور أنه لا يزال حيا . ذلك أنهم كانوا يقولون عنه عندما يَرَوْن حبه الشديد ليوسف إنه لفى ضلال مبين ، وهو الحب الذى دفعهم للتخلص من أخيهم الصغير حقدا منهم عليه: ﴿ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ﴾ [يوسف: ٨]. ولا يمكن أن يكون يعقوب وثنيا ، وهو النبى ابن النبى ابن النبى! وكقوله سبحانه كذلك لمحمد عليه السلام فى المدينة حين كان يقضى بين الناس ويحكمهم ويحكم بينهم: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾ [النساء: ١١٣]، بمعنى أنه لولا فضل الله عليه لاستطاع أهل طُعْمَة بن أُبَيْرق سارق الدرع إيهام الرسول عن طريق الكذب بأن الذى سرقها إنما هو اليهودى لا طعمة . فالمقصود بهداية الله إذن من الضلال فى سورة " الضحى " هو الإشارة إلى بحثه عن الحقيقة أيام تحنثه ، إذ لا يستطيع الإنسان أن يعرف الحقائق العليا على وجه الدقة واليقين إلا من الله وبهداية منه سبحانه ، وهو ما وقع ، إذ أنزل الله عليه روح القدس بالوحى القرآنى وكلّفه بحمل رسالته إلى البشر لهدايتهم إلى ما فيه صلاح أمرهم واستقامة حياتهم وسعادة نفوسهم . فهذا هو معنى الهداية من الضلال . وهناك رواية تقول إن محمدا الصغير كان قد تاه ذات يوم ، لكن الله أعاده إلى أهله ، فهو سبحانه يمنّ عليه بذلك ويذكّره به .

وقد يكون من المفيد للأغبياء من أمثال الكندى المزعوم أن يعرفوا أن

أحد معانى "الإضلال" فى القرآن هو عمل الرسول على إبعاد المشركين عن الوثنية والأوثان وهدايتهم إلى نور الحق والتوحيد، وهذا هو المعنى الذى استخدمه المشركون فيه، مما يدل على أن الكلمة قد تعنى عكس ما تعنيه الوثنية تماما. فكيف يصر المأفون على أن "الضلال" فى سورة "الضحى" هو عبادة اللات والعزى؟ قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ۝٤١ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ﴾ [الفرقان: ٤١ - ٤٢]. باختصار: معنى الضلال هو عدم استطاعة الشخص من الوصول إلى الغاية الصحيحة لسبب أو لآخر، وكثيرا ما يحدث هذا لأى منا وهو راجع إلى بيته من طريق غير الذى يعرفه، ولا وثنية ولا يحزنون. وهذه شواهد من كتابك أنت لا من القرآن حتى تخرس فلا تنطق: "مَلْعُونٌ مَنْ يُضِلُّ الأَعْمَى عَنِ الطَّرِيقِ" (تثنية/ ٢٧/ ١٨، والضلال هنا هو الضلال عن الطريق)، "كُفَّ يَا ابْنِي عَنِ اسْتِمَاعِ التَّعْلِيمِ لِلضَّلاَلَةِ عَنْ كَلاَمِ الْمَعْرِفَةِ" (أمثال/ ١٩/ ٧، والضلال فى هذا الشاهد هو ضلال العلم لا الوثنية)، "وَلكِنَّ هؤُلاَءِ أَيْضًا ضَلُّوا بِالْخَمْرِ وَتَاهُوا بِالْمُسْكِرِ. الْكَاهِنُ وَالنَّبِيُّ تَرَنَّحَا بِالْمُسْكِرِ. ابْتَلَعَتْهُمَا الْخَمْرُ. تَاهَا مِنَ الْمُسْكِرِ، ضَلاَّ فِي الرُّؤْيَا، قَلِقَا فِي الْقَضَاءِ" (إشعيا/ ٢٨/ ٧، والضلال هو ذهاب الوعى من الخمر)، "إِنْ كَانَ لإِنْسَانٍ مِئَةُ خَرُوفٍ، وَضَلَّ وَاحِدٌ مِنْهَا، أَفَلاَ يَتْرُكُ التِّسْعَةَ وَالتِّسْعِينَ عَلَى الْجِبَالِ وَيَذْهَبُ يَطْلُبُ الضَّالَّ. وَإِنِ اتَّفَقَ أَنْ يَجِدَهُ، فَالْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ يَفْرَحُ بِهِ أَكْثَرَ مِنَ التِّسْعَةِ وَالتِّسْعِينَ الَّتِي لَمْ تَضِلَّ" (متى/ ١٨/ ١٢، ولا علاقة لها الضلال بالوثنية كما هو جلى)، "وَكَانَ فِي الْجُمُوعِ مُنَاجَاةٌ كَثِيرَةٌ مِنْ نَحْوِهِ. بَعْضُهُمْ يَقُولُونَ: «إِنَّهُ صَالِحٌ». وَآخَرُونَ يَقُولُونَ: «لاَ، بَلْ يُضِلُّ الشَّعْبَ»" (يوحنا/ ٧/ ١٢، والكلام فى النص عن عيسى عليه السلام، ولم يكن اليهود يتهمونه بالوثنية بطبيعة الحال). لقد كان محمد قُبَيل البعثة

يبحث عن الدين الحق ويتحنث فى غار حراء ، إلا أن الطريق السليم لبلوغ ذلك الحق صافيا دون أى غبش إنما هو الوحى الإلهى . وهذا الوحى لا يفوز به من الله إلا من يستحقه ، فظل محمد يبحث عن الطريق ، لكنه لم يهتد إليه حق الاهتداء إلا حين اصطفاه الله وجعله نبيا . أما غيره فقد أراد أن يكون نبيا ، وكأن النبوة قرار شخصى يتخذه أى إنسان فيكون له ما أراد ، ومن هذه الحالات حالة أمية بن أبى الصلت ومسيلمة الكذاب وسجاح والأسود العنسى ، وذلك على عكس ما كان يفعل محمد من البحث المخلص عن الحق دون التطلع إلى أن يكون نبيا . وهناك من كان يبحث عن الحق ولا يضع فى اعتباره مسألة النبوة ولم يختره الله مع ذلك ، كزيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة وورقة بن نوفل وسلمان الفارسى . ثم فليكن معنى الآية الكريمة بعد كل الذى قلناه هو ما يقول الكندى الكذاب ، فكيف يقبل شقها الأول ويرفض شقها الثانى؟ إنها تقول: كان محمد ضالا فهداه الله ، لكن الكندى الكذاب يقبل ضلال النبى ويرفض هداه . ترى أمن الممكن القول بأن محمدا يقر بضلاله هكذا على رؤوس الأشهاد وبتلك البساطة؟ الواقع أنه لو كان هذا صحيحا لكان جواب القرشيين على الأقل هو: " طيب يا أخى . ما دام قد سبق لك أن كنتَ ضالا ثم اهتديتَ فاتركنا نحن على ضلالنا حتى يهدينا الله كما هداك . وإذن فعلى رِسْلك ولا تقرّعنا وتهاجم آلهتنا هذا الهجوم العارم! ". لكنهم لم يقولوا له شيئا من ذلك . وعلى كل فقد انتهى أمرهم معه إلى أن دخلوا كلهم فى دينه ورجعوا عن كل ما قالوه فيه ، فأثبتوا أنهم كانوا كاذبين فى اتهاماتهم له وأن الحق كان معه طوال الوقت .

ثم فلنفترض ثانية أن كل ما يقوله الكندى الكذاب صحيح وأن محمدا كان يعبد الأوثان قبل البعثة كقومه ، فلماذا لا تعامله أيها الكذاب كإبراهيم ، الذى قلت بعظمة لسانك إنه كان يعبد العُزّى مع قومه فى حاران

قبل أن يصطفيه الله للرسالة؟ هل مَنَعَتْ إبراهيمَ عبادتُه للعُزَّى فى الجاهلية من أن يكون نبيا؟ فلماذا لا تجرى على نفس المنطق فى حالة محمد عليه الصلاة والسلام، وبخاصة أن كتابك المقدس لا يرى فى مثل هذه الأمور مانعا من أن يكون صاحبها نبيا حتى ولو ارتكبها بعد النبوة، كما هو الوضع فى حالة هارون، الذى تقولون إنه رافأ بنى إسرائيل على عبادتهم للعجل أثناء غياب موسى فوق الجبل للقاء ربه، بل هو الذى صنعه لهم بيديه وشاركهم الرقص عرايا حوله، وكما هو الوضع فى حال سليمان، الذى ساعد بعض زوجاته على ممارسة الوثنية فى قلب بيته ووفر لهن الأصنام التى يعبدنها. إننا بطبيعة الحال لا نعتقد بشىء مما يقوله الكتاب المقدس فى حق هؤلاء الأنبياء، إلا أننى أردت فقط أن أزيح النقاب عن ضمير ذلك الوغد لأُرِيَ القراء مدى التواء ضميره وكراهيته للحق وخضوعه لبواعث الشغب المستكنة فى أغوار قلبه الأسود.

وفى نهاية المطاف أرى أنه ينبغى إيراد ما قاله فى هذه الآية ابن عجيبة صاحب "تفسير البحر المديد في تفسير القران المجيد"، فقد جمع تفاسيرها المختلفة. قال: "وَوَجَدَكَ ضالا: غافلاً عن الشرائع التي لا تهتدي إليها العقول. فَهَدَى: فهداك إليها، كقوله: ﴿مَاكُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى: ٥٢]. وقال القشيري: "أي ضالاً عن تفصيل الشرائع فهديناك إليها، وعرّفناك تفصيلَها"، أو ضالاً عما أنت عليه اليوم من معالم النبوة. ولم يقل أحد من المفسرين: ضالاً عن الإيمان. قاله عياض. وقيل: ضلّ في صباه في بعض شِعاب مكة، فردّه أبو جهل إلى عبد المطلب، وقيل: ضلّ مرة أخرى، وطلبوه فلم يجدوه، فطاف عبد المطلب بالكعبة سبعًا، وتضرّع إلى الله، فسمعوا هاتفاً يُنادِي من السماء: يا معشر الناس، لا تَضِجُّوا، فإنّ لمحمدٍ ربًّا لا يخذله ولا يُضيّعه، وإنّ محمدا بوادي تهامة عند شجرة السَّمُر. فسار عبد

المطلب وورقة بن نوفل، فإذا النبي صلى الله عليه وسلم قائم تحت شجرة يلعب بالأغصان والأوراق. وقيل: أضلّته مرضعته حليمة عند باب الكعبة حين فطمته وجاءت به لترده على عبد المطلب. وقيل: ضلّ في طريق الشام حين خرج به أبو طالب. يُرْوَى أن إبليس أخذ بزمام ناقته في ليلة ظلماء فعدل به عن الطريق، فجاء جبريلُ عليه السلام، فنفخ إبليسَ نفخة وقع منها إلى أرض الهند، وردّه إلى القافلة. وقوله تعالى: "فَهَدَى" أي فهداك إلى منهاج الشرائع المنطوية في تضاعيف ما يُوحَى إليك من الكتاب المبين، وعلّمك ما لم تكن تعلم".

ثم يقول المدلس الكذاب ما نَصُّه: "نشأ (محمد) في ذلك الأمر حتى صار في خدمة عِير لخديجة بنت خويلد، يعمل فيها بأجرة ويتردد بها إلى الشام وغيرها، إلى أن كان ما كان من أمره وأمر خديجة وتزوُّجه إياها للسبب الذي تعرفه. فلما قوّته بمالها نازعته نفسه إلى أن يدّعي المُلْك والترؤس على عشيرته وأهل بلده، فلم يتبعه عليه إلا قليل من الناس. فعندما يئس مما سوّلت له نفسه ادّعى النبوّة وأنه رسولٌ مبعوثٌ من رب العالمين، فدخل عليهم من بابٍ لطيفٍ لا يعرفون عاقبته ما هي، ولا يفهمون كيف امتحان مثله ولا ما يعود عليهم من ضرر منه، وإنما هم قوم عرب أصحاب بدوٍ لم يفهموا شروط الرسالة ولم يعرفوا علامات النبوة، لأنه لم يُبعث فيهم نبي قط. وكان ذلك من تعليم الرجل الملقِّن له الذي سنذكر اسمه وقصته في غير هذا الموضع من كتابنا، وكيف كان سببه. ثم إنه استصحب قومًا أصحاب غاراتٍ ممن يصيب الطريق على سُنّة البلد وعادة أهله الجارية عندهم إلى هذه الغاية، فانضمَّ إليه هذا النوع، وأقبل يبثّ الطلائع ويدسّس العيون ويبعث إلى المواضع التي ترِد القوافل إليها من الشام بالتجارات فيصيبونها قبل وصولها، فيُغيرون عليها ويأخذون العير والتجارات ويقتلون

الرجال . والدليل على ذلك أنه خرج في بعض أيامه فرأى جِمالاً مقبلةً من المدينة إلى مكة ، لأبي جهل بن هشام ، ويُسمِّي أعراب البادية ذلك غزوًا إذا خرجت للغارة على السابلة وإصابة الطريق . وكان أول خروجه من مكة إلى المدينة بهذا السبب ، وهو حينئذ ابن ٥٣ سنة بعد أن ادّعى ما ادّعاه من النبوة بمكة ١٣ سنة ومعه من أصحابه ٤٠ رجلاً ، وقد لقي كل أذى من أهل مكة لأنهم كانوا به عارفين ، فأظهروا أن طرده لادّعائه النبوة وعقد باطنهم لما صح عندهم من إصابته الطريق . فسار مع أصحابه إلى المدينة وهي يومئذ خراب يباب ليس فيها إلا قوم ضعفاء أكثرهم يهودٌ لا حراك بهم ، فكان أول ما افتتح به أمره فيها من العدل وإظهار نصفة النبوة وعلامتها أنه أخذ المِرْبَد الذي للغلامين اليتيمين من بني النجار وجعله مسجدًا . ثم إنه بعث أول بعثة حمزة بن عبد المطلب في ٣٠ راكبًا إلى العيص من بلد جهينة يعترض عِير قريش وقد جاءت من الشام ، فلقي أبا جهل بن هشام في ٣٠٠ رجل من أهل مكة ، فافترقوا لأن حمزة كان في ٣٠ ، فخاف لقاء أبي جهل وفزع منه ، فلم يكن بينهم قتال".

فأما بالنسبة إلى ادعاء المشاغب الضلالى بأن الرسول كان يريد الرئاسة وأنه لم يتبعه على مراده هذا إلا القليلون فمن الواضح أن ذلك الرجل (إن صح تسمية أمثاله: "رجالا") كان عريان السوأة وهو غارق فى الأحلام والأوهام! ترى متى كان ذلك؟ ومن أولئك الذين اتبعوه على غرضه ذاك؟ كذلك يزعم أن تطلعه إلى الرئاسة كان عقب زواجه بخديجة ، مع أنه تزوجها وهو ابن خمس وعشرين ، ولم يعلن أنه نبى إلا بعد بلوغه الأربعين ، فمتى كان تطلعه إلى الزعامة طوال الخمس والعشرين سنة الفاصلة بين زواجه بها ودعوته الناس إلى الإيمان به؟ ومتى كانت دعوته العرب إلى الدين سهلة ميسورة ، وهو الذى قضى فيها السنين الطوال حتى استطاع بعبقريته التى لم

يُؤْتها أحد سواه أن يطوّعهم وأن يخلق منهم رجالا وأبطالا فتحوا العالم ونشروا فى المعمور راية التوحيد بعد أن كانت الدنيا كلها تغط فى ليل الوثنية البغيض؟ إن الأحمق يريد أن يوهم القراء أن الرسول ما إن قال للعرب إنه نبى حتى خروا رُكّعًا سُجّدًا طائعين خاضعين دون فهم ودون تفكير. والحق أنه لا يقول هذا الكلام إلا رقيع! ثم إن المشركين، على العكس، هم الذين عرضوا عليه الرياسة والمال فى مقابل سكوته عن أصنامهم وأوثانهم، وذلك كله معروف للناس جميعا، لكنه عليه الصلاة والسلام رفض كل عروضهم فى إباء وشمم يليقان بمن بوّأه الله زعامة الأنبياء، على عكس بولس، الذى برجل ميزان النصرانية وقلب كل شىء فيها رأسا على عقب كى توائم عادات الوثنيين وتقاليدهم وعقائدهم!

إن صاحبنا الأبله يزعم كذبا أن العرب كانوا قوما مغفلين ضحك عليهم الرسول! والجواب على هذه الرقاعة حاضر على الفور، وهو أن الله جلّت قدرته سبق أن بعث فى العرب عددا من الأنبياء منهم هود وصالح وشعيب، فهم إذن لم يكونوا بعيدين عن النبوة والأنبياء كما يزعم هذا الحمار. كذلك فإنهم، فى جدالهم للنبى وتعنتهم عليه، كانوا يستشهدون بغيره من الرسل ويحاجّونه بهم، إذ كان فى الجزيرة العربية أهل كتاب يسمع العرب منهم ويعرفون ما لديهم. كما كانوا يلجأون إلى اليهود فى يثرب طالبين منهم المساعدة فى حربهم له صلى الله عليه وسلم. بل كان من المسلمين المبكرين نصارى أو دارسون للنصرانية كورقة بن نوفل وعداس ويسار وجبر، وبالمثل آمن به فى المدينة بعض كبار اليهود كعبد الله بن سلام. وكانت أم المؤمنين صفية رضى الله عنها بنت أحد زعمائهم وسمعت حوارا دار بين أبيها وعمها فهمت منه أنهما يصدقان بنبوته صلى الله عليه وسلم لكن حقدهما وعصبيتهما اليهودية يمنعانهما من إعلان ذلك الإيمان

ويدفعانهما إلى التشبث الغبى بدين قومهما ، فكان هذا أحد العوامل التى نبهتها إلى صدق الرسول وجعلتها تؤمن به وتعتنق دينه وتنسى يهوديتها . وهذه هى قصتها رضى الله عنها حسبما وردت فى "سيرة ابن هشام": "عن صفية بنت حُيَيّ بن أخطب أنها قالت: كنت أَحَبَّ ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر ، لم ألقهما قَطُّ مع ولد لهما إلا أخذاني دونه . قالت: فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ونزل قُبَاء في بني عمرو بن عوف غدا عليه أبي حُيَيّ بن أخطب وعمي أبو ياسر بن أخطب مُغَلِّسَيْن ، قالت: فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس . قالت: فأتيا كالَّيْن كسلانين ساقطين يمشيان الهُوَيْنَى ، قالت: فهششت إليهما كما كنت أصنع . فوالله ما التفتَ إليّ واحد منهما مع ما بهما من الغم . قالت: وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حُيَيّ بن أخطب: أهو هو؟ قال: نعم والله . قال: أتعرفه وتُثْبِته؟ قال: نعم . قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيتُ".

وحتى لو كان ما يقوله الكندى صحيحا فإنه يطعن فى عيسى ، إذ رفضه اليهود ، الذين كانوا على دراية بالنبوة والأنبياء ، ومن ثم فرفضهم له دليل ، حسب كلام صاحبنا ، على أنه عليه السلام ليس نبيا حقيقيا . كذلك فالعرب الوثنيون لم يقبلوا الرسول على الفور ، بل جادلوه وتعنتوا معه ولم يؤمن به منهم فى البداية إلا أحسنُهم وأقدرُهم على التحمل والتضحية وأفهمُهم لما أتاهم به من قيم عظيمة ، حتى ترك مكة إلى يثرب ، التى قبلته لأنها كانت على اتصال باليهود العارفين وعرفت أنه هو النبى الموعود ، فسهّل ذلك مهمته لديهم ، على عكس ما يريد الكذاب الكندى أن يوهمنا . ثم ما قوله فى أن عشرات الملايين من النصارى قد تركوا دينهم وأسلموا فى العقود الأولى من تاريخ الإسلام على ما هو معروف ، ولا تزال العجلة دائرة حتى الآن ، إذ يدخل فى دينه صلى الله عليه وسلم من أوربا وأمريكا المفكرون

والعلماء والفنانون ولاعبو الكرة ورجال الدين والدبلوماسيون حتى أضحى عدد الغربيين المسلمين كبيرا يثير الفزع فى قلوب السياسيين والقساوسة ويخيفهم من المستقبل، وذلك رغم هوان المسلمين بوجه عام وضعفهم الشديد فى هذ الدورة السيئة من دوارت تاريخهم، ودعنا من بقية بلاد العالم. فما قول الكاتب فى ذلك؟ ألا يقلب هذا كلامه رأسا على عقب؟ أم تراه يقول إن هؤلاء جميعهم مغفلون ساذجون؟

أما حكاية التربص بعير قريش التجارية فقد حدثت مرة واحدة، وكان ذلك بعد ثلاثة عشر عاما قضاها الرسول والمسلمون فى مكة يرزحون تحت العنت والتعذيب والاضطهاد الوحشى والحصار الاجتماعى والاقتصادى والشتم والضرب، بالإضافة إلى القتل. ومعنى هذا أن التربص المشار إليه وقع بعد انتقال النبى وأتباعه إلى المدينة وبعد أن ذاقوا الأمرّين من قريش وتعرضوا لألوان رهيبة من الاضطهاد والتعذيب كما قلنا. وكان هذا كفيلا بأن يقضى على الدعوة وأتباعها لولا الرجولة الشاهقة التى كانوا يتمتعون بها على نحوٍ قلّ أن يتحقق بين البشر. فهذا الوغد كاذب كالعادة حين يحاول إيهام القارئ النصرانى الذى لا يعرف سيرة الرسول وأصحابه أن أول شىء فعلوه فى بداية الإسلام هو قيامهم دون إجْمٍ أو دستور بالهجوم على قريش وتجارتها رغم أنهم لم يَرَوْا منها شرا ولا أذى، بل حُبًّا منهم للعدوان والإجرام! وحقيقة الأمر أن القرشيين بعد هذه الأعوام الثلاثة عشر قد أخرجوا المسلمين من ديارهم واستولَوْا على أموالهم وبيوتهم وشرّدوهم فى الآفاق ونكّلوا بمن طالته أيديهم من المهاجرين عند مغادرتهم مكة. أما القسوة والفظاظة والحقد والعنصرية فأمور يعرفها أنبياء بنى إسرائيل حسبما كتب مؤلفو العهد القديم. وكانوا قساةً حَقَدَةً لا يعرفون إلا سياسة الاستئصال. والطريف فى أمر هذا الرجل أنه، رغم كل ما قاله عن

العرب ، الذين اتهمهم بالغفلة والسذاجة والمسارعة إلى الإيمان بمحمد دون تفكير لتجردهم من الخبرة بالنبوة والأنبياء ، يعود فيقول إنه عليه السلام قد "لقي كل أذى من أهل مكة لأنهم كانوا به عارفين". أى أنهم لم يكونوا من السذاجة بحيث يصدقون النبى عليه الصلاة والسلام لأول وهلة ، كما أنهم قد انزلوا به من ضروب الأذى ما دفع الوغد الكندى للإقرار به رغم اتهامه له صلى الله عليه وسلم بأنه هو الذى بدأ قريشا بالعدوان والإغارة على قوافلها التجارية .

أما ادعاؤه بأن اليهود الموجودين فى يثرب آنذاك كانوا قوما ضعفاء لا حَرَاكَ بهم فهو ككل ما يقوله كذب وتحريف لوقائع التاريخ وحقائقه ، فقد كان اليهود أصحاب أموال وسلاح وزراعات وبساتين وذهب وحصون وكِبْر وغرام بالعناد والجدال ، وكانوا كثيرى الشغب والتساقه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يحفظوا له اليد النبيلة التى مدها لهم بالعدل والمساواة والأمن والأمان والحرية والكرامة والتعاون المتبادل رغم اختلاف الدين والجنس ، ورغم أنهم لم يكونوا من أهل البلاد بل طارئين عليها من الشمال . كما كانوا دائمى الشقاق والنفاق ، يمطرونه بألوان الجدال ، فيجيب على أسئلتهم ، لكنهم كانوا صلاب الرقبة كافرين . وكثيرا ما ألبوا عليه الكفار واتخذوا جانبهم وسخروا منه ومن دينه وجدّفوا فى حق ربه سبحانه وتعالى وهددوه بأنه إذا لاقاهم فى حرب فلسوف يعلم ساعتئذ إنهم لهم الرجال . نعم لقد كان فيهم الصاغة وأصحاب البساتين والزراعات والحصون ، ومعهم أكداس السلاح ، وكانوا يقرأون ويكتبون ويتكبرون على من حولهم ، وكانوا يجادلونه بالباطل ويثيرون المشاكل ويكذبون وينكرون ما فى كتبهم ، فكان يفضحهم ويفحمهم فيزدادون له كراهية وعليه وعلى دينه وأتباعه تآمرا ، لكنهم أثبتوا فى كل مرة أنهم أغبياء وجبناء فى الواقع رغم

كل الجعجعات . ومن أكاذيب الكندى الدنسة مثله قوله يتهكم على سيده وتاج رأسه ورأس الذين تفضوا بذرته إن أول ما افتتح به أمره فى المدينة من العدل وإظهار نصفة النبوة وعلامتها أنه أخذ المربد الذي للغلامين اليتيمين من بني النجار وجعله مسجدًا . إن الكذاب الناقص يقول هذا بعيون بجحة وقحة لا تستحى ، مع أن الرسول قد عوّض اليتيمين عن مربدهما ورفض أخذه دون مقابل . ثم إنه لم يأخذه بعد ذلك كله لنفسه بل أخذه للمسلمين ليقيم عليه مسجدا . ولا بد أن نعرف فوق هذا أنهما كانا بنى النجار ، وهم أخوال النبى عليه السلام ، فلم يكونا غريبين إذن ، ومن هنا لم يكن أولياء امرهما يريدون أن يأخذوا شيئا ثمنًا للمربد ، بيد أنه صلى الله عليه وسلم شكرهم ورفض مع ذلك أخذه دون مقابل . ودعنا من حكاية الأتان التى أمر المسيح بعض أتباعه حسب افتراءاتكم أن يذهبوا إلى إحدى الحظائر ويأتوه بها حتى يدخل أورشليم (طبقا للنبوءة التى يزعمون) على أتان مسروقة ، وكذلك سطوه عليه السلام هو ورفاقه على الحقول التى تقابلهم فى غياب أصحابها ، ولعنه التينة المسكينة التى لم يجد فيها تينا لأنه لم يكن موسم تين ، فضلا عن معجزة تموين المدعوين فى أحد الأفراح بالخمر ، وكأننا إزاء خمار فى حانة لا رسول كريم لا يمكن أن يسكر أو يوفّر أم الخبائث للسكارى المخمورين ! وطبعا نحن لا نصدق بهذا ولا ذاك ولا ذلك ، لكننا نحاج الكذاب المدلّس بما يعتقده ويدافع عنه ، ولا نريد أن نتدخل فى اعتقاده ، بل كل ما هنالك أننا نرد على ما يزعمه من المزاعم المتداعية المتهافتة ، وإلا فنحن نجلّ المسيح إجلالا لا يخطر له على بال ونؤمن أنه نبى عظيم ، وإن كنا نؤمن فى ذات الوقت أن محمدا هو عميد الأنبياء جميعا !

٦- ولا يكتفى الرقيع بتفاهاته السابقة ، بل يضيف إليها تفاهات أتفه

منها . من ذلك مثلا أنه يشترط لكى يصدق بنبوة الرسول الكريم أن يكون بمقدور الواحد من أصحابه هزيمة ألف من الأعداء ، وأن يكون بمقدور الاثنين هزيمة ربوة (أى عشرة آلاف) كاملة ، على نفس الشاكلة التى تكفل الله بها فى التوراة لموسى بالنسبة لبنى إسرائيل وتحقق على يد يشوع بن نون كما يقولون . وهذا شرط رقيع كصاحبه لو صح كلامه ، وهو ليس صحيحا كما سوف نرى بعد قليل . ثم إن بنى إسرائيل معروفون منذ الأزل بجبنهم وانخلاع قلوبهم ، وإلا فلماذا لم نر ذلك منهم فى حروبهم مع محمد ، الذى يتهمه هذا الرقيع بأنه نبى كذاب؟ لقد رأيناهم يجبنون أمام المسلمين رغم تفوقهم الهائل بكثرة السلاح ومناعة الحصون التى كانت تحت أيديهم ورغم طنطناتهم بأنه متى لقيهم محمد فى حرب فلسوف يُرُونه أنهم هم الرجال ، بيد أنهم ساعة الجِدّ لم يكونوا رجالا ولا نساء ولا حتى أطفالا . والحق أن كلام الرقيع يذكرنى بالنكتة التى تقول إن الرئيس الأمريكى جونسون والزعيم السوفيتى كاسيجن تجادلا يوما أىّ الدولتين هى الدولة الديمقراطية الحقيقية: روسيا أم أمريكا؟ فقال جونسون إن أى مواطن أمريكى يستطيع أن يقف فى أكبر ميدان عام فى أمريكا ويقول بملء فمه: "يسقط جونسون" دون أن يمسه أى سوء . فما كان من كاسيجن إلا أن قال بدوره: وما المشكلة فى ذلك؟ إن أى مواطن سوفيتى يستطيع أن يقف فى أكبر ميدان عام عندنا فى الاتحاد السوفييتى ويهتف بأعلى حسه: "يسقط جونسون" فلا يصيبه أى أذى . ووجه الرقاعة فى كلام ذلك الرقيع هو أن كل جماعة لها ظروفها وخصوصياتها ، وليس المهم أن يحدث لكل منها ما يحدث للأخرى ، بل المهم أن ينجح النبى فى بلوغ الغايات العظيمة التى جاء لتحقيقها وأن يستطيع قيادة جماعته لذلك ، وهو ما نجح فيه محمد ، على حين أن موسى مات دون أن يستطيع دخول الأرض المقدسة لأن الإسرائيليين الجبناء

انخلعت قلوبهم ورفضوا أن يرافقوه إلى هناك وقالوا له بكل كفر ووقاحة: "اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا ها هنا قاعدون". فهذا هو المحك الحقيقى لا الذى يهرف به ذلك الرقيع. ثم هَلاَّ قال لنفسه ذلك الكلام؟ إننا بهذا المقياس يمكننا أن نسد فمه تماما بسؤاله: وماذا عن عيسى عليه السلام؟ ولماذا لم يكن الواحد من أتباعه مؤهَّلاً لهَزْم ألف نفر من أعدائه أو مائة أو عشرة، أو حتى واحد فقط؟ ولماذا يا ترى فرّوا عند أول تجربة، وكأنهم فَصّ ملح وذاب؟ إن محمدا عليه الصلاة والسلام لهو النبى الوحيد صاحب الرسالة العالمية، وهو النبى الوحيد الذى لم تقتصر رسالته على النواحى العقيدية والأخلاقية بل امتدت لتشمل كل أوضاع الحياة، وهو النبى الوحيد الذى نجح فى وضع دعوته ومبادئها وقيمها موضع التطبيق، ولهذا السبب اختاره مايكل هارت الأمريكى أعظم عظماء العالم المائة. وهذا ما نقوله دائما، إلا أن المتخلفين أمثال الكندى لا يفقهون ولا يفهمون؟

قلت إن الشرط الذى اشترطه المدلس شرط رقيع مثله لو كان صحيحا. والواقع أنه غير صحيح، فإن شيئا من ذلك لم يحدث على عهد يشوع قط، بل استعان يشوع وبنو إسرائيل فى دخول الأرض المقدسة بزانية من الزانيات تدعى: "رَاحَاب" وبجاسوسين أخفتهما تلك الزانية فى بيتها مما يعرفه كل من قرأ سفر "يشوع"، فضلا عن أن أعداء بنى إسرائيل قد أوقعوا بهم فى البداية هزيمة مروعة. كما أثبت هؤلاء أن الطبع غلاب، إذ سرق بعضهم بعض ما غنمه المحاربون من بلاد أعدائهم، فأمر الله برجمهم أحياء! والإشارة إلى هذا موجودة فى الإصحاح السادس والعشرين من سِفْر "اللاويين" منسوبة إلى الله: "[3] إِذَا سَلَكْتُمْ فِي فَرَائِضِي وَحَفِظْتُمْ وَصَايَايَ وَعَمِلْتُمْ بِهَا، [4] أُعْطِي مَطَرَكُمْ فِي حِينِهِ، وَتُعْطِي الأَرْضُ غَلَّتَهَا، وَتُعْطِي أَشْجَارُ الْحَقْلِ أَثْمَارَهَا، [5] وَيَلْحَقُ دِرَاسُكُمْ بِالْقِطَافِ، وَيَلْحَقُ الْقِطَافُ

بِالـزَّرْعِ ، فَتَأْكُلُونَ خُبْـزَكُمْ لِلـشَّبَعِ وَتَـسْكُنُونَ فِـي أَرْضِكُمْ آمِنِينَ . [6] وَأَجْعَلُ سَلاَمًا فِي الأَرْضِ ، فَتَنَامُونَ وَلَيْسَ مَنْ يُزْعِجُكُمْ . وَأُبِيدُ الْوُحُوشَ الرَّدِيئَةَ مِنَ الأَرْضِ ، وَلاَ يَعْبُرُ سَيْفٌ فِي أَرْضِكُمْ . [7] وَتَطْرُدُونَ أَعْدَاءَكُمْ فَيَسْقُطُونَ أَمَامَكُمْ بِالسَّيْفِ . [8] يَطْرُدُ خَمْسَةٌ مِنْكُمْ مِئَةً ، وَمِئَةٌ مِنْكُمْ يَطْرُدُونَ رَبْوَةً ، وَيَسْقُطُ أَعْدَاؤُكُمْ أَمَامَكُمْ بِالسَّيْفِ". ومع هذا فإن مدينة أريحا ، وهى أول مدينة تسقط فى يد الإسرائيليين طبقا لما قاله مؤلفو السفر المذكور ، لم تسقط بالسيف بل بالنفخ فى الأبواق حتى سقط سورها ودخلوها . فهذه واحدة ، ثم إن هذا النص لا يتفق مع ما قاله الكندى كما يرى القراء لأن الإسرائيليين هنا إنما وُعِدوا أن يهزم الواحد منهم خمسةً (لا ألفًا) كما قال الكذاب ، وأن تهزم المائة (لا اثنان) ربوة ، أما ما ذكره المدلس فلم يكن وعدا من الله لبنى إسرائيل إذا صدقنا الكلام أصلا ، بل كان استنكارا منه سبحانه أن يعتقد هؤلاء الجبناء الخونة العديمو العقل والضمير أنه سبحانه سيجعل الواحد منهم يهزم ألفا ، أو الاثنان ربوة ، إذ كانوا قد أغضبوه عز وجل وأثاروا غيظه كعادتهم فانصبّ عليهم بصواعق تهديداته وشتائمه وعرّفهم أنه مبدّدهم ومسلط الأمم الأخرى عليهم تذلهم وتفعل بهم الأفاعيل مما يخطر ولا يخطر لهم على بال . وذلك كله موجود فى الإصحاح الثانى والثلاثين وما قبله وبعده من سفر "التثنية". وهذا هو النص المذكور حتى يتيقن القارئ من كذب المدلس الكذاب وتدليسه: "[28] إِنَّهُمْ أُمَّةٌ عَدِيمَةُ الرَّأْيِ وَلاَ بَصِيرَةَ فِيهِمْ . [29] لَوْ عَقَلُوا لَفَطِنُوا بِهذِهِ وَتَأَمَّلُوا آخِرَتَهُمْ . [30] كَيْفَ يَطْرُدُ وَاحِدٌ أَلْفًا ، وَيَهْزِمُ اثْنَانِ رَبْوَةً ، لَوْلاَ أَنَّ صَخْرَهُمْ بَاعَهُمْ وَالرَّبَّ سَلَّمَهُمْ؟ [31] لأَنَّهُ لَيْسَ كَصَخْرِنَا صَخْرُهُمْ ، وَلَوْ كَانَ أَعْدَاؤُنَا الْقُضَاةَ . [32] لأَنَّ مِنْ جَفْنَةِ سَدُومَ جَفْنَتَهُمْ ، وَمِنْ كُرُومِ عَمُورَةَ . عِنَبُهُمْ عِنَبُ سَمٍّ ، وَلَهُمْ عَنَاقِيدُ مَرَارَةٍ . [33] خَمْرُهُمْ حُمَةُ الثَّعَابِينِ وَسَمُّ الأَصْلاَلِ الْقَاتِلُ". وهنا أود أن

الفت نظر القراء الكرام إلى ما قاله الكذاب المدلس بلسانه الذى يستأهل القطع من أن يشوع بن نون حين انتصر على أهل أريحا قد استأصلهم استئصالا: "كان يشوع وقتها يحاصر أريحا، فلما أتى على ذلك سبعة أيام فتحها على غير عقد ولا عهد، فقتل كل من كان فيها من ذكر وأنثى". فهل سمع أحد أن الصحابة قد اعتمدوا يومًا سياسة الاستئصال حين انتصروا على أعدائهم، ودائما ما كانوا ينتصرون على أعدائهم؟ وأرجو ألا ينسى القارئ ما قلته له قبل قليل من أن بنى إسرائيل لم ينتصروا هنا بشجاعتهم، بل ببركة الزانية راحاب والجاسوسين اللذين خبأتهما فى بيتها، وكذلك بالنفخ فى الأبواق حتى انهدم السور. أما حكاية هزيمة الواحد ألفا أو حتى عشرين فأرجوك أن تنساها ولا تشغل نفسك بها، فمعروف أن كلام الليل المدهون بزبدة ما إن يطلع عليه النهار حتى يسيح.

وأخيرا لا ينبغى أن يفوتنى أن العدد سبعة يتكرر كثيرا فى حدوتة أريحا هذه. والحمد لله أن لم يجئ ذكر العدد ثلاثة ولو مرة واحدة يتيمة، وإلا ما رحنا ساعتها الكندى ولصدّع رؤوسنا بالكلام عن سر التثليث، وما أدراك؟ وإلى القارئ ما قاله مؤلف السفر فى ذلك الموضوع، وهو متاح لمن يريده فى الإصحاح السادس منه: "[1]وَكَانَتْ أَرِيحَا مُغَلَّقَةً مُقَفَّلَةً بِسَبَبِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. لاَ أَحَدٌ يَخْرُجُ وَلاَ أَحَدٌ يَدْخُلُ. [2]فَقَالَ الرَّبُّ لِيَشُوعَ: «انْظُرْ. قَدْ دَفَعْتُ بِيَدِكَ أَرِيحَا وَمَلِكَهَا، جَبَابِرَةَ الْبَأْسِ. [3]تَدُورُونَ دَائِرَةَ الْمَدِينَةِ، جَمِيعُ رِجَالِ الْحَرْبِ. حَوْلَ الْمَدِينَةِ مَرَّةً وَاحِدَةً. هكَذَا تَفْعَلُونَ سِتَّةَ أَيَّامٍ. [4]وَسَبْعَةُ كَهَنَةٍ يَحْمِلُونَ أَبْوَاقَ الْهُتَافِ السَّبْعَةَ أَمَامَ التَّابُوتِ. وَفِي الْيَوْمِ السَّابعِ تَدُورُونَ دَائِرَةَ الْمَدِينَةِ سَبْعَ مَرَّاتٍ، وَالْكَهَنَةُ يَضْرِبُونَ بِالأَبْوَاقِ. [5]وَيَكُونُ عِنْدَ امْتِدَادِ صَوْتِ قَرْنِ الْهُتَافِ، عِنْدَ اسْتِمَاعِكُمْ صَوْتَ الْبُوقِ، أَنَّ جَمِيعَ الشَّعْبِ يَهْتِفُ هُتَافًا عَظِيمًا، فَيَسْقُطُ سُورُ الْمَدِينَةِ فِي مَكَانِهِ، وَيَصْعَدُ الشَّعْبُ كُلُّ رَجُلٍ مَعَ

وَجْهِهِ». [٦] فَدَعَا يَشُوعُ بْنُ نُونَ الْكَهَنَةَ وَقَالَ لَهُمُ: «احْمِلُوا تَابُوتَ الْعَهْدِ. وَلْيَحْمِلْ سَبْعَةُ كَهَنَةٍ سَبْعَةَ أَبْوَاقِ هُتَافٍ أَمَامَ تَابُوتِ الرَّبِّ». [٧] وَقَالُوا لِلشَّعْبِ: «اجْتَازُوا وَدُورُوا دَائِرَةَ الْمَدِينَةِ، وَلْيَجْتَزِ الْمُتَجَرِّدُ أَمَامَ تَابُوتِ الرَّبِّ». [٨] وَكَانَ كَمَا قَالَ يَشُوعُ لِلشَّعْبِ. اجْتَازَ السَّبْعَةُ الْكَهَنَةُ حَامِلِينَ أَبْوَاقَ الْهُتَافِ السَّبْعَةَ أَمَامَ الرَّبِّ، وَضَرَبُوا بِالأَبْوَاقِ. وَتَابُوتُ عَهْدِ الرَّبِّ سَائِرٌ وَرَاءَهُمْ، [٩] وَكُلُّ مُتَجَرِّدٍ سَائِرٌ أَمَامَ الْكَهَنَةِ الضَّارِبِينَ بِالأَبْوَاقِ. وَالسَّاقَةُ سَائِرَةٌ وَرَاءَ التَّابُوتِ. كَانُوا يَسِيرُونَ وَيَضْرِبُونَ بِالأَبْوَاقِ. [١٠] وَأَمَرَ يَشُوعُ الشَّعْبَ قَائِلاً: «لاَ تَهْتِفُوا وَلاَ تُسْمِعُوا صَوْتَكُمْ، وَلاَ تَخْرُجْ مِنْ أَفْوَاهِكُمْ كَلِمَةٌ حَتَّى يَوْمَ أَقُولُ لَكُمُ: اهْتِفُوا. فَتَهْتِفُونَ». [١١] فَدَارَ تَابُوتُ الرَّبِّ حَوْلَ الْمَدِينَةِ مَرَّةً وَاحِدَةً. ثُمَّ دَخَلُوا الْمَحَلَّةَ وَبَاتُوا فِي الْمَحَلَّةِ. [١٢] فَبَكَّرَ يَشُوعُ فِي الْغَدِ، وَحَمَلَ الْكَهَنَةُ تَابُوتَ الرَّبِّ، [١٣] وَالسَّبْعَةُ الْكَهَنَةُ الْحَامِلُونَ أَبْوَاقَ الْهُتَافِ السَّبْعَةَ أَمَامَ تَابُوتِ الرَّبِّ سَائِرُونَ سَيْرًا وَضَارِبُونَ بِالأَبْوَاقِ، وَالْمُتَجَرِّدُونَ سَائِرُونَ أَمَامَهُمْ، وَالسَّاقَةُ سَائِرَةٌ وَرَاءَ تَابُوتِ الرَّبِّ. كَانُوا يَسِيرُونَ وَيَضْرِبُونَ بِالأَبْوَاقِ. [١٤] وَدَارُوا بِالْمَدِينَةِ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي مَرَّةً وَاحِدَةً، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى الْمَحَلَّةِ. هكَذَا فَعَلُوا سِتَّةَ أَيَّامٍ. [١٥] وَكَانَ فِي الْيَوْمِ السَّابعِ أَنَّهُمْ بَكَّرُوا عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ وَدَارُوا دَائِرَةَ الْمَدِينَةِ عَلَى هذَا الْمِنْوَالِ سَبْعَ مَرَّاتٍ. فِي ذلِكَ الْيَوْمِ فَقَطْ دَارُوا دَائِرَةَ الْمَدِينَةِ سَبْعَ مَرَّاتٍ. [١٦] وَكَانَ فِي الْمَرَّةِ السَّابِعَةِ عِنْدَمَا ضَرَبَ الْكَهَنَةُ بِالأَبْوَاقِ أَنَّ يَشُوعَ قَالَ لِلشَّعْبِ: «اهْتِفُوا، لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ أَعْطَاكُمُ الْمَدِينَةَ. [١٧] فَتَكُونُ الْمَدِينَةُ وَكُلُّ مَا فِيهَا مُحَرَّمًا لِلرَّبِّ. رَاحَابُ الزَّانِيَةُ فَقَطْ تَحْيَا هِيَ وَكُلُّ مَنْ مَعَهَا فِي الْبَيْتِ، لأَنَّهَا قَدْ خَبَّأَتِ الْمُرْسَلَيْنِ اللَّذَيْنِ أَرْسَلْنَاهُمَا. [١٨] وَأَمَّا أَنْتُمْ فَاحْتَرِزُوا مِنَ الْحَرَامِ لِئَلاَّ تُحَرَّمُوا، وَتَأْخُذُوا مِنَ الْحَرَامِ وَتَجْعَلُوا مَحَلَّةَ إِسْرَائِيلَ مُحَرَّمَةً وَتُكَدِّرُوهَا. [١٩] وَكُلُّ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ وَآنِيَةِ النُّحَاسِ وَالْحَدِيدِ تَكُونُ قُدْسًا لِلرَّبِّ وَتَدْخُلُ فِي خِزَانَةِ

الـرَّبُّ». [٢٠] فَهَتَفَ الشَّعْبُ وَضَرَبُوا بِالأَبْوَاقِ. وَكَانَ حِينَ سَمِعَ الشَّعْبُ صَوْتَ الْبُوقِ أَنَّ الشَّعْبَ هَتَفَ هُتَافًا عَظِيمًا، فَسَقَطَ السُّورُ فِي مَكَانِهِ، وَصَعِدَ الشَّعْبُ إِلَى الْمَدِينَةِ كُلُّ رَجُل مَعَ وَجْهِهِ، وَأَخَذُوا الْمَدِينَةَ. [٢١] وَحَرَّمُوا كُلَّ مَا فِي الْمَدِينَةِ مِنْ رَجُل وَامْرَأَةٍ، مِنْ طِفْل وَشَيْخٍ، حَتَّى الْبَقَرَ وَالْغَنَمَ وَالْحَمِيرَ بِحَدِّ السَّيْفِ. [٢٢] وَقَالَ يَشُوعُ لِلرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ تَجَسَّسَا الأَرْضَ: «ادْخُلاَ بَيْتَ الْمَرْأَةِ الزَّانِيَةِ وَأَخْرِجَا مِنْ هُنَاكَ الْمَرْأَةَ وَكُلَّ مَا لَهَا كَمَا حَلَفْتُمَا لَهَا». [٢٣] فَدَخَلَ الْغُلاَمَانِ الْجَاسُوسَانِ وَأَخْرَجَا رَاحَابَ وَأَبَاهَا وَأُمَّهَا وَإِخْوَتَهَا وَكُلَّ مَا لَهَا، وَأَخْرَجَا كُلَّ عَشَائِرِهَا وَتَرَكَاهُمْ خَارِجَ مَحَلَّةِ إِسْرَائِيلَ. [٢٤] وَأَحْرَقُوا الْمَدِينَةَ بِالنَّارِ مَعَ كُلِّ مَا بِهَا، إِنَّمَا الْفِضَّةُ وَالذَّهَبُ وَآنِيَةُ النُّحَاسِ وَالْحَدِيدِ جَعَلُوهَا فِي خِزَانَةِ بَيْتِ الرَّبِّ. [٢٥] وَاسْتَحْيَا يَشُوعُ رَاحَابَ الزَّانِيَةَ وَبَيْتَ أَبِيهَا وَكُلَّ مَا لَهَا، وَسَكَنَتْ فِي وَسَطِ إِسْرَائِيلَ إِلَى هذَا الْيَوْمِ، لأَنَّهَا خَبَّأَتِ الْمُرْسَلَيْنِ اللَّذَيْنِ أَرْسَلَهُمَا يَشُوعُ لِكَيْ يَتَجَسَّسَا أَرِيحَا. [٢٦] وَحَلَفَ يَشُوعُ فِي ذلِكَ الْوَقْتِ قَائِلاً: «مَلْعُونٌ قُدَّامَ الرَّبِّ الرَّجُلُ الَّذِي يَقُومُ وَيَبْنِي هذِهِ الْمَدِينَةَ أَرِيحَا. بِبِكْرِهِ يُؤَسِّسُهَا وَبِصَغِيرِهِ يَنْصِبُ أَبْوَابَهَا». [٢٧] وَكَانَ الرَّبُّ مَعَ يَشُوعَ، وَكَانَ خَبَرُهُ فِي جَمِيعِ الأَرْضِ". فهذه إحدى علامات النبوة كما يقول الكندي المزعوم، وقد فرغنا من إثبات أن ما قاله كذب وتدليس لا حقيقة له.

٧- وثمة علامة أخرى للنبوة ذكرها عقب ذلك مباشرة، ألا وهى معرفة الغيب. وقد استشهد عليها من الكتاب المقدس قائلا إن "قيسًا أبا شاول ضاعت له أُتُنٌ، فوجَّه ابنه شاول في طلبها، فذهب شاول إلى صموئيل النبي يسأله، فقال له صموئيل قبل أن يخبره شاول خبر ما جاء لأجله: أما الأُتُن فرجعت إلى بيت أبيك، وأما أبوك فقد شغله الاهتمام بغيبتك عن الأتن. فهكذا تكون شروط النبوة التي هي علم الغيب الماضي

وعلم الغيب المستقبل، فتخبر الأنبياءُ عنه وتذكره قبل وقوعه وتعلم حدوثه قبل مجيئه بما يُظْهِر لهم الروح القدس معطي علم الغيب الذي هو نهاية الدلالات على النبوات". هذا ما قاله، والآن إلى التعقيب على ما قال:

فأولا من الواضح أن الحس المنطقى عنده مفقود، وهذا جَلِيٌّ من عدم تفرقته بين معرفة الغيب الماضى ومعرفة الغيب المستقبلى، إذ يقول عن الغيبين كليهما إن "الأنبياء تخبر عنه وتذكره قبل وقوعه وتعلم حدوثه قبل مجيئه بما يُظهر لهم الروحُ القدسُ معطي علم الغيب الذي هو نهاية الدلالات على النبوات"، مع أن هذا الكلام لا ينطبق إلا على غيب المستقبل، أما الغيب الماضى فإنه قد وقع وانتهى الأمر، ومن ثم لا يصح أن يقال إن الأنبياء تعلم حدوثه قبل مجيئه. لكن متى كان كنديًا يفقه شيئا فى "المنطق"؟

وثانيا فإنه قد نزل بالنبوة والأنبياء إلى مرتبة الكهان وضاربى الودْع، فكلما ضاعت بقرة أو سُرِقَتْ قطعة حُلِيٍّ ذهب صاحبها إليه يستعين به على معرفة السارق. إن وظيفة النبى قد اتخذت مسارا مختلفا مع مجيء زعيم الأنبياء والمرسلين، إذ يكرر القرآن أن محمدا لا يعلم الغيب رغم أنه كثيرا ما أخبر أصحابه بما سيقع فى المستقبل وما وقع فى الماضى مما لم يكن هو ولا هم يعلمون شيئا عنه. ذلك أنه كان مع ذلك حريصا على أن يُفْهِم الدنيا كلها أنه، وإن ساق إليهم كثيرا من النبوءات، لا يعرف شيئا منها من تلقاء نفسه، بل من الله سبحانه. أما وظيفته الأصلية فهى هداية الضمير وتصويب ما انحرف من العقائد والأخلاق والقيم، وبعث الهمم الراكدة وتنشيط الأرواح الخامدة وهدم الحواجز التى كانت تفصل بين الله والإنسان من كهانة ووساطات، وتيسير الدين بدلا من تعسيره وتَعْنِيته كما كان الحال من قبل، وتوسيع نطاقه بحيث يشمل أمور الاقتصاد والاجتماع والسياسة والعلم والثقافة والحرب والسلم ولا يقتصر على العقيدة والأخلاق

فحسب ، وخلق أمة من العدم ووضع المبادئ والقيم التى أتى بها موضع التطبيق بحيث لا تبقى هذه المبادئ والقيم مجرد حبر على ورق أو كلاما جميلا شاعريا لا يصلح إلا للتشدق به فى المجالس والأندية دون إمكان تنفيذه لأنه يخرج عن نطاق الطبيعة البشرية . ولقد قام محمد بذلك كله خير قيام كما لم يحدث من قبل ولا من بعد على يَدَىْ أىّ نبىٍّ أو مصلحٍ ، وتغيَّر مسار الحضارة الإنسانية بفضله أيما تغيير . هذا هو محك النبوة الحقيقى ، أما معرفة مصير جاموسة شردت أو بقرة سُرِقَتْ أو أتانٍ وَلَدَتْ فليست هذه مهمة الأنبياء ، بل وظيفة قارئى الفنجان وضاربى الودع .

وإذا كان الكندى قد ذكر تنبؤ صمويل بمصير الأتان الشاردة مما يدخل فى مهمة العرافين وقارئى الطالع وما أشبه ، فإن محمدا عليه الصلاة والسلام قد أخبر بكثير من أمور الغيب ، لكن ليس من ذلك النوع التافه ، بل من أمور الأمم والتاريخ ومصائر الحضارات . ألم يقل القرآن للمسلمين إن دينهم سوف ينتصر على الدين كله؟ ألم يقل للمشركين إنهم سوف ينفقون أموالهم فى محاربة دين الله ثم تكون هذه الأموال عليهم حسرة ثم يُغْلَبون؟ ألم يقل إن الروم ، وإن انهزمت الآن من فارس ، سوف تعود فتغلب فارس فى بضع سنين؟ ألم يقل القرآن: "سيُهْزَم الجَمْعُ ويُوَلُّون الدُّبُر" ؟ ألم يقل عليه السلام لأصحابه عند خروجهم معه إلى غزوة الحديبية إنهم سوف يدخلون المسجد الحرام؟ ألم يقل الرسول إن المسلمين سوف يفتحون قسطنطينية؟ ألم يقل إنهم سوف يأتى عليهم زمان تتكالب الأمم عليهم فيه تكالب الأكلة على قصعتها؟ ألم يتحقق كل هذا بالشعرة؟ ألم يقل القرآن له عليه السلام: "ورفعنا لك ذكرك" ؟ فها هو ذا فى كل لحظة من ليل أو نهار ينادَى باسمه من فوق المآذن فى أركان الدنيا الأربعة ويصلِّى عليه كل مسلم كلما ذكره فى كلامه أو ذكره أحد أمامه؟ ألم يلقن اليهودُ مشركى مكة عددا من الأسئلة لإحراج

الرسول لم يكن يعرف أحد جوابها إلا هم ، فإذا به يجيب عليها جوابا لا يخرّ منه الماء؟ ثم ألم يقل الكتاب المقدس مثلا إن عيسى سوف يسمَّى: "عمانوئيل"، فلم يحدث قط أن ناداه أحد بذلك الاسم؟ ألم يطلب عيسى التين فى غير إبانه؟ فكيف لم يعرف ذلك قبل أن يتطلبه فى التينة؟ والعجيب أنه ، بدلا من الإقرار بأنه أخطأ طلب التين فى غير موسمه ، يلعن التينة المظلومة فتيبس فى الحال ، وكأنها هى المسؤولة عن عدم وجود التين لا سُنَن الكون التى من المفروض أنه هو خالقها أو ابن خالقها!

٨- ثم يتكلم الكندى عن الصراع بين المسلمين واليهود فى المدينة ويُظْهِر الدهشة لأن النبى قد عاقبهم على مؤامراتهم وخياناتهم مبديا مشاعر الأسف والعطف عليهم رغم استحقاقهم ما نزل بهم ، ورغم أن ما عاقبهم به النبى عليه السلام هو أقل كثيرا مما كانوا يستأهلونه بناء على تشريعات العهد القديم نفسه . فانظر أيها القارئ إلى أى مدى يبلغ نفاق ذلك الرجل! لقد كان يريد أن يقضى اليهود على محمد ودينه ودولته وأتباعه . أما ، وقد عجزوا عن ذلك ، فإنه يولول ويصرخ كالنسوان متظاهرا بانتصاره للعدل والرحمة ، مع أننا رأيناه يدافع بشراسة عما صنعه يوشع بالمدن التى دخلها من استئصال وتحريق وتدمير لا يغادر شيئا إلا محاه من الوجود محوا ، بيوتا كان أو بشرا أو حيوانات . ولننظر الآن ما يقوله الإصحاح الرابع والثلاثون من سفر "التكوين" عن التقتيل الذى أوقعه أبناء يعقوب لا بمن اعتدَوْا على عرض أختهم وحدهم بل بكل سكان المدينة ، والسَّبْى الذى أخذوه منها والغنائم التى استولَوْا عليها ، وما لجأوا إليه فى سبيل ذلك من أساليب الغدر والخيانة: "وَخَرَجَتْ دِينَةُ ابْنَةُ لَيْئَةَ الَّتِي وَلَدَتْهَا لِيَعْقُوبَ لِتَنْظُرَ بَنَاتِ الأَرْضِ ، "فَرَآهَا شَكِيمُ ابْنُ حَمُورَ الْحِوِّيِّ رَئِيسِ الأَرْضِ ، وَأَخَذَهَا وَاضْطَجَعَ مَعَهَا وَأَذَلَّهَا . "وَتَعَلَّقَتْ نَفْسُهُ بِدِينَةَ ابْنَةِ يَعْقُوبَ ، وَأَحَبَّ الْفَتَاةَ

وَلاَطَفَ الْفَتَاةَ. [٤] فَكَلَّمَ شَكِيمُ حَمُورَ أَبَاهُ قَائِلاً: «خُذْ لِي هذِهِ الصَّبِيَّةَ زَوْجَةً». [٥] وَسَمِعَ يَعْقُوبُ أَنَّهُ نَجَّسَ دِينَةَ ابْنَتَهُ. وَأَمَّا بَنُوهُ فَكَانُوا مَعَ مَوَاشِيهِ فِي الْحَقْلِ، فَسَكَتَ يَعْقُوبُ حَتَّى جَاءُوا. [٦] فَخَرَجَ حَمُورُ أَبُو شَكِيمَ إِلَى يَعْقُوبَ لِيَتَكَلَّمَ مَعَهُ. [٧] وَأَتَى بَنُو يَعْقُوبَ مِنَ الْحَقْلِ حِينَ سَمِعُوا. وَغَضِبَ الرِّجَالُ وَاغْتَاظُوا جِدًّا لأَنَّهُ صَنَعَ قَبَاحَةً فِي إِسْرَائِيلَ بِمُضَاجَعَةِ ابْنَةِ يَعْقُوبَ، وَهكَذَا لاَ يُصْنَعُ. [٨] وَتَكَلَّمَ حَمُورُ مَعَهُمْ قَائِلاً: «شَكِيمُ ابْنِي قَدْ تَعَلَّقَتْ نَفْسُهُ بِابْنَتِكُمْ. أَعْطُوهُ إِيَّاهَا زَوْجَةً [٩] وَصَاهِرُونَا. تُعْطُونَنَا بَنَاتِكُمْ، وَتَأْخُذُونَ لَكُمْ بَنَاتِنَا. [١٠] وَتَسْكُنُونَ مَعَنَا، وَتَكُونُ الأَرْضُ قُدَّامَكُمْ. اسْكُنُوا وَاتَّجِرُوا فِيهَا وَتَمَلَّكُوا بِهَا». [١١] ثُمَّ قَالَ شَكِيمُ لأَبِيهَا وَلإِخْوَتِهَا: «دَعُونِي أَجِدْ نِعْمَةً فِي أَعْيُنِكُمْ. فَالَّذِي تَقُولُونَ لِي أُعْطِي. [١٢] كَثِّرُوا عَلَيَّ جِدًّا مَهْرًا وَعَطِيَّةً، فَأُعْطِيَ كَمَا تَقُولُونَ لِي. وَأَعْطُونِي الْفَتَاةَ زَوْجَةً». [١٣] فَأَجَابَ بَنُو يَعْقُوبَ شَكِيمَ وَحَمُورَ أَبَاهُ بِمَكْرٍ وَتَكَلَّمُوا. لأَنَّهُ كَانَ قَدْ نَجَّسَ دِينَةَ أُخْتَهُمْ، [١٤] فَقَالُوا لَهُمَا: «لاَ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَفْعَلَ هذَا الأَمْرَ أَنْ نُعْطِيَ أُخْتَنَا لِرَجُل أَغْلَفَ، لأَنَّهُ عَارٌ لَنَا. [١٥] غَيْرَ أَنَّنَا بِهذَا نُوَاتِيكُمْ: إِنْ صِرْتُمْ مِثْلَنَا بِخَتْنِكُمْ كُلَّ ذَكَرٍ. [١٦] نُعْطِيكُمْ بَنَاتِنَا وَنَأْخُذُ لَنَا بَنَاتِكُمْ، وَنَسْكُنُ مَعَكُمْ وَنَصِيرُ شَعْبًا وَاحِدًا. [١٧] وَإِنْ لَمْ تَسْمَعُوا لَنَا، أَنْ تَخْتَتِنُوا، نَأْخُذُ ابْنَتَنَا وَنَمْضِي». [١٨] فَحَسُنَ كَلاَمُهُمْ فِي عَيْنَيْ حَمُورَ وَفِي عَيْنَيْ شَكِيمَ بْنِ حَمُورَ. [١٩] وَلَمْ يَتَأَخَّرِ الْغُلاَمُ أَنْ يَفْعَلَ الأَمْرَ، لأَنَّهُ كَانَ مَسْرُورًا بِابْنَةِ يَعْقُوبَ. وَكَانَ أَكْرَمَ جَمِيعِ بَيْتِ أَبِيهِ. [٢٠] فَأَتَى حَمُورُ وَشَكِيمُ ابْنُهُ إِلَى بَابِ مَدِينَتِهِمَا، وَكَلَّمَا أَهْلَ مَدِينَتِهِمَا قَائِلَيْنِ: [٢١] «هؤُلاَءِ الْقَوْمُ مُسَالِمُونَ لَنَا. فَلْيَسْكُنُوا فِي الأَرْضِ وَيَتَّجِرُوا فِيهَا. وَهُوَذَا الأَرْضُ وَاسِعَةُ الطَّرَفَيْنِ أَمَامَهُمْ. نَأْخُذُ لَنَا بَنَاتِهِمْ زَوْجَاتٍ وَنُعْطِيهِمْ بَنَاتِنَا. [٢٢] غَيْرَ أَنَّهُ بِهذَا فَقَطْ يُوَاتِينَا الْقَوْمُ عَلَى السَّكَنِ مَعَنَا لِنَصِيرَ شَعْبًا وَاحِدًا: بِخَتْنِنَا كُلَّ ذَكَرٍ كَمَا هُمْ مَخْتُونُونَ. [٢٣] أَلاَ تَكُونُ مَوَاشِيهِمْ وَمُقْتَنَاهُمْ وَكُلُّ بَهَائِمِهِمْ لَنَا؟ نُوَاتِيهِمْ

فَقَطْ فَيَسْكُنُونَ مَعَنَا». [24] فَسَمِعَ لِحَمُورَ وَشَكِيمَ ابْنِهِ جَمِيعُ الْخَارِجِينَ مِنْ بَابِ الْمَدِينَةِ، وَاخْتَتَنَ كُلُّ ذَكَرٍ. كُلُّ الْخَارِجِينَ مِنْ بَابِ الْمَدِينَةِ [25] فَحَدَثَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ إِذْ كَانُوا مُتَوَجِّعِينَ أَنَّ ابْنَيْ يَعْقُوبَ، شِمْعُونَ وَلاَوِيَ أَخَوَيْ دِينَةَ، أَخَذَا كُلُّ وَاحِدٍ سَيْفَهُ وَأَتَيَا عَلَى الْمَدِينَةِ بِأَمْنٍ وَقَتَلاَ كُلَّ ذَكَرٍ. [26] وَقَتَلاَ حَمُورَ وَشَكِيمَ ابْنَهُ بِحَدِّ السَّيْفِ، وَأَخَذَا دِينَةَ مِنْ بَيْتِ شَكِيمَ وَخَرَجَا. [27] ثُمَّ أَتَى بَنُو يَعْقُوبَ عَلَى الْقَتْلَى وَنَهَبُوا الْمَدِينَةَ، لأَنَّهُمْ نَجَّسُوا أُخْتَهُمْ. [28] غَنَمَهُمْ وَبَقَرَهُمْ وَحَمِيرَهُمْ وَكُلُّ مَا فِي الْمَدِينَةِ وَمَا فِي الْحَقْلِ أَخَذُوهُ. [29] وَسَبَوْا وَنَهَبُوا كُلَّ ثَرْوَتِهِمْ وَكُلَّ أَطْفَالِهِمْ، وَنِسَاءَهُمْ وَكُلَّ مَا فِي الْبُيُوتِ. [30] فَقَالَ يَعْقُوبُ لِشِمْعُونَ وَلاَوِي: «كَدَّرْتُمَانِي بِتَكْرِيهِكُمَا إِيَّايَ عِنْدَ سُكَّانِ الأَرْضِ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ، وَأَنَا نَفَرٌ قَلِيلٌ. فَيَجْتَمِعُونَ عَلَيَّ وَيَضْرِبُونَنِي، فَأَبِيدُ أَنَا وَبَيْتِي». [31] فَقَالاَ: «أَنَظِيرَ زَانِيَةٍ يَفْعَلُ بِأُخْتِنَا؟ »".

ولننظر كذلك العقوبات التى أمر الله موسى أن يوقعها بنو إسرائيل بالمديانيين لا لشيء إلا لأن بعض نساء المديانيين قد زَنَيْنَ مع بعض الإسرائيليين، وهذه العقوبات موجودة فى الإصحاحين الخامس والعشرين والحادى والثلاثين على الترتيب من سفر "العدد": "[1] وَأَقَامَ إِسْرَائِيلُ فِي شِطِّيمَ، وَابْتَدَأَ الشَّعْبُ يَزْنُونَ مَعَ بَنَاتِ مُوآبَ. [2] فَدَعَوْنَ الشَّعْبَ إِلَى ذَبَائِحِ آلِهَتِهِنَّ، فَأَكَلَ الشَّعْبُ وَسَجَدُوا لآلِهَتِهِنَّ. [3] وَتَعَلَّقَ إِسْرَائِيلُ بِبَعْلِ فَغُورَ. فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ. [4] فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «خُذْ جَمِيعَ رُؤُوسِ الشَّعْبِ وَعَلِّقْهُمْ لِلرَّبِّ مُقَابِلَ الشَّمْسِ، فَيَرْتَدَّ حُمُوُّ غَضَبِ الرَّبِّ عَنْ إِسْرَائِيلَ». [5] فَقَالَ مُوسَى لِقُضَاةِ إِسْرَائِيلَ: «اقْتُلُوا كُلُّ وَاحِدٍ قَوْمَهُ الْمُتَعَلِّقِينَ بِبَعْلِ فَغُورَ». [6] وَإِذَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ جَاءَ وَقَدَّمَ إِلَى إِخْوَتِهِ الْمِدْيَانِيَّةَ، أَمَامَ عَيْنَيْ مُوسَى وَأَعْيُنِ كُلِّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَهُمْ بَاكُونَ لَدَى بَابِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ. [7] فَلَمَّا رَأَى ذلِكَ فِينْحَاسُ بْنُ أَلِعَازَارَ بْنِ هَارُونَ الْكَاهِنِ،

قَامَ مِنْ وَسَطِ الْجَمَاعَةِ وَأَخَذَ رُمْحًا بِيَدِهِ، ٨ وَدَخَلَ وَرَاءَ الرَّجُلِ الإِسْرَائِيلِيِّ
إِلَى الْقُبَّةِ وَطَعَنَ كِلَيْهِمَا، الرَّجُلَ الإِسْرَائِيلِيَّ وَالْمَرْأَةَ فِي بَطْنِهَا. فَامْتَنَعَ الْوَبَأُ
عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ. ٩ وَكَانَ الَّذِينَ مَاتُوا بِالْوَبَإِ أَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ أَلْفًا. ١٠ فَكَلَّمَ
الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: ١١ «فِينْحَاسُ بْنُ أَلِعَازَارَ بْنِ هَارُونَ الْكَاهِنُ قَدْ رَدَّ
سَخَطِي عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِكَوْنِهِ غَارَ غَيْرَتِي فِي وَسَطِهِمْ حَتَّى لَمْ أُفْنِ بَنِي
إِسْرَائِيلَ بِغَيْرَتِي. ١٢ لِذلِكَ قُلْ: هأَنَذَا أُعْطِيهِ مِيثَاقِي مِيثَاقَ السَّلاَمِ، ١٣ فَيَكُونُ
لَهُ وَلِنَسْلِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِيثَاقَ كَهَنُوتٍ أَبَدِيٍّ، لأَجْلِ أَنَّهُ غَارَ للهِ وَكَفَّرَ عَنْ بَنِي
إِسْرَائِيلَ». ١٤ وَكَانَ اسْمُ الرَّجُلِ الإِسْرَائِيلِيِّ الَّذِي قُتِلَ مَعَ الْمِدْيَانِيَّةِ، زِمْرِيَ
بْنَ سَالُو، رَئِيسَ بَيْتِ أَبٍ مِنَ الشِّمْعُونِيِّينَ. ١٥ وَاسْمُ الْمَرْأَةِ الْمِدْيَانِيَّةِ
الْمَقْتُولَةِ كُزْبِي بِنْتَ صُورٍ، هُوَ رَئِيسُ قَبَائِلِ بَيْتِ أَبٍ فِي مِدْيَانَ. ١٦ ثُمَّ كَلَّمَ
الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: ١٧ «ضَايِقُوا الْمِدْيَانِيِّينَ وَاضْرِبُوهُمْ، ١٨ لأَنَّهُمْ ضَايَقُوكُمْ
بِمَكَايِدِهِمِ الَّتِي كَادُوكُمْ بِهَا فِي أَمْرِ فَغُورَ وَأَمْرِ كُزْبِي أُخْتِهِمْ بِنْتِ رَئِيسٍ
لِمِدْيَانَ، الَّتِي قُتِلَتْ يَوْمَ الْوَبَإِ بِسَبَبِ فَغُورَ»، ١ وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً:
٢ «انْتَقِمْ نَقْمَةً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْمِدْيَانِيِّينَ، ثُمَّ تُضَمُّ إِلَى قَوْمِكَ». ٣ فَكَلَّمَ
مُوسَى الشَّعْبَ قَائِلاً: «جَرِّدُوا مِنْكُمْ رِجَالاً لِلْجُنْدِ، فَيَكُونُوا عَلَى مِدْيَانَ
لِيَجْعَلُوا نَقْمَةَ الرَّبِّ عَلَى مِدْيَانَ. ٤ أَلْفًا وَاحِدًا مِنْ كُلِّ سِبْطٍ مِنْ جَمِيعِ أَسْبَاطِ
إِسْرَائِيلَ تُرْسِلُونَ لِلْحَرْبِ». ٥ فَاخْتِيرَ مِنْ أُلُوفِ إِسْرَائِيلَ أَلْفٌ مِنْ كُلِّ سِبْطٍ.
اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مُجَرَّدُونَ لِلْحَرْبِ. ٦ فَأَرْسَلَهُمْ مُوسَى أَلْفًا مِنْ كُلِّ سِبْطٍ إِلَى
الْحَرْبِ، هُمْ وَفِينْحَاسَ بْنَ أَلِعَازَارَ الْكَاهِنِ إِلَى الْحَرْبِ، وَأَمْتِعَةُ الْقُدْسِ
وَأَبْوَاقُ الْهُتَافِ فِي يَدِهِ. ٧ فَتَجَنَّدُوا عَلَى مِدْيَانَ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ وَقَتَلُوا كُلَّ
ذَكَرٍ. ٨ وَمُلُوكُ مِدْيَانَ قَتَلُوهُمْ فَوْقَ قَتْلاَهُمْ: أَوِيَ وَرَاقِمَ وَصُورَ وَحُورَ
وَرَابِعَ. خَمْسَةَ مُلُوكِ مِدْيَانَ. وَبَلْعَامَ بْنَ بَعُورَ قَتَلُوهُ بِالسَّيْفِ. ٩ وَسَبَى بَنُو
إِسْرَائِيلَ نِسَاءَ مِدْيَانَ وَأَطْفَالَهُمْ، وَنَهَبُوا جَمِيعَ بَهَائِمِهِمْ، وَجَمِيعَ مَوَاشِيهِمْ

وَكُلَّ أَمْلاَكِهِمْ. ١٠وَأَحْرَقُوا جَمِيعَ مُدُنِهِمْ بِمَسَاكِنِهِمْ، وَجَمِيعَ حُصُونِهِمْ
بِالنَّارِ. ١١وَأَخَذُوا كُلَّ الْغَنِيمَةِ وَكُلَّ النَّهْبِ مِنَ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ، ١٢وَأَتَوْا إِلَى
مُوسَى وَأَلِعَازَارَ الْكَاهِنِ وَإِلَى جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالسَّبْيِ وَالنَّهْبِ وَالْغَنِيمَةِ
إِلَى الْمَحَلَّةِ إِلَى عَرَبَاتِ مُوآبَ الَّتِي عَلَى أُرْدُنِّ أَرِيحَا. ١٣فَخَرَجَ مُوسَى
وَأَلِعَازَارُ الْكَاهِنُ وَكُلُّ رُؤَسَاءِ الْجَمَاعَةِ لاسْتِقْبَالِهِمْ إِلَى خَارِجِ الْمَحَلَّةِ.
١٤فَسَخَطَ مُوسَى عَلَى وُكَلاَءِ الْجَيْشِ، رُؤَسَاءِ الأُلُوفِ وَرُؤَسَاءِ الْمِئَاتِ
الْقَادِمِينَ مِنْ جُنْدِ الْحَرْبِ. ١٥وَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: «هَلْ أَبْقَيْتُمْ كُلَّ أُنْثَى حَيَّةً؟
١٦إِنَّ هؤُلاَءِ كُنَّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، حَسَبَ كَلاَمِ بَلْعَامَ، سَبَبَ خِيَانَةٍ لِلرَّبِّ فِي
أَمْرِ فَغُورَ، فَكَانَ الْوَبَأُ فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ. ١٧فَالآنَ اقْتُلُوا كُلَّ ذَكَرٍ مِنَ
الأَطْفَالِ. وَكُلَّ امْرَأَةٍ عَرَفَتْ رَجُلاً بِمُضَاجَعَةِ ذَكَرٍ اقْتُلُوهَا. ١٨لكِنْ جَمِيعُ
الأَطْفَالِ مِنَ النِّسَاءِ اللَّوَاتِي لَمْ يَعْرِفْنَ مُضَاجَعَةَ ذَكَرٍ أَبْقُوهُنَّ لَكُمْ حَيَّاتٍ.
١٩وَأَمَّا أَنْتُمْ فَانْزِلُوا خَارِجَ الْمَحَلَّةِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ، وَتَطَهَّرُوا كُلُّ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا،
وَكُلُّ مَنْ مَسَّ قَتِيلاً، فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ وَفِي السَّابعِ، أَنْتُمْ وَسَبْيُكُمْ. ٢٠وَكُلُّ
ثَوْبٍ، وَكُلُّ مَتَاعٍ مِنْ جِلْدٍ، وَكُلُّ مَصْنُوعٍ مِنْ شَعْرِ مَعْزٍ، وَكُلُّ مَتَاعٍ مِنْ
خَشَبٍ، تُطَهِّرُونَهُ». ٢١وَقَالَ أَلِعَازَارُ الْكَاهِنُ لِرِجَالِ الْجُنْدِ الَّذِينَ ذَهَبُوا
لِلْحَرْبِ: «هذِهِ فَرِيضَةُ الشَّرِيعَةِ الَّتِي أَمَرَ بِهَا الرَّبُّ مُوسَى: ٢٢اَلذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ
وَالنُّحَاسُ وَالْحَدِيدُ وَالْقَصْدِيرُ وَالرَّصَاصُ، ٢٣كُلُّ مَا يَدْخُلُ النَّارَ، تُجِيزُونَهُ
فِي النَّارِ فَيَكُونُ طَاهِرًا، غَيْرَ أَنَّهُ يَتَطَهَّرُ بِمَاءِ النَّجَاسَةِ. وَأَمَّا كُلُّ مَا لاَ يَدْخُلُ
النَّارَ فَتُجِيزُونَهُ فِي الْمَاءِ. ٢٤وَتَغْسِلُونَ ثِيَابَكُمْ فِي الْيَوْمِ السَّابعِ فَتَكُونُونَ
طَاهِرِينَ، وَبَعْدَ ذلِكَ تَدْخُلُونَ الْمَحَلَّةَ». ٢٥وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً:
٢٦«أَحْصِ النَّهْبَ الْمَسْبِيَّ مِنَ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ، أَنْتَ وَأَلِعَازَارُ الْكَاهِنُ
وَرُؤُوسُ آبَاءِ الْجَمَاعَةِ. ٢٧وَنَصِّفِ النَّهْبَ بَيْنَ الَّذِينَ بَاشَرُوا الْقِتَالَ الْخَارِجِينَ
إِلَى الْحَرْبِ، وَبَيْنَ كُلِّ الْجَمَاعَةِ. ٢٨وَارْفَعْ زَكَاةً لِلرَّبِّ. مِنْ رِجَالِ الْحَرْبِ

الْخَارِجِينَ إِلَى الْقِتَالِ وَاحِدَةً. نَفْسًا مِنْ كُلِّ خَمْسِ مِئَةٍ مِنَ النَّاسِ وَالْبَقَرِ
وَالْحَمِيرِ وَالْغَنَمِ. ٢٩مِنْ نِصْفِهِمْ تَأْخُذُونَهَا وَتُعْطُونَهَا لأَلِعَازَارَ الْكَاهِنِ رَفِيعَةً
لِلرَّبِّ. ٣٠وَمِنْ نِصْفِ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَأْخُذُ وَاحِدَةً مَأْخُوذَةً مِنْ كُلِّ خَمْسِينَ مِنَ
النَّاسِ وَالْبَقَرِ وَالْحَمِيرِ وَالْغَنَمِ مِنْ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ، وَتُعْطِيهَا لِلاَّوِيِّينَ الْحَافِظِينَ
شَعَائِرَ مَسْكَنِ الرَّبِّ». ٣١فَفَعَلَ مُوسَى وَأَلِعَازَارُ الْكَاهِنُ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ
مُوسَى. ٣٢وَكَانَ النَّهْبُ فَضْلَةُ الْغَنِيمَةِ الَّتِي اغْتَنَمَهَا رِجَالُ الْجُنْدِ: مِنَ الْغَنَمِ
سِتَّ مِئَةٍ وَخَمْسَةً وَسَبْعِينَ أَلْفًا، ٣٣وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ أَلْفًا، ٣٤وَمِنَ
الْحَمِيرِ وَاحِدًا وَسِتِّينَ أَلْفًا، ٣٥وَمِنْ نُفُوسِ النَّاسِ مِنَ النِّسَاءِ اللَّوَاتِي لَمْ
يَعْرِفْنَ مُضَاجَعَةَ ذَكَرٍ، جَمِيعِ النُّفُوسِ اثْنَيْنِ وَثَلاَثِينَ أَلْفًا. ٣٦وَكَانَ النِّصْفُ
نَصِيبُ الْخَارِجِينَ إِلَى الْحَرْبِ: عَدَدُ الْغَنَمِ ثَلاَثَ مِئَةٍ وَسَبْعَةً وَثَلاَثِينَ أَلْفًا
وَخَمْسَ مِئَةٍ. ٣٧وَكَانَتِ الزَّكَاةُ لِلرَّبِّ مِنَ الْغَنَمِ سِتَّ مِئَةٍ وَخَمْسَةً وَسَبْعِينَ،
٣٨وَالْبَقَرُ سِتَّةً وَثَلاَثِينَ أَلْفًا، وَزَكَاتُهَا لِلرَّبِّ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ، ٣٩وَالْحَمِيرُ ثَلاَثِينَ
أَلْفًا وَخَمْسَ مِئَةٍ، وَزَكَاتُهَا لِلرَّبِّ وَاحِدًا وَسِتِّينَ، ٤٠وَنُفُوسُ النَّاسِ سِتَّةَ عَشَرَ
أَلْفًا، وَزَكَاتُهَا لِلرَّبِّ اثْنَيْنِ وَثَلاَثِينَ نَفْسًا. ٤١فَأَعْطَى مُوسَى الزَّكَاةَ رَفِيعَةَ
الرَّبِّ لأَلِعَازَارَ الْكَاهِنِ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى. ٤٢وَأَمَّا نِصْفُ إِسْرَائِيلَ الَّذِي
قَسَمَهُ مُوسَى مِنَ الرِّجَالِ الْمُتَجَنِّدِينَ: ٤٣فَكَانَ نِصْفُ الْجَمَاعَةِ مِنَ الْغَنَمِ
ثَلاَثَ مِئَةٍ وَسَبْعَةً وَثَلاَثِينَ أَلْفًا وَخَمْسَ مِئَةٍ، ٤٤وَمِنَ الْبَقَرِ سِتَّةً وَثَلاَثِينَ أَلْفًا،
٤٥وَمِنَ الْحَمِيرِ ثَلاَثِينَ أَلْفًا وَخَمْسَ مِئَةٍ، ٤٦وَمِنْ نُفُوسِ النَّاسِ سِتَّةَ عَشَرَ
أَلْفًا. ٤٧فَأَخَذَ مُوسَى مِنْ نِصْفِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْمَأْخُوذَ وَاحِدًا مِنْ كُلِّ خَمْسِينَ
مِنَ النَّاسِ وَمِنَ الْبَهَائِمِ، وَأَعْطَاهَا لِلاَّوِيِّينَ الْحَافِظِينَ شَعَائِرَ مَسْكَنِ الرَّبِّ،
كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى. ٤٨ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَى مُوسَى الْوُكَلاَءُ الَّذِينَ عَلَى أُلُوفِ
الْجُنْدِ، رُؤَسَاءُ الأُلُوفِ وَرُؤَسَاءُ الْمِئَاتِ، ٤٩وَقَالُوا لِمُوسَى: «عَبِيدُكَ قَدْ
أَخَذُوا عَدَدَ رِجَالِ الْحَرْبِ الَّذِينَ فِي أَيْدِينَا فَلَمْ يُفْقَدْ مِنَّا إِنْسَانٌ. ٥٠فَقَدْ قَدَّمْنَا

قُرْبَانَ الرَّبِّ، كُلُّ وَاحِدٍ مَا وَجَدَهُ، أَمْتِعَةَ ذَهَبٍ: حُجُولاً وَأَسَاوِرَ وَخَوَاتِمَ وَأَقْرَاطًا وَقَلاَئِدَ، لِلتَّكْفِيرِ عَنْ أَنْفُسِنَا أَمَامَ الرَّبِّ». ٥١فَأَخَذَ مُوسَى وَأَلِعَازَارُ الْكَاهِنُ الذَّهَبَ مِنْهُمْ، كُلَّ أَمْتِعَةٍ مَصْنُوعَةٍ. ٥٢وَكَانَ كُلُّ ذَهَبِ الرَّفِيعَةِ الَّتِي رَفَعُوهَا لِلرَّبِّ سِتَّةَ عَشَرَ أَلْفًا وَسَبْعَ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ شَاقِلاً مِنْ عِنْدِ رُؤَسَاءِ الأُلُوفِ وَرُؤَسَاءِ الْمِئَاتِ. ٥٣أَمَّا رِجَالُ الْجُنْدِ فَاغْتَنَمُوا كُلُّ وَاحِدٍ لِنَفْسِهِ. ٥٤فَأَخَذَ مُوسَى وَأَلِعَازَارُ الْكَاهِنُ الذَّهَبَ مِنْ رُؤَسَاءِ الأُلُوفِ وَالْمِئَاتِ وَأَتَيَا بِهِ إِلَى خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ تَذْكَارًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَمَامَ الرَّبِّ".

وفى الإصحاح الأول من سفر "صموئيل الأول" نقرأ مثالا آخر من سلوك بنى إسرائيل مع الآخرين فى أمور الحرب: "١وَقَالَ صَمُوئِيلُ لِشَاوُلَ: «إِيَّايَ أَرْسَلَ الرَّبُّ لِمَسْحِكَ مَلِكًا عَلَى شَعْبِهِ إِسْرَائِيلَ. وَالآنَ فَاسْمَعْ صَوْتَ كَلاَمِ الرَّبِّ. ٢هكَذَا يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ: إِنِّي قَدِ افْتَقَدْتُ مَا عَمِلَ عَمَالِيقُ بِإِسْرَائِيلَ حِينَ وَقَفَ لَهُ فِي الطَّرِيقِ عِنْدَ صُعُودِهِ مِنْ مِصْرَ. ٣فَالآنَ اذْهَبْ وَاضْرِبْ عَمَالِيقَ، وَحَرِّمُوا كُلَّ مَا لَهُ وَلاَ تَعْفُ عَنْهُمْ بَلِ اقْتُلْ رَجُلاً وَامْرَأَةً، طِفْلاً وَرَضِيعًا، بَقَرًا وَغَنَمًا، جَمَلاً وَحِمَارًا». ٤فَاسْتَحْضَرَ شَاوُلُ الشَّعْبَ وَعَدَّهُ فِي طَلاَيِمَ، مِئَتَيْ أَلْفِ رَاجِل، وَعَشَرَةَ آلاَفِ رَجُل مِنْ يَهُوذَا. ٥ثُمَّ جَاءَ شَاوُلُ إِلَى مَدِينَةِ عَمَالِيقَ وَكَمَنَ فِي الْوَادِي. ٦وَقَالَ شَاوُلُ لِلْقَيْنِيِّينَ: «اذْهَبُوا حِيدُوا انْزِلُوا مِنْ وَسْطِ الْعَمَالِقَةِ لِئَلاَّ أُهْلِكَكُمْ مَعَهُمْ، وَأَنْتُمْ قَدْ فَعَلْتُمْ مَعْرُوفًا مَعَ جَمِيعِ بَنِي إِسْرَائِيلَ عِنْدَ صُعُودِهِمْ مِنْ مِصْرَ». فَحَادَ الْقَيْنِيُّ مِنْ وَسْطِ عَمَالِيقَ. ٧وَضَرَبَ شَاوُلُ عَمَالِيقَ مِنْ حَوِيلَةَ حَتَّى مَجِيئِكَ إِلَى شُورَ الَّتِي مُقَابَِلَ مِصْرَ. ٨وَأَمْسَكَ أَجَاجَ مَلِكَ عَمَالِيقَ حَيًّا، وَحَرَّمَ جَمِيعَ الشَّعْبِ بِحَدِّ السَّيْفِ. ٩وَعَفَا شَاوُلُ وَالشَّعْبُ عَنْ أَجَاجَ وَعَنْ خِيَارِ الْغَنَمِ وَالْبَقَرِ وَالثُّنْيَانِ وَالْخِرَافِ، وَعَنْ كُلِّ الْجَيِّدِ، وَلَمْ يَرْضَوْا أَنْ يُحَرِّمُوهَا. وَكُلُّ الأَمْلاَكِ الْمُحْتَقَرَةِ وَالْمَهْزُولَةِ حَرَّمُوهَا. ١٠وَكَانَ كَلاَمُ الرَّبِّ إِلَى صَمُوئِيلَ

قائلاً: ١١«نَدِمْتُ عَلَى أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ شَاوُلَ مَلِكًا، لأَنَّهُ رَجَعَ مِنْ وَرَائِي وَلَمْ يُقِمْ كَلاَمِي». فَاغْتَاظَ صَمُوئِيلُ وَصَرَخَ إِلَى الرَّبِّ اللَّيْلَ كُلَّهُ. ١٢فَبَكَّرَ صَمُوئِيلُ لِلِقَاءِ شَاوُلَ صَبَاحًا. فَأُخْبِرَ صَمُوئِيلُ وَقِيلَ لَهُ: «قَدْ جَاءَ شَاوُلُ إِلَى الْكَرْمَلِ، وَهُوَذَا قَدْ نَصَبَ لِنَفْسِهِ نُصُبًا وَدَارَ وَعَبَرَ وَنَزَلَ إِلَى الْجِلْجَالِ». ١٣وَلَمَّا جَاءَ صَمُوئِيلُ إِلَى شَاوُلَ قَالَ لَهُ شَاوُلُ: «مُبَارَكٌ أَنْتَ لِلرَّبِّ. قَدْ أَقَمْتُ كَلاَمَ الرَّبِّ». ١٤فَقَالَ صَمُوئِيلُ: «وَمَا هُوَ صَوْتُ الْغَنَمِ هذَا فِي أُذُنَيَّ، وَصَوْتُ الْبَقَرِ الَّذِي أَنَا سَامِعٌ؟». ١٥فَقَالَ شَاوُلُ: «مِنَ الْعَمَالِقَةِ، قَدْ أَتَوْا بِهَا، لأَنَّ الشَّعْبَ قَدْ عَفَا عَنْ خِيَارِ الْغَنَمِ وَالْبَقَرِ لأَجْلِ الذَّبْحِ لِلرَّبِّ إِلهِكَ. وَأَمَّا الْبَاقِي فَقَدْ حَرَّمْنَاهُ». ١٦فَقَالَ صَمُوئِيلُ لِشَاوُلَ: «كُفَّ فَأُخْبِرَكَ بِمَا تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ إِلَيَّ هذِهِ اللَّيْلَةَ». فَقَالَ لَهُ: «تَكَلَّمْ». ١٧فَقَالَ صَمُوئِيلُ: «أَلَيْسَ إِذْ كُنْتَ صَغِيرًا فِي عَيْنَيْكَ صِرْتَ رَأْسَ أَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ وَمَسَحَكَ الرَّبُّ مَلِكًا عَلَى إِسْرَائِيلَ، ١٨وَأَرْسَلَكَ الرَّبُّ فِي طَرِيقٍ وَقَالَ: اذْهَبْ وَحَرِّمِ الْخُطَاةَ عَمَالِيقَ وَحَارِبْهُمْ حَتَّى يَفْنَوْا؟ ١٩فَلِمَاذَا لَمْ تَسْمَعْ لِصَوْتِ الرَّبِّ، بَلْ ثُرْتَ عَلَى الْغَنِيمَةِ وَعَمِلْتَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ؟». ٢٠فَقَالَ شَاوُلُ لِصَمُوئِيلَ: «إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ لِصَوْتِ الرَّبِّ وَذَهَبْتُ فِي الطَّرِيقِ الَّتِي أَرْسَلَنِي فِيهَا الرَّبُّ وَأَتَيْتُ بِأَجَاجَ مَلِكِ عَمَالِيقَ وَحَرَّمْتُ عَمَالِيقَ. ٢١فَأَخَذَ الشَّعْبُ مِنَ الْغَنِيمَةِ غَنَمًا وَبَقَرًا، أَوَائِلَ الْحَرَامِ لأَجْلِ الذَّبْحِ لِلرَّبِّ إِلهِكَ فِي الْجِلْجَالِ». ٢٢فَقَالَ صَمُوئِيلُ: «هَلْ مَسَرَّةُ الرَّبِّ بِالْمُحْرَقَاتِ وَالذَّبَائِحِ كَمَا بِاسْتِمَاعِ صَوْتِ الرَّبِّ؟ هُوَذَا الاسْتِمَاعُ أَفْضَلُ مِنَ الذَّبِيحَةِ، وَالإِصْغَاءُ أَفْضَلُ مِنْ شَحْمِ الْكِبَاشِ. ٢٣لأَنَّ التَّمَرُّدَ كَخَطِيَّةِ الْعِرَافَةِ، وَالْعِنَادُ كَالْوَثَنِ وَالتَّرَافِيمِ. لأَنَّكَ رَفَضْتَ كَلاَمَ الرَّبِّ رَفَضَكَ مِنَ الْمُلْكِ». ٢٤فَقَالَ شَاوُلُ لِصَمُوئِيلَ: «أَخْطَأْتُ لأَنِّي تَعَدَّيْتُ قَوْلَ الرَّبِّ وَكَلاَمَكَ، لأَنِّي خِفْتُ مِنَ الشَّعْبِ وَسَمِعْتُ لِصَوْتِهِمْ. ٢٥وَالآنَ فَاغْفِرْ خَطِيَّتِي وَارْجعْ مَعِي فَأَسْجُدَ لِلرَّبِّ».

[٢٦] فَقَالَ صَمُوئِيلُ لِشَاوُلَ: «لاَ أَرْجِعُ مَعَكَ لأَنَّكَ رَفَضْتَ كَلاَمَ الرَّبِّ، فَرَفَضَكَ الرَّبُّ مِنْ أَنْ تَكُونَ مَلِكًا عَلَى إِسْرَائِيلَ». [٢٧] وَدَارَ صَمُوئِيلُ لِيَمْضِيَ، فَأَمْسَكَ بِذَيْلِ جُبَّتِهِ فَانْمَزَقَ. [٢٨] فَقَالَ لَهُ صَمُوئِيلُ: «يُمَزِّقُ الرَّبُّ مَمْلَكَةَ إِسْرَائِيلَ عَنْكَ الْيَوْمَ وَيُعْطِيهَا لِصَاحِبِكَ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ. [٢٩] وَأَيْضًا نَصِيحُ إِسْرَائِيلَ لاَ يَكْذِبُ وَلاَ يَنْدَمُ، لأَنَّهُ لَيْسَ إِنْسَانًا لِيَنْدَمَ». [٣٠] فَقَالَ: «قَدْ أَخْطَأْتُ. وَالآنَ فَأَكْرِمْنِي أَمَامَ شُيُوخِ شَعْبِي وَأَمَامَ إِسْرَائِيلَ، وَارْجِعْ مَعِي فَأَسْجُدَ لِلرَّبِّ إِلهِكَ». [٣١] فَرَجَعَ صَمُوئِيلُ وَرَاءَ شَاوُلَ، وَسَجَدَ شَاوُلُ لِلرَّبِّ. [٣٢] وَقَالَ صَمُوئِيلُ: «قَدِّمُوا إِلَيَّ أَجَاجَ مَلِكَ عَمَالِيقَ». فَذَهَبَ إِلَيْهِ أَجَاجُ فَرِحًا. وَقَالَ أَجَاجُ: «حَقًّا قَدْ زَالَتْ مَرَارَةُ الْمَوْتِ». [٣٣] فَقَالَ صَمُوئِيلُ: «كَمَا أَثْكَلَ سَيْفُكَ النِّسَاءَ، كَذلِكَ تُثْكَلُ أُمُّكَ بَيْنَ النِّسَاءِ». فَقَطَعَ صَمُوئِيلُ أَجَاجَ أَمَامَ الرَّبِّ فِي الْجِلْجَالِ. [٣٤] وَذَهَبَ صَمُوئِيلُ إِلَى الرَّامَةِ، وَأَمَّا شَاوُلُ فَصَعِدَ إِلَى بَيْتِهِ فِي جِبْعَةِ شَاوُلَ. [٣٥] وَلَمْ يَعُدْ صَمُوئِيلُ لِرُؤْيَةِ شَاوُلَ إِلَى يَوْمِ مَوْتِهِ، لأَنَّ صَمُوئِيلَ نَاحَ عَلَى شَاوُلَ. وَالرَّبُّ نَدِمَ لأَنَّهُ مَلَّكَ شَاوُلَ عَلَى إِسْرَائِيلَ».

والآن فلنقارن ما صنعه الرسول الكريم مع اليهود بما تأمرهم به شريعتهم أن يصنعوه مع الأمم الأخرى فى أمور أهون مما فعلوه مع المسلمين بمراحل ومراحل بحيث لا يوجد فى الواقع أى وجه للمقارنة لا بين الجُرْمَيْن ولا بين العقابين. ومع هذا يتباكى الأفّاق كالنساء نفاقا وتظاهرا بالرقة والشفقة، وإنما هو الكيد لمحمد عليه الصلاة والسلام ولدينه! ولقد يقال إن عيسى عليه السلام لم يكن يعاقب أحدا، بل كان يدعو للتسامح. لكن ينبغى الا ننسى أنه عليه السلام لم يكن فى يده أية سلطة حتى يقال إنه كان يتبع سياسة العفو، إذ العفو لا يكون إلا عن قدرة، وهو لم يكن يملك أية سلطة تخوّله معاقبة الجناة والمعتدين، لأنه لم يكن حاكما ولا حتى قاضيا، بل كان مجرد داعية. ومع هذا فقد قال بصريح اللفظ إنه إنما أُرسِل بالسيف والنار

وإثارة البيت الواحد بعضه على بعض. كل ما فى الأمر أنه لم يكن قد مرّ وقتٌ كافٍ لتحوّله وأتباعه من تلقى الأذى إلى الرد عليه بمثله كما تقضى الطبيعة البشرية وأوضاع العمران وقوانينه فى كل مكان وزمان، وإلا فسدت الأرض وطغى فيها المجرمون وتكبروا وبَغَوْا وقتلوا الأبرياء وسرقوهم واغتصبوا أموالهم وممتلكاتهم واعتدَوْا على نسائهم وأخرجوهم من بلادهم وبيوتهم كما يحلو لهم. ولقد صبر النبى محمد وأتباعه فى مكة على مدى ثلاثة عشر عاما لا ثلاثة فقط كما هو الوضع فى حالة عيسى، عليهما جميعا الصلاة والسلام، كما أن النبى العربى لم يكن ينتقم لنفسه قط، فهو أكبر من ذلك تماما، بل كان يعمل على حماية الدولة الناشئة والأمة البازغة التى تنوشها الرياح وتتعاروها السيوف والسهام والرماح من كل جانب، وبخاصة من قِبَل الخونة الغدارين من يهود، أولئك الذين عاملهم أعظم معاملة وسوى بينهم وبين المسلمين وأمّنهم على أنفسهم وأموالهم ودينهم ومعابدهم واحترم إنسانيتهم وحريتهم، إلا أنهم أثبتوا أنهم لا يتعلمون الدرس أبدا، فأخذوا منذ اللحظة الأولى يتآمرون عليه ويحرّضون المشركين على حربه ويسخرون منه ومن دينه، وهو يغضى عنهم، وإذا اضْطُرّ لمعاقبتهم اكتفى، فى حالة الجريمة الفردية، بالتخلص من المجرم وحده فى هدوء كيلا يثير فتنة أكبر، وينتهى كل شىء فى السر كما كان المجرم يرتكب خيانته فى السر، أما فى حالة الجريمة الجماعية فكان يكتفى بإخراجهم من بين أَظْهُر المسلمين إلى مكان آخر وحرمانهم من بعض أموالهم... إلى أن وقعت الواقعة فى غزوة الأحزاب واقترفوا جريمة الخيانة العظمى السافرة وخططوا مع الأحزاب للقضاء عليه وعلى الدين الذى جاء به والدولة التى بناها بشِقّ الأنْفُس، فلما سقطوا حوكموا. وبالمناسبة فهم الذين اختاروا قاضيهم بأنفسهم، وهو سعد بن معاذ، فكان أن حكم عليهم

يقتل حَمَلة السلاح منهم ، أى المتآمرين الذين كانوا يعملون على تدمير الدولة والأمة الناشئة ، أما الأولاد والنساء فيُسْبَوْن . وهو ، كما ترى ، حكم أخف كثيرا جدا مما تأمرهم به شريعتهم فى معاقبة الأمم الأخرى على أشياء لا تساوى شيئا بجانب ما اجترحوه من جرائم شنيعة! ولو كان الرسول قد عاملهم بشريعتهم لكان قد استأصلهم منذ البداية بمجرد اجتراح أى واحد منهم جريمة فى حق المسلمين ، لكنه عليه السلام صبر عليهم طويلا وسامحهم كثيرا وعاقبهم فى البداية عقوبات هينة أقرب إلى التدليل منها إلى ما كانوا يؤمنون به ويمارسونه فى دينهم من عقاب . فلم التباكى الكاذب إذن والتظاهر الثعلبى الخبيث بالشفقة على المجرم واتهام صاحب الحق بالقسوة؟ الا إن هذا لَقَلْبٌ للوضع برُمّته رأسا على عقب ، ووضعٌ للهزل فى موضع لا يصلح فيه الهزل فى قليل أو كثير ، إذ نحن أمام مصير دولة وأمة ، وفى حروبٍ عَوَانٍ ومؤامرات بشعة خسيسة تريد أن تقضى على الأخضر واليابس ، لا فى مباراة للتسلية!

٩- ويتناول الكندى بعد ذلك ما أصاب الرسول الكريم فى غزوة أُحُدٍ من جروح ، ويعدّها دليلا على أنه ليس نبيا ، وإلا لكلّف الله ملائكته بوقايته من الأذى الذى أصابه . وهو كلام آخر مضحك ، إذ إن محمدا عليه الصلاة والسلام لم يدّع يوما أنه محصّن من الأوجاع والآلام والجروح . كما أن نبى الله يحيى قد قُتِل وقُطِعت رأسه وقُدِّمَتْ رخيصة على صحنٍ إرضاء لراقصة عاهرة فى مشهد مأساوى مرعب كما نعلم جميعا ، فلماذا لم يسأل الكندىُّ الأجربُ العقلِ والضميرِ نفسَه عن السبب الذى منع الملائكة من التدخل لحماية يحيى من هذا المصير البشع؟ ولماذا ، ما دامت الملائكة لم تتدخل من أجله ، لم ينف هو نبوته كما نفى نبوة محمد لمجرد إصابته بجروح فى أُحُد؟ على أنْ ليس يحيى هو وحده من بين الأنبياء الذى قُتِل ، بل قُتِل أيضا زكريا

بن برخيا بين الهيكل والمذبح . ومرة أخرى ليس زكريا ويحيى هما وحدهما من بين الأنبياء اللذين قُتِلا ، بل قُتِل كذلك عيسى عليه السلام حسبما ورد فى الكتاب المقدس ، وإن كنا نحن المسلمين لا نؤمن بذلك . فلماذا لم يتساءل عن السبب فى أن الله لم يكلف ملائكته منع جريمة قتله صلى الله عليه وسلم؟ ولماذا ، وقد وقعت الجريمة ولم يحم الله عيسى ، لم ينف عنه هذا السخيفُ النبوةَ (والألوهية أيضا) مثلما أنكر على الرسول العظيم أن يكون نبيا لمجرد إصابته ببعض الجروح فى معركة حربية لا تُعَدّ الجروح التى أصابته أثناءها شيئا ذا بال على الإطلاق؟ نعم بعض الجروح التى ليست بشىء فى مقابل الصلب والقتل والشتم والبصق والضرب بالحربة فى الجنب والسخرية المرة فى حالة عيسى عليه الصلاة والسلام ، ومن ثم صياحه الرهيب الذى يقطع نياط القلوب . ومرة أخرى ليس عيسى ويحيى وزكريا هم وحدهم من بين الأنبياء الذين قُتِلوا ، بل قُتِل أنبياءُ آخرون غيرهم طبقا لكلام المسيح الذى سبَّ فيه بنى إسرائيل وهددهم بمصير أسود كما جاء فى الكلام المنسوب إليه صلى الله عليه وسلم: "٢٩وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! لأَنَّكُمْ تَبْنُونَ قُبُورَ الأَنْبِيَاءِ وَتُزَيِّنُونَ مَدَافِنَ الصِّدِّيقِينَ ، ٣٠وَتَقُولُونَ: لَوْ كُنَّا فِي أَيَّامِ آبَائِنَا لَمَا شَارَكْنَاهُمْ فِي دَمِ الأَنْبِيَاءِ . ٣١فَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنَّكُمْ أَبْنَاءُ قَتَلَةِ الأَنْبِيَاءِ . ٣٢فَامْلأُوا أَنْتُمْ مِكْيَالَ آبَائِكُمْ . ٣٣أَيُّهَا الْحَيَّاتُ أَوْلاَدَ الأَفَاعِي! كَيْفَ تَهْرُبُونَ مِنْ دَيْنُونَةِ جَهَنَّمَ؟ ٣٤لِذلِكَ هَا أَنَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ أَنْبِيَاءَ وَحُكَمَاءَ وَكَتَبَةً ، فَمِنْهُمْ تَقْتُلُونَ وَتَصْلِبُونَ ، وَمِنْهُمْ تَجْلِدُونَ فِي مَجَامِعِكُمْ ، وَتَطْرُدُونَ مِنْ مَدِينَةٍ إِلَى مَدِينَةٍ ، ٣٥لِكَيْ يَأْتِيَ عَلَيْكُمْ كُلُّ دَمٍ زَكِيٍّ سُفِكَ عَلَى الأَرْضِ ، مِنْ دَمِ هَابِيلَ الصِّدِّيقِ إِلَى دَمِ زَكَرِيَّا بْنِ بَرَخِيَّا الَّذِي قَتَلْتُمُوهُ بَيْنَ الْهَيْكَلِ وَالْمَذْبَحِ . ٣٦اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ هذَا كُلَّهُ يَأْتِي عَلَى هذَا الْجِيلِ! ٣٧«يَا أُورُشَلِيمُ ، يَا أُورُشَلِيمُ! يَا قَاتِلَةَ الأَنْبِيَاءِ

وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا، كَمْ مَرَّةٍ أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلاَدَكِ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا، وَلَمْ تُرِيدُوا! [38] هُوَذَا بَيْتُكُمْ يُتْرَكُ لَكُمْ خَرَابًا. [39] لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ لاَ تَرَوْنَنِي مِنَ الآنَ حَتَّى تَقُولُوا: مُبَارَكٌ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ!» "(متى/ ٢٤)! وهو ما قاله أيضا القرآن الكريم حين تحدث، فى أكثر من موضع منه، عن قتل اليهود للنبيين بغير حق. أما محمد فقد تكفل الله بعصمته من الناس كما ورد فى الآية السابعة والستين من سورة "المائدة"، فلم يستطع أحد أن يَخْلُص إليه رغم كثرة الحروب التى خاضها، ورغم كثرة المتآمرين عليه من منافقين ويهود ومشركين كراهيةً منهم للنور الباهر الذى أتى به، ورغم أنه لم يكن يتحصن وراء الأسوار ولا كان يتخذ الجلاوزة ليصدوا عنه الناس.

يقول الدكتور نظمى لوقا، بشىء من التصرف، فى كتابه: "وامحمداه" (دار الحمامى للطباعة/ القاهرة/ ١٩٦٠م/ ٣٧- ٣٨)، الذى خصصه للدفاع عن سيد الأنبياء والمرسلين ضد أمثال الكندى المنافق إن "منطق المفترين على الرسول العربى هو بعينه منطق الأكذوبة: اكذب ثم اكذب. لا تحصر همك فى مستوى واحد من الافتراء. لا تقتصد فى المزاعم. هل يسخطك أن يؤمن ناس بصدق محمد؟ لا تكن غشيما يا صاح! لا تكتف بتجريح رسالته، ولا تقف عند القول بأنه ليس برسول، بل ليكن مرماك أبعد من هذا. ليكن مرماك تشويه سمعته باعتباره إنسانا من البشر، فمن ليس كفئا للاحترام من حيث هو رجل من آحاد الناس لن يكون كفئا لحمل أمانة الرسالة والنهوض بشرف الهداية. قل فى شخص محمد وأعِدْ، ولا تتحرج ولا تقتصد، ولا تتقيد بدليل، ولا تأبه بتفنيد، واسْتَغِلَّ غفلة الغافلين وجهالة الجاهلين وتحيز المغرضين، فلا مأرب لك فى نصرة إلا نصرتهم. لن يسألوك على الباطل برهانا، وحسبك ما تشقى به سخائمهم

إفكا وبهتانا"!

١٠- ومن بين تلك الأكاذيب التى يرددها الأفاقون أعداء محمد عليه الصلاة والسلام ويتشبث بها صاحبنا الكندى كما يتشبث الكلب الأجرب بعظمة بين أسنانه لا يتركها أبدا، زواجه صلى الله عليه وسلم من ابنة عمته السيدة زينب بنت جحش أم المؤمنين. يقول الأفاق: "فأما ما كان بينه وبين زينب بنت جحش امرأة زيد فإني أكره ذكر شيء منها إجلالاً لقدر كتابي هذا عن ذكرها، غير أني آتي بشيء مما حكاه في كتابه الذي يقول إنه نزل عليه من السماء إذ يقول: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٧ - ٣٨]. ظريفٌ والله هذا الأفاق! لقد بلغ من حيائه أنه لا يريد أن يتكلم فى هذا الموضوع، وكأنه يتجنب مسألة مفحشة لا يصح تناولها على الملإ، وليس زواجا طبيعيا شرعيا ليس فيه شيء البتة مما يُستَحَى منه، اللهم إلا عند الشواذ: شواذ العقل والضمير والجسد، إذ ماذا فى زواجه عليه الصلاة والسلام من زينب؟ وماذا فى الآية القرآنية التى ساقها هنا؟ لا شيء. نعم لا شيء بالمرة، وإلا لما تورع أن يبدئ فى الأمر ويعيد، من الصباح للمساء، ومن المساء للصباح! وأكمل أنا الأمر فأقول: إنهم يكذبون فيقولون أولا: كيف يقدم محمد على التزوج من امرأة ابنه؟ رغم أن زينب لم تكن زوجة ابنه، لسبب بسيط جدا، وهو أنه لم يكن له آنذاك ابن أصلا ولا كان له فى أى يوم من الأيام ابن بلغ مبلغ الأزواج، لأن أولاده الذكور ماتوا كلهم وهم أطفال صغار. إلا أن الأفاقين المنافقين يتابعون الجاهليين على فهمهم أن وضع الابن بالتبنى هو نفسه

وضع الابن الحقيقى. وحتى لو كان الأمر كذلك لقد نزل القرآن قبل تلك الحادثة بما يمحو ذلك الفهم الجاهلى ويبين للمسلمين أنه لا يحق للمسلم أن يستلحق به ولدا ليس من صلبه، بل لا بد أن ينسب ذلك الولد إلى أبيه. فإذا سددنا هذه الثغرة ولم يجدوا بابا يَلِجُون منه إلى الزراية على عميد النبيين عادوا فقالوا: ولكنه كان يشتهيها، ولذلك أخذها من زيد. وهذا أيضا كذب مبين وتدليس شنيع، فإنه عليه السلام لم يأخذها من زيد، بل حين سمع من زيد أنه ينوى طلاقها قال له: "أمسك عليك زوجك، واتق الله". لكن زيدا مضى فطلقها لأن العشرة بينهما أصبحت مستحيلة، إذ لم تكن زوجته تحبه، بل كانت تجد غضاضة فى أن يكون زوجها عبدا سابقا ومن قبيلةٍ أقلَّ شرفا من قبيلتها. سيقولون إن محمدا رآها ذات يوم فى مباذلها، وقد ذهب يسأل عن زيد فوقعت فى نفسه موقعا. ونحن نقول: فليكن ما تقولونه صحيحا، ولكن ماذا كان رد فعله صلى الله عليه وسلم عندما رآها فى مباذلها؟ هل دخل وراءها البيت فى غياب الزوج ليتمتع ولو بالحديث معها على انفراد؟ والجواب: أبدا، فهذا لم يحدث. إذن ماذا فعل؟ يقولون إنه انصرف وهو يردد بينه وبين نفسه: سبحان مقلب القلوب! ونسأل نحن بدورنا: وماذا فى هذا؟ أليس ذلك دليلا على إيمانه بربه حتى إنه ليذكره في ذلك الموقف الذى لا تَرَوْن فيه من دليل إلا أنه رجل شهوانى؟ وهكذا يظلون يثيرون الاتهامات ويفترعون الأقاويل، ونحن وراءهم نسألهم عن دلالة كل شىء ينسبونه إليه صلى الله عليه وسلم إلى أن يتضح للقارئ أن الأمر لا يعدو أن يكون زوبعة فى فنجان. ونحن نزيدهم من الشعر بيتا بل أبياتا ونقول: وحتى لو كانت قد وقعت من نفسه موقعا، فماذا فى ذلك؟ ماذا فى أن يرى الرجل منا امرأة جميلة فتقع من نفسه موقعا؟ أوكان عليه السلام يتجسس عليها أو يعمل على اللقاء بها وهى تتمنع عليه؟ أوكان يراودها عن نفسها؟

أوشرع يخطط عقب ذلك لينال منها فى الحرام ما يبغيه الرجل من المرأة؟ آرسل إليها يستقدمها إلى بيته وزنى بها؟ أتآمر على رجلها وقتله بدم بارد وضمها إلى حريمه غير شاعر بأية خالجة ندم؟ أبدا أبدا . إذن ما الذى فى تصرف النبى عليه السلام فى ذلك الموضوع مما يمكن تناوله بلسان المنتقد؟ أما قوله تعالى: "وتخشى الناس ، والله أحق أن تخشاه"، فهو خوفه صلى الله عليه وسلم من كلام العرب حديثى العهد بالجاهلية أن يقولوا إنه تزوج امرأة ابنه ، لكن كان للسماء موقف آخر ، إذ لا بد أن يبدأ أحد الأشخاص بكسر هذا الحظر الذى أكسبه الزمن رسوخا لا يقبل المراء ، فشاءت السماء أن يكونه محمد ، فنفذّه عليه السلام على مرارته . وفى "فتح البارى" لابن حجر: "عن السدي بلغنا أن هذه الآية نزلت في زينب بنت جحش ، وكانت أمها أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يزوّجها زيدَ بن حارثة مولاه فكرهت ذلك . ثم إنها رضيت بما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوّجها إياه ، ثم أعلم الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بعد أنها من أزواجه فكان يستحي أن يأمر بطلاقها ، وكان لا يزال يكون بين زيد وزينب ما يكون من الناس ، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمسك عليه زوجه وأن يتقي الله ، وكان يخشى الناس أن يعيبوا عليه ويقولوا: "تزوج امرأة ابنه"، وكان قد تبنى زيدا".

أما الذى لابد من محاسبته وفضحه ولَوْك سيرته فى العالمين فهو مَنْ كتب مؤلفو العهد القديم عنه ما يلى: "[1] وَكَانَ عِنْدَ تَمَامِ السَّنَةِ ، فِي وَقْتِ خُرُوجِ الْمُلُوكِ ، أَنَّ دَاوُدَ أَرْسَلَ يُوآبَ وَعَبِيدَهُ مَعَهُ وَجَمِيعَ إِسْرَائِيلَ ، فَأَخْرَبُوا بَنِي عَمُّونَ وَحَاصَرُوا رِبَّةَ . وَأَمَّا دَاوُدُ فَأَقَامَ فِي أُورُشَلِيمَ . [2] وَكَانَ فِي وَقْتِ الْمَسَاءِ أَنَّ دَاوُدَ قَامَ عَنْ سَرِيرِهِ وَتَمَشَّى عَلَى سَطْحِ بَيْتِ الْمَلِكِ ، فَرَأَى مِنَ

عَلَى السَّطْحِ امْرَأَةً تَسْتَحِمُّ. وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ جَمِيلَةَ الْمَنْظَرِ جِدًّا. ٣فَأَرْسَلَ دَاوُدُ وَسَأَلَ عَنِ الْمَرْأَةِ، فَقَالَ وَاحِدٌ: «أَلَيْسَتْ هذِهِ بَثْشَبَعَ بِنْتَ أَلِيعَامَ امْرَأَةَ أُورِيَّا الْحِثِّيِّ؟». ٤فَأَرْسَلَ دَاوُدُ رُسُلاً وَأَخَذَهَا، فَدَخَلَتْ إِلَيْهِ، فَاضْطَجَعَ مَعَهَا وَهِيَ مُطَهَّرَةٌ مِنْ طَمْثِهَا. ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى بَيْتِهَا. ٥وَحَبِلَتِ الْمَرْأَةُ، فَأَرْسَلَتْ وَأَخْبَرَتْ دَاوُدَ وَقَالَتْ: «إِنِّي حُبْلَى». ٦فَأَرْسَلَ دَاوُدُ إِلَى يُوآبَ يَقُولُ: «أَرْسِلْ إِلَيَّ أُورِيَّا الْحِثِّيَّ». فَأَرْسَلَ يُوآبُ أُورِيَّا إِلَى دَاوُدَ. ٧فَأَتَى أُورِيَّا إِلَيْهِ، فَسَأَلَ دَاوُدُ عَنْ سَلاَمَةِ يُوآبَ وَسَلاَمَةِ الشَّعْبِ وَنَجَاحِ الْحَرْبِ. ٨وَقَالَ دَاوُدُ لأُورِيَّا: «انْزِلْ إِلَى بَيْتِكَ وَاغْسِلْ رِجْلَيْكَ». فَخَرَجَ أُورِيَّا مِنْ بَيْتِ الْمَلِكِ، وَخَرَجَتْ وَرَاءَهُ حِصَّةٌ مِنْ عِنْدِ الْمَلِكِ. ٩وَنَامَ أُورِيَّا عَلَى بَابِ بَيْتِ الْمَلِكِ مَعَ جَمِيعِ عَبِيدِ سَيِّدِهِ، وَلَمْ يَنْزِلْ إِلَى بَيْتِهِ. ١٠فَأَخْبَرُوا دَاوُدَ قَائِلِينَ: «لَمْ يَنْزِلْ أُورِيَّا إِلَى بَيْتِهِ». فَقَالَ دَاوُدُ لأُورِيَّا: «أَمَا جِئْتَ مِنَ السَّفَرِ؟ فَلِمَاذَا لَمْ تَنْزِلْ إِلَى بَيْتِكَ؟». ١١فَقَالَ أُورِيَّا لِدَاوُدَ: «إِنَّ التَّابُوتَ وَإِسْرَائِيلَ وَيَهُوذَا سَاكِنُونَ فِي الْخِيَامِ، وَسَيِّدِي يُوآبُ وَعَبِيدُ سَيِّدِي نَازِلُونَ عَلَى وَجْهِ الصَّحْرَاءِ، وَأَنَا آتِي إِلَى بَيْتِي لآكُلَ وَأَشْرَبَ وَأَضْطَجعَ مَعَ امْرَأَتِي؟ وَحَيَاتِكَ وَحَيَاةِ نَفْسِكَ، لاَ أَفْعَلُ هذَا الأَمْرَ». ١٢فَقَالَ دَاوُدُ لأُورِيَّا: «أَقِمْ هُنَا الْيَوْمَ أَيْضًا، وَغَدًا أُطْلِقُكَ». فَأَقَامَ أُورِيَّا فِي أُورُشَلِيمَ ذلِكَ الْيَوْمَ وَغَدَهُ. ١٣وَدَعَاهُ دَاوُدُ فَأَكَلَ أَمَامَهُ وَشَرِبَ وَأَسْكَرَهُ. وَخَرَجَ عِنْدَ الْمَسَاءِ لِيَضْطَجِعَ فِي مَضْجَعِهِ مَعَ عَبِيدِ سَيِّدِهِ، وَإِلَى بَيْتِهِ لَمْ يَنْزِلْ. ١٤وَفِي الصَّبَاحِ كَتَبَ دَاوُدُ مَكْتُوبًا إِلَى يُوآبَ وَأَرْسَلَهُ بِيَدِ أُورِيَّا. ١٥وَكَتَبَ فِي الْمَكْتُوبِ يَقُولُ: «اجْعَلُوا أُورِيَّا فِي وَجْهِ الْحَرْبِ الشَّدِيدَةِ، وَارْجِعُوا مِنْ وَرَائِهِ فَيُضْرَبَ وَيَمُوتَ». ١٦وَكَانَ فِي مُحَاصَرَةِ يُوآبَ الْمَدِينَةَ أَنَّهُ جَعَلَ أُورِيَّا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي عَلِمَ أَنَّ رِجَالَ الْبَأْسِ فِيهِ. ١٧فَخَرَجَ رِجَالُ الْمَدِينَةِ وَحَارَبُوا يُوآبَ، فَسَقَطَ بَعْضُ الشَّعْبِ مِنْ عَبِيدِ دَاوُدَ، وَمَاتَ أُورِيَّا الْحِثِّيُّ أَيْضًا. ١٨فَأَرْسَلَ يُوآبُ وَأَخْبَرَ دَاوُدَ

بِجَمِيعِ أُمُورِ الْحَرْبِ. [١٩] وَأَوْصَى الرَّسُولَ قَائِلاً: «عِنْدَمَا تَفْرَغُ مِنَ الْكَلاَمِ مَعَ الْمَلِكِ عَنْ جَمِيعِ أُمُورِ الْحَرْبِ، [٢٠] فَإِنِ اشْتَعَلَ غَضَبُ الْمَلِكِ، وَقَالَ لَكَ: لِمَاذَا دَنَوْتُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ لِلْقِتَالِ؟ أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّهُمْ يَرْمُونَ مِنْ عَلَى السُّورِ؟ [٢١] مَنْ قَتَلَ أَبِيمَالِكَ بْنَ يَرُبُّوشَثَ؟ أَلَمْ تَرْمِهِ امْرَأَةٌ بِقِطْعَةِ رَحًى مِنْ عَلَى السُّورِ فَمَاتَ فِي تَابَاصَ؟ لِمَاذَا دَنَوْتُمْ مِنَ السُّورِ؟ فَقُلْ: قَدْ مَاتَ عَبْدُكَ أُورِيَّا الْحِثِّيُّ أَيْضًا». [٢٢] فَذَهَبَ الرَّسُولُ وَدَخَلَ وَأَخْبَرَ دَاوُدَ بِكُلِّ مَا أَرْسَلَهُ فِيهِ يُوآبُ. [٢٣] وَقَالَ الرَّسُولُ لِدَاوُدَ: «قَدْ تَجَبَّرَ عَلَيْنَا الْقَوْمُ وَخَرَجُوا إِلَيْنَا إِلَى الْحَقْلِ فَكُنَّا عَلَيْهِمْ إِلَى مَدْخَلِ الْبَابِ. [٢٤] فَرَمَى الرُّمَاةُ عَبِيدَكَ مِنْ عَلَى السُّورِ، فَمَاتَ الْبَعْضُ مِنْ عَبِيدِ الْمَلِكِ، وَمَاتَ عَبْدُكَ أُورِيَّا الْحِثِّيُّ أَيْضًا». [٢٥] فَقَالَ دَاوُدُ لِلرَّسُولِ: «هكَذَا تَقُولُ لِيُوآبَ: لاَ يَسُؤْ فِي عَيْنَيْكَ هذَا الأَمْرُ، لأَنَّ السَّيْفَ يَأْكُلُ هذَا وَذَاكَ. شَدِّدْ قِتَالَكَ عَلَى الْمَدِينَةِ وَأَخْرِبْهَا. وَشَدِّدْهُ». [٢٦] فَلَمَّا سَمِعَتِ امْرَأَةُ أُورِيَّا أَنَّهُ قَدْ مَاتَ أُورِيَّا رَجُلُهَا، نَدَبَتْ بَعْلَهَا. [٢٧] وَلَمَّا مَضَتِ الْمَنَاحَةُ أَرْسَلَ دَاوُدُ وَضَمَّهَا إِلَى بَيْتِهِ، وَصَارَتْ لَهُ امْرَأَةً وَوَلَدَتْ لَهُ ابْنًا. وَأَمَّا الأَمْرُ الَّذِي فَعَلَهُ دَاوُدُ فَقَبُحَ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ". ومع ذلك فإن الأفاقين الكذابين لا يجدون فى سلوك داود هنا ما يمكن أن يؤاخذ عليه، ويجدون فى السلوك الطاهر النقى الذى صدر عن محمد العيب كل العيب! أليس الله قد غفر لداود وأصبح قريبا منه سبحانه كما يقولون ويبررون؟ لكن لماذا لم يغفر الله لمحمد هو أيضا هذا الـ... هذا الماذا؟ والله لا أدرى، فإنه لم يرتكب شيئا يمكن أن يؤاخذ عليه أيا ما تكن الزاوية التى ننظر منها إليه! فانظر أيها القارئ إلى أولئك الوقحين وكيف تلتوى ضمائرهم التواء لا يمكن إصلاحه أبدا! وأخيرا فلست أظننى فى حاجة إلى أن أقول إن المسلمين لا يقفون بما يقوله مخترعو العهد القديم فى حق نبى الله داود، بل يرونه شنْعًا لا يُقْبَل أبدا بل كفرًا بَوَاحًا، بَيْدَ أننى أردت أن آخذ المنافقين بما فى كتابهم مما لا

يمكنهم المجادلة فيه! هذا، ولا أتكلم عن يهوذا وامرأة ابنه الحقيقي وزناه بها، ولا عن مضاجعة لوط لابنتيه بعد أن سقتاه خمرا ونامتا معه الواحدة بعد الأخرى وحبلهما منه، ولا عن نشيد الأناشيد الذى نظمه فى زعمهم سليمان بن داود مما يعجز تماما أبو نواس ونزار قبانى أن يكتبا شعرا مثله فى العهر والفحش والإغراء بالفجور...

١١- ومن زينب إلى عائشة الصِّدِّيقة بنت الصِّدِّيق رضى الله عن الجميع رضى واسعا وذأم عن رحته كل كِنْدِيّ أو مدَّعٍ للكندية لئيم خبيث نبيث، ونقرأ ما قاله النجس الدنس عما سماه بـ"هنات (الرسول الكريم) مع عائشة وما كان من أمرها مع صفوان بن المعطل السلمي في رجوعهم من غزوة المصطلق، بتخلُّفها عن العسكر معه وقدومه بها من الغد نحو الظهيرة راكبة على راحلته يقودها، وما قذفها به عبد الله بن أُبَيّ بن سلول وحسان بن ثابت ومِسْطَح بن أثاثة ابن خالة أبي بكر وزيد بن رفاعة وحمنة بنت جحش أخت زينب، وتبليغ علي بن أبي طالب إليه كلام المتكلمين وعيب العائبين، قائلاً: يا رسول الله، لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثيرة. فلم يلتفت صاحبك إلى ذلك كله لشدة إعجابه بها، لأنه لم يكن في مَنْ نكح من نسائه بِكْرٌ غيرها ولا أحدث سنًّا منها، فكان لها من قلبه مكان. فرضي بما كان من ذلك الأمر كله، وهذا كان سبب انعقاد تلك العداوة بين عائشة وبين علي إلى آخر حياتهما. ثم قال صاحبك بنزول براءتها في سورة النور من قوله: إن الذين جاءوا بالإفك عُصْبة منكم". وتساءل: وماذا فى أن تأتى عائشة متخلفة عن القافلة بعد مضىّ الرَّكْب، وفى ظنهم أنها فى هودجها، وكانت قد ذهبت لقضاء حاجتها بعيدا عن المعسكر ولم يتنبه القائمون على جملها إلى أنها لم تعد بعد، فساقوا أمامهم الجمل ومَضَوْا مع بقية المعسكر، فلما رجعت عائشة ولم تجد أحدا بقيت مكانها وغلبها النوم ولم تشعر إلا

ورجلٌ ينبهها فقامت من رقدتها ، وكان هذا الرجل هو صفوان بن المعطّل السلمى ، الذى كان يشتغل ساقةً للقافلة ، ولما عرف أنها أم المؤمنين تراجع بعيدا حتى ركبت راحلته وأخذ الاثنان طريقهما إلى المدينة؟ أترى الكندى الكلب كان يريد من عائشة أن ترفض العودة مع صفوان وتبقى وحدها فى الصحراء إلى أن تطلع الشمس عليها وتموت من شدة الحر إلى أن يصل إلى النبى فيخبره الخبر فيترك النبى أصحابه ويذهب بنفسه لإحضارها حتى لا تُتهم مرة أخرى بمن يرسله لإحضارها؟ أم كان هذا الوغد الذى سبق أن قال إنه لا بد من شاهدين أو ثلاثة شهود عدول فى الأمور التى تحتاج إلى الشهادة يريد من الرسول أن يعاقب عائشة دون دليل؟ وهل كل من أتت برفقة رجل كانت زانية؟ أكانت عائشة تبقى مؤمنة بالنبى لو كانت زنت وأبرأها القرآن؟ لقد اقترح الرسول على زوجاته أن يسرّحهن لما طلبن منه أن يوسّع عليهن فى النفقة مثل سائر زوجات المسلمين ، لكنهن جميعا ، وأولهن عائشة ، رفضن أن يتركنه رغم جشب عيشهن معه . جاء فى "وفيات الأعيان" لابن خلكان: "قالت عائشة رضي الله عنها: لما أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يخيّر نساءه قال لي: أتختارين الله ورسوله والدار الآخرة أو الحياة الدنيا وزينتها؟ قلت: اللهُ ورسولُه أحب إليّ والدارُ الآخرة . ثم قلت له: أخبرت أحدًا قبلي؟ قال: لا . قلت: لا تخبرهن . فقال صلى الله عليه وسلم: إن الله بعثني نذيرا ، ولم يبعثني مُعْنِتًا ولا متعنتًا" . وكانت عائشة رضى الله عنها تغار عليه أعنف الغيرة من شدة حبها له ، فكيف يمكن أن تكون خانته؟ أمن الممكن أنّ مَنْ تحب زوجها كل هذا الحب الذى تشى به غيرتها فى القصتين التاليتين تطاوعها نفسه أن تخونه؟ جاء فى صحيح النسائى روايةً عن عائشة: "فقدتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ، فظننت أنه ذهب إلى بعض نسائه ، فتحسسته ، فإذا هو راكع ، أو ساجد ، يقول:

سبحانك وبحمدك، لا إله إلا أنت. فقلت: بأبي وأمي! إنك لفي شأن، وإني لفي شأن آخر". وفي "صحيح مسلم" رواية عنها أيضا: "لما كانت ليلتي التي كان النبي صلى الله عليه وسلم فيها عندي انقلب فوضع رداءه وخلع نعليه فوضعهما عند رجليه وبسط طرف إزاره على فراشه فاضطجع. فلم يلبث إلا ريثما ظن أنْ قد رقدت فأخذ رداءه رويدا وانتعل رويدا وفتح الباب فخرج ثم أجافه رويدا. فجعلتُ درعي في رأسي واختمرتُ وتقنعتُ إزاري. ثم انطلقتُ على إثره حتى جاء البقيع فقام فأطال القيام، ثم رفع يديه ثلاث مرات، ثم انحرف فانحرفتُ، فأسرع فأسرعتُ، فهرول فهرولتُ، فأحضر فأحضرتُ، فسبقتُه فدخلتُ. فليس إلا أن اضطجعتُ فدخل فقال: ما لك يا عائش؟ حَشْيا رابِيَةً! (يشير إلى نهجها وتسارع أنفاسها من شدة الهرولة والإحضار حتى تسبقه إلى البيت، فكأنها تعاني ربوا). قالت: قلت: لا شيء. قال: لتخبريني أو ليخبرني اللطيف الخبير. قالت: قلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي! فأخبرته. قال: فأنت السواد الذي رأيت أمامي؟ قلت: نعم. فلهدني في صدري لهدة أوجعتني. ثم قال: أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله؟ قالت: مهما يكتم الناس يعلمه الله، نعم. قال: فإن جبريل أتاني حين رأيت فناداني، فأخفاه منك، فأجبته، فأخفيته منك. ولم يكن يدخل عليك وقد وضعتِ ثيابك. وظننتُ أن قد رقدتِ، فكرهت أن أوقظك، وخشيت أن تستوحشي، فقال: إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم. قالت: قلت: كيف أقول لهم يا رسول الله؟ قال: قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون"، وفي "صحيح النسائي" مثله. وفي "التذكرة الحمدونية" لابن حمدون: "رُوِيَ عن عائشة رضي عنها أنها قالت: كنت نائمة مع النبي صلّى الله عليه وسلم ليلة

النصف من شعبان ثم انتبهت ، فإذا النبي صلّى الله عليه وسلم ليس عندي ، فـادركني مـا يدرك النسـاءَ من الغيرة فلففت مِرْطي . أما والله ما كان خزًا ولا قـزًا ولا قطنًا ولا كتانًا . قيل: فما كان يا أم المؤمنين؟ قالت: كان سَدَاته من شعر ، ولُحْمَته من أوبار الأبل ، قالت: فحبوتُ إليه أطلبه ، فألفيته كالثوب السـاقط على وجهه من الأرض وهـو يقول: سجد لك خيالي وسوادي ، وآمن بك فؤادي ، وهذه يدي وما جنيت بها على نفسي . أنت عظيم ترجى لكـل عظيـم ، فاغفـر الذنب العظيم . فقلت: بأبي وأمي أنت يا رسول الله ، إنك لفـي شـأن ، وإنـي لفـي شأن . فرفع رأسه ثم عاد ساجدا فقال: أعوذ بـوجهك الـذي أضـاءت لـه الـسموات الـسبع والأرضون السبع من فجاءة نقمـتك ، وتحويل عافيتك ، ومـن شـر كـتاب قد سبق ، وأعوذ برضاك من سـخطك ، وبعفـوك مـن عقوبتك ، وبك منك . لا أحصي ثناء عليك ، أنت كمـا أثنيت على نفسك . فلما انصرف من صلاته تقدمت أمامه حتى دخلت البيت ولـي نَفَـسٌ عـال . فقال: مالك يا عائشة؟ فأخبرته الخبر ، فقال: ويح هـاتين الـركبتين! ماذا لَقِيَتا هذه الليلة؟ ومسـح عليهما". وفى "العقد الفريد" لابن عبد ربه مثل ذلك . وفى "صحيح البخارى" عن عائشة: "ما غِرْتُ على امـرأةٍ مـا غِـرْتُ علـى خديجة من كثرة ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها . قالت: وتزوجني بعدها بثلاث سنين ، وأمره ربه عز وجل ، أو جبريل علـيه الـسلام ، أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب". وفى "صحيح مسلم" عنها أيضا رضى الله عنها: "ما غِرْتُ على امرأة ما غرت على خديجة ، ولقد هلكـتْ قـبل أن يتـزوجني بثلاث سنين ، لما كنت أسمعه يذكرها . ولقد أمره ربـه عز وجل أن يبشرها ببيت من قصب في الجنة . وإن كان ليذبح الشاة ثم يهـديها إلى خلائلـها". وفـى "نهاية الأرب فى فنون الأدب" للنويرى تفصيل أكثـر: "عـن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: ما غِرْتُ على امرأة ما

غرت على خديجة، وما بي أن أكون أدركتها، ولكن ذلك لكثرة ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها، وإن كان ليذبح الشاة فيتتبع بذلك صدائق خديجة يهديها لهن . وعنها رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة فيحسن عليها الثناء، فذكرها يوما من الأيام فأدركتني الغيرة فقلت: هل كانت إلا عجوزا قد أبدلك الله خيرا منها؟ فغضب حتى اهتز مقدم شعره من الغضب، ثم قال: "لا والله ما أبدلني الله خيرا منها، آمنتْ بي إذ كفر الناس، وصدّقتْني إذ كذّبني الناس، وواستْني في مالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله منها أولادا إذ حرمني أولاد النساء". قالت عائشة: فقلت في نفسي: لا أذكرها بسيئة أبدا".
ثم كيف كان من الممكن رضاها بالبقاء بعده دون زواج عشرات السنين، ودون أن يكون لها ولد منه يشغلها عن الزواج والرجال، لو كانت قد زنت وبرآها، بما يدل على أنه لم يكن يُوحَى إليه بل كان يؤلف القرآن كذبا وزورا؟ بل قبل ذلك كله كيف تم الاتفاق بين عائشة وصفوان على الميعاد زمانا ومكانا، وهما لم يكونا يتراءيان؟ وكيف ضمنا ألا يقع شيء من شأنه أن يضلّ هو عن مكانها فى الصحراء فتبقى وحيدة هناك طوال الليل ثم حتى يبزغ الصباح وتشتد حرارة الشمس، وما أدراك ما اشتداد حرارة الشمس فى البادية حيث لا شجرة أو جدار يستظل الإنسان به! أم كيف ضمنا ألا يفاجئهما أحد في ذلك الوضع المخزى؟ وقبل ذلك كله هل يمكن أن تقدم على هذه المعرة فتاة حرة كريمة كعائشة تربت فى بيت أبى بكر الطاهر العفيف الذى لم تنله ريبة قط ولا حتى فى الجاهلية، ودعنا من أنها انتقلت إلى بيت النبوة حيث يتنزل الوحى على زوجها الذى تؤمن به وتحبه وتتفانى فى مرضاته؟ تبا لكم أيها الأنذال! إن مشكلتكم أنكم تقيسون الشريفات النبيلات على ما تعرفون من سلوككم وسلوك النجسات من

نسائكم.

أليس من الأفضل للأوغاد أن يشغلوا أنفسهم بدلا من ذلك بقبلات بولس التى كان يرسلها إلى أفواه الأخوات النصرانيات؟ ثم ماذا عن نسبة مؤلفى الأناجيل عيسى عليه السلام إلى يوسف النجار وتأكيد أمه أنه ابن يوسف فعلا ومناداة الناس جيعا له بأنه ابن يوسف كما رأينا من النصوص التى مرت آنفا؟ أوليس الإقرار سيد الأدلة كما يقولون فى القانون؟ ودعنا من اتهام اليهود الصريح لمريم بالزنا والقول بأن عيسى ابن سِفَاح، أستغفر الله! وإنما حملنى على هذا القول رغم أننا لا نؤمن بشىء من هذا السفه المنحط قلة أدب ذلك الشخص المتخفى وراء اسم الكندى وتطاوله على عرض عائشة، وهو يعرف أن من كانت حجته من البَيْض فلا ينبغى أن يقذف الجبال الشُمّ الرواسخ بهذا البَيْض. وكانت العلامة فى حالة مريم متوفرة، ألا وهى وجود الحمل والولادة، بخلاف عائشة، التى لم يكن هناك علامة فى حالتها بالمرة، بل كانت مجرد شائعات مسمومة لأن أحدا لم يأخذ عليها شيئا. وأختم بما رواه ابن عساكر فى "تبيين كذب المفترى" بشأن ابن الباقلانى عندما أرسله عضد الدولة سفيرا إلى قيصر ليناظر المطارنة بناءً على طلب قيصر. قال ابن عساكر: "وقيل إنه دخل يوما فرأى عنده بعض مطارنته ورهبانيته، فقال له مستهزئا: كيف أنت؟ وكيف الأهل والأولاد؟ فقال له الملك، وقد عجب من قوله: ذَكَر من أرسلك في كتاب الرسالة أنك لسان الأمة ومتقدم على علماء الأمة! أما علمت أننا ننزّه هؤلاء عن الأهل والولد؟ فقال الباقلاني: أنتم لا تنزهون الله سبحانه وتعالى عن الأهل والأولاد وتنزهونهم؟ فكأن هؤلاء عندكم أقدس وأجلّ وأعلى من الله سبحانه وتعالى؟! فوقعت الهيبة في نفس الرومي. وقال: بلغني أن طاغية الروم قال له، وقصد توبيخه: أخبِرْني عن قصة عائشة زوج نبيكم وما قيل

فيها . فقال له القاضي أبو بكر: هما اثنتان قيل فيهما ما قيل: زوج نبينا ، ومريم ابنة عمران . فأما زوج نبينا فلم تلد ، وأما مريم فجاءت بولد تحمله على كتفها . وكلٌّ قد برّأها الله مما رُمِيَتْ به . فانقطع الطاغية ولم يُحِرْ جوابا". إننا ، بطبيعة الحال ، لا نقول ما قاله كتبة الأناجيل ونسبوه إلى مريم والناس جميعا من حولها ، كل ما هنالك أننا نبين للأغبياء أن بيوتهم هائرة بحيث إن نفخة واحدة من الهواء تسقطها على الأرض ، فإذا هي تراب منثور .

وفي "صحيح البخاري" روايةً عن عائشة رضي الله عنها: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج سفرا أَقْرَع بين أزواجه ، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه . فأقرع بيننا في غزاة غزاها ، فخرج سهمي فخرجتُ معه بعد ما أنزل الحجاب ، فأنا أُحْمَل في هودج وأنزل فيه . فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك وقَفَلَ ودَنَوْنا من المدينة آذن ليلةً بالرحيل ، فقمت حين آذنُوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش . فلما قضيت شأني أقبلت إلى الرَّحْل فلمست صدري ، فإذا عِقْدٌ لي من جَزْع ظفار قد انقطع ، فرجعت فالتمست عِقْدي فحبسني ابتغاؤه . فأقبل الذين يرحلون لي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب ، وهم يحسبون أني فيه . وكان النساء إذ ذاك خفافا لم يثقلن ولم يَغْشَهُنّ اللحم ، وإنما يأكلن العُلْقَة من الطعام ، فلم يستنكر القوم ، حين رفعوه ، ثقل الهودج فاحتملوه ، وكنت جارية حديثة السن . فبعثوا الجمل وساروا ، فوجدت عِقدي بعد ما استمر الجيش ، فجئت منزلهم وليس فيه أحد ، فأممت منزلي الذي كنت به ، فظننت أنهم سيفقدونني فيرجعون إليّ . فبينا أنا جالسة غلبتني عيناي فنمت ، وكان صفوان بن المعطّل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش ، فأصبح عند منزلي ، فرأى

سواد إنسان نائم فأتاني . وكان يراني قبل الحجاب ، فاستيقظت باسترجاعه حين أناخ راحلته فوطئ يدها فركبتُها ، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا معرِّسين في نحر الظهيرة ، فهلك من هلك ، وكان الذي تولى الإفك عبد الله بن أبي ابن سلول . فقدمنا المدينة فاشتكيت بها شهرا ، والناس يُفيضون من قول أصحاب الإفك ، ويريبني في وجعي أني لا أرى من النبي صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت أرى منه حين أمرض ، وإنما يدخل فيسلم ثم يقول: كيف تِيكُمْ؟ لا أشعر بشيء من ذلك حتى نقهت . فخرجت أنا وأم مِسْطَح قِبَل المناصع ، مُتبرَّزنا ، لا نخرج إلا ليلا إلى ليل ، وذلك قبل أن نتخذ الكُنُف قريبا من بيوتنا ، وأَمْرُنا أَمْرُ العرب الأول في البرية أو في التنزه . فأقبلت أنا وأم مسطح بنت أبي رهم نمشي ، فعثرتْ في مِرْطها فقالت: تَعِس مِسْطَح! فقلت لها: بئس ما قلت! أتسبِّين رجلا شهد بدرا؟ فقالت: يا هَنْتَاه ، ألم تسمعي ما قالوا؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك ، فازددت مرضا إلى مرضي . فلما رجعت إلى بيتي دخل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسلم فقال : كيف تِيكُمْ؟ فقلت: ائذن لي إلى أبويّ . قالت: وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قِبَلهما . فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيت أبويّ ، فقلت لأمي: ما يتحدث به الناس؟ فقالت: يا بُنَيَّة ، هوِّني على نفسك الشأن ، فوالله لَقَلَّما كانت امرأةٌ قطّ وضيئةٌ عند رجل يحبها ، ولها ضرائر ، إلا أكثرْن عليها . فقلت: سبحان الله ، ولقد يتحدث الناس بهذا؟ قالت: فبتُّ الليلة حتى أصبحتُ لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم . ثم أصبحت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وأسامة ابن زيد حين استلبث الوحي ، يستشيرهما في فراق أهله: فأما أسامة فأشار عليه بالذي يعلم في نفسه من الود لهم ، فقال أسامة: أهلك يا رسول الله ، ولا نعلم والله إلا خيرا . وأما علي بن أبي طالب

فقال: يا رسول الله، لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وسَلِ الجارية تَصْدُقْك. فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة، فقال: يا بريرة، هل رأيت شيئا يريبك؟ فقالت بريرة: لا والذي بعثك بالحق إنْ رأيتُ منها أمرا أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن العجين فتأتي الدواجن فتأكله. فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه فاستعذر من عبد الله بن أُبَيّ بن سَلُول، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي؟ فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرا. وقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا، وما كان يدخل على أهلي إلا معي. فقام سعد بن معاذ فقال: يا رسول الله، أنا والله أعذرك منه: إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمَرْتنا ففعلنا فيه أمرك. فقام سعد بن عبادة، وهو سيد الخزرج، وكان قبل ذلك رجلا صالحا، ولكن احتملته الحميّة، فقال: كذبت، لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على ذلك. فقام أُسَيْد بن الحضير فقال: كذبتَ لَعَمْرُ الله، والله لنقتلنّه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين. فثار الحيان: الأوس والخزرج حتى همّوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر، فنزل فخفضهم حتى سكتوا وسكت. وبكيت يومي لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم. فأصبح عندي أبواي قد بكيت ليلتين ويوما حتى أظن أن البكاء فالق كبدي. قالت: فبينا هما جالسان عندي وأنا أبكي، إذ استأذنت امرأة من الأنصار فأذنت لها، فجلست تبكي معي. فبينا نحن كذلك إذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس ولم يجلس عندي من يوم قيل فيّ ما قيل قبلها، وقد مكث شهرا لا يُوحَى إليه في شأني شيء. قالت: فتشهّد ثم قال: يا عائشة، فإنه بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنتِ بريئة فسيبرئك الله، وإن كنتِ ألممتِ بشيء فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله

عليه . فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قَلَص دمعي حتى ما أحس منه قطرة ، وقلت لأبي: أجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فقلت لأمي: أجيبي عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال . قالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت: وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن ، فقلت: إني والله لقد علمت أنكم سمعتم ما يتحدث به الناس ، ووقر في أنفسكم وصدّقتم به . ولئن قلت لكم إني بريئة ، والله يعلم إني لبريئة ، لا تصدقوني بذلك . ولئن اعترفت لكم بأمر ، والله يعلم أني بريئة ، لتصدقنّ . والله ما أجد لي ولكم مثلا إلا أبا يوسف إذ قال : "فصبرٌ جميلٌ ، والله المستعان على ما تصفون" . ثم تحولت إلى فراشي ، وأنا أرجو أن يبرئني الله ، ولكن والله ما ظننت أن ينزل في شأني وحيًا ، ولأنا أحقر في نفسي من أن يتكلم بالقرآن في أمري ، ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله . فوالله ما رام مجلسَه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أُنزِل عليه الوحي ، فأخذه ما كان يأخذه من البُرَحاء حتى إنه ليتحدّر منه مثل الجُمَان من العرق في يوم شاتٍ . فلما سُرِّيَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك ، فكان أول كلمة تكلم بها أن قال لي: يا عائشة ، احمدي الله ، فقد برّأك الله . فقالت لي أمي: قومي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقلت: لا والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله ، فأنزل الله تعالى: "إن الذين جاؤوا بالإفك عُصْبَةٌ منكم . . . الآيات" . فلما أنزل الله هذا في براءتي قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وكان ينفق على مِسْطَح بن أثاثة لقرابته منه: والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا بعد ما قال لعائشة . فأنزل الله تعالى: "ولا يَأْتَلِ أولو الفضل منكم والسَّعَة . . . إلى قوله: ألا تحبون أن يغفر الله لكم

والله غفور رحيم". فقال أبو بكر: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي. فرجع إلى مسطح الذي كان يجري عليه. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زينب بنت جحش عن أمري، فقال: يا زينب، ما علمت؟ ما رأيت؟ فقالت: يا رسول الله، أحمي سمعي وبصري. والله ما علمت عليها إلا خيرا. قالت: وهي التي كانت تساميني، فعصمها الله بالورع".

وهنا كلمة لا بد من قولها، ألا وهي أنه لو كان محمد نبيا كذابا يخترع القرآن اختراعا ويزعم أنه يوحَى إليه من السماء وبرّأ عائشة كذبا كما يزعم الخنزير المستتر تحت اسم الكندى فلا بد أن يكون له من بين أتباعه من يعرفون حقيقته ويتفاهمون معه ويتعاونون على أساس من هذه المكاشفة، إذ لا يعقل أن يقوم وحده بهذه الكذبة الكبيرة دون أن يكون معه من يساعدونه أو دون أن يكتشف حقيقة أمره أحد من أولئك الأتباع الذين كانوا يُعَدّون فى آخر حياته بعشرات الألوف! ومن ثم لقد كان التصرف المنتظر من مثل هذا النبى الكذاب أن يكلف واحدا من هؤلاء أن يقتل ابن المعطل انتقاما مما لوث به شرفه. بيد أنه عليه السلام لم يفعل، فما معنى ذلك؟ كذلك لو كان ابن المعطل قد ارتكب ما اتهمه به المنافقون الأوساخ ثم برّأه القرآن، أفكان يظل على إسلامه وتصديقه بمحمد؟ أوكان يستمر بعد ذلك فى الغزو وتعريض نفسه للقتل فى سبيل ذلك الرجل الذى يعرف أنه كذاب، إذ برّأه هو وعائشة مع أنهما قد ارتكبا الفاحشة التى برأهما منها؟ لكننا ننظر فنجد عجبا عجيبا، إذ قد ظل ابن المعطل يشترك فى الغزوات مجاهدا فى سبيل الله تصديقا بمحمد وحبا لدينه وتحمسا لنشره فى العالمين، وبقى كذلك حتى كتب الله له الشهادة فى فتح الجزيرة سنة سبع عشرة أو تسع عشرة كما جاء فى "تاريخ الرسل والملوك" للطبرى وفى "تاريخ الإسلام" للذهبى وغيرهما، أو إلى أن تُوُفِّىَ سنة ستين كما قرأت فى "كتاب معرفة الصحابة": "حدثنا أبو

عبد الله الأصبهاني ثنا الحسن بن الجهم ثنا الحسين بن الفرج ثنا محمد بن عمر قال وكان صفوان بن المعطل يكنى أبا عمرو، وأسلم قبل غزوة المريسيع، وشهدها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها الخندق والمشاهد كلها، وكان مع كرز بن جابر الفهري في طلب العُرَنِيِّين الذين أغاروا على لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذي الجدر. ومات صفوان بن المعطل بشمشاط سنة ستين". وفى "الاستيعاب فى معرفة الأصحاب" لابن عبد البر: "يقال: إنه أسلم قبل المريسيع وشهد المريسيع. قال الواقدي: شهد صفوان بن المعطل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق والمشاهد كلها بعدها، وكان مع كرز بن جابر الفهري في طلب العُرَنِيِّين الذين أغاروا على لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال أبو عمر: كان يكون على ساقة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يتخلف بَعْدُ عن غزوةٍ غزاها. وقال سلمة عن ابن إسحاق: قُتِل صفوان بن المعطل في غزوة أرمينية شهيدًا، وأميرهم يومئذ عثمان بن أبي العاص سنة تسع عشرة في خلافة عمر. وقيل إنه مات بالجزيرة في ناحية شمشاط ودفن هناك، والله أعلم. ويقال إنه غزا الروم في خلافة معاويه فاندقت ساقه ولم يزل يطاعن حتى مات، وذلك سنة ثمان وخمسين، وهو ابن بضع وستين. وقيل: مات سنة تسع وخمسين في آخر خلافة معاوية". فماذا يقول الخنزير الكندى والذين يفرحون بالكتاب المنسوب له فى الهجوم على رسول الله وتكذيبه؟ لن يقولوا شيئا لأن أمثالهم من الخنازير الأدناس لا يبحثون عن الحق، بل كل همهم هو تلويث الشرفاء الذين يفضحون خرافاتهم وأساطيرهم! أما عائشة أفكانت تظل على تصديقها بزوجها، الذى انكشف أمره حين برّأها، وهى تعرف أنها ليست بالبريئة؟ أفكانت تسارع إلى الإعلان عن تمسكها به عندما خيّرها هى وبقية زوجاته بالبقاء فى عصمته

على خشونة العيش أو تسريحهن سراحا جميلا ليتمتعن بالدنيا وزينتها بعيدا عنه؟ ألم تكن تلك فرصة العمر لتتخلص عائشة من رجلها البغيض الذى لا يملأ عينيها وتقترن بآخر يشبع عواطفها؟ افكانت تظل على وفائها له وتقبل أن تبقى طول عمرها الذى امتد لعشرات السنين دون زواج كما يأمرها القرآن الذى كانت تعرف أنه قرآن مزوَّر فلا تهرب وتلحق بالروم أو فارس مثلا وتمارس حياتها الطبيعية هناك كما فعل جبلة بن الأيهم حين لم تعجبه مبادئ الإسلام فى المساواة فلحق بالروم فى عهد الفاروق؟ هذا، ولن أذكر أن صفوان بن المعطل كان رجلا حصورا كيحيى بن زكريا عليه السلام، أى ليس له أرب فى النساء! ثم أكان رسول الله ﷺ يُبْقِى لحظة على رأس الضلال والنفاق ابن سلول، الذى تولى كِبْر الإفك عليه لعنات الله، ولا ينتهز فرصة عَرْض ابنه المسلم المخلص عليه أن يقتل أباه ويُخلّص المسلمين من شره؟ لكننا ننظر فنجده عليه السلام يرد هذا الاقتراح ويخبر الابن الكريم أنه سيحسن صحبة أبيه. ومرة أخرى لا يقف نبل رسول الله عند هذا الحد، إذ نعرف أنه عندما مات ذلك الوغد تقدم رسول الله ليصلى عليه (بعد أن أرسل له عباءته ليكفَّن فيها بناء على طلبه وهو يُحْتَضَر) لولا أن القرآن نزل حاسما ينهاه عليه الصلاة والسلام أن يصلى على مثل ذلك المجرم. أفلو كان الرسول نبيا كذابا وزوجا مغموزا فى عِرْضه، أكان يتصرف هذا التصرف العجيب فى نبله وتسامحه وشموخه تجاه من فضحه بين الناس وسبب له القلق لمدة شهر حتى نزلت آيات سورة "النور" التى تبرئ عائشة، أو فلنقل: حتى فكر فى أن يذيع بين الناس الآيات التى زوّرها فى تبرئة عائشة؟ وأخيرا فإنه ما من أحد ممن سئلوا فى هذه الفتنة قال فى حق الصديقة بنت الصديق شيئا ينال منها، بل كلهم شهدوا لها بالخير والنقاء كما رأينا، وأقصى ما قاله على بن أبى طالب، كى يريح النبى من قلقه، أن النساء

كثيرات، وأن من الممكن سؤال الجارية التي كانت تخدم عائشة، وهذا كل ما هنالك. ثم هل رأى أحد من الذين أثاروا الفتنة وطيروا الشائعات شيئا مما أفاضوا فيه؟ أهكذا تهون أعراض الناس، فضلا عن أن تكون الأعراض المنتهكة هى أعراض صفوة الكرام الطيبين؟

وقد تنبه معروف الرصافى (أو من انتحل اسمه) فى كتاب "الشخصية المحمدية" (دار الجمل/ ألمانيا/ ٢٠٠٢/ ٣٦٩- ٣٧٠) إلى نكتة هنا دقيقة جدا، وهى أن أم سلمة قد وقع معها ما هو أشد مما وقع مع عائشة، إذ صحبها عثمان بن طلحة طوال الطريق لَدُنْ هجرتها من مكة إلى المدينة حتى أوصلها إلى زوجها، الذى كان قد سبقها إلى هناك قبل ذلك بشهور، ثم انصرف راجعا، وهو ما يعنى أنه رافقها، لا جزءا من يوم فحسب، بل أيامًا ولياليَ ذواتِ عدد، ومع هذا لم يخض فى سيرته ولا فى سيرتها أحد، وذلك أنها لم تكن آوانذاك زوجة له صلى الله عليه وسلم بل كانت زوجة لأبى سلمة قبل أن تترمل منه ويتزوجها رسول الله، ولا كان قد تحزب المنافقون وأخذوا يناوئونه عليه الصلاة والسلام بعد، فلم يجدوا فى الأمر شيئا رغم أنه أشد من أمر عائشة كما قلنا، بيد أن دواعى التشنيع والإشاعات لم تكن متوفرة، فلهذا خرست الألسنة فلم تجد فى ذلك شيئا تتخذه مادة للإساءة والإيذاء. وهذا برهان ساطع شديد السطوع على أن المشنعين على عائشة وصفوان كانوا من السفالة بالمحل الأمكن. وبالمناسبة فقائل هذا الكلام لم يكن يؤمن بنبوة محمد بالمعنى الذى نفهم نحن به النبوة، بل كان ينظر إليه صلى الله عليه وسلم على أنه عبقرى ملهم ليس إلا. وهذه قصة هجرة أم سلمة رضى الله عنها كما وردت فى "الرَّوْض الأُنُف" للسهيلى: "كان أول من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين من قريش من بني مخزوم أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد

الله بن عمر بن مخزوم ، واسمه عبد الله . هاجر إلى المدينة قبل بيعة أصحاب العقبة بسنة . وكان قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة من أرض الحبشة ، فلما آذته قريش وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار خرج إلى المدينة مهاجرا . قال ابن إسحاق: فحدثني أبي إسحاق بن يسار عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة عن جدته أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت: لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحل إلي بعيره ثم حملني عليه وحمل معي ابني سلمة بن أبي سلمة في حجري ، ثم خرج بي يقود بي بعيره . فلما رأته رجال بني المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قاموا إليه فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرأيت صاحبتك هذه؟ علام نتركك تسير بها في البلاد؟ قالت: فنزعوا خطام البعير من يده فأخذوني منه . قالت: وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد رهط أبي سلمة فقالوا: لا والله لا نترك ابننا عندها إذا نزعتموها من صاحبنا . قالت: فتجاذبوا بني سلمة بينهم حتى خلعوا يده ، وانطلق به بنو عبد الأسد ، وحبسني بنو المغيرة عندهم ، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة . قالت: ففرق بيني وبين زوجي وبين ابني . قالت: فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالأبطح فما أزال أبكي حتى أمسي ، سنة أو قريبا منها ، حتى مر بي رجل من بني عمي ، أحد بني المغيرة ، فرأى ما بي فرحني فقال لبني المغيرة: ألا تخرجون هذه المسكينة؟ فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها . قالت: فقالوا لي: الحقي بزوجك إن شئت . قالت: وردّ بنو عبد الأسد إليّ عند ذلك ابني . قالت: فارتحلتُ بعيري ثم أخذت ابني فوضعته في حجري ، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة . قالت: وما معي أحد من خلق الله . قالت: فقلت: أتبلّغ بمن لقيت حتى أَقْدَم على زوجي ، حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة أخا بني عبد الدار ، فقال لي: إلى أين يا بنت أبي أمية؟ قالت: فقلت: أريد زوجي بالمدينة . قال:

أو ما معك أحد؟ قالت: فقلت: لا والله إلا الله وبُنَيَّ هذا . قال: والله ما لك من مترك . فأخذ بخطام البعير فانطلق معي يهوي بي ، فوالله ما صحبت رجلا من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه . كان إذا بلغ المنزل أناخ بي ثم استأخر عني ، حتى إذا نزلت استأخر ببعيري فحطّ عنه ثم قيده في الشجرة ، ثم تنحى إلى شجرة فاضطجع تحتها ، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري فقدمه فرحله ثم استأخر عني وقال: اركبي . فإذا ركبت واستويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه فقاده حتى ينزل بي . فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة . فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء قال: زوجك في هذه القرية ، وكان أبو سلمة بها نازلا ، فادخليها على بركة الله . ثم انصرف راجعا إلى مكة . قال: فكانت تقول: والله ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة ، وما رأيت صاحبا قط كان أكرم من عثمان بن طلحة". وقد أسلم ابن طلحة بعد ذلك عام الحديبية ، رضى الله عنه . وفى "سيرة ابن هشام": "أن أبا أيوب خالد بن زيد قالت له امرأته أم أيوب: يا أبا أيوب ، ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ قال بلى ، وذلك الكذب . أكنت يا أم أيوب فاعلة؟ قالت: لا والله ما كنت لأفعله . قال: فعائشة ، واللهِ ، خير منك". وهذا ، فى الحق ، هو منحى التفكير والشعور الذى يليق بنبلاء البشر وكِرَامهم لا الذى يهرف به الخنزير الكندى ، أو بالأحرى: الخنزير الذى يختفى وراء اسم الكندى!

١٢- وهنا يتكلم الكذاب المدلّس عن تعدد زوجات النبى ، وسوف نتريث من هذا الموضوع أمام نقطتين: الأولى زعمه أشياء يظن أنها تسىء إلى النبى عليه السلام لم تحدث أصلا ، والثانية قوله إنه ما من نبى قبل محمد قد عدد زوجاته . فأما الأولى فمنها قوله إن أم سلمة ، عندما عرض عليها الرسول الزواج ، قد تحججت بأن أهلها لن يَرْضَوْا به زوجا . وهو افتراء

رخيص يؤكد مع غيره من الافتراءات التى لا تنتهى من جانبهم عليه صلى الله عليه وسلم أن القوم كَذَبَةٌ جامدو الوجه غليظو الجلد لا يستحون. ذلك أن شيئا من هذا لم يحدث على الإطلاق. ثم مَنْ مِنَ المسلمين فى ذلك الوقت لم يكن يشعر بأن إصهاره إلى النبى عليه السلام هو الشرف كل الشرف؟ أويظن عاقل أنه كان هناك مسلم وقتذاك يمكن أن يرى نفسه أفضل من رسول الله؟ لقد أتى أبو سفيان ابنته أم حبيبة أم المؤمنين فى بيتها بالمدينة يحاول أن يخرج من المأزق الذى وجد نفسه فيه بعد كسر قريش لعهد الحديبية، فما كان منها إلا أن طوت عنه فراش رسول الله، ثم جبهته بالسبب الذى حداها أن تصنع هذا، وذلك حين تظاهر بأنها قد تكون فعلت ذلك لأنها تَرَبَّأ به أن يمسّه فراش الرسول، بيد أنها صكته فى وجهه قائلة إنها بالعكس تربأ بفراش رسول الله أن يمسه هو. وهذا مجرد مثال. وقد رأينا كيف أن أمهات المؤمنين، حين عرض عليهن رسول الله أن يخترن الله ورسوله والدار الآخرة أو يخترن الدنيا والتوسعة فى النفقة ويسرّحهن سراحا جميلا، كان اختيارهن جميعا دون تلجلج أو إبطاء هو الله ورسوله والدار الآخرة. الوحيدة التى أساءت فى ردها على رسول الله حين عرض عليها الزواج طبقا لإحدى الروايات هى أسماء بنت النعمان الجونية، التى ندمت وبقيت طول عمرها نادمة على هذا الموقف الأحمق الذى اتخذته، وكانت شؤما على قومها الذين آسفهم ذلك التصرف منها. ومع هذا فإن رسول الله لم يمسها بأى سوء ولا حقن فى قلبه بسبب ذلك الموقف منها شيئا، بل متّعها وسرّحها بإحسان وردّها إلى أهلها معززة مكرمة. ولو كان طالب دنيا أو قليل الشخصية لنكّل بها وبقومها وأنزل بهم من التعذيب ما يجعل منهم عبرة للناس جميعا. وهذه إحدى روايتى الحديث الخاص بزواجه بها، وهى عن أبى أُسَيْد، وتجرى هكذا: "تزوج رسول الله صلى الله عليه

وسلم أسماء بنت النعمان الجونية فأرسلني فجئت بها ، فقالت حفصة لعائشة: اخضبيها أنت ، وأنا أمشطها ، ففعلنا . ثم قالت لها إحداهما إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه من المرأة إذا دخلت عليه أن تقول: أعوذ بالله منك . فقال بكمّه على وجهه فاستتر به ، وقال: عُذْتِ بمعاذ ، ثم خرج عليّ فقال: يا أبا أسيد ، ألحقها بأهلها ومتّعْها برازقيين . فكانت تقول: ادعوني الشقية". أما الرواية التي قالت له فيها: "وهل تهب الملكة نفسها للسوقة؟ "والتي لم يورد الكندي سواها فيُفْهَم منها بكل وضوح أنه عليه السلام كان قد تزوجها ، فكيف يقول لها رغم ذلك كما جاء في تلك الرواية: هبيني نفسك؟ أيطلب منها أن تهبه نفسها ، وقد كانت زوجته فعلا؟ وكيف يقول لها: هبيني نفسك ، وقد كان بمستطاعه تدبير مهر لها ، إذ كانت المهور آنذاك ، وبخاصة مهور النبي ، قليلة لا تكلف صاحبها عنتا؟ ثم هل كان الرسول عليه السلام من السُّوقة؟ وهل كانت الجونية ملكة؟ فملكةً على من؟ الحق أنه لم يكن هناك ملكات عربيات آنذاك أصلا ، فكيف تكون هي ملكة؟ بل هل كان أبوها ملكا؟ كلا ، إذن فكيف تقول له إنها ملكة ، ثم لا تقف عند هذه الدعوى ، بل تضيف إليها أنه سوقة؟ بل كيف يمكن أن تخطئ في حقه عليه السلام ، وقد كان العرب ، أو جزء كبير منهم ، يطيعونه حاكما عليهم؟ وهل بلغ بها الجهل أو الحماقة أن تغفل عن هذا كله وتقول إنه سُوقَة ، اللهم إلا إذا كانت جلافة البداوة قد استولت عليها استيلاء؟ لكن هل هذا ممكن ، وبخاصة أن أحدا من العرب ، رجلا كان أو امرأة ، لم يقل في حقه عليه السلام شيئا من ذلك؟ ولكن من هي في نهاية المطاف حتى تشعر تجاه رسول الله بما لم يشعر به أبو بكر ولا أبو سفيان ولا عمر أو بناتهن؟ خلاصة الكلام أن في النفس من هذه الرواية أشياء ، وبخاصة أنها تناقض الأولى التي تقول إن بعض أمهات المؤمنين قمن على تهيئتها

للرسول ، أما هنا فإنه عليه السلام يراها فى أحد البساتين بعيدا عن نسائه . أى أن الأمر لم يكن قد وصل إلى درجة تهيئتها له صلى الله عليه وسلم . كما أن صاحب "فتح البارى" يورد رواية لابن سعد بأنه عليه السلام "اتفق مع أبيها على مقدار صداقها وأن أباها قال له: إنها رَغِبَتْ فيك وخُطِبَتْ إليك". وقد وجدتُ فى "البداية والنهاية" لابن كثير أنه عليه الصلاة والسلام "فارق أختَ بني الجون الكندية من أجل بياض (أى بهاق) كان بها". وبالمناسبة فهناك اختلافات حول اسمها ، وحول بعض التفاصيل الخاصة بقصتها ، وقال ابن الأثير فى حوادث السنة الستين للهجرة فى كتابه: "الكامل": "وفيها توفيت الكلابية التي استعاذت من النبي صلى الله عليه وسلم ، حين تزوجها ففارقها ، وكانت قد أصابها جنون". وهذا كله لا يساعد على الاطمئنان إلى ما تشبث به الكندى فى شأنها من رواية هى مجرد رواية واحدة بين رواياتٍ أُخَر كما نرى .

أما الظروف التى أحاطت بزواجه من أم سَلَمة فإليكها أيها القارئ ، ومنها يتبين أن الكندى كذابٌ أشِرٌ . يقول ابن الجوزى فى "زاد الميعاد": "ثم تزوج أمَّ سلمة هند بنت أبي أمية القرشية المخزومية ، واسم أبي أمية حذيفة بن المغيرة ، وهي آخر نسائه موتا . وقيل: آخرهن موتا صفية . واختُلِف فيمن وَلِيَ تزويجها منه: فقال ابن سعد في "الطبقات": وَلِيَ تزويجَها منه سلمةُ بن أبي سلمة دون غيره من أهل بيتها . ولما زوج النبيُّ صلى الله عليه وسلم سلمةَ بن أبي سلمة أمامةَ بنت حمزة ، التي اختصم فيها علي وجعفر وزيد ، قال: هل جزيتُ سلمة؟ يقول ذلك لأن سلمة هو الذي تولى تزويجه دون غيره من أهلها . ذكر هذا في ترجمة سلمة ، ثم ذكر في ترجمة أم سلمة عن الواقدي: حدثني مجمع بن يعقوب عن أبي بكر بن محمد بن عمر بن أبي سلمة عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب أم سلمة إلى ابنها

عمر بن أبي سلمة فزوّجها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، وهو يومئذ غلام صغير. وقال الإمام أحمد في "المسند": حدثنا عفان حدثنا حماد بن أبي سلمة حدثنا ثابت قال: حدثني ابن عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أم سلمة أنها لما انقضت عِدّتها من أبي سلمة بعث إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: مرحبا برسول الله صلى الله عليه وسلم. إني امرأةٌ غَيْرَى، وإني مُصْبِيَة، وليس أحد من أوليائي حاضرا ... الحديث. وفيه: فقالت لابنها عمر: قم فزوِّجْ رسول الله صلى الله عليه وسلم. فزوّجه. وفي هذا نظر، فإن عمر هذا كان سنّه لما تُوُفِّيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع سنين. ذكره ابن سعد، وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال سنة أربع، فيكون له من العمر حينئذ ثلاث سنين، ومثل هذا لا يزوِّج. قال ذلك ابن سعد وغيره. ولما قيل ذلك للإمام أحمد: قال من يقول إن عمر كان صغيرا؟ قال أبو الفرج بن الجوزي: ولعل أحمد قال هذا قبل أن يقف على مقدار سنه. وقد ذكر مقدارَ سنّه جماعةٌ من المؤرخين: ابن سعد وغيره. وقد قيل: إن الذي زوجها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنُ عمها عمر بن الخطاب. والحديث: قم يا عمر فزوِّجْ رسول الله صلى الله عليه وسلم. ونَسَبُ عمر ونَسَبُ أم سلمة يلتقيان في كعب، فإنه عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب وأم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب، فوافق اسمُ ابنها عمر اسْمَه، فقالت: قم يا عمر فزوِّج رسول الله صلى الله عليه وسلم. فظن بعض الرواة أنه ابنها فرواه بالمعنى وقال: "فقالت لابنها"، وذهل عن تعذر ذلك عليه لصغر سنه. ونظيرُ هذا وَهْمُ بعض الفقهاء في هذا الحديث وروايتهم له، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قم يا غلام فزوج أمك. قال أبو الفرج ابن الجوزي: وما

عرفنا هذا في هذا الحديث . قال: وإن ثبت فيحتمل أن يكون قاله على وجه المداعبة للصغير ، إذ كان له من العمر يومئذ ثلاث سنين ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجها في سنة أربع ، ومات ولعمر تسع سنين ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفتقر نكاحه إلى وَلِيّ". وفى "الإصابة" لابن حجر: "عن أم سلمة قالت: لما انقضت عِدّة أم سلمة خطبها أبو بكر فلم تتزوجه فبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم يخطبها عليه ، فقالت: أَخْبِرْ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم أني امرأة غَيْرَى وأني امرأة مُصْبِيَة ، وليس أحد من أوليائي شاهد . فقال: قل لها: أما قولك: "غَيْرَى" فسأدعو الله فتذهب غيرتك ، وأما قولك: "إني امرأة مُصْبِيَة" فستُكْفَيْنَ صبيانك ، وأما قولك: "ليس أحد من أوليائي شاهد" فليس أحد من أوليائك ، شاهد أو غائب ، يكره ذلك . فقالت لابنها عمر: قم فزوج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فزوَّجَه". وفى "نصب الراية" للزيلعي: "قالت أم سلمة: لما انقضت عِدّتي من أبي سلمة أتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمني بينه وبيني حجاب فخطب إليّ نفسي ، فقلت: يا رسول الله ، إني امرأة أدبر مني سني ، وإني أم أيتام ، وإني امرأة شديدة الغيرة . فقال عليه السلام: أمّا ما ذَكَرْتِ من غيرتك فسيدفعها الله ، وأما ما ذكرت من أيتامك فعلى الله وعلى رسوله . قالت: فأذنتُ له في نفسي فتزوجني". هذا ما جاء فى زواجه صلى الله عليه وسلم بأم سلمة ، فأين تعللها بأن أهلها لا يوافقون على أن يكون عليه السلام لها زوجا؟ وكيف تقول له صلى الله عليه وسلم ذلك ، وهى التى كانت تتوق أن تكون من أهل البيت كما روت بنفسها؟ ففى "شرح السنة" للبغوى مثلا: "عن أم سلمة قالت: في بيتي أُنزِلَتْ "إنما يريد الله ليُذْهِبَ عنكم الرِّجْسَ أَهْلَ البيت". قالت: فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فاطمة وعليّ والحسن والحسين ، فقال:

هـؤلاء أهل بيتي . قالت: فقلت: يا رسول الله ، أمَا أنا من أهل البيت؟ قال: بلى إن شاء الله". وفي "صحيح الترمذي" عن عمر بن أبي سلمة: "لما نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم: "إنما يريد الله لِيُذْهِبَ عنكم الرِّجْسَ أهلَ البيت ويطهِّركم تطهيرا" في بيت أم سلمة فدعا فاطمة وحسنا وحسينا فجلّلهم بكساء ، وعليٌّ خلف ظهره فجلله بكساء ، ثم قال: اللهم ، هؤلاء أهل بيتي ، فأَذْهِبْ عنهم الرجس وطهِّرْهم تطهيرا . قالت أم سلمة : وأنا معهم يا نبي الله؟ قال: أنتِ على مكانك ، وأنتِ على خير".

وبالنسبة لزينب بنت جحش فقد زعم الكندى أن رسول الله "بعث إليها نصيبها من اللحم ثلاث مرات ، فردّته في وجهه فهجرها وهجر نساءه بسببها". ولا ندرى من أين له بهذا الكلام ، فإنه لم يحدث بتاتًا ، والملعون إنما يجرى على سنة قومه فى التزوير والتزييف . كما ذكر أن هذه الحادثة كانت سببا فى أن رسول الله قد حلف ألا يدخل على زوجاته شهرًا ، "فلم يصبر فدخل لتسعة وعشرين يومًا"، متعمدا هذا الكندى المنافق تجاهل أن الشهر كان فعلا تسعة وعشرين يوما ، فالشهور القمرية تتراوح بين تسعة وعشرين وثلاثين يوما كما هو معروف ، لكن الكذاب يتجاهل ذلك لغرض فى نفسه خبيث . وعلى أية حال فلا داعى أيها الكذاب أن تكون حنبليا إلى هذا الحد ، فلماذا تتظاهر كذبا بالغيرة على اسم الله وتتهم رسول الله بالحنث فى قسمه؟ وهَبْه حنث فى قسمه ، إن له فى الكفّارة لمخرجا . وها هى ذى بعض الأحاديث التى تلقى الضوء على زينب رضى الله عنها ومدى تعلقها برسول الله واستمساكها بالدين الذى جاء به والقيَم التى دعا إليها ، أما ما يتقايؤه هذا الخنزير فمكانه مواسير المجارى . جاء فى "تخريج الكشاف" للزيلعى "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب زينب بنت جحش بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب على مولاه زيد بن حارثة فأبت وأبى أخوها عبد الله

فنزلت "وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخِيَرة . . ."، فقالا: رضينا برسول الله . فأنكحها إياه وساق إليها مهرها ستين درهما وحمارا وملحفة ودرعا وإزارا وخمسين مُدًّا من طعام وثلاثين صاعا من تمر". وفى "صحيح البخارى" عن أنس رضى الله عنه: "نزلت آية الحجاب في زينب بنت جحش، وأطعم عليها يومئذ خبزا ولحما، وكانت تفخر على نساء النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت تقول: إن الله أنكحني في السماء". وفى "صحيح الترمذى": "نزلت هذه الآية في زينب بنت جحش: "فلما قضى زيد منها وطرًا زوّجناكها". قال: فكانت تفتخر على نساء النبي صلى الله عليه وسلم تقول: زوّجكن أهلوكن، وزوّجني الله من فوق سبع سماوات". وفى "البحر الزّخار" للبزار "أن عُمَر كبّر على زينب بنت جحش أربعًا، ثم أرسل إلى أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم: من يُدْخِل هذه قبرها؟ فقلن: من كان يدخل عليها في حياتها . ثم قال عمر: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أسرعكن بي لحوقا أطولكن يدا . فكن يتطاولن بأيديهن، وإنما كان ذلك لأنها كانت صنّاعًا تعين بما تصنع في سبيل الله". وفى "فتح البارى": "عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأزواجه: أسرعكن لحوقا بي أطولكن يدا . قالت عائشة: فكنا إذا اجتمعنا في بيت إحدانا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم نمد أيدينا في الجدار نتطاول، فلم نزل نفعل ذلك حتى تُوُفِّيَتْ زينب بنت جحش، وكانت امرأة قصيرة ولم تكن أطولنا، فعرفنا حينئذ أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما أراد بطول اليد الصدقة . وكانت زينب امرأة صناعة باليد، وكانت تدبغ وتخرز وتتصدق في سبيل الله". وفى "الترغيب والترهيب" للمنذرى عن أبى هريرة: "أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لنسائه عام حِجّة الوداع: هذه (أى هذه الحِجّة) ثم ظهور الحُصُر . قال:

وكن كلهن يحججن إلا زينب بنت جحش وسودة بنت زمعة رضي الله عنهن ، وكانتا تقولان: والله لا تحركنا دابة بعد إذ سمعنا ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم". وفي "صحيح الترمذي": "وكانت عائشة تقول: أما زينب بنت جحش فعصمها الله بدينها فلم تقل إلا خيرا (تقصد أنها لم تقل أثناء فتنة الإفك إلا خيرا ، ولم تسمح لمنافسة الضرائر أن تتغلب على دينها وصدقها)".

ولكي يعرف القراء مدى عراقة الكندي في الكذب والبهتان وأنه لم يكن هناك لحم ولا دجاج في هجر الرسول لأمهات المؤمنين ، ولا خصوصية لزينب في الأمر كما زعم الأفاك الأفاق ، أسوق لهم ما رواه البخاري في تلك الواقعة ، فعن ابن عباس قال: "لم أزل حريصا على أن أسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، اللتين قال الله تعالى : "إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما" حتى حجَّ وحججتُ معه ، وعدل وعدلت معه بإداوة فتبرز ثم جاء فسكبت على يديه منها فتوضأ ، فقلت له: يا أمير المؤمنين ، من المرأتان من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتان قال الله تعالى: "إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما؟ قال: واعجبا لك يا ابن عباس! هما عائشة وحفصة . ثم استقبل عمر الحديث يسوقه قال: كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد ، وهم من عوالي المدينة ، وكنا نتناوب النزول على النبي صلى الله عليه وسلم فينزل يوما وأنزل أنا ، فإذا نزلتُ جئته بما حدث من خبر ذلك اليوم من وحي أو غيره ، وإذا نزل فعل مثل ذلك . وكنا معشر قريش نغلب النساء ، فلما قدمنا على الأنصار إذا قوم تغلبهم نساؤهم ، فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار ، فصخِبْتُ على امرأتي فراجعتني ، فأنكرتُ أن تراجعني . قالت: ولِمَ تنكر أن أراجعك؟ فوالله إن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعنه ، وإن

إحداهن لتهجره اليوم حتى الليل . فأفزعني ذلك وقلت لها: قد خاب من فعل ذلك منهن . ثم جمعتُ عليَّ ثيابي ، فنزلت فدخلت على حفصة فقلت لها: أيْ حفصة ، أتغاضب إحداكن النبي صلى الله عليه وسلم اليوم حتى الليل؟ قالت: نعم . فقلت: قد خِبْتِ وخَسِرْتِ! أفتأمنين أن يغضب الله لغضب رسوله صلى الله عليه وسلم فتهلكي؟ لا تستكثري النبي صلى الله عليه وسلم ولا تراجعيه في شيء ولا تهجريه ، وسليني ما بدا لك ، ولا يَغُرَّنَّكِ أنْ كانت جارتك أوضأ منك وأَحَبَّ إلى النبي صلى الله عليه وسلم . يريد عائشة . قال عمر: كنا قد تحدثنا أن غَسَّان تنعل الخيل لغزونا ، فنزل صاحبي الأنصاري يوم نوبته ، فرجع إلينا عِشَاءً فضرب بابي ضربا شديدا ، وقال : أثَمَّ هو؟ ففزعتُ فخرجتُ إليه ، فقال: قد حدث اليوم أمر عظيم . قلت: ما هو؟ أجاء غَسَّان؟ قال: لا ، بل أعظم من ذلك وأَهْوَل . طلّق النبي صلى الله عليه وسلم نساءه . فقلت: خابت حفصة وخسرت . قد كنت أظن هذا يوشك أن يكون . فجمعتُ عليَّ ثيابي ، فصليت صلاة الفجر مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم مشربة له واعتزل فيها ، ودخلتُ على حفصة فإذا هي تبكي ، فقلت: ما يبكيك؟ ألم أكن حذرتك هذا؟ أطلّقكن النبي صلى الله عليه وسلم؟ قالت: لا أدري . هاهو ذا معتزل في المشربة . فخرجت فجئت إلى المنبر ، فإذا حوله رهط يبكي بعضهم ، فجلست معهم قليلا ، ثم غلبني ما أجد فجئت المشربة التي فيها النبي صلى الله عليه وسلم ، فقلت لغلام له أسود: استأذن لعمر . فدخل الغلام فكلم النبي صلى الله عليه وسلم ثم رجع فقال: كلمت النبي صلى الله عليه وسلم وذكرتُك له فصَمَتَ . فانصرفتُ حتى جلستُ مع الرهط الذين عند المنبر ، ثم غلبني ما أجد فجئت فقلت للغلام: استأذن لعمر . فدخل ثم رجع فقال: قد ذكرتك له فصَمَتَ . فرجعتُ فجلست مع الرهط الذين عند

المنبر، ثم غلبني ما أجد، فجئت الغلام فقلت: استأذن لعمر. فدخل ثم رجع إليّ فقال: قد ذكرتك له فصمت. فلما ولّيتُ منصرفا إذا الغلام يدعوني، فقال: قد أذن لك النبي صلى الله عليه وسلم. فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا هو مضطجع على رمال حصير، ليس بينه وبينه فراش، قد أثّر الرمال بجنبه، متكئا على وسادة من أدمٍ حَشْوها ليف. فسلمتُ عليه ثم قلت وأنا قائم: يا رسول الله، أطَلّقتَ نساءك؟ فرفع إليّ بصره فقال: لا. فقلت: الله أكبر! ثم قلت وأنا قائم أستأنس: يا رسول الله، لو رأيتَني وكنا معشر قريش تغلب النساء، فلما قدمنا المدينة إذا قوم تغلبهم نساؤهم. فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قلت: يا رسول الله، لو رأيتَني ودخلتُ على حفصة فقلتُ لها: ولا يَغُرّنْكِ أنْ كانت جارتك أوضأ منك وأحَبَّ إلى النبي صلى الله عليه وسلم. يريد عائشة. فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم تبسُّمةً أخرى، فجلست حين رأيته تبسّم، فرفعت بصري في بيته، فوالله ما رأيت في بيته شيئا يردّ البصر غير أهُبٍ ثلاثة، فقلت: يا رسول الله، ادع الله فليوسِّع على أمتك، فإن فارس والروم قد وُسِّع عليهم وأُعْطُوا الدنيا، وهم لا يعبدون الله. فجلس النبي صلى الله عليه وسلم، وكان متكئا فقال: أو في هذا أنت يا ابن الخطاب؟ إن أولئك قوم عجّلوا طيباتهم في الحياة الدنيا. فقلت: يا رسول الله، استغفر لي. فاعتزل النبي صلى الله عليه وسلم نساءه من أجل ذلك الحديث حين أفشته حفصة إلى عائشة تسعا وعشرين ليلة، وكان قال: ما أنا بداخلٍ عليهن شهرا، من شدة موجدته عليهن حين عاتبه الله. فلما مضت تسع وعشرون ليلة دخل على عائشة فبدأ بها، فقالت له عائشة: يا رسول الله، إنك قد أقسمت ألا تدخل علينا شهرا، وإنما أصبحت من تسع وعشرين ليلة أعُدّها عَدًّا. فقال: الشهر تسع وعشرون. فكان ذلك الشهر تسعا وعشرين ليلة.

قالت عائشة: ثم أنزل الله تعالى آية التخيير، فبدأ بي أول امرأة من نسائه فاخترته، ثم خير نساءه كلهن فقلن مثل ما قالت عائشة".

ومما يتعلق بتعدد زوجات النبى صلى الله عليه وسلم قول الكندى يتساءل على سبيل الإنكار والاستنكار: "إذا كان صعبًا على الرجل أن يخدم امرأة واحدة ويرضيها ولا يُسخِط خالقه، فكيف يكون حال من يريد أن يصرف عنايته إلى رضى خمس عشرة امرأة وأمتين، مع ما أنت عارف من شغله من تدبير الحروب وتوجيه الطلائع لشنّ الغارات؟ فمتى يتفرغ للصوم والصلاة والعبادة وجمع الفكر وصرفه إلى أمور الآخرة، وما شاكل ذلك من أعمال الأنبياء؟". ثم يضيف قائلا: "ولست أشك في أنه لا نبي قبله ابتدع مثل هذا!". وهذا وذاك كذب ورقاعة، لماذا؟ أولا لأن تساؤله لا معنى له إلا أن النبى لم يكن عنده وقت للصلاة والصيام والجهاد وما إلى ذلك، مع أن حياته كلها ذكر لربه وصلاة ومناجاة وصيام وجهاد واشتغال بأمور المسلمين. وله فى هذا الباب عجائب مدهشة، إلا أن الرقيع الكندى يريد أن يتجاهل حقائق التاريخ التى لا تقبل المماراة. ثم من قال إن المرأة عدوة بطبيعتها لله وللدين بحيث إنه لا يمكن المتزوج أن يرضى ربه؟ ومن قال إن الرجال لا يستطيعون إلا أن يخضعوا لنسائهم ولا يمكنهم أن يستقلوا بشخصياتهم؟ أهذه نظرة رجل طبيعى للمرأة؟ إن المرأة لكالرجل فى أنها يمكن أن تكون مؤمنة متدينة أو لا. كذلك فمن الممكن أن تكون مطيعة لزوجها بارة به أو عاصية له ناشزة عليه. أما فى النقطة الثانية فليس له عندنا إلا أن نقول: أيها الكذاب، لقد كان لكل من إبراهيم ويعقوب وداود مثلا أكثر من زوجة، وسليمان كانت له عشرات النساء. وأنت بكل تأكيد تعلم ذلك، فكيف تزعم أنك لا تظن نبيا قبله كان يصنع هذا؟ ثم لقد كان محمد، كما قلنا، صوّاما قوّاما رحيما كريما وصّالا للرحم لا ينسى أبدا من

كانت له به علاقة ذات يوم ، مثل مرضعته ثويبة وابنها ومرضعته حليمة السعدية وابنتها وصواحب خديجة ، كما كان دائم الجهاد والنَّصَب فى سبيل الله . وفوق ذلك كان يقوم بواجباتٍ ألزم بها نفسه لا تُصَدَّق لنبلها السامق الشاهق . ومن هذه الواجبات أنه ، وهو الحاكم الأعلى والرسول الأعظم ، كان ينزل القبر ليدفن بيده الكريمة الفقراء من موتى المسلمين . لقد كان صلى الله عليه وسلم المثال الأعلى لأصحابه والمسلمين من بعدهم فى ميدان الخُلُق والسلوك والتقوى والمشاعر الكريمة المرهفة . وهنا يتحجج الكندى بالرهبانية الكاذبة التى كان من أثرها أن انتشر الزنا والفجور بين الرهبان والراهبات ، وكذلك لواط القساوسة بالغلمان فى الأديرة والكنائس حسبما نسمع ونقرأ عن تلك الفضائح التى انفجرت فى السنين الأخيرة فى أوربا وغير أوربا . ثم متى كان الزواج مذمة ، اللهم إلا إذا كان الشخص الذى يذمه شاذا؟ وإلا فلم خلق الله النساء؟

١٣- ويعود الكندى مرة أخرى لإثارة موضوع العلامات التى على أساسها تتميز النبوة الصادقة من النبوة الزائفة ، حاصرًا تلك المهمة العظيمة فى الإنباء بالغيب ، وبذلك يقلب المائدة على سطحها ويرفع أرجلها إلى الأعلى متصورا بحماقته وجهله وحقده وضيق عطنه أنه يعدل المائل . ولقد سبق أن بينا أن النبى ، أىَّ نبى ، ليس ضارب وَدْع أو قارئ فنجان ، بل هو مُرَبٍّ ومصلحٌ وقائدٌ وهادٍ ، وهذا ما نفهمه من سيرة نبينا والتاريخ الجليل الخطير الذى تركه خلفه ، أما إذا كان هناك نبوة من نوع آخر ، نوع لا فرق بينه ولا بين الكهانة والعرافة وفتح المندل فهذا أمر لا صلة له بما نحن فيه ، وليبحث ذلك المنافق عن ناس آخرين يحدثهم بحديثه ذاك المتخلف مثله! ومع هذا فإن نبينا الكريم ، وإنْ تكرر فى القرآن تأكيده بأنه لا يعلم الغيب ، قد أخبر أصحابه وأمته فى القرآن والحديث كليهما بكثير من الغيوب التى

وقعت كما قال، لكنها غيوب تاريخية ذات شأن خطير فى مسيرة الأمم والحضارات، وليست مسائل تافهة كضياع حمار أو سرقة بقرة. ألم يقل إن الروم سوف ينتصرون على الفرس فى بضع سنين؟ ألم يقل إن المسلمين سيفتحون القسطنطينية؟ ألم يقل إن دينه سوف ينتصر على الأديان كلها وإنه سيُزْوَى له ما بين المشرق والمغرب وإن راعى الغنم فى بلاد العرب سوف يسير بها فى البادية لا يخشى عليها إلا الله والذئب، وإن المسلمين سوف يدخلون المسجد الحرام رغم كل ما كان بينهم وبين قريش حامية حمى الوثنية ومانعتهم من الحج والعمرة؟ ألم يقل حين رأى فى إحدى غزواته شبح إنسان من بعيد: كن أبا ذر... إلخ فكان ذلك الشخص هو أبا ذر فعلا؟ ألم يقل إنه سيأتى على أمته يوم يكونون فيه غُثَاءً كغثاء السيل وإن الأمم سوف تداعى عليهم كأنهم قصعة طعام؟ ولقد قال ذلك، والإسلام فى عنفوان مده وقوته مما لم يكن يخطر معه على بال أحد أنه بعد أن يصبح أتباعه سادة أقوياء يسيطرون على العالم سوف يحورون ضعفاء يسربلهم الخزى والهوان كما هو حادث منذ بضعة قرون؟ ألم يذكر ما فى عسل النحل من شفاء وعلاج؟ ألم يتكلم عن تاريخ الكعبة والبيت الحرام بما لم يأت فى الكتب الأخرى كتابية أو غير كتابية؟ ألم يحك كيف أن إبراهيم وإسماعيل قد جددا الكعبة ورفعا قواعدها بما لم يأت فى العهد القديم؟ ألم يقل إنه ابن الذبيحين بما يدل على أن إسماعيل وليس إسحاق هو الذبيح، وهو ما يناقض كذب مؤلفى العهد القديم الذين لم يستطيعوا مع ذلك أن يصنفروا كذبهم فقالوا إن إسحاق هو ابنه وحيده، مع أن إسحاق لم يكن وحيد أبيه يوما بل إسماعيل؟ ومع ذلك لم تكن هذه هى المهمة التى اصطفى الله محمدا من بين البشر جميعا للنهوض بعبئها. نعم لقد فعل محمد هذا، لكنه زاد فنقّى ما فى الكتاب المقدس من خرافات وأساطير وتناقضات يعرفها كل من قارن بين

القرآن وبين ذلك الكتاب . ثم زاد محمد مرة أخرى فأصبحت النبوة على يديه ، بفضل الله ، إصلاحا اجتماعيا وفكريا واقتصاديا وعسكريا وأخلاقيا وعقيديا . ثم زاد مرة ثالثة فطبق مبادئه ونجح فى هذا التطبيق وانتشر دينه فى الآفاق فى حياته ولم يتطرق الفساد إلى الكتاب الذى أتى به لدغدغة مشاعر الجمهور وتملق ميوله ونزواته كما حدث للكتب الأخرى . أولو كان محمد نبيا كاذبا ، أكان دينه ينتشر هذا الانتشار الرهيب فى كل أرجاء العالم حتى ليدخل فيه الآن ، وأتباعه فى عز ضعفهم وهوانهم ، كل هذه الأعداد الرهيبة من مختلف المهن والميول والأمم ، وبخاصة من بين رجال الدين الكتابيين وغير الكتابيين والعلماء والفنانين والسياسيين؟ وانظر إلى دين موسى كيف وقف نموه فلم يتزحزح إلا بطلوع الروح حتى إنه لا يزيد فى العالم كله عن بضعة عشر مليونا رغم مرور كل هاتيك القرون ، أما دين عيسى فلم ينتشر إلا بعد أن حوره بولس حتى يتلاءم مع رغبات الجمهور الوثنى الذى لا يريد الالتزام بالشريعة الموسوية . وللحق ما كنا نريد أن نتطرق إلى هذا الكلام لولا أن صاحبنا الأحمق قد تعدى على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فلم يدع لنا فرصة للاختيار إلا أن نرد بما نؤمن به ، ولم نكن نريد أن نتحدث فيه لمعرفتنا أن كل صاحب دين لا يحب أن يتناوله أحد بانتقاد .

١٤- والمضحك أن الكندى يسوق البَلَه على الشيطنة فيقول إن المسيح أكبر من أن يكون نبيا ، لأنه هو باعث الأنبياء . طبعا ، والدليل على هذا التنطع هو أنه ما من نبى قبله إلا وصرح بأجلى بيان بأنه مرسل من لدن عيسى بن مريم ، مما يعج به أسفار العهد القديم وكل كتب الأديان الأخرى . ولا أظن القارئ إلا منتبها إلى أننى إنما أسخر هنا من هذا الأحمق الذى يحسب أن الناس جميعا قد سُلِبوا عقولهم . ألم يقرأ ما قاله السيد المسيح عن الله إنه إلهه ، وإنه لا يمكن أن يسجد إلا له؟ هل الله يسجد لنفسه؟

١٥- ويستمر الكندى فى المداورة فيتساءل: "هل أجرى محمد معجزات باهرات؟"، ثم يجيب قائلا إننا "نسمعه يقول: وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ (سورة الإسراء ١٧: ٥٩). أي لولا أن يكذبوا بآياتك كما كذبوا بالآيات التي جاءهم بها الأولون من قبلك، لأعطيناك الآيات! وأنت تعلم أن هذا جواب مرفوض لا يقنع أحدًا"! ولا أدرى كيف يكون مثل هذا الجواب مرفوضا، وهذا هو الكتاب المقدس يتحدث عن معجزات لموسى وعيسى أمام الجماهير، فماذا كانت النتيجة؟ ألم يشغب بنو إسرائيل على موسى عليه السلام ويتمردوا على ما جاءهم به ويرتكسوا فى أوحال الوثنية كلما تاحت الفرصة؟ ألم يختف، عندما جدّ الجِدّ وقبض الرومان على السيد المسيح لصلبه كما يزعم مؤلفو الأناجيل، كل أولئك الذين شفاهم المسيح والذين شاهدوه يشفيهم، وكذلك الذين أشبعهم من الطعام فى العراء مع أنه لم يكن فى يده إلا خمس سمكات ليس إلا، وكأنهم فص ملح وذاب؟ هل نفعت تلك المعجزات قضية الإيمان؟ كلا ثم كلا، وهذا ما قاله القرآن، فما وجه الخطإ إذن؟ وبالمناسبة فقد قال ذلك للمشركين الذين كانوا يقترحون المعجزات على سبيل التحدى لا لكى يؤمنوا به، وإلا فقد صنع الرسول عددا من المعجزات للمسلمين دون أن يطلبوها منه أو يتعنتوا بها عليه ذكرتْها كتب السيرة والأحاديث. وهذا أيضا ما قاله السيد المسيح عليه الصلاة والسلام حين تحداه بنو إسرائيل بأن يعمل لهم آية، إذ قال لهم بنفس النبرة: "جيل شرير وفاسق يطلب آية، ولا تُعْطَى له آية إلا آية يونان النبى" (متى/ ١٢/ ٣٩، ٤٦، و١٦/ ٤، ولوقا/ ١١/ ٢٩)! أما بالنسبة لمحمد فانظر كيف آمن به عليه السلام كل تلك الملايين المُمَلْيَنة من النصارى واليهود بدءا من عصره حتى الآن، ومن مختلف قطاعات الشعوب، ومنهم الأحبار والقساوسة والملوك والرؤساء والعلماء وكبار رجال القوم حتى من

أمريكا وفرنسا وبريطانيا وألمانيا فى العصر الحديث، وهو ما لم يحدث فى الجهة المعاكسة مثله! فهذا ما يقوله العقل والمنطق والفهم السليم المستقيم لا الذى يهرف به كل سخيف أقرع العقل والقلب والضمير! ثم ماذا تعنى المعجزة لمن لم يشاهدها، وهم الناس جميعا ما عدا القلة القليلة التى كانت حاضرة ساعة وقوعها؟ الحق أنها لا تعنى شيئا، إذ من السهل القول بأن الأمر لم يتم كما قال الرواة، وأن شيئا غير عادى لم يقع، وأن المسألة لا تعدو أن تكون تخرصات كذابين. كذلك فإن رسالة سيدنا محمد كانت تدشينا لعصر جديد من عصور الحضارة البشرية، ألا وهو عصر العلم والتثبت العقلى دون الاعتماد فى الأساس على المعجزات، وهو العصر الذى نعيش فيه الآن وسوف تظل البشرية تعيش فيه بمشيئة الله، وهذا ما يميز رسالة النبى محمد عليه الصلاة والسلام، إذ يمتلئ القرآن من أوله إلى آخره بالحث على استخدام العقل واطراح التعصب والابتعاد عن صوت العواطف المضللة وإقامة الإيمان على التفكير المجرد المستقيم والتأمل فى سنن الله وعجائبه التى تبدو لأصحاب العقول الصغيرة أمورا معتادة لا تستحق عناء الوقوف إزاءها ولا التبصر فى دلالتها على القدرة الإلهية المعجزة. وفى هذا يقول الدكتور نظمى لوقا فى الصفحة التاسعة والستين بعد المائة من الطبعة الأولى من كتابه: "محمد- الرسالة والرسول"، وكأنه يرد على الكندى الرقيع: "لا دعوى ولا ادعاء، ولا مظاهرة من الخوارق والبوارق، وإنما الهداية إلى ما تطمئن به النفس ويستريح إليه العقل"، وصدق ابن لوقا!

١٤- ولا يشاء المنكوس الفطرة إلا أن يضيف كذبة أخرى إلى أكاذيبه التى لا تنتهى والتى يتنفسها تنفّسًا، فهو يدعى أنه صلى الله عليه وسلم كان يوصى المسلمين إذا مات ألاّ يدفنوه لأنه سيُرْفَع إلى السماء كما ارتفع المسيح، إذ هو أكرم على الله أن يتركه على الأرض أكثر من ثلاثة أيام! لكن

متى قال الرسول الكريم ذلك، وهو الذى كان حريصا دائما على التشديد على بشريته وأنه ميت مثلما الناس جميعا ميتون وأن الشمس التى كسفت يوم موت ابنه إبراهيم لم تكسف مشاركة له فى الحزن على الغلام الميت، بل جريا على نواميس الله الأزلية؟ وها هو ذا القرآن، وها هى تلك الأحاديث بين أيدينا، فليدلنا الكذاب على أى نص فيهما يقول هذا الذى يزعم! إن ذلك الرجل يكذب بكل برود جريا على سنة قومه فى الكذب والتزييف! وفى موت الصحابى الذى أكل من الشاة المسمومة فى خيبر يتساءل الكندى: "لماذا لم يَدْعُ محمد ربه فيجيبه كعهدنا بالأنبياء المشفعين في إحياء الموتى؟ فإن إيليا النبي قد أحيا ابن الأرملة بصرفة (١ملوك ١٧)، وهكذا أليشع تلميذ إيليا أقام ابن الشونمية من الموت (٢ملوك ٤)". ونجيبه بأن عيسى إذن ليس أفضل من هذين النبيين، ومن ثم لا معنى للقول بأنه إله لأنه أحيا الموتى، وإلا فهما أيضا إلهان مثله. وثانيا لماذا لم يصنع عيسى ذلك أيضا عندما مات يحيى بن زكريا؟ كذلك فمن بين النصارى الملاحدة من يتهمون عيسى بأنه قد دبر مع من يقال إنه أعادهم إلى الحياة أن يتماوتوا فيتظاهر هو بأنه يحيى الموتى. أى أن معجزاته عليه السلام لم تحسم الأمر. وأخيرا ما الحكمة الخطيرة التى تعود بالنفع على البشرية فى أن تحيى ميتا دون سائر الموتى؟ وهل أدت تلك المعجزة إلى أية نتيجة؟ كلا، فها هو ذا المسيح عندما صُلِب حسب اعتقاد القوم قد انفض عنه، أوّلَ ما انفضّ، تلاميذه والموتى الذين أحياهم والبُرْص والعُمْى والممسوسون الذين شفاهم، لم ينفعه من ذلك شىء. ثم لماذا لم يحي نفسه؟ بل لماذا لم يُعْمِ عيون أعدائه عنه كما أعمى الله عيون أعداء نبيه محمد عند الهجرة وعند قيامهم على فوّهة غار ثور؟

١٥- ونأتى الآن إلى كلام المنافق عن الجانب التشريعى الذى يتخذه تعلة

لتكذيب النبي محمد عليه الصلاة والسلام، إذ يقول لخصمه المسلم الموهوم: "دعني أناقشك في ما جاء به صاحبك من الشرائع والأحكام، فنقول إن الشرائع والأحكام لن تخرج عن ثلاثة أوجه: وذلك إما أن يكون الحكم حكمًا إلهيًا، وهو حكم التفضُّل الذي هو فوق العقل والطبيعة ويليق بالله جل اسمه لا بغيره، ولا يشبهه سواه. وإما أن يكون حكمًا طبيعيًا قائمًا في العقل مولودًا في الفكر يقبله التمييز ولا ينكره، وهو حكم العدل. وإما أن يكون حكمًا شيطانيًا، أعني حكم الجور، وهو ضد الحكم الإلهي وخلاف الحكم الطبيعي. فأما الحكم الإلهي الذي هو فوق الطبيعة فهو التفضُّل الذي جاء به المسيح مخلص العالم سيد البشر الذي شهد له صاحبك إذ يقول: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [المائدة: ٤٦]. وذلك أن المسيح قال في إنجيله الطاهر: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ، وَيُمْطِرُ عَلَى الأَبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ (متى ٥: ٤٤، ٤٥). فهذا هو الحكم الإلهي، وشرائعه فوق الطبيعة وأعلى من العقل الإنساني، وهو حكم التفضّل والرحمة والعفو والتشبُّه بفعل الله الرؤوف الرحيم. والنحو الثاني هو الحكم الطبيعي والشريعة القائمة في العقل الجاري مع الغريزة، وهو ما جاء به موسى النبي بقوله في حكمه ما معناه العين بالعين، والسن بالسن، والنفس بالنفس، والضربة بالضربة، والجراح قصاص. فهذا حكم الطبيعة الداخل في قانون العقل، وهو حكم العدل والنصفة: أن تأتي الناس بمثل ما أتوا به إليك، وتفعل بهم كما فعلوا بك: إنْ خيرًا وإنْ شرًا. وليس ذلك مضاهيًا للحكم الإلهي. والنحو الثالث هو الحكم الشيطاني الذي هو الجور

والشر بعينه . فأي هذه الأحكام الثلاثة وأي شريعة جاء بها صاحبك؟ فإن قلت إنه جاء بالأحكام الإلهية قلنا لك قد سبقه المسيح إليها بستمائة سنة . وإن قلت إنه جاء بالأحكام الطبيعية وشرائع العقل وسنن العدل قلنا قد سبقه إلى ذلك موسى النبي . فهذان حكمان قد عرفنا أصحابهما وأقررنا بهما . بقي الحكم الثالث الذي هو حكم الشيطان وشريعة الجور . فهل تقول إنه جاء بالحكمين معًا (يعني حكم المسيح وحكم موسى) وشرحهما في كتابه قائلاً: النفس بالنفس والعين بالعين والسن بالسن . . . إلخ كما قال موسى ثم أتبعه بقول المسيح: وإن غفرتم فإنه أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى (سورة المائدة/ ٨)؟ فأنت تعلم أن هذا كلام متناقض ، كقول القائل: "قائم قاعد"، و"أعمى بصير"، و"صحيح سقيم" في حال واحدة . وإن أقررت كل واحد من هذين الحكمين وادّعيته فلا يدعك أصحابهما لأنهم ورثوه فصار في أيديهم حقًا مسلَّمًا لهم ، ويقولون لك إنك متعدٍّ ظالم تروم أخذ إرثنا من أيدينا ، مع إقرارك أنت أنه لنا . فإن حاولت أخذه فأنت غاصبٌ لا حقَّ لك ، بل آتنا أنت بما في يدك وعندك مما ليس في أيدينا ولا عندنا لنعلم أنك صادق في ادّعائك . ولا أظنك ترضى لصاحبك أن يكون تابعًا للمسيح وموسى ، وأنت تزعم فيه وتدّعي من الحظوة والقدر والمنزلة عند رب العالمين ، وتجترئ على الله وتقول: لولا صاحبك ما خُلِق آدم ولا كانت الدنيا"!

هذا ما قاله السفيه: فأما عن النوع الأول من التشريع فتعليقنا عليه هو: أين كان ذلك الحكم طوال عمر البشرية قبل إتيان عيسى؟ أكان الله ناسيه ثم تذكره؟ أم كان الله لا يبالى بالبشر وشرائعهم إلى أن جاء عيسى؟ أم ماذا؟ ثم كيف يمكن تطبيق ذلك الكلام الذى لا يزيد عن أن يكون "طَقّ حَنَك"؟ إنه غير قابل للتنفيذ ، ولم يطبَّق يوما قطّ . ومن أقرب الأدلة على ذلك هذا الهجوم السفيه على الرسول . فلنفترض أنه عدو للنصارى ، فكيف يشتمونه

ويتطاولون عليه؟ ولماذا لا يحبونه ويباركونه ويُوَلُّونه الخد الأيسر كما تقضى شريعتهم؟ الحق أننا لم نسمع يوما بأن نصرانيا قد صنع ما تأمره به هذه الأحكام، فما داعيها إذن؟ إنها، لو نُفِّذت، لكفيلة بتدمير المجتمعات البشرية والإملاء للمجرمين فى إجرامهم وغَيِّهم. إنها تشجيع لهم كى يبغوا فى الأرض بغير الحق ويذلوا الأخيار ويقتلوهم ويسرقوهم وينكّلوا بهم ويعتدوا على أعراضهم ويغتصبوا حقوقهم. وأما تعليقنا على النوع الثانى من التشريع حسب تصنيفه فهو أنه لا معنى له إلا أن موسى قد أتى بالحكم المذكور من عند نفسه وأن شريعة الله لا تدخل العقل وليس فيها حكمة ولا يمكن تطبيقها، وهو كلام فى منتهى الخطورة والكذب. ومعنى هذا أيضا أن الله ترك موسى يشرّع من عند نفسه تشريعات لم يُرِدْها ولا يرضاها ثم تركه ينادى بها ويدعو إلى تنفيذها ويطبقها أتباعه قرونا قبل أن يأتى بتشريعاته هو التى لا يمكن تطبيقها ولا تؤدى إلا إلى الضرر. ثم إن عيسى نفسه لم يستطع تطبيقها، فقد كان يلعن ليل نهار بنى إسرائيل، بل كان يشتم حوارييه ويتهمهم فى إيمانهم. كما أن التلاميذ والمرضى والموتى الذين شفاهم قد انصرفوا وتركوه، عندما جد الجدّ، لمصيره الشنيع دون أن يستجيبوا لا هم ولا السماء لصياحه وآلامه وهو فوق الصليب يتعذب حسب روايات القوم.

أما الشريعة الذى أتى بها محمد فهى شريعة الله سبحانه وتعالى التى تقدم مثلا عفو أولياء القتيل عن القاتل فى مقابل الدية أو أجر الآخرة إذا أرادوا، وتُؤْثِر الستر على الزانى والزانية إلا إذا استعلنا بفاحشتهما ولم يباليا، فعندئذ لا يبالى بهما المجتمع ويطبق عليهما العقوبة... وهكذا. ولسوف نزيد المسألة بعض التفصيل فنقول إن ذلك السفيه فى آخر كلامه السابق عند حديثه عن النوع الثالث من الشريعة يسأل الهاشمى الموهوم

متعنتا متهكما: "هل تقول إنه (أى الرسول الكريم) جاء بالحكمين معًا (يعني حكم المسيح وحكم موسى) وشرحهما في كتابه قائلاً: النفس بالنفس والعين بالعين والسن بالسن . . . إلخ كما قال موسى ثم أتبعه بقول المسيح: ﴿وإن غفرتم فإنه أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى (سورة المائدة/ ٨)؟ فأنت تعلم أن هذا كلام متناقض كقول القائل: "قائم قاعد"، و"أعمى بصير"، و"صحيح سقيم" في حال واحدة. وإن أقررت كل واحد من هذين الحكمين وادَّعيته فلا يدعك أصحابهما لأنهم ورثوه فصار في أيديهم حقًا مسلّمًا لهم، ويقولون لك إنك متعدٍ ظالم تروم أخذ إرثنا من أيدينا، مع إقرارك أنت أنه لنا. فإن حاولت أخذه فأنت غاصبٌ لا حقَّ لك، بل آتنا أنت بما في يدك وعندك مما ليس في أيدينا ولا عندنا لنعلم أنك صادق في ادّعائك". وواضح أن كلامه كلام نظرى لا علاقة له بالواقع، فأولا نحن نعرف أن السيد المسيح لم يأت بتشريع يتعلق بجريمة القتل، فلا مجال للقول إذن بأن الرسول عليه السلام قد خلط بين تشريعه وتشريع موسى من قبله كما يزعم الكندى. ومع هذا فإنه عليه السلام لم يأت بتشريع موسى القاضى بقتل القاتل ضربة لازب، بل قسم القتل إلى قتل عمد، وفيه اختيارات ثلاثة: إما القصاص، وإما الدية، وإما العفو الكامل، وكثيرا ما يأخذ أولياء القتيل بالدية أو يعفون عفوا كاملا عن القاتل ولا يصرون على القصاص منه، وهذا أمر جديد لم يكن فى تشريع موسى كما هو معروف. وفوق هذا فقد شدد الإسلام فى مسألة القتل العمد وبين أنه عند الله كبيرة من الكبائر مصير مرتكبه جهنم، وبئس المصير، وهذا أيضا شىء جديد ليس فى الشريعة اليهودية، إذ لا كلام فيها عن الآخرة وثوابها وعقابها. وأما فى مسألة الزنا فلنلاحظ أن السيد المسيح لم ينسخ الرجم، بل كل ما قاله فى الحادثة الوحيدة اليتيمة التى عُرِضَتْ عليه، وهو يشير إلى الزانية التى أحضروها أمامه: من كان منكم بلا خطيئة

فليرمها بحجر. ومعنى هذا أنه لم يقل بالعفو عن الزانية، بل اشترط ألا يكون المقيمون للحد عليها قد ارتكبوا نفس الخطيئة.

ومن الواضح أن أولئك المرائين القساة القلوب كانوا جميعا يمارسون تلك الفاحشة فنزل رد عيسى عليهم نزول الصاعقة فألجمهم وأشعرهم بالخزى جرّاء مباغتته لهم فتركوها وانصرفوا. ولو أن واحدا أو اثنين أو أكثر ردوا على عيسى عليه السلام قائلين إنهم سوف يرجمونها لأنهم لم يجترحوا تلك الخطيئة، فماذا تراه قائلا آنذاك؟ لا أظن إلا أنه كان سيخلّى بينهم وبين تطبيق العقوبة الواردة فى التوراة، وإلا لأخذوه بكلامه، وهو أن من كان منهم بلا خطيئة فليرجمها. والعجيب أن نفرا من أمثال أولئك المرائين الأنجاس قد أتوُا النبى محمدا عليه الصلاة والسلام بزانيين يهوديين يريدون أن يجدوا عنده حلا آخر سوى الرجم (أى على عكس ما كانوا يريدون من عيسى!)، فسألهما عن حكم الزنا فى التوراة، فظنوا أنهم يستطيعون أن يخفوا عنه ما تقوله شريعتهم لأنهما كانا من أشرافهما ولم يكونا كالمرأة المسكينة التى أتوْا بها عيسى عليه السلام، بَيْدَ أن النبى أصر على أن تنفَّذ فيهما العقوبة التى تنص عليها الشريعة عندهم. جاء فى "صحيح مسلم" أن "رسول الله صلى الله عليه وسلم أُتِيَ بيهودي ويهودية قد زنيا، فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاء يهود، فقال: ما تجدون في التوراة على من زنى؟ قالوا: نسوِّد وجوههما ونحملهما ونخالف بين وجوههما ويطاف بهما. قال: فأْتُوا بالتوراة إن كنتم صادقين. فجاءوا بها فقرأوها، حتى إذا مروا بآية الرجم وضع الفتى الذي يقرأ يده على آية الرجم وقرأ ما بين يديها وما وراءها. فقال له عبدالله بن سلام، وهو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم: مُرْه فليرفع يده. فرفعها، فإذا تحتها آية الرجم، فأمر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فرُجِما". وفى حديث آخر أنه "مُرّ على

النبي صلى الله عليه وسلم بيهودي محمَّمًا مجلودًا، فدعاهم صلى الله عليه وسلم فقال: هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ قالوا: نعم. فدعا رجلا من علمائهم، فقال: أَنْشُدُكَ بالله الذي أنزل التوراة على موسى، أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ قال: لا، ولولا أنك نَشَدْتَني بهذا لم أخبرك. نجده الرجم، ولكنه كَثُرَ في أشرافنا، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد. قلنا: تعالَوْا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع. فجعلنا التحميم والجَلْد مكان الرجم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم، إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه. فأمر به فرُجم، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ ... إلى قوله: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾ [المائدة: ٤١] يقول: ائتوا محمدا صلى الله عليه وسلم، فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه، وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا. فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧] في الكفار كلها".

والآن إلى ما يقوله التشريع الإسلامي فى تلك القضية بالتفصيل: ولنقرأ أولاً الآيات التالية من سورة "النور": ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ

جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ وَأَنكِحُوا ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ [النور: ٣٠ - ٣٣]، ومن الواضح أن الآيات الكريمة تتناول موضوعا جديدا لم يتطرق له موسى ولا عيسى عليهما السلام، وهو سد الذرائع التى قد يكون من شأنها تمهيد السبيل لارتكاب الزنا، وكذلك الإعلان عن الغفران الإلهى للفتيات المكرهات على ممارسة البغاء دون أن يكون لهن القدرة على الرفض. كذلك فإن الإسلام يؤثر الستر فى هذه المسألة، ففى "الموطإ" أن رجلا من أسلم اسمه هزال أتى إلى رسول الله ﷺ ينهى إليه خبر ارتكاب فلان فاحشة الزنا، وربما ظن أنه بهذه الشهادة قد أتى عملا عظيما، فما كان من النبى الكريم الرحيم إلا أن قال له: "يا هزال لو سترته بردائك لكان خيرا لك"، وهو ما يتفوق فى الرحمة والستر على ما أُثِر عن المسيح عليه الصلاة والسلام، وبخاصة إذا تذكرنا كلمته القاسية التى يقول فيها: "[27]«قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لاَ تَزْنِ. [28]وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيَهَا، فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ. [29]فَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ الْيُمْنَى تُعْثِرُكَ فَاقْلَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ، لأَنَّهُ خَيْرٌ لَكَ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدُ أَعْضَائِكَ وَلاَ يُلْقَى جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّمَ" (متى/ ٥)، مما يدل على أنه قد غلّظ العقوبة هنا ولم يخففها. أى أن تشريعه، فيما يخص هذه النقطة، مضطرب أشد الاضطراب ما بين التخفيف المتسيب والتغليظ العنيف. وكان الرسول، حين يأتيه الرجل معترفا بأنه واقع الفاحشة، يعمل بكل سبيل على التثبت من ارتكابه الزنا فِعْلاً لا توهُّما، فيقول له مثلا: لعلك قبّلْتَ! لعلك فاخَذْتَ! هل انت

سكران؟ هل أنت مجنون؟ أملا منه عليه السلام فى أن يرجع فيتوب إلى الله وينتهى الأمر عند هذا الحد، لكن عندما يجده مصرا على أقواله ويَثْبُت لديه أنه فعلا قد مارس الحرام لا يجد مناصا فى هذه الحالة من تطبيق العقاب عليه، وإلا تميعت الأمور وفسد المجتمع. من ذلك الحديث التالى فى "صحيح مسلم": "جاء ماعز بن مالك إلى النبي صلى الله عليه وسلم. فقال: يا رسول الله، طَهِّرْني. فقال: ويحك! ارجع فاستغفر الله وتب إليه. قال: فرجع غير بعيد، ثم جاء فقال: يا رسول الله! طَهِّرْني. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ويحك! ارجع فاستغفر الله وتب إليه. قال: فرجع غير بعيد، ثم جاء فقال: يا رسول الله! طهرني. فقال النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك. حتى إذا كانت الرابعة قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: فيم أطهرك؟ فقال: من الزنى. فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أبه جنون؟ فأُخْبِر أنه ليس بمجنون. فقال: أشرب خمرا؟ فقام رجل فاستنكهه فلم يجد منه ريح خمر. قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أزنيت؟ فقال: نعم. فأمر به فرُجِم. فكان الناس فيه فرقتين: قائل يقول: لقد هلك! لقد أحاطت به خطيئته! وقائل يقول: ما توبة أفضل من توبة ماعز: أنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده في يده ثم قال: اقتلني بالحجارة. قال: فلبثوا بذلك يومين أو ثلاثة. ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم جلوس، فسلم ثم جلس فقال: استغفروا لماعز بن مالك. قال: فقالوا: غفر الله لماعز بن مالك. قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد تاب توبة لو قُسِّمَتْ بين أمة لَوَسِعَتْهم. قال: ثم جاءته امرأة من غامد من الأزد فقالت: يا رسول الله! طَهِّرْني. فقال: ويحك! ارجعي فاستغفري الله وتوبي إليه. فقالت: أراك تريد أن تردني كما رددت ماعز بن مالك. قال: وما ذاك؟ قالت: إنها حبلى من الزنى. فقال: آنت؟ قالت: نعم. فقال لها: حتى

تضعي ما في بطنك . قال: فكفلها رجل من الأنصار حتى وضعت . قال: فأتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال: قد وضعت الغامدية . فقال: إذا لا نرجمها وندع لها ولدها صغيرا ليس له من يرضعه . فقام رجل من الأنصار فقال: إليّ رضاعه يا نبي الله! قال: فرجمها" . ليس ذلك فحسب ، إذ لا شك أن ما جاءت به الآيتان التاليتان من سورة " النور" هو أيضا شيء جديد لم تعرفه شريعة موسى حسبما وصلتنا في العهد القديم ولا عرض لها عيسى ، عليهما السلام: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٣ ﴾ [النور: ٢ - ٣] .

أيمكن أن يصف آدمي عاقل قد خلا قلبه من الحقد والضلال شريعة محمد بأنها شريعة الشيطان؟ إنها شريعة الله بكل يقين ، نعم شريعة الله التى لا تفرق بين مسلم وغير مسلم ، وتنهى عن البدء بالعدوان والظلم حتى مع الأعداء ، وتحبب الفضل والكرم وتنازُل صاحب الحق عن حقه ، وتحرم الخمر والربا مع الجميع ، وتدعو الناس إلى تعمير الأرض وتعلى من شأن العلم ، وتحرّم عليهم ترك أعمالهم وسطوهم على حقول الآخرين وحظائرهم ، ولا ترضى بلعْنهم شجر الفاكهة لعدم إثماره فى غير موسم الثمر فى مناهضة للعقل وقوانين الطبيعة . إن الإسلام دين يقوم على احترام المنطق والعقل وسنن الكون . ومن هنا رأينا أمم النصرانية لا تتقدم ولا تقوى إلا بطرح الشرائع الإنجيلية من أولها إلى آخرها لأنها شرائع تناقض الحضارة مناقضة حادة . أما شريعة محمد فقد أوصت بالجار والقريب والفقير والمسكين والمدين واليتيم وقننت ذلك كله فى بنودٍ محدَّدة ، ولم تتركه كلاما ساذجا متشنجا لا يمكن تطبيقه ، بل طبقته وأقامت دولا انتعش فيها العلم والتراحم الاجتماعى والنظافة والنشاطات الاقتصادية . . . إلخ . وما زال

الناس حتى من الدول الغربية الكبرى فى عصرنا يدخلون فى دين محمد إعجابا بمبادئه وتشريعاته وقيمه رغم هوان أهله وضعفهم أمام تلك القوى نفسها. فإذا ظل الكندى الموهوم على رأيه من أن شريعة محمد شريعة شيطانية، وشريعة عيسى التى تناقضها شريعة إلهية، كان معنى هذا أن شريعة الشيطان أفضل من شريعة الله، أستغفر الله. ثم إن الآية الكريمة، كما استشهد بها، خاطئة، وصوابها هو: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٤٥) ﴾ [المائدة: ٤٥]. وبالمثل نراه يهزل حين يدعى أن الرسول محمدا قد اعترف بأن المسيح سيد العالم (أى اعترف به إلها!)، إذ ليس فى القرآن ولا فى الآية التى استشهد بها الكندى ولا فى أى حديث من أحاديثه صلى اله عليه وسلم ما يمكن أن يُفْهَم منه ذلك بتاتا، فالقرآن واضح فى هذا الأمر وضوحا لا يمكن تطرق اللبس إليه بحال. ومعروف أن موقف القرآن من عيسى عليه السلام وقوله بأنه ليس إلا عبدا رسولا هو ما يهيج النصارى ضد محمد ودينه، إلا أن الرجل يكذب حتى فيما لا يقبل الكذب، فما العمل؟ العمل هو ما نقوله دائما من أن أمثال الكندى المزعوم قد مَرَدُوا على الكذب، فهم لا يستطيعون التخلّى عنه او التبرّى منه. كما أن تعليقه على ما ظنه توليفا من النبى بين الشريعة التوراتية والشريعة الإنجيلية هو تعليق مضحك، إذ إن التشريع الإسلامى لا يقول فى القتل بالعقوبة والعفو فى ذات الوقت، بل يقول بالعفو إن قبل صاحب الحق هذا العفو، وإلا فمن حقه تماما تطبيق العقاب. وكثيرا ما قبل صاحب الحق وما زال حتى الآن يقبل العفو رحمةً منه وكرمًا وابتغاءً لوجه الله. وأخيرا فإن كلام المسكين يوهم أن اليهود والنصارى لم يقبلوا التشريع الإسلامى ولم يدخلوا الإسلام

ولم يصدقوا محمدا . فمن أين أتت الملايين المُمَلْيَنة التى دخلت وما زالت تدخل الإسلام؟ أليس معظمهم يهودا ونصارى؟ وكيف أصبح كاتب هذه السطور مثلا مسلما؟ أليس لأن أجداده اليهود أو النصارى قد قبلوا دين محمد؟ إن كلام الكندى لا يعنى إلا أن أحدا من غير العرب الوثنيين لم يقبل الإسلام، وأن الدنيا كلها ترفضه . صح النوم! وانظر حولك لترى أن العرب جميعا قد قبلوا الإسلام عند مجيئه: نصاراهم ويهودهم ووثنيوهم، وأن عشرات الملايين من غير العرب قد قبلته مثلهم، وإلا فمن أين للإسلام بمئات الملايين الحالية إذن؟ وأين ذهب الملايين من النصارى واليهود الذين كانوا موجودين عند مجيء الإسلام، وكذلك الذين كانوا موجودين منذ ذلك الحين حتى الآن ولم يعودوا موجودين، مما كان من نتيجته نقصان غير المسلمين بمقدار زيادة المسلمين؟ أنزلت نار آكلة أتت عليهم؟

١٦- والآن إلى ما يزعمه المدلس من أن القرآن، الذى كان ينزل به جبريل على النبى الكريم غُدُوًّا وعَشِيًّا، إنما أخذه عن راهب يقال له: سرجيوس، فما هى حكاية سرجيوس هذا؟ لنسمع أولا تلك الكذبة السخيفة التى يحكيها الوغد، إذ يقول للهاشمي: "ينبغي لك أن تعلم أولاً كيف كان السبب في هذا الكتاب . ذلك أن رجلاً من رهبان النصارى اسمه سرجيوس أحدث حَدَثًا انكره عليه أصحابه، فحرموه من الدخول إلى الكنيسة وامتنعوا عن كلامه ومخاطبته على ما جرت به العادة منهم في مثل هذا الموقف . فندم على ما كان منه، فأراد أن يفعل فعلاً يكون له حجة عند أصحابه النصارى، فذهب إلى تهامة فجالها حتى بلغ مكة، فنظر البلد غالبًا فيها صنفان من الديانة: دين اليهود، وعبادة الأصنام . فلم يزل يتلطف ويحتال بصاحبك حتى استماله وتسمَّى عنده: نسطوريوس، وذلك أنه أراد بتغيير اسمه إثبات رأي نسطوريوس الذي كان يعتقده ويتديَّن به . فلم يزل

يخلو به ويكثر مجالسته ومحادثته إلى أن أزاله عن عبادة الأصنام ثم صيَّره داعيًا وتلميذًا له يدعو إلى دين نسطوريوس. فلما أحست اليهود بذلك ناصبته العداوة، فطالبته بالسبب القديم الذي بينهم وبين النصارى. فلم يزل يتزايد به الأمر إلى أن بلغ به ما بلغ. فهذا سبب ما في كتابه من ذكر المسيح والنصرانية والدفاع عنها وتزكية أهلها والشهادة لهم أنهم أقرب مودّة، وأن منهم قسيسين ورهبانًا وأنهم لا يستكبرون (المائدة/ ٨٢). فلما تُوُفِّيَ وارتدّ القوم وانتهى الأمر إلى أبي بكر قعد علي بن أبي طالب عن تسليم الأمر لأبي بكر، فعلم عبد الله بن سلام وكعب الأحبار اليهوديان أنهما ظفرا بما كانا يطلبان ويريدان في نفسيهما، فاندسّا إلى علي بن أبي طالب فقالا له: ألا تدّعي أنت النبوّة ونحن نوافقك على مثل ما كان يؤدب به صاحبَك نسطوريوسُ النصرانيُّ، فلستَ بأقلَّ منه؟ ولكن أبا بكر عرف بما كان من أمرهما مع علي، فبعث إلى علي. فلما صار إليه ذكّره الحرمة. ونظر علي إلى أبي بكر وإلى قوته، فرجع عما كان عليه ووقع بقلبه. وكان عبد الله بن سلام وكعب الأحبار قد عمدا إلى ما في يد علي بن أبي طالب من الكتاب الذي دفعه إليه صاحبه على معنى الإنجيل، فأدخلا فيه أخبار التوراة، وشيئًا من جل أحكامها، وأخبارًا من عندهما بدلها، وشنّعا فيه وزادا ونقصا ودسّا تلك الشناعات كقولهما: وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَا للَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (سورة البقرة ٢: ١١٣)، ومثل الأعاجيب والتناقض الذي يجعل الناظر فيه يرى المتكلمين به قومًا شتى مختلفين، كلٌّ منهم ينقض قول صاحبه، ومثل سورة "النحل" و"النمل" و"العنكبوت" وشبهه. إلا أن عليًا حين يئس من الأمر أن يصير إليه، صار إلى أبي بكر بعد أربعين يومًا (وقال قومٌ: بعد ستة

أشهر) فبايعه ووضع يده في يده. وسأله أبو بكر: ما حبسك عنا وعن متابعتنا يا أبا الحسن؟ فقال: كنت مشغولاً بجمع كتاب الله، لأن النبي كان أوصاني بذلك. فما معنى شغله بجمع كتاب الله، وأنت تعلم أن الحجاج بن يوسف أيضًا جمع المصاحف وأسقط منها أشياء كثيرة؟ وأنت تعلم أيضًا انهم رَوَوْا أن النسخة الأولى هي التي كانت بين القرشيين، فأمر علي بن أبي طالب بأخذها لما اشتد عليه الأمر لئلا يقع فيها الزيادة والنقصان، وهي النسخة التي كانت متفقة مع الإنجيل الذي دفعه إلى نسطوريوس، وكان يسميه عند أصحابه: "جبريل" مرة، و "الروح الأمين" مرة".

لاحظ، أيها القارئ، كيف أن ما ذكرته بعض كتب السيرة من القصة التى تقول إن النبى، فى سفره إلى الشام رفقة عمه أبى طالب، قد قابل راهبا اسمه بحيرا حذّر العم من كيد يهود إذا رَأَوُا الصبى الذى سيكون نبيا فى مُقْبِل أيامه، قد تحولت إلى هذا الفلم السينمائى العجيب، إذ نرى بحيرا قد أصبح نسطورس، وبدلا من أن يلقاه محمد الصغير فى مشارف الشام إذ بنسطورس هذا يأتى إلى مكة، وفى مهمة مضحكة، إذ أراد أن يثبت لأصحابه الذين انفضوا عليه لآرائه المنحرفة عما يقولون به أنه قادر على . . . على ماذا؟ على أن يحول محمدا عن دين آبائه إلى مذهب نسطورس! ولماذا محمد دون سائر عباد الله فى الشرق والغرب، وبخاصة النصارى الذين يرى هذا الراهب أنهم على ضلال ووقفه منه رهبانهم وقسيسوهم موقف التخطئة والتشنيع؟ ولماذا مكة دون سائر المدن والقرى فى العالم؟ واضح أن الرجل فى أعماقه يعرف أن الكتاب المقدس قد تنبأ بأن هناك نبيا سوف يظهر من بلاد العرب اسمه محمد، فهو يجرى على هَدْيٍ من هذه الفكرة التى يحاول بكل جهده أن يخنقها فى ضميره، لكنها تأبى إلا أن تشق طريقها إلى السطح، وإلا فلماذا محمد من دون العباد، ومكة من دون

البلاد؟ لقد كان يستطيع أن يستمر فى طريقه إلى أن يصل إلى اليمن حيث أكبر كنيسة فى بلاد العرب، تلك الكنيسة التى بناها أبرهة وقضى أحد الأعراب فيها حاجته فكانت حرب الفيل التى ارتد فيها القائد الحبشى عن بيت الله ممزَّق الجيش والجسد جميعا، لكن خيال الكندي السقيم أبى إلا أن يأخذه إلى مكة، مكة محضن الوثنية حيث كان يقوم فى كعبتها مئات الأوثان قبل أن يحطمها الرسول الكريم إلى الأبد. ليس هذا فحسب، بل إنه بدلا من توجيه همته إلى هداية الوثنيين المكيين يركز على محمد، ومحمد وحده. لكن أين كان نسطورس يجتمع بمحمد؟ وكيف لم يلتفت إليه أهل مكة ويهتموا بهذا الراهب الغريب الذى لا يتكلم لغتهم ولا يلبس ملابسهم ويلازم محمدا لزوم الظل ولا يكف عن مناقشته؟ ثم بأية لغة يا ترى كانا يتفاهمان أثناء تلك المناقشات العميقة؟ وفى أى بيت كان نسطورس ينزل فى مكة؟ وهل كان هناك يهود فى مكة اشتبكوا مع محمد فى خصام ومجادلات كما يقول هذا التافه؟ إنما كان اليهود فى المدينة لا فى مكة. ولو كان الأمر كما يقول لما نجا محمد عليه السلام من ألسنة اليهود. ثم من الذى نقل له أخبار كل تلك الوقائع؟ أما آيات سورة "المائدة" التى أشار إليها الكندى فهى، كما قلنا ونقول، ليست فى مدح أحد من النصارى، بل فى فريق أسلم منهم، أى ترك نصرانيته بجميع مذاهبها ودخل فى دين محمد، دين التوحيد. وهذا واضح من قوله تعالى عن أفراد هذا الفريق: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [المائدة: ٨٣ - ٨٥]، فضلا عن أسباب نزول هذه الآيات التى تقول إنهم وفد من النصارى فيهم القساوسة والرهبان أتوا

لمقابلة النبى محمد عليه السلام، فقرأ عليهم شيئا من آيات القرآن لمس أفئدتهم وحرك ضمائرهم فدمعت عيونهم وأعلنوا إيمانهم به. أهذا مفهوم أم على قلوبٍ أقفالها؟ شيء آخر: أن هذه الآيات، بل السورة كلها مدنية، وليست مكية كما يظن ذلك الحقود! ثم أين أخبار نسطورس يا ترى عند العرب أو عند النصارى على حد سواء؟ لا شيء من أخباره هنا أو هناك، اللهم إلا تلك الإشارة السريعة فى بعض كتب السيرة عن لقائه بالرسول وهو صبى صغير وتحذيره لعمه من المضىّ بابن أخيه أبعد من ذلك حتى لا تؤذيه يهود. ولماذا لم يظهر نسطورس ويتحدَّ محمدا عند ادعائه النبوة أو عند اجترائه على هرقل وإرساله خطابا له يدعوه إلى الإسلام، ويقول له: كيف تصل الأمور إلى هذا الحد يا تلميذى العزيز فتجرؤ على دعوة إمبراطورنا إلى الدين الذى أخذتَه عنى؟ والمضحك أن يعزو المعتوه وجود آيات فى القرآن تهاجم اليهود والنصارى إلى عمل كعب الأحبار وعبد الله بن سلام اليهوديين!

وفى الموقع المتخلف لعزت أندراوس، وعند حديثه عن نسطور، نقرأ ما يلى: "كتب صموئيل بولس فى مقالة بعنوان: نهاية أم بداية؟": "كانت البداية عقب انتهاء مجمع أفسس، حيث أعلن أرباب النسطورية من أساقفة المشرق تحزبهم لنسطور والانشقاق عن كنيستهم السريانية الأرثوذكسية، وذهبوا إلى المناطق الخاضعة لنفوذ الفرس في المشرق، وأسسوا لأنفسهم كنيسة خاصة بهم أطلقوا عليها اسم "كنيسة الفرس النسطورية". وذهب تلميذهم النجيب الأسقف النسطوري برصوما النصيبيني المضطهِد والسفاح إلى العراق، وقطع لسان جاثليق المشرق "باباي" لرفضه قبول تعاليم نسطور ثم قتله. وقتل رهبان دير مار متى، كما قتل سبعة آلاف نفس من المسيحيين العراقيين، واستطاع بدعم من ملك الفرس الوثني تحويل جُلّ المسيحيين العراقيين الى

النسطورية، وتوغلت الهرطقة النسطورية إلى كل مكان في المشرق، فتعاظم نفوذهم في منطقة ما بين النهرين. ولم تمضي سوى عدة عقود قليلة حتى أصبح لهم مركزا هاما في مملكة الحيرة، ومنها انطلقوا إلى الأراضي الحجازية نفسها، فاختلطوا بالعرب "الأحناف"، وجذبوا الكثيرين منهم لهرطقتهم، وصارت لهم مراكز هامة في الخليج، وخصوصا البحرين. ثم أوجدوا لهم مركزا خطيرا داخل مكة نفسها، وكان يترأسه أحد أقارب مؤسس الإسلام، وهو القس ورقة ابن نوفل ابن أسد، والذي رافقه منذ صباه، بجانب من رافقوه من الرهبان النساطرة الذين تعربوا أمثال: بحيرا، وعيصا، وعداس. وللأخير هذا مسجدا يحمل اسمه بمدينة الطائف بالقرب من مكة تقديرا وعرفانا من المسلمين لدوره الكبير في نصرة الإسلام! وتمدنا المصادر النسطورية نفسها بالكثير من المعلومات التي تتناول علاقة بطاركة النساطرة بمؤسس الإسلام واتصالاتهم السرية معه منذ بداية المجاهرة بدعوته: كان الفطرك "البطريرك" ايشوعياب الثاني يكاتب صاحب الشريعة الإسلام ويهدي له ويسأله الوصية برعيته في نواحيه، فأجابه محمد إلى ذلك، وكتب إلى أصحابه كتبا بليغة مؤكدة، وبرّه صاحب الشريعة عليه السلام ببرٍّ كان فيه عدّة من الإبل وثياب عدنية. وتأدى وبلغ ذلك إلى ملك الفرس فأنكر على الفطرك فعله ومكاتبته، وخاصة عند ورود هداياه، فداراه ايشوعياب حتى سلم منه. وعاش ايشوعياب إلى أيام عمر ابن الخطاب عليه السلام (!) فكتب له كتابا مؤكدا بالحفظ والحيطة وأن لا يؤخذ من إخوانه وخدمه الجزية وأشياعه "النساطرة" أيضا. وهذا الكتاب محتفظ به لهذه الغاية" (انظر: ماري في المجدل، أخبار بطاركة المشرق، روما ١٨٩٩ ص ٦٢). ويقول صاحب "تاريخ السعردي": "كان ايشوعياب قد أنفد هدايا إلى النبي عليه السلام! وفي جملتها ألف أستار فضة، مع جبريل أسقف ميشان، وكان فاضلاً عالمًا،

وكاتبه وسأله الإحسان إلى النصارى . ووصل الأسقف إلى يثرب ، وقد توفي محمد ، فأوصل ما كان معه إلى أبي بكر ، وعرّفه ما الناس عليه من ملك الفرس ، وأنهم يخالفون الروم . فسمع قوله وقبل ما كان معه ، وضمن له ما يحبه ، وعاد إلى الجاثليق ايشوعياب مسرورا" (التاريخ السعردي ج ٢ ، ص ٦١٨- ٦١٩) . ويقول صليبا بن يوحنان الموصلي: "وفي ايامه (أي أيام أيشوعياب) بدأ يظهر أمر العرب بني إسماعيل . ولما كشف الله هذا الأب (!) ما يؤول إليه هذا الظهور من السلطان والملك والقوة وفتح البلاد جمع رأيه وسابق بعقله وحكمته إلى مكاتبة صاحب شريعتهم ، وهو بعد غير متمكن ، وأنذره بما يصير إليه أمره من القوة ، وقدم له هدايا جميلة . فلما قوي أمره وتمكن عاد فكاتبه واخذ منه العهد والزمام لجميع النصارى النساطرة في كافة البلدان التي يملك عليها هو وأصحابه من بعده ، وأن يكونوا في حمايته آمنين على جاري عادتهم في إقامة الصلوات والبيع والأديرة". (انظر: صليبا في المجدل ، ص ٥٤- ٥٥) . ويذكر السعردي أيضا إن بطريرك النساطرة أيشوعياب الثاني قد التقي وجها لوجه مع عمر ابن الخطاب ، فيقول: "وتوفى أبو بكر ووَلِيَ الأمر بعده عمر ابن الخطاب . ولقيه ايشوعياب وخاطبه بسبب النصارى النساطرة ، فكتب له عهدا" (انظر: التاريخ السعردي ج ٢ ، ص ٦٢٠ وماري في المجدل ص ٦٢) . ويذكر عن هذا البطريرك النسطوري أيضا أنه قدم دفاعا حارا عن أترابه المسلمين قائلاً عنهم: "إن المسلمين ليس فقط لا يهاجمون الديانة المسيحية (!) بل انهم يوصون بإيماننا خيرا (!) ، ويكرمون الكهنة وقديسي الرب ، ويحسنون إلى الكنائس والأديرة (!)" (انظر الأب ألبير أبونا: تاريخ الكنيسة السريانية الشرقية . ج ٢ ص ٦٧) . ولكن أين تمت كل تلك اللقاءات بين الرسول أو عمر من جهة وبين مبعوثي النساطرة من جهة أخرى؟ وكيف سكت كتاب

السِّيَر والمغازى والتاريخ عن هذا كله؟ وهل يوجد بين النسطورية والإسلام أى نقاط التقاء؟ ومن قال إن ورقة كان نصرانيا أصلا، فضلا عن القول بأنه نسطورى؟ لقد أسلم الرجل ونبه النبىَّ إلى أن قومه سوف يعادونه وسوف يلقى منهم عنتا شديدا وعناء. وكذلك الأمر فى عداس، إذ كل ما ذكرته كُتُب السيرة والتاريخ أنه التقى بالنبى فى بستان ابنى ربيعة بالطائف اللذين كان يشتغل لديهما خادما، فلم يكن إذن راهبا من الرهبان كما يكذب الكاتب المدلس، بل كان مجرد خادم، وأنه أكب على قدميه ويديه ورأسه صلى الله عليه وسلم يقبلها تبجيلا وإجلالا. ومن الواضح أنه آمن بالنبى عليه الصلاة والسلام. أى أن الكذاب الذى اتهم النبى عليه السلام بما اتهمه به قد نكس الدنيا رأسا على عقب وسَقْلَب حالها، فبدلا من أن يذكر إسلام ورقة وعداس يحاول أن يقنع القراء بأنهما قد علّما النبى محمدا الدين الذى أتى به، جاعلاً التلميذ بذلك أستاذا، والأستاذ تلميذا. هذا، وقد سبق الكلام عن بحيرا بما يغنى عن إعادته هنا، أما عيصا فلا أدرى وجه ذكره هنا. كما أنه لم تكن هناك علاقة أيا كانت بين ورقة وعداس وبحيرا، ودعونا من عيصا إلى أن نعرف من أين جاء. فورقة من أشراف مكة، أما عداس فغلام أجنبى من أهل نينوى كان يخدم ابنى ربيعة فى الطائف، وبحيرا كان ينزل أرض الشام، وهو غير عربى، فضلا عن قول الزهرى (وهو من أقدم كتاب السيرة) إنه "حبر من يهود تيم" كان يسكن تيماء ("المغازى النبوية" لابن شهاب الزهرى/ تحقيق د. سهيل زكار/ دار الفكر بدمشق/ ١٤٠١هـ - ١٩٨١م/ ٤٠، وهو ما نقله عنه النويرى فى "نهاية الأرب فى فنون الأدب"). وعلى هذا لم يكن بحيرا نصرانيا بل يهوديا. ثم إن النبى قد لقيه فى حضرة عمه أبى طالب، وكان ذلك بطلب من بحيرا نفسه، وكان محمد قد ناهز الحُلُم حسب قول الزهرى، وإن كان النويرى قد حدد سنّه باثنتى

عشرة سنة . وكل ما جرى هو أن بحيرا أبدى خوفه على النبى المنتظر من أذى يهود لو علموا أنه هو الذى بشرت به الكتب ، وحذر عمه من المضى به أبعد من ذلك ، فما كان منه إلا أن عاد به حفاظا على سلامته . ثم أليس من اللافت للنظر أن يفكر نساطرة فارس فى التودد إلى محمد ، الذى لم يكن له سلطان إلا على العرب وحدهم ، خارجين بذلك على إرادة عاهلهم كسرى دون أن يكون فى الأفق ما ينبئ بأن محمدا سيفتح فارس وتكون له السيادة فى الأرض وأن كسرى سيكون فى خبر "كان" ؟ اللهم إلا إذا قلنا إنه كان يعرف من بشارات الكتب أنه هو النبى المنتظَر وأن الدنيا ستدين له!

بقيت كلمة مهمة ، وهى أن السعردى من أهل القرن الثانى عشر الميلادى ، أى أنه أتى بعد الهجرة بقرون عدة ، أما صليبا بن يوحنان الموصلي فيزيد عليه بقرنين ، إذ هو من أهل القرن الرابع عشر ، فأين كانت هذه الحواديت والحكايات اللذيذة المسلية طوال تلك القرون؟ وقد يعطى القارئ فكرة عن قيمة مثل هذين الكتابين ما وجدته فى موقع "http://www.alitijahalakhar.com : كل الاتجاهات" لرشيد الخيون تحت عنوان "المذاهب والأديان في العراق: المسيحية والإسلام"، إذ أشار إلى رأى بعض المؤرخين فى هذين الكتابين وقيمتهما العلمية: "أما "تاريخ السعردى" (القرن الثاني عشر الميلادي) فيذكر أن رسول الجاثليق قد التقى أبا بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وأخذ من الأخير العهد لأهل دينه . ويذكر مؤرخ آخر يدعى صليبا بن يوحنان الموصلي (القرن الرابع عشر الميلادي) ، في سياق تعرضه لسيرة الجاثليق ايشوعياب: "وفي أيامه . . . كان قد بدأ يظهر أمر العرب بني إسماعيل سنة خمس وثلاثين وتسعمائة للاسكندر ، ولما كشف الله لهذا الأب ما يؤول إليه هذا الظهور من السلطان والملك والقوة وفتح البلاد جمع رأيه وسابق بعقله وحكمته إلى مكاتبة

صاحب شريعتهم، وهو بعد غير متمكن، وانذره بما يصير إليه أمره من القوة، وسيّر ذلك له مع هدايا جيلة. فلما قوي أمره وتمكن عاد كاتبه وأخذ منه العهد والزمام لجميع النصارى في كافة البلدان التي يملك عليها هو وأصحابه من بعده، وأن يكونوا في حمايته آمنين على جاري عادتهم في إقامة الصلاة والبِيَع". يذهب الرأي، في حالة اختلاق هذه الروايات، إلى أن المؤرخين المسيحيين قد عمدوا إلى كتابة ذلك محاولة منهم للتخفيف من وطأة الجزية (ضريبة الرأس) والضغوط الأخرى عليهم، ومنها ما شرعه عمر بن الخطاب ونُسِب إلى عمر بن عبد العزيز أو بالعكس في شأن لباسهم وكنائسهم ومعاملتهم. فحَسْبَ الأب أبونا تفسَّر كثرة العهود المحفوظة في الكنائس الشرقية بتذرع المسيحيون بعهود خيالية يستنبطونها للذود عن كيانهم والحفاظ على دينهم وتقاليدهم". هذا، ولا ينبغى أن ننسى أن القوم الذين يسخّمون الأوراق بهذا الكلام هم فى الواقع إما معاتيه وإما كذابون مدلسون. لقد طنطن أندراوس فى مقال آخر له بأن ألفرد بتلر المستشرق الإنجليزى وسميكة باشا مدير مصلحة الآثار بمصر فى ثلاثينات القرن الماضى قد شهدا بصحة طيران جبل المقطم، مع أن كل ما قاله بتلر فى كتابه عن الكنائس القبطية القديمة فى مصر: "The Ancient Coptic Churches of Egypt" هو أنها مجرد شائعات ترددها الأجيال دون تمحيص، كما وصفها هو نفسه مرارا بأنها أسطورة، وهو ما حرفه مترجم الكتاب الأمين المحترم واصفا إياها بأنها "قصة" بدلا من "أسطورة"، مع تجاهله لكلمة "شائعات"، وبالمثل أقر سميكة بأن القصة كلها ليست إلا خرافة من الخرافات وأنه لا يصدّق منها شيئا على الإطلاق، وكتب هذا فى "الأهرام" المصرية بتاريخ العشرين من أغسطس سنة ١٩٣١م.

ثم ماذا فى القرآن من عقائد نسطورس هذا؟ إلى القارئ ما قالته "دائرة

المعارف الكتابية" عن عقيدة نسطورس، الذى يدعى الكندى أن سرجيوس كان على مذهبه: "بدعة نسطوريوس بطريرك القسطنطينية بين عامي ٤٢٨- ٤٣١، في الصلة القائمة بين اللاهوت والناسوت في يسوع المسيح، فبدل أن يَنْسُب إلى أقنوم الكلمة المتجسّد الواحد الطبيعةَ الإلهيةَ والطبيعةَ البشريّةَ، وبالتالي خواصّ هاتين الطبيعتين وأعمالهما، قال بأنّ المسيح مكوّن من شخصين: شخص إلهيّ هو الكلمة، وشخص بشريّ هو يسوع. لم يكن هناك في نظره اتّحاد بين طبيعة بشريّة وأقنوم إلهيّ، بل مجرّد صلة بين شخص بشريّ واللاهوت. فكان يرفض كلّ مشاركة في الخواصّ ويأبى أن يطلق على مريم لقب "والدة الإله". ذلك بأنه حسب اعتقادِهِ قد وَلَدَتِ الإنسان فقط. شجب مجمع أفسس في ٤٣١ مذهب النسطوريّة وثبّت في الوقت نفسه لقب "والدة الإله"، كما نفى نسطوريوسّ وأعلن هراطقةً جميعَ أتباعِهِ. انتشرت البدعة النسطورية في بلاد فارس، الهند، الصين ومنغوليا، وذلك بتأسيس الكنيسة النسطوريّة". ثم إلى القارئ أيضا هذين المقالين الآخرين عن الرجل ونحلته أنقلهما من "الثيوبيديا: Theopedia":

"Nestorius (c. 386 - c. 451) was Patriarch of Constantinople from 10 April 428 to 22 June 431. He received his clerical training as a pupil of Theodore of Mopsuestia in Antioch and gained a reputation for his sermons that led to his enthronement by Theodosius II as Patriarch following the death of Sisinius I in 428 A. D. Nestorius is considered to be the originator of the Christological heresy known as Nestorianism, which emerged when he began preaching against the new title

Theotokos or Mother of God, beginning to be used of the Virgin Mary. His immediate antagonist was Cyril, bishop of Alexandria. Although Nestorius did deny theVirgin birth of Jesus, he did not in fact maintain the heresy which bears his name ".

"Nestorianism is basically the doctrine that Jesusexisted as two persons, the man Jesus and the divine Son of God, rather than as a unified person. This doctrine is identified with Nestorius (c. 386-451), Patriarch of Constantinople, although he himself denied holding this belief. This view of Christ was condemned at the Council of Ephesusin 431, and the conflict over this view led to the Nestorian schism, separating the Assyrian Church of the East from the Byzantine Church. The motivation for this view was an aversion to the idea that "God" suffered and died on the cross, be it the divinity itself, the Trinity, or one of the persons of the Trinity. Thus, they would say, Jesus the perfect man suffered and died, not the divine second person of the Trinity, for such is an impossible thought -- hence the inference that two " persons " essentially inhabited the one body of Jesus. Nestorius himself argued against calling Mary the " Mother of God " (Theotokos) as the

church was beginning to do. He held that Mary was the mother of Christ only in respect to His humanity. The council at Ephesus (431) accused Nestorius of the heresy of teaching " two persons " in Christ and insisted that Theotokos was an appropriate title for Mary. The problem with Nestorianism is that it threatens the atonement. If Jesus is two persons, then which one died on the cross? If it was the " human person " then the atonement is not of divine quality and thereby insufficient to cleanse us of our sins ".

فهذه عقيدة نسطورس ، وهى نفسها ما يقول به النصارى المثلثون ، اللهم إلا فيما يتعلق بالصلة بين الناسوت واللاهوت فى المسيح: هل هما متحدان أو منفصلان؟ أما فيما عدا هذا فكلامه فى التثليث والخطيئة والصلب هو تقريبا ما يقوله سائر النصارى المثلثين ، والقرآن (كما هو معروف) حملة مدمدمة على عقائد التثليث والخطيئة والموت على الصليب ، والرهبانية فوق البيعة ، فكيف يقال إن محمدا قد تأثر خُطًا سرجيوس النسطورى؟ قد يقول الكندى إن القرآن فى البداية كان يتبع عقيدة سرجيوس أو نسطوريوس ، ثم غُيِّر وبُدِّل . إلا أن هذا كلام من تعودوا على تحريف كتبهم ، فهم يظنون أن المسلمين يسيرون على ذات الوتيرة . أيًا ما يكن الحال ، فأين القرآن القديم؟ أثمة نسخة منه يمكنكم أن تُرُوها لنا؟ أهناك رواية عن مسلم أو نصرانى أو يهودى أو وثنى أو عابد بقر أو حجر أو فرج أو ذكر تذكر شيئا من آيات ذلك الكتاب الأول؟ أم تراكم تظنون أن افتراءاتكم يمكن أن تقنع أىَّ ذى عقل؟ لكن العلم ، والحمد لله ، لا يقبل

مثل ذلك الأسلوب! أما ما يقوله عن التلاعب فى القرآن وعبث أبى بكر وعمر وعلى والحجاج فيه فهو كلام شخص بلغت به البلاهة أن يحسب الناس جميعا بُلْهًا مثله! لو كان الأمر كما يقول هذا الأحمق لاحتفظ كل حزب بما يدين الآخر. فهَبْ أن أبا بكر وعمر وعثمان قد تلاعبوا بالقرآن لمصلحتهم وللإساءة إلى حق على بن أبى طالب، فلماذا لم يُعِدْ علىٌّ الأمور إلى نصابها الأول؟ وإذا كان الأمويون قد تلاعبوا بالقرآن لمصلحتهم وللإساءة إلى العلويين، فهل كان هوى المسلمين جميعا مع الأمويين؟ يقينًا لقد كان هناك مَنْ هواهم مع خصومهم، فلماذا لم يأتونا بالنسخة الأصلية التى تخلو من التلاعب حذفًا وزيادة؟ ثم أين فى القرآن يا ترى تلك النصوص التى تحابى الأمويين إذا كانوا قد عبثوا بالقرآن؟ بل أين ذلك فى السيرة النبوية نفسها، وهى (كما نعرف) ليس لها شىء من القداسة التى للقرآن؟ ولقد جاء العباسيون بعد الأمويين، فلماذا لم يفضحوا ما صنعه الأمويون بالقرآن؟ وحتى لو قام الفريق المتلاعب بكتاب الله بالتخلص من النسخ المخالفة التى تحت يده، فكيف يتخيل متخيل أن من الممكن لأى شخص بالغة ما بلغت سطوته أن يتتبع جميع النسخ المخالفة لما يريد فيدمرها كلها فى أرجاء العالم الإسلامى نسخة نسخة، ويمحو فوق هذا ما كان محفوظا فى صدور الأفراد فردًا فردًا؟ لكننا ننظر فلا نجد إلا سورة يتيمة هى سورة "النورين" (أو "الولاية" فى رواية أخرى)، حاول فيها مدلسها فى عصر متأخر جدا أن يقلد القرآن الكريم. ولقد وضعتُ هذه السورة المزيفة على محك التحليل الأسلوبى والمضمونى، فإذا ببصمات السورة تصرخ بملء فمها أنها ليست من القرآن فى شىء، وأن القرآن ليس منها فى شىء ولا حتى فى جملة واحدة. وبالمناسبة فعلماء الشيعة ينكرون أن يكون القرآن قد زِيدَ فيه أو نُقِصَ منه. وحتى لو اتهمهم متهمٌ بأنهم يمارسون التقية، فهذه

حجة للقرآن لا عليه ، لأن الشخص الصادق لا يلجأ إلى هذا السلاح الذى لا يليق إلا بالمتآمرين لا بأصحاب القضايا المستقيمة الواضحة ، وبخاصة أن الشيعة اليوم فى أقصى درجات اطمئنانهم وثقتهم بأنفسهم ، ولا داعى من ثم لاتخاذهم هذا الموقف المريب . ومن يُرِدْ أن يرى ما كتبناه فى هذا الموضوع يمكنه الرجوع إلى كتابى: "سورة النورين التى يزعم فريق من الشيعة أنها من القرآن- دراسة أسلوبية تحليلية" فى موقعى: "http://awad.phpnet.us" . وحتى أزيد كلامى وضوحا أنبه إلى أن التاريخ قد احتفظ لنا بعدد غير قليل من الأناجيل المعتمَدة وغير المعتمَدة رغم كل الحظر الذى مارسته الكنائس على الأناجيل التى لا تعترف بها . بل إن بين الأناجيل الرسمية المقبولة عند الكنيسة كثيرا من الاختلافات . فكيف لم يحدث مثل هذا أو ذاك بالنسبة للقرآن الكريم ويصل إلينا قرآنات مختلفة بنفس الطريقة؟

وبمناسبة ما قاله الكندى عن التأثير النسطورى على رسول الإسلام أود أن أشير هنا إلى ما كان كتبه الكاتب الأمريكى واشنطن إرفنج فى كتابه: "Mahomet and His Successors" (طبعة: The University of Wisconsin Press, 1970, PP. 100- 101) من أن النجاشى لم يرجع المسلمين إلى قريش بل بسط عليهم ظل حمايته لأنه كان نسطوريا فلم يجد فيما قاله القرآن عن السيد المسيح ما يخالف عقيدته . وهو كلام لا معنى له كما بينت فى كتابى: "مصدر القرآن- دراسة فى شبهات المستشرقين والمبشرين حول الوحى المحمدى" (مكتبة زهراء الشرق/ ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م/ ٢٨- ٢٩ بالهامش) ، وإلا فإذا كان ما يقوله إرفنج صحيحا فلم هاج القساوسة الأحباش فى المجلس الذى عقده ذلك العاهل الكريم للاستماع إلى عقيدة المسلمين اللاجئين إلى بلاده عندما آمن على ما تلَوْه عليه من قرآن؟

كما أن النساطرة، حسبما جاء فى معجم " Hook's Church Dictionary " يعتقدون أن المسيح شخصان أحدهما إلهى هو ابن الله، فأين هذا مما تلاه جعفر بن أبى طالب على النجاشى فى ذلك المجلس من آيات سورة "مريم" التى تنص على أنه "ابن مريم" وأنه "عبد الله" وأن الله قد جعله "نبيًا"... إلخ؟ أما التفسير الصحيح فهو أن النجاشى قد أسلم، إذ وجد أن ما يقوله القرآن فى المسيح عليه السلام هو ما يتفق مع المنطق والعقل وما يجب لله سبحانه من توحيد وتنزيه عن الشريك والتجسيد. وقد أقر بإسلام النجاشى كل المستشرقين الذين كتبوا فى السيرة المحمدية، ومنهم على سبيل المثال الكاتبان الفرنسيان Dezobry & Bachelet، صاحبا معجم " Dictionnaire de Biographie, d'Histoire, des Antiquités et des Institutions "، فى المادة التى خصصاها لرسول الله صلى الله عليه وسلم (Librairie Ch. Delagrave, Paris, 1883, T. 2, P. 1683). بيد أن إرفنج لا يحب أن يذكر هذه الحقيقة، فلذلك يلجأ إلى هذا السلاح المفلول الذى يستعين به المبشرون الضيقو العَطَن والذين يسمحون لتعصبهم الأعمى أن يطغى على عقولهم وعلى ضمائرهم فيكْذبون ويتهمون سيد الأنبياء بما يعلمون هم قبل غيرهم أنه عليه الصلاة والسلام منه براء! كذلك لو كان النساطرة قد وقفوا إلى جانب النبى فلم كل هذا الهجوم والسفالة من جانب هذا النسطورى الخنزير صاحب الرسالة التى بين أيدينا؟ ولم وقف النساطرة إلى جانب التتار وحرّضوهم على غزو العالم الإسلامى مستغلين نفوذهم فى البلاط التتارى فى هذا التحريض الذى كان من نتيجته أن اتجه الغزو المغولى إلى العالم العربى والإسلامى بدلا من اتجاهه إلى أوربا كما كان مخططا له أوّلاً حسبما هو معروف لدارسى التاريخ؟ (انظر محمد على الغتيت/ الغرب والشرق من الحروب الصليبية إلى حرب السويس/

مج ٧٦/ ٧١- ٧٤) . ولقد وضعوا أيديهم فى أيدى النصارى الكاثوليك فى أوربا من أجل تحقيق هذا الهدف ، وهو ما يدل على صدق ما قلناه قبلا من أنه لا فرق ذا بال بين النساطرة وسائر النصارى المثلثين ، وأن كل ما زعمه الكندى هو كذب رخيص لا قيمة له فى دنيا العلم والتحقيق .

١٧- ونصل إلى دعواه بأن القرآن هو كلام الرسول ، وهنا أذكر أن لى كتابا كبيرا من ستمائة صفحة يبتُّ فيه بالدراسة الأسلوبية الإحصائية أن القرآن شىء ، وأحاديث الرسول شىء آخر ، وهذا الكتاب موجود بذات الموقع الذى أشرت إليه من قبل ، وهو: "http://awad.phpnet.us" . وهناك أيضا كتابى: "مصدر القرآن- دراسة المستشرقين والمبشرين حول الوحى المحمدى"، الذى ناقشت فيه كل النظريات التى يطرحها هذان الفريقان تفسيرا للوحى القرآنى من أنه عليه السلام كاذب مخادع ، أو واهم مخدوع فى حقيقة أمره ، أو مريض بمرض عصبى كالصرع والهلاوس والهستيريا . وتتبعت فوق ذلك كل الأشخاص الذين زعم المستشرقون والمبشرون المفترون الكذابون أنهم هم الذين علموا محمدا ، فوجدت أنهم إما آمنوا به ، أو إذا كانوا قد ماتوا قبل نزول الوحى على سيدنا رسول الله فقد آمن به أولادهم وأقاربهم . وحتى فى حالة أمية بن أبى الصلت وأبى عامر الراهب نجد أنه قد آمن بالرسول الكريم أخت أمية وأولاده وكل أفراد قبيلته ، وحنظلة ابن أبى عامر ، الذى عادى أباه أشد معاداة ، واستُشْهِد فى معركة أحد ، فى الوقت الذى وقف أبوه فيها إلى جانب المشركين وحفر الحُفَر لإيقاع خيول المسلمين أثناء القتال . ليس ذلك فقط ، بل إن أحدا من هؤلاء الذين اتُّهِم محمد بأنه أخذ قرآنه منهم او تعلم على أيديهم لم تُؤْثَر عنه آية كلمة يمكن أن يُفْهَم منها شىء من هذا . فكيف تواتى ذلك المخبولَ نفسُه للكلام بلسان من لم ينبيوه عنهم فى اتهام محمد بأنه أخذ القرآن منهم؟ هل

أنابه نسطورس مثلا؟ طبعا لا ، فما معنى ذلك إذن؟ كذلك حللتُ فى الكتاب المذكور المضمون القرآنى فوجدت أن الروح التى تسود القرآن لا يمكن أن تكون روحا بشرية ، وقدّمت البراهين على ذلك . ثم إن النبوءات التى يتضمنها كتاب الله قد تحققت كلها ، فضلا عن أن الإشارات العلمية التى تعرّض لها تنسجم مع المقطوع به من حقائق العلم بعد أن تقدم فى عصرنا هذا خطوات هائلة ، وأن العقائد والأخلاق والتشريعات التى يدعو إليها تختلف مع ما فى الأديان الأخرى بما لا يمكن اتهامه معه بأنه أخذ دينه منها . وهذا الكتاب يقع فى نحو ثلاثمائة وخمسين صفحة ، وهو متاح أيضا فى ذات الموقع السابق: "http://awad.phpnet.us". ثم إن المسألة لا تحتاج إلى كتابى هذا أو ذاك ، فأى شخص يتمتع بشىء من الفهم والتمييز يستطيع فى التو واللحظة أن يقول بكل يقين إن القرآن وكلام الرسول شيئان مختلفان تمام الاختلاف فى الأسلوب والروح رغم اتفاقهما فى المضمون العقيدى والأخلاقى والتشريعى بطبيعة الحال . أما فى الروح والأسلوب فها هنا إله يتحدث ، أما هناك فرسول يتكلم ، ولا يمكن الخلط بين الكلامين إلا لمن فى قلبه مرض ، ومثل هذا الشخص المريض القلب لا يقاس عليه ولا يؤخذ ما يقول مأخذ الجِدّ . يقول الكلب الكندى إن محمدا (الذى يصفه ذلك الكلب بـ"صاحبك الأعرابي الجِلْف") قد ضحك على البدو المتخلفين بأسجاعه التى سماها: "قرآنا". ونحن بدورنا نسأل: وكيف يا ترى ضحك على الفُرْس الذين لم يكونوا بدوا متخلفين؟ أو على أهل الشام؟ أو المصريين؟ أو الترك؟ أو الهنود؟ أو الصينيين؟ أو الأندونيسيين؟ أو الأوربيين والأمريكان الذين يدخلون كل يوم فى عصرنا هذا فى دينه ويؤمنون بقرآنه؟ أو القساوسة والرهبان والأحبار الذين تركوا كتابهم المقدس كله إلى دينه وتوحيده على مدى كل تلك العصور؟ وهذا لو أن البدو قد آمنوا بسهولة

كما يزعم الكذاب! ذلك أن الذين آمنوا به فى أول الأمر إنما هم أهل مكة ثم أهل يثرب، وهؤلاء وأولئك حضريون لا بداة. فما رأى ذلك الكذاب؟ ثم لو كان أتباع محمد عليه السلام بهذه السذاجة وذلك التغفيل على النحو الذى يزعمه ذلك الغبى أفكانوا يستطيعون فتح البلاد بامتداد الكرة الأرضية ويقيمون فى غضون بضعة عقود من السنين إمبراطورية عظيمة الشأن تشع بالعلم والأدب والإبداع الفكرى والأخوّة الإنسانية والتضامن الاجتماعى والنشاط الاقتصادى، وتحترم الأديان الأخرى وحرية معتنقيها، ولا تعرف ذلك النوع من التعصب الدينى المقيت الذى لا يطيق التعايش مع الآخر بل يسعى إلى القضاء عليه مما كان منتشرا بين النصارى أنفسهم آنذاك؟

١٨- ومن تنطع ذلك الكذاب زعمه أنه اطلع على مصحف لمسيلمة الكذاب يضارع القرآن بل يتفوق عليه، وهذا كلامه بنصه: "وأشهد أني قرأت مصحفًا لمسيلمة لو ظهر لأصحابك لردّ أكثرهم، إلا أنه لم يتهيأ لهؤلاء أنصارٌ مثلما تهيّأ لصاحبك". ولا أدرى عن أى مصحف يتحدث هذا الكذاب، أو كيف وصل إليه هو وحده ذلك المصحف دون خلق الله جميعا، ودون العرب بخاصة. أرأيت أيها القارئ الكريم كيف يلجأ هؤلاء القوم إلى سلاح الكذب والافتراء؟ وهل ما بلغنا من كلام مسيلمة يسمى مصحفا؟ وهل حقٌّ أن ذلك الكلام لو كان وصل إلى أصحاب النبى لحوّلهم عن الإسلام؟ فقد وصلهم إذن هذا الكلام وعلق عليه أبو بكر متعجبا من سخفه بقوله لوفد أهل اليمامة إليه بعد إيقاع خالد بالمتنبئ الكذاب وقضائه عليه: ما كان يقول صاحبكم؟ قالوا: أعفِنا يا خليفة رسول الله ؛. قال: لا بد أن تقولوا. قالوا: كان يقول: يا ضفدع، كم تنقين! لا الشراب تمنعين، ولا الماء تكدرين. لنا نصف الأرض ولقريش نصفها، ولكنْ قريش قوم لا يعدلون. فقال لهم أبو بكر: وحيكم! ما خرج هذا من إلٍّ ولا برّ، فأين

ذُهِب بكم؟"، كما تهكم به الأحنف بن قيس قائلا إنه "ليس بنبي صادق ولا متنبئ حاذق"، وقال فيه ثمامة بن النعمان:

دعانا إلى ترك الديانة والهدى ::: مسيلمة الكذاب إذ جاء يسجعُ
فيا عجبا من معشرٍ قد تابعوا ::: له في سبيل الغيّ، والغي أشنعُ

وهذه مجرد أمثلة قليلة، وإلا فهناك غيرها كثيرٌ جدُّ كثيرٍ، وهو ما يشي باحتقار المسلمين لمسيلمة و"مصحفه" احتقارا هائلا. ثم من يا ترى الذين قتلوا مسيلمة؟ أليسوا مسلمين سمعوا ما فى "مصحفه" فكفّروه وقتلوه، ولم يتأثروا به كما زعم الكندى الكذاب أنهم فاعلون لو سمعوه؟ ثم أليس ينبغى أن يكون قتله برهانا كافيا عند الكذاب على أنه مدلس مثله وأنه من ثم من طينة غير الطينة التى منها محمد عليه السلام؟ أليس هذا هو المقياس الذى يقيس به الكندى صدقَ الأنبياء أو كذبَهم؟ ولقد كذّب مسيلمة نفسه وكذّب أيضا هذا الكذابَ الحقيرَ حين عرض على النبى أن يقتسما الأرض بينهما، بما يدل على أنه يعترف بنبوة النبى، وأن كل ما كان يريده هو اعتراف النبى به بدوره، وهو ما حَرَمه منه النبيُّ، لأنه نبى صادق، وليس مثل مسيلمة الكذاب يريد أن يكون نبيا والسلام! كما أن شريكته فى هذا الهراء، وهى النبية الكاذبة سجاح، قد تخلت عنه ورجعت إلى الإسلام، فكذّبت بذلك نفسها وشريكها الأحمق الذى أورد نفسه موارد التلف والهلاك فى الدنيا وموارد الجحيم فى الدار الآخرة! أوبعد ذلك كله ما زال الكندى الكذاب يقول إن عنده مصحفا لمسيلمة لو اطلع عليه أصحاب محمد لبدلهم تبديلا؟

وعلى أى حال لا بأس أن نرفه عن أنفسنا وعن القراء بإيراد قصة مسيلمة وسجاح، التى تنبأت كما تنبأ، ثم رجعت إلى رشدها وفاءت إلى الإسلام. قال أبو هلال العسكرى فى كتابه: "الأوائل": "أول امرأة تَنَبّتْ

سجاح بنت سويد بن خالد: أخبرنا أبو أحمد عن رجل نسيت اسمه قال: قال عمر بن بكير عن هشام بن الكلبي عن عوانة أو غيره قال: كان من حديث سجاح بنت سويد بن خالد بن أسامة بن العنبر بن يربوع التميمية، وتُكْنَى: أمّ صادر، وأخوها عتبان، وكانوا من بني تغلب، فلما قُبِض النبي صلى الله عليه وسلم، واستخلف أبو بكر، وكانت الردة، نبثت سجاح وخرجت من بني تغلب، فتبعها أناس كثيرون من النمر بن قاسط وإياد، ومن بني تغلب الهذيل بن عمران، فخرجت تسير بهم إلى بلاد بني تميم، فلقيها بنو حنظلة فقالت: أنا امرأة منكم، والملك ملككم، وقد بُعِثْتُ نبية. قالوا: مُرِينا. قالت: إن رب السماء والتراب، يأمركم أن توجهوا الركاب، وتستعدوا للنهاب، ثم تغيروا على الرباب، فليس دونهم حجاب. فسارت بنو حنظلة إلى بني ضبة، وهم من الرباب، وسارت سجاح ومن معها من بني تغلب والنمر بن قاسط إلى حفر التيم، وعليه من الرباب بنو عدي وثور. فأما بنو حنظلة فلَقُوا بني ضبة فهزمتهم، ولقيت سجاح ومن معها تيما وعديا وثورا فقاتلوهم قتالاً شديدًا. وجاءتهم وفود بني تغلب والنمر وإياد، وأرسلت بنو ضبة يطلبون إلى حنظلة أن يُودُوا قتلاهم ويصالحوهم، فقالت: لا تعجلوا على الرباب، فإنهم يحثّون نحوكم الصعاب. ثم قالت: عليكم باليمامة، فإنها دار إقامة، تلقى أبا ثمامة، فإن كان نبيا ففي النبي علامة، وإن كان كذوبا فله ولقومه الندامة، ولا يلحقكم بَعْدُ ملامة. فخرجوا نحوها، ومعها عطارد بن حاجب بن زرارة بن عدس بن زيد وعمرو بن أهتم والأقرع بن حابس وشبيب بن ربعي، وهو مؤذنها، فساروا حتى نزلوا الصمان. فبلغ ذلك مسيلمة الكذاب، وكان قد تنبأ، فتجسس أهل اليمامة لها، فقال مسيلمة: دعوني ورأيي. فأهدى لها وكتب إليها أن موعدنا يوم كذا نلتقي فيه ونتدارس. فإن كان الحق بيدك بايعناك، وإن كان في أيدينا بايعتنا.

فخرجت في أربعين ، فلما جلسوا أحصاهم ثم قال: ليقم من ها هنا عشرة ، ومن ها هنا عشرة ، ومن ها هنا عشرة ، ومن ها هنا عشرة ، حتى ننظر من صاحب الأمر . فقاموا ، فقال مسيلمة لغلامه: عَثِّنْ لها لتذكر الباه (والعثان: الدخان) ، أي بَخِّرْ لها بشيء من الطيب . فقال مسيلمة: لنا نصف الأرض ، ولقريش نصفها ، ولكن قريشا لا يعدلون . رحم الله من سمع ، ومازال أمره في كل ما شاء مجتمع ، وأطمع في الخير فطمع . أراكم الله محياكم ، ومن رجز خلاكم ، ويوم القيامة نجّاكم . علينا صلوات من معشر أبرار ، لا أشقياء ولا فجار ، يصلون بالليل ويصومون بالنهار ، ولربهم الكبار ، رب النور والأمطار ، ولما رأيت وجوههم حسنت ، وأبشارهم صفت ، وأيديهم انبسطت ، النساءَ يأتون ، والخمرَ يشربون . أنتم معشر الأبرار ، سبحان ربي كيف يَحْيَوْن ، وإلى رب السماء يَرقَوْن ، لو أنها حبة من خردلة في جندلة لقام عليها شهيد يعلم ما في الصدور ، أكثر الناس يومئذ المبثور . قالت: أشهد أنك نبي . وآمنتْ به ، فقال: إنكن معشر النساء خُلِقْتُنَّ لنا أفراجا ، وخُلِقْنا لكم أزواجا ، فإذا ملكناكن أرتجن لنا إرتاجا ، فنولجه فيكن إيلاجا ، فتخرجن أولادا إنتاجا . قالت: صدقت . ثم قال:

ألا قومي إلى البيت ::: فقد هُيِّي لك المضجعْ
فإن شئتِ بثلثيه ::: وإن شئتِ به أجمع
وإن شئتِ سلقناك ::: وإن شئتِ على أربع

قالت: بذلك أوحِيَ إليّ . قال: هل لك أن تزوجيني نفسك ، فيكون الملك بيننا ، ونخفف من عشيرتنا؟ قالت: نعم . فتزوجها وانطلق إلى اليمامة ، وتركت الجمع الذي كان معها بالصمان ، ورفع مسيلمة عن بني تميم صلاة الغداة والظهر والعشاء ، وقال: إن بني تميم لقاح لا أتاوة عليهم (يعني الخراج) . فعامة بني تميم لا يصلون هذه الصلوات إلى اليوم ، فلم تزل عند

مسيلمة إلى أن قُتِل ، فهربت فلم توجد ، ثم أسلمت فتزوجها رجل من قومها ، فولدت له ثلاثة وماتت بالبصرة . قالوا: ولما وقع عليها مسيلمة خرجت إلى قومها وهي تَنْطُف عرقا . قالوا: ما عندك؟ قالت: وجدتُه أحق بالأمر مني فبايعته وزوجته نفسي . قالوا: ومثلك لا يتزوج بغير مهر؟ فقال مسيلمة: جعلت مهرها أن رفعتُ عنكم صلاة الغداة والعتمة ، فقد أُوحِيَ إليّ بذلك . قالوا: وما هو؟ قال: ضفدع بنت ضفدعين رأسك في الماء ورجلك في الطين ، لا ماء تكدرين ، ولا شارب تنفضين ، سجاح بنت الأكرمين ، قومي ادخلي التيطون ، فقد وضعنا عن قومك صلاة المعتمين ، فرَضُوا . فلما عرف قومها حالها قال عطارد بن حاجب بن زرارة:

أضحت نبيتنا أنثى يطاف بها ::: وأصبحت أنبياء الناس ذكرانا
فلعنة الله رب الناس كلهم ::: على سجاح ومن بالإفك أغوانا
أعني مسيلمة الكذاب لا سقيت ::: أصداؤه غيث مزن حيثما كانا "

١٨- ومما يتعرض له الكندى الأحمق مسألة إعجاز القرآن ، الذى يسخر من قوله تعالى بشأنه: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٨] ، والذى يروح فى مناقشته مناقشة نظرية ساذجة كتلك التى راح فيها عند كلامه عن ألوان الشرائع كما رأينا قبل قليل ، إذ يقول: " فأخبرني ، أصلحك الله ، عن قول صاحبك: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٨] . أفتقول: أفصح ألفاظًا منه؟ فجوابنا لك في هذا: نعم . أفصح منه كلام اليونانية عند الروم ، والزوبة عند أهل فارس ، والسريانية عند أهل الرها والسريانيين ، وعبرانية بيت المقدس عند العبرانيين ، فإن كل لسان له كلام فصيح عند أهله من سائر الألسن ، ولهم ألفاظ فصيحة يتخاطبون بها ، وهي عندك كلها أعجمية . كما

أن لسانك العربي الفصيح أعجمي عندهم . هذا إذا أطلقنا قولك إن كتابك أفصح ألفاظًا بالعربية ، فصاحب فصاحة الألفاظ هو الذي لا يحتاج إلى استعارة ألفاظ غيره ، ولا يستعين بها في خُطَبه وكلامه ، بل يكون مستغنيًا بمعرفته وفصاحته عن لسان غيره . ونحن نرى صاحبك قد افتقر في كتابه إلى استعمال كلمات غيره ، وهو القائل: إنا أنزلناه قرآنًا عربيًا ، ولكنه استعان من الفارسيّة بـ"الإستبرق وسندس وأباريق ونمارق" ، ومن الحبشيّة "المشكاة" وهي الكُوّة ، ومثل هذا كثير قد استعمله في كتابه ، فنقول إن العربية ضاقت عليه فلم يكن فيها من الاتساع ما ألجأه إلى لسان غيره في هذه الأشياء ، سيما وأنت ترى أنها مُنزَّلة من عند رب العالمين على يد جبريل الملك الأمين . فأنت تُوقع النقص بالمرسِل أو بالرسول . فإن كان من عند صاحبك فوقع النقص به لأنه لم يكن يعرف هذه الأسماء بالعربية ، فلذلك أعجزته . فهذه ألفاظ امرئ القيس وغيره من الشعراء والفصحاء المتقدمين والمتأخرين الذين لا يُحصَى عددهم ، وكلام الخطباء والبلغاء الذين كانوا قبل مجيء صاحبك أفصح ألفاظًا منه وأرقّ وأدقّ معان بإقراره لأهلها حيث حاجّوه فقطعوه فقال: ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف: ٥٨] لأنهم خصموه فكانوا خصمًا بأصحّ حجة ، وكانوا أبلغ في الخطابة منه ، وهو القائل إن من البيان لسحرًا . فلا يخلو إذًا أمر هذا الكتاب مما وُضِع فيه من الألفاظ الأعجمية من أن يكون قد ضاق على صاحبك اللسان العربي ، مع علمنا أن لساننا العربي أوسع الألسن كلها . أو أن يكون قد أُدْخِلَتْ فيه الزيادة من قوم آخرين ، كما ذكرنا لك في أصل خبره ، وأن الأيادي الكثيرة قد تداولته . فأخبرني أيّ القولين أحببت ، فإنه لا محيص لك من أن تقول بأحدهما ، وأنت عارف بنتيجة ذلك إذا قلتَه . فإن قلتَ إنهم لا يقدرون أن يأتوا بمثل تنضيده وترصيعه ، قلنا لك إن تنضيد الشعراء لشعرهم ووزنهم له الوزن الصحيح الذي هو أصعب

وأدق معنى ، واختيار الألفاظ النقية الصافية العربية الخالصة مع اتساق المعنى الحسن أكمل في الأحكام وأصح في الصنعة ، لأن كتابك كله سجعٌ منكسر وكلام مختلف وتكبير معانٍ لا معنى لها . فإن قلتَ: بل هو أصح معاني ، سألناك: أي معنى جديد ظفرت به فيه تتعلمه منك؟ وأي معنى صحيح وجدته فيه ، فأوقفنا عليه! وأي خبرٍ لم نسمعه على غاية التمام والكمال من الشرح والصحة في الكتب المتقدمة ، أفِدْنا منه".

وردنا على ذلك كله يتلخص فى كلمة واحدة هى أن القرآن لا مثيل له فعلا فى تحريك الهمم الخامدة وإحياء النفوس الميتة ، فها هم أولاء العرب بعد أن جاءهم القرآن وآمنوا به قد تغيروا من حال إلى حال أخرى غير التى كانوا عليها ، فأَضْحَوْا سادة وأصحاب إمبراطورية فى غضون عدة عقود من السنين قلائل بعد أن كانوا أمة متخلفة فى كل مناحى الحياة ، وهو ما لم يحدث من قبل ولا من بعد . وهم حين فعلوا ذلك لم يفعلوه فى مواجهة أمم متخلفة مثلهم بَلْهَ أقلَّ منهم ، بل مع أمم ذات حضارة وتاريخ وعلوم ونظام إدراى وعسكرى وسياسى ليس لهم منه قليل ولا كثير ، وأكثر عددًا وأقوى عُدَّةً منهم بما لا يقاس . وما زال دينهم قائما فى نفوس أهل تلك البلاد حتى الآن ، وكذلك لغتهم وتاريخهم . بل إن من أهل تلك البلاد من تفوق على العرب الأصلاء فى معرفة العربية والإبداع بها ، وفى دراسة الإسلام والتعمق فيه . فهذا ما لم يستطعه كتاب آخر قبل القرآن ولا بعد القرآن ، وهذا هو إعجازه أولا وقبل كل شىء . أما قوله إن العرب قد خَصَمُوا النبى ، أى انتصروا عليه ، فلا أدرى كيف تواتى هذا الكذابَ نفسُه لقول ذلك ، والعرب جميعا قد انتهى أمرهم معه عليه الصلاة والسلام بالخضوع التام له بعقولهم وقلوبهم وضمائرهم ، وفى عاداتهم وتقاليدهم وسلوكهم وأذواقهم ، بما يعنى أنه هو الذى انتصر عليهم كلهم . أما كلام صاحبنا فلا

معنى له إلا أن الرسول عندما مات قد مات معه دينه لفشله فى أن يقنع قومه بنبوته، وهذا لا يقول به إلا رقيع سخيف العقل! والعجيب أنه قال قبل هذا إنه عليه السلام قد ضحك على العرب وأقنعهم بنبوته لأنهم قوم سذّج، فلماذا عاد فقال إنهم قد خصموه، أى حاجوه وهزموه ولم يقتنعوا بدينه؟ إنه هنا يذكرنى بطه حسين، الذى رفض الشعر الجاهلى وأنكر صحته لأنه لا يعكس الرقى العقلى الذى يشير إليه القرآن حسب زعمه حين وصفهم بأنهم قوم خَصِمون، ثم حين أراد أن ينكر الخطابة الجاهلية أيضا لجأ إلى حجة مضادة قائلا إنهم كانوا من التخلف الفكرى بحيث لا يمكنهم الخطابة. فهذا من هذا، وهو ما يدل على أن أعداء محمد ينزعون عن قوس واحدة! ثم إن الخَصِم لا يعنى من ينتصر عليك بالحجة والفصاحة، بل من يظل يجادلك ولا يقبل التسليم برأى غير الذى يراه مهما تتابعت البراهين على سخف ما يرى وحماقة ما يقول. كما أن كلمة "قومٌ خَصِمون" إنما يراد بها هنا سفلة العرب ومتعصبتهم غلف القلوب، وإلا فلدينا علىٌّ وزيدٌ وأُبَىٌّ وسعدُ بن أبى وقاص وسعدُ بن معاذ وأبو موسى الأشعرى وحمزةُ وسعيدُ بن زيد وأبو بكر وعمرُ وعثمانُ وخالدٌ وعمرُو بن العاص وخديجةُ وعائشةُ وحفصةُ وزينبُ وأم رومان... إلخ إن كان هذا من آخر! ثم إن وصفه تعالى هؤلاء الكفار المتصلبى شرايين الذهن والقلب بأنهم "قومٌ خَصِمون" هو نفسه ما تكرر مرارا فى الكتاب المقدس منسوبا إلى الله عز وجل من أن بنى إسرائيل "شعبٌ صُلْبُ الرقبة". فهل نقول كما قال الغبى المتخلف إن بنى إسرائيل أفصح منه سبحانه وأبرع فى الحجة وأصدق؟ أم ماذا؟ كذلك ينبغى، بناء على هذا، أن نقول إن اليهود قد أحرزوا انتصارًا ساحقًا مستحقًا على المسيح عند محاكمته وصلبه، ومن ثم فهو يستأهل ما جرى له لأن حجتهم هى التى انتصرت واكتسحت! أليس كذلك أيها المنافق المدلس؟

ألم تسمع بذلك القول الحكيم: "حاججتُ عالما فغلبته ، وحاججتُ جاهلا فغلبني"؟

وأما أن في القرآن ألفاظا أجنبية رغم قول القرآن عن نفسه إنه نزل بلسان عربي مبين ، فهو كلام يدل على جهل لا يليق بصاحبه أن يتصدى لمثل تلك القضايا . ذلك أنه ما من لغة في الدنيا إلا وفيها ألفاظ من لغات شتى ، فلماذا تشذ العربية عن ذلك؟ وهذه الألفاظ التي أخذتها كل لغة عن غيرها لا تنفي عنها صبغتها القومية ، وإلا ما صح أن نقول: لغة إنجليزية ، أو فرنسية ، أو عبرية ، أو فارسية . . . إلخ لأن في كل من الإنجليزية والفرنسية والفارسية والعبرية ألفاظا من لغات كثيرة منها العربية . والدليل على ما نقول فيما يخص القرآن هو أن تلك الكلمات موجودة في العربية قبل ذلك ، ومع هذا كان اسمها "اللغة العربية" ، فبأي سبب يريد هذا الجاهل أن ينفي عنها العروبية بعد مجيء الإسلام؟ والواقع أن تحديد هوية العربية لا يعتمد على الألفاظ وحدها ، بل يعتمد قبل هذا على الاتساع الهائل في معجمها اللفظي وكثرة مترادفاتها وخضوع صيغ كلماتها لقوانين دقيقة والمرونة العجيبة في تركيب جملها وعبقرية نظامها الإعرابي وحلاوة أسجاعها وجناساتها وتورياتها وموازناتها وسهولة استحداث كلماتها الجديدة اشتقاقا أو نحتا أو ترجمة أو تعريبا وحرصها على سلامة ألفاظها بحيث لا يتجاور حرفان متنافران أو تبدأ الكلمة بساكن أو يتتابع ساكنان مثلا ، فضلا عن كثرة اللغات الأجنبية التي استعارت من ألفاظها الكثير الكثير كالفارسية والتركية والأوردية والسواحلية والإسبانية والمالطية وقلة الألفاظ الأجنبية التي تتضمنها نظرا لميل أهلها إلى ترجمة المستعار الأجنبي ، أو على الأقل تعريبه ، أي إعطائه شكلا عربيا كـ"تلفاز" بدلا من "تليفزيون" مثلا . أما الاستعانة بألفاظ أعجمية فهو أمر طبيعي حين يدل هذا اللفظ على حيوان أو

نبات أو فاكهة لا تعرفها البيئة العربية كحيوان "الزَّبَّة" مثلا أو فاكهة "الباباظ" أو ثمرة "الأفوكادو"، أو اختراع سُبِق العرب إليه كـ "الأوتوموبيل"، الذى سرعان ما زال وأخلى مكانه لـ "السيارة"، و"الموتور"، الذى نسميه الآن: "المحرك"، و"الوابور"، الذى نقول عنه منذ وقت جد بعيد: "القطار" . . . وهكذا . ثم إن العرب لم يستعجم عليهم شىء فى القرآن، وإلا فكيف تجاوبوا معه وآمنوا به وجاهدوا فى سبيله وحفظوه وصانوه فى بؤبؤ عيونهم وشغاف قلوبهم؟ أما ادعاؤه بأن الشعر أفصح من القرآن فلا رد عليه أنجع من أن نقول إن الشعراء جميعا قد آمنوا بمحمد، ولم يؤمن محمد بالشعراء، وكانوا كلهم فى خدمته ينافحون عن دعوته ويجلّونه ويبجلونه ويهجمون على أعدائه يمزقونهم بألسنتهم تمزيقا . وليس هناك كتاب فى الدنيا قد أثار العقول وأنارها كما صنع القرآن، ووُضِعَت حوله الدراسات كما وُضِعت الدراسات حول القرآن، وكان سببا فى ظهور علوم كثيرة كما كان القرآن . ثم إننا نقرأ شعر الشعراء ونثر الناثرين، ونقرأ القرآن فنشعر أن هذا القرآن هو من عند الله، ولا نحس بشىء من ذلك فى قراءتنا للشعر . ثم كيف يسوّى ذلك الكاتن الحقير بين القرآن فى جلاله ونبل مبادئه وسمو معانيه وعظمة تشريعاته وبين غزل المتغزلين وعهر العاهرين وهجاء الهجائين وفحش السكيرين وفخر الفاخرين ووصف البقر والجمل والحصان والأطلال عند الوصّافين؟ ويبقى قوله إن القرآن قد زيد فيه ونُقِص، ولن أتعب قلبى فى تفنيد هذا الغثاء بأزيد من التنبيه إلى حقيقة تفقأ عين كل مكابر، وهى أن القرآن من أوله إلى آخره ماء واحد ليس بين بعضه وبعض أى تفاوت سواء من ناحية فخامة الأسلوب وجلاله أو من ناحية ألفاظه وتراكيبه وعباراته وصُوَره وإيقاعه أو من ناحية الروح الذى يرفرف عليه أو من ناحية موضوعاته ومضامينه . وأخيرا يقول الوغد إنه لو كان قد قُدِّر

لمسيلمة وطلحة وسائر الأنبياء الكذابين أصحاب كالذين أتيحوا لمحمد لكانوا قد نجحوا مثله. والسؤال: ولماذا لم يتح لهم ما أتيح لرسولنا الكريم؟ السبب ببساطة هو أنه نبى عبقرى، أما هم فأشباه رجال حقراء! والواقع أن كل ذلك العناد الكافر مبعثه أن محمدا عليه الصلاة والسلام قد أراد للبشر أن يفكروا بعقولهم وأن يخلعوا عن عقائدهم بشاعة الوثنية وأن يُخْلِصوا إيمانهم لله وحده فلا يشركوا معه واحدا من عباده الفانين؟

١٩- وهنا نرى الكندى وقد ركبته الجلالة واندمج فى الدور فأخذ يعطينا دروسا فى التوحيد، وهو الوثنى المرتكس، فقال: "وأما قولك إنه مكتوب على العرش: "لا إله إلا الله، محمد رسول الله" فلقد كثُر تعجُّبي منك. كيف أمكن أن تتصور مثل هذا أنه صحيح حتى ترويه وتكتب به إلى مثلي من أهل اليقين وصحة الانتقاد، لأنك في حكمتك لم تترك شيئًا لليهود الذين يحدّون الله ربَّهم أنه جالس على عرشٍ محدود، فلم ترض أن أجلسته على عرش محدود حتى تكتب على العرش اسمه واسم آخرٍ من خَلْقه". وقبل أن أذكر رأى أهل الحديث فى ذلك الحديث أود أن أقف بالقارئ قليلا أمام الحُمَّى التى أصابت صاحبنا عند ذكر تجسُّد الله، وكأنه من أهل التوحيد والتجريد، وليس يعبد عبدا يأكل ويشرب ويبول ويخرأ ويمرض ويقلق وينفعل ويشتم ويتفوه بألفاظ مسيئة، ثم يقول عنه إنه الله متجسدا. وعجيب أن يسخر من اليهود، وهو أشد منهم إغراقا فى التجسيد! ثم إن هذا الحديث ليس بالحديث الصحيح، بل حدد العلماء درجته بأنه "كذب موضوع". ومن ثم فلا داعى لكل تلك الضجة التى لو صح الحديث مع ذلك لما كان ثمة داع لإحداثها، لأن ما فى دين الوغد من التجسيد يربو ملايين المرات على ما فى ذلك الحديث، إن كان فيه تجسيد حقا، ولم يكن الكلام فيه رمزيا استعاريا كما هو الحال فى كثير من العبارات المشابهة كما

يعرف كل من له أدنى مُسْكة من عقل!

٢٠- ثم ينتقل بكلامه إلى موضوعات أخرى منها غسل الأيدى من أجل الصلاة الذى يسخر به ويتهكم مؤكدا أنه لا قيمة له، إذ العبرة بطهارة القلب كما فى النص الإنجيلى الذى استشهد به، وهو ما يذكرنا بكلام العوام عندنا من أن "ربك رب قلوب"، يعنون أنه لا تهمّ الصلاة ولا الصيام ولا الحج، بل المهم أن يكون الإنسان مؤمنا بالله، مع أن الصلاة والصيام والحج هى بعض من أدلة ذلك الإيمان، وإلا فكيف يكون إيمان بالله فى الوقت الذى لا يريد مُدَّعُو ذلك الإيمان أن يؤدوا الصلاة أو الصيام أو الحج له سبحانه طبقا لما أمرنا به عز وجل؟ ثم ما حكاية أن الذى ينجّس حقا ليس ما يدخل الفم والبطن، بل ما يخرج منه؟ مرة أخرى هذا الكلام هو بكلام العوام وأفكارهم أشبه، لأن الشخص الذى لا يغسل يديه قبل الطعام يكون عرضة للإصابة بالمرض تبعا لطبيعة الجرثومة أو المكروب أو الفيروس الذى يلوثهما. وكنت أتوقع أن يشدد المسيح على هذا المعنى لتجنيب البشر أمراضا كثيرة، لكن ذلك الكلام المنسوب له صلى الله عليه وسلم قد خيب أملى وظنى تخييبا شديدا، ولا أظن أبدا أن الله سبحانه يمكن أن يكلف رسولا من رسله بإشاعة مثل هذا التوجه ولا ذلك الفهم بين العباد! وقد قال المسيح ذلك طبقا لمؤلفى الأناجيل حين رأى اليهود يهتمون بغسل الأيدى قبل تناول الطعام ونبهوه إلى أنه ينبغى عليه حذو ما يفعلون. ولا يصح أن تحملنا كراهيتنا للنفاق اليهودى عند الفريسيين على العناد ورفض النظافة وغسل الأيدى من جذورها. ذلك أن نفاق الفريسيين شىء، والحرص على النظافة شىء آخر. وحتى لو كان اهتمامهم بالنظافة مبعثه التمسك الشكلى بالطقوس لقد كان أحجى بالمسيح أن يرفض نفاقهم، ولكن مع الحرص فى ذات الوقت على الاهتمام بالنظافة رغم ذلك، إذ

ليس هناك أدنى تعارض بين الأمرين . كذلك يضحكنا فى الكلام المنسوب للمسيح صلى الله عليه وسلم قوله إن التبول والتبرز يطهر الإنسان من نجاسة اللحم الممنوع ، إذ ما علاقة هذا بذاك؟ وواضح أن من كتب هذا الكلام كان يتصور أن الأكل إنما يمر من الفم إلى البطن إلى الخارج دون أن يعرج فى طريقه على مكان آخر ، وهى فكرة خاطئة تماما ، إذ الطعام لا يخرج إلى الخلاء إلا بعد أن تكون عناصره الغذائية قد امْتُصَّتْ فى الدم وخالطته وأصبحت بعد هذا جزءا لا يتجزأ من الجسم . ثم إن معظم ما عدّه المسيح (طبقا لما نسبه له مؤلفو الأناجيل) "أفكارا" ليس من الأفكار فى شىء . ترى هل الزنا فكرة؟ هل السرقة فكرة؟ هل القتل فكرة؟ إن كل شىء من هذا إنما هو سلوك لا فكرة . كما أن الأفكار من قبيل الكبر والطمع والعهارة وما إلى ذلك ، إن عددناها أفكارا ، إنما تأتى من الخارج وتغزو الداخل . ذلك أن الشهوة مثلا إنما تثور فى النفس حين يرى الإنسان امرأةً فاتنةً مِغْناجًا ، والكِبْر إنما يصيب القلب عندما يجد الشخص أمامه ناسا ضعفاء أذلاء جبناء يغرونه بالتجبر بمنصبه أو ماله عليهم . لهذا ولذلك فإننا لا نوافق على ما يقوله النص التالى: "لَمَّا دَخَلَ مِنْ عِنْدِ الْجَمْعِ إِلَى الْبَيْتِ، سَأَلَهُ تَلاَمِيذُهُ عَنِ الْمَثَلِ . فَقَالَ لَهُمْ: أَفَأَنْتُمْ أَيْضًا هكَذَا غَيْرُ فَاهِمِينَ؟ أَمَا تَفْهَمُونَ أَنَّ كُلَّ مَا يَدْخُلُ الإِنْسَانَ مِنْ خَارِجٍ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يُنَجِّسَهُ ، لأَنَّهُ لاَ يَدْخُلُ إِلَى قَلْبِهِ بَلْ إِلَى الْجَوْفِ ، ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى الْخَلاَءِ ، وَذلِكَ يُطَهِّرُ كُلَّ الأَطْعِمَةِ . ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الَّذِي يَخْرُجُ مِنَ الإِنْسَانِ ذلِكَ يُنَجِّسُ الإِنْسَانَ . لأَنَّهُ مِنَ الدَّاخِلِ ، مِنْ قُلُوبِ النَّاسِ ، تَخْرُجُ الأَفْكَارُ الشِّرِّيرَةُ: زِنىً ، فِسْقٌ ، قَتْلٌ ، سِرْقَةٌ ، طَمَعٌ ، خُبْثٌ ، مَكْرٌ ، عَهَارَةٌ ، عَيْنٌ شِرِّيرَةٌ ، تَجْدِيفٌ ، كِبْرِيَاءُ ، جَهْلٌ . جَمِيعُ هذِهِ الشُّرُورِ تَخْرُجُ مِنَ الدَّاخِلِ وَتُنَجِّسُ الإِنْسَانَ" . أما وصف الوقح صلاة الإسلام بأنها مظاهر مبهرجة ، فأين ذلك ، وصلاة المسلمين هى أبسط

الصلوات، فلا موسيقى ولا طقوس غريبة ولا أسرار ولا وثنيات ولا عبادة للبشر ولا ضرورة لأن يقودها رجل دين أصلا؟ إنه لم يجد في الورد عيبا فقال له: يا أحمر الخدّين!

٢١- وفى هذا السياق يؤكد صاحبنا أن "السبب في تحريم الخنزير والجمل وغيرهما على بني إسرائيل . . . أنهم عندما كانوا مقيمين بمصر كان المصريون يعبدون الأصنام التي تشبه الثيران والبقر والكِبَاش وسائر الغنم . ألا ترى كيف قال موسى لفرعون: لا يجوز أن نقرّب لله قرابين تُجاه المصريين، لأننا نريد أن نقرّب القرابين التي يعبدونها، فإذا فعلنا ذلك أمامهم يرجموننا إذا قربنا آلهتهم وذبحناها؟ ودليل آخر: أن موسى لما أقام في طُور سيناء طلب بنو إسرائيل من هارون أخيه أن يصنع لهم عِجْلاً يعبدونه لأن موسى أبطأ عليهم، فصنع لهم صنمًا على صورة العجل على منهاج ما كانوا يَرَوْنَ من عبادة أهل مصر". هذا ما ذكره المدلس الكذاب، ولكن من قال إن سبب تحريم الخنزير والجمل على بنى إسرائيل هو أنه، أثناء إقامتهم بمصر، "كان المصريون يعبدون الأصنام التي تشبه الثيران والبقر والكباش وسائر الغنم"؟ أرجو أن يأتينا ذلك المدلس (أو من ينشرون تدليساته هذه فى المواقع المشباكية) من العهد القديم بهذا التفسير المضحك الذى لو كان هو التفسير الصحيح لحرّم الله لحوم جميع الحيوانات التى يعبدها المصريون ولقال إنها إنما حُرِّمت لهذا السبب . بل إنه سبحانه، رغم صنع هارون العجل وعبادة بنى إسرائيل له، لم يحرم أكله، فى الوقت الذى حرم الخنزير والجمل رغم عدم عبادة المصريين ولا بنى إسرائيل له، وهو ما يدل على أن الكندى يكذب ويدلّس ويقول أى كلام، والسلام .

وهذا هو ما جاء فى سفر "الخروج" خاصا بذلك الموضوع بدءا من الإصحاح الثامن: "٢٥ فَدَعَا فِرْعَوْنُ مُوسَى وَهَارُونَ وَقَالَ: «اذْهَبُوا اذْبَحُوا

لِإِلهِكُمْ فِي هذِهِ الأَرْضِ». ^٢٦^فَقَالَ مُوسَى: «لاَ يَصْلُحُ أَنْ نَفْعَلَ هكَذَا، لأَنَّنَا إِنَّمَا نَذْبَحُ رِجْسَ الْمِصْرِيِّينَ لِلرَّبِّ إِلهِنَا. إِنْ ذَبَحْنَا رِجْسَ الْمِصْرِيِّينَ أَمَامَ عُيُونِهِمْ أَفَلاَ يَرْجُمُونَنَا؟ ^٢٧^نَذْهَبُ سَفَرَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ فِي الْبَرِّيَّةِ وَنَذْبَحُ لِلرَّبِّ إِلهِنَا كَمَا يَقُولُ لَنَا». ^٢٨^فَقَالَ فِرْعَوْنُ: «أَنَا أُطْلِقُكُمْ لِتَذْبَحُوا لِلرَّبِّ إِلهِكُمْ فِي الْبَرِّيَّةِ، وَلكِنْ لاَ تَذْهَبُوا بَعِيدًا. صَلِّيَا لأَجْلِي». ^٢٩^فَقَالَ مُوسَى: «هَا أَنَا أَخْرُجُ مِنْ لَدُنْكَ وَأُصَلِّي إِلَى الرَّبِّ، فَتَرْتَفِعُ الذُّبَّانُ عَنْ فِرْعَوْنَ وَعَبِيدِهِ وَشَعْبِهِ غَدًا. وَلكِنْ لاَ يَعُدْ فِرْعَوْنُ يُخَاتِلُ حَتَّى لاَ يُطْلِقَ الشَّعْبَ لِيَذْبَحَ لِلرَّبِّ». ^٣٠^فَخَرَجَ مُوسَى مِنْ لَدُنْ فِرْعَوْنَ وَصَلَّى إِلَى الرَّبِّ. ^٣١^فَفَعَلَ الرَّبُّ كَقَوْلِ مُوسَى، فَارْتَفَعَ الذُّبَّانُ عَنْ فِرْعَوْنَ وَعَبِيدِهِ وَشَعْبِهِ. لَمْ تَبْقَ وَاحِدَةٌ. ^٣٢^وَلكِنْ أَغْلَظَ فِرْعَوْنُ قَلْبَهُ هذِهِ الْمَرَّةَ أَيْضًا فَلَمْ يُطْلِقِ الشَّعْبَ...»، فأين كلام مؤلفي سفر "الخروج" عن عبادة المصريين للخنزير والجمل؟ إن الكلام إنما هو عن العجل، فهذا هو رجس المصريين. وحتى لو افترضنا أن ما قاله الكندى الكذاب صحيح، لقد كان المنطقى أن يأمر الله بنى إسرائيل أمرا صارما (على الأقل بعد أن تركوا مصر ولم يعودوا يتعرضون لأذى المصريين بسبب ذلك) أن يذبحوا هذه الحيوانات وأن يأكلوها كى يقر فى أذهانهم وقلوبهم وضمائرهم أنها ليست آلهة، بل مجرد حيوانات تُذبح وتُؤكل. ثم لو افترضنا مرة أخرى أن تحريم الخنزير والجمل راجع لعبادة المصريين لهذين الحيوانين، لقد كان المنتظر والمنطقى أن يمتد التحريم لسائر الحيوانات المعبودة لديهم حسبما قلنا. لكن شيئا من هذا لم يحدث، كما أن الخنزير والجمل لم يكونا من تلك الحيوانات المعبودة فى مصر كما سلف القول. وفوق ذلك لقد كان المنطقى، طبقا لذلك التفكير السخيف المتهافت، أن يتم تحريم الخنزير والجمل فى مصر خوفا أن يثير ذبحهما ثائرة المصريين رغم سماح الفرعون لبنى إسرائيل بذبح رجس المصريين، بيد أننا نفاجأ بأنه إنما تم فى

شبه جزيرة سيناء بعد أن ترك بنو إسرائيل مصر ونجاهم الله من أيدى فرعون مصر . ليس ذلك فقط ، بل لا بد أن نضيف أن خوف الإسرائيليين من ذبح رجس المصريين (الذى لم يكن من بينه الخنزير والجمل كما قلنا) إنما كان مقتصرا على ذبحه قربانا لله لا لأكله . ثم لو كان تحريم الخنزير يرجع للسبب المضحك الذى ذكره الكندى ، فلماذا يا ترى لم يُحِلّ المسيحُ لَحْمَه؟ إن الذى أحلّه إنما هو بولس نزولا على ذوق الوثنيين وشهواتهم كيلا يخسرهم ، فأباحه حتى يغريهم بالدخول فى النصرانية ، التى كانت تقدم التنازل تلو التنازل على يديه مما أبعدها عن الدعوة التى دعا بها عيسى عليه السلام .

وعلى أية حال هذا هو النص الخاص بتحريم لحم الإبل والخنزير وغيرهما من الحيوانات فى شريعة موسى ، ومنه يتبين أنه لا علاقة لتحريمه بديانة المصريين البتة خلافا لما يزعم الكندى المدلّس ، وبخاصة أنهما إنما حرِّما بعد خروج موسى وقومه من مصر حسبما أشرنا آنفا: "[1]وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى وَهَارُونَ قَائِلاً لَهُمَا: [2]«كَلِّمَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَائِلَيْنِ: هذِهِ هِيَ الْحَيَوَانَاتُ الَّتِي تَأْكُلُونَهَا مِنْ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ الَّتِي عَلَى الأَرْضِ: [3]كُلُّ مَا شَقَّ ظِلْفًا وَقَسَمَهُ ظِلْفَيْنِ، وَيَجْتَرُّ مِنَ الْبَهَائِمِ، فَإِيَّاهُ تَأْكُلُونَ. [4]إِلاَّ هذِهِ فَلاَ تَأْكُلُوهَا مِمَّا يَجْتَرُّ وَمِمَّا يَشُقُّ الظِّلْفَ: الْجَمَلَ، لأَنَّهُ يَجْتَرُّ لكِنَّهُ لاَ يَشُقُّ ظِلْفًا، فَهُوَ نَجِسٌ لَكُمْ. [5]وَالْوَبْرَ، لأَنَّهُ يَجْتَرُّ لكِنَّهُ لاَ يَشُقُّ ظِلْفًا، فَهُوَ نَجِسٌ لَكُمْ. [6]وَالأَرْنَبَ، لأَنَّهُ يَجْتَرُّ لكِنَّهُ لاَ يَشُقُّ ظِلْفًا، فَهُوَ نَجِسٌ لَكُمْ. [7]وَالْخِنْزِيرَ، لأَنَّهُ يَشُقُّ ظِلْفًا وَيَقْسِمُهُ ظِلْفَيْنِ، لكِنَّهُ لاَ يَجْتَرُّ، فَهُوَ نَجِسٌ لَكُمْ. [8]مِنْ لَحْمِهَا لاَ تَأْكُلُوا وَجُثَثَهَا لاَ تَلْمِسُوا. إِنَّهَا نَجِسَةٌ لَكُمْ" (لاويين/ ١٢) ، وهو نفسه ما جاء فى الإصحاح الرابع عشر من سفر "التثنية": "[3]لاَ تَأْكُلْ رِجْسًا مَا. [4]هذِهِ هِيَ الْبَهَائِمُ الَّتِي تَأْكُلُونَهَا: الْبَقَرُ وَالضَّأْنُ وَالْمَعْزُ [5]وَالإِيَّلُ وَالظَّبْيُ وَالْيَحْمُورُ وَالْوَعْلُ وَالرِّئْمُ وَالثَّيْتَلُ وَالْمَهَاةُ. [6]وَكُلُّ بَهِيمَةٍ مِنَ الْبَهَائِمِ تَشُقُّ ظِلْفًا وَتَقْسِمُهُ

ظِلْفَيْنِ وَتَجْتَرُّ فَإِيَّاهَا تَأْكُلُونَ. ٧إِلاَّ هذِهِ فَلاَ تَأْكُلُوهَا، مِمَّا يَجْتَرُّ وَمِمَّا يَشُقُّ الظِّلْفَ الْمُنْقَسِمَ: الْجَمَلُ وَالأَرْنَبُ وَالْوَبْرُ، لأَنَّهَا تَجْتَرُّ لكِنَّهَا لاَ تَشُقُّ ظِلْفًا، فَهِيَ نَجِسَةٌ لَكُمْ. ٨وَالْخِنْزِيرُ لأَنَّهُ يَشُقُّ الظِّلْفَ لكِنَّهُ لاَ يَجْتَرُّ فَهُوَ نَجِسٌ لَكُمْ. فَمِنْ لَحْمِهَا لاَ تَأْكُلُوا وَجُثَثَهَا لاَ تَلْمِسُوا". وعبثا نبحث فى هذين النصين عن شيء يربط بين تحريم الإبل والخنزير وبين عبادات المصريين، إذ لا يوجد فيهما ولا فى غيرهما من نصوص العهد القديم أو الجديد ما يُفْهَم منه ولو بالتأويل المتعسف أن ذلك التحريم يرجع إلى تلك العلة!

وفى مادة "خنزير" من "دائرة المعارف الكتابية" نقرأ الفقرة التالية التى تُعَدّ أبلغ رد على الوقح المتستر باسم الكندى فيما ذهب إليه من أن الخنزير حلال، وأنه إذا كان قد حُرِّم وقتا ما فما ذلك إلا فى حياة موسى من أجل أن المصريين كانوا يعبدونه، وهو عَتَهٌ ما بعده عَتَهٌ، وإن كنا لا نوافق أيضا على قول كاتب المادة من أن تحريمه قديما إنما كان بسبب العجز عن طهى لحمه طيها كافيا، وكأن النار كانت تنقص البشر آنذاك أو أنه سبحانه كان يُعْجِزه أن يأمر عباده بإحسان طهيه تجنبا لما فيه من أذى. تقول "دائرة المعارف الكتابية": "وكثيرا ما كان يعجب البعض لتحريم الشريعة أكل لحم الخنزير، ولكن الاكتشافات العلمية الحديثة أثبتت أن الخنزير يحمل في جسمه عدوى بعض الأمراض التي ينقلها للإنسان، ولعل أهمه "الدودة الشريطية" التي تتحوصل، في أحد أطوارها، في عضلات الخنزير. فإذا أكلها إنسان أو حيوان آخر تتحول في جسمه إلى دودة بالغة تسبب أذى بليغا لعائلها، بل قد تودي بحياته. ولأنه لم يكن في الإمكان قديما طهيها طهيا يقضي على هذه الحويصلات أصبح تحريمها كليّةً هو أسلم طريق للوقاية مما تنقله من أمراض، علاوة على أن الخنزير يقتات بكل ما يجده من فضلات حيوانية أو نباتية، وكذلك بالقمامة التي لا تخلو من ميكروبات يمكن أن تنقلها إلى

الإنسان ، وبخاصة أنها تعيش بين المساكن المأهولة" . وهذا نص آخر فى منتهى الأهمية يبين السبب فى استنجاس الخنزير وغيره من الحيوانات التى لا تُعَدّ طاهرة فى العهد القديم ، إذ يشير بكل وضوح إلى أن هذا الاستنجاس لم ينتظر إلى عهد موسى ، بل كان معتمَدًا قبل ذلك بوقت طويل . وهذا النص متاح فى "دائرة المعارف الكتابية" تحت عنوان "طهارة": "يرجع التمييز بين الحيوانات الطاهرة وغير الطاهرة إلى أقدم العصور ، فقد قال الله لنوح: "من جميع البهائم الطاهرة تأخذ معك سبعةً ذكراً وأنثى" (تك ٧: ٢) . ويرى البعض أن التمييز بين الحيوانات الطاهرة وغير الطاهرة كانت تعتبر مقدسة عند بعض الشعوب الوثنية مثلما كان يعتبر الخنزير مثلاً في كريت وبابل . ويبنون هذا الظن على القول: "ولا تسلكون في رسوم الشعوب الذين أنا طاردهم من أمامكم لأنهم قد فعلوا كل هذه فكرهتهم" (لا ٢٠: ٢٣) . ولكن يبدو أن التمييز بين الحيوانات الطاهرة التي كانت الشريعة تسمح بأكلها والحيوانات غير الطاهرة المَنْهِيّ عن أكلها كان مبنيا على الأسباب الآتية: - (١) أسباب صحية: كانت الحيوانات التي تتغذي على القمامة تعتبر غير طاهرة لأنها تعيش على القاذورات والجيف المنتنة . وكذلك كانت الأسماك التي لا قشور لها ولا زعانف والتي هي أشبه بالحيات . وكثيرا ما تكون الصدفيات والقشريات سببا في حدوث تسمم غذائي . (٢) الحيوانات المفترسة والطيور الجارحة: لأنها تأكل لحوم ودم فرائسها . وكان أكل الدم محرما تحريما قاطعا لأن نفس كل جسد هي دمه (تك ٩: ٤ ، لا ٣: ١٧ ، ١٧: ١٠- ١٤ ، تث ١٢: ١٦ و ٢٣- ٢٥ ، ١٥: ٢٣) . (٣) الحيوانات التي كان يستخدمها الوثنيون في عبادتهم أو في سحرهم اعتبرت نجسة مثل الخنازير والكلاب والفئران والثعابين والحشرات مثل الخنافس وغيرها . (٤) الحيوانات التي تثير الاشمئزاز ، والتي توصف

بالقول: "كل دبيب يدب على الأرض فهو مكروه للأكل. كل ما يمشي على بطنه، وكل ما يمشي على أربع مع كل ما كثرت أرجله" (لا ١١: ٤١ و٤٢)". وجليٌّ أنه لا يوجد شيء يقول إن تحريم لحوم تلك الحيوانات تحريم مؤقت، وهو ما يهمنا في هذا كله.

ولأن الرجل يتنفس الكذب تنفسا نراه يزعم أن تحريم لحم الخنزير وتحليل لحم الجمل إنما أخذه الرسول من وهب بن منبه وعبد الله بن سلام اليهوديين، اللذين ضحكا عليه وخدعاه فانصاع لما قالاه دون تفكير. ومن هنا نراه يصطنع نبرة العدل والعقل فيعزو العيب في هذا إلى الرجلين لا إلى رسول الله. وبادئ ذي بدء نقول إنه لو كان هذان اليهوديان هما المسؤولَيْن عن ذلك الحكم في شريعة الإسلام لرأيناهما يحرّمان الجمل أيضا ولا يقتصران في تحريمهما على الخنزير. وثانيا فإن تحريم الخنزير في القرآن يرجع إلى الفترة المكية، أي قبل هجرته عليه السلام إلى يثرب والتقائه باليهود هناك، ومنهم عبد الله بن سلام. وهذان هما النصان اللذان يشتملان على تحريمه، وهما مأخوذان من سورة "الأنعام" و"النحل" على الترتيب، وهما مكيتان: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [الأنعام: ١٤٥ - ١٤٧]، ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ

وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ [النحل: ١١٣ - ١١٨] . وثالثا ما رأى قرائى الأعزاء إذا ما قلت لهم إن الرسول لم ير وهب بن منبه البتة ولا كانت له به أية صلة ، بل إن وهبًا لم يكن له وجود أصلا أيام النبى عليه السلام ، لسبب بسيط هو أنه لم يولد إلا عام ٣٤ من الهجرة فى صنعاء باليمن على عهد عثمان ، أى بعد وفاة النبى بزمن طويل ، فهو إذن من التابعين؟ كما أنه فارسى الأصل لا عربى . ثم مَنْ عبد الله بن سلام أو وهب بن منبه بجانب القامة السامقة المهيبة الجليلة للنبى عليه الصلاة والسلام؟ لقد تركا دينهما من أجله ، لكن المدلس الكذاب يتهرأ قلبه حقدا لهذا السبب فتراه يقلب الحقائق رأسا على عقب للتنفيس عن ذلك الحقد . لقد دانت الدنيا كلها بدين محمد ، فماذا يمثل أىٌّ مِنْ ذَيْنِك الرجلين بالنسبة لهذا الدين العظيم؟ إن قصة إسلام ابن سلام لهى حكاية تُرْوَى وتُرْوَى وتُرْوَى ، وإنها لتفضح اليهود واليهودية ، فكيف لا يخجل الكندى من نفسه بدلا من أن يروح فيزيف القصص والأكاذيب الخرافية؟

وهذه قصة إسلام عبد الله بن سلام رضى الله عنه كما وردت فى "سيرة ابن هشام"، وكان اسمه قبل أن يسلم هو "الحصين بن سلام": "قال بن إسحاق: وكان من حديث عبد الله بن سلام كما حدثني بعض أهله عنه وعن إسلامه حين أسلم ، وكان حبرًا عالمًا ، قال: لما سمعتُ برسول الله صلى الله عليه وسلم عرفتُ صفته واسمه وزمانه الذي كنا نتوكف له فكنت مسرًا لذلك صامتًا عليه حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة . فلما نزل بقُباء في بني عمرو بن عوف أقبل رجل حتى أخبر بقدومه وأنا في رأس

نخلة لي أعمل فيها، وعمتي خالدة ابنة الحارث تحتي جالسة. فلما سمعتُ الخبر بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم كبّرْتُ، فقالت لي عمتي حين سمعتْ تكبيري: خيّبك الله! والله لو كنتَ سمعتَ بموسى بن عمران قادما ما زدْتَ. قال: فقلت لها: أيْ عمة، هو والله أخو موسى بن عمران وعلى دينه، بُعث بما بُعث به. فقالت: أيِ بن أخي، أهو النبي الذي كنا نُخبَر أنه يُبْعَث مع نفس الساعة؟ قال: فقلت لها: نعم. قال: فقالت: فذاك إذًا. قال: ثم خرجتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت، ثم رجعت إلى أهل بيتي فأمرتهم فأسلموا. قال: وكتمت إسلامي من يهود، ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له: يا رسول الله، إن يهود قوم بُهُتٌ، وإني أحب أن تُدْخِلني في بعض بيوتك وتغيّبني عنهم ثم تسألهم عني حتى يخبروك كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا بإسلامي. فإنهم إن علموا به بهتوني وعابوني. قال: فأدخلني رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض بيوته ودخلوا عليه فكلموه وساءلوه، ثم قال لهم: أيّ رجلٍ الحصين بن سلام فيكم؟ قالوا: سيدنا وابن سيدنا وحبرنا وعالمنا. قال: فلما فرغوا من قولهم خرجتُ عليهم فقلت لهم: يا معشر يهود، اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به، فوالله إنكم لتعلمون إنه لرسول الله، تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة باسمه وصفته، فإني أشهد أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأومن به وأصدقه وأعرفه. فقالوا: كذبتَ. ثم وقعوا بي. قال: فقلت: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ألم أخبرك يا رسول الله أنهم قومٌ بُهُتٌ أهل غدر وكذب وفجور؟ قال: فأظهرتُ إسلامي وإسلام أهل بيتي، وأسلمتْ عمتي خالدة بنت الحارث فحَسُنَ إسلامها".

٢١- ومما تناوله أيضا شبيه الرجال بالتخطئة والتهكم من دين محمد عليه الصلاة والسلام شعيرة الحج، إذ قال للهاشمي المتوهَّم: "أما دعوتك

لبي إلى حج بيت الله الذي بمكة ورمي الجمار والتلبية وتقبيل الركن والمقام، فسبحان الله! كأنك تكلم صبيًا أو تخاطب غبيًا! أليس هو الموضع الذي عرفناه جميعًا حق معرفته، ووقفنا على أصول أسبابه، وكيف كانت القصة في شبابه، وكيف جرى أمره إلى هذه الغاية؟ أوَلاَ تعلم أن هذا فعل الشمسية والبراهمة الذي يسمّونه: "النُّسك" لأصنامهم بالهند؟ فإنهم يفعلون في بلدهم ما يفعله المسلمون اليوم من الحَلْق والتعري الذي يسمونه الإحرام والطواف ببيوت أصنامهم إلى هذا الوقت على هذه الحالة، فلم تزد عليه أنت شيئًا ولا نَقَصْتَ منه ذرة، فإنك أخذته بذلك الفعل الذي سمّيْتَه: "النُّسك"، إلا أنك تفعله في السنة مرة واحدة في وقت مختلف، وأولئك يفعلونه في السنة مرتين: عند دخول الشمس أول دقيقة من الحمل (وهو الربيع)، وفي دخولها أول دقيقة من الميزان (وهو الخريف). ففي الأول لدخول الصيف، وفي الثاني لدخول الشتاء. فهم يضحّون كما تضحّي أنت، ويَنْسِكون كنُسُكك. وأنت وأصحابك تعلمون أن العرب كانت تنسك هذه المناسك وتفعل هذه الأفعال منذ بُنِيَ هذا البيت. فلما جاء صاحبك بالإسلام لم تره زاد في هذه الأفعال ولا أنقص منها شيئًا، غير أنه لبُعد المشقة وطول المسافة وتخفيف المؤونة جعله حجة واحدة في السنة، وأسقط من التلبية ما كان فيه شناعة. وإني أستصوب قولاً لعمر بن الخطاب وقد وقف على الركن والمقام فقال: والله لأعلم أنكما حجران لا تنفعان ولا تضرّان، ولكني رأيت رسول الله يقبّلكما، فأنا أقبّلكما كذلك. فإن كان الرواة الصادقون الذين رَوَوْا هذه الرواية عنه كذبوا عليه أوْ لم يكذبوا، فقد صدقوا في ما حكَوْه عن هذين الحجرين، وإن كانوا صدقوا عنه أنه قال ذلك، فلقد قال قولاً حقًا".

هذا ما قاله شبيه الرجال، وهو عجيبٌ جِدُّ عجيب! ذلك أن كل ما يؤمن به هو وأهل ملته تقربا أو يفعلونه في دينهم لا معنى له، إذ يقولون

إنها أسرار، والأسرار لا تُفْهَم ولا تقبل الفهم، فكيف يعيب شيئا كهذا علينا، وما هو إلا قول عمر، وعمر ليس بالنبى؟ والمهم أنه لا عمر ولا غير عمر يتجه فى شعائر حجه إلى حجر أو خشب أو بشر، بل إلى المولى عز وجل. أما بالنسبة إلى الأضاحى، أليس عند اليهود هم أيضا أضاحٍ، ثم جاء المثلثة من النصارى فزعموا أن المسيح قدم نفسه أضحية تغنى عن كل الأضاحى، فلم يعد هناك معنى للتضحية بعده، بما يدل على أنهم مخلصون لشعيرة التضحية، فضلا عن تسميتهم إياه بـ "الخروف"؟ إذن فالتضحية شعيرة سماوية، وإن كانت فى اليهودية تُحْرَق ولا ينتفع بها أحد من البشر، على اعتبار أن الله يَسُرّه شَمُّ قُتَارِها، وكأنه بشر يتلذذ بالروائح! أما البراهمة فإذا صح ما قاله الكندى عنهم يكونون قد أخذوا الأضحية من إحدى الديانات السماوية، أو كانت ديانتهم فى الأصل سماوية ثم دخل عليها التحريف والإفساد كما حصل فى اليهودية والنصرانية حسبما يوضح القرآن. وعلى أية حال فالعبرة بالنية والغاية، إذ قد يكون هناك عملان متشابهان أو متطابقان، لكن أحدهما من أعمال الوثنية، والآخر من أعمال التوحيد. لنأخذ الصلاة مثلا: فالمسلمون يتوجهون فيها لله سبحانه، والنصارى للمسيح يعبدونه ويؤلهونه. وذلك توحيد خالص، على حين أن هذا شرك ووثنية. وقد يخرج إنسانان الزكاة: أحدهما يتوخى بها رضا الله، والآخر السمعة والرياء، فتُقْبَل من الأول، وتُرَدّ على الثانى ويُقْذَف بها فى وجهه، وقد يَصْلَى بسببها نار الجحيم... ومن هنا فحتى لو كانت بعض مناسك الحج تتشابه مع بعض مناسك البراهمة، فالعبرة أن المسلمين لا يعبدون أصناما ولا أوثانا، بخلاف ديانة البرهمية وما تقوم عليه من وثنية وشرك وعبادة أصنام كما ذكر هو، على حين أنه لا موضع فى الإسلام بأى حال لصنم أو وثن أو تأليه بشر، إذ الإسلام يتشدد فى هذا إلى أبعد آماد

التشدد! ثم إن الكاتب يتناقض في كلامه عن مصدر الإسلام تناقضا بشعا يدل على أنه يتخبط ويكذب ويحاول التعلق بقشة كيلا يجرفه البحر الهادر العميق، وهيهات. أفلم يقل إن الرسول تعلم على يد النساطرة؟ فأين النساطرة من البراهمة؟ وكيف يا ترى عرف البرهمية؟ أكانت عنده مكتبة في الأديان والمذاهب والشعائر؟ أم سيقولون إنه كان بين صحابته هنود برهميون هم الذين علّموه هذا؟ ألا لعنة الله على الكاذبين! كذلك فقوله إن العرب هي التي بنت البيت تخريف من التخريف، إذ بانيه هو إبراهيم وابنه إسماعيل. وإذا كانت هناك مَشَابهُ في شعائر الحج قبل الإسلام وبعده فهو أمر طبيعي، وكل ما هنالك أن العرب قد غيروا في تلك الشعائر بعض التغييرات، فجاء النبي وأعاد الأمور إلى نصابها كما كانت في دين الخليل صلى الله عليه وسلم. وهذا معنى قول المدلس الكذاب إن النبي قد حذف من الحج ما كان فيه من شناعات.

٢٢- وفي كلامه التالي عن الطلاق برهانٌ على حقده، إذ قال: "وأقبح من هذا كله ما جاء في ذكر الطلاق ونكاح المرأة رجلاً آخر يسمى الاستحلال، وأن يذوق من عُسَيْلَتها وتذوق من عُسَيْلَته، ثم مراجعة الرجل الأول بعد ذلك. هذا، وقد يكون لها أولاد رجال نبلاء، وبنات كبار ذوات بيوت، والزوج الذي له الشرف النفيس والحسب الخطير، وتكون هي المرأة النبيلة في قومها. فهل تدعوني إلى مثل هذا الذي تستشنعه البهائم وتستقبح فعله؟". ومن الواضح تمام الوضوح ما في الكلام من خلط مستشنَع، إذ كلنا نعرف أنه لا يوجد في الإسلام محلّل أبدا، وإنما المقصود هو أن الزواج مؤسسة لها احترامها وتوقيرها، وإن لم يمنع هذا من حصول التنافر الذي قد يكون من الصعب التغلب عليه، والذي حاول الإسلام أن يعالجه بوسائل شتى آخرها الطلاق الرجعي لعل الطرفين يتنبهان إلى قيمة ما بينهما من

رباط فى فترة الانفصال، فيتراجعا مرة أخرى. فإن تكرر الطلاق ثلاثا فعندئذ يكون من الجلىّ أن هناك خللا شديدا فى العلاقة التى بينهما، وهو ما يعنى أنهما قد فشلا ولا يمكنهما الاستمرار فى تلك العلاقة، وعندئذ يجب أن ينفصلا انفصالا لا رجعة فيه، اللهم إلا إذا تزوجت المرأة من رجل آخر زواجًا عاديًا لا نية فيه للعودة إلى زوجها الأول ثم طلّقها الزوج الجديد بعد ذلك لسبب من الأسباب التى تلجئ الزوجين فى الأحوال المعتادة إلى الطلاق، فحينذاك يحق لزوجها الأول أن يراجعها إن أحب. ومن ثم لا معنى للتهكم الذى يتهكمه غبينا الكندى. أما "المحلّل" الذى يلمح إليه فهو مذموم فى الإسلام ذمًا مستبشَعًا حتى إن الرسول عليه الصلاة والسلام قد سماه بـ "التيس المستعار" ولعنه وبشّره بمصير حقير، إذ أُثِر عنه صلى الله عليه وسلم قوله: "ألا أخبركم بالتيس المستعار؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: هو المحلّل. لعن الله المحلّل والمحلَّل له". فما المشكلة إذن؟ أما كلامه صلى الله عليه وسلم عن تذوق العُسَيْلة فمقصوده تنفير الزوجين من كثرة الخلاف وتكرر الطلاق حتى لا يجدا نفسيهما فى ذلك الموقف الذى لا يحبه أحد من خلق الله الكرام. أما التمحك فى أن الزوجة قد تكون سيدة نبيلة، ولها أولاد ذوو حيثية فى المجتمع، فهذا ذنبها هى، إذ كيف تكون نبيلة حقا، وهى لا تستطيع أن ترتقى فى مستوى سلوكها وتصرفاتها مع زوجها بحيث تنال احترامه وتقديره ولا يفكر فى تطليقها؟ وعلى أية حال فالتشريعات لا تعرف هذه الاعتبارات المنافقة، بل تعمل على معالجة المشكلة دون رياء أو تفيهقات! وعجيب أن يبدى ذلك المرائى امتعاضه من جواز الطلاق فى الإسلام، وهو الذى يعلم أفضل من سواه ما يؤدى إليه التضييق على الأزواج والزوجات فى هذه المسألة من انتشار الزنا وتعايش الزوجين تعايش الاضطرار والقهر على أساس الغش والدَّخَل والخداع وخيانة كل من

الطرفين لصاحبه بمعرفته ورضاه ، بل كثيرا ما يترك أحد الزوجين أو كلاهما النصرانية كى يستطيعا الاستمتاع بحياتهما بعيدا عن ذلك الإعنات المشقى لهما ، فضلا عن الفضائح المجلجلة التى تنقضّ على رأس الأسرة كلها إذا ما وقع الطلاق فى النصرانية طبقا للنصوص التى ينسبونها إلى السيد المسيح ، إذ إن قصْر الطلاق لديهم على علة الزنا لن يكون له معنى عند الناس إلا أن الطرف الآخر زانٍ .

٢٣- هذا ، ومن الطريف عند تشنيعه على بركة البيت الحرام ومسجد رسول الله أنه لم يجد من يستشهد به إلا داود فى مزمورين من مزاميره تدليلا على أن تلك المواضع لا يمكن أن تكون مواضع مباركة ، بخلاف المواضع النصرانية التى يُعْبَد الله فيها حق عبادته كما يقول والتى تظهر بركتها فى شفاء المصابين من أمراضهم وبَرَصهم وعماهم ومس الشيطان لهم حسبما يزعم ، وكأن داود كان نصرانيا ، أو كأنه عندهم رجلٌ تقىٌّ بارٌّ ، وليس ذلك الزانى المجرم الذى لم يجد مؤلفو الكتاب المقدس ما يكتبونه عنه إلا ما يلى ، وأستغفر الله من نقل هذا الكفر: "[1] وَكَانَ عِنْدَ تَمَامِ السَّنَةِ ، فِي وَقْتِ خُرُوجِ الْمُلُوكِ ، أَنَّ دَاوُدَ أَرْسَلَ يُوآبَ وَعَبِيدَهُ مَعَهُ وَجَمِيعَ إِسْرَائِيلَ ، فَأَخْرَبُوا بَنِي عَمُّونَ وَحَاصَرُوا رِبَّةَ . وَأَمَّا دَاوُدُ فَأَقَامَ فِي أُورُشَلِيمَ . [2] وَكَانَ فِي وَقْتِ الْمَسَاءِ أَنَّ دَاوُدَ قَامَ عَنْ سَرِيرِهِ وَتَمَشَّى عَلَى سَطْحِ بَيْتِ الْمَلِكِ ، فَرَأَى مِنْ عَلَى السَّطْحِ امْرَأَةً تَسْتَحِمُّ . وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ جَمِيلَةَ الْمَنْظَرِ جِدًّا . [3] فَأَرْسَلَ دَاوُدُ وَسَأَلَ عَنِ الْمَرْأَةِ ، فَقَالَ وَاحِدٌ: «أَلَيْسَتْ هذِهِ بَثْشَبَعَ بِنْتَ أَلِيعَامَ امْرَأَةَ أُورِيَّا الْحِثِّيِّ؟» . [4] فَأَرْسَلَ دَاوُدُ رُسُلاً وَأَخَذَهَا ، فَدَخَلَتْ إِلَيْهِ ، فَاضْطَجَعَ مَعَهَا وَهِيَ مُطَهَّرَةٌ مِنْ طَمْثِهَا . ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى بَيْتِهَا . [5] وَحَبِلَتِ الْمَرْأَةُ ، فَأَرْسَلَتْ وَأَخْبَرَتْ دَاوُدَ وَقَالَتْ: «إِنِّي حُبْلَى» . [6] فَأَرْسَلَ دَاوُدُ إِلَى يُوآبَ يَقُولُ: «أَرْسِلْ إِلَيَّ أُورِيَّا الْحِثِّيَّ» . فَأَرْسَلَ يُوآبُ أُورِيَّا إِلَى دَاوُدَ . [7] فَأَتَى أُورِيَّا

إِلَيْهِ، فَسَأَلَ دَاوُدُ عَنْ سَلاَمَةِ يُوآبَ وَسَلاَمَةِ الشَّعْبِ وَنَجَاحِ الْحَرْبِ.
٨ وَقَالَ دَاوُدُ لأُورِيَّا: «انْزِلْ إِلَى بَيْتِكَ وَاغْسِلْ رِجْلَيْكَ». فَخَرَجَ أُورِيَّا مِنْ
بَيْتِ الْمَلِكِ، وَخَرَجَتْ وَرَاءَهُ حِصَّةٌ مِنْ عِنْدِ الْمَلِكِ. ٩ وَنَامَ أُورِيَّا عَلَى بَابِ
بَيْتِ الْمَلِكِ مَعَ جَمِيعِ عَبِيدِ سَيِّدِهِ، وَلَمْ يَنْزِلْ إِلَى بَيْتِهِ. ١٠ فَأَخْبَرُوا دَاوُدَ
قَائِلِينَ: «لَمْ يَنْزِلْ أُورِيَّا إِلَى بَيْتِهِ». فَقَالَ دَاوُدُ لأُورِيَّا: «أَمَا جِئْتَ مِنَ
السَّفَرِ؟ فَلِمَاذَا لَمْ تَنْزِلْ إِلَى بَيْتِكَ؟» ١١ فَقَالَ أُورِيَّا لِدَاوُدَ: «إِنَّ التَّابُوتَ
وَإِسْرَائِيلَ وَيَهُوذَا سَاكِنُونَ فِي الْخِيَامِ، وَسَيِّدِي يُوآبُ وَعَبِيدُ سَيِّدِي نَازِلُونَ
عَلَى وَجْهِ الصَّحْرَاءِ، وَأَنَا آتِي إِلَى بَيْتِي لآكُلَ وَأَشْرَبَ وَأَضْطَجِعَ مَعَ
امْرَأَتِي؟ وَحَيَاتِكَ وَحَيَاةِ نَفْسِكَ، لاَ أَفْعَلُ هذَا الأَمْرَ». ١٢ فَقَالَ دَاوُدُ لأُورِيَّا:
«أَقِمْ هُنَا الْيَوْمَ أَيْضًا، وَغَدًا أُطْلِقُكَ». فَأَقَامَ أُورِيَّا فِي أُورُشَلِيمَ ذلِكَ الْيَوْمَ
وَغَدَهُ. ١٣ وَدَعَاهُ دَاوُدُ فَأَكَلَ أَمَامَهُ وَشَرِبَ وَأَسْكَرَهُ. وَخَرَجَ عِنْدَ الْمَسَاءِ
لِيَضْطَجِعَ فِي مَضْجَعِهِ مَعَ عَبِيدِ سَيِّدِهِ، وَإِلَى بَيْتِهِ لَمْ يَنْزِلْ. ١٤ وَفِي الصَّبَاحِ
كَتَبَ دَاوُدُ مَكْتُوبًا إِلَى يُوآبَ وَأَرْسَلَهُ بِيَدِ أُورِيَّا. ١٥ وَكَتَبَ فِي الْمَكْتُوبِ
يَقُولُ: «اجْعَلُوا أُورِيَّا فِي وَجْهِ الْحَرْبِ الشَّدِيدَةِ، وَارْجِعُوا مِنْ وَرَائِهِ
فَيُضْرَبَ وَيَمُوتَ». ١٦ وَكَانَ فِي مُحَاصَرَةِ يُوآبَ الْمَدِينَةَ أَنَّهُ جَعَلَ أُورِيَّا فِي
الْمَوْضِعِ الَّذِي عَلِمَ أَنَّ رِجَالَ الْبَأْسِ فِيهِ. ١٧ فَخَرَجَ رِجَالُ الْمَدِينَةِ وَحَارَبُوا
يُوآبَ، فَسَقَطَ بَعْضُ الشَّعْبِ مِنْ عَبِيدِ دَاوُدَ، وَمَاتَ أُورِيَّا الْحِثِّيُّ أَيْضًا.
١٨ فَأَرْسَلَ يُوآبُ وَأَخْبَرَ دَاوُدَ بِجَمِيعِ أُمُورِ الْحَرْبِ. ١٩ وَأَوْصَى الرَّسُولَ قَائِلاً:
«عِنْدَمَا تَفْرَغُ مِنَ الْكَلاَمِ مَعَ الْمَلِكِ عَنْ جَمِيعِ أُمُورِ الْحَرْبِ، ٢٠ فَإِنِ اشْتَعَلَ
غَضَبُ الْمَلِكِ، وَقَالَ لَكَ: لِمَاذَا دَنَوْتُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ لِلْقِتَالِ؟ أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّهُمْ
يَرْمُونَ مِنْ عَلَى السُّورِ؟ ٢١ مَنْ قَتَلَ أَبِيمَالِكَ بْنَ يَرُبُّوشَثَ؟ أَلَمْ تَرْمِهِ امْرَأَةٌ
بِقِطْعَةِ رَحًى مِنْ عَلَى السُّورِ فَمَاتَ فِي تَابَاصَ؟ لِمَاذَا دَنَوْتُمْ مِنَ السُّورِ؟
فَقُلْ: قَدْ مَاتَ عَبْدُكَ أُورِيَّا الْحِثِّيُّ أَيْضًا». ٢٢ فَذَهَبَ الرَّسُولُ وَدَخَلَ وَأَخْبَرَ

دَاوُدَ بِكُلِّ مَا أَرْسَلَهُ فِيهِ يُوآبُ. [٢٣]وَقَالَ الرَّسُولُ لِدَاوُدَ: «قَدْ تَجَبَّرَ عَلَيْنَا الْقَوْمُ وَخَرَجُوا إِلَيْنَا إِلَى الْحَقْلِ فَكُنَّا عَلَيْهِمْ إِلَى مَدْخَلِ الْبَابِ. [٢٤]فَرَمَى الرُّمَاةُ عَبِيدَكَ مِنْ عَلَى السُّورِ، فَمَاتَ الْبَعْضُ مِنْ عَبِيدِ الْمَلِكِ، وَمَاتَ عَبْدُكَ أُورِيَّا الْحِثِّيُّ أَيْضًا». [٢٥]فَقَالَ دَاوُدُ لِلرَّسُولِ: «هكَذَا تَقُولُ لِيُوآبَ: لاَ يَسُؤْ فِي عَيْنَيْكَ هذَا الأَمْرُ، لأَنَّ السَّيْفَ يَأْكُلُ هذَا وَذَاكَ. شَدِّدْ قِتَالَكَ عَلَى الْمَدِينَةِ وَأَخْرِبْهَا. وَشَدِّدْهُ». [٢٦]فَلَمَّا سَمِعَتِ امْرَأَةُ أُورِيَّا أَنَّهُ قَدْ مَاتَ أُورِيَّا رَجُلُهَا، نَدَبَتْ بَعْلَهَا. [٢٧]وَلَمَّا مَضَتِ الْمَنَاحَةُ أَرْسَلَ دَاوُدُ وَضَمَّهَا إِلَى بَيْتِهِ، وَصَارَتْ لَهُ امْرَأَةً وَوَلَدَتْ لَهُ ابْنًا. وَأَمَّا الأَمْرُ الَّذِي فَعَلَهُ دَاوُدُ فَقَبُحَ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ" (صموئيل الثانى/ ١١)، "[١]وَشَاخَ الْمَلِكُ دَاوُدُ. تَقَدَّمَ فِي الأَيَّامِ. وَكَانُوا يُدَثِّرُونَهُ بِالثِّيَابِ فَلَمْ يَدْفَأْ. [٢]فَقَالَ لَهُ عَبِيدُهُ: «لِيُفَتِّشُوا لِسَيِّدِنَا الْمَلِكِ عَلَى فَتَاةٍ عَذْرَاءَ، فَلْتَقِفْ أَمَامَ الْمَلِكِ وَلْتَكُنْ لَهُ حَاضِنَةً وَلْتَضْطَجِعْ فِي حِضْنِكَ فَيَدْفَأَ سَيِّدُنَا الْمَلِكُ». [٣]فَفَتَّشُوا عَلَى فَتَاةٍ جَمِيلَةٍ فِي جَمِيعِ تُخُومِ إِسْرَائِيلَ، فَوَجَدُوا أَبِيشَجَ الشُّونَمِيَّةَ، فَجَاءُوا بِهَا إِلَى الْمَلِكِ. [٤]وَكَانَتِ الْفَتَاةُ جَمِيلَةً جِدًّا، فَكَانَتْ حَاضِنَةَ الْمَلِكِ. وَكَانَتْ تَخْدِمُهُ، وَلكِنَّ الْمَلِكَ لَمْ يَعْرِفْهَا" (ملوك الأول/ ١). والآن إلى ما استشهد به صاحبنا من كلام داود: "عَيْنَا الرَّبِّ نَحْوَ الصِّدِّيقِينَ وَأُذُنَاهُ إِلَى صُرَاخِهِمْ" (مزمور ٣٤: ١٥). و"الرَّبُّ قَرِيبٌ لِكُلِّ الَّذِينَ يَدْعُونَهُ، الَّذِينَ يَدْعُونَهُ بِالْحَقِّ" (مزمور ١٤٥: ١٨). وهنيئا للكندى، الذى لا يعرف شيئا اسمه الحياء ولا الخجل! وإلا أفكان يردد ما يقوله العوام البلهاء من مثل "ليس من مكروب ولا ملهوف ولا محزون ولا مريض ولا مستغيث يسأله بإيمان صحيح ونية صادقة وقلب سليم من أولياء المسيح باسم المسيح المقدس الطاهر، إلا فرّج عنه همه وغمه وكربه. فهذه الديارات العامرة بالبِيَع، وجميع المواضع التي يُذْكَر فيها اسم المسيح مخلّص العالم ويأوي فيها الرهبان ممتلئة من هذه البركات تفيض على

جميع من صار إليها وقصدها بإخلاص نيته، لا يطلب من أحد ثمنًا ولا مكافأة، ولا ينال على ذلك جزاءً ولا شكرًا، لأن المسيح مخلص العالم قال في إنجيله الطاهر: "مَجَّانًا أَخَذْتُمْ مَجَّانًا أَعْطُوا. لا تَقْتَنُوا ذَهَبًا وَلا فِضَّةً" (متى ١٠: ٨- ٩)؟ وهل هذا إلا ما يعتقده العوام البُلْه عندنا من مقدرة ضريح الشيخ الفلانى والولى الترتانى على تحبيل العاقر وإغناء المفلس، وهلم جرا؟ وبطبيعة الحال فإنه لا يوجد نصرانى يعرف المرضُ ولا الشقاءُ له طريقا، فكلهم والحمد لله لا يتعبون ولا يفتقرون ولا يقلقون، بل يلقَوْننا جميعا وكلهم صحة وعزم ونشاط، والفلوس تصلصل فى جيوبهم وأكياسهم ولا يستطيعون لها عَدًّا، والواحد منهم لا يحمل أى هَمٍّ للغد، إذ هم لا يحتاجون شيئا إلا قصدوا أقرب دير أو كنيسة وتمسحوا بالأركان، فإذا المال ينهمر عليهم انهمارا، وإذا الصحة حديدٌ، والأشيا معدن.

٢٤- ثم يتحول صويحبنا إلى الجهاد فى الإسلام فيزعم أن فى القرآن تناقضا فى هذه القضية، مضيفا قوله: "هل قرأتَ في شيء من الكتب المنزلة أن أحدًا من الدعاة استجلب الناس إلى مقالته ودعاهم إلى الإقرار بما جاء به قهرًا وكرهًا أو ضربًا بالسيف وتهديدًا بالسلب والسبي غير صاحبك؟ فقد عرفتَ قصة موسى وما أتى به من المعجزات، وقرأت قصص الأنبياء بعده وما فعلوا، وكان ذلك شاهدًا أن ما جاءوا به هو من عند الله. فهل تجد أحدًا من الدُّعاة الذين دَعَوْا إلى حقٍ أو باطلٍ إلا وقد جاء بحجّة أو دليل صحيح؟ فحينئذ يتبيَّن عند العيان صحّته من خُبثه. وكذلك فعل كل ذي دعوة بأهل دعوته، غير صاحبك، فإنا لم نره دعا الناس إلا بالسيف والسلب والسبي والإخراج من الديار، ولم نسمع برجل غيره جاء فقال: من لم يقرّ بنبوّتي وأني رسول رب العالمين ضربتُه بالسيف وسلبتُ بيته وسبيتُ ذريته من غير حجة ولا برهان. فأما المسيح سيد البشر ومحيي العالم فيتعالى

ذكره ويجل قدره أن تُذكَر دعوته في مثل هذا الموضع . وأنا أتلو كلام سيدي يسوع المسيح ليلي ونهاري ، وهو شعاري ودثاري ، وأسمعه يقول: تفضلوا على الناس جميعًا ، وكونوا رحماء كي تشبهوا أباكم الذي في السماء ، فإنه يشرق شمسه على الأبرار والفجّار ويمطر على الأخيار والأشرار (قارن متى ٥/ ٤٣- ٤٨) . فكيف يُظَنّ بمثلي ، والمسيح يخاطبني بمثل هذه المخاطبة ، أن يقسو قلبي حتى أصير في صورة إبليس العدو القاتل ، فأضرب وأقتل أبناء جنسي وذرية آدم المجبول بيد الله وعلى صورته تعالى ، والله جلّت قدرته هو القائل: "لست أحب موت الخاطئ ، لأنه اليوم في خطاياه ، وغدًا يتوب ، فأقبله كالأب الرحوم" ، سيّما وقد شرّف الله سبحانه النوع الإنساني بأن كلمته الخالقة تجسّدت منه واتّحدت به وأعطته ما لها من الربوبية والألوهية والسلطان والقدرة ، فصارت الملائكة تسجد له وتقدّس اسمه وتسبّح ذكره كما يسبّح اسم الله وذكره ، ولا تفرّق في ذلك بينهما . ثم زيد نعمة إلى النعمة المتقدمة بأن أُعطِيَ الجلوس عن يمين ذي العزة تشريفًا لذلك الجسد المأخوذ منا الذي هو من ذرية أبينا آدم ، فهو مثلنا وأخونا في الطبيعة ، وخالقنا وإلهنا باتحاد الكلمة الخالقة به بالحقيقة ، ثم دفع إليه جميع السلطان في السموات والأرض ، وخوّله تدبير الخلائق وصيّر البعث والنشور والدّين إليه ، وأن يحكم حكمًا نافذًا جائزًا على الملائكة والإنس والشياطين . أفتريد أن أضادّ أمر الله وأضربهم بالسيف وأسلبهم وأسبيهم؟ إن هذا لجورٌ على الله عز وجل ، وعناد لأمره ، وظلم لنعمته ، وكفران لإحسانه . وأعوذ بالله من خذلان الله وغضبه" .

والواقع أن أمر هذا الرجل كله كذب وافتراء ، فلم يحدث أن قال الرسول عليه الصلاة والسلام يوما من الأيام: "من لم يقرّ بنبوّتي وأني رسول رب العالمين ضربته بالسيف وسلبت بيته وسبيت ذريته من غير حجة ولا

برهان" ولا طبّق ذلك الكلام قطّ ، بل استمر عليه السلام ثلاث عشرة سنة في مكة يدعو الناس إلى التأمل في الكون والتفكير فيما يقوله لهم ويقرؤه عليهم من آيات القرآن الكريم ، لم يرفع في وجههم سيفا ولا رمحا ولم يفوّق في نحورهم سهما ولا شتمهم ولا هددهم ، بل عرض عليهم مبادئ دينه وعمل على تفتيح عيونهم وقلوبهم وعقولهم لما تحتويه من كنوز ودُرَر ، وكانوا هم الذين يؤذونه هو وأصحابه ويضربونهم ويحاصرونهم ويقاطعونهم ويشنعون عليهم ويتآمرون ضدهم ، وقتلوا بعضا منهم وخططوا لقتله هو أيضا ، وذلك بعدما أعيتهم الحيل في أن يسكتوه بوسائل الإغراء المختلفة من رياسة ومال وما إلى ذلك . فأين إذن التهديد والأذى الذي يقول صويحبنا المدلس إنه عليه الصلاة والسلام كان يجري عليه في دعوته؟ فإذا ذكر هذا المفترى أن المسيح صبر ثلاثة أعوام لقد صبر الرسول الأكرم ثلاثة عشر عاما لا ثلاثة فحسب . كما أن المسيح لم يكفّ خلال ذلك عن لعن اليهود وسبهم ، وكذلك اتهام حوارييه بضعف الإيمان ووسْم بطرس نفسه بالنفاق ، وهو أكبرهم وأقربهم إليه ، وتهديد بني إسرائيل بالسيف وإثارة أفراد كل أسرة بعضهم على بعض ، بالإضافة إلى ما أبداه من احتقار هائل للأمميين ناعتا إياهم بأنهم كلاب لا يحق لها أن تأكل مع أهل البيت ، فما كان من المرأة الكنعانية إلا أن قالت له: إن للكلاب أيضا نصيبا في الفتات . وهو ما أعجبه ، وكأنه كان يتلذذ بإهانة الآخرين ويجد سعادة مَرَضِيّةً في رؤيتهم أذلاء أمامه لا حول لهم ولا طول . وطبعا نحن المسلمين لا نصدق بأن المسيح عليه السلام يمكن أن يجترح هذه الأعمال ولا أن يتفوّه بتلك الأقوال ، فهو نبي مكرم اختاره الله على عينه ورقّى أخلاقه ترقية عظيمة ، بيد أنني إنما أجادل ذلك الكذاب بمنطقه وبنصوص كتابه! أما قوله إنه لا يريد أن يضادّ أمر الله ويضرب الأعداء بالسيف ويقتلهم ويسلبهم

فليس لى من تعقيب عليه إلا أن أقول له: أمعقول أنك تجهل العهد القديم وما فيه من أمر باستئصال الآخرين وحرق بيوتهم وإبادة أولادهم ونسائهم وحيواناتهم؟ أم تقول إن هذا ليس كلام الله؟ إذن ففيم إيمانك به؟ أم تراك تقول إن الأنبياء الذين أتوْا بهذا الكلام قد أتوْا به من لَدُنْ أنفسهم؟ ولكن إذا كانوا قد أتوْا به من لَدُنْ أنفسهم، فلماذا ترك الله هذا الكلام فى كتابه؟ أم تراه لم يَرْضَه؟ فلماذا لم يأمرهم بحذفه ويعاقبهم على هذه المبادرة غير المطلوبة ولا الحميدة؟ أم ماذا؟ وعلى كل فإن عمر المسيح فى عالم الدعوة لم يتجاوز، كما قلنا، ثلاثة أعوام. ولا يستطيع أحد أن يزعم بأنه كان سيستمر على السكوت أمام أذى الأعداء لو أن عمره امتد وزاد أتباعه وأصبح مسؤولا عن هؤلاء الأتباع وعن نظام حياتهم وعن توفير الأمن والأمان والغذاء والكساء لهم، وإلا كان مقصرًا غاية التقصير فى ذات حقهم، وبخاصة أنه أعلن أنه ما جاء إلا بالسيف وبإثارة البيت الواحد بعضه على بعض!

وهذا كله لو كان القرآن كما يقول عنه الأخرق! أمّا، وكتاب الله الكريم يقول شيئا مغايرا تماما لما يدعى ذلك المنافق، فمعنى هذا أن الأخرق إنما يردد أكاذيب ومفتريات لا صلة بينها وبين الواقع الذي يفقأ عينه. وإلى القراء الأعزاء البيان بحكم القرآن في قضية الجهاد: ونبدأ بالنظر فى معنى كلمة "الجهاد"، ففى "لسان العرب" مثلا أن "الجَهْد والجُهْد: الطاقة. تقول: اجْهَدْ جَهْدَك. وقيل: الجَهْد المشقة، والجُهْد الطاقة. الليث: الجَهْدُ ما جَهَد الإنسانَ من مرض أو أمر شاق. الأزهري: الجَهْد بلوغك غاية الأمر الذي لا تألو على الجهد فيه. تقول: جَهَدْت جَهْدي واجْتَهَدتُ رأيي ونفسي حتى بلغت مَجهودي. قال: وجَهَدْت فلانا إذا بلغت مشقته وأجهدته على أن يفعل كذا وكذا. ابن السكيت: الجَهْد الغاية. قال الفراء: بلغت به الجَهْد أي

الغاية، وجَهَدَ الرجل في كذا، أي جدَّ فيه وبالغ. والاجْتِهاد والتجاهُد: بذل الوسع والمجهود، وهو افتعال من الجهد. والجهاد: المبالغة واستفراغ الوسع في الحرب أو اللسان أو ما أطاق من شيء". وواضح أن الجهد هو المشقة، وأن الجهاد هو أن يشق الإنسان على نفسه ويبذل كل ما فى طاقته لا يدخر وسعا. هذا هو المعنى اللغوى، وهو لا ينحصر فى شيء بعينه كما ترى، بل يعم كل ما يؤديه البشر من أعمال. فهل فى القرآن أو فى أحاديث النبى محمد ما يدل على أن الجهاد فى الإسلام ينحصر فى القتال وأن الغاية منه هى إكراه الآخرين بقوة السيف على الدخول فيه رغم أنوفهم وعكس اقتناعهم؟

لننظر أولا فى القرآن المجيد، فماذا نجد؟ لقد ورد "الجهاد" فى عدد من السياقات والمعانى المختلفة: فمنها مثلا قوله تعالى فى سورتى "العنكبوت" و"لقمان" على التوالى يوصى المسلم بأبويه خيرا ويشدد عليه فى الإحسان لهما حتى لو حاولا بكل ما عندهما من جهد أن يصداه عن دينه ويعيداه إلى الشرك الذى لا يقبله عقله ولا يرتاح إليه ضميره: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥) ﴾ [لقمان: ١٤ - ١٥]، ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨) ﴾ [العنكبوت: ٨]. ولا أظن أن هناك عاقلا يقول إن "الجهاد" هنا هو قتال غير المسلم لإكراهه على ترك دينه والتحول عنه إلى دين محمد عليه الصلاة والسلام، أو إنه قتال الوالدين لابنهما بالسيف كى يترك الإسلام ويرتد إلى الكفر والعياذ بالله، بل المعنى فى الآيتين هو بذل الوالدين كل ما عندهما من جهد فى التأثير على ابنهما

وصَدُّه عن دين الله . وصيغة "فاعَلَ" هنا تعنى أن كلا الطرفين يبذل جهده فى مواجهة الآخر: المشرك لفتنة المسلم عن دينه ، والمسلم للاستمساك بدينه والحفاظ عليه وعدم الضعف أمام ضغط والديه ، مع إحسان صحبتهما رغم ذلك كله . والآيات السابقة على آية سورة "العنكبوت" مباشرة تشير إلى مدى النَّصَب والمعاناة اللذين كان المسلمون يتعرضون لهما آنذاك: ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٤ مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٥ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦ ﴾ [العنكبوت: ١ - ٦] . والمعنى أن للإيمان ضريبته المكلفة ، وأن الأمر ليس مجرد شقشقة باللسان ، بل هناك الفتن الفادحة . والمؤمن الحقيقى هو الذى يصبر ويجاهد ويتمسك بإيمانه لا يفرّط فيه مهما تكن شدة تلك الفتن .

وفى سورة "العنكبوت" أيضا نقرأ قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٦٩ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] . وهذه السورة ، كما هو معلوم ، سورة مكية . أى نزلت قبل أن يكون هناك قتال بين المسلمين والكفار ، ومن ثم فالجهاد هنا لا يعنى إلا صبر المسلم على ما كان يلقاه على أيدى المشركين من أذى وضر ، والاستمساك بدينه فى وجه هذا البلاء وعدم التفريط فيه تحت أى ظرف من الظروف . وكثيرا ما كان الصحابة يشكون للنبى ما ينزل بهم من جهد ، يريدون أن يردّوا على الإساءة بمثلها ، لكنه صلى الله عليه وسلم كان ينصحهم بالصبر والتحمل إلى أن يجعل الله لهم من ذلك العناء فرجا ومخرجا . ومن نفس الوادى الآية الثانية والخمسون من سورة "الفرقان": ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ۝٣٠ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ۝٣١ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا

نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ﴿٣٢﴾ ولا يأتونك
بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا ﴿٣٣﴾ الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم
أولئك شر مكانا وأضل سبيلا ﴿٣٤﴾ ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه
هارون وزيرا ﴿٣٥﴾ فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا ﴿٣٦﴾ وقوم
نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية وأعتدنا للظالمين عذابا
أليما ﴿٣٧﴾ وعادا وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا ﴿٣٨﴾ وكلا ضربنا له الأمثال
وكلا تبرنا تتبيرا ﴿٣٩﴾ ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء أفلم يكونوا
يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا ﴿٤٠﴾ وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي
بعث الله رسولا ﴿٤١﴾ إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف
يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا ﴿٤٢﴾ أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون
عليه وكيلا ﴿٤٣﴾ أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم
أضل سبيلا ﴿٤٤﴾ ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس
عليه دليلا ﴿٤٥﴾ ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا ﴿٤٦﴾ وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم
سباتا وجعل النهار نشورا ﴿٤٧﴾ وهو الذي أرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وأنزلنا من
السماء ماء طهورا ﴿٤٨﴾ لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا ﴿٤٩﴾
ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس إلا كفورا ﴿٥٠﴾ ولو شئنا لبعثنا في كل
قرية نذيرا ﴿٥١﴾ فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا ﴿٥٢﴾﴾ [الفرقان: ٣٠ - ٥٢].

وواضح هنا أيضا أن الجهاد لا يعني القتال، إذ "الفرقان" هي إحدى سور القرآن المكي، ولم يكن المسلمون قد سُمح لهم بَعْدُ أن يردّوا العدوان بمثله، بل كان الشعار آنذاك هو الصبر والإغضاء على الأذى كما تقدّم بيانه. لكن لما زاد الأمر عن حده ولم يعد هناك مفر من المواجهة بعد أن قدّموا كل ما يمكنهم تقديمه من التسامح والعفو ولم يأت شيء من ذلك

بثمرة ، كان لا بد لهم من قتال مَنْ قاتلهم وضَرْبِ من يضربهم ، فالعين بالعين ، والسن بالسن ، والبادئ أظلم . وهذه هى الحياة ، وإلا أكل القوىُّ الوقحُ الحيىَّ المسالم . لكن ليس فى القرآن أى كلام عن إجبار الآخرين على اعتناقه ، فالإسلام لم يعرف ما عرفته الكنيسة من التسلط على العقول وترويع الآخرين والتفتيش فى ضمائرهم وتعذيبهم وتحريقهم حتى يدخلوا فى دينها ، وذلك رغم ما تتشدق به الكنيسة من كلام جميل عن التسامح المطلق الذى يوجب على صاحبه أن يدير خده الأيسر لمن يصفعه على خده الأيمن . . . إلى آخر هذا الكلام الذى لا يصلح لدنيا البشر إلا لوقت معلوم وفى ظروف خاصة ، ويقتصر على خلافات الأفراد داخل المجتمع الواحد ، وإلا كانت كارثة . وفى القرآن آيات متعددة توصى بالصبر وعدم الرد على السيئة بمثلها ، وآيات أخرى تخير المسلم بين الرد والعفو ، مع تحبيب الأخير له . وهو ما يدل على أنه لا فرق بين الإسلام والنصرانية فى تحبيب العفو إلى البشر ، ولكن إلى حين . ومرة أخرى ينبغى ألا ننسى أن المسيح عليه السلام لم يمكث بعد أن جاءه الوحى أكثر من ثلاث سنوات ، على حين أن نبينا صلى الله عليه وسلم قد مكث فى مكة يصبّر أتباعه لا ثلاث سنوات وحسب ، بل ثلاثَ سنواتٍ وفوقها عَشْر . كما أن عيسى عليه الصلاة والسلام لم يكن حاكما على دولة ولا تحت يده أمة هو مسؤول عنها وعن مصيرها مثلما حدث مع النبى بعد الهجرة إلى المدينة ، وإلا أفيستطيع أحد أن يزعم أنه كان سيجرى على هذه السنّة إلى أبد الآبدين؟ فمن الذى قال إذن: ما جئت لأُلقِىَ سلاما بل سيفا؟ إنه المسيح نفسه وليس أحدا آخر سواه .

وعلى هذا فإن قوله عز شأنه فى آخر سورة " الحج ": ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٧٧ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ

إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ [الحج: ٧٧ - ٧٨] لا يمكن أن يكون معناه شيئا آخر غير بذل الوسع لإرضاء الله فى كل أمر يستطيعه الإنسان. والأمور التى يستطيعها الإنسان ويرضى ربه بها لا تنتهى، لأنها تشمل كل أمور الحياة من زراعة وتجارة وصناعة وتعليم ودراسة وقراءة وكتابة وسياسة وسفارة وطِبَابة ونجارة وسباكة وخراطة وحدادة، وكذلك قتال العدو المغير بطبيعة الحال كأمريكا وبريطانيا ودول الغرب التى تعاونهما الآن. فعلى المسلم أن يجاهد فى ترقية حياته وحياة أمته وحياة الإنسانية كلها. ولا شك أن كسل المسلم الآن وعدم تنبهه إلى قيمة الجهاد هو الذى أدى به إلى هذا المأزق العسير المؤلم الذى يئنّ منه فى هذه الأيام النَّحِسات، وهو يستحقه إلى حد كبير لأنه أضاع الفرصة تلو الفرصة على مدى قرون كاملة حتى انتهى به الأمر إلى وضعه البائس الحالى الذى جرّا عليه أعداءه تلك الجرأةَ المهينةَ التى نبلوها ونذوق كأسها المرة كاملة كل يوم والتى سيكون حساب الأمة عنها فى غاية العسر يوم القيامة، ولاتَ ساعةَ مَنْدَم.

فإذا تحولنا بوجوهنا إلى أحاديث سيد المرسلين ألفينا النصوص الشريفة التالية: ففى صحيح البخارى نقرأ هذا الحديث الذى يجيب فيه الرسول الكريم على سؤال لعائشة يتعلق بحكم اشتراك النساء فى القتال مع الرجال: "قلت: يا رسول الله، ألا نغزو ونجاهد معكم؟ فقال: لكن أحسن الجهاد وأجمله الحج، حج مبرور. فقالت عائشة: فلا أدع الحج بعد إذ سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم". فها هنا نراه صلى الله عليه وسلم يعد الحج من الجهاد، بل أحسن الجهاد وأجمله. وفى صحيح البخارى أيضا: "قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم: أجاهد؟ قال: لك أبوان؟ قال: نعم.

قال: ففيهما فجاهِدْ". وهنا كذلك يعدّ النبى عليه السلام قيام الابن بحاجة والديه جهادا فى سبيل الله. وفى مسند أبى دواود: "جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم"، وهو ما يدل على أن جهاد الأعداء لا يكون بالقتال فقط، بل بالمال وبالكلمة أيضا كالذى كان يفعله حسان بن ثابت، فإنه كان يجاهد بشعره وفنه. وفى ابن عساكر: "قيل لابن عباس: قد قدِم حسّان اللعين. قال ابن عباس: ما هو بلعين! قد جاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ولسانه". أى أن ما يفعله واحد مثلى الآن بقلمه (أو بالأحرى: بـ"كاتوبه"، إذ لم أعد أكتب بالقلم بل بالكاتوب مباشرة)، يدخل فى باب الجهاد، وإن كان الأجر متوقفا على أن أكون مخلصا فى علمى لا أبتغى فيه السمعة ورئاء الناس وأن أكون قد بذلت أقصى جهدى حتى تبين لى أن هذا الأسلوب هو الأسلوب السليم وليس مجرد حماسة هوجاء لا عقل لها ولا هدف واضح أمامها، وهذا أمر لا يبت فيه إلا الله سبحانه. وفى صحيح الترمذى: "المجاهد من جاهد نفسه"، أى كف عن الشهوات وقام بواجب الطاعة لله سبحانه وبذل وسعه فى عمله وشمر عن ساعد الجِدّ فى ساح العمل والإنتاج، ولم يركن إلى الكسل أو الغش أو الاحتكار أو أسلوب سلق البيض، بل صبر على تكاليف الإتقان والتدقيق والإبداع والسعى فى طلب العلم، فإن كل هذه مشقات تكرهها النفس عادة ولا تريد أن تتجشم فيها شيئا من التعب لو أمكن، فبيّن النبى عليه السلام أن الجهاد الحقيقى هو جهاد النفس بصَبْرها على تأدية الواجب، ومَنْعها من مقارفة المعصية، وما أكثر الواجبات، وما أكثر المعاصى! ومما رواه ابن تيمية من الأحاديث الشريفة قوله صلى الله عليه وسلم: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم، والمهاجر من هجر السيئات، والمجاهد من جاهد نفسه لله". فقد جعل النبى الجهاد هو جهاد

النفس ، وهذا هو ما قلناه ونقوله ، وهو لا يلغى الجهاد الذى هو قتال العدو بالسيوف والبنادق والمدافع والصواريخ والدبابات وما أشبه ، بل يشمله فيما يشمل ، إذ هو لون من مجاهدات النفس قد يكون أفضلها فى بعض الأحيان ، وقد يكون غيره أفضل منه ، وقد تكون ألوان الجهاد كلها متساوية ، وكل ذلك حسبما تقتضيه الظروف ، إلا أنه ليس اللون الوحيد على أية حال . ومثله ما رواه الحافظ العراقى من قوله عليه السلام: "المهاجر من هجر السوء ، والمجاهد من جاهد هواه". وفى الصحيح الجامع للألبانى: "ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسُنّته ويقتدون بأمره . ثم إنها تَخْلُفُ من بعدهم خُلُوفٌ يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون . فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن . ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل". وفى صحيح الترمذى: "إن من أعظم الجهاد كلمةَ عدل عند سلطانٍ جائر"، وهو مما ينقص أمة الإسلام اليوم إلى حد كبير ، إذ كلنا (إلا من رحم الله ، وقليل ما هم) نخشى السلطان الجائر ، وكثير منا ينافقونه ويُوردونه ويُوردون أنفسهم والأمةَ كلها معهم موارد الهلكة كالذى نحن فيه الآن .

إذن فالجهاد ليس هو القتال ضربة لازب ، كما أنه لا يعنى قتال الآخرين بغية إكراههم على اعتناق الإسلام ، والدليل على هذا هو قوله سبحانه وتعالى من سورة "البقرة": ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ

فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٩٤) وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٩٥)﴾ [البقرة: ١٩٠ - ١٩٥]. فمن البيّن الذى لا يمكن الجدال فيه أن الإسلام لا يقرّ العدوان من جانب المسلمين أبدا، بل يقيم تعامله مع المشركين على أساس من مواقفهم: فإن قاتلوا المسلمين فعلى المسلمين مقاتلتهم، وإن كفوا أيديهم عنهم سكت المسلمون كذلك... وهكذا. وفى قوله جل جلاله من سورة "الأنفال": ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٥٥) الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ (٥٦) فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٥٧) وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ (٥٨) وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ (٥٩) وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (٦٠) وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦١) وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٢) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٣)﴾ [الأنفال: ٥٥ - ٦٣] نبصر بكل وضوح واطمئنان أن المشركين إذا غدروا بالمسلمين ولم يوفوا بما عقدوه معهم من عهد كان للمسلمين أن يقاتلوهم ويقتلوهم، فإذا جنحوا للسلم وجب على المسلمين الجنوح إليها والتوكل على الله، وإذا شعروا أن هناك نية غدر فأقصى ما يستطيعونه أن يعالنوهم بأنه لا معاهدة بينهم منذ اليوم: هكذا بكل وضوح، ودون مبادلةٍ لغَدْرهم بغَدْرٍ مثله.

وبنفس العين ينبغى أن نقرأ قوله عز شأنه فى مفتتح سورة "التوبة": ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ (١) فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا

أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ
الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ
تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا
الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ
عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ
حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا
الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾
كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ
عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾
كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى
قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ
إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ
وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي
دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا
تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ
أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَاتِلُوهُمْ
يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ
﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾

[التوبة:١-١٥] . فالكلام هنا أيضا عن المشركين الذين كانت بينهم وبين المسلمين عهود فنقضوها ولم يرعَوْا فيها ولا فيهم إلاً ولا ذمةً ، فكان على المسلمين أن يعاملوهم بذات اللغة التي لا يفهمون سواها ، وذلك بعدما جرب المسلمون

معهم ألوان التسامح حتى باخت المسألة ولم يعد لها من معنى . ورغم ذلك ينبغى ألا يفوتنا الأمر القرآنى فى هذه الآيات بإجارة المشرك الذى يستجير فى هذه الظروف المتوترة بالمسلمين وحمايته إلى أن يسمع كلام الله فى جو هادئ فلا تكون له أية حجة فى غدره بما بينه وبينهم من معاهدات بعد هذا ، ثم عليهم فوق ذلك أن يوصّلوه إلى مضارب قبيلته آمنا مطمئنا . فما الذى يراد من المسلمين بعد ذلك كله؟ أيجب عليهم أن يضربوا للخائن الغادر تعظيم سلام ويقيموا له تمثالا ويجعلوا من غدره مثالا أعلى وذكرى ينبغى أن تُحْتَرَم؟

كذلك فشريعة الكتاب المقدس لا تعرف فى تلك الحالة إلا الاستئصال التام لكل ذى روح ، بشرا كان أو حيوانا ، لا دفع الجزية والإبقاء على حياة الأعداء واحترام عقائدهم . يقول الإصحاح العشرون من سفر التثنية: "[١٦] وَأَمَّا مُدُنُ هؤُلاَءِ الشُّعُوبِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَصِيبًا فَلاَ تَسْتَبْقِ مِنْهَا نَسَمَةً مَا ، [١٧] بَلْ تُحَرِّمُهَا تَحْرِيمًا: الْحِثِّيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ ، كَمَا أَمَرَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ ، [١٨] لِكَيْ لاَ يُعَلِّمُوكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا حَسَبَ جَمِيعِ أَرْجَاسِهِمِ الَّتِي عَمِلُوا لآلِهَتِهِمْ ، فَتُخْطِئُوا إِلَى الرَّبِّ إِلهِكُمْ" ، والمقصود بالتحريم هنا هو الاستئصال . وفى الإصحاح الخامس عشر من سفر صموئيل الأول: "[١] وَقَالَ صَمُوئِيلُ لِشَاوُلَ: «إِيَّايَ أَرْسَلَ الرَّبُّ لِمَسْحِكَ مَلِكًا عَلَى شَعْبِهِ إِسْرَائِيلَ . وَالآنَ فَاسْمَعْ صَوْتَ كَلاَمِ الرَّبِّ . [٢] هكَذَا يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ: إِنِّي قَدِ افْتَقَدْتُ مَا عَمِلَ عَمَالِيقُ بِإِسْرَائِيلَ حِينَ وَقَفَ لَهُ فِي الطَّرِيقِ عِنْدَ صُعُودِهِ مِنْ مِصْرَ . [٣] فَالآنَ اذْهَبْ وَاضْرِبْ عَمَالِيقَ ، وَحَرِّمُوا كُلَّ مَا لَهُ وَلاَ تَعْفُ عَنْهُمْ بَلِ اقْتُلْ رَجُلاً وَامْرَأَةً ، طِفْلاً وَرَضِيعًا ، بَقَرًا وَغَنَمًا ، جَمَلاً وَحِمَارًا»" . وبالمناسبة فمصر هذه الأيام تغلى ، أقصد أن شرفاءها يغلون بل تحترق قلوبهم على الجنود والضباط والمدنيين المصريين

الذين قتلوا فى سيناء عقب هزيمة ١٩٦٧م المخزية وبعد استسلام الجيش المصرى فى عهد البطل خالد الذكر (!) جمال عبد الناصر ، الذى يتصور بعض السُّذَّج أنه لو كان حيًا الآن لكان لقَّن إسرائيل والولايات المتحدة درسا لا تنسيانه . وهذا التصرف من جانب اليهود لا يمكن فهمه على وجهه السليم إلا فى ضوء نصوص العهد القديم الإجرامية المتوحشة . جاء فى مقال منشور فى ١٢/ ٣/ ٢٠٠٧م بجريدة "المصريون" بعنوان "رحبت بتصريحات أبو الغيط واعتبرتها إيجابية- إسرائيل تدرس دفع تعويضات لذوي ضحايا مجزرة الأسرى في حرب ٦٧" عن المجزرة التى تم فيها قتل ٢٥٠ جنديا مصريا فى سيناء رغم استسلامهم بعد هزيمة ١٩٦٧م أن "الكثيرين من الجنود (الإسرائيليين) المتورطين في المجزرة التي عرضتها القناة الأولى بالتلفزيون الإسرائيلي في ٢٦ فبراير الماضي اعترفوا بأنهم قتلوا الجنود المصريين مدفوعين بشهوة الانتقام ، وتطبيقا لتعليمات عسكرية من قادتهم . وقالوا إن بن أليعازر شارك بنفسه في عمليات مطاردة الجنود المصريين المنسحبين وقتلهم بدم بارد حيث كان يرغمهم على النوم على الأرض على وجوههم بعد تقييد أيديهم من الخلف ثم يطلق عليهم الرصاص من خلف الرأس . وأشاروا إلى أن الأوامر الصادرة إليهم من بن أليعازر كانت تقضي بإطلاق الرصاص على الجنود المصريين العُزَّل حتى بعد أن كانوا يرفعون أيديهم مستسلمين" . ويزيد الأستاذ جمال أسعد (القبطى) الأمر تفصيلا فيقول فى نفس الجريدة فى اليوم التالى تحت عنوان "دم الأسرى في رقابنا جميعا": "هل اكتشفنا مؤخرا أن إسرائيل دولة عنصرية استعمارية تخالف القانون الدولي ، ليس في سلوكها فحسب ، ولكن في نشأتها ذاتها كدولة تخالف قرارات مجلس الأمن؟ وهل هناك جديد في قضية قتل وسحق إسرائيل للأسرى المصريين في حربي ٥٦ ، ٦٧ بعد إذاعة الفيلم الإسرائيلي

في القناة الأولى للتليفزيون الإسرائيلي باسم روح شاكيد "الصفوة"؟ نقول لكل من ينسى أو يتناسى أن قضية الأسرى المصريين في إسرائيل لم تكن هذه المرة الأولى التي أثيرت فيها بمناسبة ذلك الفيلم، ولن تكون الأخيرة. فقد أثيرت تلك القضية عام ١٩٩٦ وعام ٢٠٠٠ عند الانتفاضة الفلسطينية الثانية من خلال منظمات شعبية وسياسية. كما أن تلك القضية الهامة والحساسة والتي تمس شرف العسكرية المصرية وكيان المواطن المصري نتيجة لتلك الممارسات الإسرائيلية الحقيرة في حق أسرانا قد تم رصدها وتسجيلها. كما توجد وثائق وسجلات لدى القوات المسلحة المصرية ولدى منظمات العمل الأهلي وحقوق الإنسان، وذلك من خلال رصد ومقابلة وشهادات واعترافات الأسرى المصريين العائدين والناجين من المجازر الإسرائيلية. وذلك بما لا يدع مجالا لأي شك في تلك الممارسات اللاإنسانية في حق أسرانا. فلا فيلم روح شاكيد ولا اعترافات بن إليعزر أضافت جديدا في هذا الموضوع، غير أن هذا الفيلم يعتبر نوعا من الاعتراف المباشر على اقتراف تلك المجازر والتي من الواجب استعمالها واستغلالها أحسن استغلال في فضح وكشف تلك الجرائم. فالقضية أكبر من إعدام ٢٥٠ أسير لا يحملون سلاحا بل لا يرتدون ملابس عسكرية. فالممارسات الإسرائيلية في حق أسرانا تجاوزت كل الحدود وانتهكت كل الأعراف وأسقطت كل القوانين، فقد تم قتل الأسرى بالمئات في مذابح بشرية ودفنهم أحياء ودهسهم تحت جنازير الدبابات وإعدام كل من يطلب قطرة ماء بالرصاص وضربهم بالنابالم في وجوههم. بل وصل الأمر بأنه كان يُطْلَب من الأسير أن يحفر قبره بنفسه، ثم يتم إطلاق النار عليه وهو في القبر، ثم يتم دفنه قبل أن تفارق روحه الحياة. والغريب في الأمر أن تلك الممارسات الفظيعة ليست نتاج اعترافات أسرى مصريين أو من خلال مصادر مصرية فقط، ولكن الأهم أن تلك

الممارسات قد تم الاعتراف بها من قِبَل فاعليها من العسكريين الإسرائيليين مثل شارون زيف، الذي اعترف بأنه قد قذف قنبلة في شاحنة ممتلئة بالمصريين، وعاموس فنمان، الذي قال: طاردنا المصريين وقتلناهم بلا أي قواعد. ناهيك عن التجارة بأعضاء الأسرى المصريين في أوروبا وإسرائيل.

فهل يوجد سلوكيات أحقر من هذا في حق المقاتل المصري الأسير الذي من المفترض أن يحميه القانون الدولي واتفاقات جنيف الأربعة عام ١٩٤٩ والتي تعتبر أن هذه الجرائم لا تسقط بالتقادم؟ مع العلم أن نظرة سريعة على تلك الاتفاقات تجد أن إسرائيل قد اقترفت من الجرائم ما لا يحصى مثل القتل العمد، التعذيب، المعاملة غير الإنسانية، إجراء تجارب بيولوجية على أشخاص غير مسلحين، الحرمان من الحق في محاكمة منصفة وعادلة، وانتهاك الكرامة الإنسانية وغيرها غيرها من اتهامات. فماذا بعد؟ وما هي الأسباب الواضحة والخفية في وجود هذا التقاعس لإثارة تلك القضية وإحياؤها مصريا ودوليا؟ وهل هناك علاقة فعلا بين عدم الجدية في الحصول على حقوقنا من إسرائيل تجاه تلك القضية وبين ما يسمى بمعاهدة السلام؟ وهذا واضح بدليل أنه حتى هذه اللحظة فالذي يثير تلك القضية في أوقات متفرقة هي المنظمات الشعبية والأهلية، ولا نرى موقفا جادا من الخارجية أو الحكومة غير الإستدعاءات والاستفسارات. وهل منعت معاهدة السلام إسرائيل من أن تمارس تلك الممارسات اللاإنسانية والغير قانونية؟ والغريب أن وزيرة خارجية إسرائيل تقول أننا الآن في سلام مع مصر فلا يجب أن تنظر إلى قضايا قديمة مضى عهدها. وبالرغم من عدم تقادم تلك القضايا فإننا نسأل السيدة الوزيرة: هل أسرانا هم أقل رتبة من أسراكم؟ أم أنتم شعب الله المختار؟ وإذا كان ما فات مات فلماذا طالبتم وما زلتم تطالبون وتستغلون ما يسمى بالهولوكوست ضد ألمانيا وأوروبا؟ ولماذا قد حصلتم

على نحو ٨٠٠ مليار دولار تحت بند ما يسمى بالتعويض المادي؟ وهذا غير المكاسب السياسية التي لا تقدّر مثل حصولكم على وثيقة ما يسمى بتبرئة اليهود من دم المسيح من الكنيسة الكاثوليكية، وكذلك تهديدكم سياسيا للعالم كله بتلك المحرقة حتى أصبح الآن هناك قوانين تخدم ما يسمى بالإساءة للسامية، وكأن اليهود هم وحدهم الساميون. ولماذا نذهب بعيدا، وتسأل أيضا: ماذا تفعل إسرائيل حيال أسراها؟ ولماذا قامت بشن الحرب السادسة الإسرائيلية ضد لبنان بحجة استرداد أسيرين قام حزب الله بأسرهما؟ وماذا كانت نتيجة تلك الحرب؟ وما هي الخسارة اللبنانية في مقابل أسيرين ما زالا أحياء؟ وكم دفع الفلسطينيون دما وأرواحا ومنازلا مقابل أسير واحد لم يمس بأذى؟ فلا شك أن اتفاقيات السلام لا تعني شيئا بالنسبة لإسرائيل، فهي لا يعنيها ولا يهمها سوى أن تكون نموذجا للدولة العنصرية، عميلة لأي قوى كبرى في المنطقة. فهل السلام المصري الإسرائيلي منع تلك الدول من التجسس على مصر؟ فلماذا التحجج بهذا السلام البارد والذي هو يعني الحكومات وليس الشعوب؟ ولماذا لا نتعامل مع إسرائيل بمثل ما تعاملنا؟ وهنا نقول: ماذا فعلت إسرائيل حينما قام بعض الجنود المصريون بضرب بعض الإسرائيليين؟ قامت الدنيا ولم تقعد وحصلت إسرائيل على تعويضات واعتذارات. وماذا حصلنا نحن عندما قام جنود إسرائيليون بقتل جنود مصريين؟ وهنا لا تقول أنها صدفة وبدون قصد. فهل نعلم ماذا تدرس إسرائيل لطلابها، وفي ضوء السلام هذا؟ وماذا تدّعي من أكاذيب وافتراءات على مصر وتاريخ مصر؟ وهل نعلم أن عقيدة هؤلاء تعتبر أن قتل الأسرى المصريين واجبا مقدسا لأنهم أبناء عاهرات مثلما جاء في جريدة "الفجر"؟ وهنا فما حدث في حق أسرانا قد فاق كل الحدود وتجاوز كل الآفاق، ومصر لن تخضع لأي أحد تحت أي معاهدة. وكرامة المصري هي

أهـم مـا يملـك . ودَوْر الحكـومة ، أيّ حكـومة ، هـو الحفـاظ علـى المواطن وكرامته . فهل يمكن البدء فورا في اتخاذ قرارات تحفظ حقوقنا وتعيدها إلينا؟ هـل مـن حملـة منظمة للعالم كله ضد تلك الممارسات؟ أين حقوق الإنسان؟ وأيـن المنظمات الدولـية والقـوانين الدولـية؟ أم أن تلـك المنظمات وهـذه القوانين لا تتحرك ولا تفعل إلا للإسرائيلي أو الأمريكي أو الأوروبي ، ولا تحـل للعربي أو الشرقي؟ فلماذا لا يتم سحب السفير المصري من إسرائيل؟ وكـيف كانـت تلك الدعوة للقاتل السفاح بن إليعزر ، والأجهزة تعلم فعلته الخسيسة؟ لمصر حقها . لا ولن يضيع طالما هناك شعب يعتز بكرامته ، ولن يـضيع حـق وراءه مطالـب . ولن يحفظ كرامتنا إلا نحن . وقضية الأسرى لن تموت مهما تم التغطية عليها أو التعتيم حولها".

وهـنا يحـسن أن ننقل للقـارئ ما كتبه يورى أفنيرى الكاتب والسياسى الإسـرائيلى فى مناقشة الدعوى التى تقول إن الإسلام دين عدوانى وإنه قد انتشر بالـسيف والإكـراه ، وذلـك فـى مقالـه الـذى رد بـه علـى خطبة بابا الفاتـيكان مـنذ عـدة شـهور ، والترجمة لكرم محمد ، الذى كان قد أرسلها لى مشكورا فى رسالة فورية يطلب رأيى فيها فوجدت أسلوب الترجمة سلسا إلى حد معقول ، ورأيت أن أستشهد ببعض ما جاء فيها مع شيء من التصرف . يقـول أفـنيرى: "يؤكد البابا ، في سبيله لإثبات غياب العقل عن الإسلام ، أن النبي محمدًا أمر أتباعه أن ينشروا دينهم بالسيف . وهذا يتناقض ، وفقًا للبابا ، مـع العقـل لأن الإيمان ينبع من الروح ، وليس من الجسد ، فأنّى للسيف أن يؤثـر علـى الـروح؟ والـبابا ، في سبيله لتدعيم رأيه ، يقتبس من دون الناس جـيعًا مـن إمـبراطور بيزنطي ينتمي إلى الكنيسة الشرقية المنافسة . ففي نهاية القرن الرابع عشر حكى الإمبراطور عمانوئيل الثاني بالايالوجس عن مناظرة لـه ، أو هكـذا قال (فحدوثها موضع شك) ، مع عالمٍ فارسيٍ مسلمٍ مجهولٍ ،

وفي فورة هذا النقاش طرح على خصمه هذه العبارات التالية (حاكيا عن نفسه): "أرني فقط ما الجديد الذي جاء به محمد، وحينها لن تجد إلا أشياء شريرة وغير إنسانية، مثل أمره بنشر الدين الذي كان يبشر به بالسيف". هذه الكلمات تُظهر ثلاثة أسئلة: (أ) لماذا قالها الإمبراطور؟ (ب) هل هذه العبارة صحيحة؟ (ج) لماذا استشهد بها البابا الحالي؟ كان عمانوئيل الثاني، حينما كتب دراسته هذه، زعيما لإمبراطورية تموت، فقد تقلد السلطة في ١٣٩١م في وقت بقي فقط في يده القليل من المقاطعات مما كان يشكل يومًا إمبراطورية عظيمة. هذه المقاطعات بدورها كانت تحت التهديد التركي، وفي هذه الفترة كان العثمانيون الأتراك قد بلغوا ضفاف نهر الدانوب، وقاموا بغزو بلغاريا وشمال اليونان، وهزموا للمرة الثانية الجيوش التي أرسلتها أوروبا لإنقاذ الإمبراطورية الشرقية. وفي ٢٩مايو ١٤٥٣، وبعد سنوات قليلة من موت عمانوئيل، سقطت عاصمته القسطنطينية (إسطانبول حاليا) في أيدي الأتراك واضعةً نهاية للإمبراطورية التي استمرت لما يزيد عن ألف عام. وكان عمانوئيل يقوم، أثناء فترة حكمه، بجولات زار خلالها عواصم أوروبا في محاولة لحشد الدعم حيث وعد بالانضمام مرة أخرى إلى الكنيسة.

وليس هناك أدنى شك في أنه كتب أبحاثه الدينية بغية تحريض الدول المسيحية ضد الأتراك وليقنعهم بتدشين حملة صليبية جديدة. وقد كان هدفه هذا براجماتيا، فالعقيدة كانت تخدم السياسة. وفي هذا السياق نجد أن الاقتباس يخدم تماما متطلبات الإمبراطور الحالي جورج بوش الابن، فهو أيضا يريد توحيد العالم المسيحي ضد "محور الشر"، الذي هو إسلامي في الغالب. بالإضافة إلى ذلك يطرق الأتراك مرة أخرى أبواب أوروبا، بشكل سلمي هذه المرة، ومن المعروف جيدًا أن البابا يدعم القُوَى التي تعارض دخول تركيا إلى الاتحاد الأوروبي. ولكن هل كانت مزاعم عمانوئيل بها شيء من

الصحة؟ البابا نفسه قدم كلمة تحذيرية، فهو كعالم لاهوتي جاد وشهير لا يمكنه أن يقدم على تزييف النصوص المكتوبة. لذلك اعترف بأن القرآن على وجه الخصوص يحرّم نشر الإيمان بالقوة، واقتبس من السورة الثانية في القرآن الآية ٢٥٦ (أخطأ البابا في اقتباسه بشكل غريب، فقد كان يقصد الآية ٢٥٧) التي تقول: "لا إكراه في الدين". كيف يمكن أن يتجاهل إنسان مثل هذه التصريح الواضح الذي لا لبس فيه؟ ببساطة يزعم البابا أن هذه الوصية أعلنها الرسول عندما كان في بداية دعوته في وقت كان لا يزال فيه ضعيفًا عاجزًا، لكنه بعد ذلك أمَرَ باستخدام السيف في خدمة الدين. أمرٌ كهذا ليس موجودًا في القرآن. نعم، دعا محمد إلى استخدام السيف في حربه ضد القبائل المسيحية واليهودية وغيرها ممن كانت تعيش في الجزيرة العربية، لكن هذا كان أمرًا سياسيًّا، وليس دينيًّا. أي أنه بشكل أساسي كان يهدف توسيع الدولة وليس نشر الدين. يقول المسيح: "من ثمارهم تعرفونهم". إن معاملة الإسلام للأديان الأخرى يجب أن يُحكَم عليه وفقا لاختبار بسيط: كيف كان سلوك الحكام المسلمين خلال ما يربو على الألف عام عندما كان في استطاعتهم استخدام ما لديهم من قوة لنشر الدين بالسيف؟ حسنا، أبدا لم يفعلوا. لقرون عديدة حكم المسلمون بلاد اليونان: هل أصبح اليونانيون مسلمين؟ هل حاول أحد حتى أن يكرههم على أن يسلموا؟ العكس هو الصحيح، إذ تقلد المسيحيون اليونانيون أرفع المناصب في الإدارة العثمانية. كذلك فالبلغار والصرب وأهل رومانيا، وكذلك المجريون والأمم الأوروبية الأخرى، عاشوا في فترة أو في أخرى في الماضي تحت الحكم العثماني وتمسكوا بإيمانهم المسيحي، ولم يكرههم أحد على أن يصبحوا مسلمين، وجميعهم ظلوا مخلصين للمسيحية. نعم، اعتنق الألبان الإسلام، وكذلك فعل البوسنويون. لكن لا أحد زعم أنهم فعلوا ذلك تحت الإكراه. لقد

اعتنقوا الإسلام لكي يصبحوا مفضلين لدى الحكومة ولكي يستمتعوا بالمكاسب . في عام ١٠٩٩ غزا الصليبيون مدينة بيت المقدس وارتكبوا المذابح في حق سكانها من المسلمين واليهود من غير تمييز ، وارتُكِبتْ هذه الجرائم باسم المحترم يسوع . في هذا الوقت ، بعد ٤٠٠ عام من احتلال المسلمين لفلسطين ، كان المسيحيون مايزالون يمثلون أغلبية سكان الدولة . ولم يحدث خلال هذه الفترة الطويلة أن يُبذل أي جهد لفرض الإسلام عليهم . لكن فقط بعد طرد الصليبيين من الدولة بدأ أغلبية السكان في تبني اللغة العربية و اعتناق الدين الإسلامي ، وهؤلاء هم أجداد غالبية فلسطينيي اليوم . وليس هناك أي دليل على الإطلاق على أن ثمة محاولات بُذِلَتْ لفرض الإسلام على اليهود . فكما هو معروف تمتع اليهود تحت الحكم الإسلامي في أسبانيا بازدهار لم يتمتع اليهود بمثله في أي مكان آخر تقريبًا حتى عصرنا الحالي . فشاعرٌ مثلُ يهودا هاليفي كتب شعره بالعربية ، وكذلك فعل ابن ميمون العظيم . في أسبانيا المسلمة كان اليهود وزراء وشعراء وعلماء . في طليطلة المسلمة عمل العلماء اليهود والمسيحيون والمسلمون سويا وقاموا بترجمة النصوص العلمية والفلسفية الخاصة باليونانين القدماء . لقد كان هذا العصر بحق هو العصر الذهبي . كيف لمثل هذا أن يحدث إذا كان النبي قد أمر بـ" نشر الدين بالسيف" ؟ ماحدث بعد ذلك هو أمر جدير بالاعتبار ، فعندما قام الكاثوليك بالاستيلاء مرة أخرى على أسبانيا من أيدي المسلمين أقاموا حكم الإرهاب الديني . لقد وُضِعَ اليهودُ والمسلمون أمام خيار قاسٍ : إما أن يصبحوا مسيحيين ، أو أن يتعرضوا للمذابح ، أو يرحلوا . ولكن إلى أين يهرب مئات الآلاف من اليهود الذين رفضوا التخلي عن إيمانهم؟ كلهم تقريبا استُقْبِلوا في البلاد الإسلامية بترحاب عظيم . اليهود السفرديم (الأسبان) استقروا في مختلف أنحاء العالم الإسلامي: من

المغرب في الغرب إلى بغداد في الشرق، ومن بلغاريا في الشمال (كانت ما تزال تحت الحكم العثماني) إلى السودان في الجنوب. لم يحدث أن اضطُهِدوا في أي من هذه الأماكن، ولم يقع لهم مثل الذي ابتُلُوا به في كل البلاد المسيحية تقريبا من تعذيب محاكم التفتيش ولهيب المحارق والذبح والطرد الجماعي وصولا إلى الهولوكوست. لماذا؟ لأن الإسلام حرم بشكل واضح أيّ اضطهاد "لأهل الكتاب". وفي المجتمع الإسلامي حظي اليهود والمسيحيون بمكانة خاصة. لم يحصلوا على المساواة الكاملة في الحقوق، لكنهم حصلوا على معظمها. لقد كان يتوجب عليهم دفع ضريبة خاصة، لكنهم أُعْفُوا من الخدمة العسكرية، وهو امتياز كان موضع ترحيب عظيم من قِبَل الكثيرين من اليهود. لقد قيل إن الحكام المسلمين كانوا يسيئهم أي محاولة لإقناع اليهود بدخول الإسلام حتى ولو كان طريق الاقتناع سلميا لأن ذلك يستلزم نقص الضرائب. إن كل يهودي يتسم بالأمانة ويعرف تاريخ شعبه لا يمكنه إلا أن يشعر بعميق الشعور بالجميل للإسلام، الذي حمى اليهود لمدة خمسة أجيال، في حين كان العالم المسيحي يضطهد اليهود ويحاول لمرات كثيرة أن يكرههم على التخلي عن إيمانهم. إن قصة "نشر الدين بالسيف" هي أسطورة شريرة، وخرافة من الخرافات التي نمت في أوروبا أثناء الحروب الكبرى ضد المسلمين، مثل حروب استرداد المسيحيين لأسبانيا، والحروب الصليبية، وحروب الدفاع ضد الأتراك، الذين غَزَوْا فيينا تقريبًا. بل إني لتساورني الشكوك في أن يكون البابا الألماني الأصل أيضا يؤمن فعلا بهذه الخرافات. هذا يعني أن زعيم العالم الكاثوليكي، الذي هو عالم في اللاهوت المسيحي أيضا، لم يبذل أي جهد لدراسة تاريخ الديانات الأخرى. ولكن لماذا يا ترى تفوّه قداسته بهذه الكلمات علنًا؟ ولماذا الآن تحديدًا؟ لا مفر من النظر إلى هذه الكلمات على خلفية الحملة

الصليبية الجديدة التي يقودها بوش وأنصاره من الإنجيليين بشعاراته عن "الفاشية الإسلامية" و"الحرب الكونية ضد الإرهاب" في وقت صار فيه الإرهاب مرادفًا للإسلام. وبالنسبة لمعارضي بوش فهذه محاولة مضحكة لتبرير السيطرة على مصادر البترول العالمية. وهذه ليست المرة الأولى التي يستخدم فيها رداء الدين لتغطية عُرْي المصالح الاقتصادية، وليست هذه هي المرة الأولى التي يتحول فيها تنافس اللصوص إلى حملة صليبية. إن خطاب البابا هذا يصب في هذا الاتجاه، فمن يا ترى يستطيع أن يتنبأ بنتائجه الكارثية؟".

وبالمناسبة فآية "لا إكراه فى الدين" ليست آية مكية كما يقول أعداء الإسلام، بل هى آية مدنية نزلت بعد السماح للمسلمين بقتال من يقاتلهم. أى أن الرد على العدوان شىء، وإكراه الآخرين على الدخول فى الإسلام شىء آخر تماما لا يعرفه الإسلام. والآن يمكنك، أيها القارئ، أن تحكم بنفسك على هذا المتطلّس المتنطّع الذى يقيم من نفسه واعظا علينا يعلمنا الرحمة والإنسانية فى تعاملنا معه هو وقومه، بعدما رأيت بنفسك الفرق الرهيب بين تشريعاتنا وتشريعاتهم فى هذا الشان. أما تخويفه من شريعة الجهاد فى الإسلام فإنه خبث مفضوح، إذ لا يكره دفاعَ أية أمة عن نفسها إلا مجرمٌ أثيمٌ يريد تخدير فريسته حتى لا تكون يقظة له ولألاعيبه الإبليسية فيأخذها على غرة وهى نائمة على صماخ أذنيها كما وقع وما زال يقع لنا على يد الاستعمار الغربى، فيكون انتصاره علينا واحتلاله أرضينا عبارة عن نزهة خلوية. ويا حبذا لو خرجت له نساؤنا يرقصن للترفيه عنه كما منّت أمريكا جنودها حين استجلبتهم لغزو العراق! ولو كان الإسلام يشرع الحرب الإكراهية كما يزعم هذ الكذاب، فلم قال سبحانه وتعالى فى سورة "الممتحنة": ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٧ - ٩] ؟ من الواضح أن القرآن لا يأخذ العاطل مع الباطل، بل يفرق بينهما تفرقة دقيقة وحكيمة. كذلك لو كانت الحرب العدوانية شريعة إسلامية لما قال رسوله الكريم: "يا أيها الناس، لا تتمنَّوا لقاء العدو، وسَلُوا الله تعالى العافية. فإذا لَقِيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف... اللهم مُنْزِلَ الكتاب ومُجْرِيَ السحاب وهازمَ الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم"، ولما رضى عليه السلام بشروط الحديبية المجحفة مبديًا استعداده للعمل بكل سبيل إلى حقن الدماء! من هنا فاتهام المؤلف الكذاب للإسلام بأنه ليس دين سلام هو قولٌ مجافٍ للحقيقة، تلك الحقيقة التى تتمثل فى أن دين سيد الأنبياء والمرسلين هو دين سلام إذا كان الطرف الآخر يبغى سلاما، ودين حرب إذا فُرِضَت عليه الحرب فرضا ولم يكن هناك أى مجال لتجنبها، وإن كان مع هذا يؤثر السلام ويدعو إليه ويريد أن يعيش مع الآخرين فى ظلاله الوارفة ما أمكن وما وجد استجابة لدعوته الكريمة. هذه هى الحقيقة بكل بساطة وصدق، ولا إخال أن هناك من يعترض على ذلك، فضلا عن أن يكذب وينافق متظاهرا بالتسامح كأى ثعلب خبيث يلبس مُسُوح المتقين، وهو مجرم لئيم!

٢٥- وكان الهاشمى قد دعا عبد المسيح الكندى فى رسالته إليه أن يمارس حياته الطبيعية كما يمارسها أى آدميٍّ سَوِيٍّ مُشْبِعًا رغباته فى الحلال، فكان جوابه هو: "أما ما دعوتني إليه فقد عددتُه من الأمور الزائلة الفانية التي هي كأحلام النائم، والبرق الذي يضيء قليلاً ويذهب سريعًا ويبقى راجيه في الظلام مقيمًا. ولو كانت هذه أشياء دائمة باقية غير فانية لما كان يجب

على ذي عقلٍ أن يرغب فيها ولا يميل إليها، فكيف وهي مشاركة البهائم التي همّها الأكل والشرب والنوم؟ وإنما يميل إلى مثل هذه الأوضاع من قد غلب عليه الشَّرَه في أخلاقه وطباعه، ولا أظنك عرفتني بالراغب في هذا وشبهه! فكيف أردت أن تصيدني بمثل هذه المصائد الدنية الخسيسة التي إنما يميل إليها ويغترّ بخدعتها من كان طبعه يشاكل طبع البهائم. فأما المميّزون الذين قد نظروا في الأمور فإنهم أبرياء من مثل ما ذكرتَه وعدّدْتَه، بل هم مجتهدون في أن يدفعوا آفات أبدانهم التي لا قوام لهم إلا بها. ولو تهيّأ لهم دَفْعها في الطبائع، أو كان ممكنًا لهم ذلك، لدفعوها. وما لهذا خلق الله الخَلْق، ولا لمثله يبعثهم من الموت يوم القيامة. فأنت تقول في كتابك: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝﴾ [الذاريات: ٥٦]، فأراك مناقضًا لقولك، لأنك قلت إنك خُلِقْتَ للعبادة، ثم تنقض وتهدم بناءك وتقول: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ (ومن الإماء) ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٣] وأن نأكل ونشرب مثل البهائم. أما باب الطلاق والاستحلال والمراجعة الذي أحلّه صاحبك فلولا كراهية التطويل لتلوتُ عليك مما قرّع الله به أهله على لسان إرميا النبي. لكنك تعلم ما في هذا الأمر من العيب والشناعة عند جميع الأمم وسائر أهل الملل، وكيف استقباحهم له وإنكارهم إياه. وإني لأنْهَى نفسي عن سفه المخاطبة فيه، وأرفع قدر كتابي عن إدخال شيء من ذكره". وواضحٌ زرايةُ الكندى على أسلوب حياة المسلمين واتهامه إياهم بأنهم على شاكلة البهائم. فهل يمكن أن يصدق عاقل أن هذا الكلب، مهما طمأنه الهاشمى وأعطاه الحرية فى التعبير عما بنفسه دون خشية، يجرؤ على أن يرميه هو والمسلمين جميعا بما فيهم رسول الله وأمير المؤمنين بأنهم "بهائم" مع ما تعرفه من حرصه على مراعاة مقام الخليفة وعدم جرأته على وصفه إلا بـ "سيدى أمير المؤمنين" فى ذلة وخنوع

ونفاق صفيق؟ فهذا مما يريبنى فى الرسالة ولا يجعلنى أصدق أن صاحبها هو الكندى، بل شخص أقدم على تسويدها فى الظلام ثم وضعها فى طريق الناس مطمئنا إلى أن أحدا لن يعرف حقيقته، ومن ثم فهو آمن من العقاب. وبالنسبة إلى الطلاق فمعروف لكل أحد أن أبغض الحلال فى الإسلام إلى الله الطلاق، فهو إذن ضرورة من الضرورات لا يلجأ إليها المسلم إلا فى حدودها. وكأى ضرورة كان الطلاق فى كثير من الأحيان أمرا لا بد منه، وإلا استحالت الحياة الأسرية جحيما وكان ذلك سببا فى الزنا، وربما القتل، للتخلص من الطرف الآخر الذى لا يستطاع التخلص منه بالحسنى كما هو مشاهد بين من يُعْنِتون أنفسهم دون داع ويكلفون طبيعتهم البشرية مستحيلا من الأمر، مما تناولناه قبل قليل فى هذه الدراسة. ثم إن قوله تعالى فى سورة "الذاريات": ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦] لا يتناقض مع قوله عز شأنه فى سورة "النساء": ﴿ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ [النساء: ٣] فى شىء قلّ أو كثُر. ذلك أن العبادة فى الإسلام ليست مقصورة على الصلاة والصيام والزكاة والحج، وإن كان هذا هو المعنى الاصطلاحى الفقهى للعبادة، بل تشمل هذا كله وتتجاوز هذا كله إلى ألوان أخرى لا تنتهى من العبادات يمكن اختصارها ببساطة فى قولنا إن كل ما رقّى الحياة البشرية وأسعد الناس وجلب لهم المنافع ودفع بالحضارة الإنسانية إلى الأمام وعمله المسلم مرضاة لربه سبحانه هو لون من ألوان العبادة يؤجر عليه الإنسان أجرا عظيما. ومن هنا نقرأ فى سورة "الملك": ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ [الملك: ١ - ٢]. وقد عد الرسول معاشرة الرجل لزوجته فى السرير عملا طيبا يحوز من الله أجرا عليه، وكان رده على من استغرب ذلك من صحابته الكرام أن الزوج لو

كان قد عاشر امرأة أخرى غير زوجته لكان الله قد عاقبه، فبالمثل يجزيه سبحانه وتعالى الجزاءَ الحَسَن على إشباعه رغبته فى الحلال. كذلك عد الرسول السعى على المعاش لونا من ألوان العبادة، وقال فى رجل كان من عادته البقاء فى المسجد بعد انتهائه من الصلاة، على حين يخرج أخوه فيجرى على معاشهما، إن الأخ الساعى على المعاش أعبد من الملازم للمسجد. وهناك الحديث الشريف الذى يقول فيه صلى الله عليه وسلم إن فضل العالم على العابد كفضل البدر على سائر الكواكب، وكذلك الذى يقول فيه: "فضل العلم خير من فضل العبادة، وخير دينكم الوَرَع"، وهذا الذى يقول فيه: "إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل وإنه لضعيف العبادة، وإنه ليبلغ بسوء خلقه أسفل درجة في جهنم".. وهكذا. ثم إن المعاجم اللغوية تفسر "العبادة" على النحو التالى كما نقرأ فى "تاج العروس" مثلا: "العُبُودِيَةُ والعُبُودَةُ بضَمّهما والعِبَادَةُ بالكسر: الطاعةُ. وقال بعضُ أئمة الاشتقاق: أصلُ العُبُودِيَةِ: الذُّلُّ والخُضُوعُ. وقال آخَرُونَ: العُبُودَةُ: الرِّضا بما يَفْعَلُ الرَّبُّ، والعِبَادَةُ: فِعْلُ ما يَرْضَى به الرَّبُّ. والأَوّلُ أقوى وأَشَقُّ". ويقول بطرس البستانى فى "محيط المحيط": "عَبَدَ اللهَ تعالى يعبُدُهُ عُبُودةً وعُبُوديَةً وعِبَادةً: طاع لَهُ وخضع وذلَّ وخدمهُ والتزم شرائع دينهِ ووحَّدهُ". ولم يحرم الله على عباده فى دين سيد الأنبياء الاستمتاع بآلائه ولا قال لهم إن مطالب أجسادهم ولا إشباعها شىء مقيت، إذ هو خالق تلك الأجساد وخالق حاجاتها، والمهم ألا يتجاوز الشخص فى إشباعها حدود الحلال والاعتدال. وعلى هذا فنحن حين نستمتع بآلاء الله لا نعصيه سبحانه، بل نطيعه لأنه عز وجل امتنّ علينا بتلك الآلاء وأخبرنا أنه خلقها لنا: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ

أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٩٩)﴾ [الأنعام: ٩٩]، ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (١٤١) وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (١٤٢)﴾ [الأنعام: ١٤١ - ١٤٢]، ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ (٣٢) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣) وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (٣٤)﴾ [إبراهيم: ٣٢ - ٣٤]، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١)﴾ [الروم: ٢١]. كما أنكر الإسلام الرهبانية التي أدخل النصارى عليها من البدع ما لا يرضاه الله سبحانه:

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٧)﴾ [الحديد: ٢٧].

ومن هنا فلا معنى لاعتراض صاحبنا أبدا، ولا مكان عندنا لما يزعم حُسْنه من تلك الرهبانية، لكن المنافقين قوم لا يفهمون، إذ هم حريصون على السمعة الكاذبة والرياء الحقير أكثر مما هم حريصون على العيش فى نور الحقيقة. والمضحك أن الكندى يصف التمتع النظيف بالحياة بأنه كـ "أحلام النائم". وعلى هذا فإن معاشرة الرهبان للراهبات هو حلم من "أحلام النائم"، واغتصاب القساوسة للغلمان الصغار وزناهن بالنساء فى

ظلام الكنيسة عند تقديم الاعتراف إلى الذئب المتوحش حلم من "أحلام النائم"، وكذلك ترسيم المأبين أساقفة حلم من "أحلام النائم"، وجولات الباباوات فى العصور الوسطى فى ربوع أوربا فى صحبة عشيقاتهم حلم من "أحلام النائم". وعلى رأس كل ذلك فإن العلاقات الآثمة بين بعض الباباوات وأخواتهن كانت حلما من "أحلام النائم". وهنا يقول الكندى إن الله هو الذى خلق له نفسه وجسده، فنقول نحن له: ما دام الله هو خالق جسدك، فهل يمكن أن يخلق سبحانه الجسد ثم يحرّم عليه الشهوات مطلقا حتى الحلال منها بحجة أنها بالحيوان أليق؟ أليس جسد الإنسان، مثل جسد الحيوان، يحتاج إلى إشباع تلك الشهوات، وإلا اضطربت نفس الإنسان واستحالت حياته جحيما لا يمكن إطاقته؟ ألم يكن المسيح يأكل؟ ألم يلعن التينة من جوعه حين لم يجد فيها ثمرا رغم أن التينة لا ذنب لها ورغم أن المشكلة كانت عنده هو، إذ لم يتنبه إلى أن الأوان ليس أوان التين؟ ولماذا قام بمعجزة توفير الطعام للآلاف إذا كان الطعام، وهو شهوة البطن، شيئا مذموما، أو على الأقل شيئا لا يُحْرَص عليه؟ بل لماذا كانت أولى معجزاته هى توفير الخمر للمدعوين فى عرس كانت الخمر قد نفدت منه، فطلبت مريم من ابنها أن يتولى هذا الأمر، فكان أنْ حوّل الماء الموجود إلى خمر معتقة أعجبت الشاربين إعجابا شديدا فأثنوا عليها أعظم الثناء؟ وإذا كان الزواج يتنافى مع العبادة، فهل نفهم من هذا أن كل الأنبياء الذين تزوجوا، وهم يمثلون كل الأنبياء ما عدا من له ظروف خاصة منهم كيحيى وعيسى عليهما السلام، لم يكونوا قاضين لعبادة الله، وبخاصة إذا ما كان للواحد منهم أكثر من زوجة كإبراهيم، ودَعْنا من أن يكون تحته عشرات النساء كسليمان؟ أم ماذا؟ ثم ما وجه التعارض بين عبادة الله وبين الاستمتاع بنعم الله؟ أوَقد خلق الله دنياه لكى ننفر ونفرّ منها؟ فلماذا ولمن خلقها إذن؟ وهل، لو تركْنا

نِعَمَ الله فلم نستمتع بها ، سنقضى عندها كل أوقاتنا فى الصلاة والصيام والزكاة والحج؟ لكن هل هذا ممكن؟ بل هل من الأدب مع خالق النّعَم أن نردّها له رافضين منحته وكرمه؟ إنه سبحانه وتعالى هو الذى أمرنا بعبادته ، وهو هو نفسه الذى أمرنا أن نمشى فى جوانب الأرض نأكل من رزقه ، وهو هو الذى امتن علينا بما خلقه من أجلنا من شمس وقمر وسماء وأرض ونور وظلام وظلال وطعام وماء ونساء ، فكيف يظن هذا السفيه أن فى الأمر تناقضا؟ بل هل يمكن أصلا أن يعبد الإنسان ربه وهو حارم نفسه من متع الدنيا فلا يتزوج ، ولا يأكل إلا الجشب من الطعام ، ولا يسكن إلا فى الأكواخ الحقيرة أو فوق أغصان الشجر ، ولا يلبس إلا الخيش مثلا؟ وهل استطاع هو أو غيره أن يفعل ذلك؟ وما الفائدة التى ستعود على الله من حرماننا لأنفسنا من طيبات الله؟ إن الإنسان الكريم ليسرّه أن يقبل الناس هداياه وعطاياه ويستمتعوا بها ، فما بالنا بالكريم المتعال؟ وهذا كله لو كان معنى العبادة فى الإسلام هو ذلك المعنى الضيق الذى لا يفهم ذلك الغبى سواه . إن المهم الذى ينبغى أن نضعه نصب أعيننا طوال الوقت هو ألا نشرك بالله شيئا من الحجر أو الحيوان أو البشر ، والإسلام هو الدين الوحيد الذى يتحقق فيه التوحيد ويصل إلى أقصى آماده ، وليس كالديانات التى تؤله العباد تحت هذه الذريعة أو تلك ثم تعبدهم ثم تأنس فى نفسها الجرأة لانتقاد دين التوحيد الكامل!

٢٦- وفى موضوع تحريف الإنجيل يكتب صاحبنا مخاطبا الهاشمى المزعوم: " ولقد ذكرتَ التحريف واحتججتَ علينا بأننا حرّفنا الكلم عن مواضعه وبدّلنا الكتاب ، وكان هذا القول جعلته كهفًا تستتر به . وإني لأخبرك خبرًا حقًا ، فاسمعه مني واقبله ، فإن قولي ليس قول باغٍ ولا حاسدٍ ولا متعنتٍ معاند . أنت تعلم أننا نحن واليهود الذين ينكرون مجيء المسيح

نور العالم وضياء الدنيا قد اجتمعنا عن غير تواطؤ على صحة هذا الكتاب، وأنه منزّل من عند الله، لا تحريف فيه ولا تبديل، ولم تلحقه زيادة ولا نقصان. وإلا فنحن تدعوك أنت أيها المدّعي علينا التحريف والتبديل (إن كنت صادقًا) بكتابٍ غير محرّف ولا مبدّل، يشهد لك على صحة الآيات العجيبة كما شهدت الأعاجيب للأنبياء والرسل حيث جاءونا بصحة هذا الكتاب، فقبلنا ذلك منهم، وهو في أيدينا وأيدي اليهود بلا زيادة ولا نقصان. وإني أعلم أنك لا تقدر على ذلك أبدًا. وكتابك يشهد بصحة ما في أيدينا شهادة قاطعة، إذ يقول: ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [يونس: ٩٤]، ثم فسر هذا القول وأكّده، معترفًا لنا بالفضيلة التي أوتيناها قائلاً: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ [البقرة: ١٢١]. شهد لنا كتابك بحق التلاوة في موضع تكون فيه تلاوتنا، وقد أمر أن نُسأل ويُقبل منا كل ما نقوله، فكيف تقول إنه قد وقع منا التبديل والتحريف للكلم عن مواضعه؟ فهذان حكمان متناقضان. فما بالك تشنّع علينا وتقول إننا حرّفنا الكتاب وبدّلنا تنزيل الله وغيّرنا كلامه، ونحن نتلوه حق تلاوته كما شهد لنا صاحبك؟". وفي هذا النص أشياء أراد الكندي المزعوم أن يمررها من تحت أنوفنا دون أن تلتقطها أعيننا، ولكن عبثا! كيف؟ يقول إن النصارى واليهود متفقون على أن هذا الكتاب (أي كتاب؟ للأسف لم يحدد، بل ترك المسألة عائمة!) منزل من عند الله وأنه ليس فيه تحريف. وهذا كلام المكّارين، إذ اليهود لا يعترفون أصلا بنبوة المسيح، بل لا يعترفون أنه عليه السلام قد أتى حتى الآن، ولهذا تراهم ما زالوا ينتظرون مجيئه، أما عيسى بن مريم الذى نعرفه فهو عندهم ساحر كذاب وابن زنا، فكيف يؤمنون أن العهد الجديد منزل من عند الله؟ بل كيف

يؤمنون بما لا يؤمن به النصارى أنفسهم الذين لا يرون فى الأناجيل نفسها وحيا إلهيا نزل على عيسى، بل مؤلفات من وضع ناس كتبوها من الذاكرة دون تمحيص بعد ترك المسيح الأرض بعشرات السنين؟ وإن كانوا يقولون إنها بإلهام من الروح القدس، مع اعترافهم بامتلائها بالأخطاء فى ذات الوقت على أساس أن الوسطاء الذين تَلَقَّوُا الإلهام من الروح القدس بشرٌ يخطئون. فهذا الذى يقوله القرآن عن الإنجيل يقوله كتبة الأناجيل أنفسهم! والحمد لله أنهم لم يتنبهوا لذلك، وإلا ما سمحت أنفسهم أبدا بتسجيله، لكنه أشبه بفلتات اللسان التى يتحدث عنها علماء النفس: ففى الإصحاح السادس والعشرين من متى نقرأ قول المسيح بشأن المرأة التى عطرته بقارورة طيب فلم يعجب ذلك حوارييه: "[13] اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: حَيْثُمَا يُكْرَزْ بِهذَا الإِنْجِيلِ فِي كُلِّ الْعَالَمِ، يُخْبَرْ أَيْضًا بِمَا فَعَلَتْهُ هذِهِ تَذْكَارًا لَهَا"، وهو ما نجده أيضا فى الإصحاح الرابع عشر من مرقس: "[9] اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: حَيْثُمَا يُكْرَزْ بِهذَا الإِنْجِيلِ فِي كُلِّ الْعَالَمِ، يُخْبَرْ أَيْضًا بِمَا فَعَلَتْهُ هذِهِ تَذْكَارًا لَهَا". وفى الإصحاح الأول من مرقس نقرأ: "وَبَعْدَمَا أُسْلِمَ يُوحَنَّا جَاءَ يَسُوعُ إِلَى الْجَلِيلِ يَكْرِزُ بِبِشَارَةِ مَلَكُوتِ اللهِ" "[15] وَيَقُولُ: «قَدْ كَمَلَ الزَّمَانُ وَاقْتَرَبَ مَلَكُوتُ اللهِ، فَتُوبُوا وَآمِنُوا بِالإِنْجِيلِ»". وفى الإصحاح الثامن من مرقس أيضا نقرأ: "[34] وَدَعَا الْجَمْعَ مَعَ تَلاَمِيذِهِ وَقَالَ لَهُمْ: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعْنِي. [35] فَإِنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا، وَمَنْ يُهْلِكُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي وَمِنْ أَجْلِ الإِنْجِيلِ فَهُوَ يُخَلِّصُهَا". وفى الإصحاح العاشر من مرقس كذلك نقرأ: "[29] فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ: «اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَيْسَ أَحَدٌ تَرَكَ بَيْتًا أَوْ إِخْوَةً أَوْ أَخَوَاتٍ أَوْ أَبًا أَوْ أُمًّا أَوِ امْرَأَةً أَوْ أَوْلاَدًا أَوْ حُقُولاً، لأَجْلِي وَلأَجْلِ الإِنْجِيلِ، [30] إِلاَّ وَيَأْخُذُ مِئَةَ ضِعْفٍ الآنَ فِي هذَا الزَّمَانِ، بُيُوتًا وَإِخْوَةً وَأَخَوَاتٍ وَأُمَّهَاتٍ وَأَوْلاَدًا وَحُقُولاً، مَعَ

اضْطِهَادَاتٍ، وَفِي الدَّهْرِ الآتِي الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ. [31] وَلكِنْ كَثِيرُونَ أَوَّلُونَ يَكُونُونَ آخِرِينَ، وَالآخِرُونَ أَوَّلِينَ»". وفى الإصحاح الثالث عشر من مرقس مرة رابعة نقرأ: "[10] وَيَنْبَغِي أَنْ يُكْرَزَ أَوَّلاً بِالإِنْجِيلِ فِي جَمِيعِ الأُمَمِ"، وهو ما تكرر مرة أخرى فى الإصحاح السادس عشر من مرقس: "[14] أَخِيرًا ظَهَرَ لِلأَحَدَ عَشَرَ وَهُمْ مُتَّكِئُونَ، وَوَبَّخَ عَدَمَ إِيمَانِهِمْ وَقَسَاوَةَ قُلُوبِهِمْ، لأَنَّهُمْ لَمْ يُصَدِّقُوا الَّذِينَ نَظَرُوهُ قَدْ قَامَ. [15] وَقَالَ لَهُمُ: «اذْهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعَ وَاكْرِزُوا بِالإِنْجِيلِ لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا". ولنلاحظ أن الكلام فى هذه النصوص عن إنجيل موجود فى يد المسيح يدعو أمته إلى ما فيه، ويشير إليه صلى الله عليه وسلم بكلمة "هذا" صراحة، ومن ثم فلا مكان فى هذه النصوص للمماراة والجدل. فما رأى كنديّنا الكذاب فى هذا؟ بل إن قول المسيح ما قال عن المرأة صاحبة قارورة العطر هو دليل قاطع على أن هناك عبثا فى الأناجيل. ألم يقل: "[13] اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: حَيْثُمَا يُكْرَزْ بِهذَا الإِنْجِيلِ فِي كُلِّ الْعَالَمِ، يُخْبَرْ أَيْضًا بِمَا فَعَلَتْهُ هذِهِ تَذْكَارًا لَهَا"؟ لكننا ننظر فى إنجيل يوحنا فلا نجد خبرا عما صنعته تلك المرأة ولا أثرا لتلك العبارة العيسوية التى تثنى عليها، وهو ما يُعَدّ تكذيبا له عليه السلام، لكن الأنبياء لا يمكن أن يكذبوا، فما العمل؟ العمل هو القول بأن الإنجيل الذى يقصده المسيح قد اختفى، وإن كانت بعض الأناجيل البشرية التى ألفها المؤلفون بعد تركه الدنيا قد سجلت تلك الواقعة، وبعضها فاته ذلك. أما فى الإصحاح السابع من لوقا فتوجد حكاية المرأة، لكن لا توجد عبارة السيد المسيح بشأنها.

ثم لا يكتفى الرجل بهذا، بل يزعم أن القرآن الكريم يشهد لكتابهم بالصحة شهادة قاطعة، إذ يقول مخاطبا الرسول عليه السلام: "فإن كنتَ في شكٍّ مما أنزلْنا إليك، فاسألِ الذين يقرأون الكتابَ من قَبْلِك. لقد جاءك الحقُّ من ربِّك فلا تكونَنّ من المُمْتَرِين"، ثم فسّر هذا القول وأكّده، معترفًا

لهم بالفضيلة حسبما قال، وذلك في الآية التالية: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ [البقرة: ١٢١]. ولا ريب أن الكندي يعبث هنا عبثا لا يليق بالرجال، إذ القرآن واضح تمام الوضوح في التأكيد بأن كتابهم قد لعبت به الأيدي كما قال سبحانه وتعالى عنهم في سورة "المائدة": ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [المائدة: ١٤ - ١٧]. والواقع أن هذه نتيجة منطقية، إذ القرآن يتحدث دائما عن إنجيلٍ أنزله الله على عيسى بن مريم: ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [آل عمران: ٤٨]، ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [المائدة: ٤٦]، ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الحديد: ٢٧]، على حين أن الأناجيل التي بين أيدينا الآن ليست هي ذلك الإنجيل، بل مؤلفات كتبها ناس من الذاكرة بعد

انتقاله عليه السلام عن الدنيا بعشرات السنين بوصفها تاريخا له لا بوصفها الوحى الذى نزل عليه . فهى بهذه الصفة أقرب ما تكون إلى السيرة النبوية لدينا نحن المسلمين ، وإن كان ينقصها تمحيص الروايات كما فى سيرة المصطفى . كذلك فإن هذه الأناجيل تختلف فيما بينها اختلافات كثيرة وشنيعة ، مما يبرهن على أنها ليست أهلا للثقة . وفوق هذا هناك أناجيل أخرى غير تلك الأربعة بينها وبين تلك الأربعة اختلافات أكثر وأشنع . وهذه الاختلافات تتخذ أشكالا عدة: فقد يتناول إنجيل من الأناجيل ما لا يتناوله إنجيل آخر ، وقد يختلف معه فى رواية الحدث أو الحديث الواحد ، وقد يصل هذا الاختلاف حد التناقض الذى لا يمكن التوفيق فيه بينهما . كذلك قد يسوق كاتب الإنجيل أشياء تنافر المنطق أو التاريخ أو الجغرافيا أو العهد القديم أو ما ينبغى لله من تنزيه وللرسل الكرام من احترام ، فضلا عن تناقض الإنجيل الواحد مع نفسه . ثم لماذا اختيرت تلك الأربعة بالذات وأُهْمِل ما عداها؟ ليس هناك من سببٍ علمىٍّ ولا مُقْنِعٍ لهذا ، إنما هى نزوة استبدت بمن اختاروها وتركوا ما سواها ، وإلا فكلها عمل بشرى نبت فى عقول أصحابها فنفذوه بعُجَره وبُجَره . وهم الآن يعترفون بأن فى الكتاب المقدس ، بما فيها الأناجيل ، أخطاءً علميةً وتاريخيةً وحسابيةً ولغويةً ، ويُرْجِعون ذلك صراحة إلى تأثير الوسيط البشرى ، أى الكتبة الذين ألفوها . وهم يسمون هذا بـ "Colouring by the medium" حسبما ذكر المستشرق البريطانى ديفيد صمويل مرجليوث فى كتابه: "Mohammedanism" (Williams & Norgate, Londen, 1921, P. 63) . ومعناه أن الوحى إنما ينزل كفكرة عامة ، ثم يقوم النبى الذى نزل عليه الوحى بصياغتها بعقله وأسلوبه هو . ومن ثم فالأخطاء التى توجد فى الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ترجع إلى هذا الوسيط لا

إلى السماء! وعلى أية حال فإن تحريف الكتاب المقدس، والأناجيل بالذات، أصبح أمرا مقررا لا يمارى فيه أحد ولا حتى من رجال اللاهوت أنفسهم. وآخر ما عثرنا به على المشباك فى الكلام عن تحريف الأناجيل هو كتاب ".
Misqoting Jesus- The Story behind Who Changed the Bible and Why " لبارت إيرمان (Bart D. Ehrman).

وإلى القارئ نصًا (نصًا واحدًا فقط من نصوص كثيرة يصعب حصرها) من الأناجيل محشوًّا بالأخطاء شاهدا على ما نقول، وليكن أول شىء فى أول إصحاح من أول إنجيل، وهو سلسلة نسب المسيح عليه السلام المذكورة فى إنجيل متى، فماذا نجد فيها؟ ها هى ذى أولا السلسلة المذكورة: "[1]كِتَابُ مِيلاَدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ دَاوُدَ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ: [2]إِبْرَاهِيمُ وَلَدَ إِسْحَاقَ. وَإِسْحَاقُ وَلَدَ يَعْقُوبَ. وَيَعْقُوبُ وَلَدَ يَهُوذَا وَإِخْوَتَهُ. [3]وَيَهُوذَا وَلَدَ فَارِصَ وَزَارَحَ مِنْ ثَامَارَ. وَفَارِصُ وَلَدَ حَصْرُونَ. وَحَصْرُونُ وَلَدَ أَرَامَ. [4]وَأَرَامُ وَلَدَ عَمِّينَادَابَ. وَعَمِّينَادَابُ وَلَدَ نَحْشُونَ. وَنَحْشُونُ وَلَدَ سَلْمُونَ. [5]وَسَلْمُونُ وَلَدَ بُوعَزَ مِنْ رَاحَابَ. وَبُوعَزُ وَلَدَ عُوبِيدَ مِنْ رَاعُوثَ. وَعُوبِيدُ وَلَدَ يَسَّى. [6]وَيَسَّى وَلَدَ دَاوُدَ الْمَلِكَ. وَدَاوُدُ الْمَلِكُ وَلَدَ سُلَيْمَانَ مِنَ الَّتِي لأُورِيَّا. [7]وَسُلَيْمَانُ وَلَدَ رَحَبْعَامَ. وَرَحَبْعَامُ وَلَدَ أَبِيَّا. وَأَبِيَّا وَلَدَ آسَا. [8]وَآسَا وَلَدَ يَهُوشَافَاطَ. وَيَهُوشَافَاطُ وَلَدَ يُورَامَ. وَيُورَامُ وَلَدَ عُزِّيَّا. [9]وَعُزِّيَّا وَلَدَ يُوثَامَ. وَيُوثَامُ وَلَدَ أَحَازَ. وَأَحَازُ وَلَدَ حِزْقِيَّا. [10]وَحِزْقِيَّا وَلَدَ مَنَسَّى. وَمَنَسَّى وَلَدَ آمُونَ. وَآمُونُ وَلَدَ يُوشِيَّا. [11]وَيُوشِيَّا وَلَدَ يَكُنْيَا وَإِخْوَتَهُ عِنْدَ سَبْيِ بَابِلَ. [12]وَبَعْدَ سَبْيِ بَابِلَ يَكُنْيَا وَلَدَ شَأَلْتِيئِيلَ. وَشَأَلْتِيئِيلُ وَلَدَ زَرُبَّابِلَ. [13]وَزَرُبَّابِلُ وَلَدَ أَبِيهُودَ. وَأَبِيهُودُ وَلَدَ أَلِيَاقِيمَ. وَأَلِيَاقِيمُ وَلَدَ عَازُورَ. [14]وَعَازُورُ وَلَدَ صَادُوقَ. وَصَادُوقُ وَلَدَ أَخِيمَ. وَأَخِيمُ وَلَدَ أَلِيُودَ. [15]وَأَلِيُودُ وَلَدَ أَلِيعَازَرَ. وَأَلِيعَازَرُ وَلَدَ مَتَّانَ. وَمَتَّانُ وَلَدَ يَعْقُوبَ. [16]وَيَعْقُوبُ وَلَدَ يُوسُفَ رَجُلَ مَرْيَمَ الَّتِي وُلِدَ مِنْهَا يَسُوعُ الَّذِي

يُدْعَى الْمَسِيحَ. [17] فَجَمِيعُ الأَجْيَالِ مِنْ إِبْرَاهِيمَ إِلَى دَاوُدَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ جِيلاً، وَمِنْ دَاوُدَ إِلَى سَبْيِ بَابِلَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ جِيلاً، وَمِنْ سَبْيِ بَابِلَ إِلَى الْمَسِيحِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ جِيلاً". والآن هل يتصور القارئ الكريم أن من الممكن وجود أخطاء في نسب الربّ عند أصحاب الأناجيل؟ لن أتكلم أنا، بل سأورد سلسلة نسب المسيح مرة أخرى كما أوردها لوقا، وأرجو من القارئ أن يقوم بالمقارنة بين النسبين من حيث عدد الأشخاص الذين تشتمل عليهم كل سلسلة وترتيبهم، مع ملاحظة أن إحدى السلسلتين تنتهي عند إبراهيم، على حين تظل الأخرى ماضية في طريقها إلى الله ذاته، الذي تقول إنه هو الذي "وَلَدَ" (وَلَدَ "لا" خَلَقَ) آدم، وسوف يرى القارئ في هذه المقارنة عجبا: سواء في اختلاف العدد أو في اختلاف الترتيب أو في اختلاف أسماء الأشخاص أو في اختلاف نسبهم. وها هو ذا ما قاله لوقا في الإنجيل المنسوب له، وكلامه موجود لمن يطلبه في الإصحاح الثالث: "[23] وَلَمَّا ابْتَدَأَ يَسُوعُ كَانَ لَهُ نَحْوُ ثَلاَثِينَ سَنَةً، وَهُوَ عَلَى مَا كَانَ يُظَنُّ ابْنَ يُوسُفَ، بْنِ هَالِي، [24] بْنِ مَتْثَاتَ، بْنِ لاَوِي، بْنِ مَلْكِي، بْنِ يَنَّا، بْنِ يُوسُفَ، [25] بْنِ مَتَّاثِيَا، بْنِ عَامُوصَ، بْنِ نَاحُومَ، بْنِ حَسْلِي، بْنِ نَجَّايِ، [26] بْنِ مَآثَ، بْنِ مَتَّاثِيَا، بْنِ شِمْعِي، بْنِ يُوسُفَ، بْنِ يَهُوذَا، [27] بْنِ يُوحَنَّا، بْنِ رِيسَا، بْنِ زَرُبَّابِلَ، بْنِ شَأَلْتِيئِيلَ، بْنِ نِيرِي، [28] بْنِ مَلْكِي، بْنِ أَدِّي، بْنِ قُصَمَ، بْنِ أَلْمُودَامَ، بْنِ عِيرِ، [29] بْنِ يُوسِي، بْنِ أَلِيعَازَرَ، بْنِ يُورِيمَ، بْنِ مَتْثَاتَ، بْنِ لاَوِي، [30] بْنِ شِمْعُونَ، بْنِ يَهُوذَا، بْنِ يُوسُفَ، بْنِ يُونَانَ، بْنِ أَلِيَاقِيمَ، [31] بْنِ مَلَيَا، بْنِ مَيْنَانَ، بْنِ مَتَّاثَا، بْنِ نَاثَانَ، بْنِ دَاوُدَ، [32] بْنِ يَسَّى، بْنِ عُوبِيدَ، بْنِ بُوعَزَ، بْنِ سَلْمُونَ، بْنِ نَحْشُونَ، [33] بْنِ عَمِّينَادَابَ، بْنِ أَرَامَ، بْنِ حَصْرُونَ، بْنِ فَارِصَ، بْنِ يَهُوذَا، [34] بْنِ يَعْقُوبَ، بْنِ إِسْحَاقَ، بْنِ إِبْرَاهِيمَ، بْنِ تَارَحَ، بْنِ نَاحُورَ، [35] بْنِ سَرُوجَ، بْنِ رَعُو، بْنِ فَالَجَ، بْنِ عَابِرَ، بْنِ شَالَحَ، [36] بْنِ

قِينَانَ ، بْنِ أَرْفَكْشَادَ ، بْنِ سَامٍ ، بْنِ نُوحٍ ، بْنِ لاَمَكَ ، [٣٧] بْنِ مَتُوشَالَحَ ، بْنِ أَخْنُوخَ ، بْنِ يَارِدَ ، بْنِ مَهْلَلْئِيلَ ، بْنِ قِينَانَ ، [٣٨] بْنِ أَنُوشَ ، بْنِ شِيتِ ، بْنِ آدَمَ ، ابْنِ اللهِ".

كذلك أرجو أن يلاحظ القارئ أن السلسلتين جميعا تنسبان عيسى عليه السلام إلى يوسف النجار ، وهذه فضيحة بكل المقاييس ، إذ إنهم بهذه الطريقة يرددون ما يقوله مَنْ يتهمون مريم بالزنا ، ويَسِمون عيسى عليه السلام بأنه ابن حرام ، أستغفر الله العظيم . ولا يقولنّ أحد إن وجود اسم يوسف هنا يمكن أن يفسَّر بأنه أبوه بالتبنى ، فالتبنى إنما يحدث إذا كان الأب الحقيقى متوفًى أو مجهولا أو عاجزا عن تربية ابنه أو غير راغب فيه أو إذا كان الولد نفسه يستعرّ من أبيه أو لا يرتاح إليه . . . إلى آخر الأسباب التى يمكن أن يتم من أجلها التبنى . ولا أظن عاقلا أو مجنونا يستطيع الزعم بأن هناك سببا واحدا يدعو إلى أن يتبنى يوسف النجار الطفل عيسى ، فالله لا يمكن أن يموت ، ولا يمكن أن يستعرّ من الانتساب إليه طفله الصغير ، ولا يمكن أن يكون عاجزا عن تربيته ، ولا يمكن القول بأنه مجهول لا يعرفه أحد ، ولا يمكن القول بأن يوسف قد اغتصب منه ابنه عَنْوَةً واقتدارًا على غير رضًا منه . كما أن الوحى ذاته قد حسم المسألة تماما وقال إنه ابن يوسف ، وإن بنوته لداود إنما تتحقق عبر يوسف ، وإلا لذكر بنوته لمريم لا ليوسف ، وهذا واضح تمام الوضوح من سلسلتَىِ النسب فى متّى ولوقا ، فلا مجال للمماحكة فى هذا الموضوع بأى حال . ومعنى ذلك أن يوسف فى نظر مؤلِّفَىِ الإنجيلين هو أبوه الحقيقى لا أبوه بالتبنى ، ولو كان يريد أن يقول إنه ابن الله لذكر هذا بدلا من ذكره لآدم . فإذا عرفنا أن من بين آباء عيسى داودَ ويهوذا ولوطًا ، وأن العهد القديم يتهم داود بالزنا بامرأة جاره وقائده المخلص أوريّا الحثى ، وأنه ينسب داود إلى لوط ثم إلى يهوذا بن يعقوب عن

طريق زنى الأول بابنته، وزنى الثانى بتامار امرأة ابنه، لم نملك إلا أن نقول: يا لـه من نسب يليق بالإله، إذ فيه ثلاثة زناة قراريين: أحدهما خان العيش والملح ولم يراع حقوق الجيرة والعشرة والإخلاص، والآخران اقترفا زنا المحارم، وما خفى من سيرة الباقين فالله حليم ستار! كذلك فإن أيا من السلسلتين لا تذكر أبدا أن عيسى ابن الله، بل تجعل سلسلةُ لوقا ذلك الشرفَ من حق آدم لا من حق عيسى كما قلنا. ثم بعد ذلك يتحدانا عبد المسيح بن إسحاق الكندى قائلا إن الأناجيل لم تحرَّف.

وما كنا نحب أن نؤلم أحدا بكلامنا هذا، ولكنهم ينشرون رسالة الكندى وأمثالها فى المواقع المختلفة ويتحدَّوْننا بها: فإذا لم نردّ قالوا لنا: إنكم عاجزون عن الرد، وهذا دليل على ضعف دينكم، وإذا رددنا انبرى بعض آخر وقال: إنكم تتعرضون لديننا بما يسوؤنا. وهى حيلة مضحكة لا تجوز فى عقل أحد، فمن حقنا أن نردّ بما يبين الحقيقة مهما كانت مؤلمة. ونحن من جهتنا لا نقول لأحد: "اسكت، ولا تنتقد ديننا"، بل كل ما نفعله هو الرد على ما يقول بكلام مثل كلامه، ثم نضع الكلامين بين يدى القارئ. وهى، كما ترى، معادلة عادلة لا غبن فيها لأحد، فأرجو أن يكون ذلك مفهوما. هذا، ولا أريد أن أمضى فى كشف الثغرات الفظيعة فى الأناجيل، بل أحيل القارئ إلى ما كتبتُه فى المشباك تحت عنوان "قراءة فى إنجيل متى" و"مقتطفات ممتعة من الكتاب المقدس"، وكذلك كتبى الورقية التى تتعرض لمثل هذه الموضوعات مثل "مع الجاحظ فى رسالة الرد على النصارى" و"سورة طه" و"سورة يوسف" و"دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية- أضاليل وأباطيل" و"مصدر القرآن". ونحن حين نقول ذلك نعرف أن الله خلق البشر مختلفين، وأن كل أمة تعتز بما تؤمن به ولا تحب أن يتعرض لها أحد فى عقائدها ورموزها، ولكن على السفهاء أن يعرفوا أننا نحن أيضا

نحب ديننا ونفتدى رسولنا بكل غال وثمين، ونراه نبيا عبقريا ليس هناك نبى فى عبقريته وإنجازاته المذهلة رغم احترامنا لكل الأنبياء والمرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. أما أهل الكتاب المذكورون فى قوله تعالى لرسوله: ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [يونس: ٩٤]، وقوله سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ [البقرة: ١٢١]، فليسوا هم النصارى المثلثين، بل النصارى الموحدين الذين لا يخفون من الإنجيل شيئا، ومن هنا وصفهم القرآن بأنهم "يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ"، أى يتلون الإنجيل بفهم ودون تحريف أو تأليه للمسيح أو اعتقاد فى قتله وصلبه عليه السلام. وهؤلاء، كما جاء فى الآية، يؤمنون من ثم بالقرآن الكريم. ثم إن كان فى نفس الرسول خوف ألا يكون ما ينزل عليه وحيا من السماء (وهذا، كما ترى أيها القارئ الكريم، منتهى الموضوعية من الرسول والقرآن على السواء، وإلا فإن الكذابين لا يقولون هذا عن أنفسهم)، فليسأل، إن أحب، هؤلاء القوم المخلصين الذين يعلمون من كتابهم أنه رسول من عند رب العالمين. وبالمناسبة فهذه الآية من أوائل ما نزل من القرآن. وبالمناسبة أيضا فإنه، عليه السلام، حين نزل عليه قوله تعالى: ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [يونس: ٩٤] أجاب قائلاً: "لا أشك ولا أسأل"، إذ كان إنما يريد مزيدا من الطمأنة من الله، وقد نالها والحمد لله، فلا داعى من ثم للاطمئنان من العباد. وأرجو أن يتنبه القراء الكرام إلى أن القرآن متى مدح أحدا من أهل الكتاب المعاصرين لسيدنا رسول الله فهم الذين أسلموا منهم كجبر ويسار وعبد الله بن سلام والقساوسة والرهبان الذين قُدِّر لهم أن يستمعوا إلى القرآن ففاضت أعينهم

من الدمع إيمانًا وإخباتًا وسارعوا إلى إعلان إسلامهم ودَعَوُا الله أن يقبلهم في زمرة المصدّقين الشاهدين. ولا يمكن أبدا أن يثنى القرآن على نصرانى يثلّث ويقول بالصلب لأن مثل ذلك النصرانى كافر بمحمد وبالدين الذى جاء به. وليس فى هذا افتئات على أحد، بل كل إنسان حر فيما يعتقد، وكل ما هنالك أن هذه هى عقيدة المسلم، وإلا ما كان مسلما.

٢٧- وفى الكلام عن المعجزات التى أجراها الله على يد المسيح عليه السلام مما لا يمارى فيه المسلم، وإنما يمارى فى القفز من الاعتراف بتلك المعجزات إلى القول بأنها دليل على ألوهية المسيح، وهو ما لا تلازم بينه وبين تلك المعجزات على الإطلاق، إذ ليس السيد المسيح هنا إلا واسطة أظهر الله على يديه عجائبه وقدرته سبحانه، يقول صاحبنا المتخفى وراء اسم "الكندى": "إنه ظهر الكوكب للمجوس في بلاد فارس ليدلهم على ميلاد الملك العظيم الذي لا زوال لملكه، وكان علماؤهم قد سبقوا فأخبروهم بخبره في الكتب وعرّفوهم وقت ظهوره وأَعْطَوْهم الدليل على ذلك، والعلامة ظهور كوكب يتقدمهم في المسير إليه وقضاء بعض حق عبادته بالسجود له والخضوع لطاعته. فلم يزل المجوس ينتظرون ذلك ويتوقعونه راجين ومؤمّلين حتى جاء الوقت وظهر الكوكب الذي هو الدليل على ميلاد السيد العظيم (متى ٢: ١- ١٢)، فجاءوا من بلاد فارس إلى بيت المقدس الذي هو أرض اليهودية بهداية الكوكب، حتى وقف ببيت لحم، فقَضَوُا الغرض وأدَّوْا حق الطاعة، ورَأَوْا ما كانوا يؤملونه وانصرفوا مؤمنين غير شاكين ولا مرتابين، بل فرحين مسرورين. ثم ظهر ملاك عند ولادته لقوم من الرعاة كانوا يَرْعَوْن أغنامهم (لوقا ٢: ٨-٢٠) فقال لهم: هَا أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ: أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمُ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ (يعني لأولاد آدم جميعًا) هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ. وَهذِهِ لَكُمُ الْعَلاَمَةُ:

تَجِدُونَ طِفْلاً مُقَمَّطًا مُضْجَعًا فِي مِذْوَدٍ . فلم يفرغ من كلامه حتى ظهرت لهم أجناد الملائكة مع ذلك الملاك وهي تطير ما بين السماء والأرض بتهليل وترتيل ، وتهتف جميعًا بصوت عال وتسبّح وتقول: المجد لله في الأعالي ، وعلى الأرض السلام ، وبالناس المسرة . ثم أقبل الرعاة إلى ذلك الموضع مسرعين فوجدوا المولود في مِذْوَدٍ كما أخبرهم الملاك ، فصدّقوا وآمنوا وأخبروا بخبرهم وما عاينوه من أجناد الملائكة وما سمعوه من التسبيح العجيب ، وقصّوا قصة مجيئهم ، فتعجب من ذلك كل من سمع . فهذه قصة البشارة والميلاد على غاية الاقتصار من القول". هذا ما قاله الكندى المزعوم ، وأما نحن فنقول: أولا: هذه الحدوتة اللطيفة التى تعجب العيال الصغار وتسرّهم لم ترد إلا فى الإنجيل المنسوب إلى متى ، أما الأناجيل الأخرى المقبولة عند الكنيسة وغير المقبولة عندها فلا تعرفها . وثانيا: إذا كان الرعاة ، رغم كل شيء ، قد عاينوا ذلك وقصوه على الناس وآمن هؤلاء بما قالوه لهم ، فلماذا يا ترى كان الناس جميعا بعد ذلك ينادون عيسى عليه السلام بـ"ابن يوسف" ؟ إن هذا لا يعنى إلا واحدا من أمرين: إما أن تكون الحكاية لا أصل لها ، وإما أن المعجزة قد وقعت ، لكن لم يكن لها أى أثر! وأنا أرجح الأولى ، وإلا فلم الرعاة وحدهم؟ اللهم إلا إذا قيل إن المسيح إنما بُعِث إلى الرعاة ليس إلا ، وهذا ما لا يقول به أحد . ثم أين هؤلاء الرعاة فى الأناجيل بعد ذلك؟ الحق أنهم لا وجود لهم ، بل لا وجود إلا للصيادين والعشّارين والكهنة والجنود الرومانيين ، فضلا عن الممسوسين والعُمْيَان والبُرْصَان ، أما الرعاة فكلا ثم كلا ثم كلا! ويبقى المجوس ، وما أدراك ما المجوس؟ إن صاحبنا يقول بوجود البشارة به صلى الله عليه وسلم فى كتبهم ، فأين هى يا ترى؟ وما الفائدة من مجيء المجوس لرؤية عيسى عليه السلام؟ أوقد آمنوا به؟ فما أسماؤهم إذن إن كان هؤلاء الوفد وجود

تاريخى؟ أم هى مجرد حواديت ظريفة ، والسلام؟ لكننا لسنا فى مجال الحواديت! بل أين أثر تلك الزيارة فى أمة الفرس؟ المعروف أن الفرس لم يتحولوا هم بالذات إلى النصرانية ، فالزيارة إذن لا معنى لها . وهذا إن صَحَتْ ، ولا أظنها تصحّ . ومَنِ الذين نقلوا خبر تلك الزيارة يا ترى لمؤلف إنجيل لوقا ، وهو المؤلف الوحيد الذى ذكرها دون سائر مؤلفى الأناجيل؟ فأما المسيح فلا يمكن أن يكون هو الناقل لأنه كان رضيعا آنذاك لا يدرى من أمر نفسه ولا أمر الدنيا من حوله شيئا . وكذلك لا يمكن أن يكون الناقل مريم أو يوسف ، وإلا لنسب كتبة الأناجيل ذلك إليهما ، وهو ما لم يحدث . كما أن هناك سؤالا مهما لو صدقنا تلك الحدوتة ، وهو: كيف يا ترى استطاع الطرفان: المجوس من جهة ، ومريم ويوسف من جهة أخرى ، أن يتفاهما ، ولم تكن بينهما لغة مشتركة؟ ثم ألم يتساءل سكان المكان عن سر مجيء هؤلاء الفرس الذين يرطنون بلسان عجيب ويلبسون ملابس أعجب؟ وكيف عرفوا موضع المذود الذى كان فيه الرضيع المبارك عليه السلام؟ أترى النجم يقف فى السماء دون حركة إلى أن يتعرفوا إلى الموضع المذكور؟ فهل من الممكن أن يبطئ النجم من سيره كى يستطيع الفريق المجوسى مسايرته لمدة ما لا أدرى كم من الشهور منذ تركوا بلاد فارس إلى أن بلغوا مدينة الناصرة مشيا على القدم أو على أكثر تقدير: ركوبا على الحمار ، فضلا عن أن يقف فى مكانه فلا يتحرك كلما توقفوا للنوم أو للاستراحة أو للأكل أو لقضاء الحاجة؟

٢٨- ولأن الكذاب يرد على شخص موهوم لا وجود له ، نراه ينطلق فيفترى عليه الافتراءات التى يحسب أن أحدا لا يمكنه الرد عليها ، فنراه يزعم أن الهاشمى كان يستعيذ بالصليب فى الملمات ، فكان الصليب يعيذه ويحميه ، إلا أنه يا للأسف قد تنكر للصليب وأفضاله . وهذا ما قاله نصًّا فى

الـرد على اتهـام الهاشمى له ولأهل ملته بتبجيل الصليب وعبادته: "فنحن على هـذه الـسنّة أيـضا في تعظيم الصليب، ونجري فيها على ما جرى عليه الأنبياء الأبرار. فلِمَ غلب عليك النسيان في هذا الموضع، وكأنك نسيتَ ما جرّبتَ من القـوة الحالّـة في الـصليب حين استعذت به عند سقوطك عن الدابـة، وحين هـربت ممن هربت منه، وحين لقيت الذي لقيت في طريقك وأنـت مـاضٍ إلى عمـر الكرخ، وحين تلقاك الأسد وقاربت ساباط المدائن؟ فإن كـنت أنـت نـسيتها فـنحن ذاكرون لها، فلِمَ تكفر بالنعمة وتكافي بالشر وتنكـر المعروف؟ أي ضررٍ نالك عند تعوُّذك بالصليب وأنت تعلم أننا معشر النـصارى لا نعبـد الـصليب، وإنمـا نُجِـلُّ القوة الحالّة في الصليب، والتأييد الـذي أيـدنا بـه، والخـلاص الـذي أُوتيـناه بـسببه؟". لكن لو كان الهاشمى يـستعيذ بالـصليب كما يزعم هذا الكذاب، أكان يكفِّر الكندى وقومه جميعا لاعـتقادهم فيه؟ وكيف سكت عنه الكندى طوال تلك المدة منذ سمعه ورآه يـستعين ويـستعيذ بالصليب فلم ينتهزها فرصة ويَدْعُه إلى النصرانية؟ كذلك هل من المعقول أن يستعين بالصليب ويكفِّر من ثَمّ رجل كهذا قوى الإسلام صـليب الاعـتقاد فـيه والافتخار به حتى إنه لا يكتفى بأن يكون مسلما، بل يريد للنصرانى أن يسلم هو أيضا ويكفِّره لاعتقاده فى الصليب؟ وهذا لو أن الصليب له بركة أصلا، وإلا فلماذا لم يستعن به الكندى ومئات الملايين مثل الكـندى علـى مـدى أربعـة عـشر قرنا لتدمير المسلمين وشطب الإسلام من خريطة الدنيا؟ الحق أن الكندى، أو بالأحرى: من تسمى باسم الكندى، هو كائن عريق فى التدجيل.

٢٩- وبعد فقد تنبهت منذ القراءة الأولى إلى أن الأسلوب فى الرسالتين مـاؤه واحد حتى لكأنه خارج من ذات القلم، فانقدح فى خاطرى أنه لا بد مـن تحقـيق هذه النقطة، فكانت الفقرات التالية التى أقمتها على المقارنة بين

الرسالتين من تلك الناحية: فمما يلاحظه الناظر فى كلام الهاشمى ورد الكندى عليه تكرر كلمة "المحبة" فى الرسالتين بدلا من "الحب"، وهى كلمة تشيع بين النصارى أكثر من شيوعها بين المسلمين كما هو معروف. وبالمثل تكرر استعمال كلمة "الديانة" فى موضع "الدين" عدة مرات هنا وهناك. يضاف إلى هذا أن كلا من الكاتبين تكلم عن الخلود فى الجنة على أنها "الحياة": يقول الهاشمى: "يأخذون كل ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، ولهم فيها الكرامة والحياة والجلوس على الأسرّة، متكئين على الأرائك"، وهو ما نجده عند الكندى فى قوله: "معناه موت الخطيئة الذي هو عبادة الأصنام وانقطاع الرجاء من موعد الحياة الدائمة التي بشر بها المسيح مخلصنا أنه يعطينا إياها يوم القيامة"، وهذه شنشنة نصرانية. ومما يلفت النظر أيضا فى الرسالتين تكرر لجوء الكاتبين إلى صيغ جمعية غريبة، كـ"المناكح" و"الصيامات" فى رسالة الهاشمى، و"الأشفية، والعوافى، والتماجيد، والمآثم، والملاحمات، والمِزَار" لدى الكندى. وينضاف إلى هذا توارد كل من الكاتبين على القول بـ"ارتفاع المسيح إلى السماء" بهذا النص تعبيرا عن مفارقته الدنيا، وكذلك إشارة كل منهما إلى أن هناك من يمكن أن يقرأ رسالته إلى الآخر مع أن المفروض أنها رسالة شخصية حساسة، فنجد الهاشمى يقول: "ليعلم من وقع في يده كتابي هذا أني عالم بالقضية"، وعلى نفس الوتيرة يقول الكندى: "وأرجو أن يكون هذا الجواب مقنعا لك وللناظر في كتابنا هذا"، "أما أنا فقد بلغتُ جهد طاقتي في النصيحة لك ولكل من نظر في كتابي". ويمكن أن نلحق بذلك استعمال كل منهما صيغة الطلب من الفعل "وَدَعَ"، فعند الهاشمى: "فدَعْ ما أنت عليه من الكفر والضلال والشقاوة والبلاء"، "فدَعْ ما أنت فيه من تلك الضلالة وتلك الحمية الشديدة الطويلة المتعبة، وجهد ذلك الصوم الصعب والشقاء الدائم الذي أنت

منغمس فيه"، وعند الكندي: "ولكن فلْنَدَعْ الآن ذكر هذا ونأخذ في ذكر أعلام النبوة".

وهناك أيضا عدة عبارات وردت في كل من الرسالتين منها الدعاء الاعتراضي بـ"عافاك الله" أو "أصلحك الله": ففي رسالة الهاشمي نجد "فهل سمعت، عافاك الله، يا هذا بوصف أحسن وأعجب من هذا. . . ؟"، "فاحتجّ، عافاك، الله بما شئت"، وعند الكندي يقابلنا "فأخبرني، أصلحك الله، عن قول صاحبك". ومن هذا الباب مجيء عبارة "أتى على فلان كذا من السنين" عوضا عن "مَضَى عليه": مثال ذلك قول الهاشمي: "وأنت تعلم أني رجل أتت عليَّ سنون كثيرة"، وقول الكندي: "أتت عليه تسعون سنة"، "فلما أتى على ذلك سبعة أيام فتحها على غير عقد ولا عهد"، "وأمر المُقْعَد الذي أتت عليه ثمانٍ وثلاثون سنة أن يحمل سريره ويمشي". كذلك تكرر عند الكاتبين إتيان كلمة "النبي" بعد اسم موسى وداود ودانيال وغيرهم من الأنبياء مما لا يجري عليه المسلمون عادة، مثل "موسى النبي، وإشعياء النبي، وداود النبي". ومن هذا أيضا استعمال الفعل "صار" في معنى "ذهب" أو "اتجه" أو "وصل" أو "حدث" كما في الأمثلة التالية التي اقتبسنا أول مثال فيها من رسالة الهاشمي، وباقيها من رسالة خصمه: "وأكد أمرهم عندما صاروا إليه حين أفضى الأمر إليه واستوثق له" - "فاغتاظ علي بن أبي طالب غاية الغيظ لأنه لم يكن يشك أن الأمر صائرٌ إليه، فانتُزِع من يده"، "إلا أن عليًا، حين يئس من الأمر أن يصير إليه، صار إلى أبي بكر بعد أربعين يوماً (وقال قومٌ بعد ستة أشهر) فبايعه ووضع يده في يده"، "فهذه الديارات العامرة بالبِيَع . . . تفيض على جميع من صار إليها وقصدها بإخلاص نيته".

كذلك يشد نظرنا تشابه الرسالتين في تكرر استعمال كل منهما لعدد

بعينه من التراكيب: منها لجوء كل منهما إلى الاسم الموصول: "الذى" فى موضع المبتدأ أو اسم "كان" بدلا من "ما"، كما فى قول الهاشمى: "والذي حملني إليك وحثّني على ذلك محبتي لك"، وردّ الكندى: "وكان الذي حملك على ذلك فرط المحبة". وكذلك تكرر اللجوء فى كلتيهما إلى "ما" الموصولة عوضا عن المصدر: ففى رسالة الهاشمى نقرأ: "فكتبتُ طاعةً له، ولما أوجبه لك عندنا حق خدمتك لنا ونُصحك إيانا، وما أنت عليه من محبتنا، وما أرى أيضًا من إكرام سيدي وابن عمي أمير المؤمنين لك وتقريبه إياك وثقته بك وحسن قوله فيك"، "وكان الرهبان وأصحاب الأديرة يكرمونه ويجلّونه طوعًا ويخبرون أصحابهم بما يريد الله أن يرفع من أمره ويعلن من ذكره". وفى رسالة الكندى: "لكني أكره التطويل، فاقتصرت على ما كتبتُ، ولما ذكرتَه من أنك درستَ كتبَ الله المنزلة"، "لأن الحجة عليك أوجب منها على غيرك، لما قد فضّلك الله به من العقل والتمييز، ولما عرفته ودرسته من الكتب". ومن هذه التراكيب أيضا الوصف بالاسم الموصول على سبيل التعريف بالشخص أو الشيء، مثل قول الهاشمى: "وناظرت فيها تيموثاوس الجاثليق، الذي له فيكم فضل الرئاسة والعلم والعقل"، "وصلاة الثالثة، التي هي صلاة السَحَر"، "وأيام الاعتكاف، التي يسمونها أيام البواعيث"، "كمناظرة الرعاع والجهال والسفهاء من أهل ديانتنا، الذين لا أصل لهم ينتهون إليه، ولا عقل فيهم يعوّلون عليه"، "وأدعوك إلى صوم شهر رمضان، الذي فرضه الديّان ونزل فيه الفرقان"، "شهر يشهد فيه الله أن فيه ليلة القدر، التي هي خير من ألف شهر"، "أدعوك إلى الحج إلى بيت الله الحرام، الذي بمكة"، وقول الكندى: "فورّث إبراهيم ذلك التوحيد إسحق، الذي هو ابن الموعد"، "قد علمتُ أنك قرأتَ كتب الله المنزلة، التي هي الكتب العتيقة والحديثة. ومكتوب في التوراة، التي أنزلها الله تعالى على

موسى النبي . . . "، " فلا أظنك تدعوني إلى مثل حال إبراهيم في عبادة الأصنام، التي هي الحنيفية "، " وأما الصفات المنزلة، التي هي الطبيعية الذاتية، التي لم يزل جل وعز متصفًا بها فهي الحياة والعلم "، " وليس دعائي إياك إلا إلى الله الواحد، الذي هو ثلاثة أقانيم "، " كان هذا الرجل يتيما في حِجْر عمه عبد مناف المعروف بأبي طالب، الذي كفله عند موت أبيه "، " فهكذا تكون شروط النبوة، التي هي علم الغيب الماضي وعلم الغيب المستقبل "، " وادَّعوا الربوبية، التي لم يجعلها الله لهم "، " الحكم الإلهي، الذي هو فوق الطبيعة "، " أوَلا تعلم أن هذا فعل الشمسية والبراهمة، الذي يسمّونه النُّسك لأصنامهم بالهند؟ "، " لا تشك أن سيدنا ومخلصنا يسوع المسيح، الذي شهد له كتابك أنه وجيه في الدنيا والآخرة ولا وجيه سواه ديّان الخلائق يوم القيامة، لابد أن يكافئ كل واحد على عمله "، " يبعث ابنه الحبيب، الذي هو كلمته الخالقة "، " وصارت يد الروم، التي هي يده على قفا من عاداه من بني إسرائيل، الذين جحدوا ربوبيته وكفروا به فقتلتهم الروم "، " لا معنى للأنبياء بعد ظهور الإله المسيح، الذي هو بالحقيقة ملك "، " وجعلهم أبناء ملكوت السماء، الذي هو موعد الله، تبارك اسمه ". ومنها استعمال كلمة " خاصة " (للتخصيص بعد التعميم) عارية عن " الباء " كما في قول الهاشمي: " خاصةً في ليالي الآحاد وليالي الجُمَع وليالي الأعياد "، وقول الكندي: " فقد كان في تأديب هذا الشيخ على ذنبه شيء دون القتل، وخاصةً ليلاً وهو نائم مطمئن آمن على فراشه "، " وهي على المرء لنفسه خاصةً حق ". وهناك تركيب آخر يسقط فيه أيضا حرف " الباء " أو " مِنْ " بعد فعل الشهادة أو الوصف أو النقل أو الادعاء وما أشبه كما في قول الهاشمي: " والشهادة له أنه رسول الله رب العالمين " (بدلا من قوله: " والشهادة له بأنه . . .)، وقول الكندي: " استوجب أن يوصف أنّ له خليقةً حيث خلق "، " أو يكون

هـذا خـلاف مـا تدّعيه أنت أنه نبيّ مرسَل وأن الملائكة تؤيده وتقاتل دونه"، "فادّعـى معـرفة مـا قـال في عـوائه إنه وافد السباع"، "وإني أعلم أن قصتهم كقصة ما يُضرب من مثل العامة أن اليهودي إنما تصحّ يهوديته ويحفظ شرائع توراته إذا أظهـر الإسلام"، "وأنت تعلم أن صاحبك لم يختتن على ما نقلت الرُّواة عنه أنه لم يكن مختونًا بتّةً".

ومـن تلـك التراكيب الوصف باسم إشارة يليه اسم موصول في موضع "البدلـية" أو "الوصفية" كما في الشواهد التالية عند الهاشمي: "كاشفًا عما نحن عليـه من ديانتنا هذه التي ارتضاها الله لنا ولجميع خلقه"، "وناظرتُ فيها من أهل فِرقكم هذه الثلاث التي هي ظاهرة"، "وحضرت صلواتهم تلك الطوال السبع التي يسمّونها صلوات الأوقات"، ومثلها عند الكندي: "... وشرحتَه من أمر ديانتك هذه التي أنت عليها"، "ولنفحص عن أول قصة صاحبك هذا الذي تدعونا إلى الإقرار له بالنبوة"، "فإن كان صاحبك هذا الذي دعوتنا إلى اتّـباعه يقتلهم بسيفه ويضربهم بسوطه ويسبي ذراريهم ويجليهم عن ديارهم، يـريد بـذلك لهـم الخير ليـنقلهم مما هم عليه إلى ما هو خير منه، فقد تفضّل وأحـسن وتـشبّه بفعـل الله تبارك وتعالى اسمه"، "فهل تقدر أن تجحدنا حقنا هـذا الـذي في أيدينا ... ؟"، "ناظرتُ فيها من أهل فِرقكم هذه الثلاث التي هـي ظاهـرة". ومـنها كـذلك استعمال اسم الإشارة بعد تمام الجملة لربطها بجملـة تالـية علـى سـبيل التعلـيل أو التوضـيح. مـثال ذلك قول الهاشمي: "فقلـت: أكـشف له عما منّ الله به علينا، وأعرّفه ما نحن عليه، بألْيَن القول وأحـسنه، متّبعاً في ذلك ما أذنني الله به إذ يأمرني: وَلاَ تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِـيَ أَحْسَنُ (سورة العنكبوت ٢٩: ٤٦)، وذلك أن الرهبان كانوا يبـشرونه ويخبرونه قبل نزول الوحي عليه بما مكن الله له وصار إليه"، ومثله قـول الكـندي: "ولا أشـك في أنـك تعـرف القـصة، فقـد قلت إنك عارف

بالكتب المنزلة دارس لها حق دراستها ، وذلك أن قيسا أبا شاول ضاعت له أتن ، فوجّه ابنه شاول في طلبها"، "فمضى وهم معه فبعثه حيًّا ، ودفعه إلى أختيه مريم ومرثا ، وذلك بعد أربعة أيام من موته"، "... وذلك أن المسيح قال في إنجيله الطاهر: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ"، "فنقول إنه ينبغي لك أن تعلم أولاً كيف كان السبب في هذا الكتاب ، ذلك أن رجلاً من رهبان النصارى اسمه سرجيوس أحدث حَدَثاً أنكره عليه أصحابه"، "فلم يزل يتلطف ويحتال بصاحبك حتى استماله وتسمَّى عنده نسطوريوس ، وذلك أنه أراد بتغيير اسمه إثبات رأي نسطوريوس الذي كان يعتقده ويتديَّن به"، "وكانت لهم صحف وأدراج على منهاج أدراج اليهود ، وذلك من حيلة اليهود"، "وحقق قوله بعمله الأعاجيب والدلائل الواضحة التي لا يمكن للبشر أن يأتوا بمثلها ، وذلك بغاية الرفق والتواضع". ومنها الاستعانة مع الفعل المتعدى التالى لـ "ما" بحرف "مِنْ" كما فى الشواهد التالية من رسالة الهاشمى: "ويخبرون أصحابهم بما يريد الله أن يرفع من أمره ويعلن من ذكره ، وكانت النصارى تميل إليه وتخبره بمكيدة اليهود ومشركي قريش وما يبتغونه له من الشرّ"، "وجعل لهم من الذمة في رقبته ورقاب أصحابه ، ووصَّى بهم تلك الوصية عندما أطلعه الله على ما أطلعه عليه من أمرهم وبراءة ساحتهم"، "واقر الأنام كلهم طائعين مذعنين لما عرفوا من الحق والصدق من قوله وصحة أمره وما جاء به من البرهان الصريح والدليل الواضح"، "لم تقبل ما بذلناه لك من نصيحتنا"، "فاكتب بما عندك من أمر دينك"، وكذلك من رسالة الكندى: "وشكرتُ ما ظهر لي من فضلك ، وما كشفتَه من لطيف محبتك ، فقد كان العهد قبلاً عندي على هذا قديما ، وقد زاده تأكيدا ما تبيَّن لي من شفقتك".

ومما يلاحظ أيضا من التراكيب التى تكررت فى الرسالتين استخدام

الفعل: "أعنى" للتوضيح كما فى قول الهاشمى: "وناظرتُ فيها من أهل فِرقكم هذه الثلاث التي هي ظاهرة . أعني الملكية القابلين مركيانوس الملك على عهد الشقاق الواقع بين نسطوريوس وكيرلس ، وهم الروم . . ."، "وصلاة نصف النهار . أعني صلاة الظهر"، "ورأيت أيضا ما يتدير به الرهبان في قلاليهم أيام صياماتهم الستة . أعني الأربعة الكبار والاثنين الصغيرين"، وقول الكندى: "وإما أن يكون حكما شيطانيا ، أعني حكم الجور". ولنلاحظ كذلك كيف تلجأ الرسالتان جميعا إلى الترادف وحسن التقسيم فى كثير من الأحيان كما فى الشواهد التالية من الهاشمى: "فكتبتُ طاعةً له ، ولما أوجبه لك عندنا حق خدمتك لنا ونُصحك إيانا ، وما أنت عليه من محبتنا ، وما أرى أيضا من إكرام سيدي وابن عمي أمير المؤمنين لك وتقريبه إياك وثقته بك وحسن قوله فيك"، "فرغبت لك ما رغبت فيه لنفسي ، وأشفقت عليك لما ظهر لي من كثرة أدبك وبارع علمك وتقدّمك على الكثير من أهل ملّتك أن تكون مقيما على ما أنت عليه من ديانتك هذه . فقلت: أكشف له عما منّ الله به علينا ، وأعرّفه ما نحن عليه ، بألْيَن القول وأحسنه ، متّبعاً في ذلك ما أدّبني الله به إذ يأمرني: ﴿وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (سورة العنكبوت ٢٩ : ٤٦)، وذلك أن الرهبان كانوا يبشرونه ويخبرونه قبل نزول الوحي عليه بما مكن الله له وصار إليه"، وقول الكندى: "وفهمتُ ما اقتصصته في كتابك وتعمّقت فيه من الدعوة وشرحته من أمر ديانتك هذه التي أنت عليها ، وما دعوتني إلى الدخول إليه ورغّبتني فيه منها"، "فأما ما دعوتني إليه من أمر دينك ، وأنك على ملة أبينا إبراهيم ، وما قلت فيه إنه كان حنيفا مسلما ، فنحن نسأل المسيح سيدنا مخلّص العالمين ، الذين وعدنا الوعد الصادق وضمن لنا الضمان الصحيح في إنجيله المقدس . . ."، "ولقد فهمتُ ما دعوتني إليه من الشهادة لصاحبك والإقرار بنبوّته ورسالته ، وما

عظُمتَ من أمره"، "فإذا أنبأتنا بذلك علمنا أنك صادق فيما ادَّعيت من عبادة هذا الواحد"، "فكل من ينتحل هذا الاسم فهو بريء من هذه المقالة، جاحد لها كافر بها"، "فأما غزوة أُحُد وما أُصيب بها من كسر رباعيته السفلى اليمنى وشقّ شفته وثلم وجنته وجبهته، الذي ناله من عتبة بن أبي وقاص، وما علاه به ابن قميئة الليثي بالسيف على شقه الأيمن حتى وقاه طلحة بن عبيد الله التيمي بيده فقطعت أصبعه، فهذا خلاف الفعل الذي فعله الرب مخلص العالم"، "وكان الذي حملك على ذلك فرط المحبة. وفهمتُ ما اقتصصتَه في كتابك وتعمّقت فيه من الدعوة وشرحتَه من أمر ديانتك هذه التي أنت عليها، وما دعوتني إلى الدخول إليه ورغّبتني فيه منها. وقد علمتُ أن الذي دعاك إلى ذلك ما يوجبه لنا تفضلك من حق حرمتنا بك". وهذا التشابه في الأسلوب يدفعني إلى ترجيح أن الرسالتين من صنع قلم واحد، قلم نصراني أراد أن يفتعل سانحة ليصب جام حقده على الإسلام ورسوله بحجة أن أحد المسلمين قد استفزه إلى الدفاع عن دينه ضد ما شنه عليه من هجوم، وبحيث تكون حجج ذلك المسلم واهنة ضعيفة، وبخاصة أن الكلمة الختامية ستكون له هو فلا تكون ثم فرصة أمام المسلم للرد على رقاعات النصراني وسماجاته. وقد يقال: كيف يمكن أن يكتب نصراني رسالة مثل رسالة الكندي الإسلامية في مضامينها ولغتها؟ والجواب سهل جدا، وهو أن الناظر في الرد النصراني نفسه يجد تعبيرات إسلامية وقرآنية كثيرة تدل على أن لدى كاتبها القدرة على تقمص شخصية أحد المسلمين.

٣٠- ويذهب أحد الدارسين خطوة أخرى فيحدد كاتب الرسالتين بأنه يحيى بن عدي، وهذا الدارس هو د. علي بن محمد عودة، الذي خصص لدراسة هذه النقطة بضع فقرات من مقال مهم له على المشباك بعنوان "العدوان الفكري الغربي على الإسلام وعلى نبيه محمد عليه الصلاة

والسلام" أعطاها المؤلف عنوانا جانبيا هو: "رسالة النصراني الشرقي". وها هي ذي الفقرات المذكورة، والكلام فيها عن الرسالة المنسوبة إلى عبد المسيح بن إسحاق الكندى: "وهي الأخيرة في المجموعة الطليطلية، وتُعْرَف باسم "الرسالة الإسلامية والجواب المسيحي"، وهي التي أحدثت المشروع الكلوني برمته. وهي عبارة عن رسالة وجواب على الرسالة. الرسالة مرسلة من رجل مسلم يُدْعَى: عبد الله بن إسماعيل الهاشمي إلى صديق له نصراني يدعى: عبد المسيح بن إسحاق الكندي، وقد صيغت رسالة الهاشمي المزعومة بحيث يبدو قريبًا للخليفة المأمون، بينما صيغ الجواب وكأن الكندي المزعوم يعمل في بلاط الخليفة نفسه. ومن الواضح أن كلا الاسمين مستعاران وأن كاتب النصين عالم عربي نصراني عاش في العراق في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، والراجح أنه الطبيب والفيلسوف النصراني يحيى بن عدي المتوفى سنة ٣٦٤هـ/ ٩٧٥م. ولا نجد لهذه المصنفة ذكرًا في المصادر الإسلامية إلا عند البيروني المتوفَّى سنة ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م الذي اقتبس منها نصًّا في حديثه عن الصابئة. وقد كلّف بطرس المكرم اثنين من المترجمين بترجمة هذا النص هما بطرس الطليطلي، وبطرس أوف بواتييه. وقد صاغ يحيى بن عدي رسالة الهاشمي المزعوم في نحو عشرين صفحة، بحيث بدأ بالسلام والرحمة على صديقه النصراني، زاعمًا أن ذلك سنة النبي في مخاطبته للناس بما فيهم النصارى. ثم يبدي الهاشمي المزعوم تعبيرات مختلفة من الاحترام لصديقه والإشارة إلى النسب الأصيل للكندي، والإشادة بتقواه وثقافته ومعرفته، ويدعوه إلى اعتناق الإسلام الذي هو دين الحنيفية، دين أبيهما الأول إبراهيم عليه السلام، وهو التوحيد الخالص لله تعالى، ثم يعرض أركان الإسلام الخمسة والجهاد، ويسهب في ذكر نعيم الجنة لإغراء صديقه النصراني باعتناق الإسلام، وأنه إذا اعتنق الإسلام يمكنه الزواج

بأربع زوجات ويطلق متى يشاء ويملك من الجواري ما يشاء، ويحصل على ترقية في بلاط الخليفة. وفي النهاية يعرض على صديقه ان يجيبه بكل صراحة على عرضه وأن يقول ما يحلو له في الدفاع عن دينه، ويحثه على التخلي عن عبادة الثالوث.

وقد أجاب يحيى بن عدي على رسالته التي جعلها على لسان الهاشمي، بجوابه الذي جعله على لسان الكندي في ١٤٠ صفحة، أي أكبر بسبع مرات من رسالة الهاشمي، بحيث يترك جوابه الانطباع لدى القارئ النصراني أنه نال الغلبة والقهر بالحجة والبرهان. ومن الواضح أن يحيى بن عدي كتب هذا الكتاب حين ازداد دخول النصارى في الإسلام في القرن الرابع الهجري، وكان هدفه منه تحصين أهل الذمة من النصارى لمنعهم من اعتناق الإسلام وإقناعهم بأن دينهم هو الدين الصحيح. ويبدأ يحيى بن عدي جوابه على لسان الكندي المزعوم بالعرفان بالجميل لصديقه الهاشمي والدعاء للخليفة المأمون. ثم يدافع عن عقيدة الثالوث، ويزعم أن عقيدة الحنيفية التي يدعو إليها الهاشمي التي كان عليها إبراهيم عليه السلام إنما هي عبادة الأصنام، حيث يزعم أن إبراهيم ظل يعبدها لمدة سبعين سنة في حرّان مع آبائه. ويحاول بأسلوب فلسفي تفنيد عقيدة التوحيد، ثم يوجه هجومه على النبي، ويتهمه بأنه تطلّع إلى المُلْك، ولما كان يعرف أن نفوس قريش تأبى أن يصبح ملكًا عليها ادّعى النبوة للوصول إلى هدفه. ولا يتحدث جواب الكندي المزعوم عن دعوة النبي في مكة، وإنما ينتقل فجأة إلى المدينة حيث يزعم أن النبي اغتصب مربد غلامين يتيمين وبنى عليه مسجده، وأنه اصطحب قومًا فُرّاغًا لا عمل لهم وبدأ في شن الغارات وممارسة النهب والسلب وقطع الطريق وإخافة السبيل، ويتهم النبي أنه أمر

باغتيال بعض الآمنين في بيوتهم . ثم يشير إلى جروح النبي يوم أحد ، ويرى أنه لو كان رسولاً لمنعه الله من الضرر . ثم يزعم أن النبي لم يكن له هَمٌّ إلا امرأة جميلة يتزوجها ، ويتهمه بالاستخفاف بالله في محاباة زوجاته ، ويكرر حديث الإفك عن عائشة رضي الله عنها . وبعد ذلك يثير جواب الكندي المزعوم موضوع النبوة وعلاماتها ويزعم أن شروط النبوة لا تتوافر في محمد . ويزعم أن أهم علامات النبوة هي المعجزات ، وأن النبي لم يأت بشيء منها ، وأنه أنكر أنه يستطيع أن يأتي بآية كما جاء في القرآن ، وأنه لا دليل لدى محمد على رسالة إلهية . ويزعم أن الإسلام انتشر بحد السيف ، وأن نجاح الفتوح الإسلامية ليس دليلاً على إعجاز إلهي لأنها يمكن أن تكون وسيلة من الله لمعاقبة الناس المذنبين ، ويزعم أن النصرانية انتشرت بالتبشير واستشهاد الحواريين بينما الإسلام انتشر بالقهر والسيف ، ويزعم أن لغة القرآن ليست معجزة ، ويعتبر لغة الشاعر امرئ القيس أقوى من لغة القرآن . ويزعم جوابُ الكندي أن الأغراء المادي والوعد بالملذات الحسية في جنة شهوانية هو الذي أغرى العرب المحرومين أن ينضموا إلى الإسلام وجيوشه ، وأن جيوش المسلمين كانت مليئة بالمنافقين الذين انضموا إليها طلبًا للغنائم . ثم يهاجم شعائر الإسلام ، ويعتبر الحج عملاً من أعمال الوثنية ، ويرى أن الجهاد في سبيل الله إنما هو عمل الشيطان . ويزعم أن محمدا لم يكن يهدف مثلما هدف المسيح عليه السلام إلى أن يخلّص ويهذّب الإنسان ، وإنما هَدَفَ إلى ما هدف إليه الفاتحون الآخرون ، وهو أن يوسع مملكته . ويزعم أن النصرانية هي الصراط المستقيم المذكور في سورة الفاتحة . ويزعم أن الشرائع ثلاث: شريعة الكمال الإلهي ، وهي التي جاء بها المسيح عليه السلام ، وشريعة العدل ، وهي التي جاء بها

موسى عليه السلام، وشريعة الشيطان، وهي التي جاء بها، بزعمه الكاذب، محمد. ويزعم أن النبي كان يتلقى من راهب طُرِد من الكنيسة وذهب إلى تهامة، واسمه سرجيوس، وتسمى عند محمد باسم "نسطوريوس" وأنه هو الذي كان يسميه النبي: جبريل أو الروح القدس.

وقال هذا النصراني في جوابه عن النبي ما نصه: "فإنا لم نره دعا الناس إلا بالسيف وبالسلب والسبي والإخراج من الديار، ولم نسمع برجل غيره جاء فقال: من لم يقرّ بنبوتي وأني رسول رب العالمين ضربته بالسيف وسلبت بيته وسبيت ذريته من غير حجة ولا برهان". وزعم زورًا وبهتانًا أن النبي أجبر الناس على قبول القرآن: "وقال: من لا يقبل كتابي هذا ويقول إنه مُنزّل من عند الله وأني نبي مرسل قتلته وسلبته ماله وسبيت ذريته واستبحت حريمه". وزعم النصراني أن عبد الله بن سلاّم وكعب الأحبار عمدا إلى ما في يد علي بن أبي طالب رضي الله عنه من القرآن بعد وفاة النبي وأدخلا فيه أخبار التوراة وأحكامها وزادا وأنقصا منه، وسخر من عملية جمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه، وزعم أنه وقع فيه التحريف والتبديل، وأن الحجاج بن يوسف الثقفي جمع المصاحف وأسقط منها أشياء كثيرة عن بني أمية، وذكر كلامًا كثيرًا ملفقًا في هذا الموضوع، وختم جوابه بدعوة الهاشمي المزعوم لاعتناق النصرانية. هذه الترجمة الرئيسة في المشروع الكلوني نالت في الغرب شعبية هائلة وأصبحت بمثابة إنجيل المنصّرين والمستشرقين منذ ترجمتها وإلى اليوم حيث اعتبروها أفضل دفاع عن النصرانية وأقوى هجوم على الإسلام". هذا ما قاله الدكتور عودة، وهو كلامٌ جِدُّ مهمٌ، لكنه للأسف لم يحاول أن يبين

لنا الأسباب التى حملته على أن ينسب كتابة الرسالتين ليحيى بن عدى . واقترح أن يلتقط بعض الكتاب الخيط منى ومن الدكتور عودة ويبحث عن كتب يحيى بن عدى ويحاول المقارنة بين أسلوبها وأسلوب هاتين الرسالتين اللتين نحن بصددهما ، ومن يدرى؟ فقد ينجح فى إثبات أنهما فعلا من تأليف ذلك الكاتب النصرانى . أما أن رسالة الكندى قد أصبحت منذ عثور المبشرين والمستشرقين عليها هى إنجيلهم فأعتقد دون غرور أن الدراسة التى فى يد القارئ قد بينت أنها إنجيل مضروب لا يساوى مليما أحمر!

***

حدوتة الأنبا جُرْجِي: هكذا يحارب المدلسون الإسلام!

حدوتة الأنبا جُرْجِي:
هكذا يحارب المدلسون الإسلام!

منذ نحو عشرة أيام وصلتني من زكريا بطرس رسالة مشباكية (إيميل) تتضمن حدوتة تبشيرية مضحكة لا يصدقها إلا أبله، تدور حول ما يزعم كاتبها أنه مجادلة قامت بين راهب نصراني وثلاثة شيوخ من أئمة المسلمين فى العصر الأيوبى، وتحدانى أن أرد عليها. وكالعادة أهملتها، وإن اتخذتها مع ذلك فرصة للسياحة فى كتب التاريخ لعلى أصل إلى أية معلومات تتعلق بطَرَفَيِ المجادلة المزعومة، فلم أصل إلى شىء. إلا أن العزم صح منى فجأة منذ أربعة أيام على التعليق على هذا السخف المتخلف الذى يحسب زيكو أنه يشكل تحديا مستحيلا سنقف أمامه حيارى لا نحير جوابا، وهو ما يدل على أن مستواه الفكرى والعقلى على درجة كبيرة من الضحولة والانحطاط، وأنه فعلا كما قيل ليس أكثر من آلة دعائية يبرمجونها ويطلقونها على المسلمين على أمل أن ينشر بينهم الشك فى دينهم وحضارتهم وتاريخهم ورموزهم. وكانت نتيجة ذلك العزم هى المقالة التالية التى أنهيتها البارحة (الجمعة ١٦ يونيه ٢٠٠٦م) قبل مباراة الأهلى والزمالك فى نهائى الكأس بنحو ربع ساعة.

هذا، ولم أفعل، فى الرد على تلك الحدوتة المتخلفة مثله هو وأشباهه، إلا المضىّ فى قراءتها فقرة فقرة والرد مباشرة على ما جاء فى تلك الفقرات أولا بأول، اللهم إلا إذا احتاج الأمر التثبت من شىء، فعندئذ كنت أرجع إلى هذا الكتاب أو ذاك. وتتلخص تلك الحدوتة المتخلفة فى

أن جماعة من الرهبان الحلبيين ذهبوا لمقابلة الملك الظاهر بن صلاح الدين الأيوبى صاحب حلب فى شأن من شؤون الدير الذى يسكنونه ، فتصادف مجىء ثلاثة من أئمة المسلمين وهم فى حضرة أخيه الأمير المشمّر ، وجرت بينهم وبين أحد أولئك الرهبان ، واسمه الأنبا جرجى ، مناظرة بين الإسلام والنصرانية خرج منها دين التثليث منتصرا بالضربة القاضية على دين التوحيد . وقد أظهرت الحدوتة المضحكة الأمير الأيوبى منحازا طول الوقت إلى الجانب التثليثى شامتا بالمشايخ "المساكين المحتاسين" العاجزين عن الرد والفهم . بل زاد على ذلك فأسرّ إلى الراهب المذكور ، على مرأى من الحاضرين ، أن أمه نصرانية رومية ، وأنه ينبغى أن يأخذ راحته فى مسح أولئك المشايخ البُلْه بالأرض دون خوف من أى اعتبار . والحدوتة تصرخ بأعلى حِسّها أنها مصنوعة صنعا كما سنبين بالدليل القاطع الذى لا يمكن نقضه بأى حال ، وأن شيئا مما ورد فيها لم يقع ، وأن المقصود منها هو مكايدة المسلمين ورفع الروح المعنوية لجماهير المثلثين عن طريق إيهامهم أن أئمة المسلمين أنفسهم لا يستطيعون الوقوف أمام ضياء التثليث الباهر الذى يُعْشِى العيون!

والآن إلى مناقشة الحدوتة التى أعتذر للقراء مقدما عن نزولى إلى مستواها ، إذ لا يليق فى الواقع أن آخذ مثل تلك التحديات الطفولية مأخذ الاهتمام ، إلا أننى قد لاحظت أنها منشورة فى مواقع تبشيرية كثيرة ، ومعنى هذا أن من القراء الخالى البال مَنْ قد يظن أنها قصة حقيقية ، فقلت: إنها فرصة لفضح أساليب الكيد الرخيص الذى يلجأ إليه القمّص المعتوه وأمثاله فى محاربة الإسلام حتى يعرف القاصى والدانى أن القوم مفلسون تمام الإفلاس وأنهم إنما ينتهزون سانحة ضعف المسلمين فى العصر الحالى وهجوم الثور الأمريكى الأحمق على المنطقة ، للتنفيس عن أحقادهم

والجرى فى بيداء الأوهام التى تصور لهم، كما يصرح زيكو منتشيا وشامتا، أن ساعة الإسلام الأخيرة قد دنت، وأن المسألة مسألة وقت. أما نحن فواثقون بعون الله، رغم الفروق الهائلة بيننا وبين الأمريكان فى العتاد والسلاح والتقدم العلمى والتقنى، أن الثور الأمريكى الأحمق سوف تكون نهايته بمشيئته سبحانه على يد أبطال المقاومة العربية والإسلامية، وإن كان هذا لا يعنى أننا بعدها سنكون عال العال، إذ لا بد من النهوض مما نحن فيه من بلادة حضارية، وكراهية للعلم والعالمين والعمل والعاملين، ونفور من النظافة والجمال، وعداوة للنظام والتخطيط والطموح، وعجز عن الابتكار وجبن أمام المجهول، وقِصَر نَفَسٍ وباعٍ فى ميادين الصبر على مشقات العمل والإتقان والتجديد والتحسين، لا الصبر على الهوان والمذلة والظلم والرضا به والاستزادة منه والركوع أمام الظالم، وبخاصة إذا كان هذا الظالم حاكما من الحكام. وقادة العرب والمسلمين بوجه عام هم، بحمد لله الذى لا يُحْمَد على مكروه سواه، من أسوإ حكام الأرض وأخشاهم لأعداء أوطانهم ودينهم وأمتهم وأطوعهم لأولئك الأعداء وأعملهم لمصلحتهم، وهو أمر طبيعى، إذ "كما تكونوا يُوَلَّ عليكم"، ونحن سيئون مثل حكامنا بل أسوأ، فنحن وهم "ذرية بعضها من بعض"، ذرية غير طيبة، وإلا لكنا قد متنا منذ وقت طويل من الغم والقهر بسبب ما نحن فيه، أو على الأقل: توارينا خجلا! أما النصر الذى سيبوء به المسلمون بمشيئة الله فهو بفضل أبطال فلسطين والعراق وأفغانستان وغيرها من المجاهدين الذين لم يفتّ فى عضدهم شيء من عوامل الإحباط ولا يهابون أمريكا ولا أذيالها من أمتهم، لعنة الله على كل ذليل تعيس!

والآن تعالَوْا، أيها القراء الأعزاء، لنرى ما فى جعبة الحاوى من كتاكيت يخرجها من كُمّه يحاول إيهامنا أنه يأتى بها من الهواء! والقصة،

بالمناسبة ، قد تبناها ونشرها راهب يقول إنه من المرسلين الكاثوليكيين العاملين فى إفريقيا ، وإنه اعتمد فى نشره لها على عدة مخطوطات يرجع أقدمها إلى ما بعد تاريخ وقوع المجادلة المزيفة بثلاثة قرون وربع القرن ، وإنه ليس هناك أية معلومات تاريخية ، لا فى كتب المسلمين ولا فى كتب النصارى ، عن الأنبا جرجى أو المشايخ الثلاثة الذين جادلوه . وعنوان الحدوتة هو "مجادلة الأنبا جرجي الراهب السمعاني مع ثلاثة شيوخ من فقهاء المسلمين بحضرة الأمير مشمر الأيوبي" . فعلى بركة الله إذن ، وسوف يتبين بما لا مجال معه للشك أن الحكاية ليست أكثر من حدوتة لم يحسن ملفقها تزييفها فجاءت وبالا على كل من اشترك فى كتابتها وتحريرها ونشرها والتحدى بها ، ومثلت فضيحة مدوية للجميع كما سيتضح حالا .

وأول داهية من الدواهى الثقيلة التى أوقع نفسه فيها محقق القصة الكذاب مثل كاتبها الكذاب هى أول جملة فى التقديم ، وها هى ذى: "من سمات كنيسة المسيح الظاهرة أن تدعو جميع الناس في كل عصر ومصر إلى دين الله بحسب البيان وجميل الإحسان عملا بأمره ، له المجد: بشّروا بالإنجيل في الخليقة كلها" . ووجه الكذب والتدليس فى هذا الكلام أنه لم يكن هناك ، فى اعتقاد النصارى ، وجود للإنجيل قبل ترك السيد المسيح للدنيا ، إذ الأناجيل (حسب كلام النصارى . ولاحظ: "الأناجيل" لا الإنجيل) إنما كُتبت بإلهام من الروح القدس بعد ذلك ، أما فى حياة عيسى بن مريم على الأرض فلم يكن ثمة أناجيل ولا يحزنون . فأى إنجيل كان هناك إذن (حسب كلام المحقق الكذاب الذى لا يعرف كيف يدارى كذبه وتدليسه ، إذ من نعم الله على العباد أن الجريمة الكاملة لا وجود لها فى الحياة) حتى يكلف المسيح تلاميذه بالدعوة إلى دين الله من خلال التبشير به؟ أما إذا قالوا إنه كان فى حياته صلى الله عليه وسلم إنجيل أو أناجيل ، فالسؤال

الـذى ينبثق فى الذهن على الفور: وأين ذلك الإنجيل، أو تلك الأناجيل؟ مـن ثَـمّ كـان على محقق الكتـاب المـزيّف المملـوء بالترهـات والأباطـيل والتناقضات والأكاذيـب أن يجيب على هذا السؤال بدلا من خَوْتة الدماغ التى لا يَنُون عـن إزعاجنا بها كلما حاولـوا أن يردوا على اتهامنا لهم بالتلاعب فى الإنجيل والعبث به، إذ يتساءلون وبراءة الأطفال فى عينيهم: إذا كـان هناك إنجيل صحيح تم العبث به، فأين ذلك الإنجيل؟ ولماذا لم يعثر أحد ولو على نسخة واحدة منه يتضح منها الاختلافات التى يتحدث عنها المسلمون؟ وسوف نرد على هذه النقطة فيما بعد، أما الآن فتعليقنا هو: إذا كـان هـناك إنجيل فى حياة السيد المسيح كما تقول العبارة المنسوبة له عليه السلامْ، فعليكم أنتم أن تخبرونا بموضعه وتحضروه لنا حتى نقارن بينه وبين الأناجيل التى بين أيديكم والتى إنما أُنجِزَت بعد انتقال عيسى بن مريم عن الدنيا وتحيط بها الشكوك والشبهات مـن كل جانب، سواء فيما يتعلق بمؤلفيها أو بتواريخ كتابتها أو الظروف التى كُتِبَتْ فيها. أما إذا قلتم إنه لم يكـن هـناك أناجيل فـى حـياته، فعليكم فى هذه الحالة أن تقروا بأن هذا الكلام المنسوب للسيد المسيح عليه السلام فى الأناجيل الحالية عن وجوب التبشير بالإنجيل فى كل الأمم هو كلام كاذب لم يقله المسيح لأن الإنجيل لم يكن قد وُجِد بعد.

ثـم داهـية ثقيلة أخرى هى الفقرة الثانية من التقديم الذى قدم به لها محـررها، إذ يقـول مـا نـصه: "إن ديـن المسيح لم يستطع أن يحجبه الإسلام بحجته الكـبرى الـتي هي الجهاد وقتال من لا يدين به. ولم يقطع سيفُه كلّ لـسان ولم يكـسر أقـلام ضـعاف الـرهبان الذين هم أخص دعاة النصرانية الموصـوفون بـ "جـند الكنيسة". ومن هؤلاء الشجعان الذين أرهفوا القلم وأحـسنوا البـيان الأنـبا أو الأب جرجي أحـد رهبان دير القديس سمعان

الذي موقعه في جبل سمعان في ولاية حلب الذي كان من أعظم وأشهر ديارات البطركية الأنطاكية". ففي هذه الفقرة نقرأ أن الإسلام لم يمنع واحدا كالأنبا جرجى أو غيره من التبشير بالإنجيل بين المسلمين، حتى فى حضور أمرائهم ومواجهة شيوخهم. فما معنى ذلك؟ معناه ببساطة ووضوح أن كل ما يزيفه المزيفون ويدلس به المدلسون الأفاكون المشاؤون بالنميم بين الأمم والطوائف المثيرون للفتن عن الضغوط التى تعرَّض ويتعرَّض لها النصارى فى بلاد المسلمين هو كلام لا أساس له من الصواب، وإلا أفلو كان الإسلام يضطهد الأديان الأخرى أكان أتباعها يستطيعون أن يفتحوا أفواههم مجرد فتح، فضلا عن أن يدخلوا مع أئمة الإسلام فى جدال من أجل نشر دينهم وتخطئة دين المسلمين؟

إذن فالإسلام لم يضطهد الأديان الأخرى، بل أفسح لها صدره وحمى أهلها وأسبغ عليهم كرمه وعطفه، ولم يفكر مجرد تفكير فى استئصالهم مثلما استأصل النصارى كل من يخالفهم فى الدين فلم يسمحوا له أن يعايشهم فى وطن واحد، كما هو الحال فى الأندلس مثلا حين أجبر فرناندو وإيزابلا ومن جاء بعدهما عشرات الملايين من المسلمين الأسبان أهل البلاد على التنصر، وإلا فالحرق أو الإغراق أو الحشر فى نعوش مبطنة بالمسامير الضخام تُغْلَق على من بداخلها فتخترق المسامير بطنه وظهره وصدره وعينيه ورأسه وقفاه وفخذيه وساقيه وقدميه ويديه فى الحال وتهرسه هرسا وتحوله إلى مصفاة من اللحم والعظام (اللهم لطفا!)، وهو ما يمثل أسلوبا واحدا من أساليب محاكم التفتيش التى أقيمت لإرضاء الرب ونشر دينه، دين الرحمة والتواضع والسلام، وكما هو الحال أيضا فى الأمريكتين حيث تم القضاء على دين أهل البلاد تماما فلم يعد له من أثر، بل حيث تم القضاء أيضا على أهل البلاد أنفسهم فى أمريكا الشمالية،

وعلى عشرات الملايين منهم فى أمريكا الجنوبية! و"إن كنت ناسيا (كما تقول الأغنية) أفكرك" بكتاب المطران برتولومى دى لاس كازاس: "المسيحية والسيف"، الذى ترجمته سميرة عزمى الزين، وبمقال فنسيتزو أوليفيتي الذى ترجمه العبد لله ونشره على المشباك بعنوان "العنف النصرانى في التاريخ"، ولا داعى لذكر غيرهما، ففيهما الكفاية بمشيئة الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد. ومِثْلَ ذلك قُلْ عن الأستراليين الأصليين الذين لم يعد لهم وجود فى بلادهم بعد أن دنستها أقدام نصارى أوربا ودمرت كل شىء يخصهم من حضارة وثقافة ودين، ثم دمرتهم هم أيضا فلم تكد تبقى منهم باقية على ظهر البسيطة! أما تشريع القتال فهو فعلا موجود فى الإسلام، ذلك الدين العظيم الذى لم يبرع أصحابه فى تسويقه بالحق براعة النصارى فى تسويق دينهم بالباطل حين ادَّعَوْا أن دينهم هو دين الرحمة والسلام، على حين أنهم فى احتلالهم للبلاد الأخرى لا يعرفون رحمة ولا سلاما، على عكس الإسلام، الذى ينص فعلا على قتال المعتدين حين لا يكون أمام أهله مناص من القتال وبعد أن يستنفدوا كل سبل السلام والتفاهم مع أعدائه، لكنه رغم كل هذا يحرص على العدل والإنسانية والتسامح ما أمكن مع هؤلاء الأعداء، فإذا بأصحاب دين الرحمة والسلام يشنعون عليهم وعلى نبيهم ويتهمونهم بما ليس فيهم ولا فى دينهم اعتمادا على آلة الإعلام الجهنمية التى يمتلكها الأقوياء منهم فى الدول المتقدمة ويستثمرها سائرهم فى كل أرجاء الأرض بالكذب الفاجر المتوحش الذى لا يعرف الحياء!

وعلى كل حال ها هو ذا كاتب الحدوتة يعلن كيف عومل الرهبان والقساوسة من قِبَل الأمير الأيوبى المسلم: "اتفق أن رئيس دير القديس ماري سمعان العجائبي البحري حضر بين يدي الأمير والسلطان صاحب

مدينة حلب وأعمالها حيث كان ينزل جيشه في الفضا الذي بين عُمَّ وحارم . وكان حضور الرئيس لدى الأمير لأجل حوائج عرضت له من حوائج ديره ومصالحه . فلما مثل بين يدي السلطان مع من كان قد صحبه من الرهبان قبلهم أحسن قبول وأمر بقضاء حوائجهم وما التمسوه . ورسم لهم النزول في خيمة أخيه الملك المشمّر . . . فحين حضر بين يدي الملك المشمّر قبلهم أحسن قبول بغاية الإكرام والإجلال . ولما نظر إلى الشيخ أتيا جرجي استلذّ بالنظر به وأدناه*إليه ورسم له الجلوس بقربه . ولما عاد الرئيس من عند السلطان ليكمل حوائجه تمسك الأمير بالشيخ وأخذ يحدّثه ويسأله عن أمور الدين والرهبان وعيشتهم وسيرتهم وتصرفهم"، فضلا عما ذكرته الحدوتة فى نهايتها من إتحاف الأمير للرهبان بوَسْقِ بغلٍ سمكا، وبغلةٍ من بغاله الأميرية مُسْرَجة . وواضح أن ما حدث لهم من الإكرام والترحيب لم يكن شيئا استثنائيا، بل كان أمرا معتادا، وإلا لم يفكروا أصلا فى المجىء والمثول بين يَدَيِ الحاكم المسلم . أليس هذا ما يقول به المنطق؟ علاوة على أنه لم تصدر عن الكاتب أية كلمة تدل على أن هذا الاستقبال الذى حَظِيَ به الرهبان والقساوسة كان شيئا غريبا لم يتوقعوه . لكن الخبيث القليل الأدب لا يريد أن يقر بجميل للمسلمين، بل ينزل على حكم طبيعته الثعبانية السامة فيعض اليد الكريمة التى امتدت له بالحسنى! ألا لعنة الله على الحقدة المارقين الذين يعاملهم الإسلام أجمل المعاملات فلا يكون منهم إلا أن ينقلبوا عليه فيتهموه كذبًا وزُورًا بكل نقيصة فيهم، وإن كنا نشك فى الحدوتة كلها، لكننا إنما ندينهم بما تخطه أيديهم النجسة الدنسة! بالسم الهارى، يا بعيد، السمك الذى أطعمكم إياه الأمير رغم أننا لا نصدق حدوتتك، وبخاصة أنك تقول إن الأمير قد أمر حاجبه الموجود عند مَسْمكته أن يعطى السمك الرهبان" معافَى مبرأً من سائر الغرامات

والحقوق"، وكأن عطايا الملوك والأمراء فى تلك الأيام كانت تخضع للمحاسبة الضريبية وأمثالها فأراد الأمير أن يستثنى الرهبان منها! عال والله! هذا ما كان ينقصنا فى يومنا العجيب! كما تذكر الحدوتة أن اسم الحاجب هو تمام السيارى، وقد حاولت العثور على هذا الاسم فى مواقع المشباك المختلفة، وبالذات فى المواقع التى توجد فيها عادةً كتب ذلك العهد فلم أفلح فى الوصول إلى شىء! وأغلب الظن أنه اسم منتحل كأسماء بيّاعى البطاطة الثلاثة الذين اخترعهم خيال الكاتب السقيم وجعلهم من "أئمة الإسلام"!

وبالإضافة إلى ذلك نرى الأمير يوقع باسم "المشمر الملكى"، وهذا غريب، فالمعروف أن لقب "المشمر" إنما أطلقه الأمير على نفسه (حسبما كتب بعض المؤرخين) إشارة إلى أن أباه لم يعطه مملكةً كبعض إخوته، فكيف لم يستخدم لنفسه إلا هذا اللقب الذى يرمز إلى الحرمان، مع أن له لقبا آخر فخما ليست له هذه الإيحاءات السلبية، وهو "الظافر"؟ ثم، وهذا مجرد استفسار، هل كان أحد من الأمراء الأيوبيين يصف نفسه بـ"الملكى"؟ ليس ذلك فحسب، إذ يقول الكذاب النجس إن المصيدة كانت عند برزة. أتدرى، أيها القارئ، أين تقع برزة؟ إنها فى غوطة دمشق، ونهرها (الذى سوف يأخذ الراهب السمك منه) هو نهرٌ محلىٌّ صغير ينبع من عينٍ هناك ولا يزيد طوله كثيرا عن عشرة كيلو مترات، والمسافة بين دمشق ومنطقة حلب حيث جرت أحداث الحدوتة وحيث كان دير الرهبان هى فوق الثلاثمائة والخمسين كيلو مترا. أى أن الكذاب يريد أن يفهمنا أنهم قد خرجوا عن مسار عودتهم إلى ديرهم عدة مئات من الكيلومترات كى يحصلوا على وَسْقِ بغلٍ سمكا، وأن الأمير لم يجد فى ممتلكاته إلا هذه المصيدة التى يقطّع الوصولُ إليها الأنفاس كى ينعم على الراهب ببعض ما

يصاد منها من سمك! هذا ليس سمكا . هذا سمك ، لبن ، تمر هندى! ثم بالله كيف يمكن أن يبقى السمك طوال طريق العودة سليما لا ينتن ، ومعروفٌ بطء وسائل المواصلات فى ذلك العهد وعدم وجود حافظات للّحم والسمك وأمثالهما من الأطعمة التى تفسد سريعا؟

وهذا النهر ، كما هو واضح ، لا يتبع مملكة حلب ، التى كانت تحت إمرة الملك الظاهر ، بل يقع فى مملكة دمشق ، التى كانت تحت سلطان أخ آخر هو الملك الأفضل ، الذى كان يتبعه الأمير المشمر (اسمه الحقيقى "الخضر" ، ولقبه الرسمى "الظافر" كما سبق بيانه) ، ولعل فى ذلك ما يفسر أن المصيدة التى يملكها الأمير كانت فى دمشق لا فى حلب ، وإنْ ظن محقق الحدوتة أنه كان تابعا لأخيه الملك الظاهر صاحب حلب (الذى لم يكن شقيقا له) ، على عكس "الأفضل" (الذى كان أخاه لأبيه وأمه معا) . وهذه عبارته: "ويظهر أنه كان من أتباع أخيه الملك الظاهر غياث الدين غازي صاحب مدينة حلب أصغر أولاد صلاح الدين . ومن ثم كان الأمير المشمّر أقل شأنا من أخيه الملك الظاهر الذي مات في حلب ودفن في قلعتها سنة ٦١٧ للهجرة التي توافق سنة ١٢١٦ مسيحية عندما جرت هذه المجادلة ، ولعلّه كان تابعا لأخيه المذكور" . والصواب ما ذكرناه من أنه كان تابعا للأفضل ، أما الذى كان تابعا للظاهر فهو شقيقه الأمير داود ، وكانت فى يده قلعة البيرة على الفرات . يقول النويرى فى "نهاية الأَرَب": "استقر ملك دمشق وما معها للملك الأفضل نور الدين أبي الحسن علي ، وهو أكبر أولاده وولي عهده ، وعنده أخواه شقيقاه الملك الظافر خضر والملك المفضل موسى . واستقر ملك حلب ما يليها للملك الظاهر غياث الدين غازي ، وعنده أخوه الملك الزاهر ، فجعله من قِبَله على البيرة" ، وفى "النجوم الزاهرة" لابن تغرى بردى أن أولاد صلاح الدين "كانوا ستة عشر ذكرًا وابنة

واحدةً: أكبرهم الأفضل علي، ولد بمصر سنة خمس وستين يوم عيد الفطر. وأخوه لأبيه وأمه الملك الظافر خضر، ولد بمصر سنة ثمان وستين. وأخوهما أيضا لأبيهما وأمهما قطب الدين موسى، ولد بمصر سنة ثلاث وسبعين. فهؤلاء الثلاثة أشقاء. ثم الملك العزيز عثمان الذي ملك مصر بعد أبيه، ولد بها سنة سبع وستين. وأخوه لأبيه وأمه الأعز يعقوب، ولد بمصر سنة اثنتين وسبعين. والملك الظاهر غازي صاحب حلب، ولد بمصر سنة ثمان وستين. وأخوه لأبيه وأمه الملك الزاهر داود، ولد بمصر سنة ثلاث وسبعين. والملك المعز إسحاق، ولد سنة سبعين. والملك المؤيد مسعود، ولد بدمشق سنة إحدى وسبعين. والملك الأشرف محمد، ولد بالشام سنة خمس وسبعين. وأخوه أيضا لأبيه وأمه الملك المحسن أحمد، ولد بمصر سنة سبع وسبعين. وأخوه أيضا لأبيه وأمه الملك الغالب ملكشاه، ولد بالشام سنة ثمان وسبعين. وأخوهم أيضا لأبيهم وأمهم أبو بكر النصر، ولد بحران بعد وفاة أبيه سنة تسع وثمانين. والبنت مؤنسة خاتون تزوجها ابن عمها الملك الكامل... ابن الملك العادل وماتت عنده. وملك بعد السلطان صلاح الدين مصر ابنه الملك العزيز عثمان...، وملك دمشق بعده ابنه الملك الأفضل علي، وملك حلب ابنه الظاهر غازي كما كانوا أيام أبيهم"، وإن كنت لا أحب أن أقف عند هذه النقطة أطول من ذلك رغم إمكان اتخاذها دليلا إضافيا على الاضطراب والتدليس فى تلك الحدوتة، إذ ثم سؤال يفرض نفسه هنا، ألا وهو: ماذا كانت صلاحية الأمير الظافر فى حلب بحيث يقوم بتضييف الرهبان المذكورين، ولم تكن له صفة رسمية فى تلك المملكة؟

كذلك ففى هذه الفقرة الأخيرة يوقع المحققّ فى المهالك غباؤه مرة أخرى فيكون فى هذا برهان جديد على أنه لا توجد جريمة كاملة أبدا مهما

ظن مرتكبها أنه قد احتاط فيها لكل شيء فسدّ كل الثغرات ولم يترك وراءه قط أى أثر يمكن أن يكشف أمره، إذ قال الكذاب عن الأنبا جرجى المزعوم إنه "من هؤلاء الشجعان الذين أرهفوا القلم وأحسنوا البيان"، مع أن راوى الحدوتة المضحكة قد ذكر أن ما جرى على لسان ذلك الأنبا (الذى ليس له وجود إلا فى العقول المدلسة) لم يكن سوى كلام شفوى لم يُسْتَخْدَم فيه قلم ولا ورق ولم يكن ثمة وقت للتحبير وإظهار البيان، على عكس ما يكذب المحقق المدلس الذى يعرف قبل غيره أن هذه المجادلة لم تقع قط وأنه لم يكن هناك مثل ذلك اللقاء المزعوم بين جرجى ومن سماهم بـ"أئمة المسلمين". كذلك أين كتبه الأخرى التى تظهر براعته البيانية ومواهبه العقلية؟ بل أين أخباره وتاريخ حياته عندهم، وهو الرجل الذى انتصر ذلك الانتصار الباهر على المسلمين وفى حضور أمير من كبار أمرائهم كما يزعمون؟ وبالإضافة إلى هذا فإن فى الحدوتة أخطاء لغوية لا تليق إلا بكذاب غبى مثله. إنهم أهل الإعلام الطنان من قديم الزمان، وصناع النجوم الزائفة بالباطل! ثم لو كان هناك لقاء كهذا، فأين خبره فى كتب المسلمين؟ أمن المعقول أن يقع مثل ذلك اللقاء، وأن يكون وقوعه فى معسكر الأمير الأيوبى ابن صلاح الدين، ثم تسكت عنه كل كتب المسلمين فلا تتعرض له ولو بكلمة؟ لقد ذهبتُ ففتشتُ بطون كتب تلك الفترة فلم أجد لتلك الحدوتة من أثر، بل لم أجد أى أثر لأى واحد من طرفيها: لا الأنبا جرجى ولا الفقهاء الثلاثة الذين تقول الحدوتة إنهم جادلوا هذا الجرجى فجندلهم، وهم أبو سلامة وأبو ظاهر والرشيد بن الهادى. ثم ما هذه النغمة الغريبة، نغمة انتصار النصارى على المسلمين فى الجدال، والمعروف أن علماء المسلمين لم يدخلوا قط مع رهبان النصارى ورجال دينهم فى جدال إلا كان الفلج للمسلمين، وكثيرا ما

انتهى الجدال بدخول مجادليهم فى الإسلام . وما خبر المناظرة التى تمت فى السودان بين مجموعة الدكتور محمد جميل غازى وجماعة القساوسة السودانيين فى أواخر القرن الماضى وانتهت بإعلان القساوسة جميعا اعتناق الإسلام على بكرة أبيهم ببعيد! وبإمكان القارئ أن يطالع وقائع تلك المناظرة كاملة فى كتاب "مناظرة بين الإسلام والنصرانية"، ويقع فى طبعته الثانية (الرياض/ ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م) فى ٥٠٠ صفحة، وهو متاح على المشباك لمن يريد تحميله . وبالمناسبة فقد كان بين أعضاء الوفد المسلم الأستاذ إبراهيم خليل أحمد، وهو قس مصرى سابق أسلم وأصبح من أشد المدافعين عن سيد الأنبياء والدين الذى جاء به .

كذلك أين خبر هذا اللقاء فى كتب النصارى فى ذلك الوقت، بل إلى ما بعد ذلك الوقت بعدد من القرون؟ لقد جرت المجادلة المزيفة عام ١٢١٦م تقريبا، إلا أن أقدم مخطوط لهذه الحدوتة يعود إلى عام ١٥٣٩م، فأين كانت تلك الحدوتة طوال تلك القرون الثلاثة والعقدين والنصف؟ يقول المحقق الكذاب ككاتبها الكذاب: "لم ننشرها إلا بعد أن قابلناها على عدة نسخ قديمة وجدناها في مكتبة الأمّة في باريس وغيرها من مكاتب الشرق، وهي كثيرة تعدّ بالعشرات، وأقدمها وأصحها كتبت بخط جميل سنة ١٥٣٩ عن نسخة قديمة لا نعلم تاريخها". إننى فى الواقع لا أطمئن إلى أولئك الناس، فهم متخصصون فى التزييف والعبث، ومن هنا فليس لكلام ذلك الكذاب عندى وعند كل عاقل من معنى إلا أنها قد وُضِعَتْ وَضْعًا فى ذلك التاريخ إن صح ما يقول . أى أنها قد اخْتُرِعَتْ من بُنَيّات الخيال والأوهام بعد الوقت الذى قيل إنها وقعت فيه بأكثر من ثلاثة قرون! ترى أين حمرة الخجل عند أولئك الكذابين؟ الواقع أنهم لا يخجلون ولا يستحون، ومن كان هذا شأنهم فإن الله سبحانه لا يكتب لهم التوفيق أبدا،

بل يفضحهم ويهتك سترهم!

ثم من هم أولئك المشايخ الثلاثة النكرات الذين لا نعرف عنهم شيئا البتة، وكأن الحاشية الأيوبية والبيئة الحلبية قد خلتا من مشاهير المشايخ والعلماء والكتاب ممن كانوا يستطيعون أن ينفضوا هذا الراهب فى الأرض؟ ودعنا الآن من أن الأمير المشمر ذاته كان من أهل العلم والحديث وصاحب ثقافة تاريخية واسعة كما سيأتى فيما بعد من هذه الدراسة! أو كان المسلمين يمكن أن يتجاهلوا مثل أولئك العلماء فلا يكتبوا عنهم أو يترجموا لهم! عال والله عال، لم يبق إلا أبو سلامة وأبو ظاهر والرشيد بن المهدي! أيعقل أن يكون هؤلاء من كبار أئمة المسلمين على ما يزعم ملفق الحدوتة ولا يرد لهم ذكر بين علماء حلب ولا غيرها من تلك البلاد؟ لقد وقعت مثلا، وأنا بصدد إعداد هذه الدراسة، على مقال فى العدد ١٠٠٧ من "جريدة الاسبوع الادبي" (٢٠/ ٥/ ٢٠٠٦م) بعنوان "لماذا حلب عاصمة للثقافة الإسلامية؟" ذكر فيه كاتبه د. أحمد فوزي الهيب، ضمن من ذكر من علمائها فى الميادين المختلفة على مر العصور القديمة، مشاهيرهم فى العصر الأيوبى، فكان منهم الأسماء التالية، وليس فيها لا أبو ظاهر ولا أبو باطن ولا دياولو، ببساطة لأنهم ليس لهم وجود إلا فى خيال الراهب المدلس. قال المؤلف: "ومن علماء حلب آنذاك في التفسير والحديث والفقه وعلوم العربية والخط والتاريخ والجغرافية الفلك والرياضيات والطب والفلسفة: القفطي وابن العديم وابن سعيد الأندلسي وابن شداد وابن العجمي وعالي بن إبراهيم الغزنوي وابن الصلاح والكاشغري والكاساني وصقر بن يحيى وعبد الله الجماعيلي والهاشمي عبد المطلب بن عبد الفضل وابن الخباز وشهدة بنت ابن العديم وابن يعيش وابن عمرون وابن مالك والواسطي القاسم بن القاسم والحسين بن هبة الله الموصلي وسعيد بن أبي

منصور الحلبي وحمد بن علي المازندراني وابن خروف النحوي وعبد اللطيف البغدادي وعلي بن أبي الفرج البصري والأسعد بن مماتي وابن المولي ويحيى بن محمد وابن أبي طي وياقوت الحموي وحمد بن طلحة والهروي علي بن أبي بكر والسهروردي الفيلسوف المتصوف وأبو الفضل بن يامين الحلبي وأبو الحجاج يوسف الإسرائيلي وغيرهم. ومن أطبائها عبد اللطيف البغدادي وعفيف بن سكرة الحلبي وحسون الرهاوي"، وغير هؤلاء كثير.

على أن هناك شيئا فى زاوية السرد الخاصة بالحدوتة، ألا وهى أن الراوى، رغم ما قيل من أنه كان أحد أعضاء الوفد الذى ذهب للقاء الملك الأيوبى وأنه كان حاضرا المجادلة المزعومة فى حضرة الأمير المشمر كلمة كلمة، لم يَرْوِ الحدوتة بضمير المتكلم، شأن من كان فى مثل موقفه من الحضور والمشاركة، بل حكاها بضمير الغائب، لا على سبيل النحو فقط، بل على سبيل الملاحظة والوجدان أيضا، إذ لم يحدث أنْ فَكَّر فى التعبير عن مشاعره مرة أو التعليق على ما جرى رغم خطورته البالغة ولو بكلمة واحدة، فيقول مثلا: كنت واحدا من وفد الرهبان الذى ذهب للقاء الأمير المشمر فى شأن كذا فقال لنا كذا وقلنا له كيت، وكنت أشعر بالسرور وأنا أرى الأنبا جرجى يفحم المشايخ المسلمين ويحظى بتشجيع الأمير... إلخ. بل إنه حين تكلم عن الراهب الذى تولى المجادلة المزعومة لم تبدر منه لفظة واحدة تنبئ أنه كان يعرفه أو كانت له به علاقة قط! وهذه ثغرة خطيرة فى الحدوتة تدل على أنها مصنوعة صنعا وأن قائلها لا يمكن أن يكون قد حضر شيئا مما يَدَّعِى وقوعه بين الأنبا المذكور والمشايخ الثلاثة.

ولكى يعرف القارئ ما أريد أن أقوله ويتمثل الأمر التمثل الصحيح أسوق له هذه الأسطر من رواية أم سلمة رضى الله عنها عما وقع للمسلمين فى الحبشة فى عهد النبى حيث كانت معهم هناك: "قَالَ ابْنُ

إسْحَاقَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ الزُّهْرِيُّ عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ الْمَخْزُومِيِّ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ بِنْتِ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ زَوْجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ: لَمَّا نَزَلْنَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ جَاوَرْنَا بِهَا خَيْرَ جَارٍ النَّجَاشِيَّ: أَمِنَّا عَلَى دِينِنَا، وَعَبَدْنَا اللَّهَ تَعَالَى لا نُؤْذَى وَلا نَسْمَعُ شَيْئًا نَكْرَهُهُ. فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشًا ائْتَمَرُوا بَيْنَهُمْ أَنْ يَبْعَثُوا إِلَى النَّجَاشِيِّ فِينَا رَجُلَيْنِ مِنْهُمْ جَلْدَيْنِ، وَأَنْ يُهْدُوا لِلنَّجَاشِيِّ هَدَايَا مِمَّا يُسْتَطْرَفُ مِنْ مَتَاعِ مَكَّةَ، وَكَانَ مِنْ أَعْجَبِ مَا يَأْتِيهِ مِنْهَا الأُدْمُ، فَجَمَعُوا لَهُ أُدْمًا كَثِيرًا، وَلَمْ يَتْرُكُوا مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطْرِيقًا إِلا أَهْدَوْا لَهُ هَدِيَّةً، ثُمَّ بَعَثُوا بِذَلِكَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ وَعَمْرَو بْنَ الْعَاصِ وَأَمَرُوهُمَا بِأَمْرِهِمْ، وَقَالُوا لَهُمَا: ادْفَعَا إِلَى كُلِّ بِطْرِيقٍ هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ تُكَلِّمَا النَّجَاشِيَّ فِيهِمْ، ثُمَّ قَدِّمَا إِلَى النَّجَاشِيِّ هَدَايَاهُ، ثُمَّ سَلاهُ أَنْ يُسْلِمَهُمْ إِلَيْكُمَا قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَهُمْ. قَالَتْ: فَخَرَجَا حَتَّى قَدِمَا عَلَى النَّجَاشِيِّ، وَنَحْنُ عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ، عِنْدَ خَيْرِ جَارٍ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطْرِيقٌ إِلا دَفَعَا إِلَيْهِ هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَا النَّجَاشِيَّ، وَقَالا لِكُلِّ بِطْرِيقٍ مِنْهُمْ: إِنَّهُ قَدْ ضَوَى إِلَى بَلَدِ الْمَلِكِ مِنَّا غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ فَارَقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ، وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكُمْ، وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ لا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلا أَنْتُمْ، وَقَدْ بَعَثَنَا إِلَى الْمَلِكِ فِيهِمْ أَشْرَافُ قَوْمِهِمْ لِيَرُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ. فَإِذَا كَلَّمْنَا الْمَلِكَ فِيهِمْ فَأَشِيرُوا عَلَيْهِ بِأَنْ يُسْلِمَهُمْ إِلَيْنَا وَلا يُكَلِّمَهُمْ، فَإِنَّ قَوْمَهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ. فَقَالُوا لَهُمَا: نَعَمْ. ثُمَّ إِنَّهُمَا قَدَّمَا هَدَايَاهُمَا إِلَى النَّجَاشِيِّ فَقَبِلَهَا مِنْهُمَا، ثُمَّ كَلَّمَاهُ فَقَالا لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّهُ قَدْ ضَوَى إِلَى بَلَدِكَ مِنَّا غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ فَارَقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ، وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكَ، وَجَاءُوا بِدِينٍ ابْتَدَعُوهُ لا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلا أَنْتَ. وَقَدْ بَعَثَنَا إِلَيْكَ فِيهِمْ أَشْرَافُ قَوْمِهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَعْمَامِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ لِتَرُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ، فَهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ وَعَاتَبُوهُمْ فِيهِ...". فانظر كيف

روت أم سلمة حكايتها بضمير المتكلم فقالت: "نزلنا ، جاورنا ، أمِنَّا ، عَبَدْنا ، لا نُؤْذَى ، لا نسمع . . . "رغم أنها لم تكن من الحاضرين مجلس النجاشى ، بل كانت فقط واحدة من جماعة المهاجرين المسلمين هناك ، فما بالنا بمن كان حاضرا وسمع ورأى كل شىء كراوى هذه الحدوتة؟

ويقول الراهب جرجى ردًّا على ما نُسِب إلى الأمير المشمّر من سؤاله إياه عن الحكمة فى تحريمهم اللحم والنساء على أنفسهم: "ولا نحن نحرّم الزيجة ولا أكل اللحم . وإنما نقصد بذلك العيشة اللطيفة غير الهيولية لنتقرّب إلى الله الجوهر اللطيف غير الهيولي بتلطيف الجسم". ووجه الشاهد هنا هو وصف الراهب لله سبحانه بأنه "جوهر لطيف غير هيولى". الله أكبر! أليس هذا شيئا قريبا مما تعب المسلمون فى قوله للنصارى طوال هاتيك القرون؟ أليس ما يزعمونه من أن الله قد تجسد ونزل إلى الأرض وأكل وشرب وتبول وخرأ وشُتِم وضُرِب وأُهين وطُعِن فى جنبه بالحربة ولُعِن وصاح واستغاث وما من مغيث ، كل ذلك فساد فى فساد؟ ومع ذلك فمن قال إننا نتقرب لله بالتنكر لأجسادنا وشهواتها؟ إن هذه الأجساد وتلك الشهوات إنما هى جزء أصيل من كياننا لا تستقيم الحياة بدونه ، فكيف يطلب عز وجل منا أن نتنكر لها؟ وما العلاقة بين كون الله غير ذى جسد وبين تنكر البشر لأجسادهم؟ لو قال الراهب الأبله إن الاعتدال مطلوب فى إشباع شهواتنا لقلنا له: نعم ونعام عين! أما تجاهل الجسد ومطالبه فإنه ينتهى بكوارث أخلاقية واجتماعية ، إذ الطبيعة لا ترحم من يتنكر لقوانينها التى فطرها الله عليها ، لا تبديل لخلق الله! وحتى المسيح عليه السلام الذى يقول ذلك الراهب ومن على شاكلته إنه هو الله لم يكن ليستطيع أن يعيش إلا بإشباع فمه وبطنه ، ولو استطالت به الحياة فلربما اتخذ له زوجة! وبالمناسبة فقانون الاعتدال غير خاص بمطالب الجسد ، بل

يصدق على مطالب العقل والروح كذلك، فمثلا لو أنفق الإنسان عمره أو معظم عمره فى العبادة دون الالتفات لمصالحه الدنيوية أو واجباته الاجتماعية لكانت عقابيل ذلك سيئة أيضا، وقد تكون كارثية فى بعض الأحيان.

ويستمر الراهب فى سماديره قائلا إن "السيد المسيح قال لنا: إنكم ما تقدرون أن تنالوا الفرح والسرور في العالم الآتي دون الشقاء والحزن في هذا العالم الفاني". ونحب أن نعرف أين قال عيسى بن مريم ذلك. لقد كان المسيح يأكل الطعام الطيب مثلما يجب أن يأكله جميع الناس، وكلنا يعرف كيف حنق عليه السلام على التينة بل لعنها لأنها لم يكن فيها تين فى غير إبانه حسبما لفق مؤلفو الأناجيل! ترى لماذا غضب عليه السلام على الشجرة المسكينة حين لم يجد فى أغصانها تينا رغم أنها لم تكن فى موسم الثمر ورغم أنها لا تعقل ولا تملك من أمر نفسها شيئا؟ أليس لأنه يحب التين ويريد أن يأكله، وهو طيِّبة من طيبات الدنيا؟ ألم تطلب أمه أن يوفِّر الخمر لضيوف أحد الأعراس فاستجاب لها، وكانت هذه أول معجزة قام بها فى حياته؟ وإن كنا لا نصدق أن أمه قد طلبت منه ذلك ولا أنه عصى الله وصنع هذه المعجزة! ألم يقم بمعجزة إطعام الآلاف طبقا لما جاء فى الأناجيل؟ أهناك من ينكر أن الطعام والشراب لذتان من لذائذ الحياة؟ ألم يعمل بكل ما وهبه الله من مقدرة على شفاء العُمْى والبُرْص والبُكْم، وقد كان ينبغى، لو كان ما نسبه له ذلك الراهب صحيحا، ان يُبْقِيَهم فيما هم فيه من هم وشقاء ومعاناة حتى يكون حظهم فى ملكوت السماوات عظيما؟ ألا يرى القارئ أن ما قاله الراهب الكذاب مجرد كلام فى الهواء لا مضمون له ولا مصداقية فيه؟

كذلك يدل على أن راوى الحدوتة كذاب أيضا فيما قاله عن الجسد

وطيبات الحياة أنه يركز، فى مدحه للرهبان، على أشكالهم وملابسهم. ترى لو كان الجسد وما يتعلق به يمثل سوءا ونقمة على صاحبه، فلم اهتم ذلك الكذاب بحلاوة منظر الراهب فوصفه بقلمه مرة، وعلى لسان الشيوخ المسلمين مرة، بطريقة من ينظر إليه على أنه امرأة فاتنة تستهوى ألباب الرجال وعيونهم؟ إنه يقدمه لنا على النحو التالى: "تَزَيَّنَ بشيبةٍ زاهرةٍ وأخلاقٍ عذبةٍ تتوق الألحاظ إلى معاينته"، كذلك فأبو ظاهر البغدادى يقول عنه: "كُل ما عنده حسن وجميل، ووجهه صبيح ومليح". أوهذا كلام من يرى متع الدنيا مناقضة للعاقبة الحسنى فى دار النعيم؟

وبالمثل لا يمكن أن يصدّق إنسان أن الراهب يفقد عقله إلى المدى الذى يقول فيه للشيخ: "إننا عارفون أن الغضب والقتل عندكم سنّة لا تُعاب، وعادة بها تفتخرون، وقد قال بعضهم: دارِهم ما دمتَ في دارهم، وأرْضِهم ما دمتَ في أرضهم... يا أبا سلامة نحن لا نورد مكان الصدق كذبا، وإنما نخشى أن تتصوّر، لغلظ طباعك، الحق كذبا". إن هذا هو الجنون بعينه، لأن المسلمين لم يكونوا بالهوان الذى يسوّل لمثل هذا الراهب التعيس أن يجبههم فى وجههم بتلك الكلمات المهينة. ثم ما معنى قوله لهم فى وجههم: "دارِهم ما دمت فى دارهم، وأرْضِهم ما دمتَ في أرضهم"؟ أليس معناه أنه لا يقدر على مواجهتهم بما يريد أن يقوله؟ فكيف إذن يواجههم بل يجبههم بذلك الكلام المهين؟ بل كيف يفضح نفسه ويكشف عن خطته فى مداهنتهم واستغفالهم؟

ومن البلاهة التى لا يحسن المبشرون سواها فى الاختراع والتلفيق قول الراوى الأخطل إن الأمير، لما أفحم الأنبا النصرانىُّ الشيخَ المسلم، قد مال عليه وأسرّ له فى أذنه أن أمه نصرانية وأنه معه بعواطفه تماما، ثم لم يكتف بهذا بل خلع خاتمه الثمين وألبسه إياه فى إصبعه! يا سلام! ما كل تلك

البراعة؟ ترى إذا كان كلام الأمير صحيحا، أكان رجال الحاشية وغيرهم من الحاضرين يجهلون هذا حتى يسارّ الراهبَ وحده به بما يفيد أن أيا منهم لم يكن يعلم بهذا الأمر؟ هل كان صلاح الدين مثلا قد تزوج بأم الأمير عرفيا وسهّاها وسرق منها الورقة حتى لا تستطيع أن تثبت عليه نفقة أو تحصل منه على إرث أو تنسب ابنه منه إليه؟ ما رأيكم فى هذا أيها القراء؟ بل ما رأيكم فيما فعله الأمير من الميل بجسمه إلى الراهب والإسرار له فى أذنه بذلك السر الخطير دون الخشية من سماع المسلمين الموجودين له، وكأنه طفل من الأطفال قُبِض عليه متلبساً بسرقة لعبة زميله، فتراه يسارع إلى تخبئة يده خلف ظهره على مرأى من الحاضرين ظنا منه أنه بهذا يخفى الشيء المسروق عن العيون؟ أم هل كان المسلمون يغفرون للأمير ما فعله من الانتصار لنصرانى على مسلم؟ أوكانت تمر مثل هذه الواقعة مرور الكرام وكأن شيئا لم يحدث فلا يهيج بسببها العلماء والجمهور ولا يكتب فيها الكاتبون فيُبْدِئون ويُعيدون؟ ومع ذلك كله فهؤلاء المغفلون يظنون أن بمقدورهم إقناعنا بهذا الهراء!

ولو سلمنا بما قيل عن تعاطف الأمير مع النصارى بسبب نصرانية أمه المزعومة التى تخلو كتب التاريخ من أى كلام عنها، بل هى من بنيات أوهام الكاتب المفضوح، فهل كانت أم أخيه الظاهر ملك البلاد نصرانية أيضا؟ ولنلاحظ أنهما لم يكونا شقيقين كما وضحنا فى موضع سابق من هذه الدراسة، فكيف سكت ذلك الملك عن العَكّ الذى فعله أخوه الأمير والذى كان لا بد أن تكون له عواقب وخيمة على المملكة؟ وذلك بغض النظر عن قوة تشدده فى أمور الدين وعدم تساهله بوجه من الوجوه فى مثل هذه القضية. يقول ابن خلكان فى كتابه: "وفيات الأعيان": "كان ملكا مهيبا حازما متيقظا كثير الاطلاع على أحوال رعيته وأخبار الملوك، عالي الهمة

حسن التدبير والسياسة باسط العدل محبا للعلماء مجيزا للشعراء"، وقال ابن العديم في "زبدة الحلب" عما وقع في مملكة صلاح الدين بعد وفاته: "واستقر ملك ابنه السلطان الملك الظاهر غازي ابن الملك الناصر يوسف بن أيوب لحلب، والبيرة، وكفر طاب، وعزاز، وحارم، وشيزر، وبارين، وتل باشر. واستقل بملك حلب، وأنعم على رعيته، واستمال قلوبهم بالإحسان، وعمل بوصية أبيه في الأفعال الحسان. وشارك أهل حلب في سرورهم والحَزَن، وقلد أعناقهم أطواق الأنعام والمنن، وجالس الكبير منهم والصغير، واستمال الجليل والحقير. وكان رحمه الله، مع طلاقة وجهه، من أعظم الملوك هيبة وأشدهم سطوة وأسدهم رأيا وأكثرهم عطاء. وكانت الوفود في كل عام تزدحم ببابه من الشعراء والقراء والفقراء وغيرهم. وكان يوسعهم فضلاً وإنعاما، ويوليهم مبرة وإكراما. ولم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد سيف الدولة بن حمدان ما اجتمع ببابه رحمه الله، وزاد على سيف الدولة في الحباء والفضل والعطاء"، وذكر ابن شداد في "النوادر السلطانية" أن جماهير المقاتلة في عكا (على أيام الناصر صلاح الدين، رضوان الله عليه) كانت تعتقد أن الله قد هيأ اندحار العدو ببركة قدوم الملك غازي، كما استبشر والده صلاح الدين به وعلم أن ذلك بصلاح سريرته، إذ وجد النصر مقرونا بقدومه مرّة بعد أخرى، وثانية بعد أولى. ومن المعروف أنه قد حضر مع أبيه معظم وقائعه مع الصليبيين الخنازير. وفي "ترويح القلوب بذكر ملوك بني أيوب" يورد المرتضى الزبيدي ما أثنى به ابن عربي عليه من أنه لم تُرْفَع إليه حاجة من حوائج الناس إلا سارع في قضائها من فوره من غير توقف كائنة ما كانت. وكان الملك مريدا لذلك الشيخ وحصل منه على إجازة في العلم توجد مخطوطتها في مكتبة الأسد الوطنية (مخطوط رقم ٦٢٨٤) حسبما كتب أسعد الخطيب في مقاله: "الإطار الدّفاعي عِندَ

الصُّوفيَّة" بموقع "التصوف الإسلامى". فمثل هذا الملك لم يكن ليسكت على كفر أخيه المزعوم لو كان ما قالته الحدوتة صحيحا، وهو ما لا يمكن أن يكون قد حدث قط!

ولو افترضنا أن تلك المجادلة وذلك الكتاب الذى ضمّها صحيحان، فكيف تفسر سكوت علماء المسلمين عن كتابة رد على تلك الشبهات التى أوردها الراهب المسكين؟ لقد كتب مثلا ابن كمونة اليهودى بعد ذلك التاريخ ببضعة عقودٍ قليلةٍ كتابه: "تنقيح الأبحاث للملل الثلاث" الذى تعرّض فيه لليهودية والنصرانية والإسلام وأورد بعض الاعتراضات على دين محمد عليه السلام وعلى نبوته، فهب على الفور خواجة نصير الدين الطوسى وكتب تفنيدا لها بعنوان "الردّ على شبهات ابن كمونة" رغم أن ابن كمونة إنما عبّر عن رأيه كتابةً ولم يقله فى مناظرةٍ عامةٍ انتهت بهزيمةٍ مدويةٍ ومخزيةٍ للجانب المسلم كما يزعم كاتب المجادلة، فضلا عن أن اعتراضاته على الإسلام كانت أهدأ جدا جدا مما قاله الأنبا جرجى فى مجادلته حسبما كتب مدوّنها الموهوم. فإذا أضفنا أن ابن كمونة كان يعيش فى بغداد حيث كانت الخلافة العباسية ضعيفة وحيث كان المسلمون بعيدين عما يجعل وقع كلام ابن كمونة على نفوسهم عنيفا كما هو الحال فى دولة بنى أيوب قائدة الصراع الدامى مع الصليبيين، وأن المسلمين هاجوا وماجوا يريدون البطش باليهودى مما استدعى تدخل كبار رجال الدولة وكبار علمائها بغية محاصرة المسألة التى لم تنته مع ذلك إلا بتهريب ابن كمونة فى صندق مجلّد إلى الحِلّة، التى مات فيها بعد ذلك بأيام طبقا لما كتبه ابن الفوطى فى كتابه: "الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابعة" فى حوادث سنة ٦٨٣ للهجرة، إذا فعلنا ذلك تبين لنا أن سكوت المسلمين وعلمائهم على هذه المهزلة غير مستطاع التصديق لأنه مما يخالف

طبائع الأمور، ودَعْنا من الكذبة البلقاء التى كذبها الكاتب المدلس حين ادعى أن ابن صلاح الدين مالأ النصارى فى تلك الواقعة ضد المسلمين!

ولم يكن الرد على كتاب ابن كمونة شيئا استثنائيا فى تاريخ الثقافة الإسلامية، بل هو القاعدة، وأستطيع أن أذكر من محفوظى الآن "الرد على النصارى" للجاحظ (الذى أعدت كتابته من جديد كما لو كان الجاحظ يعيش فى عصرنا الآن، بعنوان "مع الجاحظ فى رسالة الرد على النصارى")، و"الرد على ابن النغريلة اليهودى" لابن حزم، وجواب القاضى أبى الوليد الباجى على رسالة راهب فرنسا التى دعا فيها حاكم سرقسطة المسلم إلى النصرانية، وكتاب أبى عبيدة الخزرجى فى الرد على قسيسٍ قُوطِىّ كان يحاول تشكيك المسلمين فى عقيدتهم فألف رسالة بهذا المعنى أعْطَوْها لأبى عبيدة فكتب يفنّدها تفنيدا صاعقا، ويتهكم بصاحبها ودينه تهكما ماحقا، ويفضح ألاعيب رهبان النصارى ومخاريقهم التى يموهون بها على عامتهم بسبب افتقار عقيدتهم إلى أساس عقلى يسنده، و"إظهار الحق" لرحمة الله الهندى، ورد قاسم أمين على دوق داركور، ورد محمد عبده على هانوتو، وكذلك رده أيضا على فرح أنطون، و"ما يقال عن الإسلام" للعقاد، وما كتبه العبد الضعيف فى "المستشرقون والقرآن" و"دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية- أضاليل وأباطيل" و"عصمة القرآن الكريم وجهالات المبشرين" وغيرها... إلخ. فكيف بعد ذلك كله يريدنا ذلك الراهب البائس لنصدق أن المسلمين يمكن أن يسكتوا على هذا التجاوز الذى فاق كل تصور من بعض نصارى الدولة الأيوبية، وفى حضرة واحد من أكبر أمرائها؟

وإلى نقطة أخرى فى هذه الحدوتة المصنوعة التافهة ننتقل لنقرأ الحوار التالى: "قال الراهب:... قل يا أبا سلامة: ألا تقرّ أن الله

خلق الخلائق كلها؟

قال المسلم: نعم. ما في السموات والأرض خلقه الله تعالى بأمره وكلمته.

قال الراهب: فهل يوجد عالَمٌ خلقه الله، وعالَم خلقه إله آخر؟

قال المسلم: لا. ولكن العالم كلّه خلقه إله واحد، وهو الله الذي نعبده، ولا إله سواه.

قال الراهب: فهل ترى أن الله يشاء خلاص العالم كلّه أم يؤثر خلاص أمّة واحدة من خلقه وهلاك سواها؟ أو لا تقرّ أنه غني كريم جوّاد؟ فإن قلتَ أنه تعالى لا يؤثر خلاص العالم كله فقد نسبت الباري تعالى عز وجلّ إلى الفقر أو البخل كإنسان أعدّ طعاما لمائة رجل فلما حضره مائة غيرها قال للمائة الأخيرة: انصرفوا عني، فما يوجد عندي لكم طعام. فيدل هذا على فقر ذلك الإنسان أو بخله.

قال المسلم: إن الله يتعالى عمّا وصفت، وإنّي أقرّ وأعترف إنه غنيّ كريم جوّاد خالق الخلائق بأسرها ومؤثر خلاصها.

قال الراهب: فإذا كان الله يشاء خلاص العالم كلّه فيجب أن يكون رسوله إلى العالم كلّه لا إلى أمّة واحدة".

حلوٌ جدا! لقد وقعتم ولم يُسَمِّ أحد عليكم أيها الكذابون: لا باسم الله الرحمن الرحيم ولا باسم الآب والابن والروح القدس، ومن فمكم وكتابكم لا من فمنا ولا من كتابنا ندينكم وتُرِى الناس جميعا أنكم أغبياء لا تفقهون ولا عقل لديكم به تفكرون. ترى أى الرسولين الكريمين هو الذى قال إنه إنما بُعِث لأمته فقط، وأيهما هو الذى قال إنه بُعِث للناس كافة؟ الإجابة التى لا يمكن أن يجادل فيها إنسان تتلخص فى أن الأول هو

عيسى بن مريم، والآخر هو محمد بن عبد الله، عليهما جميعا الصلاة والسلام. وهذه هى الشواهد لمن يريد من الحمقى رغم ذلك أن يجادل: فعلى حين نسمع المسيح يقول بصيغة الحصر والأصر إنه لم يُرْسَل إلا لخراف بنى إسرائيل الضالة، نجد القرآن المجيد منذ العصر المكى يقول عن سيد الأنبياء والمرسلين: "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين"، "وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا"... إلخ، كما أشار صلى الله عليه وسلم مرارا إلى طبيعة مهمته وأنها مهمة عالمية وليست خاصة بالعرب وحدهم وأن هذا مما تميز به رسالته على رسالات الرسل السابقين، على عكس السيد المسيح الذى تحكى لنا الأناجيل نفسها أنه لما طلبت منه المرأة الكنعانية أن يساعدها رفض وأسمعها تلك الكلمة القاسية الفظة المفعمة بالاحتقار والتكبر والتجبر، وهى أن خبز البنين لا يؤخذ فيُطْرَح للكلاب. والبنون هنا هم بنو إسرائيل، أما الكلاب فهم الأمم الأخرى، ومنها تلك المسكينة التى لم تجد بدا من إظهار استعدادها لتجرع كؤوس المهانة والتحقير حتى آخر قطرة، فقالت له إن الكلاب تصيب أيضا من فتات الطعام المتساقط من المائدة على الأرض، فعند ذلك رَضِيَ المسيح بعد أن أعجبه كلامها الذليل، وقبلها على سبيل الاستثناء ليس إلا. وقد أكد كلامه مرة أخرى تأكيدا صريحا على سبيل المخالفة: "هؤُلاَءِ الاثْنَا عَشَرَ أَرْسَلَهُمْ يَسُوعُ وَأَوْصَاهُمْ قَائِلاً: «إِلَى طَرِيقِ أُمَمٍ لاَ تَمْضُوا، وَإِلَى مَدِينَةٍ لِلسَّامِرِيِّينَ لاَ تَدْخُلُوا. بَلِ اذْهَبُوا بِالْحَرِيِّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ" (متى/ ١٠). ولا يقولن قائل إنه قد غير كلامه فى آخر حياته حين طلب من تلاميذه أن ينطلقوا ليبشروا بالإنجيل بين الأمم، إذ إن هذا لو صدقنا حدوثه لم يكن إلا بعد أن يئس عليه السلام من "البنين" فاضطر إلى اللجوء لـ"الكلاب" على مضض وكراهية وقنوط، بخلاف محمد عليه السلام الذى

كان يجمع حوله من البداية الرجال والنساء من غير العرب كما هو معروف مفسحا لهم فى صدره وقلبه وعطفه وكرمه وحنانه ومبادئه دون مَنٍّ عليهم ولا أذى ولا تَبَزٍ لهم بالكلاب أو الخنازير، وكان منهم الحبشى، والرومى، والفارسى: محمد الذى قال إنه لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى والعمل الصالح، فلا بنين عنده ولا كلاب، بل الكل أبناء الله الرحيم الكريم! محمد الذى جعل من سلمان الفارسى واحدا من أهله: "سلمان منا أهل البيت"! محمد الذى قام عند مرور جنازة يهودى بمجلسه قائلا لمن استغرب ذلك من أصحابه: أليست نفسا؟ ولم يقل: دعوكم منه، فإنه كلب ابن كلب!... إلخ.

ثم إنه صلى الله عليه وسلم قد أتبع القول بالعمل فبعث برسائل إلى ملوك الأرض من حوله يدعوهم فيها إلى الإسلام، أما عيسى فلم يخرج عن دائرة بعض المدن الفلسطينية التى كان يتحرك فيما بينها على الأقدام، ولم يحدث قط أن دعا أحدا من غير بنى إسرائيل إلى آخر لحظة فى حياته على الأرض. وهذا إن قبلنا رواية الأناجيل عن تغير اتجاه الريح فى دعوته عليه السلام، وإلا فلنلاحظ أنه، حين نص على أن رسالته مقصورة على البنين ولا نصيب فيها للكلاب، قد قال: لَمْ أُرْسَل إلا إلى خراف بنى إسرائيل الضالة. فهو هنا ينص نصًّا على أن هذه طبيعة مهمته، وأن هذا هو نطاقها لا يمكنها أن تتعداه لأن ذلك هو ما أرسله الله من أجله. فالقرار إذن هو قرار الله، بخلاف أمره هو لتلامذته بالانطلاق إلى الأمم لتبشيرهم بالدعوة الجديدة، الذى لا يعكس إلا قراره هو، وإلا لقال إن الله سبحانه قد غير الأوضاع وأمركم بالخروج من نطاق المحلية إلى نطاق البشرية كلها. ولا أحب أن أتوقف كثيرا عند قوله إنه لم "يُرْسَل" إلا إلى خراف بنى إسرائيل، بما يعنى أن هناك من أرسله، وهو الله. أى أنه ليس أكثر من

عبد لله ورسول كريم من رسله لا أنه هو الله نفسه، تعالى الله عن ذلك، وإلا فكيف يرسل نفسه بنفسه؟ ولا أزيد عن هذا هنا لأن السياق ليس سياق المناقشة لألوهيته المدّعاة عليه الصلاة والسلام.

ويستمر الأنبا المزعوم في الكلام قائلا: "وكذلك يجب على كلّ من نادى على نفسه وقال إنه رسول من الله أن يكون معه قوّة مرسِله ودليل يشهد له أنه رسول من الله.

قال المسلم: وما القوّة والدليل؟

قال الراهب: التي كانت في رسل المسيح.

قال المسلم: وما هي؟

قال الراهب: هي ثلاثة خصال: اجتراح المعجزات، والتكلم بسائر اللغات، والمناداة في الدنيا كلها. وأنتم لكم ثلاثة خصال تضاد هذه.

قال المسلم: وما هي؟

قال الراهب: التهديد بالسيف، والترخيص، والإقناع السفسطي أو الخيالي. وهذه ثلاثة الخصال وُجِدَت في محمد.

والتفت الراهب إلى الأمير وقال له: أعزّك الله أيها الأمير. إن حضر لديك في وقتنا هذا إنسان يقول عن نفسه إنه رسول من الخليفة أرسله إليك في أمر من الأمور ولم يوجد معه كتاب من الخليفة ولا خاتمه ولا علامته ولا ما يدل عليه، فهل كنتَ تصدّقه إنه رسول من الخليفة؟

قال الأمير: لا. ويؤخذ عندي والله تحت الذنب والعقوبة.

قال المسلم: وما هو الدليل والبرهان على أن رسل المسيح كان فيهم هذه القوات والخصال من افتعال المعجزات والتكلم بسائر اللغات والمناداة

في الدنيا كلّها؟

قال الراهب: الدليل حاضر بين يديك، والبرهان واضح أمام عينيك. لأنك إن مضيت إلى الشرق، وإن ذهبت إلى أقاصي الغرب، وإلى آخر الجنوب والشمال، فإنك تجد عبادة المسيح في أقاصي الأرض، ولا يوجد إقليم من أقاليم الأرض يخلو من عباد المسيح. وهذا الدليل الواضح على أن رسل المسيح طافوا الأرض جميعها من أقصى الأقطار إلى أقصاها. والدليل على أنهم تكلّموا بسائر اللغات أنك لا تجد أمّة ولا لغة ولا لسانا إلا وقد نودي فيها باسم المسيح وعبدوا فيه المسيح. وداود النبي قد تنبأ قبل رسل المسيح بأجيال كثيرة على تكلّم الرسل بسائر اللغات وقال (مز ١٨، ٥): "في كل الأرض خرج نطقهم، وفي جميع المسكونة انبثّ كلامهم". وهذا دليل واضح على أن الحواريين تكلموا بسائر اللغات. فهل عندك يا أبا سلامة في هذا شكّ؟

قال المسلم: هذا أمر ظاهر لا شكّ فيه".

وهذا الرد المنسوب للشيخ المسلم هو كذبٌ فى كذبٍ فى كذبٍ، كذبٌ بالثلث، إذ لا يمكن أن يقول ذلك مسلم أبدا، وإلا فأين الدليل الذى يقيم عليه تصديقه وتسليمه بمثل هذه الدعوى التى لم يتحدث أحد على ظهر الأرض عنها غير أصحابها، فهم إنما يغنّون ويردون على أنفسهم: ترى كيف يمكن أن يجيب المسلم على هذه الدعوى العريضة المستحيلة بأن "هذا أمر ظاهر لا شكّ فيه"؟ كيف بالله يكون ذلك أمرا ظاهرا لا شك فيه؟ أين الدليل؟ لقد مات الرسل المذكورون وشبعوا موتا ولم يرهم الشيخ المسلم وهم يجترحون المعجزات، ويتكلمون باللغات المختلفة، فكيف يشهد لهم بذلك ويؤكده وينفى عنه الشك نفيا مطلقا كما فى الكلام المزور على لسانه؟ ثم متى كان المسلمون يستخدمون لفظ "قوات" بمعنى "معجزات"

كما ورد على لسان الشيخ هنا؟ إنه مصطلح نصرانى لا يعرفه الإسلام، وهذه شواهده من العهد الجديد: "كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يا رب يا رب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة" (متى/ ٧/ ٢٢)، "حينئذ ابتدأ يوبّخ المدن التي صنعت فيها أكثر قواته لأنها لم تتب" (متى/ ١١/ ٢٠)، "فسمع هيرودس الملك. لأن اسمه صار مشهورا. وقال إن يوحنا المعمدان قام من الأموات ولذلك تعمل به القوات" (مرقس/ ٦/ ١٤)، "ويل لك يا كورزين. ويل لك يا بيت صيدا. لانه لو صنعت في صور وصيدا القوات المصنوعة فيكما لتابتا قديما جالستين في المسوح والرماد" (لوقا/ ١٩/ ٢٧)، "أيها الرجال الاسرائيليون اسمعوا هذه الاقوال. يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم كما أنتم ايضا تعلمون" (أعمال الرسل/ ٢/ ٢٢)، "ولآخر عَمِل قوات. ولآخر نبوة. ولآخر تمييزَ الأرواح. ولآخر أنواعَ ألسنة. ولآخر ترجمة ألسنة" (كورنثوس/ ١٢/ ١٠)، "شاهدا الله معهم بآيات وعجائب وقوات متنوعة ومواهب الروح القدس حسب إرادته" (عبرانيين/ ٢/ ٤). أما بالنسبة للتراث الإسلامى فقد بحثت عن هذه الكلمة فى مئات الكتب الموجودة فى مكتبة قرص "الموسوعة الشعرية" فلم أجدها إلا مرة واحدة فى كتاب يرجع إلى القرن الخامس عشر، أو أواخر الرابع عشر على أبعد تقدير، وهو كتاب "العقود اللؤلؤية فى تاريخ الدولة الرسولية" لعلى بن الحسن الخزرجى اليمنى، وفى معنى لا علاقة بـ"المعجزات" على الإطلاق، وهو "الجنود". ومعروف أنها لم تأت فى القرآن ولا فى أحاديث الرسول عليه السلام بأى معنى من المعانى. وعلى هذا فالكلام المنسوب إلى الشيخ ليس له بكل يقين، بل هو كلام مزيف كسائر الحدوتة! أما أن النصرانية قد انتشرت فى البلاد المختلفة فهذا

يصدق على الإسلام أيضا ، وعلى كثير من الديانات الأخرى كذلك ، وإن لم يكن انتشارها بهذه السعة التى نلاحظها فى الإسلام . ولا ننس أن انتشار النصرانية فى ثلاث قارات من قارات العالم إنما تم بالمحق والمحو والاستئصال ، وبمساعدة ومباركة القساوسة والأساقفة الذين كانوا يصاحبون القادة الأوربيين فى اجتياحهم المدمر للأمريكتين وأستراليا رافعين الصليب بيد ، وممسكين الأناجيل باليد الأخرى ، وكل ذلك باسم السيد المسيح! وبالمناسبة فلدينا أكداس وأكداس من روايات المعجزات والكرامات منسوبة إلى الصحابة والتابعين والمتصوفة والزاهدين ، ونحن على استعداد أن نعطيك منها بالقُفّة إذا أرت ، لكننا نغضى عن هذا كله لأن كل ذلك قد ذهب مع التاريخ ولم يبق إلا ما يخاطب العقل المجرد والقيم التى دعا إليها كل من محمد وعيسى عليهما السلام حسبما وردتنا فى كتاب كل من الديانتين مما يمكن أن نتخذه فيصلا للمفاضلة بينهما .

بقى أمر فى هذه النقطة ، ألا وهو قول الملفق عن الحواريين إن داود قد تنبأ بأنهم سوف ينطقون بكل الألسنة . وهذا نص ما قاله الأنبا المسكين: "وداود النبي قد تنبأ قبل رسل المسيح بأجيال كثيرة على تكلّم الرسل بسائر اللغات وقال (مز ١٨ ، ٥): في كل الأرض خرج نطقهم ، وفي جميع المسكونة انبثّ كلامهم".

وتعليقى على ذلك أولا: أن الإحالة فى كلام الراهب المزيف إلى كتابه المقدس خاطئة ، فالنص ليس موجودا فى المزمور الثامن عشر بل فى التاسع عشر ، كما أن الفقرة المعنيّة ليست هى الخامسة بل الرابعة . وهذه نقطة نظام أحببت أن أشير إليها فى بداية التعليق كى يفهم القاصى والدانى أن ما قاله مؤلف الحدوتة الساذجة عن عِلْم الأنبا جرجى بالقرآن والإسلام هو "أى كلام ، يا عبد السلام" ، إذ ها هما ذات الاثنان لا يعرفان حتى

مواضع النصوص التى يستشهدان بها من كتابهما المقدس، فكيف بحال الراهب مع كتابنا نحن، وهو غير مقدس عنده بحال؟ ثانيا: هذا الكلام (إن صدّقنا بما يقوله المؤلف الأبله عن النبوءة) لا يعنى أبدا أن الرسل المذكورين كانوا يتكلمون باللغات المختلفة، بل كل ما هنالك أن كلامهم قد انتشر فى كل الأرض، أما بـ "كَمْ لغة" فلا ذكر لشىء من هذا على الإطلاق. والذى يتبادر إلى الذهن هنا وفى كل النصوص المشابهة هو أن كلامهم قد تُرْجِم لمن لا يعرفه. ثالثا، وهى القاصمة: أن كلام داود لا صلة له بتاتا برسل المسيح ولا بأى رسل من أية ملة أو دين، بل هو كلام عن السماوات والأفلاك التى تتحدث دون كلام عن صانعها سبحانه وتعالى وعظمته، فهى تتكلم ولا تتكلم، تتكلم بلسان الحال، وإن لم تتكلم بلسان المقال، وهو ما يشبه قوله تعالى فى الآية الرابعة والأربعين من سورة "الإسراء": "وإنْ مِنْ شىءٍ إلا يسبّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم". وهذا هو النص فى سياقه كيلا يفتح فمه أحد بعد ذلك: "١اَلسَّمَاوَاتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللهِ، وَالْفَلَكُ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ. ٢يَوْمٌ إِلَى يَوْمٍ يُذِيعُ كَلاَمًا، وَلَيْلٌ إِلَى لَيْلٍ يُبْدِي عِلْمًا. ٣لاَ قَوْلَ وَلاَ كَلاَمَ. لاَ يُسْمَعُ صَوْتُهُمْ. ٤فِي كُلِّ الأَرْضِ خَرَجَ مَنْطِقُهُمْ، وَإِلَى أَقْصَى الْمَسْكُونَةِ كَلِمَاتُهُمْ. جَعَلَ لِلشَّمْسِ مَسْكَنًا فِيهَا، ٥وَهِيَ مِثْلُ الْعَرُوسِ الْخَارِجِ مِنْ حَجَلَتِهِ. يَبْتَهِجُ مِثْلَ الْجَبَّارِ لِلسِّبَاقِ فِي الطَّرِيقِ. ٦مِنْ أَقْصَى السَّمَاوَاتِ خُرُوجُهَا، وَمَدَارُهَا إِلَى أَقَاصِيهَا، وَلاَ شَيْءَ يَخْتَفِي مِنْ حَرِّهَا". وهذه هى طريقة القوم فى المجادلة عن دينهم: سذاجة ما بعدها سذاجة، ثم يريدون من الآخرين أن يخرّوا على ما يقولونه لهم عُمْيًا وبُكْمًا وصُمًّا، فلا تفكير ولا استعمال للعقل، بل إيمان أعمى متعصب يقوم على ترديد المحفوظات والعبارات الإنشائية التى لا معنى لها. وقد كتبتُ ما كتبتُ بناء على قراءتى الهادئة الواعية

للنص الكتابى ، ثم لم أكتف بهذا بل رجعت إلى بعض التفاسير المشهورة للكتاب المقدس ، فكانت هذه النقول التالية التى تبين بأجلى بيان أن ذلك هو المعنى المنطقى للكلام المنسوب لداود عليه السلام:

1- Commentary Critical and Explanatory on the Whole Bible:

Psalms 19: 1-14. After exhibiting the harmonious revelation of God's perfections made by His works and His word, the Psalmist prays for conformity to "the glory of God. "

1. the glory of God--is the sum of His perfections (Psalms 24: 7-10, Romans 1: 20).

firmament--another word for "heavens" (Genesis 1: 8).

handywork--old English for " work of His hands. "

2. uttereth--pours forth as a stream; a perpetual testimony.

3. Though there is no articulate speech or words, yet without these their voice is heard.

4. Their line--or, " instruction " --the influence exerted by their tacit display of God's perfections.

2- The 1599 Geneva Study Bible:

19:4 Their d line is gone out through all the earth,

and their words to the end of the world. In them hath he set a tabernacle for the sun,

(d) The heavens are as a line of great capital letters to show God's glory to us.

3- Matthew Henry Concise Commentary on the Whole Bible:

Verses 1-6 The heavens so declare the glory of God, and proclaim his wisdom, power, and goodness, that all ungodly men are left without excuse. They speak themselves to be works of God's hands; for they must have a Creator who is eternal, infinitely wise, powerful, and good. The counter-changing of day and night is a great proof of the power of God, and calls us to observe, that, as in the kingdom of nature, so in that of providence, he forms the light, and creates the darkness, (Isaiah 45: 7) , and sets the one against the other. The sun in the firmament is an emblem of the Sun of righteousness, the Bridegroom of the church, and the Light of the world, diffusing Divine light and salvation by his gospel to the nations of the earth. He delights to bless his church, which he has espoused to himself; and his course will be unwearied as that of the sun, till the whole earth is filled with his light and salvation. Let us

pray for the time when he shall enlighten, cheer, and make fruitful every nation on earth, with the blessed salvation. They have no speech or language, so some read it, and yet their voice is heard. All people may hear these preachers speak in their own tongue the wonderful works of God. Let us give God the glory of all the comfort and benefit we have by the lights of heaven, still looking above and beyond them to the Sun of righteousness.

وعجيب ، بعد ذلك كله ، أن يستشهد الأنبا المزعوم هنا بداود ، داود الذى يصوّره العهد القديم (أستغفر الله) بصورة المجرم القراري الزاني الفاجر قتّال القَتَلة . أفلم يجد إلا هذا كى يستعين به فى التدليل على أن ما يقوله هو عن رسلهم صحيح؟ المتعارف عليه أن الإنسان ، إذا ما كان عليه أن يحضر شهودا لنصرة قضية له ، فلا بد أن يختارهم ممن يوثق بكلامهم لما اشتهروا به من صدق واستقامة وعفة ونزاهة وخلق طيب كريم لا ترتقى إليه الشبهات . وأين داود من هذا؟ داود الذى ورد ذكره فى العهد القديم لا داود الذى يثنى عليه القرآن المجيد ويبرئه من أى دنس أو إجرام! وعجيب أيضا أن يرسم ملفق الحدوتة للمشايخ الثلاثة صورة مضحكة تدل على جهلهم وسذاجتهم ، منتهزا فرصة أنهم نكرات لم يسمع بهم أحد ، إذ لا وجود لهم فى كتب التاريخ والتراجم . بيد أن هذه الصورة التى رسمها لهم تتناقض ، رغم ذلك ، مع ما تركه المفكرون المسلمون السابقون على العصر الأيوبى من مؤلفات غزيرة وعظيمة فى مقارنة الأديان والرد على النصارى لم تغادر شاردةً ولا واردةً مما عند القوم إلا وبينت عُوَارها

وتهافتها وساقت الحجج المفحمة التى تكسحها كسحا . إن لدينا ، والحمد لله ، قائمة طويلة من المؤلفات فى هذا الميدان ثرية غاية الثراء تركها علماؤنا العباقرة الأفاضل ، فكيف يتصور مؤلفُ تلك الحكايةِ الساذجةِ أن بمستطاعه إيهامنا بجهل أولئك المشايخ (الذين يسميهم: "أئمة المسلمين") بذلك التراث الجدالى العظيم ، وسطحية تفكيرهم إلى هذا الحد الهزلى؟ وهذه قائمة بأهم الكتب السابقة على تاريخ المجادلة المزعومة ، ولا أقول شيئا عما أُلِّف بعدها من كتب فى ذات الموضوع ، وهى منقولة عن موقع "ملتقى أهل التفسير":

* كتاب على عمار البصري النصراني لأبي الهذيل العلاف المعتزلي . مفقود .

* كتاب جواب قسطنطين عن الرشيد ، لمحمد بن الليث الخطيب . منشور .

* رد على النصارى لضرار بن عمرو المعتزلي . مفقود .

* رد على النصارى لعيسى بن صبيح المردار . مفقود .

* كتاب على أبي قرة النصراني لعيسى بن صبيح المردار .

* رد على النصارى لحفص الفرد . مفقود .

* رد على النصارى لأبي عيسى محمد بن هارون بن محمد الوراق: أكبر وأوسط وأصغر . نشر منه جزآن في بريطانيا بجامعة برمينجهام على يد دافيد توماس .

* كتاب على النصارى لأبي جعفر الإسكافي . مفقود .

* كلام على النصارى للنظّام المعتزلي . مفقود .

* كلام على في كتاب المعونة لأبي بكر احمد بن علي بن الأخشاد المعتزلي . مفقود

* الرد على النصارى ليعقوب بن إسحاق الكندى . محفوظ في رد يحي بن عدي النصراني عليه .

* رد على النصارى لعمرو بن بحر الجاحظ . حُفِظ مختار منه وطُبع ثلاث مرات .

* الرسالة العسلية في الرد على النصارى للجاحظ . مفقودة .

* رد على النصارى لأبي القاسم ترجمان الدين الحسني الشيعي (ت ٢٤٦هـ) . منشور مرتين .

* الحجة على النصارى لمحمد بن سحنون المالكي (ت ٢٥٦هـ) . مفقود .

* رد على أصناف النصارى لعلي بن ربّن الطبري . قطعة وحيدة منه منشورة في بيروت سنة ١٩٥٩م بجامعة القديس يوسف ، وحفظت نصوص منه في رد ابن العسال النصراني ، وترجه كوديل إلى الفرنسية عام ١٩٩٦م .

* الدين والدولة لعلى بن ربّن الطبري . مطبوع بتحقيق منيانا ، وأعاد نشره عادل نويهض .

* رد حميد بن سعيد بن بختيار المتكلم على مَطران فارس المسمى يوشع بخت . مفقود .

* كتاب لحميد بن سعيد بن بختيار المتكلم رد فيه على النصارى في مسألة النعيم والأكل والشرب في الآخرة وعلى جميع من قال بضد ذلك . مفقود .

* رد على النصارى للقحطبي . مفقود .

* رد على النصارى للحسن بن أيوب ، وهو كتاب إلى أخيه علي بن أيوب يبين فيه فساد مقالات النصارى وتثبيت النبوة . محفوظ جله في الجواب الصحيح لابن تيمية، وقد حقق مستقلا في هولندة كرسالة دكتوراه .

* الكلام على النصارى مما يحتج به عليهم من سائر الكتب التي يعترفون بها لأبي الحسن الأشعري .

* رد على النصارى (ناقص) لمؤلف مشرقي من القرن الرابع . نشر مع دراسة عنه بالفرنسية بمجلة دراسات إسلامية .

* الإعلام بمناقب الإسلام لأبي الحسن العامري (ت٣٨١هـ) - مطبوع .

* كلام على النصارى للقاضي أبي بكر الباقلاني (ت ٤٠٣هـ) في كتاب التمهيد، له . مطبوع .

* رد على النصارى للقاضي عبد الجبار المعتزلي ضمن كتابه تثبيت دلائل النبوة . مطبوع .

* كلام على النصارى في كتاب المغني ج ٥ للقاضي عبد الجبار المعتزلي .

* الرد على أناجيل النصارى لابن حزم . مذكور في سير أعلام النبلاء للذهبي .

* إظهار تبديل اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل وبيان تناقض ما بين أيديهم من ذلك مما لا يحتمل التأويل ، لابن حزم . (جذوة المقتبس

للحميدي) .

* مناظرة الحسن ابن بقي المالقي صديق ابن حزم لنصراني . موجودة .

* مناظرة لابن حزم مع قاضي نصارى قرطبة حول الأكل والشرب في الجنة . نشرتها على الملتقى المفتوح .

* مناظرة ابن الطلاع القرطبي لنصراني من طليطلة . مفقودة .

* قصيدة في الرد على نقفور فوقاس لابن حزم . ورد نصها في فهرسة ابن خير ، والبداية والنهاية لابن كثير ، وطبقات الشافعية الكبرى .

* جواب أبي الوليد الباجي (ت ٤٧٤هـ) على رسالة راهب إفرنسة . نشرت أربع مرات اعتمادا على مخطوطة وحيدة في الأسكوريال رقم ٥٣٨ .

* شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل لأبي المعالي الجويني (ت ٤٧٨هـ) . منشور مرتين .

* إفحام النصارى لابن جزلة المتطبب (ت ٤٩٣هـ) . مفقود .

* رسالة ابن جزلة (أبو علي يحيى بن عيسى) كتبها إلى إليا القس . مفقودة .

* الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل لأبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) . نشر ثلاث نشرات مختلفة .

* رسالة ميزان الصدق المفرق بين أهل الباطل وأهل الحق ، إملاء أبي مروان عبد الملك بن مسرة بن عزيز اليحصبي قاضي الجماعة بقرطبة (ت ٥٥٢هـ) في مجاوبته عن كتاب أساقفة النصارى إليه مع قصيدة له نظمها في معنى هذه الرسالة (فهرسة بن خير ص ٣٧٣) . مفقود .

* مقامع الصلبان لأبي جعفر أحمد بن عبد الصمد الخزرجي القرطبي (ت٥٨٢هـ) . طبع مرتين .

* قصيدة في الرد على نقفور فوقاس عظيم الروم ، للفقيه أبي الأصبغ عيسى بن موسى ابن عمر بن زروال الشعباني ثم الغرناطي . توفي قبل سنة ٥٧٥هـ (فهرسة ابن خير ص ٣٦٨ رقم ١١٤٥) . مفقودة .

* كتاب في الرد على النصارى للرهاوي (ذكره صالح بن الحسين الجعفري صاحب التخجيل لمن حرف الإنجيل) .

* كتاب في الرد على النصارى لخلف الدمياطي (ذكره الجعفري صاحب التخجيل) .

* الرد على المتنصر لأبي الطاهر ابن عوف المالكي (ت ٥٨١هـ) .

* الداعي إلى الإسلام للأنباري (ت ٥٧٧هـ) (فيه فصل في الكلام على النصارى) . مطبوع .

* النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية لنصر بن يحيى بن سعيد المتطبب . مطبوع .

* مناظرة في الرد على النصارى لفخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٦هـ) . مطبوعة .

ومما جاء على لسان الأنبا جرجى أيضا فى المجادلة المزيفة المصنوعة قوله: " فقد شهدت السماء والأرض والملائكة والناس والملوك والعوام والجاهل والعاقل أن الحواريين رسل الله تعالى وأنصار دينه الحق الصادق . ونبيك محمّد يشهد لهم ويحقّق قولهم وإنجيلهم بقوله في القرآن: "إننا أنزلنا القرآن مصدّقا لما بين يديه من التوراة والإنجيل" . فإذا كان نبيّك وكتابك قد صدّق

الإنجيل فقد لزمك أنت أيضا أن تصدّقه، وإن كذبته فقد كذّبت نبيك وكتابك". وجوابنا أن هذا كله كلام خطابى لا برهان عليه، إذ ليس كل الناس (وخَلِّ الملائكة الآن على جنب!) يؤمنون برسل المسيح، وهذا لو كان الذى يُنْسَب لهم من الكتب هو مما كتبه فعلا حواريوه الحقيقيون رضى الله عنهم، وهو ما نشك فيه شكا مطلقا لأن الحواريين لا يمكن أن يشركوا بالله عبده عيسى بعد أن صح إيمانهم به على عهده صلى الله عليه وسلم، بل الذين يؤمنون به على النحو الذى تشرحه كتبهم هم النصارى المثلثون فقط. أما قول الأنبا إن فى القرآن نصا يقول: "إننا أنزلنا القرآن مصدّقا لما بين يديه من التوراة والإنجيل" فهو كذب مبين لأن مثل هذا النص لا وجود له فى القرآن، بل الموجود فيه هو قوله تعالى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (٣) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ٣ - ٤]، ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨]. والمهم أن القرآن (كما ترى) يعلن نفسه مهيمنا على الكتب السابقة، أى أن ما يقوله عنها هو الصواب الذى ينبغى اعتماده. ومعنى هذا أن الأنبا إذا أراد أن يحاجّ المسلمين بكتابهم، فعليه أن ينقل كلام كتابهم كما هو، مثلما أفعل أنا مثلا حين أجادل القوم فأنقل كلامهم بنصه، لا أن يؤلف كلاما من عندياته ثم يزعم أن هذا هو كلام القرآن.

وعلى هذا فلا معنى لقوله إن القرآن قد شهد للتوراة والإنجيل، ومن ثم فعليكم أيها المسلمون أن تصدقوا بما فى أيدينا. ذلك أن التوراة والإنجيل لدينا غير التوراة والإنجيل لديهم، فالتوراة والإنجيل لدينا وَحْيان نزلا على موسى وعيسى، أما الذى عندهم فهو العهد القديم والعهد الجديد، وهما مجموعة من الكتب ألفها أشخاص متعددون بعد موت موسى وانتهاء حياة عيسى على الأرض، وليسا وحيين سماويين، وإن لم

يعنى هذا بالضرورة أن كل ما فيهما لا يمت إلى الوحى بصلة ، إذ قد بقيت فيهما أشياءُ وأصداءٌ من وحى السماء مختلطة بما سطرته أيدى البشر . ومن هنا فلا بد أن ينزل الأنبا على حكم القرآن إن كان يريد أن يقنع المسلمين من خلال آيات ذلك القرآن ، أما أن يلوى النصوص القرآنية ويحرفها جريا على ما تعوده قومه مع التوراة والإنجيل فليس من العدل ولا من الأمانة ولا من المنهجية فى شىء .

ومن ثم فقول المسلم للأنبا المزعوم: "أنا مصدّق الإنجيل ، ولكنكم حرفتموه بعد نبيّنا (أحسب أن المقصود: "بعد نبيكم") وجعلتموه على غرضكم وهواكم" هو كلام صحيح تمام الصحة . لكن ماذا قال الراهب؟ وماذا كان رد المسلم عليه؟ وكيف مضت المحاورة؟ هذا ما سنقرؤه الآن .
"قال الراهب: لا تتحدّث بهذا ولا تورد قضية لا يمكنك القيام بتحقيقها ، وأخيرا تخجل بباطلك كمن يروم ستر الشمس عن الناس بكفّه . قل لي يا أبا سلامة: كم من السنين مضت من المسيح إلى محمد؟

قال المسلم: ما أدري .

قال الراهب: أنا أقيم لك البيّنة . إن من المسيح إلى محمد ستمائة سنة ونيّف .

قال المسلم: صدقت يا راهب . كذلك هو ، وكذلك وجدنا في التواريخ .

قال الراهب: أفما كان النصارى قد وُجِدوا في الدنيا كلها؟

قال المسلم: نعم .

قال الراهب: مثلما في وقتنا هذا؟

قال المسلم: نعم. (وما زاد).

قال الراهب: فهل يمكنك أن تعدّ الأناجيل التي كُتِبت في أقطار الأرض وفي سائر اللغات والألسن؟

قال المسلم: لا أقدر على ذلك.

قال الراهب: فاجعل أن طائفة من أهل الغرب حرّفت أناجيلها، فكيف وصلت هذه الأناجيل إلى الذين هم في أواخر الشرق، ولهم لغة أخرى ولسان آخر؟ وكذلك الذين هم في الجنوب والشمال مع تخالف لغاتهم وسجاياهم. فكيف يمكن أنْ كان إنجيل واحد قد تحرّف كما تقول أمكن أن تحرّف به أناجيل لا تعدّ ولا تحصى في أقطار الأرض كلّها عند شعوب مختلفة لغاتها؟ فهذا من الممتنع أن يكون الاتفاق عليه. ولو كان ذلك لوجدت بعضها محرّفة عند جماعة من النصارى، وبقيت عند غيرهم أناجيل غير محرّفة. ولكنّك إن طفتَ الدنيا كلها: الجنوب والشمال والشرق والغرب تجد الأناجيل في سائر اللغات على المثال الذي سلّمه إلينا الحواريين رسل المسيح لا يخالف الواحد للآخر. وأنا أحضر لك مثال يصدّق ويحقّق قولي: إن قَدِم أحد الناس وأظهر قرآنا يخالف القرآن المعروف الآن عندكم وقال لكم: هذا القرآن المنزل على النبي، وليس هو ذاك، فهل كنتم تقبلونه؟

فقال الأمير: لا. وعليّ ما كنّا نقبله بل نحرقه ومن أتى به.

قال الراهب: فإذا كان كتابكم قد كُتِب في لغةٍ واحدة وبشفةٍ واحدة لا يمكن ولا يجوز أن يحرّف، فكيف يمكن لمن يروم تحريف الأناجيل، وقد وُزّعت في المسكونة كلها عند شعوب مختلفة لغاتها؟ وقد يوجد عندنا حجج واضحة وبراهين بيّنة غير هذه توضّح صدق ما أوردنا الآن لكم من

الكتب العتيقة مما قَدِمَتْ به الأنبيا من قديم الزمان عن المسيح ورسله، لكنْ أَوْجَزْنا الكلام خيفة أن يكون عندكم ثقل من إطالة الشرح".

وواضح أولا أن كاتب الحدوتة لا يحسن التلفيق، فالشيخ المسلم يعلن جهله بالمسافة الزمنية التى تفصل بين النبيين العظيمين، وهو أمر لا يجهله أصغر تلميذ مسلم. لكن الله سبحانه يأبى إلا أن يفضح الأنبا، وبلسانه هو نفسه، إذ يقول على لسان الشيخ تعليقا على الموضوع ذاته: "صدقت يا راهب. كذلك هو، وكذلك وجدنا في التواريخ"، بما يعنى أنه يعرف الفارق الزمنى بين محمد والمسيح ولا يجهله كما ادعى عليه الكاتب الكذاب. وواضح كذلك ما فى ردود الأنبا وتعليقاته من سفسطة مضحكة، فهو يتحدث كما لو لم يكن هناك إلا الأناجيل التى بأيدى النصارى المثلثين، متجاهلا ما يعرفه كل من له أدنى إلمام بتاريخ النصرانية من أن ثمة أناجيل كثيرة جدا سوى التى تعترف بها الكنيسة، وهى تختلف عن هذه اختلافات عنيفة، مثلما أن هذه تختلف فيما بينها اختلافات عنيفة أيضا حسبما وضحتُ أنا مثلا فى دراسة سابقة لى على المشباك نشرتْها عدة مواقع منذ شهور بعنوان "الأناجيل- نظرة طائر"، كما أن هناك فِرَقًا أخرى من النصارى لا تؤمن بألوهية المسيح على أى وضع: لا ربًا ولا ابنا للرب، بل عبدا ورسولا لا أكثر ولا أقل، وهو ما يقول به القرآن، علاوة على أن ثمة إنجيلا يحمل اسم برنابا ليس فيه عن المسيح إلا أنه عبد ورسول، مَثَلُه مَثَلُ أى نبى آخر من أنبياء الله. ليس ذلك فقط، بل هناك فى العهد الجديد أسفار لم تكن الكنيسة تعترف بها فى البداية، ثم عادت فأدخلتها فى كتبه، وهى رسالة يعقوب، والرسالة الثانية لبطرس، ورسالة بولس إلى العبرانيين، والرسالتان الثانية والثالثة ليوحنا، ورؤيا يوحنا اللاهوتى. بيد أن الأنبا المدلس يقفز فوق هذا كله محاولا إيهام القارئ الذى ليس لديه

اطلاع على تاريخ الأناجيل أن الأشيا معدن، وكله تمام التمام. إذن فليس هناك إنجيل واحد، بل أناجيل كانت بالعشرات اختفى جزء منها وبقى جزء آخر عندى منه أكثر من عشرة أناجيل مترجمة إلى الإنجليزية، ولا تعترف الكنيسة إلا بأربعة من هذا الجزء الباقى فقط. وقد اتخذت الكنيسة إجراءات صارمة للقضاء على هذه الأناجيل وأصدرت أمرا بإعدامها، إلا أن الحق غالبٌ مهما كانت قوة أعدائه. ولسوف يأتى يوم ينكشف فيه ما تخبئه الكنائس فى سراديبها البعيدة عن العيون من مخطوطات لا تريد أن يلقى عليها أحدٌ نظرةً مخافة الافتضاح وانهيار البناء المؤسس على الباطل!

ومرة أخرى نقول: إن الإنجيل الذى يتحدث عنه الإسلام هو الإنجيل الذى نزل على عيسى لا الأناجيل التى كُتِبَتْ بعد رفع الله له، فهذه مجرد تراجم للسيد المسيح تشبه فى إطارها العام سيرة نبينا عليه السلام، مع الفارق الكبير المتمثل فى أن السيرة المحمدية قائمة على الإسناد بحيث يعرف القارئ من أين بدأ الخبر، ومَنْ نقله لنا، وعَمَّنْ نقله، أما الأناجيل فهى كتابات كتبها أصحابها دون أن يعنُوا أنفسهم بإسناد ما يكتبونه، بل يعتمدون على الشائعات والروايات المختلفة بلا أية محاولة للتثبت والتمحيص. لكن أين الإنجيل الذى كان يبشر به المسيح عليه السلام؟ ذلك هو مربط الفرس! إن فى الأناجيل الحالية كلاما للسيد المسيح صلى الله عليه وسلم يذكر فيه الإنجيل، وهو ما يعنى أنه كان هناك إنجيل يبشر به عليه السلام قبل تلك الأناجيل التى بأيدى النصارى حاليا. إلا أن الأناجيل الحالية لا تذكر فى أى موضع منها على الإطلاق أن تلاميذ عيسى بن مريم كانوا يكتبونه. وأعتقد أن هذا هو السبب فى أنه قد ضاع. لقد بقيت منه، فيما نتصور، عبارات وشذرات نقلها لنا كتاب الأناجيل الموجودة بين أيدينا الآن، أما باقى ذلك الإنجيل فلم تحتفظ به ذاكرة

النصارى آنذاك، وبخاصة أن أتباع عيسى عليه السلام كانوا، كما هو واضح من القراءة اليقظة للأناجيل، قلة قليلة جدا حتى إنهم، عند القبض عليه (حسب رواية تلك الأناجيل)، قد تركوه يقاسي وحده مصيره الرهيب دون أدنى محاولة من جانبهم للدفاع عنه أو تخليصه من أيدى أعدائه، لا يُستثنَى من ذلك أقرب المقربين من حوارييه إليه، إذ وجدنا بطرس ينكره ويقسم بالله كذبا إنه لا يعرف عن هذا الرجل شيئا، كما أن واحدا آخر من المؤمنين به خلع عن نفسه ملابسه التى أمسكه الجند منها ومضى يجرى لا يلوى على شىء وهو بلبوص لا يغطى عورته غطاء، فضلا عن أن الاضطهادات كانت تتناش هذا العدد القليل جدا من كل جانب فلم تدع لهم عقلا، فيما يبدو، يذكرون به كل ما قاله السيد المسيح، وبخاصة فى ظل الظروف الغريبة التى انتهت بها حياة المسيح على الأرض! ومن هنا كانت الاختلافات الرهيبة بين الأناجيل المختلفة، إذ كان كل مؤلف يكتب ما يعنّ له أو ما يؤمن به أو ما وصله وكان على هواه!

وهذا ما يقوله لوقا مثلا فى أول الترجمة التى كتبها عن السيد المسيح والمسماة: "إنجيل لوقا"، وهى فى الحقيقة ليست من الإنجيل فى شىء، اللهم إلا بعض بقايا من بقاياه مما استطاعت الذاكرة النصرانية آنذاك الاحتفاظ به بعُجَره وبُجَره: "¹إِذْ كَانَ كَثِيرُونَ قَدْ أَخَذُوا بِتَأْلِيفِ قِصَّةٍ فِي الأُمُورِ الْمُتَيَقَّنَةِ عِنْدَنَا، ²كَمَا سَلَّمَهَا إِلَيْنَا الَّذِينَ كَانُوا مُنْذُ الْبَدْءِ مُعَايِنِينَ وَخُدَّامًا لِلْكَلِمَةِ، ³رَأَيْتُ أَنَا أَيْضًا إِذْ قَدْ تَتَبَّعْتُ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الأَوَّلِ بِتَدْقِيقٍ، أَنْ أَكْتُبَ عَلَى التَّوَالِي إِلَيْكَ أَيُّهَا الْعَزِيزُ ثَاوُفِيلُسُ، ⁴لِتَعْرِفَ صِحَّةَ الْكَلاَمِ الَّذِي عُلِّمْتَ بِهِ". فالأمر إذن، كما يرى القارئ، لا يعدو أن يكون تأليفا منقولا مما سمعه لوقا وغيره، لا وحيا من السماء نزل على عيسى وحفظه التلاميذ من بعده كتابة واستذكارا كما هو الحال فى القرآن

الكريم ، أو حتى فى الحديث النبوى الشريف رغم نزوله فى درجة اليقين عن كتاب الله . لقد كان القرآن المجيد يُكتَب أولا بأول غِبَّ نزوله من عند الله ، كما كانت الذاكرة البشرية تظاهر القلم فى ذلك . وفى كل جيل كان ولا يزال هناك ملايين من المسلمين كبارا وصغارا يحفظون القرآن عن ظهر قلب . وفى الأحاديث كان هناك منهج لكل محدِّث يعتمده فى قبول أو رفض ما يجمعه من الروايات المنسوبة إلى رسول الله ، علاوة على أن المسلمين يحفظون كثيرا من كلامه صلى الله عليه وسلم . أما الإنجيل فلم يعرف هذا ولا ذاك ، إذ لم يحدث أن كُتِب منذ البداية أو فكر أحد فى حفظه فى صدره ، كما أن مؤلفيه لم يستندوا إلى أى منهج فى قبول ما وقع لهم من الروايات المتعلقة بحياة السيد المسيح أو رفضها ، وهذا جَلِىٌّ من كلام لوقا فى مفتتح السيرة التى ألفها عن حياة عيسى عليه السلام كما مرّ آنفا .

وإلى القارئ المثالين التاليين كيلا يكون كلامنا بلا دليل: وأحدهما خاص بنسب السيد المسيح ، والآخر يتعلق بالحَجَر الذى قيل إنه كان يسد القبر الذى دُفِن فيه ثم زُحزِح من موضعه . فأما بالنسبة لنسب المسيح فمتى فى بداية الإصحاح الأول يقول إن عيسى عليه السلام هو ابن داود
بن إبراهيم ، أى أنه من سلالة بشرية: "١ كِتَابُ مِيلاَدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ
دَاوُدَ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ: ٢ إِبْرَاهِيمُ وَلَدَ إِسْحَاقَ . وَإِسْحَاقُ وَلَدَ يَعْقُوبَ . وَيَعْقُوبُ
وَلَدَ يَهُوذَا وَإِخْوَتَهُ . ٣ وَيَهُوذَا وَلَدَ فَارِصَ وَزَارَحَ مِنْ ثَامَارَ . وَفَارِصُ وَلَدَ
حَصْرُونَ . وَحَصْرُونُ وَلَدَ أَرَامَ . ٤ وَأَرَامُ وَلَدَ عَمِّينَادَابَ . وَعَمِّينَادَابُ وَلَدَ
نَحْشُونَ . وَنَحْشُونُ وَلَدَ سَلْمُونَ . ٥ وَسَلْمُونُ وَلَدَ بُوعَزَ مِنْ رَاحَابَ .
وَبُوعَزُ وَلَدَ عُوبِيدَ مِنْ رَاعُوثَ . وَعُوبِيدُ وَلَدَ يَسَّى . ٦ وَيَسَّى وَلَدَ دَاوُدَ
الْمَلِكَ . وَدَاوُدُ الْمَلِكُ وَلَدَ سُلَيْمَانَ مِنَ الَّتِي لأُورِيَّا . ٧ وَسُلَيْمَانُ وَلَدَ

رَحَبْعَامَ. وَرَحَبْعَامُ وَلَدَ أَبِيَّا. وَأَبِيَّا وَلَدَ آسَا. [8] وَآسَا وَلَدَ يَهُوشَافَاطَ. وَيَهُوشَافَاطُ وَلَدَ يُورَامَ. وَيُورَامُ وَلَدَ عُزِّيَّا. [9] وَعُزِّيَّا وَلَدَ يُوثَامَ. وَيُوثَامُ وَلَدَ أَحَازَ. وَأَحَازُ وَلَدَ حَزَقِيَّا. [10] وَحَزَقِيَّا وَلَدَ مَنَسَّى. وَمَنَسَّى وَلَدَ آمُونَ. وَآمُونُ وَلَدَ يُوشِيَّا. [11] وَيُوشِيَّا وَلَدَ يَكُنْيَا وَإِخْوَتَهُ عِنْدَ سَبْيِ بَابِلَ. [12] وَبَعْدَ سَبْيِ بَابِلَ يَكُنْيَا وَلَدَ شَأَلْتِيئِيلَ. وَشَأَلْتِيئِيلُ وَلَدَ زَرُبَّابِلَ. [13] وَزَرُبَّابِلُ وَلَدَ أَبِيهُودَ. وَأَبِيهُودُ وَلَدَ أَلِيَاقِيمَ. وَأَلِيَاقِيمُ وَلَدَ عَازُورَ. [14] وَعَازُورُ وَلَدَ صَادُوقَ. وَصَادُوقُ وَلَدَ أَخِيمَ. وَأَخِيمُ وَلَدَ أَلِيُودَ. [15] وَأَلِيُودُ وَلَدَ أَلِيعَازَرَ. وَأَلِيعَازَرُ وَلَدَ مَتَّانَ. وَمَتَّانُ وَلَدَ يَعْقُوبَ. [16] وَيَعْقُوبُ وَلَدَ يُوسُفَ رَجُلَ مَرْيَمَ الَّتِي وُلِدَ مِنْهَا يَسُوعُ الَّذِي يُدْعَى الْمَسِيحَ". هذا ما قاله متى، على حين يقول لوقا في أول فقرة من أول إصحاح فيه: "بَدْءُ إِنْجِيلِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ اللهِ"، أي انه من سلالة إلهية، لكنه في موضع آخر يورد نسبه على النحو التالي: "[23] وَلَمَّا ابْتَدَأَ يَسُوعُ كَانَ لَهُ نَحْوُ ثَلاَثِينَ سَنَةً، وَهُوَ عَلَى مَا كَانَ يُظَنُّ ابْنَ يُوسُفَ، بْنِ هَالِي، [24] بْنِ مَتْثَاتَ، بْنِ لاَوِي، بْنِ مَلْكِي، بْنِ يَنَّا، بْنِ يُوسُفَ، [25] بْنِ مَتَّاثِيَا، بْنِ عَامُوصَ، بْنِ نَاحُومَ، بْنِ حَسْلِي، بْنِ نَجَّايِ، [26] بْنِ مَآثَ، بْنِ مَتَّاثِيَا، بْنِ شِمْعِي، بْنِ يُوسُفَ، بْنِ يَهُوذَا، [27] بْنِ يُوحَنَّا، بْنِ رِيسَا، بْنِ زَرُبَّابِلَ، بْنِ شَأَلْتِيئِيلَ، بْنِ نِيرِي، [28] بْنِ مَلْكِي، بْنِ أَدِّي، بْنِ قُصَمَ، بْنِ أَلْمُودَامَ، بْنِ عِيرِ، [29] بْنِ يُوسِي، بْنِ أَلِيعَازَرَ، بْنِ يُورِيمَ، بْنِ مَتْثَاتَ، بْنِ لاَوِي، [30] بْنِ شِمْعُونَ، بْنِ يَهُوذَا، بْنِ يُوسُفَ، بْنِ يُونَانَ، بْنِ أَلِيَاقِيمَ، [31] بْنِ مَلَيَا، بْنِ مَيْنَانَ، بْنِ مَتَّاثَا، بْنِ نَاثَانَ، بْنِ دَاوُدَ، [32] بْنِ يَسَّى، بْنِ عُوبِيدَ، بْنِ بُوعَزَ، بْنِ سَلْمُونَ، بْنِ نَحْشُونَ، [33] بْنِ عَمِّينَادَابَ، بْنِ آرَامَ، بْنِ حَصْرُونَ، بْنِ فَارِصَ، بْنِ يَهُوذَا، [34] بْنِ يَعْقُوبَ، بْنِ إِسْحَاقَ، بْنِ إِبْرَاهِيمَ، بْنِ تَارَحَ، بْنِ نَاحُورَ، [35] بْنِ سَرُوجَ، بْنِ رَعُو، بْنِ فَالَجَ، بْنِ عَابِرَ، بْنِ شَالَحَ، [36] بْنِ قِينَانَ، بْنِ أَرْفَكْشَادَ، بْنِ سَامِ، بْنِ

نُوحِ ، بْنِ لاَمَكَ ، [٣٧] بْنِ مَتُوشَالَحَ ، بْنِ أَخْنُوخَ ، بْنِ يَارِدَ ، بْنِ مَهْلَلْئِيلَ ، بْنِ قِينَانَ ، [٣٨] بْنِ أَنُوشَ ، بْنِ شِيتِ ، بْنِ آدَمَ ، ابْنِ اللهِ".

وكما ترى فهذه السلسلة تختلف إلى حد بعيد عن سلسلة متى ، سواء فى عدد حلقاتها أو فى ترتيبها ، وهو أمر مضحك ، إذ ليس من المعقول أن يجهل القوم سلسلة نسب ربهم . فيا له من رب! وياله من نسب! ولا تظن أيها القارئ أنى أتهكم حين أقول: "سلسلة نسب ربهم"، فقد قالوها هم بأنفسهم رغم أنى كتبت ما كتبت قبل أن أرى ما كتبوا ، بل رجعت إليه فيما بعد . وهذا مثلا ما كتبه محررو "تفسير الكتاب المقدس": "إن غرض تتبع سلسلة نسب ربنا والرجوع به إلى داود هو أن يظهر أن المواعيد التى أعطيت لداود إنه سيصير سلفا للمَسِيًا قد تحققت فى يسوع المسيح" (تأليف مجموعة من اللاهوتيين برئاسة الدكتور فرنسيس دافدسون/ ط٢/ دار منشورات التفسير/ بيروت/ ٥/ ١٩٩٠م/ ١٤) . بل إن الشخص المذكور فى هذه السلسة على أنه ابن الله ليس هو المسيح بل آدم ، أما المسيح فهو ، حسبما كان يقول الناس ، ابن يوسف! أما سلسلة متى فهى صريحة فى أنه ابن يوسف ، أستغفر الله ، إذ ليس هناك من معنى للقول بأنه ابن يوسف إلا معنى واحد لا أستطيع أن أنطق به! وهو ما يؤكده النص التالى المأخوذ من مطلع إنجيل توما (أحد الأناجيل غير القانونية):

"And a certain Jew when he saw what Jesus did, playing upon the Sabbath day, departed straightway and told his father Joseph: Lo, thy child is at the brook, and he hath taken clay and fashioned twelve little birds, and hath polluted the Sabbath day".

إذ يقول المؤلف إن يهوديا من اليهود الغيارى على الشريعة الموسوية ،

حين رأى عيسى الصغير يصنع يومَ سبتٍ من الطين طيرًا ، ذهب من فوره إلى "أبيه يوسف" وشكا له ما صنع الغلام من الاعتداء على حرمة اليوم المقدس . ومثله قول المؤلف فى موضع آخر إن عيسى ذهب ذات يوم لزراعة القمح مع "والده" فى حقلهم: "Again, in the time of sowing the young child went forth with his father to sow wheat in their land: and as his father sowed, the young child Jesus sowed also one corn of wheat". . . وغير ذلك من المواضع التى وُصِف فيها يوسف بأنه "أبوه" . بل إننا لنقرأ أن يوسف ، تعجُّبًا من المعجزات التى كان يعملها عيسى الصغير ، قد دعا ربه شاكرا أنْ أعطاه طفلا مثله: "Happy am I for that God hath given me this young child" .

وبعد قليل يقول الكاتب السابق: "يُرَجَّح أن سلسلة النسب هذه (يقصد سلسلة النسب المذكورة فى متّى) لا تتبع التسلسل الطبيعى (الذى تجده فى لوقا . . .) ، بل الملكى والشرعى الذى بفضله كان المسيح وارثا لعرش داود" (نفس المرجع والصفحة) . ونتساءل: لماذا هذا الاختلاف بين الكاتبين فلم يذكر كل منهما النسبين فيريح ويستريح؟ سيقولون إن كلا منهما ركز على جانب من جانبى السيد المسيح . لكن السؤال هو: ولماذا لم يكن كل منهما واضحا فى هذه المسألة التى تقوم عليها الديانة التى ينتمى إليها فيقول بصريح العبارة إنه قد ركز على جانب واحد من الأمر وترك الجانب الآخر من أجل كذا وكذا؟ كما أن ثمة سؤالا آخر فى غاية الخطورة: ترى هل معنى تركيز متّى على الجانب البشرى فى المسيح أن ينسبه ، وفى بداية الإصحاح الأول منه ، إلى يوسف النجار ، الذى كان كثير من اليهود وما زالوا يتهمون به مريم عليها السلام؟ إن أقل ما يقال

فى متّى أنه قد أعطى بذلك أعداء المسيح صلى الله عليه وسلم الخنجر لطعن شرفه وعِرْض أمه الكريمة الطاهرة التى رفعها القرآن الكريم فوق نساء العالمين! وهاهو ذا متّى يؤكد أنه ابن يوسف ومريم معا فى أكثر من موضع، إذ يصفهما مثلا بأنهما: "أبَوَاهُ" (٢/ ٤١)، "وَعِنْدَمَا دَخَلَ بِالصَّبِيِّ يَسُوعَ أَبَوَاهُ، لِيَصْنَعَا لَهُ حَسَبَ عَادَةِ النَّامُوسِ. . ." (٢/ ٢٧)، كما تقول مريم مخاطبة عيسى الصغير وهى تشير إلى يوسف ونفسها: "يَا بُنَيَّ، لِمَاذَا فَعَلْتَ بِنَا هكَذَا؟ هُوَذَا أَبُوكَ وَأَنَا كُنَّا نَطْلُبُكَ مُعَذَّبَيْنِ!" (٢/ ٤٨).

ولو تركنا وراء ظهورنا هذه المشكلة إلى أن يجد لها أحد حلا، وهذا مستحيل، وانتقلنا إلى المثال الثانى، وهو موضوع الحَجَر الذى زُحْزِح من فوق فوهة القبر المدفون فيه المسيح، لوجدنا عدة مشاكل معقدة أشد التعقيد، وكل ما فى تلك الديانة معقد تعقيدا لم تتعقده أية قضية أخرى: فهل كانت أمه مريم وخالتُه هما اللتين ذهبتا إلى القبر؟ أم هل كانت مريم المجدلية ومريم الأخرى؟ أم هل كانت المجدلية وحدها؟ وهل كان ذلك فى غلس الظلام؟ أم هل كان عند الفجر؟ أم هل كان بعد بزوغ الشمس؟ وهل دخلت مَنْ ذهبتْ هناك إلى القبر أو لم تدخله وانصرفت كما جاءت؟ وهل كان هناك ملاك واحد أو اثنان أو شابٌ أو لم يكن هناك ملائكة ولا ناس بالمرة؟ وهل كل الذى قيل هو أن يسوع قام من الأموات وينتظر تلاميذه فى الجليل؟ أم هل قيل كلام أكثر من ذلك؟ وهل أتى بعض التلاميذ للقبر ليتأكدوا مما حدث أوْ لا؟ وهل لمست مريم المسيح كما جاء فى الرواية التى تقول إنها ورفيقتها أمسكتا بقدميه وسجدتا له؟ أم هل منعها عليه السلام من لمسه بذريعة أنه لم يصعد بعد إلى السماء، وكأنها بعد صعوده للسماء ستراه مرة أخرى وتلمسه كما تحب؟ والمضحك أنها، بعد كل ما قاله لها عن "أبيه وأبيهم وإلهه وإلههم"، تقول إنها قد رأت "ربَّها"!

وهـا هى ذى النصوص أضعها أمام القارئ ليقارن بينها ويتحقق من الأمر بنفسه:

متى (ف ٢٧ - ٢٨): "٦٢وَفِي الْغَدِ الَّذِي بَعْدَ الاِسْتِعْدَادِ اجْتَمَعَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِّيسِيُّونَ إِلَى بِيلاَطُسَ ٦٣قَائِلِينَ: يَا سَيِّدُ، قَدْ تَذَكَّرْنَا أَنَّ ذلِكَ الْمُضِلَّ قَالَ وَهُوَ حَيٌّ: إِنِّي بَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أَقُومُ. ٦٤فَمُرْ بِضَبْطِ الْقَبْرِ إِلَى الْيَوْمِ الثَّالِثِ، لِئَلاَّ يَأْتِيَ تَلاَمِيذُهُ لَيْلاً وَيَسْرِقُوهُ، وَيَقُولُوا لِلشَّعْبِ: إِنَّهُ قَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ، فَتَكُونَ الضَّلاَلَةُ الأَخِيرَةُ أَشَرَّ مِنَ الأُولَى! ٦٥فَقَالَ لَهُمْ بِيلاَطُسُ: عِنْدَكُمْ حُرَّاسٌ. اِذْهَبُوا وَاضْبُطُوهُ كَمَا تَعْلَمُونَ. ٦٦فَمَضَوْا وَضَبَطُوا الْقَبْرَ بِالْحُرَّاسِ وَخَتَمُوا الْحَجَرَ. ٢٨ ١وَبَعْدَ السَّبْتِ، عِنْدَ فَجْرِ أَوَّلِ الأُسْبُوعِ، جَاءَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَمَرْيَمُ الأُخْرَى لِتَنْظُرَا الْقَبْرَ. ٢وَإِذَا زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ حَدَثَتْ، لأَنَّ مَلاَكَ الرَّبِّ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ وَجَاءَ وَدَحْرَجَ الْحَجَرَ عَنِ الْبَابِ، وَجَلَسَ عَلَيْهِ. ٣وَكَانَ مَنْظَرُهُ كَالْبَرْقِ، وَلِبَاسُهُ أَبْيَضَ كَالثَّلْجِ. ٤فَمِنْ خَوْفِهِ ارْتَعَدَ الْحُرَّاسُ وَصَارُوا كَأَمْوَاتٍ. ٥فَأَجَابَ الْمَلاَكُ وَقَالَ لِلْمَرْأَتَيْنِ: لاَ تَخَافَا أَنْتُمَا، فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكُمَا تَطْلُبَانِ يَسُوعَ الْمَصْلُوبَ. ٦لَيْسَ هُوَ ههُنَا، لأَنَّهُ قَامَ كَمَا قَالَ! هَلُمَّا انْظُرَا الْمَوْضِعَ الَّذِي كَانَ الرَّبُّ مُضْطَجِعاً فِيهِ. ٧وَاذْهَبَا سَرِيعاً قُولاَ لِتَلاَمِيذِهِ: إِنَّهُ قَدْ قَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ. هَا هُوَ يَسْبِقُكُمْ إِلَى الْجَلِيلِ. هُنَاكَ تَرَوْنَهُ. هَا أَنَا قَدْ قُلْتُ لَكُمَا. ٨فَخَرَجَتَا سَرِيعاً مِنَ الْقَبْرِ بِخَوْفٍ وَفَرَحٍ عَظِيمٍ، رَاكِضَتَيْنِ لِتُخْبِرَا تَلاَمِيذَهُ. ٩وَفِيمَا هُمَا مُنْطَلِقَتَانِ لِتُخْبِرَا تَلاَمِيذَهُ إِذَا يَسُوعُ لاَقَاهُمَا وَقَالَ: سَلاَمٌ لَكُمَا. فَتَقَدَّمَتَا وَأَمْسَكَتَا بِقَدَمَيْهِ وَسَجَدَتَا لَهُ. ١٠فَقَالَ لَهُمَا يَسُوعُ: لاَ تَخَافَا. اِذْهَبَا قُولاَ لإِخْوَتِي أَنْ يَذْهَبُوا إِلَى الْجَلِيلِ، وَهُنَاكَ يَرَوْنَنِي".

مرقس (ف ١٦): "١٦ ١وَبَعْدَمَا مَضَى السَّبْتُ، اشْتَرَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَمَرْيَمُ أُمُّ يَعْقُوبَ وَسَالُومَةُ، حَنُوطاً لِيَأْتِينَ وَيَدْهَنَّهُ. ٢وَبَاكِراً جِدّاً فِي أَوَّلِ

الأُسْبُوعِ أَتَيْنَ إِلَى الْقَبْرِ إِذْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ. ٣وَكُنَّ يَقُلْنَ فِيمَا بَيْنَهُنَّ: مَنْ يُدَحْرِجُ لَنَا الْحَجَرَ عَنْ بَابِ الْقَبْرِ؟ ٤فَتَطَلَّعْنَ وَرَأَيْنَ أَنَّ الْحَجَرَ قَدْ دُحْرِجَ! لأَنَّهُ كَانَ عَظِيماً جِداً. ٥وَلَمَّا دَخَلْنَ الْقَبْرَ رَأَيْنَ شَاباً جَالِساً عَنِ الْيَمِينِ لابِساً حُلَّةً بَيْضَاءَ، فَانْدَهَشْنَ. ٦فَقَالَ لَهُنَّ: لاَ تَنْدَهِشْنَ! أَنْتُنَّ تَطْلُبْنَ يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ الْمَصْلُوبَ. قَدْ قَامَ! لَيْسَ هُوَ هَهُنَا. هُوَذَا الْمَوْضِعُ الَّذِي وَضَعُوهُ فِيهِ. ٧لَكِنِ اذْهَبْنَ وَقُلْنَ لِتَلاَمِيذِهِ وَلِبُطْرُسَ: إِنَّهُ يَسْبِقُكُمْ إِلَى الْجَلِيلِ. هُنَاكَ تَرَوْنَهُ كَمَا قَالَ لَكُمْ. ٨فَخَرَجْنَ سَرِيعاً وَهَرَبْنَ مِنَ الْقَبْرِ، لأَنَّ الرِّعْدَةَ وَالْحَيْرَةَ أَخَذَتَاهُنَّ. وَلَمْ يَقُلْنَ لأَحَدٍ شَيْئاً لأَنَّهُنَّ كُنَّ خَائِفَاتٍ. ٩وَبَعْدَمَا قَامَ بَاكِراً فِي أَوَّلِ الأُسْبُوعِ ظَهَرَ أَوَّلاً لِمَرْيَمَ الْمَجْدَلِيَّةِ، الَّتِي كَانَ قَدْ أَخْرَجَ مِنْهَا سَبْعَةَ شَيَاطِينَ. ١٠فَذَهَبَتْ هَذِهِ وَأَخْبَرَتِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ وَهُمْ يَنُوحُونَ وَيَبْكُونَ. ١١فَلَمَّا سَمِعَ أُولَئِكَ أَنَّهُ حَيٌّ، وَقَدْ نَظَرَتْهُ، لَمْ يُصَدِّقُوا".

لوقا (ف ٢٤): "٢٤ ١ثُمَّ فِي أَوَّلِ الأُسْبُوعِ، أَوَّلَ الْفَجْرِ، أَتَيْنَ إِلَى الْقَبْرِ حَامِلاَتِ الْحَنُوطَ الَّذِي أَعْدَدْنَهُ، وَمَعَهُنَّ أُنَاسٌ. ٢فَوَجَدْنَ الْحَجَرَ مُدَحْرَجاً عَنِ الْقَبْرِ، ٣فَدَخَلْنَ وَلَمْ يَجِدْنَ جَسَدَ الرَّبِّ يَسُوعَ. ٤وَفِيمَا هُنَّ مُحْتَارَاتٌ فِي ذَلِكَ، إِذَا رَجُلاَنِ وَقَفَا بِهِنَّ بِثِيَابٍ بَرَّاقَةٍ. ٥وَإِذْ كُنَّ خَائِفَاتٍ وَمُنَكِّسَاتٍ وُجُوهَهُنَّ إِلَى الأَرْضِ، قَالاَ لَهُنَّ: لِمَاذَا تَطْلُبْنَ الْحَيَّ بَيْنَ الأَمْوَاتِ؟ ٦لَيْسَ هُوَ هَهُنَا، لَكِنَّهُ قَامَ! اُذْكُرْنَ كَيْفَ كَلَّمَكُنَّ وَهُوَ بَعْدُ فِي الْجَلِيلِ ٧قَائِلاً: إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُسَلَّمَ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي أَيْدِي أُنَاسٍ خُطَاةٍ، وَيُصْلَبَ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ. ٨فَتَذَكَّرْنَ كَلاَمَهُ، ٩وَرَجَعْنَ مِنَ الْقَبْرِ، وَأَخْبَرْنَ الأَحَدَ عَشَرَ وَجَمِيعَ الْبَاقِينَ بِهَذَا كُلِّهِ. ١٠وَكَانَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَيُوَنَّا وَمَرْيَمُ أُمُّ يَعْقُوبَ وَالْبَاقِيَاتُ مَعَهُنَّ، اللَّوَاتِي قُلْنَ هَذَا لِلرُّسُلِ. ١١فَتَرَاءَى كَلاَمُهُنَّ لَهُمْ كَالْهَذَيَانِ وَلَمْ يُصَدِّقُوهُنَّ. ١٢فَقَامَ بُطْرُسُ وَرَكَضَ

إِلَى الْقَبْرِ، فَانْحَنَى وَنَظَرَ الأَكْفَانَ مَوْضُوعَةً وَحْدَهَا، فَمَضَى مُتَعَجِّباً فِي
نَفْسِهِ مِمَّا كَانَ".

يوحنا (ف ٢٠): "٢٠ ¹وَفِي أَوَّلِ الأُسْبُوعِ جَاءَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ إِلَى
الْقَبْرِ بَاكِراً، وَالظَّلاَمُ بَاقٍ. فَنَظَرَتِ الْحَجَرَ مَرْفُوعاً عَنِ الْقَبْرِ. ²فَرَكَضَتْ
وَجَاءَتْ إِلَى سِمْعَانَ بُطْرُسَ وَإِلَى التِّلْمِيذِ الآخَرِ الَّذِي كَانَ يَسُوعُ يُحِبُّهُ،
وَقَالَتْ لَهُمَا: أَخَذُوا السَّيِّدَ مِنَ الْقَبْرِ، وَلَسْنَا نَعْلَمُ أَيْنَ وَضَعُوهُ! ³فَخَرَجَ
بُطْرُسُ وَالتِّلْمِيذُ الآخَرُ وَأَتَيَا إِلَى الْقَبْرِ. ⁴وَكَانَ الاثْنَانِ يَرْكُضَانِ مَعاً. فَسَبَقَ
التِّلْمِيذُ الآخَرُ بُطْرُسَ وَجَاءَ أَوَّلاً إِلَى الْقَبْرِ، ⁵وَانْحَنَى فَنَظَرَ الأَكْفَانَ
مَوْضُوعَةً، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ. ⁶ثُمَّ جَاءَ سِمْعَانُ بُطْرُسُ يَتْبَعُهُ، وَدَخَلَ الْقَبْرَ
وَنَظَرَ الأَكْفَانَ مَوْضُوعَةً، ⁷وَالْمِنْدِيلَ الَّذِي كَانَ عَلَى رَأْسِهِ لَيْسَ مَوْضُوعاً
مَعَ الأَكْفَانِ، بَلْ مَلْفُوفاً فِي مَوْضِعٍ وَحْدَهُ. ⁸فَحِينَئِذٍ دَخَلَ أَيْضاً التِّلْمِيذُ
الآخَرُ الَّذِي جَاءَ أَوَّلاً إِلَى الْقَبْرِ، وَرَأَى فَآمَنَ، ⁹لأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا بَعْدُ
يَعْرِفُونَ الْكِتَابَ: أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَقُومَ مِنَ الأَمْوَاتِ. ¹⁰فَمَضَى التِّلْمِيذَانِ
أَيْضاً إِلَى مَوْضِعِهِمَا. ¹¹أَمَّا مَرْيَمُ فَكَانَتْ وَاقِفَةً عِنْدَ الْقَبْرِ خَارِجاً تَبْكِي.
وَفِيمَا هِيَ تَبْكِي انْحَنَتْ إِلَى الْقَبْرِ، ¹²فَنَظَرَتْ مَلاَكَيْنِ بِثِيَابٍ بِيضٍ جَالِسَيْنِ
وَاحِداً عِنْدَ الرَّأْسِ وَالآخَرَ عِنْدَ الرِّجْلَيْنِ، حَيْثُ كَانَ جَسَدُ يَسُوعَ
مَوْضُوعاً. ¹³فَقَالاَ لَهَا: يَا امْرَأَةُ، لِمَاذَا تَبْكِينَ؟ قَالَتْ لَهُمَا: إِنَّهُمْ أَخَذُوا
سَيِّدِي، وَلَسْتُ أَعْلَمُ أَيْنَ وَضَعُوهُ!. ¹⁴وَلَمَّا قَالَتْ هَذَا الْتَفَتَتْ إِلَى الْوَرَاءِ،
فَنَظَرَتْ يَسُوعَ وَاقِفاً، وَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ يَسُوعُ. ¹⁵قَالَ لَهَا يَسُوعُ: يَا امْرَأَةُ،
لِمَاذَا تَبْكِينَ؟ مَنْ تَطْلُبِينَ؟ فَظَنَّتْ تِلْكَ أَنَّهُ الْبُسْتَانِيُّ، فَقَالَتْ لَهُ: يَا سَيِّدُ إِنْ
كُنْتَ أَنْتَ قَدْ حَمَلْتَهُ فَقُلْ لِي أَيْنَ وَضَعْتَهُ، وَأَنَا آخُذُهُ. ¹⁶قَالَ لَهَا يَسُوعُ: يَا
مَرْيَمُ فَالْتَفَتَتْ تِلْكَ وَقَالَتْ لَهُ: رَبُّونِي! الَّذِي تَفْسِيرُهُ: يَا مُعَلِّمُ. ¹⁷قَالَ لَهَا
يَسُوعُ: لاَ تَلْمِسِينِي لأَنِّي لَمْ أَصْعَدْ بَعْدُ إِلَى أَبِي. وَلَكِنِ اذْهَبِي إِلَى إِخْوَتِي

وَقُولِي لَهُمْ: إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلَهِي وَإِلَهِكُمْ. [١٨] فَجَاءَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَأَخْبَرَتِ التَّلاَمِيذَ أَنَّهَا رَأَتِ الرَّبَّ، وَأَنَّهُ قَالَ لَهَا هذَا". والآن فلينظر القارئ الفرق بين ما ردده من ألوان الهلس الأنبا جرجى الذى ليس له أى وجود إلا فى أوهام الكذابين وبين حقيقة أمر الأناجيل كما هى فى الواقع. كل ذلك، ولم نقل شيئا عن الشكوك العاصفة التى تحيط بكل ما يتعلق بالأناجيل: كتابها الحقيقيين، وتاريخ كتابتها، ومدى أهليتها للثقة عند العلماء المحققين من النصارى قبل المسلمين.

وهنا تنعطف المجادلة فى الحدوتة التى نحن بصددها إلى المقارنة بين الرسول الكريم وأخيه عيسى بن مريم عليهما السلام، فنقرأ ما يلى:

"قال المسلم: فمحمّد عندكم في منزلة دون المسيح ودون الحواريين؟

قال الراهب: وكيف أستجيز أن أساوي بين العبد بالمولى، والمخلوق بالخالق، والإنسان بالإله؟

قال المسلم: ألا تعلم يا راهب أن محمّدا نبيّ الله ورسوله لأنه هدى أمّة إسماعيل ونقلها عن عبادة الأصنام إلى عبادة الله نظير المسيح ورسله؟

قال الراهب: أنا أعلم أن محمدا تملّك على الأعراب أولاد إسماعيل ونقلهم من عبادة الأصنام إلى معرفة الله، لكن ليس إلى معرفته الحقيقيّة لأنه قصد التملّك عليهم وإدخالهم تحت الطاعة له أكثر من أن يعرّفهم الخالق المعرفة الحقة. فإن أطلتَ أناتك وملكتَ الصبر في ذاتك وتوادعت في أخلاقك أوردتُ لك الحجة الكافية عنّي وعن أهل ديني في أمر محمد، ولماذا لم نوجّبه ولم نَدْعُه نبيًا ولا رسولا.

قال المسلم: إذ كان الأمير، أعزه الله، قد أرخى لك العِنان وخوّلكَ الأمان وفسح لك الكلام في دين الإسلام، فقل ما شئتَ.

أجاب الأمير وقال: يا أبا سلامة، إن الراهب إلى الآن لم ينطق إلا بما يناسب الصدق ويقرب إلى الحق ويليق في قياس العقل.

قال المسلم: هاتِ ما عندك في أمر محمّد.

قال الراهب: اعلم يا أبا سلامة أن محمدا كان من الأعراب من بني قريش من أمّة إسماعيل من بني هاجر المصريّة عَبْدة سارة امرأة إبراهيم، وكان رجلا أعرابيا سفّارا يتردّد بسفره إلى بيت المقدس، فأضاف برجلٍ نصراني نسطوري اسمه بحيرا. فلما استخبره بحيرا عن مذهبه ودينه وَجَدَه من الأمة التي لا تعرف الله من بني إسماعيل. وكانوا يعبدون صنما يسمّونه الأكبر، وكانت صلاتهم أمام ذلك الصنم أشعارا تشتمل معانيها على الشوق والعشق، وكانوا يكتبونها على الألواح ويعلّقونها فوق ذلك الصنم يصلّون بها ويتقربون بها إليه ويسمّونها: "المعلّقات السبع". فلما علم بحيرا أنه من تلك القبيلة رقّ له على سبيل الألفة والمروءة وأفاده المعرفة بالله وتلا عليه فصولا من الإنجيل والتوراة والزبور. ولما عاد محمد إلى أرضه وأمته قال لهم: ويحكم! إنكم على ضلالة وعبادة باطلة ضارة غير نافعة... وكان محمد يكاتب بحيرا بما يتجدّد له، وبحيرا يأمره بنهيهم عن مثل ذلك...".

وهذا كله خبل وكذب وافتراء، فليس عيسى سوى عبد الله ورسوله، والله سبحانه لا يمكن أن يتجسد ويدخل بطن امرأة تحبل به وتلده وتعطف عليه فترضعه وتربت على ظهره حتى ينام، وتغير له كافولته وتعلمه المشى والكلام وتغنى له وترقصه، وعندما يكبر قليلا تنهره بل تضربه إذا عصاها مثلا، وتُمَشّوره فى طلبات البيت وترسله للمعبد لتعليمه الكتابة والقراءة على أيدى الأحبار من بنى إسرائيل! أما بخصوص بحيرا والكلام المضحك الذى يفتريه النصارى بشأنه منذ قرون وقرون، فهل كان بحيرا يلقيه عليه

السلام فى جُبٍّ تحت الأرض بحيث لا يراه أحد فيسجل لنا ما كانا يتقاولانه؟ إن حياته صلى الله عليه وسلم كتاب مفتوح، ولم يحدث شيء من هذا على الإطلاق. ثم لماذا لم يتكلم بحيرا أو أحد من النصارى الذين كانوا مع بحيرا أو كان لهم اتصال ببحيرا فيقول إنه هو الذى علم محمدا كذا، وقال له: قل كذا، وأمُرْ قومك بكذا، وانههم عن كذا. وبالمثل فإن أحدا من قومه، ومنهم من كان يخرج معه فى القوافل للتجارة وسمع ببحيرا أو رآه إذا كان لبحيرا هذا وجود، لم يفتح فمه بكلمة واحدة من هذا الاتهام، ولم يجر بحيرا لهم على لسان ولو مرة واحدة عارضة طوال الحرب الضروس التى شنوها عليه صلى الله عليه وسلم وامتدت أعواما طوالا لم يألوا أثناءها جهدا فى اتهامه بكل التهم، ثم رجعوا فلحسوا جميع ما قالوه فيه وآمنوا به، مبرهنين بذلك على أنهم، فى كل ما عابوه به، كانوا يكذبون كذبا مفضوحا. فما معنى ذلك؟ وحتى لو صدقنا بأنه قد قابل بحيرا مرة يتيمة فى سفرة من سفراته، وهو صبيٌّ صغير إلى بلاد الشام، رفقةَ عمه أبى طالب (وكان ذلك بالمناسبة على مرأى ومسمع من القافلة كلها، وكان بحيرا، حسبما تقول الرواية، هو الذى طلب رؤيته وأراد الاطمئنان إلى أنه هو النبى المنتظر، وحذر عمه أبا طالب من غدر يهود طالبا منه أن يعود به من حيث أتى حتى لا يتعرض لمكايدهم، وهذه هى المرة اليتيمة التى يقال إن بحيرا قد رآه فيها كما قلنا)، فمتى وأين كان يقابله بحيرا بعد ذلك، ومعروف أن الرسول، بمجرد أن بدأ دعوته إلى أن هاجر للمدينة، لم يغادر مكة إلا إلى الطائف مرة يتيمة؟ وكيف كانت تدور بينهما المحاورات والمناقشات والمراجعات يا ترى وهما لا يلتقيان؟

ثم إن ما قاله القرآن عن المسيح وأنه لم يُصلَب ولم يُقتَل ولم يكن ثمة فداء ولا خطيئة أولى ليتصادم مع النصرانية كما يؤمن بها القطاع الأعظم

من النصارى ، فما موقع بحيرا من إعراب تلك الجملة؟ ولماذا اندفعت الملايين النصرانية إلى الدخول فى الإسلام عند سنوح أول فرصة والتصديق بما قاله محمد عن دينهم السابق إذا كانوا يعرفون حقيقة: أنه ليس إلا صناعة نصرانية بَحِيراوِيّة؟ لقد كان عندهم الأصل ، فكيف يتركونه ويؤثرون عليه الفرع؟ كذلك فإن القول بأنه عليه السلام كان أعرابيا هو كذبٌ فاضح ، فالأعراب هم سكان البادية ، والرسول كان من قريش سكان أم القرى ، وكان يشتغل بالتجارة قبيل رسالته ، فهو إذن حضرى لا بدوى ، فكيف يقول الراهب المهتوك إنه عليه السلام كان أعرابيا؟ وأنكى من ذلك أن يحاول ذلك الأحمق إقناعنا بأن الشيخ المسلم قد وافقه على هذا الهراء ، وكان كل همه مساواة الرسول بالمسيح ، إذ ما من عالم من علماء الإسلام إلا ويعلم أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو سيد الأنبياء والمرسلين وأنه قد فُضِّل على سائرهم بعدة مزايا ، وأنه فوق ذلك مرسل إلى الناس كافة لا إلى أولاد إسماعيل وحدهم ، وإلا فأين نضع الأكراد والفرس والترك وأهل الهند والصين والشام وفلسطين ومصر والسودان والمغرب والأندلس ، ثم أهل أوربا وأمريكا وأستراليا فى العصر الحديث؟ أوكل هؤلاء من أولاد إسماعيل؟ إن أصغر طفل مسلم فى أتفه كُتّاب فى أحقر قرية فى أجهل بلد فى العالم ليعرف أن محمدا هو رسول للعالمين جميعا ، على حين أن عيسى (كما يقرأ كل يوم فى القرآن) لم يُرْسَل إلا لبنى إسرائيل وحدهم لَيس إلا ، وأن هذا هو أحد الفروق بين الرسولين الكريمين ، فكيف تغيب هذه عن إمام من أئمة المسلمين أو عن الأمير الذى دارت المجادلة فى حضرته ، وهو ابن من أبناء صلاح الدين "الكردى" قاهر الصليبيين ، ومُكْمِد المثلّثين ، وناصر دين النبى الأمين ، محمد سيد الأنبياء والمرسلين؟ ويبقى تحريف الأنبا الأخرق الذى يدّعى فيه كذبا وزورا أن

العرب كانوا يصلّون لآلهتهم بالقصائد التى ينظمها شعراؤهم فى الغزل والمديح والفخر والهجاء والحروب ويكتبونها على ألواح يعلقونها عليها. أرأيتم، أيها القراء، قلة حياء وسماكة جلد بهذا الشكل؟ إننى رغم تخصصى فى الأدب العربى ورغم تأليفى عدة دراسات فى الأدب الجاهلى لم أسمع بهذا قطُّ، ولن أسمع به عَوْضُ!

"قال الراهب: . . . لعمري إن محمدا يقول إنه وأنتم على هدى أو ضلال مبين عن الهدى والطريق المستقيم بقوله: "ما أعلم ما بي وبكم"، وقال أيضا: "إني وإياكم على هدى أم على ضلال مبين" (سورة سبأ)، وقوله: "اتقوا ما استطعتم لعلكم تفلحون"، ثم رسم لكم في كل صلاة تصلّونها أن تسألوا الله الهدى إلى الطريق المستقيم بقولكم: "اهدنا السراط المستقيم" (الفاتحة). فإن كنتم على هدى، فما لكم حاجة لتسألوا الهدى لأن من قد اهتدى دفعةً فما باله يسأل الهدى؟ بل يسأل الله العون للسير في هداه. وخذ المثل في ذلك واجعل أيها الأمير أنني اليوم قد خرجت عن حضرتك طالبا المقرّ والوطن وضللت عن السبيل فلا أزال أسأل الله والناس الهدى حتى أجد السبيل الراشد إلى الوطن، فإذا وجدتُ السبيل فما بي حاجة أن أسأل الهدى، بل أسأل العون على الوصول إلى الوطن.

قال المسلم: وهو كما تقول.

قال الراهب: ولو عرف محمد أنكم على هدى لما سنّ وشرّع لكم السؤال إلى الله في الرشد والهدى. ثم لعلمه أن صلاته لا تجزيه عند الله تعالى ربطك أيضا وشرّع لكم الصلاة عليه بقوله: "يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليما".

قال المسلم: أما علمتَ أن الله وملائكته يصلّون على محمد؟ أفما يجب

أن أصلي أنا عليه؟

قال الراهب: أفما كان أولى بك أن تصلي على ذاتك وتسأل الله العفو عن زلاتك، ولا تكون كمن أضواه الجوع وهو يسأل الطعام لغيره، أو كمن انسقم بذاته ويطلب الطبّ لغيره؟ فإذا كنتَ أنت والله والملائكة يصلّون على محمّد، فمن الإله الذي يقبل الصلاة؟ فإذا كان هذا الرأي فقد ساويت بالصلاة بين الله وملائكته والناس.

قال المسلم: إن الصلاة هي رحمة منه على عباده.

قال الراهب: فمن قدر على نيل رحمة الله وملائكته فما به حاجة إلى صلاتك، بل الأولى بك أن تصلي على نفسك.

قال المسلم: أفما تصلون أنتم النصارى على مسيحكم؟

قال الراهب: لا. ولكنا نصلي إليه لأنه إلهنا وخالقنا، وهو يقبل صلاة العباد.

قال المسلم: يا ذا الكفر المبين والرأي الفاسد الوخيم! إنكم تعبدون إنسانا مخلوقا وُلِد من امرأة وصابه من الهوان ما أنتم به مقرّون، وأنت يا راهب لا تنكره على نفسك، وأنت تَتَقّح وتهجو نبيّنا محمد المصطفى".

أرأيتم رقاعة بهذا الشكل؟ ترى ما وجه الخطإ في أن يستعين الإنسان بربه ويطلب منه أن يهديه فلا يضل السبيل؟ إن هذا التخطىء والتشنيع ليناقض الإيمان بالله من أساسه، وإلا فما معنى عبادة الله والإيمان بقدرته ورحمته؟ وما الفرق بين المؤمن والكافر إذن؟ يا أيها الأنبا الجاهل، ألم تقرأ ما ورد في الإصحاح الثالث من الإنجيل الذي ألفه متى عن محاولة الشيطان إغواء المسيح؟ فهذا هو ما يتعوذ منه المسلم بالضبط، فماذا فيه؟: "ثُمَّ أُصْعِدَ يَسُوعُ إِلَى الْبَرِّيَّةِ مِنَ الرُّوحِ لِيُجَرَّبَ مِنْ إِبْلِيسَ. ²فَبَعْدَ مَا صَامَ

أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، جَاعَ أَخِيرًا . ٣فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ الْمُجَرِّبُ وَقَالَ لَهُ: «إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَقُلْ أَنْ تَصِيرَ هذِهِ الْحِجَارَةُ خُبْزًا» . ٤فَأَجَابَ وَقَالَ: «مَكْتُوبٌ: لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ ، بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللهِ» . ٥ثُمَّ أَخَذَهُ إِبْلِيسُ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُقَدَّسَةِ ، وَأَوْقَفَهُ عَلَى جَنَاحِ الْهَيْكَلِ ، ٦وَقَالَ لَهُ: «إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَاطْرَحْ نَفْسَكَ إِلَى أَسْفَلُ ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: أَنَّهُ يُوصِي مَلاَئِكَتَهُ بِكَ ، فَعَلَى أَيَادِيهِمْ يَحْمِلُونَكَ لِكَيْ لاَ تَصْدِمَ بِحَجَرٍ رِجْلَكَ» . ٧قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «مَكْتُوبٌ أَيْضًا: لاَ تُجَرِّبِ الرَّبَّ إِلهَكَ» . ٨ثُمَّ أَخَذَهُ أَيْضًا إِبْلِيسُ إِلَى جَبَل عَال جِدًّا ، وَأَرَاهُ جَمِيعَ مَمَالِكِ الْعَالَمِ وَمَجْدَهَا ، ٩وَقَالَ لَهُ: «أُعْطِيكَ هذِهِ جَمِيعَهَا إِنْ خَرَرْتَ وَسَجَدْتَ لِي» . ١٠حِينَئِذٍ قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «اذْهَبْ يَا شَيْطَانُ! لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِّ إِلهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ» . ١١ثُمَّ تَرَكَهُ إِبْلِيسُ ، وَإِذَا مَلاَئِكَةٌ قَدْ جَاءَتْ فَصَارَتْ تَخْدِمُهُ". ألم يكن عيسى عليه السلام ، وهو الإله حسب ادعائهم ، يعرف الطريق المستقيم؟ بلى كان يعرف ذلك ، إلا أن هذا لم يمنع أمير الظلام من الاجتهاد فى محاولة إضلاله وتكفيره مرة واحدة لا إغرائه بالزنا مثلا أو السرقة فقط! ألا يقول القوم فى صلاتهم: "نجنا من الشرير (أى الشيطان)"؟ بلى يقولون ذلك ، فما العيب إذن أن يقول مثلها المسلمون؟ ألم يتهم عيسى عليه السلام حوارييه مرارا بضعف الإيمان والنفاق رغم أنهم كانوا قد عرفوا الطريق واتبعوه؟ ثم ما معنى نصحه لهم فى النص التالى: "أَنْتُمْ مِلْحُ الأَرْضِ ، وَلكِنْ إِنْ فَسَدَ الْمِلْحُ فَبِمَاذَا يُمَلَّحُ؟ لاَ يَصْلُحُ بَعْدُ لِشَيْءٍ ، إِلاَّ لأَنْ يُطْرَحَ خَارِجًا وَيُدَاسَ مِنَ النَّاسِ"؟ أليس معناه أن من الممكن جدا بعد اهتدائهم على يديه أن يعودوا فينتكسوا ويفسدوا مثلما يفسد الملح فيلقى به عندئذ تحت الأقدام ويدوسه الناس؟ إذن فمخاطر الطريق كثيرة حتى لو تأكد الإنسان أنها هى فعلا الطريق التى

تؤدى به إلى هدفه، إذ من الجائز مثلا أن يهجم عليه أسد أو يطلع عليه لص أو قاطع طريق أو يقع فى الظلام فى حفرة مهلكة أو يلدغه ثعبان أو يتعرض له بتزيين الكفر أحد الضالين المضلين مثلا!

لنسمع ما ينسبونه من نصائح وتوجيهات للمسيح فى إنجيل متى على سبيل المثال: "٢٧قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لاَ تَزْنِ. ٢٨وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيَهَا، فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ. ٢٩فَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ الْيُمْنَى تُعْثِرُكَ فَاقْلَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ، لأَنَّهُ خَيْرٌ لَكَ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدُ أَعْضَائِكَ وَلاَ يُلْقَى جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّمَ. ٣٠وَإِنْ كَانَتْ يَدُكَ الْيُمْنَى تُعْثِرُكَ فَاقْطَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ، لأَنَّهُ خَيْرٌ لَكَ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدُ أَعْضَائِكَ وَلاَ يُلْقَى جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّمَ... اِحْتَرِزُوا مِنْ أَنْ تَصْنَعُوا صَدَقَتَكُمْ قُدَّامَ النَّاسِ لِكَيْ يَنْظُرُوكُمْ، وَإِلاَّ فَلَيْسَ لَكُمْ أَجْرٌ عِنْدَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. ٢فَمَتَى صَنَعْتَ صَدَقَةً فَلاَ تُصَوِّتْ قُدَّامَكَ بِالْبُوقِ، كَمَا يَفْعَلُ الْمُرَاؤُونَ فِي الْمَجَامِعِ وَفِي الأَزِقَّةِ، لِكَيْ يُمَجَّدُوا مِنَ النَّاسِ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُمْ قَدِ اسْتَوْفَوْا أَجْرَهُمْ! ٣وَأَمَّا أَنْتَ فَمَتَى صَنَعْتَ صَدَقَةً فَلاَ تُعَرِّفْ شِمَالَكَ مَا تَفْعَلُ يَمِينُكَ، ٤لِكَيْ تَكُونَ صَدَقَتُكَ فِي الْخَفَاءِ. فَأَبُوكَ الَّذِي يَرَى فِي الْخَفَاءِ هُوَ يُجَازِيكَ عَلاَنِيَةً. ٥وَمَتَى صَلَّيْتَ فَلاَ تَكُنْ كَالْمُرَائِينَ، فَإِنَّهُمْ يُحِبُّونَ أَنْ يُصَلُّوا قَائِمِينَ فِي الْمَجَامِعِ وَفِي زَوَايَا الشَّوَارِعِ، لِكَيْ يَظْهَرُوا لِلنَّاسِ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُمْ قَدِ اسْتَوْفَوْا أَجْرَهُمْ! ٦وَأَمَّا أَنْتَ فَمَتَى صَلَّيْتَ فَادْخُلْ إِلَى مِخْدَعِكَ وَأَغْلِقْ بَابَكَ، وَصَلِّ إِلَى أَبِيكَ الَّذِي فِي الْخَفَاءِ. فَأَبُوكَ الَّذِي يَرَى فِي الْخَفَاءِ يُجَازِيكَ عَلاَنِيَةً. ٧وَحِينَمَا تُصَلُّونَ لاَ تُكَرِّرُوا الْكَلاَمَ بَاطِلاً كَالأُمَمِ، فَإِنَّهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُ بِكَثْرَةِ كَلاَمِهِمْ يُسْتَجَابُ لَهُمْ. ٨فَلاَ تَتَشَبَّهُوا بِهِمْ. لأَنَّ أَبَاكُمْ يَعْلَمُ مَا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ قَبْلَ أَنْ تَسْأَلُوهُ... ١٦وَمَتَى صُمْتُمْ فَلاَ تَكُونُوا عَابِسِينَ كَالْمُرَائِينَ، فَإِنَّهُمْ

يُغَيِّرُونَ وُجُوهَهُمْ لِكَيْ يَظْهَرُوا لِلنَّاسِ صَائِمِينَ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُمْ قَدِ اسْتَوْفَوْا أَجْرَهُمْ. ١٧ وَأَمَّا أَنْتَ فَمَتَى صُمْتَ فَادْهُنْ رَأْسَكَ وَاغْسِلْ وَجْهَكَ، ١٨ لِكَيْ لاَ تَظْهَرَ لِلنَّاسِ صَائِمًا، بَلْ لأَبِيكَ الَّذِي فِي الْخَفَاءِ. فَأَبُوكَ الَّذِي يَرَى فِي الْخَفَاءِ يُجَازِيكَ عَلاَنِيَةً. ١٩ «لاَ تَكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزًا عَلَى الأَرْضِ حَيْثُ يُفْسِدُ السُّوسُ وَالصَّدَأُ، وَحَيْثُ يَنْقُبُ السَّارِقُونَ وَيَسْرِقُونَ. ٢٠ بَلِ اكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزًا فِي السَّمَاءِ، حَيْثُ لاَ يُفْسِدُ سُوسٌ وَلاَ صَدَأٌ، وَحَيْثُ لاَ يَنْقُبُ سَارِقُونَ وَلاَ يَسْرِقُونَ، ٢١ لأَنَّهُ حَيْثُ يَكُونُ كَنْزُكَ هُنَاكَ يَكُونُ قَلْبُكَ أَيْضًا. ٢٢ سِرَاجُ الْجَسَدِ هُوَ الْعَيْنُ، فَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ بَسِيطَةً فَجَسَدُكَ كُلُّهُ يَكُونُ نَيِّرًا، ٢٣ وَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ شِرِّيرَةً فَجَسَدُكَ كُلُّهُ يَكُونُ مُظْلِمًا، فَإِنْ كَانَ النُّورُ الَّذِي فِيكَ ظَلاَمًا فَالظَّلاَمُ كَمْ يَكُونُ!".

أليس هذا وسواه مما يمكن أن يفاجئ الإنسان فى أثناء الطريق؟ أليس هذا وسواه هو ما سماه السيد المسيح فى النص التالى: "عثرات"؟: "٧ وَيْلٌ لِلْعَالَمِ مِنَ الْعَثَرَاتِ! فَلاَ بُدَّ أَنْ تَأْتِيَ الْعَثَرَاتُ، وَلكِنْ وَيْلٌ لِذلِكَ الإِنْسَانِ الَّذِي بِهِ تَأْتِي الْعَثْرَةُ! ٨ فَإِنْ أَعْثَرَتْكَ يَدُكَ أَوْ رِجْلُكَ فَاقْطَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ. خَيْرٌ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ أَعْرَجَ أَوْ أَقْطَعَ مِنْ أَنْ تُلْقَى فِي النَّارِ الأَبَدِيَّةِ وَلَكَ يَدَانِ أَوْ رِجْلاَنِ. ٩ وَإِنْ أَعْثَرَتْكَ عَيْنُكَ فَاقْلَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ. خَيْرٌ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ أَعْوَرَ مِنْ أَنْ تُلْقَى فِي جَهَنَّمِ النَّارِ وَلَكَ عَيْنَانِ". أليس هذا وسواه مما ينبغى أن يتعوذ الإنسان منه ويستعين بالله عليه؟ ألم يضلّ حواريوه حين تركوه ساعة القبض عليه وفروا هاربين لا يلوون على شىء وأنكروه وأقسم بطرس إنه لا صلة له به البتة طبقا لرواية الأناجيل؟ أما كانوا يعرفون الطريق المستقيم؟ أمنعهم هذا من الحَيْد عن الطريق؟ إن الشهوات إنما تسكن أعماق قلوبنا ولا تأتينا من خارج: "٢٠ إِنَّ الَّذِي يَخْرُجُ مِنَ الإِنْسَانِ ذلِكَ يُنَجِّسُ الإِنْسَانَ. ٢١ لأَنَّهُ مِنَ الدَّاخِلِ، مِنْ قُلُوبِ النَّاسِ،

تَخْرُجُ الأَفْكَارُ الشِّرِّيرَةُ: زِنىً، فِسْقٌ، قَتْلٌ، ٢٢سِرْقَةٌ، طَمَعٌ، خُبْثٌ، مَكْرٌ، عَهَارَةٌ، عَيْنٌ شِرِّيرَةٌ، تَجْدِيفٌ، كِبْرِيَاءُ، جَهْلٌ. ٢٣جَمِيعُ هذِهِ الشُّرُورِ تَخْرُجُ مِنَ الدَّاخِلِ وَتُنَجِّسُ الإِنْسَانَ» (مرقس/ ٧)، ومن ثم فلا مفر لنا منها، وكل ما نستطيعه حيالها هو أن نبذل جهدنا للانعتاق مما تغرينا به من حرام، أما أن نتجاهلها تماما فمستحيل. ولسوف نظل طول الحياة نتعرض لإغراءاتها، ولسوف يظل المؤمن بحاجة إلى الاستعانة عليها بربه ودعائه إياه أن يهديه الصراط المستقيم فلا يحيد عن الحلال ولا يتطلع إلى الحرام. إننا نسلك فى العادة طريقا معينا كل يوم، ومع هذا فكثيرا ما تقع فيه أشياء تنكّد علينا صفونا، بل كثيرا ما تحدث مصائب لا تخطر على بال، كأن يلقى أحدهم، ولو بدون قصد، حجرا يكسر زجاج النافذة، أو نفاجأ ببلاعة لم نتحسب لها لأن اللصوص سرقوا غطاءها فنقع فيها، أو أهمل العمال إحكامه فبقى ناتئا فاصدمت به عجلات سيارتنا فتمزقت إطاراتها كما حدث لى ذات مرة، أو بسلك كهربى عار فيصعقنا، أو ببلطجى يعترض طريقنا ويجردنا مما معنا، أو ببعض السفلة يخطفوننا ويضربوننا ثم يخلعون عنا ملابسنا ويتركوننا فى طريق صحراوى إلى أن تمر سيارة يعطف أصحابها علينا ويأخذوننا معهم ونحن على هذا الوضع المزرى الذى قصد به فاعلوه أن يربّونا حتى نلزم حدودنا ولا نتعرض للكبار بكلمة سفيهة مثلنا ونمشى على العجين فلا نلخبطه . . . إلخ. وهذا رغم الفارق الكبير بين الطريق الذى نقطعه كل يوم وطريق الحياة الذى يمتد من ميلادنا إلى مماتنا: فطريق الحياة لا ينتهى ولا نعرفه حق المعرفة إلا بعد أن نموت، ونظل طول عمرنا نجهل مفاجآته ومنعطفاته، أما طريق كل يوم فقد حفظناه عن ظهر قلب، إذ نقطعه كل يوم ذهوبا وجيئة مرات ومرات، ومع هذا فما أكثر ما يبادهنا بما لم يخطر لنا من قبل على بال، فما بالنا

بالطريق الآخر المحجوب عنا؟ ثم هل يصح أن نقيم من أنفسنا قضاة على سلوكنا وأخلاقنا فنصدر لمصلحتها الأحكام ونعطيها الدرجات والتقديرات العالية ونتجاوز بهذا حدودنا وصلاحياتنا؟

وقبل ذلك كله ألم يتعمّد المسيح على يد يحيى مؤكدا أنه ينبغي له تلقى التعميد منه حتى يكمل كل برّ؟ ألم يأكل هو وتلاميذه من الحقل دون إذن من أصحابه؟ ويقول الأحمق إن عيسى لم يكن يصلى لله بل كان الناس يصلون له. ألم أقل إنه جاهل حتى بكتابه الذى يقدسه؟ ألم يقرأ ما قاله متى بعد انصراف الجموع الذين أطعمهم سمكا وخبزا: "[٢٢]وَلِلْوَقْتِ أَلْزَمَ يَسُوعُ تَلاَمِيذَهُ أَنْ يَدْخُلُوا السَّفِينَةَ وَيَسْبِقُوهُ إِلَى الْعَبْرِ حَتَّى يَصْرِفَ الْجُمُوعَ. [٢٣]وَبَعْدَمَا صَرَفَ الْجُمُوعَ صَعِدَ إِلَى الْجَبَلِ مُنْفَرِدًا لِيُصَلِّيَ"، "[٣٦]حِينَئِذٍ جَاءَ مَعَهُمْ يَسُوعُ إِلَى ضَيْعَةٍ يُقَالُ لَهَا جَثْسَيْمَانِي، فَقَالَ لِلتَّلاَمِيذِ: «اجْلِسُوا ههُنَا حَتَّى أَمْضِيَ وَأُصَلِّيَ هُنَاكَ». [٣٧]ثُمَّ أَخَذَ مَعَهُ بُطْرُسَ وَابْنَيْ زَبْدِي، وَابْتَدَأَ يَحْزَنُ وَيَكْتَئِبُ. [٣٨]فَقَالَ لَهُمْ: «نَفْسِي حَزِينَةٌ جِدًّا حَتَّى الْمَوْتِ. اُمْكُثُوا ههُنَا وَاسْهَرُوا مَعِي». [٣٩]ثُمَّ تَقَدَّمَ قَلِيلاً وَخَرَّ عَلَى وَجْهِهِ، وَكَانَ يُصَلِّي قَائِلاً: «يَا أَبَتَاهُ، إِنْ أَمْكَنَ فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسُ، وَلكِنْ لَيْسَ كَمَا أُرِيدُ أَنَا بَلْ كَمَا تُرِيدُ أَنْتَ»... [٤٢]فَمَضَى أَيْضًا ثَانِيَةً وَصَلَّى قَائِلاً: «يَا أَبَتَاهُ، إِنْ لَمْ يُمْكِنْ أَنْ تَعْبُرَ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسُ إِلاَّ أَنْ أَشْرَبَهَا، فَلْتَكُنْ مَشِيئَتُكَ». [٤٣]ثُمَّ جَاءَ فَوَجَدَهُمْ أَيْضًا نِيَامًا، إِذْ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ ثَقِيلَةً. [٤٤]فَتَرَكَهُمْ وَمَضَى أَيْضًا وَصَلَّى ثَالِثَةً قَائِلاً ذلِكَ الْكَلاَمَ بِعَيْنِهِ". ألم يغلبه الألم على نفسه فجعل يصرخ ويدعو الله قائلا: "إلهي، إلهي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟"؟ فما معنى هذا؟ ألم يسمع الأنبا الجاهل قول المسيح كما حكاه كتابه: "لماذا تدعوني صالحا؟ ليس أحد صالحا إلا واحد، وهو الله". ومن هنا كانت دهشتى عظيمة حين شاهدت ذات مرة إحدى الراهبات الأجنبيات فى برنامج مرئائى عربى

تؤكد أنها لا تخطئ ولا ترتكب ذنبا وأنها من ثم تعرف أنها ناجية يوم القيامة. إن هذا لهو الخبل العقلى والغرور الخلقى! نعوذ بالله من انغلاق القلوب وتحجر الضمائر! إن الراهبة المخبولة تتصور نفسها وكأنها إنسان آلى مبرمج على نظام معين فهو لا يعدوه ولا يستطيع الخروج عنه إلى ارتكاب الخطإ بحال، وأنى لها أو لسواها ذلك؟ بل من قال إن الإنسان الآلى لا يخطئ أو يتعطل أو يخرج على برنامجه المُغَذَّى به سلفا؟ أوقد تجردت تماما ونهائيا من الغرائز والشهوات فهى لا تضلّ أبدا؟ إن استغفار محمد وطلبه الهدى دائما من ربه لهو أكبر دليل على صدقه صلى الله عليه وسلم، وإلا أفلم يكن قادرا على أن يقول ما قالته الراهبة المجنونة لو كان الأمر عنده أمر ادعاء للنبوة؟ لا لا، ليس هذا بصنيع الكذابين المدلسين! لقد كان محمد نبيا عظيما رغم أنه كان دائما ما يحث أتباعه ألا يفضّلوه على أى من إخوانه. وهذه هى العظمة النفسية والأخلاقية فى أبهى صورها! أما أمر القرآن له فى سورة "سبإ" عليه السلام بأن يقول للكفار: "وإنا أو إياكم لعلى هُدًى أو فى ضلالٍ مبين" فهو الغاية فى أدب الجدال، إذ الأمر من الناحية النظرية المجردة لا يخرج عن هذا، وقد أُمِر صلى الله عليه وسلم بذلك حتى يضع حدا للجدال الذى لا ينتهى والذى كان الكفار بغبائهم وعنادهم بارعين فيه مثلما كان بنو إسرائيل يشغبون دائما على المسيح طبقا لروايات الأناجيل ويكثرون من الأسئلة التى يريدون بها إرهاقه وإعناته لا التعلم منه ومحاولة الوصول إلى الحقيقة بالتعاون معه. وأنا، أيها العبد الضعيف، كثيرا ما ألجأ لشىء مثل هذا فى محاضراتى حين يطول الجدال بينى وبين أحد الطلاب دون أن تنتهى إلى رأى نتفق عليه أو نتوصل إلى حل وسط، فأقول له عندئذ: "هانتذا ترى أننا قد وصلنا إلى طريق مسدود وأن كُلاًّ منّا قد قال كل ما لديه ولم يعد هناك شىء يمكن أن يضاف إلى ما

قلناه. فلهذا لا داعى لأن نمضى فى المناقشة بعد أن أصبحت المسألة واضحة ولم يعد هناك من جديد نقوله، ولا يريد أحدنا أن يقتنع بما يقوله الآخر. وقد أكون أنا المخطئ، أو قد تكون أنت". أقول له هذا دون أن أحاول إجباره على تبنّى رأيى! كل ذلك دون أن أحاول التقليل من موقفه رغم تصورى أننى بطبيعة الحال على الحق وأننى أعلم من الموضوع أكبر كثيرا مما يعلم هو. ولكن هذه هى الطريقة "الديمقراطية". وفى النهاية ألم يقل عيسى عليه السلام إن جميع من أتى قبله من الأنبياء والمرسلين كانوا لصوصا؟ "٨جَمِيعُ الَّذِينَ أَتَوْا قَبْلِي هُمْ سُرَّاقٌ وَلُصُوصٌ"(يوحنا/ ١٠)، نعم جميع الأنبياء بما فيهم إيليا وموسى كما أكد د. ألبير باييه فى كتابه: "أخلاق الإنجيل- دراسة سوسيولوجية"(ترجمة د. عادل العوا/ دار كنعان ودار الحصاد/ ٢٦). فإذا كان الأمر كذلك بالنسبة لهؤلاء الأماجد، فكيف بمن ليسوا أنبياء ولا مرسلين؟ أليسوا بحاجة أشد إلى طلب العون من الله واستهدائه الطريق المستقيم فى كل خطوة؟ إننى بطبيعة الحال لا أصدق أن السيد المسيح قال شيئا من هذا، بَيْدَ أنى أحاكم القوم إلى كتابهم حتى أبين لهم ولكل من كان عنده عين للقراءة أنهم يهرفون بما لا يعرفون!

أما إشارة الأنبا المضحكة إلى مسألة زينب بنت عمة الرسول عليها رضوان الله وقوله إنه عليه الصلاة والسلام "هام بامرأة زيد مولاه سابقا لما نظر إليها، وأخذها منه كُرْهًا وزعم أنّ الله قد أزوجه بها دون زيد، وخاطب بها صحابته قائلا: "ولما قضى زيد منها وطرا أزوجناك بها يا محمد"، وزعم أن هذا وحي من الله أُنزل عليه في امرأة زيد. ولما خاطب بذلك صحابته قالوا: خذ يا رسول الله ما أنعم به عليك وحلّله لك وحرّمه على غيرك"، فملخص القصة (بعيدا عن كذب الأنبا المزعوم وجهله بالآيات القرآنية، أو تحريفها بالأحرى كما فعل قومه مع كتابهم المقدس من قبل)

أنه عليه السلام كان قد خطبها لزيدٍ عبده السابق ومتبنّاه اللاحق رغم كراهيتها هي وأخيها لذلك، إذ كانت من ذؤابة قريش وبنت عمة الرسول، أما زيد فمجرد عبد عتيق لابن خالها محمد. ومع هذا فقد التزمت بما نزل في القرآن من وجوب الانصياع لمثل هذا القرار وتزوجته، إلا أن الأيام لم تفلح فى تلطيف مشاعرها تجاه زوجها وظلت الأمور بينهما متوترة. وفى يوم من الأيام فكر زيد فى تطليقها كى يضع حدا لهذا التوتر، وفاتح الرسول بهذا، لكنه عليه السلام راجعه وطلب منه الصبر. وفى النهاية طلقها زيد وتزوجها الرسول عليه السلام حين نزل القرآن بذلك كى يعرف الناس أن التبنى لا يعطى للابن غير الحقيقى فى مسائل الزواج أو النسب وضع الابن الحقيقى أبدا. وكان زيد رضى الله عنه هو الذى خطبها بدوره لرسول الله، وهو ما يدل على أنه لم يكن فى الأمر ما يثير شكوكه أو حنقه. هذه هى المسألة باختصار، فلم الطنطنة والتشهير؟ هل طمع فيها الرسول وتآمر على تطليقها من زوجها؟ أبدا، فقد رأيناه يراجعه ويأمره بالصبر. هل انتهز فرصة غيابه عن البيت ودخل على زوجته ليستمتع ولو بتبادل الحديث معها والتغزل فى محاسنها، ولا نقول: الزنا بها؟ أبدا، فإن الروايات تنص على أنه حين ذهب يطلب زيدا فى أمر من الأمور ولم يجده انصرف فى الحال ولم يتلبث. إذن فما المشكلة؟ سنفترض أنه عليه السلام قد تعلق بها بعد أن كان هو الذى ضغط عليها كى تتزوج زيدا، فما وجه العيب فى هذا؟ هل يملك البشر عواطفهم فى أيديهم؟ ومع ذلك فلا بد أن يعرف القارئ أن زينب كانت تحت بصر الرسول وتصرُّفه طوال الوقت قبل أن يزوجها زيدا على كره منها ومن أخيها، أفلمّا تزوجها عبده السابق، وهو (فوق عبوديته له) من قبيلة لا تسامت قبيلته هو وزينب، تحلو فى عينيه إلى الحد الذى يريد الأفاكون أن

يجعلوا من حبتها قبة؟

المهم أنه لم يلجأ إلى أى شيء يمكن أن يُؤْخَذ عليه فى هذا السياق: فلا هو ألح لزيد برغبته فى امرأته حتى يدفعه من طَرْفٍ خفىّ إلى التنازل له عنها، فضلا عن أن يكرهه على طلاقها، ولا هو حاول إبعاده عن البيت كى يخلو بها متى أحب، ولا هو تآمر على قتله كما صنع داود (داود النبى والملك) مع قائده وجاره أوريّا الحثى الذى رأى زوجته عارية كما ولدتها أمها وهى تستحم فى فناء بيت قائده المجاور لقصره حين كان يتمشى على سطح القصر ذات يوم، ولا أدرى ماذا كان يفعل ملك مثله على سطح القصر إلا أن تكون هناك بقايا طفولة لم تزل فيه فصعد ليطير طائرته الورقية مثلا (داود "ابن الله البكر" كما جاء فى العهد القديم، وجَدّ إله الأنبا الأحمق أو أبوه كما يقولون، إذ المسيح عندهم هو "ابن داود". والمصيبة أنه ابنه من جهة يوسف لا من جهة مريم، فتأمل اتهامهم مريم فى شرفها وعفتها بغباءٍ ما بعده غباء!)، فما كان منه إلا أن أرسل فأحضرها وزنى بها (هكذا خبط لزق" دون إحم أو دستور"!)، ثم لم يكتف بهذا بل وضع خطة للتخلص بها من الزوج المسكين. ولما تمت الجريمة استلحقها بحريمه، ولكن بعد أن انقضت أيام مناحتها. شوفوا ذوقه وحنيّة قلبه ومراعاته للتقاليد!

أما الرسول محمد عليه الصلاة والسلام، فرغم أن مسألته زواجٌ حلالٌ لا زنًا كما فى حالة داود حسبما يفترى عليه ملفقو العهد القديم عليهم لعائن الله، فقد مكث فترة من الزمن يحاول أن يتجنب التزوج من زينب خشية أن يظن الناس أنه اقترانُ أبٍ بامرأة ابنه كما كانت العرب حتى ذلك الحين تعتقد، إلى أن نزل القرآن يعاتبه ويشتد عليه صلى الله عليه وسلم ويأمره أمرًا بإمضاء هذا الزواج حتى يضع حدا لذلك الفهم الجاهلى. ثم

إنه عليه السلام لم يكن يوسّع فى نفقة زينب ولا غيرها من أمهات المؤمنين، وحين طلبن منه ذات مرة أن يوفر لهن شيئا من بحبوحة العيش كسائر النساء نزل القرآن يخيّرهن جميعا بين الرضا بما هن فيه أو تسريح الرسول عليه الصلاة والسلام لمن لا ترضى بهذا الوضع المتقشف منهن، إلا أنهن جميعا قد اخترن الله ورسوله والدار الآخرة على حظوظ الدنيا. وليس هذا بطبيعة الحال سلوك من تأسره النساء ويتسلطن على عقله وحكمته ويفسدن عليه أمره، بل سلوك نبى كريم يملك نفسه تماما أمام المرأة إن كان ثمن ذلك هو الخروج على مبادئه التى يدعو إليها أدنى خروج! ثم لا ينبغى هنا أن ننسى شيئا، وهو أن زيدا لو شعر أن فى الأمر ما يريب، أكان يظل على ولائه لمحمد ودين محمد ويخرج للغزو معرضا حياته بحرارة فى سبيل الدفاع عن ذلك الدين ولا يهرب مثلا إلى الروم أو فارس ويفضحه هناك؟ وذلك بدلا من أن يموت فى معركة مؤتة ميتته البطولية التى تدل على إيمان لا يتزعزع، إذ كانت كل عوامل النصر من فارق ضخم فى العدد والعتاد فى صف الروم، فضلا عن انحياز أرض المعركة لأهلها، ومع ذلك خاضها، رضى الله عنه، هو وبقية زملائه فى رجولة وإخلاص لا يُبارَيان! ويمكن القارئ أن يرجع إلى ما كتبته فى هذا الأمر فى الفصل الأول من الباب الأول من كتابى: "مصدر القرآن- دراسة لشبهات المستشرقين والمبشرين حول الوحى المحمدى"(مكتبة زهراء الشرق/ ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م/ ٧١ فما بعدها). والعجيب بعد هذا كله أن يقول النصارى إن الله قد غفر لداود وغيره من أنبياء العهد القديم جرائمهم ذات العيار الثقيل لأنهم فى نهاية المطاف بشر، والبشر خطاؤون، ثم يجيئون إلى الحلال الزلال الذى فعله النبى محمد عليه السلام فتضيق صدورهم الحقود غيرةً على الشرف الرفيع، ويذهبون فيلطمون

الخدود ويشقون الجيوب ويضعون على رؤوسهم مما تحت أرجلهم ويَدْعُون بدعوى الجاهلية زاعمين التألم للأخلاق والدين! يا حرام!

قال المسلم: ويحك! إنما ننكر عليكم أنكم تجعلون لله ابنا وأن المسيح ابن الله وأنه الأزلي خالق الخلائق، وتجعلونه مساويا لله في الطبيعة والجوهر والقدرة، وهو إنسان وُلِد من امرأة، ومَثَله مَثَل آدم، قال له الله: كن، فكان.

قال الراهب: هل أنت يا أبا سلامة مصدّق كل ما ذكره نبيك في القرآن؟

قال المسلم: نعم أنا مصدّق جميع ما في القرآن لأنه منزل من الله على نبيه المصطفى محمد.

قال الراهب: أفليس في القرآن أن المسيح روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم؟

قال المسلم: نعم، كذلك هو.

قال الراهب: فإذا لله روح وكلمة؟

قال المسلم: نعم.

قال الراهب: أخبرني عن روح الله وكلمته: أزليّة هي أم محدثة؟

قال المسلم: بل أزليّة غير محدثة.

قال الراهب: فهل كان الله في وقتٍ من الأوقات أصم أخرس خاليا من كلمةٍ وروحٍ؟

قال المسلم: أعوذ بالله من ذلك حيث إن الله لم يخلُ قط من كلمته وروحه.

قال الراهب: وكلمة الله خالقة أم مخلوقة؟

قال المسلم: ما أشك في أنها خالقة .

قال الراهب: أفما تعبد أنت الله؟

قال المسلم: نعم .

قال الراهب: فهل عبادتك لله مع كلمته وروحه أم لا .

قال المسلم: أعبد الله وروحه وكلمته .

قال الراهب: قل الآن: أومن بالله وروحه وكلمته .

قال المسلم: آمنت بالله وروحه وكلمته ، ولكني لا أجعلهم ثلاثة آلهة بل إله واحد .

قال الراهب: فهذا الرأي هو رأيي واعتقادي واعتقاد كل نصراني . وإلى هذا كان قصدي بأن أقودك إليه لتعرف الثالوث: الآب الذي هو الله ، والابن الذي هو كلمته ، وروحهما القدوس .

وكان الأمير متكئا فاستوى جالسا ورفع عن حاجبيه شربوشه ، وصفّق وكبّر ، وقال ضاحكا: وحق عليٌ يا أبا سلامة لقد نصّرك الراهب وأدخلك في دينه" .

ومرة أخرى نجد أنفسنا وجها لوجه مع الخبث والتفاهة والتهافت ، فالقرآن لا يقول عن عيسى عليه السلام إنه روح الله ، بل "روح منه" ، وهو في هذا لا يتميز على أى إنسان كائنا من كان ، إذ ما من أحد من بنى آدم جميعا إلا وفيه من روح الله . قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ

وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ [السجدة: ٩ - ٩]. فالله، كما تقول الآية الأخيرة، قد نفخ فى البشر من روحه سبحانه، وهذا هو نفسه الوضع فى حالة عيسى عليه السلام، فهو إذن كسائر البشر: كلاهما مخلوق. أما أنه عليه السلام كلمة الله فالمقصود كلمة "كن" فيكون، وهذا هو نفسه الوضع فى حالة آدم أيضا: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾ [آل عمران: ٥٩]. وطبعا ليس المقصود أنه هو الكلمة ذاتها، بل العبارة هنا على المجاز، إذ ليس عيسى ولا أى مخلوق آخر غير عيسى هو الكلمة نفسها، بل ما أحدثته الكلمة فى عالم الوجود، وذلك كما يقول الواحد منا لغيره: "أنا ذراعك اليمنى"، ولا يمكن أن يقصد أنه ذراعه فعلا، بل المقصود أن بإمكانه الاعتماد عليه مثلما يعتمد على ذراعه. ومثل ذلك ما قاله ابن منظور صاحب "لسان العرب" فى مادة "يمن"، ونصه: "وفي الحديث: الحَجرُ الأَسودُ يَمينُ الله في الأَرض. قال ابن الأَثير: هذا كلام تمثيل وتخييل، وأَصله أَن الملك إِذا صافح رجلاً قَبَّلَ الرجلُ يده، فكأَنَّ الحجر الأَسود لله بمنزلة اليمين للمَلِك حيث يُسْتلَم ويُلْثَم". وعليه فلا تميز لعيسى فى هذا، اللهم إلا أن ولادته قد اختلفت عن ولادتنا: فنحن قد خُلِقْنا بكلمة التكوين، لكن من خلال القوانين الطبيعية للولادة، أما هو فخُلِق بكلمة التكوين مباشرة دون الخضوع لتلك القوانين كاملة، إذ لم يكن له أب، وإن كانت له أم سكن أحشاءها وبقى فيها زمنا. أما آدم فقد خُلِق دون أب أو أم، ومن هنا فإن خلقه أعجب وأبعث على الدهشة. كل ما فى الأمر أن أحدا من البشر لم يكن هناك ليدهش أو يعجب، لأننا ببساطة لم نكن قد خُلِقْنا بعد، وإلا لعبده الناس هو أيضا، والحكاية ليست ناقصة مصيبة ثانية، وإن كان العهد القديم يقول عنه رغم ذلك إنه ابن الله!

ولقد زاد القرآن هذه القضية إيضاحا وتأكيدا فى مواضع أخرى منه ولم

يتركها غامضة . قال جل شأنه: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (١٧١) لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (١٧٢) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٧٣)﴾ [النساء: ١٧١ - ١٧٣]، ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٧٢) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٤) مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٧٥) قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٧٦) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (٧٧)﴾ [المائدة: ٧٢ - ٧٧]، ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ

﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة: ١١٦ - ١١٨]، ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾﴾ [مريم: ٣٤ - ٣٥]. . . إلخ.

فكيف يزعم الأنبا المخبول بعد ذلك أن القرآن يؤله المسيح؟ أما قوله عن الأمير الأيوبى السنى: "وكان الأمير متكئا فاستوى جالسا ورفع عن حاجبيه شربوشه، وصفّق وكبّر، وقال ضاحكا: "وحقّ عليٍّ يا أبا سلامة لقد نصَرك الراهب وأدخلك في دينه"، فلا أدرى كيف يقسم سُنّيٌّ (سُنّيٌّ حطّم أبوه دولة الشيعة فى مصر والشام) بحقّ علىٍّ، وهو يمينٌ لا يقسم به سوى الشيعة، الذين بينهم وبينه هو وأبيه وأسرته كلها حتى اليوم وإلى ما بعد اليوم إلى أن تقوم القيامة ما طرق الحدّاد. وبالمثل لا أدرى كيف يُبْدِى أمير مسلم فى ذلك الوقت الذى كان للدين فيه سلطانه الهائل على القلوب، وبالذات أيام الحروب الصليبية التى كان للأيوبيين فيها القِدْح المُعَلَّى، شماتته على الملإ فى دينه ودين أمته وانحيازه لجماعة من النصارى لا قيمة لهم عنده ولا يمثلون له أى اعتبار، خارجا بذلك عن الملة!

لقد كان ذلك الأمير قوى الإيمان حريصا كل الحرص على أداء فروضه الدينية، فعلى سبيل المثال كان عزمه قد صحّ على أداء مناسك الحج فى سنة كانت هناك مشاكل سياسية بينه هو وأخيه الأفضل وبين الكامل ابن عمهما أرسل الكامل من جرائها عسكرا كثيرا ينتظرونه قبيل مكة ظنا منهم أنه ينوى الذهاب لليمن بغية أخذها لا لأداء الفريضة. ولنستمع إلى النويرى فى "نهاية الأرب" يحكى لنا القصة كلها، ووجه الشاهد فيها أنه كان قوى التدين: أولا فى خروجه للحج على ما فيه من مشقة يعرفها كل من خاض تجربته، وثانيا فى عرضه على الخصوم أن يقيدوه ويحيطوا به حتى يقضى المناسك كى يطمئنوا إلى أنه فى أيديهم لا يريد اليمن بل

الحج ، وثالثا فى حرصه على اتباع سنة النبى فى غزوة الحديبية لما عجز عن تأدية الشعيرة ، إذ ذبح أميرنا وقصّر شعره وانصرف قافلا إلى الشام ، ورفض الدخول فى معارك وإراقة دماء مع جند ابن عمه: "وفيها (أى فى السنة العاشرة بعد الخمسمائة من الهجرة) توجه الملك الظافر الخضر بن السلطان الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب من حلب لقصد الحج . فنزل بالقابون في يوم الأحد رابع شوال ، ثم انتقل إلى مسجد القدم في خامس الشهر . وكان الملك المعظم بحوران ، فوصل إلى دمشق ، وأدخله إليها وعمل له ضيافة . ثم توجه إلى الحجاز صحبة الركب الشامي ، فلما وصل إلى المدينة زار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأحرم بالحج من ذي الحُلَيْفَة . فلما انتهى إلى بدر وجد عسكر الملك الكامل قد سبقه من مصر إلى بدر خوفا منه أن يتوجه إلى اليمن ويستولى عليها . فقالوا له: ترجع! فعلم مرادهم ، فقال: إنه قد بقي بيني وبين مكة مسافة يسيرة ، وإني قد أحرمت . ووالله ما قصدي اليمن ، ولا أقصد غير الحج ، فقيِّدوني واحتاطوا بي حتى أقضي المناسك وأعود . فلم يوافقوه على ذلك ، وأعادوه إلى الشام . فصنع كما صنع النبي صلى الله عليه وسلم حين صده المشركون عن البيت: قصر وذبح ما تيسر ، وعاد إلى الشام". وكان بمستطاعه أن يهب لمحاربتهم كما قلنا آخذًا بما اقترحه عليه قواده وجنده الذين عز عليهم أن يرجع على هذا النحو المهين دون أن يحج ، إلا أنه رفض كما جاء فى "تاريخ الإسلام" للذهبى: "قال أبو شامة: وحكى لي والدي ، وكان قد حج معهم ، قال: شق على الناس ما جرى عليه ، وأراد كثير منهم أن يقاتلوا الذين صدوه عن الحج ، فنهاهم وفعل ما فعل النبي صلى الله عليه وسلم حين صُدّ عن البيت ، فقصر من شعره ، وذبح ما تيسر ، ولبس ثيابه ، ورجع وعيون الناس باكية ، ولهم ضجيج لأجله".

فهل من يتصرف مثلا على هذا النحو من الحب لدينه وتحمُّل المشاق من أجل تأدية مناسكه والحرص على اقتفاء سنة رسوله عليه السلام منذ أن خرج للحج حتى أعيق عن إتمامه يمكن اتهامه بأنه يمالئ النصرانية ضد الإسلام؟

وذكر ابن العديم في كتابه: "بغية الطلب في تاريخ حلب" أن الأمير المشمر كان عالما محدّثا، "سمع منه بعض أصحابنا شيئا يسيرا. خرّج عنه صاحبنا أبو عبد الله محمد بن يوسف البرزالي حديثا في معجم شيوخه، وروى لنا عنه أبو المحامد إسماعيل بن حامد القوصي إنشادا أخرجه عنه في معجم شيوخه. وكان يزور عمي أبا غانم، وكنت أجتمع به عنده في المسجد المعروف بنا، فلم أتحقق ما سمعته منه، فإنه كان يورد أشياء حسنة... وكان جوادا سخيا شجاعا عارفا بالتواريخ وأيام الناس، وكان من جِلّة بني الملك الناصر يوسف بن أيوب وكان يُنْبَز (أى يلقّب) بالملك المشمّر، بحيث أنه غلب على لقبه: الملك الظافر. وبلغني أنه إنما غلب عليه هذا اللقب لأن أباه قسم البلاد على أكابر إخوته، قال: أنا مشمر، فغلب عليه المشمر، وهجر ما سواه...". وفي "الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة" لابن شداد أنه بنى في أرباض حلب مسجدا. أفمثل هذا الأمير يمكن أن يوالس مع النصارى ضد الإسلام ونبيه، فضلا عن أن يفعل ذلك على مرأى ومسمع من عسكره ورجال حاشيته وضيوفه والناس جميعا؟ وأخيرا وليس آخرا ها هو ذا الراوي الكذاب الذى لا يحسن تلفيق حدوتته الساذجة يقول إن الأنبا حين سأل الأمير السؤال التالى: "إن قَدِم أحد الناس وأظهر قرآنا يخالف القرآن المعروف الآن عندكم وقال لكم: هذا القرآن المنزل على النبي، وليس هو ذاك، فهل كنتم تقبلونه؟" جاء رد الأمير صاعقا على الفور هكذا: "لا. وعليّ ما كنّا نقبله بل نحرقه ومن أتى

به". فهل من يكون رد فعله بهذا العنف على دعوى وجود قرآن غير القرآن يمكن أن يشمت بالإسلام وعلمائه الذين ينافحون عنه، ويشجع المثلثين على تثليثهم ويُسِرّ لهم بأنه معهم بقلبه لأن أمه نصرانية مثلهم؟ كما أنطقه الراوي، حين أراد أن يوهمنا باتخاذه صف الأنبا، بصيحة "الله أكبر"، وهي صيحة إسلامية خالصة لا يقولها الأمير لو كان في قلبه موالاة للنصارى. يا للكذب! يا للعار! أرأيت أيها القارئ كيف يقع هؤلاء الحمقى في شر أعمالهم؟

على أن الأمر لم ينته عند هذا الحد، إذ طفق الراهب المزعوم يحاول تفنيد ما نفهمه نحن المسلمين، ويفهمه معنا كل من لديه أدنى قدر من العقل، من نص سورة "آل عمران" الذى مر آنفا في التسوية بين آدم والمسيح. ولم لا يأخذ الراهب راحته، والملعب ملعبه، والحَكَم من طرقه، والخصم غير موجود؟ بل إن المسألة كلها ليست أكثر من حدوتة خيالية لم تقع إلا في وهم كاتبها؟ "قال الراهب: وأما قولك يا أبا سلامة أن نبيك قال: "وما مثل عيسى ابن مريم إلا مثل آدم قال له: كن، فكان" (سورة آل عمران) فقد صدق نبيك في قوله لأن كلمة الله وروحه الخالقة الأزلية غير المحدودة وغير المدركة اتخذت لها من طبيعة آدم جسما من مريم وسكن فيه واحتجب به لاهوت الكلمة لأجل السياسة والتدبير لأن الجوهر اللطيف لا يظهر إلا في جسم. وخذ المثل من جوهر النار، فإنه جوهر لطيف لا يُنْظَر ولا يُرَى إلا في مادة من المواد. ثم اعلم أن موسى النبي طلب من الله تعالى أن يبصر الله بجوهر اللاهوت، فقال له الله: ادخل في باطن الصخرة، وأنا أضع يدي في ثقب الصخرة، وأنت تبصر ما ورائي. فلما كان منه ذلك أبصر موسى ما كان وراء الجوهر الإلهي، فلمع في وجه موسى نورٌ لا يستطاع النظر إليه حتى ما كان أحد من الشعب ينظر إلى وجه موسى إلا

مات . فاحتاج إلى برقع كان يضعه على وجهه حين كان يخاطب الشعب لئلا يموت كل من ينظر إلى وجه موسى من الشعب .

قال المسلم: إذا كان اعتقادك أن روح الله وكلمته حلا في بطن مريم فقد بقي الله بغير روح ولا كلمة بعد حلولها في بطن مريم .

قال الراهب: توهّمك هذا يا أبا سلامة يليق بصبيان المكاتب وأهل القرى والمضارب لأنك تقايس الإله الجوهر اللطيف الذي لا يُحَدُّ ولا يُرَد ، ولا يحصره مكان ولا يحويه زمان ، وهو غير المتنقل ، وتتخيله محصورا ومتنقلا . أبعِدْ هذا الوهم من ظنك ، وهذا الرأي من رأيك ، ولا تتخيَّلْ روح الله وكلمته محصورة ومتنقلة .

قال المسلم: فكيف يمكنني أن أحقق أن كلمة الله وروحه بجملتها في بطن مريم ، وهي بجملتها على العرش عند الله ولا يخلو منه ولا يفارقه على حسب رأيك؟

قال الراهب: توهّمك هذا يناسب عيشتك الغليظة الرخية ومذهبك وناموسك وشريعتك لأنكم تتصورون وتنسبون الأشياء المعقولة كالأشياء المحسوسة بحسب عقولكم المكدرة من رخاوة العيشة واستعمال اللذات الجسدية ، ولكني لا أكسل عن أن أوضّح لك البيان عما سألت وآتيك بمثالات توضّح الصدق . فما قولك في الشمس؟ أليس هي في أفق السما؟

قال المسلم: نعم .

قال الراهب: أفليس تبعث شعاعها وحرارتها ونورها على الأرض كلها؟

قال المسلم: نعم .

قال الراهب: فهل نورها وحرارتها حين تبعثهما إلى الأرض يفارقها أم لا؟

قال المسلم: لا يفارقها ولا يخلو منها.

قال الراهب: كذلك كلمة الله وروحه حلت في مريم ولم تخلُ من الله الأب. ونأتيك بمثال آخر فنقول إن مولانا الأمير إذا تكلم كلمة برزت من عقله ومِنْ فيه، وصارت الكلمة في كتاب من الرَّقّ والمداد، وحصلت في جسم ثم نودي بها في العالم وصارت مسموعة عند الكل، فهل كلمة الأمير فارقت عقله وبقي فيما بعد بغير كلمة؟! أفليس الكلمة بجملتها في عقل الأمير، وهي بجملتها في الكتاب والقرطاس والمداد؟

قال المسلم: نعم".

والمجادلة كلها سفسطة فى سفسطة، فالله سبحانه مطلق لا يحده حد، فكيف يحل فى بطن مريم ويبقى هناك طوال شهور الحمل، ثم حين يولد يظل فى الأرض محصورا فى ذلك الحيز المادى المتغير من لحظة لأخرى، وهو جسد عيسى الرضيع فالطفل فالصبى فالمراهق فالشاب فالرجل، ويعتريه ما يعترى أجسادنا جميعا من الخلال أنسجة وتكوّن غيرها، وموت خلايا وحلول سواها محلها، فضلا عن الألم والضعف والصداع والحاجة إلى الطعام والشراب والرغبة فى الدخول إلى الخلاء والحركة والانتقال من مكان إلى مكان وتلقى الشتم والتكذيب... إلى آخر مظاهر المعاناة التى تحتمها مطالب العيش والتفاهم مع الآخرين، إلى حين القبض عليه كما يُقْبَض على أحقر مجرم وتعرُّضه للضرب والطعن والإهانة والسخرية والصلب والقتل، وهو يجار فى جنبات الفضاء بِنْدَائنا لعون لا يأتيه أبدا: "إلهى إلهى، لم تركتنى؟"، مقرًّا على نفسه رغم كل سفسطات الأنبا

الكذاب وأشباهه أنه ليس إلا "عبدا" ضعيفا يتجه إلى "إله" يرجوه المساعدة؟ ولقد صدق المسلم حين علق على هذه السفسطة الرقيعة قائلا: "إذا كان اعتقادك أن روح الله وكلمته حلا في بطن مريم فقد بقي الله بغير روح ولا كلمة بعد حلولها في بطن مريم". ذلك أنه متى ما جعلنا لله وجودا متحيزا بحيز المكان والزمان فلا بد أن يجرى عليه من ثم كل ما يجرى على الوجود المتحيز من الانحصار دائما فى مكان دون سائر الأمكنة، وفى زمان دون باقى الأزمان. وعلى هذا فإذا كان الله فى بطن مريم أو فى البيت أو على الصليب فلا وجود له حينئذ فى غير البطن أو البيت أو الصليب. إن المسلمين حين يقولون هذا فإنما يقولون ما يقضى به العقل والمنطق، وما سوى ذلك هو مجرد سفسطة رقيعة كما قلنا مرارا. ثم إن عالما مسلما، فضلا عن أن يكون هذا العالم من ائمة المسلمين، لا يمكن إذا أراد الردّ بالإيجاب على سؤال منفى أن يقول: "نعم" كما ادّعى كاتب الحدوتة على الشيخ، بل عليه أن يستعمل كلمة "بَلَى". فهذه علامة أخرى من العلامات المخزية التى تفضح كاتب الحدوتة وتهتك ستار كذبه وزيفه!

والغريب أن الراهب الكذاب يأبى إلا أن يَحُور إلى طبيعته المدلسة الكذابة فيتهم المسلم بأنه هو الذى يقول بتحيز الله! انظروا إلى مدى الالتواء فى تفكير هذا الكائن وسلوكه: "توهّمك هذا يا أبا سلامة يليق بصبيان المكاتب وأهل القرى والمضارب لأنك تقايس الإله الجوهر اللطيف الذي لا يُحَدُّ ولا يُرَدّ، ولا يحصره مكان ولا يحويه زمان، وهو غير المتنقل، وتتخيله محصورا ومتنقلا"، وإلا فإذا كان الله جوهرا لطيفا لا يُحَدّ، فكيف يريد الأنبا الرقيع حَصْره فى بطن مريم وغيره من الأماكن التى كان يحل فيها عيسى عليه السلام أو يتنقل بينها؟ وهو يتطاول على المسلمين، قائلا إنهم حسيون متبلدو المشاعر والفهم لانشغالهم باللذائذ

المادية ، وكأنه هو وأمثاله يعيشون على نور الشمس ونسمات الهواء فلا يأكلون ولا يشربون ولا يلبسون ولا ينامون؟

أما قول الراهب إن "كلمة الله وروحه الخالقة الأزلية غير المحدودة وغير المدركة اتخذت لها من طبيعة آدم جسما من مريم وسكن فيه واحتجب به لاهوت الكلمة لأجل السياسة والتدبير لأن الجوهر اللطيف لا يظهر إلا في جسم"، فليس له من معنى سوى أنه سبحانه لم يكن يدبّر أو يسوس قبل زمن عيسى ولا بعد انتقاله عن دنيانا . ألم يقل إن الجوهر الإلهي اللطيف إنما سكن جسد عيسى كي يتم التدبير والسياسة؟ إذن فنحن الآن بلا سياسة ولا تدبير إلهيين! ولا يكتفي الأحمق بما مضى ، بل يأبى إلا ان يسقط سقطة قاتلة أخرى حين يقول: "ولما كنا ذوي أجسام وجب عند حكمته أن يخاطبنا بجسم لأن اللاهوت عادم الجسم ، كما إن جوهر النار لا يُعْلَنُ ولا ينتفع الناس منه إن لم يظهر في مادة من المواد". وسؤالنا هنا هو: وكيف كان الله يخاطب البشر منذ بدء الخليقة؟ ألم يكن يرسل لهم أنبياء ورسلا ، أم كان يتجسد بنفسه في هؤلاء الأنبياء والرسل؟ إن قال بالأولى فعيسى مجرد نبي ورسول مثل سائر الأنبياء والمرسلين ، وإن قال بالثانية فجميع الأنبياء والرسل إذن آلهة أو أبناء آلهة . وفي الحالتين لا فرق بين عيسى وسواه!

ولا يكتفي الأنبا المزيف بهذا ، بل يلجأ إلى مثال النار التالي ليقنع المسلم بسخف ما يقول: "فما قولك في الشمس؟ أليس هي في أفق السما؟

قال المسلم: نعم .

قال الراهب: أفليس تبعث شعاعها وحرارتها ونورها على الأرض كلها؟

قال المسلم: نعم .

قال الراهب: فهل نورها وحرارتها يفارقها حين تبعثهما إلى الأرض أم لا؟

قال المسلم: لا يفارقها ولا يخلو منها .

قال الراهب: كذلك كلمة الله وروحه حلت في مريم ولم تَخْلُ من الله الآب".

وهذا المثال مما يجرى على ألسنة النصارى للتدليل على صحة تثليثهم ، مع أن هناك فارقا جذريا بين النار وبين الله: فالنار كيان مادى ، أىْ مُرَكَّبٌ من عناصر متعددة كانت متفرقة قبل ذلك ثم تجمعت وأصبحت نارا ، وسوف تتفرق بعد ذلك كرة أخرى . . . وهكذا دواليك . فهل الله هكذا؟ وهل الله كالنار متحيز فى مكان وزمان معينين؟ ثم إن النار باستمرار صدور أشعتها منها تفنى ، وبعد قليل لا تعود هناك نار . بل إن الشمس وسائر النجوم ، وهى كرات نارية هائلة الحجم إلى درجة رهيبة ، لها عمرٌ مقدَّر سوف تبلغ تمامه يوما ولا تعود ثمة شمس ولا نجوم . كذلك فإن أشعة النار والشمس ليست هى النار أو الشمس كلها ، بل جزءا منها فقط ، وهو عندما يغادرها لا يعود جزءا منها بل ينفصل عنها ، فما علاقة ذلك بروح الله التى تفارقه ولا تفارقه؟ ثم إن حرارة الشمس تضعف كلما ابتعدنا عنها ، فهل روح الله تضعف على هذا النحو أيضا؟ كما أن وصول الأشعة والنور من الشمس إلينا يستغرق وقتا ، فهل يجوز أن نقول ذلك عن روح الله؟ كذلك فإن أشعة الشمس ونورها لا يصلان إلى كل مكان ، فهل نقول عن روح الله ما نقوله عنهما ونفسر فى ضوء ذلك أن عيسى بن مريم عليه السلام كان ، فى الوقت الذى يوجد فيه فى مكان معين ، يكون غائبا

عن بقية الأماكن؟ يمينا بالله إن هؤلاء لحمقى أغبياء!

ومرة أخرى يسقط المنافق المدلس سقطة قاتلة، إذ يتحذلق قائلا: "ونأتيك بمثال آخر فنقول إن مولانا الأمير إذا تكلم كلمة برزت من عقله وبيَّنْ فيه وصارت الكلمة في كتاب من الرَّقّ والمداد وحصلت في جسم ثم نودي بها في العالم وصارت مسموعة عند الكل، فهل كلمة الأمير فارقت عقله وبقي فيما بعد بغير كلمة؟ أفليس الكلمة بجملتها في عقل الأمير، وهي بجملتها في الكتاب والقرطاس والمداد؟". ومرة أخرى نجده يلجأ إلى أسلوب التفكير العامى الذى لا يصلح فى مخاطبة العقل والمنطق، فالكلام المقيَّد فى الكراس ليس هو الفكرة التى فى عقل الأمير، بل هو مجرد رمز لها وصورة منها، والصورة غير الأصل كما هو معروف. ولا شك أن لكل من الأصل والصورة كيانه ووجوده المستقل، فالفكرة فى عقل الأمير مثلا لا تبقى كما هى بل تتطور، أما فى الكراس فستبقى كما هى برمزها الأول لا يعتريها تطور، كما أن فكرة الأمير حين تنتقل إلى عقل شخص آخر تمتزج به وتصبح عنصرا من عناصر فكره، فهل نقول هذا عن الله وروح الله؟ وبالمثل إذا أراد الأمير أن يستعيد فكرته كما انبثقت فى ذهنه لأول مرة بالضبط فلن يستطيع ذلك أبدا، بخلاف رمزها الكتابى فى الكراس. كما أن الأمير عندما يموت تنتهى معه الفكرة التى كانت فى ذهنه، على حين يبقى رمزها الكتابى الذى فى الكراس، أو قد يحترق الكراس وتبقى الفكرة الذهنية فى رأس صاحبها، ولكن بعد اعتراء التطور لها حسبما وضحنا، أو قد يموت الأمير ويحترق الكراس جميعا: إما فى نفس الوقت، أو فى وقتين مختلفين، مع تقدم هذا على ذاك، أو ذاك على هذا. ثم قبل ذلك كله ينبغى ألا يفوتنا ما قلناه عند حديثنا عن النار، وهو أن الفكرة التى فى ذهن الأمير (بل كل الأفكار التى فى ذهن الأمير والخفير

والشريف والحقير) لم تكن هناك من قبل ثم كانت، وهي تلين في وجدانها لما قرأه الأمير أو الحقير أو سمعه أو شعر به أو فكر فيه من قبل، فهل روح الله هكذا؟

ولا يتوقف الراهب الضلالي عن الكذب، وهذا أمر طبيعي، إذ قد أصبح الكذب يجرى في دمه هو وأمثاله بحيث إذا توقف عنه مات كما يقع للسمكة إذا بقيت خارج الماء. ومن هنا نجده يكذب على القرآن والإسلام زاعما أنه يشهد لكتابهم وعقيدتهم بالصدق. ونسى الكذاب القرارى أنه لو صح ذلك فلماذا يشتم هو ومن على شاكلته المسلمين ويهاجم الرسول؟ ولنقرأ ما قاله ذلك المأفون: "قال المسلم: ومَنِ الشاهدُ لك بصحة دينك؟

قال الراهب: أنت ونبيك وكتابك.

قال المسلم: فما بيان ذلك؟

قال الراهب: أليس يقول كتابك في سورة "آل عمران" إن "من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله في الليل والنهار ويؤمنون بالله واليوم الأخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. أولئك هم الصالحون بأعمالهم، ونورهم يعلو كل نور"؟ ويقول أيضا فيها: "إنا أنزلنا القرآن نورا وهدى مصدقا لما بين يديه من التوراة والإنجيل". ويقول: "آمنا بالذي أنزل عليكم وعلينا، وإلهنا وإلهكم إله واحد" (سورة العنكبوت). ويقول: "لتجدنّ أقرب الناس إلينا مودة الذين قالوا إنا نصارى، وذلك أن فيهم قسيين ورهبانا، وإنهم لا يستكبرون، وهم أمّة من الصالحين يتلون آيات الله ويهدّون بالحق" (سورة آل عمران). ويقول في سورة آل عمران: "المسيح كلمة الله وروحه ألقاها إلى مريم". ويقول أيضا: "يا عيسى ابن مريم، إني متوفيك ورافعك إليّ ومطهّرك من الذين كفروا وجاعل الذين

آمنوا بك فوق الذين كفروا بك، وأنت ديان العالمين*(سورة آل عمران). أليس نبيك وكتابك يشهدان لنا بهذه الشهادات وأكثر منها، وأن المسيح له في السماء الفضل على سائر الأنبياء، وأنت تتقح ولا تصدّق نبيك وكتابك؟ أفما تعلم أنك إذا لم تصدّق الإنجيل فقد كذّبت نبيّك وكتابك فما تكون فيما بعد لا مسلما ولا نصرانيا؟

قال المسلم: أنا مصدّق القرآن لأنه منزل من السماء، وأصدّق جميع ما كُتِب فيه عن عيسى.

قال الراهب: لو صدّقتَ القرآن لصدّقت الإنجيل*.

والحق أنه لو لم يكن في الحدوتة البلهاء التي بين أيدينا سوى هذه الأخطاء في تلاوة الآيات القرآنية وفي نسبتها إلى غير سُوَرها لكان هذا كافيا وفوق الكافي في الإيقان بأن هذا الكلام كله مزيف مصنوع وأنه لم تكن هناك مجادلة بين الأنبا المدلس وأولئك الشيوخ الخياليين، إذ ليس من المعقول أن يسمع عالم مسلم أخطاء فاحشة مثل هذه في تلاوة القرآن وفي نسبة الآيات إلى غير سورها ويسكت، فضلا عن أن يوافق المخطئ ويعلن موافقته له إعلانا. كما أن ملوك بني أيوب وأمراءهم كانوا أصحاب ثقافة أدبية ودينية رفيعة، بل كان منهم الأدباء والعلماء كما قلنا.. ومن ثم فليس من المعقول أبدا أن يخطئ المأفون كل هذه الأخطاء دون أن يصكه الأمير الأيوبي في فمه بالنعل التي في قدمه، بَلْهَ أن يرافقه على سخريته بالشيوخ المسلمين ودينهم. ومن يفتح المصحف ويقارن بين ما قاله الأنبا وما يقوله المصحف لأدرك مقدار تحريف العلج الوقح للآيات القرآنية الكريمة التي استشهد بها وعيث بمعناها ليصل منها إلى تقويل القرآن ما ليس فيه بُغْيَةَ إيهام القراء أن الكتاب العزيز يشهد للنصرانية الحالية وأناجيلها بالصحة والاستقامة، وهيهات. وهذا صنيع المبطلين المنافقين لا

صنيع الذين يحرصون على إصابة الحق والتزامه، وهو ما يدل على أنهم يعرفون من أنفسهم الضلال والانحراف، ولكنهم يكذبون!

والآن سوف نقوم بالمقابلة بين ما أورده المدلس من آيات محرفة وبين هذه الآيات نفسها كما وردت في القرآن، فهو يقول مثلا: "المسيح كلمة الله وروحه ألقاها إلى مريم"، يريد بذلك أن يمرر عقيدته الوثنية في أن المسيح هو الله نفسه أو ابنه، وصوابها في سياقها الكامل هو: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٧٣﴾﴾ [النساء: ١٧١ - ١٧٣]، ففي القرآن أنه المسيح عيسى بن مريم، وأنه كلمة الله وروح منه، وعند الأنبا المفضوح هو "المسيح كلمة الله وروحه" بحذف بنوته لمريم وجعْله "روح الله" نفسه لا روحا من الله، وهو فرق رهيب.

وفي آية أخرى نراه يقول: "إنا أنزلنا القرآن نورا وهدى مصدقا لما بين يديه من التوراة والإنجيل"، على حين أنها في الأصل: ﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَ﴾ [آل عمران: ٣ - ٤]. ومن نفس السورة نراه يورد الآية رقم ١١٤ على النحو التالي: "من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله في الليل والنهار ويؤمنون بالله واليوم الأخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. أولئك هم

الصالحون بأعمالهم، ونورهم يعلو كل نور"، مضيفا إليها ما ليس منها، وحاذفا منها ما هو أصيل فيها، وهذا نصها الصحيح: ﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [آل عمران: ١١٣ - ١١٥]. وهى ليست فى النصارى كما يريد اللئيم أن يلوى عنقها، بل فى من أسلم من أهل الكتاب ولم يَبْقَوْا على دينهم، فآيات الله هنا هى آيات القرآن الكريم، والسجود هو سجود المسلمين، إذ لا يصف القرآن بالإيمان بالله واليوم الآخر أبدا بعد مجىء النبى محمد بدعوته إلا من آمن به وصدّق بالقرآن كما توضح الآيتان ١٠٥- ١٥١ من سورة "النساء" والآية ٩٢ من سورة "الأنعام" والآيات ١٥٦- ١٥٨ من سورة "الأعراف" وغيرها.

وبالمثل فالذين قالوا إنا نصارى فى الآية التالية ليسوا هم النصارى بوجه عام بل فريق بعينه منهم جاء إلى المدينة للقاء الرسول عليه السلام، وقد فتح قلبه وعقله لدعوة الحق، فلما سمعوا القرآن منه صلى الله عليه وسلم بكَوْا وخشعوا وسارعوا إلى الدخول فى الدين الجديد كما هو جَلِىٌّ بيِّنٌ لمن فى عقله أدنى مقدار من الفهم: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ

لْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ ﴾ [المائدة: ٨٢ - ٨٦]، أما هو فقد أوردها على النحو التالى، وقصْده أن يقول إن القرآن يثنى على النصارى المثلثين: "لتجدنّ أقرب الناس إلينا مودةً الذين قالوا إنا نصارى، وذلك أن فيهم قسيسين ورهبانا، وإنهم لا يستكبرون. وهم أمّة من الصالحين يتلون آيات الله ويهدّون بالحق". وبالمناسبة فقد قال إن هذه الآية هى من آيات سورة "آل عمران"، على حين أنها من "المائدة". أما الآية التالية فالهدف الخبيث الذى يتوخاه الكذاب واضح لا يحتاج إلى شرح، فهو يقول فى الآية رقم ٥٥ من سورة "آل عمران": "يا عيسى ابن مريم إني متوفيك ورافعك إليّ ومطهّرك من الذين كفروا وجاعل الذين آمنوا بك فوق الذين كفروا بك، وأنت ديان العالمين"، فى حين أنها فى الحقيقة تجرى على النحو التالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [آل عمران: ٥٥ - ٦٤]. والفرق بين القراءتين هو الفرق بين الكفر والإيمان، فالمسيح فى الآية الصحيحة لا يعدو أن يكون عبدا لله لا يملك

من الأمر شيئا ، أما فى الآية المحرفة فهو " ديان العالمين " ، والديونة هى من صلاحيات الله سبحانه وحده لا يشاركه فيها أحد . وأخيرا فقوله تعالى فى آخر الآية التالية من سورة " العنكبوت ": ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [العنكبوت: ٤٦] معناه أنه ليس هناك إله إلا الله: فلا المسيح إله ، ولا روح القدس إله ، ومن ثم فلا أقانيم ولا تثليث ، على عكس ما يريد كاتب الحدوتة أن يوقع فى رُوع القراء من أن القرآن يشهد بأن الإله ذا الأقانيم الثلاثة الذى يؤمن به النصارى هو الإله الذى ينبغى أن يؤمن به المسلمون أيضا . وشتان هذا وذاك!

إلهنا الذى نؤمن نحن المسلمين به ولا نعرف إلها غيره واحد أحد ، فرد صمد ، لم يلد ولم يولَد ولم يكن له كفوا أحد . إلهنا لم يتجسد ولم يُصْلَب ولم يُقْتل ولم يُدْفَن ولا يأكل أو يشرب ، ولم تكن له صاحبة أو ولد ، وخلق كل شىء فقدّره تقديرا . ومع هذا فكل إنسان وما يعتقد ، والمهم ألا يتجاوز أحد حدوده ويتواقح على ديننا ويشتم ربنا ونبينا ويدّعى الكذب ويؤلف الحكايات المسيئة المتخلفة ، فإن فعل فليس أمامنا إلا الرد بحزم . أما قول الأنبا المزعوم: " أليس نبيك وكتابك يشهدان لنا بهذه الشهادات وأكثر منها وأن المسيح له في السماء الفضل على سائر الأنبياء وأنت تتقح ولا تصدّق نبيك وكتابك؟ أفما تعلم أنك إذا لم تصدّق الإنجيل فقد كذّبت نبيّك وكتابك فما تكون فيما بعد لا مسلما ولا نصرانيا؟ " فجوابه هو أننا نؤمن بعيسى بن مريم عبدا لله ونبيا من أنبيائه كما ورد فى القرآن ، ولا نزيد عن ذلك شعرة لأن ما يقوله الأنبا لا وجود له فى القرآن ، بل فى الآيات التى حرّفها على عادة قومه فى العبث بالنصوص السماوية . أما أن يحاول كاتب الحدوتة خداع الناس بالقول بأن القرآن الكريم يشهد لعيسى عليه السلام

بما يعتقده النصارى المثلثون فيه فهو تزييف وتدليس حقير. ولو كان هذا صحيحا فلماذا يا ترى يتطاول الأنبا الحقير على النبى محمد عليه الصلاة والسلام؟ لكن لأنه يكذب نراه يتناقض، وهذا شأن اللص حين يُضبَط متلبسا بجريمته، فهو يدافع عن نفسه بكلام لا منطق فيه، ويتخبط فى هذا الدفاع بكلمة من الشرق وكلمة من الغرب.

ومرة أخرى يعود كاتب الحدوتة إلى الزعم بأنه "لما كنا ذوي أجسام وجب عند حكمته أن يخاطبنا بجسم لأن اللاهوت عادم الجسم كما إن جوهر النار لا يُعْلَنُ ولا ينتفع الناس منه إن لم يظهر في مادة من المواد. فأرسل الله ابنه وحبيبه الذي هو كلمته وروحه إلى مريم العذراء حسبما يشهد بذلك نبيك وكتابك بقوله: "ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا" (سورة التحريم). ويقول أيضا إن الله اصطفى كلمته وروحه الخالقة الأزلية وحلّت في بطن مريم، ومع حلولها اتخذت جسما من طبيعة آدم بريئا من الخطية وكونته كما شاءت. واحتجبت الكلمة والروح اللطيف بذلك الجسم واتحدت به، ولم يتقدم الجسم قبل حلول الكلمة والروح بل مع حلول كلمة وروح الله الخالقة تكوّن الجسم. ومثال ذلك بكون الضو مع البرق وظهور الضو مع حضور النار. واتحد اللاهوت بالناسوت المأخوذ من طبيعة آدم اتحادا بلا اختلاط لأن الطبيعة الإلهية لم تنتقل إلى طبيعة الجسم الآدمي، ولا طبيعة الجسم الآدمي انتقلت إلى طبيعة اللاهوت، بل صار كل منهما مالكا خاصته وطبيعته. مثال ذلك أنك إذا أخذت سيفا أو سكينا وأحميتهما بالنار حميا بليغا صار ذلك السيف أو السكين يفعل فعل الحديد وفعل النار فيقطع ويحرق، ولم تنتقل طبيعة الحديد إلى طبيعة النار. كذلك الجسد المأخوذ من طبيعة آدم صار يفعل فعل اللاهوت باتحاده باللاهوت. وبيان ذلك أن المسيح أقام الموتى وشفى

البُرْص والمرضى وفتح عيون العميان بوضع يده. وبتوسُّط ذلك الجسم المقدس نحن نسجد لإله متأنس. فإن عزلتَ بوهمٍ ذلك الجسم عن كلمة الله وروحه فإنه غير مسجود ولا معبود. ولكنّا نعتقد أن الواحد إله، والآخر تألّه بحلول الإله فيه. فإذا أخذتَ خمس حبّات مسك ثم وضعتها في خزانة وأدخلتها في منديل ألا تحصل رائحة المسك في الخزانة والمنديل؟

قال المسلم: نعم

قال الراهب: فإذا كان المسك الذي هو مادة من المواد المخلوقة يملك هذه القوة والفعل، فكم تقدر كلمة الله روحه الخالقة الأزلية إذا اصطفتْ لها مسكنا وحلّت فيه لأجل قصدٍ اعتمدته من السياسة والتدبير؟".

وقد سبق أن رددنا على حكاية الضرورة التى توجب إرسال جسم إلى البشر حتى يفهموا، ومع ذلك فلا بأس أن نعيد هنا ما قلناه قبلا من أن الرسل ذوو أجسام مثل سائر البشر، ومن ثم كانت فيهم الكفاية لتأدية المهمة التى يتحدث عنها الأنبا، ولا حاجة إلى تجسد الله، وإلا فما القول فى الرسل السابقين؟ أكانوا آلهة متجسدين؟ إذن فالمسيح لا يتفرد بهذه الميزة؟ أم أدَّوُا المهمة رغم أنهم كانوا بشرا؟ إذن فالمسيح مثلهم، قام بنفس المهمة التى قاموا بها، ولا معنى للزعم بأنه من طبيعة إلهية نزولا على حكم الضرورة التى يدلس بها الأنبا الدجال لأنه لا ضرورة هناك كما هو واضح. أما قوله: "أرسل الله ابنه وحبيبه الذي هو كلمته وروحه إلى مريم العذراء حسبما يشهد بذلك نبيك وكتابك بقوله: "ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا" (سورة التحريم). ويقول أيضا إن الله اصطفى كلمته وروحه الخالقة الأزلية وحلت في بطن مريم، ومع حلولها اتخذت جسما من طبيعة آدم بريئا من الخطية وكونته كما شاءت. واحتجبت الكلمة والروح اللطيف بذلك الجسم واتحدت به، ولم يتقدم

الجسم قبل حلول الكلمة والروح، بل مع حلول كلمة وروح الله الخالقة تكوَّن الجسم"، فهو كذب مثلث لأنه لا وجود لهذا الذى يقول فى أى موضع من القرآن، وإلا فليدلنا هذا الكذاب الذى لن يكسِّبه ربنا أبدا على الآيات القرآنية التى تقول إن الله أرسل ابنه وحبيبه الذى هو كلمته وروحه... إلى آخر هذا الكلام الذى نَعُدّه كفرا وشركا يُرْدِى فى جهنم. لقد نفى القرآن نفيا مطلقا أن يكون عيسى بن مريم ابنا له سبحانه قائلا إن السماوات يكدن أن يتفطرن وتنشقّ الأرض وتخرّ الجبال هَدًّا أنْ دعا الكفار لله ولدا، إذ لا ينبغى أن يتخذ الله ولدا، بل كل من فى السماوات والأرض بما فيهم عيسى بن مريم سوف يأتى الله يوم القيامة عبدا، ولسوف يسأل الله عيسى بن مريم ساعتئذ: "أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله؟"، ولسوف يرد عليه فى منتهى الخشوع والعبودية: "سبحانك! ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق. إن كنتُ قلتُه فقد علِمْتَه. تَعْلَم ما فى نفسى ولا أَعْلَم ما فى نفسك. إنك أنت علام الغيوب* ما قلتُ لهم إلا ما أمرتنى به أنِ اعبدوا الله ربى وربكم". كذلك لم يقل القرآن قط إن عيسى بن مريم "روح الله"، بل قال: "روح منه"، مثلما قال أيضا عن آدم: "ونفخ فيه من روحه". فهذا هو الذى يقوله القرآن، بخلاف ما يقوله الأنبا الكذاب، الذى ليس له من مكان يليق به إلا المراحيض!

أما كيف تكون الطبيعتان الإلهية والبشرية للسيد المسيح متحدتين دون أن تختلطا فهذا ما أتركه لذهن الأنبا الغبى، أما نحن فنربأ بأذهاننا أن تؤمن بهذا. اتحاد ولا اختلاط؟ الحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أنه لا اتحاد هنا ولا اختلاط على أى وضع من الأوضاع، تعالى الله عن ذلك، ونستغفره سبحانه عن كتابة هذا الكلام رغم أننا لا نؤمن به ولا

نتصوره مجرد تصور ولا ندرى كيف يكون . إن الاتحاد معناه أن الطبيعتين أصبحتا شيئا واحدا: فإما أن تكونا قد أصبحتا كلتاهما إلهية ، وإما أن تكونا قد أصبحتا كلتاهما بشرية ، وإما أن تكونا قد تقابلتا فى منتصف الطريق على طريقة الحل الوسط وأصبحتا شيئا ثالثا لا هو إلهى خالص ولا هو بشرى محض . ولْيَحُلّ لنا هذا المأفون هذه المعضلة . ولقد أتى الأنبا بعد كل الذى قال فزعم أنهم حين يسجدون لعيسى إنما يسجدون "لإله متأنس"! إذن فقد تأنس الإله ، أى تحولت طبيعته من الإلهية الخالصة إلى الإلهية المتأنسة ، ولَمْ نَعُدْ أمام إلهٍ صافى الألوهية ، بل إله "نصف نصف"! لكن الأنبا الملتاث يعود فيقول إنهم يعتقدون "أن المسيح ذو طبيعتين: طبيعة إلهية وطبيعة إنسانية تسجد لهما مع استقرار ونفوذ إحداهما في الأخرى بغير اختلاط ولا انفصال"، وكأنك يا أبا زيد لا رحت ولا جيت!

ثم هذا الإنسان الذى تألم على الصليب وأهين وقُتِل ، ما ذنبه مادام غير إلهى؟ إن الذى شعر بالألم هو هذا الآدمى لا الله . أليس كذلك؟ فأين الرحمة الإلهية فى عملية الصلب إذن إذا كان الله قد أراد أن يخلص البشر من خطيئتهم الأولى من خلال تحمّله هو نفسه لها دونهم ثم غافلهم فأحضر بشرا مثلهم تعذب نيابة عنهم؟ لقد وَعَد أن يَحْمِل عن البشر جميعا خطيئتهم ثم سهّاهم وحمّلها واحدًا منهم . أى أنه حمّل خطيئة البشرية واحدا فقط من البشرية وترك الباقين ، وبهذا يكون قد كذب فيما قاله ، وعجز عن الوفاء بما وعد ، وظلم المسكينَ الذى كُتِب عليه الصلب والضرب والشتم والإهانة والصفع والطعن وحده دون باقى البشر .

وعندما ينكر الشيخ ، على الراهب البكاش تسمية النصارى للمسيح: "ابن الله" يرد عليه الأنبا الكذاب الذى لا يعرف شيئا اسمه الحياء قائلا إن محمدا "قد قال في قرآنك: "إن الله لو أراد أن يتخذ له ولدا لاصطفاه من

ولد آدم" (سورة الزمر)، أفتنكر أن الله اصطفى كلمته وروحه وسماها ولدا له؟ وإنما نبيك محمد، لما عرف من غلظ فهمك وكثافة عقلك لئلا تتصور في الله ولادة جسمية، قال لك: "قل: هو الله أحد. الله الصمد. لم يلد ولم يولد"...". فانظر مدى الوقاحة التى يتمتع بها كاتب هذا الهراء، إذ لا يبالى أن يكتشف المسلمون كذبه وتضليله وتدجيله، فتراه يمضى ساخرا متهكما وكأنه صاحب حق. ثم إنه بعد ذلك يريد أن يوهمنا أن التوحيد غلط فى الطباع، أما التثليث والتجسيد وعبادة البشر فهو الدليل الذى لا يُرَدّ ولا يُصَدّ على أن صاحبه عبقرى عميق الفهم رقيق العقل. هذا، وصواب الآية الكريمة هو: ﴿ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾ [الزمر: ٤]. فأين زعمه أن الله لو أراد أن يتخذ له ولدا لاصطفاه من ولد آدم؟ وعلى أية حال فوجود حرف "لو" فى الجملة معناه أنه سبحانه لم يُرِدْ، ومن ثم لم يتخذ ولدا، وهذا الحرف يسمَّى: "حرف الامتناع للامتناع". أى أن اتخاذه سبحانه الولد امتنع فلم يقع لأن مشيئته لذلك امتنعت بدورها فلم تتم. كما أن قوله عقب ذلك: "سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ" هو تأكيد آخر على أنه سبحانه وتعالى واحد أحد لا اثنان ولا ثلاثة بأية صورة من الصور!

ولا تتوقف وقاحة راوى الحدوتة عند هذا الحد، بل يستمر فى الغرور والنرجسية زاعما أنه صياد ماهر لا يستطيع الظبىُ (الذى هو الشيخ) إلا أن يقع فى يده ويستسلم للذبح والسلخ والطبخ. يقول الشيخ: "إنه يصيدني بأقواله، ويجادلني من قرآني كأنه صياد يحاول الظبي ويأخذ عليه الدروب ومخارج السبل، فلا شكّ أن له تابعا من الجنّ". وينتشى الراهب فيمضى فى الغرور والنرجسية قائلا: "ولهذا تعبت في إطالة الشرح لكي أصيدك وأدنيك مني وأوقفك على ما أنا عليه لتعرف الصدق والحق

وتختاره طائعا". ما كل هذا التواضع يا مولانا؟ ثم يستمر فى الوقاحة والكذب فيقول للشيخ إن "كتابك ونبيك يشهدان لديني بالحق اليقين بقوله: إن الله حقق الحق بكلمته وروحه". يا للوقاحة والكذب! ترى أين فى القرآن، أو حتى فى السُّنّة، هذا الذى يقول؟ ألم يقرأ قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [المائدة: ١٧]؟ إن هذه الآية وحدها لكفيلة بإخراس ذلك المدلس! وإذا كان الرسول محمد عليه وعلى أخيه عيسى الصلاة والسلام يشهد لكِتاب النصارى الحالى بالحق ويوافقهم على تأليههم لعيسى، فلم لا يؤمن هذا الراهب بمحمد إذن ويكف هو وأمثاله عن التطاول عليه وعلى الكتاب الذى جاء به؟ ألا لعنة الله على كل مفترٍ كذاب!

ثم يأخذنا ملفق الحدوتة فى جولة من جولات الحكايات الشعبية المسلية فيحكى لنا قصة عن إبليس مسرفة الطول لا يهمنا منها إلا ما انتهت به من قضاء الله على قوة الشر فى العالم بمجيء المسيح (الذى هو الله عندهم) ووقوعه سبحانه فى قبضة إبليس وحبس هذا له فى هاوية الجحيم فترة من الزمن وتعذيبه وإهانته إياه، ثم مكاشفة الله له فى النهاية بحقيقته الإلهية التى كان يجهلها اللعين وحُكْمه سبحانه عليه بالبقاء فى الجحيم أبد الآبدين قائلا: "أنا لا أحكم عليك إلا بما حكمتَ عليّ؛ لأنّ ظلمك يعود إلى رأسك، وجَوْرَك يرجع إليك، وتكون في هذه الهاوية دائما مؤبدا مغلولا بتلك الرباطات. ومع كلام الملك حصل القول في ذلك المارد فعلا، وأمر الملك بخراب ذلك السجن وبإطلاق من فيه وأن يُدْرَس درسا كليًا، وعاد الملك إلى قصره قاهرا ظافرا". الله أكبر! لم يبق إلا أن يُحْبَس الإله ويصفَّد

فى الأغلال فى قعر الجحيم! أى إله هذا يا ترى؟ كذلك فمعنى أن الله عاد فى النهاية إلى قصره قاهرا ظافرا أنه قبل ذلك لم يكن قاهرا ولا ظافرا، وهذا أمر طبيعى حسب عقيدة الأنبا المأفون، فقد حبس الشيطان الله كما رأينا فى الهاوية وقيّده وعذّبه. أستغفر الله العظيم من كل كفر عظيم! ومعنى هذا أيضا أن إبليس قد اندحر منذ ذلك التاريخ اندحارا نهائيا، وهو ما تكذبه حقائق الحياة، وإلا فما معنى أن الأديان الأخرى غير النصرانية لا تزال موجودة؟ أليست هذه الأديان فى اعتقادهم من صنع الشيطان؟ والنصارى أنفسهم، أوقد أصبحوا ملائكة طُوبَاوِيّين لا يخطئون ولا يكذبون ولا يسرقون ولا ينمّون ولا يغتابون ولا ينافقون ولا يزنون ولا يشربون الخمر ولا يتظالمون أو يتحاقدون؟

أما فى القرآن فقد طلب الشيطان فى بدء الخليقة من ربه أن يمهله إلى يوم البعث، فوعده الله بذلك. أى أن الشيطان لم تتم هزيمته النهائية بعد كما يزعم الأنبا فى كلامه الطفولى، وهذا ما نلمسه فى الحياة من حولنا
لمـا . يقول سبحانه فى سورة "الحِجْر" وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن
صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾
فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ
يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ
حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾
قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ
﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ
ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ
إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ
مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الحجر: ٤٨ - ٤٨] .

ويستمر المدلس فى الكذب والجهل فيزعم أن عقيدة الصليب كانت موجودة على عهد موسى عليه السلام ، إذ شق بعصاه البحر عَرْضًا حتى عبر بنو إسرائيل ، ثم عاد بها عليه بعد ذلك طُولاً فالتأم ، فرسمت العصا بهذه الطريقة صورة الصليب ، وحصلت البركة وأنقذ الله بنى إسرائيل من الهلاك على يد فرعون ، الذى كان يطاردهم ويريد أن يفتك بهم . وبالمثل كانت هناك حيات كثيرة فى البرية بعد الخروج تلدغهم لدغا مهلكا لولا أن موسى وضع إحداها على رمحه عرضا ، بعد أن كان قد وضعها بالطول فلم تأت بنتيجة . وهذا نص كلام الكذاب: "وقد وجدنا في القديمة فعلا إلهيا رسما له من شقّ البحر بالعصا طولا ثم طَقّه بعودتها عليه عرضا (خر ٤ ، ٢١ - ٢٧) . ولما كان موسى وشعبه في البرّيّة معسكرا خرجت عليهم حيّات تلدغ الشعب لدغا مميتا فقال الله لموسى: اصنع لك حية من نحاس وارفعها على رمح عالٍ ، فإنّ كل من نظر إليها من الشعب ما يموت من نهش الحيّات ولدغها . فصنع موسى الحية ووضعها على رمح طويل فما أغنت الشعب شيئا . فقال الله لموسى ضع الحيّة عرضا . فلما وضعها عرضا وصارت برسم صليب لم يمت من الشعب أحد (عدد ٢١ ، ٦- ٩)".

والآن تعالوا إلى النصين فى الكتاب المقدس ليرى القارئ بنفسه مدى خيانة هذا الراهب وتدليسه ، ونبدأ بالنص الأول الخاص بانشقاق البحر والتئامه ، وهو موجود فى الإصحاح الرابع عشر من سفر "الخروج" لا الرابع كما جاء فى الحدوتة التافهة: "[٢١] وَمَدَّ مُوسَى يَدَهُ عَلَى الْبَحْرِ ، فَأَجْرَى الرَّبُّ الْبَحْرَ بِرِيحٍ شَرْقِيَّةٍ شَدِيدَةٍ كُلَّ اللَّيْلِ ، وَجَعَلَ الْبَحْرَ يَابِسَةً وَانْشَقَّ الْمَاءُ . [٢٢] فَدَخَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي وَسَطِ الْبَحْرِ عَلَى الْيَابِسَةِ ، وَالْمَاءُ

سُورٌ لَهُمْ عَنْ يَمِينِهِمْ وَعَنْ يَسَارِهِمْ. ٢٣وَتَبِعَهُمُ الْمِصْرِيُّونَ وَدَخَلُوا
وَرَاءَهُمْ. جَمِيعُ خَيْلِ فِرْعَوْنَ وَمَرْكَبَاتِهِ وَفُرْسَانِهِ إِلَى وَسَطِ الْبَحْرِ. ٢٤وَكَانَ
فِي هَزِيعِ الصُّبْحِ أَنَّ الرَّبَّ أَشْرَفَ عَلَى عَسْكَرِ الْمِصْرِيِّينَ فِي عَمُودِ النَّارِ
وَالسَّحَابِ، وَأَزْعَجَ عَسْكَرَ الْمِصْرِيِّينَ، ٢٥وَخَلَعَ بَكَرَ مَرْكَبَاتِهِمْ حَتَّى
سَاقُوهَا بِثَقْلَةٍ. فَقَالَ الْمِصْرِيُّونَ: «نَهْرُبُ مِنْ إِسْرَائِيلَ، لأَنَّ الرَّبَّ يُقَاتِلُ
الْمِصْرِيِّينَ عَنْهُمْ». ٢٦فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «مُدَّ يَدَكَ عَلَى الْبَحْرِ لِيَرْجِعَ
الْمَاءُ عَلَى الْمِصْرِيِّينَ، عَلَى مَرْكَبَاتِهِمْ وَفُرْسَانِهِمْ». ٢٧فَمَدَّ مُوسَى يَدَهُ
عَلَى الْبَحْرِ فَرَجَعَ الْبَحْرُ عِنْدَ إِقْبَالِ الصُّبْحِ إِلَى حَالِهِ الدَّائِمَةِ، وَالْمِصْرِيُّونَ
هَارِبُونَ إِلَى لِقَائِهِ. فَدَفَعَ الرَّبُّ الْمِصْرِيِّينَ فِي وَسَطِ الْبَحْرِ. ٢٨فَرَجَعَ الْمَاءُ
وَغَطَّى مَرْكَبَاتِ وَفُرْسَانَ جَمِيعِ جَيْشِ فِرْعَوْنَ الَّذِي دَخَلَ وَرَاءَهُمْ فِي
الْبَحْرِ. لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ وَلاَ وَاحِدٌ. ٢٩وَأَمَّا بَنُو إِسْرَائِيلَ فَمَشَوْا عَلَى الْيَابِسَةِ
فِي وَسَطِ الْبَحْرِ، وَالْمَاءُ سُورٌ لَهُمْ عَنْ يَمِينِهِمْ وَعَنْ يَسَارِهِمْ". وكما
يلاحظ القارئ بنفسه لا وجود لما افتراه الكذاب على أى نحو، فليس فى
النص ذكر لطول أو عرض. وإلى القارئ مرة أخرى ما قيل فى انشقاق
البحر والتئامه: "وَمَدَّ مُوسَى يَدَهُ عَلَى الْبَحْرِ، فَأَجْرَى الرَّبُّ الْبَحْرَ بِرِيحٍ
شَرْقِيَّةٍ شَدِيدَةٍ كُلَّ اللَّيْلِ، وَجَعَلَ الْبَحْرَ يَابِسَةً وَانْشَقَّ الْمَاءُ"، "فَمَدَّ مُوسَى
يَدَهُ عَلَى الْبَحْرِ فَرَجَعَ الْبَحْرُ عِنْدَ إِقْبَالِ الصُّبْحِ إِلَى حَالِهِ الدَّائِمَةِ".

ثم نثنى بالنص الثانى الخاص بالحيات والرمح: "٦فَأَرْسَلَ الرَّبُّ عَلَى
الشَّعْبِ الْحَيَّاتِ الْمُحْرِقَةَ، فَلَدَغَتِ الشَّعْبَ، فَمَاتَ قَوْمٌ كَثِيرُونَ مِنْ
إِسْرَائِيلَ. ٧فَأَتَى الشَّعْبُ إِلَى مُوسَى وَقَالُوا: «قَدْ أَخْطَأْنَا إِذْ تَكَلَّمْنَا عَلَى
الرَّبِّ وَعَلَيْكَ، فَصَلِّ إِلَى الرَّبِّ لِيَرْفَعَ عَنَّا الْحَيَّاتِ». فَصَلَّى مُوسَى لأَجْلِ
الشَّعْبِ. ٨فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «اصْنَعْ لَكَ حَيَّةً مُحْرِقَةً وَضَعْهَا عَلَى رَايَةٍ،
فَكُلُّ مَنْ لُدِغَ وَنَظَرَ إِلَيْهَا يَحْيَا». ٩فَصَنَعَ مُوسَى حَيَّةً مِنْ نُحَاسٍ وَوَضَعَهَا

عَلَى الرَّايَةِ ، فَكَانَ مَتَى لَدَغَتْ حَيَّةٌ إِنْسَانًا وَنَظَرَ إِلَى حَيَّةِ النُّحَاسِ يَحْيَا". هيه؟ ترى أين الطول والعرض في هذا الكلام؟ وحتى لو كان الكلام الذي زعمه هذا المدلس عن الصليب في هاتين القصتين صحيحا ، فكيف فاته أن الصليب دليل على أن من مات عليه فهو ملعون من الله كما قال الكتاب المقدس نفسه؟ جاء في سفر "التثنية" (٢١/ ٢٣): "وإذا كان على إنسان خطيَّةٌ حقُّها الموت ، فقُتِل وعلقته على خشبة ، فلا تبت جثته على الخشبة ، بل تدفنه في ذلك اليوم ، لأن المعلّق ملعون من الله". ترى هل من الممكن أن تتحول اللعنة إلى بركة؟

ونضحك كثيرا حينما نسمع الراهب يسأل الشيخ المسلم عن الدين الذي يعده حقا بين الأديان الأربعة: الإسلام أم النصرانية أم اليهودية أم الصابئة؟ فيرد الشيخ قائلا: "ما أعلم"! ترى هل هذا ممكن الحدوث ، وبخاصة بعد أن كان الشيخ لتوه ينافح عن دينه ويؤكد أنه هو وحده الدين الصحيح؟ وها هما ذان سؤال الراهب وإجابة الشيخ عليه: "قال الراهب: صدقتَ في قولك إن كلّ ذي دين يحقّق دينه ويحامي عنه . والأديان أربعة: صابئ ويهودي ومسلم ونصراني ، فأيّ منها عندك الدين الحقّ الموضوع من الله؟ قال المسلم: ما أعلم". وكان الشيخ المسلم قبل ذلك قد أكد ، كما قلت ، أن الإسلام هو ذلك الدين الحق لا سواه: "قال المسلم: السما والأرض والملائكة والناس يشهدون أن ديني وكتابي هو الحق اليقين . وإن الله تعالى أنزله على نبيه محمّد المصطفى نورا وهدى ورحمة من ربّ العالمين". كيف يكون ذلك؟ وأخيرا فليست هذه الحدوتة هي المساجلة الوحيدة المزيفة من نوعها ، فقد صنع السريان مثلا مساجلة أخرى بين شخصين وهميين هما عبد الله إسماعيل الهاشمي وعبد المسيح بن إسحاق الكندي ، وزعموا أنها وقعت في عصر المأمون (انظر د. محمد أبو شامة في

مقدمة الكتاب الذى حققه لأبى عبيدة الخزرجى باسم "بين الإسلام والمسيحية"/ مكتبة وهبة/ ٤٣ بالهامش) .

ولا يرضى الكاتب الكذاب أن تنتهى الحدوتة دون كذبة تليق بالمقام ، فجاءت نهايتها على النحو التالى: "قال المسلم: لقد علم الله تعالى أنك قد أزعجت فكرنا وزعزعت لُبَّنا بما أحسنت في الخطاب وإيراد الجواب ، فلم يبقَ بنا عندك سؤال . ولله درّك ، فقد أفخرت أهل دينك وجملت أوطانك وزيّنت أخوانك ، ولولا نحن على سفر لسألناك في المقام عندنا رغبة بقربك إلينا وصرّفناك فيما يخصنا من مال ودار .

قال الراهب: جزاك الله عنّا خيرا وإنعاما . لقد قابلتمونا بالإحسان ، وإن كنّا أسأنا في الخطاب وأغلظنا في الجواب (انظروا إلى الأدب الكاذب الذى نزل على ذلك الخبيث فجأة!) ، فهذا من شيمة أهل الأدب والأحساب والأنساب ، فإلى أين السفر؟

قال أبو ضاهر: إلى مكة أنا والشيخ أبو سلامة نزور البيت الحرام .

قال الراهب: يوحشني بعدكم ويثقل عليَّ فراقكم ، فقد كنتُ آنستُ بكم .

قال أبو ضاهر: يا ليتك أن تصحبنا فنأنس بك وتأنس بنا .

قال الراهب: إن رضيتم بصحبتي صحبتكم وساويت ذاتي بكم .

فهللا وكبّرا .

قال أبو ضاهر: وربِّ الحج إن صحبتني كفيتك كلفة ما تحتاج إليه من ركوب وماء وزاد فتنشرح صدرك وتطيب نفسك وتقرّ عينك وتعزّ عليك ذاتك فأفرج عنك من عيشتك القشفة وحياتك المتعبة وأريك ما لم تَرَه بنظرك

من الآيات والمعجزات .

قال الراهب: فقل لي يا أبا ضاهر بحق دينك ماذا تريني بمكة من الآيات؟

قال المسلم: أنا ، يا راهب ، قد حججت إلى مكة مرتين ، وهذه الثالثة ، ولستُ أنا جاهلا بها ، بل خبير بما فيها .

قال الراهب: فقد زدتني رغبة فيك وقربا إليك ، فصف لي ما هناك وما نراه أولا وأخيرا .

قال المسلم: أول ما أريك من المطربات أنني أجيزك الحجاز وأريك الحجازيات اللاتي تشوق إليهن الصفاة ، وتسرّ بهنّ النفوس ، ويليق بهنّ الملبوس . لطاف نظاف ، ملاح ظراف ، كأنهنّ حور العين ، في جنّة الصالحين .

قال الراهب: فهل تجد عندهم مقاما؟

قال المسلم: مهما شئت .

قال الراهب هازئا به ، وذاك لا يعلم بمراده: وماذا تريني بعد الحجازيات؟

قال المسلم: وترى ، يا راهب ، الحج يجتمع في منى في صباح ذلك اليوم ، وترى فإذا الحج طوائف يسيرون ويصفقون بالكفوف ويضربون بالدفوف ويقولون: يا صباح البركات ، من منى إلى عرفات!

قال الراهب: ومن عرفات إلى أين؟

قال المسلم: إلى مكّة .

قال الراهب: وماذا تريني بمكّة؟

قال المسلم: أريك الحجر الأسود وبئر زمزم والعروة الوثقى والكوز الأخضر والكعبة وظهر الجمل وقبر الحسن والحسين".

فانظر، أيها القارئ، مدى الضلال الذى يتصف به ذلك الجامد! أهناك بالله عليك مسلم (بَلْهَ أن أن يكون ذلك المسلم عالما، بل إماما من أئمة المسلمين شديد التعصب لدينه يجادل عنه أعنف جدال، لا واحدا من عوام الناس) يقول إنه يذهب للحج كى يستمتع بمرأى النساء هناك، فضلا عن أن يشتغل قوّادا على المسلمات العفيفات لنصرانى كافر؟ ولا يكتفى الراهب الكذاب بأن قد فضحه الله هذه الفضيحة المخزية، بل يضيف لها فضيحة أخرى أشد إخزاءً، إذ يزعم أن الشيخ المسلم قد وعده أيضا أن يريه فى تلك الرحلة قبر الحسن والحسين فى مكة مع الكعبة والكوز الأخضر. فهل قبرا الحسن والحسين فى مكة؟ وأين يا ترى يوجد الكوز الأخضر هذا؟ وما وظيفته؟ كذلك فالمسلمون لا يقولون: "حُور العين" ولا "بيت الحرام" كما جاء على لسان الشيخ فى الحدوتة المتخلفة تخلف عقول أصحابها، بل "الحور العين" و"البيت الحرام". ليس ذلك فقط، بل اقتضت مشيئة الله أن يزداد هذا الكذاب انغماسًا فى حمأة الفضائح، فنراه يزعم على لسان الشيخ أن الحُجّاج ينطلقون من منى إلى عرفات، عاكسا بجهله الفاضح اتجاه سير الحجيج، لأن الوقوف بعرفات إنما يأتى قبل المبيت بمنى كما هو معروف. وفضلا عن ذلك فإن الحجاج لا ينطلقون من عرفات إلى منى مباشرة، بل يذهبون أولا بعد الغروب إلى المزدلفة حيث يصلّون المغرب والعشاء جَمْعًا ويبيتون، ثم يواصلون رحلتهم من هناك إلى منى. وهذا الخطأ الأبله مما لا يمكن أن يقع فيه مسلم عادى، فما بالك بشيخ من أئمة المسلمين سبق له الحج قبل هذا مرتين كما جاء فى الحدوتة؟ وعليه فالسخف الذى يقوله عن الغناء وضرب الدف والتصفيق بالكف وما إلى

ذلك لا منبع له إلا عقله المخبول الذى زين له الكذب فادّعى أن الأمير قد أمن على كلامه وأبدى إعجابه بردوده المفحمة ولم ير فيها شيئا ينبغى تصويبه: "أجدتَ، يا راهب، في كلامك وأحسنت في جوابك وأبلغت في خطابك وزيّنت وطنك ودينك. ومثلك يجب، والله، أن يكون إمام النصارى ومقدَّمهم ومن يخاطَب في الدين عنهم. فسَلْنا ما شئتَ، فعندنا ما تحب"! وفوق هذا فالحدوتة المتخلفة تزعم أن الأمير قال للأنبا: "زينت وطنك..."، وكأنه كان للأنبا وطن آخر غير المملكة الأيوبية المسلمة! أرأيت، أيها القارئ، كيف يسقط كاتب الحدوتة سقطة مخزية مدوية فى كل خطوة ينقل فيها قدمه! ثم إن الكاتب الحقود، بعد ذلك كله، يأبى إلا أن يخِز المسلمين وخزة سامة، فيقول إن الراهب كان يسخر من أبو ظاهر وهو من بلادة عقله لا يدرى. الواقع أن البليد العقل ليس شخصا آخر سواه هو وراهبه.

***

القـــرآن
وأميَة بن أبى الصلت:
أيهما أخذ من الآخر؟

القرآن وأمية بن أبى الصلت:
أيهما أخذ من الآخر؟

أمية بن أبى الصلت شاعر مخضرم من قبيلة ثقيف، التى كانت تسكن الطائف. وكان أبوه أيضا شاعرا، كما كانت له أخت تُسَمَّى: "الفارعة"، وبنتان وعدة أبناء بعضهم شعراء، وأخٌ اسمه "هذيل" أُسِر وقُتِل مشركا فى حصار الطائف. وهو من الحنفاء الذين ثاروا على عبادة الأصنام وآمنوا بالله الواحد واليوم الآخر، وأزعجهم التردِّى الخلقى الذى كان شائعا فى الجزيرة العربية، وتطلعوا إلى نبى يُبْعَث من بين العرب، بل إنه هو بالذات كان يرجو أن يكون ذلك النبى. وكان أمية يخالط رجال الدين ويقرأ كتبهم ويقتبس منها فى أشعاره. وكان رجل أسفار وتجارة، كما كان يمدح بعض كبار القوم كعبد الله بن جدعان وينال عطاياهم وينادمهم على الخمر، وإن قيل إنه قد حرَّمها بعد ذلك على نفسه. وتُجْمِع المصادر على أنه مات كافرا حَسَدًا منه وبَغْيًا، إذ ما إن بلغه مبعث النبى محمد حتى ترك الطائف فارًّا إلى اليمن ومعه بنتاه اللتان تركهما هناك، وأخذ يجول فى أرجاء الجزيرة ما بين اليمن والبحرين ومكة والشام والمدينة والطائف. وتذكر لنا الروايات مع ذلك أنه وفد على النبى ذات مرة وهو لا يزال فى أم القرى واستمع منه إلى سورة "يس" وأبدى تصديقه به مؤكدا لمن ساله من المشركين أنه على الحق. بَيْدَ أن حقده الدفين منعه من أن يعلن دخوله فى الإسلام رسميا وبصورة نهائية رغم أنه، كما جاء فى إحدى الروايات، كان قد اعتزم أن يذهب إلى المدينة للقاء الرسول مرة أخرى وإعلان دخوله فى الدين الجديد، لكن

الكفار خذّلوه وأثاروا نار حقده على محمد من خلال تذكيره بأنه قتل أقاربه فى بدر ورماهم فى القليب ، فما كان منه إلا أن عاد أدراجه بعد أن شقّ هدومه وبكى وعقر ناقته مثلما يصنع الجاهليون . ثم لم يكتف بهذا ، بل رثى هؤلاء القتلى وأخذ يحرض المشركين على الثأر لهم منضمًا بذلك إلى جبهة الشرك والوثنية ضد الإسلام ، وظل هكذا حتى لقى حتفه على خلاف فى السنة التى مات فيها ما بين الثانية للهجرة إلى التاسعة منها قبل فتح النبى الطائف بقليل ، وهو الأرجح (شعراء النصرانية قبل الإسلام/ ط٢/ دار المشرق/ بيروت/ ٢١٩ وما بعدها ، ود. جواد على/ المفصّل فى تاريخ العرب قبل الإسلام/ ط٢/ دار العلم للملايين/ ١٩٧٨م/ ٦/ ٤٧٨- ٥٠٠ ، وبهجة عبد الغفور الحديثى/ أمية بن أبى الصلت- حياته وشعره/ مطبوعات وزارة الإعلام/ بغداد/ ١٩٧٥م/ ٤٦ فصاعدا . وله تراجم فى "طبقات الشعراء" ، و"الشعر والشعراء" ، و"الأغانى" وغيرها) .

ولأمية ديوان شعر يختلط فيه الشعر الصحيح النسبة له بالشعر المنسوب له ولغيره بالشعر الذى لا يبعث على الاطمئنان إلى أنه من نظمه ، وهذا القسم الأخير هو الغالب . وأكثر شعر الديوان فى المسائل الدينية: تأمّلاً فى الكون ودلالته على ربوبية الله ، ووصفًا للملائكة وعكوفهم على تسبيح ربهم والعمل على مرضاته ، وإخبارًا عن اليوم الآخر وما فيه من حساب وثواب وعقاب ، وحكايةً لقصص الأنبياء مع أقوامهم ، إلى جانب أشعاره فى مدح عبد الله بن جدعان والفخر بنفسه وقبيلته وما إلى ذلك . ومن الشعر الدينى المنسوب إليه ما يقترب اقترابا شديدا من القرآن الكريم معنًى ولفظًا وكأننا بإزاء شاعرٍ وَضَع القرآنَ بين يديه وجَهَدَ فى نظم آياته شعرا .
ومن هذه الأشعار الشواهد التالية:

لك الحمد والنعماء والمُلْك ربنا ::: فلا شىء أعلى منك جَدًّا وأمجدُ

مليكٌ على عرش السماء مهيمنٌ ::: لعزته تعنُو الجباه وتسجدُ
مليك السماوات الشِّداد وأرضها ::: وليس بشيء فوقنا يتأودُ
تسبِّحه الطير الكوامن فى الخفا ::: وإذ هى فى جو السماء تصَعَّدُ
ومن خوف ربى سبّح الرعدُ حمده ::: وسبّحه الأشجار والوحش أبَدُ
من الحقد نيران العداوة بيننا ::: لأن قال ربى للملائكة: اسجدوا
لآدم لَمَّا كمَّل الله خلقه ::: فخَرُّوا له طوعًا سجودا وكَدَّدوا
وقال عَدُوُّ الله للكِبْر والشَّقا: ::: لطِين على نار السموم فسوَّدوا
فأخرجه العصيان من خير منزلٍ ::: فذاك الذى فى سالف الدهر يحقدُ

* * *

ويوم موعدهم أن يُحشَروا زُمَرًا ::: يوم التغابن إذ لا ينفع الحَذَرُ
مستوسقين مع الداعى كأنهمو ::: رجْل الجراد زفته الريح تنتشرُ
وأبرزوا بصعيد مستوٍ جُرُزٍ ::: وأُنزل العرش والميزان والزُّبُرُ
وحوسبوا بالذى لم يُحصِه أحدٌ ::: منهم، وفى مثل ذاك اليوم مُعتبَرُ
فمنهمو فَرِحٌ راضٍ بمبعثه ::: وآخرون عَصَوْا، مأواهم السَّقَرُ
يقول خُزّانها: ما كان عندكمو؟ ::: ألم يكن جاءكم من ربكم نُذُرُ؟
قالوا: بلى، فأطعنا سادة بَطِروا ::: وغرَّنا طولُ هذا العيشِ والعُمُرُ
قالوا: امكثوا فى عذاب الله، ما لكمو ::: إلا السلاسل والأغلال والسُّعُرُ
فذاك محبسهم لا يبرحون به ::: طول المقام، وإن ضجّوا وإن صبروا
وآخرون على الأعراف قد طمعوا ::: بجنة حفّها الرُّمّان والخُضَرُ
يُسقَوْن فيها بكأسٍ لذة أُنُفٍ ::: صفراء لا ثرقبٌ فيها ولا سَكَرُ
مزاجها سلسبيلٌ ماؤها غَدَقٌ ::: عذب المذاقة لا ملْحٌ ولا كدرُ
وليس ذو العلم بالتقوى كجاهلها ::: ولا البصير كأعمى ما له بَصَرُ
فاستخبر الناسَ عما أنت جاهلهُ ::: إذا عَمِيتَ، فقد يجلو العمى الخبَرُ
كأيِّنْ خلتْ فيهمو من أمة ظَلَمَتْ ::: قد كان جاءهمو من قبلهم نُذُرُ
فصدِّقوا بلقاء الله ربِّكمو ::: ولا يصُدَّنَّكم عن ذكره البَطَرُ

* * *

قال: ربى، إنى دعوتك فى ا لفـ ::: ـجر، فاصْلحْ علىَّ اعتمالى
إنى زاردُ الحديد على النـ ::: ـاس دروعًا سوابغ الأذيال
لا أرى من يُعِيُنِنى فى حياتى ::: غير نفسى إلا بنى إسْرال

وقد ظنت طوائف المبشرين ممن فقدوا رشدهم وحياءهم أن بمستطاعهم الإجلاب على الإسلام ورسوله وكتابه بالباطل فأخذوا يزعمون أن القرآن مسروق من شعر أمية بن أبى الصلت لهذه المشابهات . والواقع أن عددا من كبار دارسى الأدب الجاهلى ، من المستشرقين قبل العرب والمسلمين ، قد رَأَوْا عكس هذا الذى يزعمه المبشرون ، إذ قالوا بأن هذه الأشعار التى تُنْسَب لأمية مما يتشابه مع ما ورد فى القرآن عن خلق الكون والسماوات والأرض ، وعن العالم الآخر وما فيه من حساب وثواب وعقاب وجنة ونار ، وعن الأنبياء السابقين وأقوامهم وما إلى ذلك ، هى أشعار منحولة عليه . قال ذلك على سبيل المثال تور أندريه وبروكلمان وبراو من المستشرقين ، ود . طه حسين والشيخ محمد عرفة ود . عمر فروخ ود . شوقى ضيف ود . جواد على وبهجة الحديثى من العلماء العرب ، وإن كان من المستشرقين مع ذلك من يدعى أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد أخذ بعض قرآنه من شعر هذا المتحنِّف كالمستشرق الفرنسى كليمان هوار ، ومنهم من قال إن الرسول وورقة قد استمدا كلاهما من مصدر واحد .

وإلى القارئ تفصيلا بهذا: فالمستشرق الألمانى كارل بروكلمان يؤكد أن أكثر ما يُرْوَى من شعر أمية هو فى الواقع منحول عليه ، ماعدا مرثيته فى قتلى المشركين ببدر ، وأنه إذا كان كليمن هوار المستشرق الفرنسى قد زعم أن شعره كان مصدرا من مصادر القرآن ، فإن الحق ما قال تور أندريه من أن الأشعار التى نظر إليها هوار فى اتهامه هذا إنما هى نَظْمٌ جَمَع القُصَّاصُ فيه ما استخرجه المفسرون من مواد القصص القرآنى ، وأن هذه الأشعار لا بد

أن تكون قد نُحِلَتْ لأمية منذ عهد مبكر لا يتجاوز القرن الأول للهجرة ، فقد سماه الأصمعى: "شاعر الآخرة"، كما أراد محمد بن داود الأنطاكى أن يفتتح القسم الثانى فى الدِّينيّات من كتابه "الزهرة" بأشعار أمية (كارل بروكلمان/ تاريخ الأدب العربى/ ترجمة د . عبد الحليم النجار/ ط٤/ دار المعارف/ ١/ ١١٣) . يريد بروكلمان أن يقول: لولا أنه كان هناك شعر يدور حول الموضوعات الدينية التى ذكرناها قبلا منسوب لأمية منذ ذلك الوقت المبكر لما أطلق عليه الأصمعى هذه التسمية ولما فكر الأنطاكى أن يورد له أشعارا دينية فى كتابه المذكور . ويقول المستشرق براو كاتب مادة "أمية بن أبى الصلت" بـ الطبعة الأولى من "دائرة المعارف الإسلامية"، تعليقا على اتهام هوار للقرآن بأنه قد استمد بعض مواده من أشعار أمية ، إن صحة القصائد المنسوبة لهذا الشاعر أمر مشكوك فيه ، شأنها شأن أشعار الجاهليين بوجه عام ، وإن القول بأن محمدا قد اقتبس شيئا من قصائد أمية هو زعم بعيد الاحتمال لسبب بسيط ، هو أن أمية كان على معرفة أوسع بالأساطير التى نحن بصددها ، كما كانت أساطيره تختلف فى تفصيلاتها عما ورد فى القرآن . ثم أضاف أنه ، وإن استبعد أن يكون أمية قد اقتبس شيئا من القرآن ، لا يرى ذلك أمرا مستحيلا . وهو يعلل التشابه بين أشعار أمية وما جاء فى القرآن الكريم بالقول بأنه قد انتشرت فى أيام البعثة وقبلها بقليل نزعات فكرية شبيهة بآراء الحنفاء استهوت الكثيرين من أهل المدن كمكّة والطائف ، وغذّتها ونشّطتها كلٌّ من تفاسير اليهود للتوراة وأساطير المسلمين . ثم يخبرنا براو بما توصّل إليه تور أندريه من أنه ليس فى قصائد أمية الدينية ما هو صحيح النسبة إليه ، وأن هذا اللون من شعره هو من انتحال المفسرين (دائرة المعارف الإسلامية/ الترجمة العربية/ ٤/ ٤٦٣-٤٦٤) .

وعند طه حسين أن "هذا الشعر الذى يضاف إلى أمية بن أبى الصلت وإلى غيره من المتحنفين الذين عاصروا النبى ﷺ وجاوزوا قبله إنما نُحِلَ نَحْلاً . نحله المسلمون ليثبتوا أن للإسلام قُدْمَةً وسابقةً فى البلاد" (فى الأدب الجاهلى/ دار المعارف/ ١٩٥٨م/ ١٤٥) . ويرى الشيخ محمد عرفة أنه لو كانت هناك مشابهة فعلا بين شعر أمية والقرآن الكريم لقال المشركون ، الذين تحداهم الرسول بأن يأتوا بآية من مثله ، إن أمية قد سبق أن قال فى شعره ما أورده هو فى القرآن زاعمًا أنه من لدن الله . لكنهم لم يقولوا هذا ، بل اتهموه بأنه إنما يعلّمه عبد أعجمى فى مكة . كذلك يؤكد أن شعر أمية لا يشبه فى نسيجه شعر الجاهلية القوى المحكم ، إذ هو شعر بيّن الصنعة والضعف على غرار شعر المولَّدين . ومن هنا كان هذا الشعر المنسوب لذلك المتحنف الطائفى هو شعر منحول عليه ومنسوب زورا إليه (من تعليق الشيخ محمد عرفة على مادة "أمية بن أبى الصلت" فى "دائرة المعارف الإسلامية"/ ٤/ ٤٦٥) .

أما د . عمر فروخ فيؤكد أن القسم الأوفر من شعر أمية قد ضاع ، وأنه لم يثبت له على سبيل القطع سوى قصيدته فى رثاء قتلى بدر من المشركين . وبالمثل نراه يؤكد أن كثيرا من الشعر الدينى المنسوب لذلك الشاعر هو شعر ضعيف النسج لا رونق له (د . عمر فروخ/ تاريخ الأدب العربى/ ط٥/ دار العلم للملايين/ ١٩٤٨م/ ١/ ٢١٧- ٢١٨) . ويرى د . شوقى ضيف أن المعانى التى يتضمنها شعر أمية مستمدة من القرآن بصورة واضحة ، إلا أنه لا يترتب على ذلك أن يكون أمية قد تأثر بالقرآن ، بل يؤكد أن الشعر الذى يحمل اسمه هو شعر ركيك مصنوعٌ نَظَمَه بعضُ القُصّاص والوُعّاظ فى عصور متأخرة عن الجاهلية . وردًا على دعوى هوار بأن القرآن قد استمد بعض مادته من أشعار أمية يقول الأستاذ الدكتور إن ذلك المستشرق لا علم

له بالعربية وأساليب الجاهليين ، وإلا لتبين له أنها أشعار منحولة بيّنة النحل ، ولما وقع فى هذا الحكم الخاطئ (د . شوقى ضيف/ العصر الجاهلى/ ط١٠/ دار المعارف/ ٣٩٥- ٣٩٦) .

ويؤكد د . جواد على فى كتابه "المفصل فى تاريخ العرب" أن بعض أشعار أمية الدينية مدسوسة عليه ، ومن ثمّ لا يمكن أن يكون أميّة قد اقتبس شيئا من القرآن ، وإلا لقام النبى عليه الصلاة والسلام والمسلمون بفضحه . وعلى هذا فهو أيضا يرى أن شعره الذى يوافق فيه القرآنَ إنما صُنِع بعد الإسلام صنعا لأنه ليس موجودا فى التوراة ولا فى الإنجيل ولا غيرهما من الكتب الدينية ، اللهم إلا القرآن الكريم ، وأن أكثره قد وُضع فى عهد الحجاج تقربا إليه ، وبخاصة أن شعره الدينى يختلف عن شعره المَدْحِىّ والرثائى وغيره ، إذ يقترب من أسلوب الفقهاء والمتصوفة ونُسّاك النصارى ، كما تكررت إشارات الرواة إلى أن هذا الشعر أو ذاك مما يُعْزَى له قد نُسِب لغيره من الشعراء . ثم إنه قد مدح الرسول عليه السلام ، كما أن فى الشعر المنسوب له ما يدل على أنه قد آمن به ، فكيف يتسق هذا مع رثائه لقتلى بدر من المشركين؟ (المفصّل فى تاريخ العرب قبل الإسلام/ ٦/ ٤٩١- ٤٩٦) . أما بهجة عبد الغفور الحديثى فإنه يقسم شعر أمية الدينى إلى قسمين: قسم يظهر عليه أثر الحنيفية وكتب اليهود والنصارى ، وقسم يظهر عليه أثر القرآن . وهو يميل إلى أن يكون القسم الأول له كما يظهر من أسلوبه ومعانيه ، أما الثانى فمنحول عليه بدليل ما يبدو عليه من ركاكة لغته وضعف صياغته ، ومن أسلوبه المستمد من القرآن (أمية بن أبى الصلت- حياته وشعره/ ١٢٧) .

وقد بحثت عن طريق المشباك (النّت) فى كتب الأحاديث النبوية الشريفة عن روايات تذكر شيئا من شعر أمية فلم أجد إلا ثلاثة أبيات له فى مُسْنَد

أحمد يتحدث فيها عن الشمس وعرش الله بما لم يأت شيء منه فى القرآن، وأن الرسول عليه السلام قد صدّقه فيها، وهذا نصها:

رجلٌ وثورٌ تحت رجْل يمينه ::: والنسر لليسرى، وليثٌ مُرْصَدُ
والشمس تطلع كل آخر ليلة ::: حمراءَ يصبح لونها يتورّدُ
تأبى فلا تبدو لنا فى رِسْلها ::: إلا مُعَذَّبَةً وإلا تُجْلَدُ

كما جاء أيضا فى مُسْنَدَىْ ابن ماجة وأحمد أن الشريد بن الصامت قد أنشد النبىَّ ذات مرة مائة بيت من شعر أمية، وكان كلما انتهى من إنشاد بيتٍ قال النبى عليه الصلاة والسلام: "هِيهْ"، يستحثه على الاستمرار فى الإنشاد، ثم عقّب صلى الله عليه وسلم فى النهاية قائلا: "كاد أن يُسْلِم"، وفى رواية أخرى فى مسند أحمد أن النبى لم يعلّق فى نهاية الإنشاد بشىء، بل سكت فسكت الشريد بدوره. وهذا كل ماهنالك، فلم نعرف من الحديث ما هى الأبيات التى أنشدها الصحابى الكريم على مسامع رسول الله، ولا مدى مشابهتها للقرآن. على أن هاهنا نقطة لا بد من تجليتها قبل الانتقال إلى شىء آخر، إذ لا أظن الصحابى الجليل قد قصد عدد المائة تحديدا، فليس من المعقول أنه كان يعدّ الأبيات التى كان ينشدها على مسامع النبى أوّلاً بأوّل وهو يتلوها. ذلك أمر غير متخيَّل، والأرجح بل الصواب الذى لا أستطيع أن أفكر فى غيره أنه أراد الإشارة إلى أنه قد أنشد سيّدَ الأنبياء عددا غير قليل من الأبيات.

كذلك رجعتُ إلى تخريجات القصائد المشابهة للقرآن الكريم التى قام بها بهجة الحديثى فى رسالته عن أمية، فلفت انتباهى أن هذه القصائد، أو على الأقل الأبيات التى يوجد فيها ذلك التشابه، لم تَرِدْ فى أىٍّ من كتب الأدب واللغة والتاريخ والتفسير المعتبرة ككتاب "جمهرة أشعار العرب" لأبى زيد القرشى، أو "طبقات الشعراء" لابن سلام، أو "الشعر والشعراء" لابن قتيبة،

أو "الأغانى" للأصفهانى، أو "تاريخ الرسل والملوك" أو "جامع البيان فى تفسير القرآن" للطبرى مثلا. بل إن كثيرا من هذه الأشعار لم تَرِدْ فى طبعة الديوان الأولى، فضلا عن أن بعضها قد نُسِب فى ذات الوقت إلى غيره من الشعراء. ونقطة أخرى مهمة جدا: لماذا لم يُثِرْ علماؤنا المتقدمون قضية التشابه بين شعر أمية والقرآن الكريم باستثناء محمد بن داود الأنطاكى، الذى كان يردّ، فيما يبدو، على من اتهم القرآن بالأخذ عن أمية بأن ذلك غير صحيح لأنه عليه السلام لا يمكن أن يستعين فى كتابه بشعر رجل أقر بنبوته وصدّق بدعوته، وأنه لو كان صحيحا رغم ذلك لسارع أمية إلى اتهام الرسول بالسرقة من شعره، وبذلك تسقط دعوته صلى الله عليه وسلم بأيسر مجهود وأقلّه؟ (الزهرة/ تحقيق د. إبراهيم السامرائى ود. نور حمود القيسى/ ط٢/ مكتبة المنار/ الزرقاء/ ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م/ ٢/ ٥٠٣). لقد كان ابن داود الأنطاكى من أهل القرن الثالث الهجرى، فى حين أن صاحب "الأغانى" قد جاء بعده بقرن، فكيف اطمأن المتقدم وشكّ المتأخر، أو فلنقل: كيف أورد المتقدمُ الشعرَ المنسوب لأمية، بينما لم يورده الأصفهانى، الذى جاء بعده بقرن كما قلنا؟ والأحرى أن يكون الوضع بالعكس حيث يكون المتقدم أقرب زمنا إلى صاحب الشعر فيستطيع من ثم أن يحسم الحكم فى مسألة نسبة الشعر إليه، على الأقل قبل تراكم الروايات وازدياد صعوبة غربلتها وإصدار حكم بشأنها. بَيْدَ أن مثل هذا الوضع لا غرابة فيه، فعندنا مثلا ابن إسحاق وابن هشام اللذان اشتركا فى كتابة "سيرة رسول الله": تأليفًا بالنسبة لابن إسحاق، ومراجعةً وتعليقًا وتنقيةً بالنسبة لابن هشام، وجاء الأول قبل الثانى بزمن غير قصير كما هو معروف، ومع هذا لم يمنع ابنَ هشام تأخُّرُ زمنه عن النظر فى السيرة التى كتبها سَلَفُه وإجالة قلمه فيما يرى أنه لا بد من تغييره أو تصحيحه أو التعليق عليه بما يرى أنه

الصواب أو الأقرب للحق، مثلما فعل عندما أنكر على ابن إسحاق مثلا إيراد أشعار لآدم وثمود والجن، بل لأفراد من قريش ذاتها ممن قال إن أهل العلم لا يعرفون لهم شعرًا أصلا أو ينكرون ما ينسب إليهم من شعر. والمسألة بَعْدُ هي مسألة اختلاف في شخصية الباحث ما بين مطمئنٍ يقبل ما يُرْوَى له ومدقّقٍ لا يقبل إلا بعد تمحيص وتقليب... وهكذا. ومعروف أن ابن سلام وابن قتيبة وأبا الفرج الأصفهاني هم من النقاد ومؤرخي الأدب القدماء المشهود لهم بالتمحيص والتنقيب وعدم قبول أي شيء على علاته، بينما لا يزيد ما فعله ابن داود الأنطاكي في كتابه "الزهرة" عن جمع الأشعار وتنسيقها، إلا حين يعلّق بكلمة هنا أو هناك تدور عادةً على شرح لفظة صعبة أو تحليل جانب من جوانب عاطفة الحب التي ألف كتابه عنها. إن هذا كله من شأنه أن يعضّد القول الذي سمعنا كبار دارسي الأدب العربي من مستشرقين وعرب يرددونه من أن القصائد التي تتشابه مع القرآن من الشعر المنسوب لأمية هي في الواقع قصائد منحولة. ولقد نبهني هذا الاكتشاف إلى ما أحسست به عند مراجعتي لديوان أمية مؤخرا من أني لا أستطيع أن أتذكر قراءتي لأيٍّ من هذه الأشعار في الكتب التي أومأتُ إليها لِتَوِّي. وهذا هو السبب في أنني قد استبدّ بي الاستغراب أثناء مطالعتي لذلك النوع من قصائد أمية حين فكرت في الكتابة عن هذه القضية بالرغم من كثرة ما قرأت عن الرجل من قبل في "الأغاني" و"طبقات الشعراء" و"الشعر والشعراء" مثلا، وكذلك في كتب تاريخ الأدب العربي التي ألفها باحثون معاصرون ممن تكلموا في هذه القضية، لكنهم لم يوردوا شيئا من الأشعار محل الخلاف والمناقشة مكتفين بالكلام النظري فيها. وبالمثل كان الانطباع الذي شعرتُ به بمجرد قراءة تلك الأشعار هو أنها أقرب إلى النظم الذي وضع صاحبُه أمام عينيه آياتِ القرآن الكريم وأخذ يجتهد في تضمينها

ما ينظم من أبيات: فالكلام مهلهل وغير مستو، وفيه فجوات يملؤها الناظم بما يكمّل البيت بأى طريقة والسلام، على عكس شعر أمية فى رثاء قتلى المشركين ببدر مثلا أو مدائحه لعبد الله بن جدعان. وغنى عن القول ألاّ وجه لمقارنة هذا الشعر بأسلوب القرآن وما يتسم به من فحولة وجلال وشدة أسر وسحر ينفذ إلى القلوب نفوذا غلابا قاهرا، وهو ما يجعل القول بتأثر شعر أمية بالقرآن لا العكس هو ما يمليه المنطق وتَهَشّ له العقول والضمائر إذا صحّت نسبة هذه الأشعار له. ومع ذلك كله فلسوف أسلك الطريق الصعب فأفترض أن تلك الأشعار محلّ الخلاف هى أشعار صحيحة قالها أمية فعلا، وأن الأحداث التى رافقت نظم هذه القصائد هى بالتالى أحداث صحيحة وقعت هى أيضا.

والآن لو تتبعنا أهم الأحداث فى حياة المصطفى وأمية مما يتصل بهذه القضية فماذا نجد؟ أول كل شىء أن شاعرنا كان، كما جاء فى الروايات التى تحدثت عنه، يتوقع أن يكون هو النبى المنتظر، وأنه حين علم أن النبوة تجاوزته لم يستطع صبرا على المُقام بالطائف على مقربة من الرجل الذى كان حُكْم القدر أن ينزل عليه وحى السماء، فأخذ ابنتيه وهرب إلى اليمن. ومعنى ذلك أنه هو الذى كان مشغولا بمحمد لا العكس. وهذا أحرى أن يجعله متنبها لكل ما يتعلق بمحمد، وعلى رأسه القرآن، الذى كان يتمنى تخلع الضرس بل بفَقْءِ العين أن يكون هو النبى الذى يتلقاه ويبلغه للناس، حرصا منه على الشهرة والسمعة والمكانة بين قومه، جاهلا فى غمرة حماقته وحسده الأسود العقيم أنه سبحانه وتعالى "أعلم حيث يجعل رسالته". ومن المنطقى جدا، كما أومأنا، القول بأنه لم يستطع أن يتجاهل الرسول رغم غيظه، بل قل: بسبب غيظه من عدم اختياره هو نبيا للعرب، وأنه كان يتصيد الآيات والسُّوَر التى تنزل على الرسول ويضعها نصب عينيه وهو

يَنْظِم شعره، جَرْيًا على المثل الشعبى القائل: "إن فاتك الميرىّ تمرّغْ فى ترابه". إنه "عبده مشتاق" الجاهلى، الذى يمكن أن نرى فيه رائدا لنظيره فى كاريكاتير جريدة "الأخبار" القاهرية، مع بعض التلوينات المختلفة هنا وهناك تبعا لاختلاف طبيعة الدور الذى يريد كل من هذين العبدين أن يؤديه والظروف التى يتحرك فى نطاقها! ولقد فاتته النبوة، فليضمّنْ نصوصَ وحيها إذن شعره، فهذا أفضل من أن "يخرج من المولد بلا حمّص"! وهو حين يصنع هذا إنما كان يجرى على عادته قبل سطوع بدر الإسلام من العكوف على الكتب الدينية السابقة والاقتباس منها فيما يَنْظِم من أشعار. فهو إذن لا يفترع طريقا جديدا حين يقتبس من القرآن، بل يستمر فى سبيله القديم. والطبع غلاب كما يقولون! ولا أدرى فى الواقع لماذا، بدلا من هذا الهروب غير المجدى من الطائف، لم يواجه محمدا ويقول له فى وجهه إنه قد سبقه فى شعره إلى ما يقوله هو فى قرآنه، وإن هذا دليل على أنه ليس نبيا حقيقيا، ومن ثم فهو أفضل منه، على الأقل من ناحية العلم والحكمة. ألم يكن هذا هو ما يقتضيه المنطق لو كان عند أمية ذلك الدليل القاهر الذى يلوّح به بعض المستشرقين ويتابعهم عليه، فى غباء لا يليق بمن عنده مسكة من عقل، مبشّرو آخر الزمان، ومن خلفهم ذيول المسلمين الذين فقدوا كل معنى من معانى الكرامة والرجولة؟ ومن الواضح أن الرجل كان يحب الظهور بمظهر العالم الحكيم، هذا الوصف الذى وصفه به خطأً بعض من ترجموا له من القدماء، إذ لو كانت الحكمة من صفاته حقا لما ترك الحسدَ يطوّحه ويقلقله فى بلاد العرب جنوبا وشمالا وشرقا وغربا كراهيةَ أن يكون على مقربة من الرجل الذى آثرته السماء عليه فى مسألة النبوة (وإن ذكرتْ بعضُ الروايات، حسبما رأينا، أنه وفد عليه فى مكة واستمع إلى ما تلاه عليه من قرآن وقال كلاما طيبا فى حقه)، ولأَقْبَلَ بدلا من ذلك عليه بمجمع

قلبه وإخلاصه ما دام يرى أنه على الحق كما يشير إلى ذلك الشعر الذى يتحدث فيه، قبل البعثة النبوية، عن حاجة البلاد لنبى يأخذ بيدها فى طريق الهداية، وكذلك القصيدة التى قالها فى مدحه عليه الصلاة والسلام والدين الذى أتى به. بَيْدَ أنه، لِحَظّه التعيس، لم يحزم أمره، وظل مترددا يقترب بقلبه حينًا بعد حينٍ من الدين الجديد، لكنه سرعان ما تثور به عقارب الحقد فيبتعد عنه . . . إلى أن أقبل أخيرا فى نوبة قوية بعض الشىء من نوبات يقظته الخلقية والروحية ليعلن إسلامه رسميا، فوقفت قريش فى طريقه وأخبرته بأن المسلمين قتلوا عُتْبة وشَيْبة ابنى ربيعة وغيرهما من رجالات الطائف ممن كانوا يمتّون إليه بواشجة القرابة، فما كان منه إلا أن لوى عِنَان فرسه مبتعدا عن طريق النور والسعادة حاكما بذلك على نفسه ببؤس المصير إلى الأبد، وهو ما يدل بأجلى بيان على أنه لم يحزم أمره يوما، وهذه هى مشكلته المزمنة مع نفسه، فأين الحكمة هنا إذن؟ أما العلم فإن نصيبه منه لا يخرج، فيما هو واضح، عن نقل النصوص والقصص من كتب الأمم السابقة إلى شعره دون الانتفاع الحق بها، فهو إذن كالحمار يحمل أسفارا، وإلا فلماذا لم يستفد بها فى اتباع الحق الذى كان يؤمن به فى أعماق قلبه، وفضّل عليه الانحياز إلى الوثنية ممثلةً فى أقاربه الذين رثاهم ومجَّدهم حين سقطوا وهم يحاربون تحت رايتها ضد التوحيد، وزاد فشقّ جيوبه عليهم وبكى وجدع أنف ناقته كما كان يفعل أهل الجاهلية الجهلاء حسبما ذكرت كتب السيرة وتاريخ الأدب (د. جواد على/ المفصّل فى تاريخ العرب قبل الإسلام/ ٦/ ٤٧٩)، وهو الذى طالما صدّع أدمغتنا من قبل بالحديث عن الحنيفية؟ ولْنقارن بين موقفه هذا وموقف النبى عليه السلام حين أسلم وَحْشِىّ قاتل عمه الغالى وأخيه من الرضاع حمزة بن عبد المطلب، وكذلك هندٌ آكلة الأكباد ومدبّرة مقتله المأساوى رضى الله عنه. لقد قَبِلهما النبى فى

دينه ، وكأن شيئا لم يكن ، رغم الجرح الغائر الذى خلّفه موت سيد الشهداء فى قلبه ، وذلك نزولا على مبدئه العظيم القائل بأن "الإسلام يَجُبّ ما قبله". أو لماذا لم يقم هو بالدعوة إلى ما كان يؤمن به (حسبما نقرأ فى الشعر المنسوب إليه) ، ولو فى أضيق نطاق بين قومه فى الطائف فقط ما دام ادعاء النبوة سهلا إلى هذا الحد كما فعل محمد ، الذى لم يكن قارئا كاتبا مثله؟ فانظر وقارن يتبين لك الفرق بين النبوة والحسد الذى يأكل قلب صاحبه أكلاً فلا يتركه يهنأ بحياته أبدا!

أما المحطة الثانية التى نحب أن نقف عندها فهى ذهاب رسول الله إلى الطائف حين شعر أن مكة تستعصى على دعوته بغباء غريب ما عدا القليلين الذين دخلوا فى دعوته رغم التضييق والعنت الشديد والأذى المتواصل ، فحَسِبَ أن الطائف قد تكون أحسن استقبالا للدين الجديد ، لكن أهلها للأسف لم يكونوا أفضل حالا من قومه فى مكة . ترى لو كان أمية قد سبق القرآن إلى تناول الموضوعات التى نقرؤها فى ذلك الكتاب بنفس الألفاظ والعبارات فى كثير من الأحيان ، ومن ثم أخذ محمد بعض قرآنه من شعره ، أكان يفكر مجرد تفكير فى السفر إلى بلد ذلك الشاعر معرضا نفسه للسخرية والاتهام من جانب أهلها بدلا من إقبالهم عليه ودخولهم فى دينه؟ إنه إذن لـ "كالمستجير من الرمضاء بالنار" كما جاء فى أمثال العرب ، أو كمن "جاء يكَحّلها فأعماها" كما يقول المثل الشعبى! ولم يكن الرسول يوما بالشخص الذى يمكن أن يقع فى مثل هذا التصرف الأخرق العجيب ، بل لم يتهمه أحد من أعْدَى أعدائه بشىء من ذلك قط! ثم فلنفترض بعد هذا أنه قد ارتكب هذا التصرف الأحمق (وأستغفر الله العظيم على هذا التعبير الذى اقترفتُه لأكون فى غاية السماحة مع "الأنعام" الذين لهم قلوب لكن لا يعقلون بها ، ولهم أعين لكن لا يبصرون بها ، ولهم آذان لكن لا يسمعون بها!) ، فكيف

فات الطائفيين الأمرُ فلم يجابهوه ويجبهوه بهذه السرقة التى كانت كفيلة بقصم ظهر الدعوة التى أتى بها بدلا من إغرائهم صبيانهم وعبيدهم وسفهاءهم بمطاردته بالحجارة فى شوارع المدينة حتى أخرجوه منها منتهكين بتصرفهم الوحشىّ هذا ما توجبه التقاليد العربية الراسخة القاضية بإكرام الضيف الوافد، واضطروه إلى اللجوء إلى بستانٍ لعُتْبة وشَيْبة ابنى ربيعة حيث قابل هناك خادمهما عداس، الذى قدّم له قِطْفا من العنب يتقوّت به ويزيل عن نفسه التعب، ثم أقبل عليه فى حب وإجلال حين رآه يسمّى الله قبل الطعام وعرف شيئا من دينه على ما هو معروف لقارئى السيرة النبوية؟

ثم هناك قدوم أمية على النبى ومدحه إياه بقصيدة يقرّه فيها على دعوته ويثنى عليه ويصدّق به. ويبدو أن ذلك كان بتأثير الأسئلة التى من المؤكد أنها كانت توجَّه له ممن حوله، إذ لا بد أن يثور فى أذهانهم التساؤل عن السبب، يا ترى، الذى يمنعه من الإيمان بمحمد ما دام يردد ما يقوله تقريبا ويضمّن شعره بعض ما جاء فى قرآنه! أقول هذا رغم أن فى نفسى من صحة هذه القصيدة شيئا للأسباب التى سأذكرها من فورى، لكننى قلتُه على الشرط الذى وضعتُه حين بينتُ أنه لكى نقبل أشعار أمية التى تشابه القرآن الكريم لا بد أن نقبل معها الأحداث التى صاحبتها حسبما أوردتها الروايات. على أية حال هانذا أورد جُلّ أبيات القصيدة أولا، ثم ننظر فيها بعد ذلك:

لك الحمد والمنّ رب العبا ::: د. أنت المليك وأنت الحَكَمْ
ودِنْ دين ربك حتى التُّقَى ::: واجتنبنّ الهوى والضَّجَمْ
محمدًا ارْسَلَه بالهدى ::: فعاش غنيا ولم يُهْتَضَمْ
عطاءً من الله أعطيتَه ::: وخصّ به الله أهل الحرمْ
وقد علموا أنه خيرهم ::: وفى بيتهم ذى الندى والكرمْ
نبيٌّ هدًى صادقٌ طيبٌ ::: رحيمٌ رءوف بوصل الرَّحِمْ

به ختم الله من قبله ::: ومن بعده من نبيٍّ ختمْ
يموت كما مات من قد مضى ::: يُردّ إلى الله بارى النَّسَمْ
مع الأنبيا فى جنان الخلو ::: د، هُمُو أهلها غير حلّ القسَمْ
وقدّس فينا بحب الصلاة ::: جميعا، وعلّم خطّ القلمْ
كتابًا من الله نقرا به ::: فمن يعتريه فقدْمًا أثِمْ

(أمية بن أبى الصلت- حياته وشعره" لبهجة عبد الغفور الحديثى/ ٢٦٠- ٢٦٤).

وقد رفض د. جواد على هذه القصيدة على أساس أن ما فيها من إيمان قوى بالنبى ودينه يتناقض مع ما نعرفه من تردد أمية بالنسبة للإسلام وافتقار قلبه إلى الإيمان العميق، وأنه يشير فيها إلى وفاة الرسول التى لم تقع إلا بعد موت أمية أوّلا (المفصّل فى تاريخ العرب قبل الإسلام/ ٦/ ٤٩٧- ٤٩٨). لكن بهجة الحديثى لا يشك فى القصيدة، بل يرى أنها تمثل خطرة من الخطرات التى كانت تنتاب أمية، فالمعروف أنه لم يكفر بالرسول تكذيبا بل حسدا، إذ كان فى دخيلة نفسه مصدقًا بما جاء به، بل همّ أن يعلن إسلامه فعلا. كما أن الأنطاكى، الذى كان يعيش فى القرن الثالث الهجرى، قد أكد أنها موجودة فى شعره ومفهومة عند أهل الخبرة به (أمية بن أبى الصلت/ ٧٨- ٧٩). والحق أن الحجة الأخيرة تكاد تكون العقبة الوحيدة التى تمنعنى من القطع بزيف هذه القصيدة رغم ما فيها مما يدابر المنطق: فهى تتحدث عن اختتام النبوة بمحمد عليه السلام، وهى قضية لم تكن قد طُرِحَت بعد، لأن القصيدة لا بد أن تكون قد سبقت غزوة بدر على آخر تقدير حيث حسم أمية أمره بعد تلك الغزوة وشقّ جيوبه وعقر ناقته وتراجع نهائيا عن الدخول فى الإسلام، على حين أن الإشارة إلى أن نبوة محمد هى خاتمة النبوات قد وردت فى سورة "الأحزاب"، التى نزلت بعد ذلك بزمن طويل على ما هو معروف. أما ما جاء فى القصيدة من ذكر موت النبى فلا

يعنى بالضرورة أنه قد مات فعلا ، إذ الكلام يحتمل هذا ، كما يحتمل أنه سيموت كسائر البشر حسبما جاء فى قوله تعالى: "إنك ميتٌ ، وإنهم ميتون" (الزُّمَر/ ٣٠) ، إذ أتى الفعلُ الدالّ على الموت فى القصيدة فى صيغة المضارع لا الماضى كما لا بد أن يكون القارئ قد لاحظ ، رغم أن فى ذكر الموت فى حد ذاته فى هذا السياق كثيرا من الغرابة والخروج على مقتضيات المديح . كذلك فوصف الرسول بأنه "رحيم رءوف" هو صَدًى لوصفه فى القرآن فى الآية قبل الأخيرة من سورة "التوبة" بهاتين الصفتينْ ، وإن جاءتا فى القصيدتين بعكس ترتيبهما فى السورة ، والآية المذكورة تنتمى لمرحلة زمنية متأخرة عن تاريخ نظم القصيدة . كذلك ففى القصيدة صَدًى لقول رسول الله فى حديث أبى هريرة: "لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيَلِج النار إلا تحلّة القسم" ، والمقصود الاشارة إلى قوله تعالى فى الآية ٧١ من سورة "مريم": "وإنْ منكم إلا وارِدُها . كان على ربك حتما مقضيًا" ، ومعروف أن أبا هريرة إنما أسلم فى المدينة فى السنة السابعة للهجرة ، أى بعد نظم أمية قصيدته بأعوام ، فكيف يمكن أن يتأثر أمية بحديث كهذا لم يكن قد قيل إلا بعد ذلك ببضع سنوات؟ وأنا هنا ، كما يلاحظ القارئ ، أنطلق من أن القصيدة هى التى تأثرت بالقرآن لا العكس ما دام أمية قالها فى مدح النبى والتصديق بدعوته ، إذ معنى هذا أنه لم يكن يرى فى القرآن أى أثر لشعره ، وإلا ما فكر فى مدحه عليه السلام بتاتا ، بل فى هجائه وفَضْحه . ثم إن فى النظم هَنَاتٍ لا يقع فيها جاهلىٌّ عادة: فقد جاءت كل من كلمتى "أرسله" و"الأنبياء" فى القصيدة بهمزة ، وهو ما يحدث اضطرابا فى موسيقى البيتين اللذين وردت الكلمتان فيهما ، إلا إذا حذفنا الهمزتين كما فعلت أنا هنا ، فعندئذ نشعر على الفور أننا بإزاء شعر إسلامى صوفى مما يصعب انتماؤه للعصر الأموى أو حتى بدايات العباسى . لكن هل يمكن أن يكون هذا قد

فات ابن داود الأنطاكى؟ تلك هى المعضلة . إلا أننا لو استحضرنا فى المقابل أن كبار مؤرخى الأدب ونقاده فى تلك الفترة ، وهم العلماء الذين شغلتهم قضية الانتحال فى الشعر الجاهلى والمخضرم كابن سلام وابن قتيبة والجاحظ وأبى الفرج وابن هشام ، لم يَرْوُوا شيئا من هذا الشعر لأمية ، لوجدنا أنها ليست بالمعضلة التى تستعصى على الحل . وأيا ما يكن الأمر فكما قلت: إن من يريد منا أن نقبل نسبة الأشعار محل الدراسة لأمية فلا بد أن يقبل معها الأحداث المصاحبة لها فى الروايات التى أوردتْها لنا .

ومما تقوله الروايات عن النبى وأمية أيضا ذلك اللقاء الذى تم بينه صلى الله عليه وسلم وفارعة أخت الشاعر حينما جاءته عند دخوله الطائف فى السنة التاسعة للهجرة وحكت له قصة أخيها وأنشدته من شعره بناءً على طلبه ، وما عقَّب به عليه السلام قائلا: "يا فارعة ، إن مَثَل أخيك كمَثَل من آتاه الله آياته فانسلخ منها" (ابن حجر/ الإصابة فى معرفة الصحابة/ مطبعة مصطفى محمد/ القاهرة/ ١٩٣٩م/ ٤/ ٣٦٣ ، والاستيعاب فى معرفة الأصحاب/ مطبعة مصطفى محمد/ القاهرة/ ١٩٣٩م/ ٤/ ٣٧٩) . هل يعقل أنه صلى الله عليه وسلم يسعى إلى فتح ملفّ أمية ويقول فيه هذه الكلمة القارصة ، وعلى مسمع من أخته ، وفى أشد اللحظات على أهل الطائف وطأةً لأنها لحظة انكسار وانهزام ، لو كان قد استمد شيئا من قرآنه من شعر الرجل؟ إنه فى هذه الحالة كمن يمد يده فى جحر الثعابين والعقارب معرِّضا نفسه لخطر الهلاك الوَحِيّ دونما أدنى داع ، ومعاذَ الذكاء المحمدى أن يفوته عليه السلام ما ينتظره من الخطر فيقدم على التصرف بمثل هذا التهور! ونفس الشىء نقوله عن موقفه من الشريد بن الصامت ، إذ لماذا يشجعه صلى الله علي وسلم على الاستمرار فى إنشاد الشعر الذى من شأنه أن يفضح دعواه لو كان أمية قد قاله فعلا قبل القرآن ، واستمد هو قرآنه

منه؟ بل لماذا ينشد سويد أمامه شعر أمية أصلا لو كان متطابقا مع القرآن هذا التطابق الذى يدل على استمداده منه؟ بل كيف لم يتنبه لهذا التشابه ولم يختلج على الأقل ضميره بالشكوك والوساوس؟ ولنفترض بعد ذلك كله أنه صلى الله عليه وسلم قد أقدم على هذا التصرف الخاطئ فى الحالين، فكيف لم يصدر عن الطرف الآخر أى شىء يُلْمِح إلى أسبقية شعر أمية على القرآن أو حتى إلى مجرد المشابهة بين النصين ولو على سبيل فلتات اللسان؟

وعندنا من الثقفيين، غير فارعة أخت شاعرنا، كنانة بن عبد ياليل، وكان رئيس ثقيف فى زمانه، واشترك مع أبى عامر الراهب العدو اللدود للإسلام فى التآمر على الدين الجديد وصاحبه، ولم يتركا سبيلا إلا وسلكاه لبلوغ هذه الغاية حتى إنهما ذهبا إلى قيصر للاستعانة به ضد الإسلام. ولما فشلا بقى أبو عامر فى الشام، وعاد ابن عبد ياليل بعد تطواف هنا وهناك وأعلن إسلامه. ويقال إنه كان من بين المرتدين، ثم رجع إلى الإسلام مرة أخرى. والسؤال الذى يتبادر إلى الذهن لو كان الرسول قد أخذ شيئا من شعر أمية هو: كيف سكت مِثْلُ كنانة فلم يتخذ من هذا الأمر سلاحا يوجهه إلى قلب الإسلام فى مقتل فيريح نفسه وقومه والعرب جميعا من هذا البلاء الذى أرّقهم وأزعجهم بدلا من الضرب فى الآفاق والاستعانة بمن يساوى ومن لا يساوى؟ أليس هذا هو ما كان ينبغى أن يمليه المنطق على مثل ذلك الزعيم القبلى؟ لكنه لم يفعل، فعلام يدل هذا؟ أيعقل أن يكون بيده ذلك السلاح الحاسم ولا يفكر فى استخدامه على طول ما حارب الإسلام وكثرة ما تآمر ضده؟ (ابن حجر/ الإصابة فى معرفة الصحابة/ ٢/ ٤٩٦، و٣/ ٣٠٥).

وكان عروة بن مسعود الثقفى قد بكّر بالدخول فى الإسلام قبل قومه بزمن، فأراد من حبه لهم أن يهديهم الله على يديه، فاستأذن الرسولَ عليه

السلام أن يأتيهم فيدعوهم إلى الدخول فى دين التوحيد، لكنه صلى الله عليه وسلم حذره من أنهم سيقتلونه. إلا أنه لم يكن يتصور أنهم يمكن أن يعادوه ويتأبَّوْا عليه اعتقادا منه أنهم يحبونه ويكرمونه أشد الإكرام، فعاود الاستئذان، والرسول يحذره، ثم أذن له فى الثالثة ليذهب إليهم ويلقى المصير الذى حاول الرسول أن يجنبه إياه، إذ ما إن بدأ يدعوهم إلى الإسلام حتى اجتمعوا إليه من كل جانب ورَمَوْه بالنبل فقتلوه، رضى الله عنه (أبو نعيم الأصفهانى/ دلائل النبوة/ ط٢/ حيدر أباد الدكن/ ١٩٥٠م/ ٤٦٧). أولو كان الرسول قد أخذ قرآنه من أمية ابن الطائف التى طال استعصاؤها على الإسلام إلى وقت متأخر، أكان عروة يدخل فى دينه مخالفا قومه بهذه البساطة؟ بل أكان الرسول يرضى أن يذهب إليهم هذا المندفع الذى لا يفكر فى العواقب، ومعروف أن أول ماسيجيبونه به هو: أوقد نسيت أن الرسول الذى تدعونا إلى الإيمان بدينه ليس سوى سارق لشعر شاعرنا، أخذه وزعم أنه قرآن يُوحَى إليه من السماء؟ وحتى لو لم يفكر أى منهما فى تلك النتيجة التى لا يمكن أن يتجه الذهن إلى أى شىء غيرها، أكانت ثقيف تدع تلك الفرصة السانحة دون أن تتهكم بعروة على غفلته وتحمسه لدين يقوم على هَبْش النصوص الشعرية من الشعراء الآخرين والزعم بأنه وحى من عند رب العالمين؟

وهناك أيضا من مشاهير الثقفيين الشاعر أبو محجن، الذى كان مدمنا للشراب، وكان يتأرجح بين عشقه المتوله للخمر وتحرجه الدينى، وإن كان للعشق الغلبة فى بداية أمره حتى لقد حُدَّ فيها مرارا، ونفاه عمر إلى إحدى الجزر... إلى أن جاءت حرب القادسية، وقصته فيها معروفة، إذ كان ساعتها فى القيد فى بيت سعد بن أبى وقاص (قائد المسلمين فى تلك المعركة) بسبب الخمر انتظارا لإيقاع الحدّ عليه، فأخذ يلحّ على امرأة سعد

من وراء زوجها أن تحل وثاقه كى يستطيع المشاركة فى الجهاد فى سبيل الله، ولها عليه عهد الله أن يعود من تلقاء نفسه بعد المعركة فيضع رجليه فى القيد كرة ثانية، حتى نجح فى إقناعها فأطلقته فحارب وأبلى فى الحرب بلاء حسنا وانتصر المسلمون، فكان عند كلمته وعاد فوضع رجليه فى القيد، ثم أعلن توبته النهائية عن أم الخبائث بعد أن أبدى سعد إعجابه به ووعده أنه لن يحده أبدا، إذ صرّح قائلا إنه يستطيع الآن أن يقلع عنها دون الخوف من أن يقول أحد عنه إنه تركها خشية العقاب. ولا يزال ديوانه يمتلئ بالأشعار التى يتغزل فيها فى بنت الكَرْم متمردا على تحريمها فى دين محمد. بل إنه كان أحد الذين دافعوا عن الطائف أثناء حصار المسلمين لها عقب فتح مكة، وأصاب سهمه فيها ابنًا لأبى بكر (الزركلى/ الأعلام/ ط٣/ ٥/ ٢٤٣، ودائرة المعارف الإسلامية/ الترجمة العربية/ ٢/ ٥٩٧- ٥٩٨، وديوان الشاعر، وبهجة عبد الغفور الحديثى/ أمية بن أبى الصلت/ ٤٢- ٤٣). والسؤال هنا أيضا: كيف لم يتحدث مثل هذا الشاعر عن استعانة الرسول بشعر ابن قبيلته ولو فى نوبة من نوبات تهتكه وتمرده على تحريم الإسلام الصارم لأم الخبائث، أو فى شعره قبل دخوله فى الإسلام؟

ثم لدينا من الثقفيين أيضا الحجاج بن يوسف، الذى كان معلما للقرآن فى بداية حياته كأبيه لا يبتغى بذلك مالا، بل احتسابًا عند الله، ثم أصبح فيما بعد أحد عمال بنى أمية الكبار. وهو الذى أدخل على نظام الكتابة العربية المزيد من الإتقان والضبط، إذ عهد إلى نصر بن عاصم بإعجام الخط، أى وَضْع النقاط للتمييز بين الأحرف المتشابهة كالباء والتاء والثاء، والجيم والحاء والخاء... طلبًا لمزيد من الدقة والتسهيل فى قراءة القرآن، الذى يدّعى بعض الرُّقَعاء أنه مقتبَس فى بعض مواضعه من شعر أمية. كما كان، رغم كل ما قيل عن قسوته أيام ولايته على العراق، من المداومين

على قراءة القرآن. وكذلك كان يشجع بكل وسيلة على حِفْظه، ويُدْنِى منه حُفَّاظه (أحمد صدقى العَمَد/ الحجاج بن يوسف الثقفى- حياته وآراؤه السياسية/ دار الثقافة/ بيروت/ ١٩٧٥م/ ٨٦- ٨٧، ٩٦، ٤٧٤، ٤٧٧- ٤٧٨، وهزاع بن عيد الشمّرى/ الحجاج بن يوسف الثقفى- وجه حضارى فى تاريخ الإسلام/ دار أمية/ الرياض/ ٤٤). والآن الا يحق لنا أن نتساءل: ما الذى جعل الحجاج يتحمس لدين محمد كل هذا التحمس لو كان هناك ولو ذرة واحدة من الشك تحوم حول مصدر هذا الكتاب، وبخاصة أن المصدر فى هذه الحالة لن يكون شيئا آخر غير شعر ابن القبيلة التى يعتزى هو إليها؟ لا ليس ابن قبيلته فقط، بل هو ابن خالة جده الرابع لأمه: معتب بن مالك (انظر فى نَسَبه "الحجاج بن يوسف الثقفى- وجه حضارى فى تاريخ الإسلام" هزاع بن عيد الشمّرى/ ١٥). ولا يظنَّنّ أحد أن شعر أمية لم يكن يهم الحجاج لانشغاله بالسياسة وما يتصل بها، فقد رُوِىَ عنه قوله: "ذهب قوم يعرفون شعر أمية، وكذلك اندراس الكلام" (د. جواد على/ المفصّل فى تاريخ العرب قبل الإسلام/ ٦/ ٤٨٣)، أى أن نصوص الشعر والأدب إنما تضيع بذهاب من يحفظونها. وههنا نقطة مهمة جدا، الا وهى أن شعر أمية قد ضاع، على أقلّ تقدير، جانبٌ كبير منه قبل الحجاج، فكيف وصلنا إذن كل هذا الشعر الذى يشابه القرآن إذا كان واحد من أقرب من تصله به رابطة الدم يشكو من ضياعه على هذا النحو؟

وأهم من ذلك كله دلالةً على ما نريد من أن القضية التى يثيرها الفارغون الجهّال من المبشرين ومَنْ لَفَّ لفَّهم من أبناء المسلمين الذين ختم الله على قلوبهم وعقولهم وأعينهم، فهم لا يفكرون ولا يستمعون إلا لكل مغرض ممن يريد أن يقضى عليهم وعلى أمتهم، إنما هى زوبعة فى كستبان

لا أكثر ، أن الفارعة أخت أمية ، وأبناءه القاسم وأمية وربيعة ووَهْبًا ، قد دخلوا مع ثقيف كلها فى الإسلام ، وكان القاسم وأمية وربيعة يقولون الشعر ، ولم يُؤْثَر عن أى منهم ولا من غيرهم ممن كان يمتّ بصلة نسب إلى أميّة أية كلمة تومئ مجرد إيماء إلى أن الرسول يمكن (يمكن فقط) أن يكون قد استفاد من شعر ذلك الشاعر على أى نحو من الأنحاء ، ودعك من أن مجرد اعتناقهم الإسلام هو فى حد ذاته برهان على تكذيبهم بأبيهم وانحيازهم إلى محمد ، وهو ما ينقض ما يهرف به الأغبياء المحترقون حقدًا على دين محمد من أن القرآن هو فى بعض جوانبه اقتباس من شعر متحنّف الطائف . كما أن كثيرا من العرب قد ارتدّ بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ، وكان لكل قبيلة تعلاتها السخيفة التى تحاول أن تسوّغ بها هذه الردة ، لكننا لم نسمع قطّ أن أحدا ممن ارتدّ قد فتح هذا الموضوع . بل إن قبيلة ثقيف قد هَمَّتْ بالارتداد ، لولا أن عثمان بن العاص كرّه إليهم الإقدام على مثل ذلك التصرف الذى لا يليق ، فما كان منهم إلا أن فاؤوا إلى رشدهم ولم يعودوا إليها ، بل كان منهم كثيرون حاربوا المرتدّين بكل إخلاص . وهنا أيضا لم نسمع أية نأمة حول الاستفادة المحمدية المزعومة من شعر أمية! ليس ذلك فحسب ، فهناك ، كما أشار د. جواد على (فى كتابه: "المفصّل فى تاريخ العرب قبل الإسلام" / ٦/ ٤٩٣) ، يوحنا الدمشقى مثلا ، وهو من أوائل من كتب من النصارى مهاجما الإسلام ، وكان معاصرا لدولة بنى أمية . أفلو كان لهذه الشبهة أىّ ظل من الحقيقة مهما ضؤُل ، أكان هذا الراهب المتعصب على الإسلام ، والذى يريد أن يهدمه على رؤوس أصحابه ويثبت بكل وسيلة أن محمدا لم يكن نبيًا صادقًا ، يُفْلِت تلك السانحة الغالية ويسكت فلا يستخدم هذه الورقة الجاهزة والرابحة بكل يقين؟

بهذا تكون القضية قد ظهرت على وجهها الحقيقى: فلا أمية ولا أى

واحد من أبنائه أو أقاربه أو قبيلته أو حتى من العرب ، بل ولا من النصارى واليهود الذين عاصروا النبى أو جاؤوا بعده بقليل ، قد أثار هذا الأمر على أى وضع . أليس لنا الحق بعدئذ فى أن نصف من يفتح هذا الموضوع الآن بالرقاعة والوقاحة؟ إن ذلك بمثابة رفع دعوى من غير ذى صفة ، بل من شخص لا يستند إلى أى توكيل من أىٍّ من أصحاب الشأن رغم أن الظروف كلها من شأنها أن تدفع أصحاب الشأن هؤلاء إلى الكلام لو كان لتلك المزاعم أساسٌ أىَّ أساس! خلاصة القول إنه ليس أمامنا فى هذه المسألة إلا أمران: فإما قلنا بزيف نسبة هذه الأشعار إلى أمية ، وإما قلنا إنه قد نظمها تقليدا لما جاء فى القرآن . لكنّ د . جواد على يرفض الاحتمال الثانى ولا يرى إلا احتمالا واحدا هو زيف الأشعار المعزوّة إلى أمية . ومن بين ما اعتمد عليه فى هذا الرأى أن النبى عليه السلام لم يتهم أمية بالأخذ منه (المفصَّل فى تاريخ العرب قبل الإسلام/ ٦/ ٤٩١) . وأنا ، وإن كنت أميل إلى رأى الأستاذ الدكتور ، لا أستطيع أن أنبذ الرأى الآخر مائة فى المائة لعدم توفر دليل قاطع على صحته ، ولكيلا أترك فرصة لأى جَعْجَاع يريد أن يُجْلِب على القرآن والرسول ، فكان لا بد أن أسدّ هذه الثغرة . ومن هنا فإننى أجيب على الحجة التى ساقها د . جواد بالقول إن النبى عليه السلام أكبر من أن يقف عند هذه الأشياء ، وبخاصة أنه قد نزل عليه القرآن كى يفيد منه الناسُ أيا كان نوع تلك الإفادة لا ليشمخ به عليهم . ثم إن القرآن ليس ملكا للرسول بل هو كتاب الله ، فماذا كان يمكن للرسول أن يقول لأمية فى هذه الحالة ، وبالذات إذا علمنا أن أمية لم يواجهه بل اكتفى بالازورار؟ وحتى هذا الازورار لم يكن كاملا ، فقد جاء فى بعض الروايات أنه وفد عليه ذات مرة واستمع منه إلى سورة "يس" ، وشهد له بالحق ، وأنه ، عند عودته من الشام ، قد أخذ طريقه إلى المدينة ليعلن الدخول فى دين محمد

لـولا تحريض المشركين له بإثارة نقمته على الرسول جرّاء مقتل بعض أقاربه على يـد المسلمين فـى بـدر حسبما جاء فى "الإصابة" لابن حجر و "مجمع البيان" للطَّبْرِسِىّ وغيرهما (د. جواد على/ المفصّل فى تاريخ العرب قبل الإسـلام/ ٦/ ٤٨٦) . أما إذا كـان لا بـد من أن يردّ عليه النبى رغم ذلك كلـه ، أفـلا يكفينا مـا رُوِىَ عنـه صـلى الله علـيه وسلم من قوله فيه: "آمن شـعره ، وكفـر قلـبه" أو "آمـن لـسانه ، وكفر قلبه" (صحيح مسلم من كتاب "الـشعر" . وقد أورده الدكتور جواد نفسه فى "المفصّل فى تاريخ العرب قبل الإسـلام" / ٤٨٥)؟ إذ معنى "آمن شعره أو لسانه" أنه كان يأخذ ما جاء فى القـرآن ويـردّده فـى شـعره ترديد المؤمن به ، لكن حسده له عليه السلام قد منعه أن يعلـن ذلـك بـصفة رسـمية ونهائـية ، وهـذا معنى كفران قلبه . أما الاحتمال الـثالث الـذى طـرحه بعـض المـستشرقين ، كالمستـشرق الألمانـى شـولتس ناشـر ديوان أمية ، من أن النبى وأمية قد استقيا كلاهما من مصدر ثالث مشترك فهو احتمال ليس له رِجْلان يمشى عليهما ، إذ أين ذلك المصدر المشترك؟ ولِـمَ لَـمْ يظهـر طـوال كل هاتيك القرون؟ وكيف وقع كل منهما عليه ، وبينهما كل هذا البعد المكانى والنفسى؟ ثم لماذا هما وحدهما بالذات من دون العرب كلهم بل من دون العالم أجمع؟

***

هل أخطأ القرآن في اسم والد مريم كما يزعم المتخرصون؟

هل أخطأ القرآن فى اسم والد مريم كما يزعم المتخرصون؟

يبدئ المستشرقون والمبشرون ويعيدون فى اتهام القرآن الكريم بالخطإ فى إيراد هذه المعلومة أو تلك، أو رواية هذه الواقعة التاريخية أو تلك، أو النص على أن اسم الشخص الفلانى هو هذا الاسم أو ذاك، مستندين فى ذلك كله على أن الكتاب المقدس لديهم مثلا يقول بغير هذا، جاعلين كتابهم بهذه الطريقة هو الأساس الذى يحاكمون إليه القرآن، وكأن كتابهم المقدس كتاب معصوم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. ولسوف أجتزئ هنا بمثال واحد على هذه التخطئات التى يُقْدِم عليها القومُ بجرأة وثقة يُحْسَدون عليها، ولسوف يتبين بعدها للرائح والغادي، والقاصى والدانى، والأعمى والمفتّح، والجاهل والعالم، وصاحب هذا الدّين أو ذاك، أن الأمر بخلاف ما يحاول هؤلاء الناس أن يوهموا القراء به تماما. وهناك فى كتبى ودراساتى كثير من هذه الأمثلة والرد عليها وتفنيدها تفنيدا علميا يترك هذه التخطئات بل الكتاب المقدس نفسه الذى يعتمدون عليه ثقوبا لا يمكن سَدُّها ولا حتى رَتْقُها!

ومن هذه التخطئات ما يرددونه دائما بملء بجاحتهم من أن القرآن الكريم حين يقول عن مريم أم عيسى عليهما السلام إنها بنت عمران وأخت هارون قد أخطأ خطأ فاحشا لا يغتفر، إذ إن عمران هو أبو موسى وهارون لا أبو مريم، التى أخطأ القرآن فى إيراد نسبها فجعلها ابنة لعمران هذا، ثم أكد هذا الخطأ بقوله أيضا إنها أخت هارون، أى أنها أخت هارون وموسى

معا ما داما أخوين ، وبنت عمران أبيهما ، مع أن مريم التى هى أخت هارون وموسى وبنت عمران ليست هى مريم أم المسيح عليه السلام ، بل هى مريم النبية التى كانت أختا لهارون وموسى حقيقةً لا وهمًا ، وهذه "المريم" الأخرى تسبق فى الوجود مريم أم المسيح بنحو ألف وخمسمائة عام .

وإلى القارئ الكريم أربعة أمثلة على هذه التخطئة مأخوذة من ثلاثة مواقع مختلفة هى التى وجدتها على المشباك أثناء تتبعي لهذا الانتقاد: الأول لصموئيل عبد المسيح ، والثانى من موقع الكلمة لزكريا بطرس ، والثالث من موقع "Answering Islam" الناطق بالإنجليزية ، فضلا عن كتاب صدر فى النمسا عام ١٩٩٤م بعنوان "هل القرآن معصوم؟" لشخص يتسمى باسم "عبد الله عبد الفادى" ، وهو اسمٌ مخترَعٌ كما هو واضح ، وإن كانت الجهة التى تقف خلفه معروفة ، والأحرى أن يكون اسمه: "عبد الفاضى" ، أو "العبد الفاضى" كى يكون اسما على مسمى . ونبدأ بالكتاب الأخير ، وقد ورد فيه السؤال التالى: "جاء فى سورة "التحريم" (١٢): "ومريمَ ابنةَ عِمْرَان التى أَحْصَنَتْ فرجَها فنفخْنا فيه من روحنا ، وصدَّقَتْ بكلمات ربها وكُتُبه ، وكانت من القانتين" ، وجاء فى سورة "مريم" (٢٧- ٢٨): "فأتت به قومها تحمله ، قالوا: يا مريم ، لقد جئتِ شيئًا فَرِيًّا* يا أختَ هارون ، ما كان أبوكِ امرأَ سَوْءٍ ، وما كانت أمكِ بغيًّا" . ونحن نسأل: يقول الإنجيل إن مريم العذراء هى بنت هالى (لوقا/ ٣/ ٢٣) ، فكيف يقول القرآن إنها بنت عمران أبى موسى النبى ، وإنها أخت هارون ، مع أن بينها وبين عمران وهارون وموسى ألف وستمائة سنة؟" . أما ما جاء فى المواقع المشباكية فها هو ذا:

١ – "أخطاء القرآن

صموئيل عبد المسيح Samu2el@hotmail.com

مريم أخت هارون أنجبت (في الصحراء) تحت نخلة :

﴿ فَأَجَاءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ ﴾

[مريم: ٢٣ – ٢٨] .

أحقا أن مريم أم المسيح هي اخت هارون وموسى؟ ما هي الفترة الزمنية بين مريم أخت هارون وموسى ومريم أم المسيح يسوع؟"

٢- " مركز الكلمة المسيحي

www.alkalema.net

- تعليقات على سورة آل عِمران

- أبو مريم:

- ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾

[آل عمران: ٣٥ – ٣٦] .

- خلط القرآن أبا موسى بأبي مريم ، فقال إنّ عمران أبا موسى وهارون هو أبو مريم التي حلت الكلمة الإلهية . ومما يؤيّد خطأه هذا قوله في سورة مريم: "يا أخت هارون" (٢٨) ، مع أن بين موسى والمسيح نحو ١٥٠٠ سنة .

- ولما رأى علماء المسلمين هذا قالوا إن عمران المذكور في هذه العبارة هو غير والد موسى ، ولكنهم أخطاوا ، لأن الكتاب المقدس لا يذكر شيئًا عن ميلاد العذراء مريم ، ولم يكن هناك مصدر يستقي منه محمد أخباره ، ولكن كانت هناك بعض خرافات الغنوسيين الذين ملأوا الجزيرة العربية ، وأيضا المريميين الذين كانوا يُؤلِّهون العذراء مريم ويضعون حول ميلادها وحياتها كثيرا من المعجزات كما ورد في كتابي مولد العذراء وطفولية المخلّص وإنجيل الطفولية (راجع الطبري والقرطبي والرازي في تفسير "آل عمران" / ٣٥ ، ٣٦)".

- 3- " Qur'an Contradiction:

- Mary, Sister of Aaron & Daughter of Amram

- In several Suras the Qur'an confuses Mary the mother of Jesus [Miriam in Hebrew] with Miriam the sister of Aaron and Moses, and daughter of Amram which is about 1400 years off.

- At length she brought (the babe) to her people, carrying him (in her arms), They said: " O Mary! Truly a strange thing has thou brought! " O sister of Aaron, thy father was not a man of evil, nor your mother a woman unchaste! "

- -- Sura 19: 27-28

- And Mary, the daughter of `Imran,...

- -- Sura 66: 12

- I am aware what Muslims claim to be a solution to this problem. Yusuf Ali for example writes in his footnote 2481 commenting on the above verse: " Aaron the brother of Moses was the first in the line of Israelite priesthood. Mary and her cousin Elisabeth (mother of Yahya) came from a priestly family, and were therefore, 'sisters of Aaron' or daughter of `Imran (who was Aaron's father) ".

- This is faulty reasoning. Only Aaron became a Priest of the Lord and in fact the first High Priest. And only Aaron's descendents became priests. Neither Moses nor their sister Miriam are ever understood to be in " priestly lineage. " Amram is definitely not a priest. If Mary's lineage of being part of a priestly family should be stressed then necessarily she would have to be called a daughter of Aaron, since all of Israel's priests are descendants of Aaron, while his brother and sister are not counted among the priestly line.

- I do agree that " father ", " daughter " and " sister " might be used sometimes rather losely and only indicate a " general family relationship. " Therefore we have to carefully read in each mentioning to see what is meant. And the Qur'an makes clear that the narrow, physical

meaning of daughter and (hence) sister is meant in this case as I will demonstrate below. Even if there were no concern about the issue of " priestly " but only such a wider family relationship was in view, why does the Qur'an not say " daughter of Aaron " who is her most famous forefather? Even though " sister " might be used in a wider meaning than a sister within the same immediate family, isn't it the use even in Islam that " brothers and sisters " live on roughly the same generational level (like cousins) while " father and daughter " signifies a generational difference between the two persons compared? Why are the wives of Muhammad not called the " sisters of the believers " but " the mothers of the believers "? [Today's believers! - Aisha certainly was not called the mother of 'Uthman, Umar, Abu Bakr and the other believers of Muhammad's life time.] For what reason call her sister of the famous Aaron (being 1400 years older than Mary) but daughter of `Imran (Bible: Amram) of whom we know nothing at all apart from the fact that his name is mentioned in the genealogical tables in Exodus 6 and 1 Chronicles 23? This is perfectly clear if the two Miriams were indeed confused. But the attempts of

harmonization don't really sound very logical.

- The above points are just some " minor questions ". The big problem is that the Qur'an is explicitely not talking about wider clan relationships as we see in the following verse.

- Behold! wife of `Imran said: " O my Lord! I do dedicate unto Thee what is in my womb for Thy special service... When she was delivered, she said: " O my Lord! Behold! I am delivered of a female child! "... "... I have named her Mary... ".

- -- Sura 3: 35-36

- Muslims are usually very particular about whose wife a woman is and it is definitely not allowed that just anybody can have sex with a woman only because he is a " wider relative of hers. " If Mary is the female child that came out of the womb of the wife of `Imran, then she is the direct daughter of `Imran and there is no question that the theory of " far descendency " is contradicted by the Qur'an itself.

- Yusuf Ali in his footnote 375 to Sura 3: 35 even goes so far to invent (?) a second `Imran by claiming that " by tradition Mary's mother was called Hannah...

and her father was called `Imran, " in order to somehow save the Qur'an from this contradiction. But the same tradition that calls Mary's mother Hanna, also gives the name of her husband as Joachim. Why would Y. Ali accept one part of this tradition (e. g. in the Proto-Evangelion of James the Lesser) and reject the other? Yusuf Ali does not give any reference for this " tradition " he refers to. Until I see any reference to that, there is no reason to accept this theory. As to my current knowledge there is no such tradition that predates Muhammad. Some Muslim commentators might have made something up later to explain this very problem, but such a late theory / " tradition " is not very credible.

- And a last question: Is there any other instance in the Qur'an where a person is consistently called daughter [son] or sister [brother] of people which are only wider relatives? Even if there was to be one name in the clan so overpowering that everybody is named in his or her relationship to that one person, it is doubly improbable that anybody would be named always after two distant relatives in the place of " father " and " brother ", and never be mentioned in relationship to his or her real parents' or brothers' names. If this is the

only instant then the Muslim explanation is even more strained since ad hoc explanations, i. e. explanations which serve no other purpose than to explain away this one problem but are not used anywhere else are not very credible. It does appear to be such an artificial reasoning in this case. And the fact that Aaron is indeed `Imran's son and this is a direct and correct genealogical relationship, also indicates that the rest is understood as daughter and sister in the normal everyday sense.

- Thomas Patrick Hughes in his " Dictionary of Islam ", page 328, writes on this issue that " it is certainly a cause of some perplexity to the commentators. Al-Baidawi says she was called `sister of Aaron' because she was of Levitical race; but Husain says that the Aaron mentioned in the verse is not the same person as the brother of Moses. "

- As always, conflicting explanations are evidence that there is indeed a problem and no one clear and satisfactory solution is available.

- Note: Moses and Aaron are called " Musa ibn `Imran " and " Harun ibn `Imran " in the Hadiths, just the same way as Mary is called " Maryam ibnat `Imran " in Sura 66: 12 ".

- ونبدأ بكلام العبد الفاضى فنقول إن هذا الكلام لا موقع له من المنطق إلا فى المرحاض . لماذا؟ لأن الإنجيل الذى كان يمكن أن يحاجّ القرآن به لو كان بين الكتابين اختلاف ، وهو الإنجيل الذى أنزله الله سبحانه وتعالى على عبده ورسوله عيسى عليه السلام ، هذا الإنجيل لم يعد له وجود ، أما الأناجيل التى بين أيدينا الآن فلم تنزل من السماء كما هو معروف ، بل هى سِيَرٌ وتواريخُ كتبها بعض النصارى بعد أن توفّى الله المسيح ورفعه إليه بعشرات السنين ، ويختلط فيها الحق بالباطل ، ولم يُتّبع فيها أى منهج علمى ولا روعيت فى تأليفها أية ضمانات لتجنيب مؤلفيها الخطأ أو على الأقل تقليل هذا الخطإ وحَصْره فى أضيق نطاق ممكن ، وكثيرٌ ما هو فى تلك الأناجيل لذلك السبب وغيره . فحِجَاج هذا السفيه لنا بأن الإنجيل قد قال كذا فى المسألة التى نحن بصددها هو حجاج باطل . على أن هذه الملاحظة لا تصدق على الأناجيل فحسب بل تشمل الكتاب المقدس جميعه "من ساسه لراسه" حسب التعبير الشعبى المعروف . وإلى القارئ بعضا من الأخطاء-الأفاكيه الموجودة فى الكتاب المقدس كى يقضى وقتا بهيجا مع ذلك الكتاب الذى يتخذه بعض المهاويس معيارا يخطّئون به قرآننا:

- فمن ذلك مثلا ما جاء فى سِفْر "التكوين"(١) من أنه قد "[١]أُكْمِلَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَكُلُّ جُنْدِهَا . [٢]وَفَرَغَ اللهُ فِي الْيَوْمِ السَّابعِ مِنْ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ . فَاسْتَرَاحَ فِي الْيَوْمِ السَّابعِ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ . [٣]وَبَارَكَ اللهُ الْيَوْمَ السَّابعَ وَقَدَّسَهُ لأَنَّهُ فِيهِ اسْتَرَاحَ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ اللهُ خَالِقاً . . . [١٠]وَكَانَ نَهْرٌ يَخْرُجُ مِنْ عَدْنٍ لِيَسْقِيَ الْجَنَّةَ وَمِنْ هُنَاكَ يَنْقَسِمُ فَيَصِيرُ أَرْبَعَةَ رُؤُوسٍ: [١١]اِسْمُ الْوَاحِدِ فِيشُونُ وَهُوَ الْمُحِيطُ بِجَمِيعِ أَرْضِ الْحَوِيلَةِ حَيْثُ الذَّهَبُ . [١٢]وَذَهَبُ تِلْكَ الأَرْضِ جَيِّدٌ . هُنَاكَ الْمُقْلُ وَحَجَرُ الْجَزْعِ . [١٣]وَاسْمُ النَّهْرِ الثَّانِي جِيحُونُ . وَهُوَ الْمُحِيطُ بِجَمِيعِ أَرْضِ كُوشٍ .

"وَاسْمُ النَّهْرِ الثَّالِثِ حِدَّاقِلُ. وَهُوَ الْجَارِي شَرْقِيَّ أَشُّورَ. وَالنَّهْرُ الرَّابعُ الْفُرَاتُ". أرأيت أيها القارئ العزيز هذه الدُّرر الجغرافية والجيولوجية التى يتقاصر دونها كل ما جاء فى كتب الجغرافيا والجيولوجيا، فضلا عن ذلك الإله الذى يتعب فيأخذ راحة بعد المجهود الشاق الذى بذله؟ يا له من إله مسكين يحتاج إلى كوب شاى ساخن يزيل عنه وعثاء التعب، ويا حبذا لو كان مع الشاى قطعتان من البسكويت! وكلّه بثوابه! ومن قدّم شيئا بيداه التقاه! (ملحوظة: من العرب قديما من كانوا يعربون المثنى دائما بالألف قبل شحاذى السيدة، وكذلك قبل "شحاتِ الغرام" بأزمان وأزمان، أقول هذا قبل أن ينطّ لى أحدهم مخطئنا وجود الألف فى "يداه" رغم دخول حرف الجر عليها!).

- كما جاء فى ذات السِّفْر (٦): "وَحَدَثَ لَمَّا ابْتَدَأَ النَّاسُ يَكْثُرُونَ عَلَى الأَرْضِ، وَوُلِدَ لَهُمْ بَنَاتٌ أَنَّ أَبْنَاءَ اللهِ رَأَوْا بَنَاتِ النَّاسِ أَنَّهُنَّ حَسَنَاتٌ. فَاتَّخَذُوا لأَنْفُسِهِمْ نِسَاءً مِنْ كُلِّ مَا اخْتَارُوا. فَقَالَ الرَّبُّ: «لاَ يَدِينُ رُوحِي فِي الإِنْسَانِ إِلَى الأَبَدِ. لِزَيَغَانِهِ هُوَ بَشَرٌ. وَتَكُونُ أَيَّامُهُ مِئَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً». كَانَ فِي الأَرْضِ طُغَاةٌ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ. وَبَعْدَ ذلِكَ أَيْضًا إِذْ دَخَلَ بَنُو اللهِ عَلَى بَنَاتِ النَّاسِ وَوَلَدْنَ لَهُمْ أَوْلاَدًا - هؤُلاَءِ هُمُ الْجَبَابِرَةُ الَّذِينَ مُنْذُ الدَّهْرِ ذَوُو اسْمٍ. وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الأَرْضِ، وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شِرِّيرٌ كُلَّ يَوْمٍ. فَحَزِنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الإِنْسَانَ فِي الأَرْضِ، وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ. فَقَالَ الرَّبُّ: «أَمْحُو عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ الإِنْسَانَ الَّذِي خَلَقْتُهُ: الإِنْسَانَ مَعَ بَهَائِمَ وَدَبَّابَاتٍ وَطُيُورِ السَّمَاءِ، لأَنِّي حَزِنْتُ أَنِّي عَمِلْتُهُمْ»". هل سمع أحد من عقلاء البشر أو حتى من مجانينهم أن لله أولادا؟ فمن أمهم يا ترى؟ ثم حين ذهب أولاد الله ليخطبوا بنات الناس، هل أخذوه معهم ليفاتح آباءهن ويتفق معهم على الشبكة والمهر والشقة

والأثاث والذى منه؟ ثم أى إله هذا الذى يأسف ويندم على ما فعل؟ ولقد بلغ من غضبه أنْ تشَوَّشَ عقله فلم يعد يستطيع أن يقوم بأتفه العمليات الحسابية، فمرة يقول لنوح: خذ من كل كائنٍ حىٍ اثنين اثنين ذكرًا وأنثى، ثم ينسى ما قاله بعد قليل فيجعل العدد من الحيوانات الطاهرة ومن طير السماء سبعةً سبعةً ذكورًا وإناثًا، ليعود مرة أخرى إلى عدد الاثنين (تكوين/ ٦/ ١٩- ٢٠، و٧/ ٢- ٣، ١٥- ١٦). كذلك مرّ فى النص السابق أنه كان هناك جبابرة كثيرون قبل الطوفان: قبل أن يتخذ أبناءُ الله بناتِ الناس، وأيضا بعد أن اتخذوهن زوجات، إلا أن كاتب هذا السفر، كعادة مؤلفى الكتاب المقدس، قد نَسِىَ هذا فقال عن نمرود (حفيد ابن نوح، الذى وُلِد بعد الطوفان بزمن طويل) إنه "أول جبّار فى الأرض" (تكوين/ ١٠/ ٨). وحتى نمرود هذا لا ندرى بالضبط مَنْ أبوه: فمرة يذكر الكاتب أبناء كوش بن حام بن نوح فلا يورد بينهم اسم نمرود، لنفاجأ به بعد أقل من سطر يقول: "وكوش وَلَدَ نمرود"، أى أنجبه (تكوين/ ١٠/ ٧- ٨). وسلِّم لى على المترو. لا أقصد مترو اليوم، بل المترو الذى كان قبل الطوفان، وكان يستخدمه الجبابرة، كل جبار فى عربةٍ وحده لا يشاركه فيها أحد، إذ هى لا تكفيه إلا بالعَنَت والمشقة وبعد أن يُدْخِلوه فيها بلبّاسة يُزَفْلِطُونها بالصابون لتسهيل عملية الدخول فلا ينحشر فى حَلْق الباب وتكون حكاية! ولم لا؟ أليس جبارا؟ إن هذا يذكّرنا بحكايات أبى لمعة التى طيَّرَتْ دماغ الخواجة بيجو فى حلقات "ساعة لقلبك" أيام زمان، فكان يصرخ من الدوار الذى تسببه له قائلاً: "آخ! يا النافوخ بتاع الأنا"!

- ومنه أيضا أن نوحا عليه السلام (قاتل الله من يسىء إليه ويفترى عليه الأكاذيب!) قد دعا على حفيده كنعان ولعنه لا لشىء إلا لأنه هو (أى نوحا، ولا أحد غيره) قد أخذ يعبّ من الخمر حتى أصبح طينة وانطرح

على الأرض وتكشفت سوأته (إخْص!) فرآه ابنه حام (أبو كنعان) على ذلك الوضع المزرى ، فلما أفاق نوح وعلم بما حدث انطلق فى نوبة مسعورة يلعن كنعان" وأبا خاش كنعان" ويدعو عليه بأن يجعله الله عبدا لعبيد إخوته (تكوين/ ٩/ ٢٠- ٢٧) ، مع أنه لا ذنب كما ترى لحام ، فضلا عن كنعان المسكين الذى لا ناقة له فى المسألة ولا جمل ، ولكن يبدو أن جدّه السِّكِّير لم يكن قد أفاق تماما من الخمر فلم يكن يدرى ماذا يقول ولا ماذا يفعل ، ولا على من يدعو ولا من يلعن!

- وفى سِفْر "الخروج" نقرأ أن أم موسى عليه السلام ، بعد ثلاثة أشهر من ولادته وبعد أن لم تعد تستطيع أن تخبئه خوفا من بطش فرعون به أطول من ذلك ، أخذت سَفَطًا من البَرْدِى وطلَته بالحُمَر والزفت ووضعت فيه الرضيع ثم وضعت السَّفَط بين الحَلْفَاء على حافة النهر ، فيما وقفت أخته ترقب من بعيد ماذا سيحدث ، وأن ابنة فرعون قد نزلت النهر لتستحم فى الوقت الذى كانت فيه جواريها يمشين على الشط ، فرأت السَّفَط بين الحَلْفَاء فأرسلت أَمَةً لها لتحضره ، ولما فتحته وجدت ولدا يبكى ، فقالت إنه من أولاد العبرانيين . . . إلخ . والذى أود الإشارة إليه هو أن أم موسى قد طلت السَّفَط بالحُمَر والزفت ، وهذه العملية إنما يقوم بها صنّاع القوارب والمراكب منعًا من تسرب الماء إليها حتى لا تغرق . فلماذا فعلت أم موسى ذلك إذا كان قصدها مجرد وضع السَّفَط على شاطئ النهر كما جاء فى رواية العهد القديم لا فى النهر نفسه كما قال القرآن؟ ألا يدل هذا على أن رواية القرآن الكريم للحادثة هى الرواية الصحيحة ، إذ جاء فيها أن أم موسى بعد أن وضعت رضيعها فى التابوت قد قذفت به فى اليم؟ إن كاتب قصة العهد القديم قد فضحته هذه التفصيلة الدالة ، مثلما فضحه قوله هو نفسه على لسان ابنة فرعون حين ذكرت أنها قد سمّتْ الرضيع: "مُوسَى" لأنها قد

انتشلته من الماء . أي أنه كان في الماء لا على الشط بين الحلفاء كما قال المؤلف السكران قبل أسطر (قارن بين سفر "الخروج" / ٢/ ٢- ١٠، وسورة "طه" / ٣٨- ٣٩ وسورة "القصص" / ٧- ٨) .

- وبالمثل نقرأ في الإصحاح الثاني والثلاثين من سفر "الخروج ما يلي: "١وَلَمَّا رَأَى الشَّعْبُ أَنَّ مُوسَى أَبْطَأَ فِي النُّزُولِ مِنَ الْجَبَلِ اجْتَمَعَ الشَّعْبُ عَلَى هَارُونَ وَقَالُوا لَهُ: «قُمِ اصْنَعْ لَنَا آلِهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا لأَنَّ هذَا مُوسَى الرَّجُلَ الَّذِي أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ لاَ نَعْلَمُ مَاذَا أَصَابَهُ». ٢فَقَالَ لَهُمْ هَارُونُ: «انْزِعُوا أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِ نِسَائِكُمْ وَبَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَأْتُونِي بِهَا». ٣فَنَزَعَ كُلُّ الشَّعْبِ أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِهِمْ وَأَتَوْا بِهَا إِلَى هَارُونَ. ٤فَأَخَذَ ذلِكَ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَصَوَّرَهُ بِالإِزْمِيلِ وَصَنَعَهُ عِجْلاً مَسْبُوكًا. فَقَالُوا: «هذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدَتْكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ!» ٥فَلَمَّا نَظَرَ هَارُونُ بَنَى مَذْبَحًا أَمَامَهُ وَنَادَى هَارُونُ وَقَالَ: «غَدًا عِيدٌ لِلرَّبِّ». ٦فَبَكَّرُوا فِي الْغَدِ وَأَصْعَدُوا مُحْرَقَاتٍ وَقَدَّمُوا ذَبَائِحَ سَلاَمَةٍ. وَجَلَسَ الشَّعْبُ لِلأَكْلِ وَالشُّرْبِ ثُمَّ قَامُوا لِلَّعِبِ. ٧فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «اذْهَبِ انْزِلْ! لأَنَّهُ قَدْ فَسَدَ شَعْبُكَ الَّذِي أَصْعَدْتَهُ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. ٨زَاغُوا سَرِيعًا عَنِ الطَّرِيقِ الَّذِي أَوْصَيْتُهُمْ بِهِ. صَنَعُوا لَهُمْ عِجْلاً مَسْبُوكًا وَسَجَدُوا لَهُ وَذَبَحُوا لَهُ وَقَالُوا: هذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدَتْكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ». ٩وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «رَأَيْتُ هذَا الشَّعْبَ وَإِذَا هُوَ شَعْبٌ صُلْبُ الرَّقَبَةِ. ١٠فَالآنَ اتْرُكْنِي لِيَحْمَى غَضَبِي عَلَيْهِمْ وَأُفْنِيَهُمْ، فَأُصَيِّرَكَ شَعْبًا عَظِيمًا». ١١فَتَضَرَّعَ مُوسَى أَمَامَ الرَّبِّ إِلهِهِ، وَقَالَ: «لِمَاذَا يَا رَبُّ يَحْمَى غَضَبُكَ عَلَى شَعْبِكَ الَّذِي أَخْرَجْتَهُ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ بِقُوَّةٍ عَظِيمَةٍ وَيَدٍ شَدِيدَةٍ؟ ١٢لِمَاذَا يَتَكَلَّمُ الْمِصْرِيُّونَ قَائِلِينَ: أَخْرَجَهُمْ بِخُبْثٍ لِيَقْتُلَهُمْ فِي الْجِبَالِ، وَيُفْنِيَهُمْ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ؟ ارْجِعْ عَنْ حُمُوِّ غَضَبِكَ، وَانْدَمْ عَلَى الشَّرِّ بِشَعْبِكَ. ١٣اُذْكُرْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَإِسْرَائِيلَ

عَبِيدَكَ الَّذِينَ حَلَفْتَ لَهُمْ بِنَفْسِكَ وَقُلْتَ لَهُمْ: أُكَثِّرُ نَسْلَكُمْ كَنُجُومِ السَّمَاءِ وَأُعْطِي نَسْلَكُمْ كُلَّ هَذِهِ الأَرْضِ الَّتِي تَكَلَّمْتُ عَنْهَا فَيَمْلِكُونَهَا إِلَى الأَبَدِ». [١٤] فَنَدِمَ الرَّبُّ عَلَى الشَّرِّ الَّذِي قَالَ إِنَّهُ يَفْعَلُهُ بِشَعْبِهِ". وواضح ما فى النص من إساءة فاحشة إلى نبى الله هارون ، الذى ينسب إليه الكتاب المقدس ومزوروه أنه هو الذى صنع العجل بيده وساعد قومه على الارتداد إلى الوثنية وهيأ لهم كل دواعى الكفر والفحش والفجور ، وكذلك ما فيه من إساءة إلى الله نفسه حيث يصوره الكاتب بصورة إله وثنى يندم ويتراجع عما كان قرره ، مما لا يمكن أن يكون وحيا سماويا إلا إذا كان الوحى السماوى قد أصابه الهزال حتى بانت كُلاه وسَامَه كلُّ مفلس أقرع العقل والوجدان والإيمان مثل كاتب هذا الكلام .

– ثم هناك الأفكوهة التالية التى تفطّس من الضحك والتى لا يمكن أن تقع ولا فى الأحلام . ذلك أن سِنّ الابن فى "الحدّوتة" التى نوشك أن نسمعها أكبر من سنّ أبيه بعامين (الله أكبر!): "[١٦] وَأَهَاجَ الرَّبُّ عَلَى يَهُورَامَ رُوحَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ وَالْعَرَبَ الَّذِينَ بِجَانِبِ الْكُوشِيِّينَ [١٧] فَصَعِدُوا إِلَى يَهُوذَا وَافْتَتَحُوهَا وَسَبَوْا كُلَّ الأَمْوَالِ الْمَوْجُودَةِ فِي بَيْتِ الْمَلِكِ مَعَ بَنِيهِ وَنِسَائِهِ أَيْضاً وَلَمْ يَبْقَ لَهُ ابْنٌ إِلاَّ يَهُوآحَازُ أَصْغَرُ بَنِيهِ . [١٨] وَبَعْدَ هَذَا كُلِّهِ ضَرَبَهُ الرَّبُّ فِي أَمْعَائِهِ بِمَرَضٍ لَيْسَ لَهُ شِفَاءٌ . [١٩] وَكَانَ مِنْ يَوْمٍ إِلَى يَوْمٍ وَحَسَبَ ذِهَابِ الْمُدَّةِ عِنْدَ نِهَايَةِ سَنَتَيْنِ أَنَّ أَمْعَاءَهُ خَرَجَتْ بِسَبَبِ مَرَضِهِ فَمَاتَ بِأَمْرَاضٍ رَدِيئَةٍ وَلَمْ يَعْمَلْ لَهُ شَعْبُهُ حَرِيقَةً كَحَرِيقَةِ آبَائِهِ . [٢٠] كَانَ ابْنَ اثْنَتَيْنِ وَثَلاَثِينَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ وَمَلَكَ ثَمَانِيَ سِنِينَ فِي أُورُشَلِيمَ وَذَهَبَ غَيْرَ مَأْسُوفٍ عَلَيْهِ وَدَفَنُوهُ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ وَلَكِنْ لَيْسَ فِي قُبُورِ الْمُلُوكِ" (أخبار الأيام الثانى/ ٢١) ، "[١] وَمَلَّكَ سُكَّانُ أُورُشَلِيمَ أَخَزْيَا ابْنَهُ الأَصْغَرَ عِوَضاً عَنْهُ لأَنَّ جَمِيعَ الأَوَّلِينَ قَتَلَهُمُ الْغُزَاةُ الَّذِينَ جَاءُوا مَعَ الْعَرَبِ إِلَى الْمَحَلَّةِ . فَمَلَكَ أَخَزْيَا بْنُ يَهُورَامَ

مَلِكِ يَهُوذَا . ٢كَانَ أَخَزْيَا ابْنَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ" (أخبار الأيام الثانى/ ٢٢) . لاحظ أيها القارئ الكريم أن الأب قد مات وعنده من العمر أربعون ، إذ كانت سنّه حين تولى المُلْك اثنين وثلاثين عاما ثم مَلَكَ ثمانية أعوام ، ثم تولى ابنه الحُكْم بعده مباشرة وكان عمره وقتها اثنين وأربعين . طيب ، وماذا فى هذا؟ إن الفرق كله يا أخى "شويّة" أعوام لا راحت ولا جاءت ، فلم تقيم الدنيا وتقعدها من أجل حفنة سنوات؟ بالضبط كما فى الفلم المشهور: "من أجل حفنة دولارات". وهأنتذا ترى أن الأمر كله تمثيل فى تمثيل ، فلا تكن حنبليا هكذا!

- ونختم بالمثال التالى ، وهو عبارة عن سلسلتَىْ نسب للسيد المسيح أترك القارئ الكريم يقارن بينهما بنفسه ليكتشف التناقضات العجيبة والفجوات السحيقة فى أهم موضوعات العهد الجديد على الإطلاق . والنصان التاليان مأخوذان من إنجيل متى وإنجيل لوقا على التوالى:

(متى/ ١): "١كِتَابُ مِيلاَدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ دَاوُدَ ابْنِ إِبْراهِيمَ . ٢إِبْراهِيمُ وَلَدَ إِسْحاقَ . وَإِسْحاقُ وَلَدَ يَعْقُوبَ . وَيَعْقُوبُ وَلَدَ يَهُوذَا وَإِخْوَتَهُ . ٣وَيَهُوذَا وَلَدَ فَارِصَ وَزَارَحَ مِنْ ثَامَارَ . وَفَارِصُ وَلَدَ حَصْرُونَ . وَحَصْرُونُ وَلَدَ أَرَامَ . ٤وَأَرَامُ وَلَدَ عَمِّينَادَابَ . وَعَمِّينَادَابُ وَلَدَ نَحْشُونَ . وَنَحْشُونُ وَلَدَ سَلْمُونَ . ٥وَسَلْمُونُ وَلَدَ بُوعَزَ مِنْ رَاحَابَ . وَبُوعَزُ وَلَدَ عُوبِيدَ مِنْ رَاعُوثَ . وَعُوبِيدُ وَلَدَ يَسَّى . ٦وَيَسَّى وَلَدَ دَاوُدَ الْمَلِكَ . وَدَاوُدُ الْمَلِكُ وَلَدَ سُلَيْمَانَ مِنَ الَّتِي لأُورِيَّا . ٧وَسُلَيْمَانُ وَلَدَ رَحَبْعَامَ . وَرَحَبْعَامُ وَلَدَ أَبِيَّا . وَأَبِيَّا وَلَدَ آسَا . ٨وَآسَا وَلَدَ يَهُوشَافَاطَ . وَيَهُوشَافَاطُ وَلَدَ يُورَامَ . وَيُورَامُ وَلَدَ عُزِّيَّا . ٩وَعُزِّيَّا وَلَدَ يُوثَامَ . وَيُوثَامُ وَلَدَ أَحَازَ . وَأَحَازُ وَلَدَ حَزَقِيَّا . ١٠وَحَزَقِيَّا وَلَدَ مَنَسَّى . وَمَنَسَّى وَلَدَ آمُونَ . وَآمُونُ وَلَدَ يُوشِيَّا . ١١وَيُوشِيَّا وَلَدَ يَكُنْيَا وَإِخْوَتَهُ عِنْدَ سَبْيِ بَابِلَ . ١٢وَبَعْدَ سَبْيِ بَابِلَ يَكُنْيَا وَلَدَ شَأَلْتِيئِيلَ . وَشَأَلْتِيئِيلُ وَلَدَ زَرُبَّابِلَ . ١٣وَزَرُبَّابِلُ وَلَدَ

أَبِيهُودَ . وَأَبِيهُودُ وَلَدَ أَلِيَاقِيمَ . وَأَلِيَاقِيمُ وَلَدَ عَازُورَ . [14] وَعَازُورُ وَلَدَ صَادُوقَ . وَصَادُوقُ وَلَدَ أَخِيمَ . وَأَخِيمُ وَلَدَ أَلِيُودَ . [15] وَأَلِيُودُ وَلَدَ أَلِيعَازَرَ . وَأَلِيعَازَرُ وَلَدَ مَتَّانَ . وَمَتَّانُ وَلَدَ يَعْقُوبَ . [16] وَيَعْقُوبُ وَلَدَ يُوسُفَ رَجُلَ مَرْيَمَ الَّتِي وُلِدَ مِنْهَا يَسُوعُ الَّذِي يُدْعَى الْمَسِيحَ".

- (لوقا/ ٣): "[23] وَلَمَّا ابْتَدَأَ يَسُوعُ كَانَ لَهُ نَحْوُ ثَلاَثِينَ سَنَةً وَهُوَ عَلَى مَا كَانَ يُظَنُّ ابْنَ يُوسُفَ بْنِ هَالِي [24] بْنِ مَتْثَاتَ بْنِ لاَوِي بْنِ مَلْكِي بْنِ يَنَّا بْنِ يُوسُفَ [25] بْنِ مَتَّاثِيَا بْنِ عَامُوصَ بْنِ نَاحُومَ بْنِ حَسْلِي بْنِ نَجَّايِ [26] بْنِ مَآثَ بْنِ مَتَّاثِيَا بْنِ شِمْعِي بْنِ يُوسُفَ بْنِ يَهُوذَا [27] بْنِ يُوحَنَّا بْنِ رِيسَا بْنِ زَرُبَّابِلَ بْنِ شَأَلْتِيئِيلَ بْنِ نِيرِي [28] بْنِ مَلْكِي بْنِ أَدِّي بْنِ قُصَمَ بْنِ أَلْمُودَامَ بْنِ عِيرِ [29] بْنِ يُوسِي بْنِ أَلِيعَازَرَ بْنِ يُورِيمَ بْنِ مَتْثَاتَ بْنِ لاَوِي [30] بْنِ شِمْعُونَ بْنِ يَهُوذَا بْنِ يُوسُفَ بْنِ يُونَانَ بْنِ أَلِيَاقِيمَ [31] بْنِ مَلَيَا بْنِ مَيْنَانَ بْنِ مَتَّاثَا بْنِ نَاثَانَ بْنِ دَاوُدَ [32] بْنِ يَسَّى بْنِ عُوبِيدَ بْنِ بُوعَزَ بْنِ سَلْمُونَ بْنِ نَحْشُونَ [33] بْنِ عَمِّينَادَابَ بْنِ آرَامَ بْنِ حَصْرُونَ بْنِ فَارِصَ بْنِ يَهُوذَا [34] بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ تَارَحَ بْنِ نَاحُورَ [35] بْنِ سَرُوجَ بْنِ رَعُو بْنِ فَالَجَ بْنِ عَابِرَ بْنِ شَالَحَ [36] بْنِ قِينَانَ بْنِ أَرْفَكْشَادَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحِ بْنِ لاَمَكَ [37] بْنِ مَتُوشَالَحَ بْنِ أَخْنُوخَ بْنِ يَارِدَ بْنِ مَهْلَلْئِيلَ بْنِ قِينَانَ [38] بْنِ أَنُوشَ بْنِ شِيتِ بْنِ آدَمَ ابْنِ اللهِ".

- ونحب مع ذلك أن نؤكد بكل ثقة ونجدٌ أن ما سقناه هنا من الأخطاء والانحرافات الموجودة فى الكتاب المقدس لا يعدو أن يكون عينة تافهة لا تُذكَر مما يعج به هذا الكتاب ، فأنت فى كل خطوة تخطوها فيه إنما تضع قدمك على لغم ، وهو ما لم يَعُدْ أحد ينفيه من علمائهم الذين يفهمون ولا يستطيعون أن يمضوا فى الدجل القديم حول عصمة ذلك الكتاب ، بل لجأوا إلى اختراع نظرية تسوّغ وجود هذه الأخطاء فى كتاب مثل هذا يزعمون رغم ذلك أنه موحى به من الله . ومؤدّى هذه النظرية أنه لا بد من التفرقة بين

الوحى من ناحية الشكل وبينه من ناحية المضمون؛ فمن الناحية الأولى نجدهم يقولون إنه ليس إلا إبداعًا أدبيًا للكاتب، أما من الناحية الثانية فيؤكدون أنه صادر عن الله. ذلك أن الوحى بناء على هذه النظرية لا يلغى شخصية الكاتب، بل تتدخل ظروفه فى الصياغة، ويمكن أن يقع تحريف فى النص، ومن ثم فلا بد من عملية النقد والتمحيص (انظر مادة "Inspiration" من "The New Bible Dictionary"/ لندن/ ١٩٧٢م/ تحرير J. D. Douglas / ص٥٦٥- ٥٦٦)، وهو نفسه ما يقوله معجم "Hook's Church Dictionary" (لندن/ ١٨٨٧م)، الذى يرى أن الأنبياء وكتبة الكتاب المقدس قد أدَّوْا ما تلقَّوْه من الوحى كما هو بدون أدنى خطإ من الناحية اللاهوتية، لكن هذا لا يصدق على الناحية اللغوية والعلمية (ص٤٠٣، ٩٦٤). وقد سمى المستشرق البريطانى مرجليوث المعروف بحقده الملتهب على الإسلام ونبيه هذه النظرية بـ" Colouring by the Medium"، ومعناها أن الوحى إنما ينزل على النبى أو الرسول أو الكاتب كفكرة، ثم يقوم الوسيط بصياغة هذه الفكرة بأسلوبه هو، ومن ثم فالأخطاء التى تقع فى الكتاب المقدس مبعثها هذا الوسيط لا السماء. أى أن الوسيط هو بمثابة كوب الشراب الذى يضفى على السائل لون زجاجه (D. S. Margoliouth, Mohammedanism, London, 1921, P. 63)! وهو كلام أشبه بألاعيب الحواة والبهلوانات كما هو ظاهرٌ بَيِّن. على أننا لا نريد أن نمضى مع تلك النظرية أبعد من هذا فنؤكد أن الكتاب المقدس لا يساوى شيئا ذا بال ولا حتى من الناحية اللاهوتية كما برهنّا قبل قليل من خلال بعض الأمثلة الصارخة فى هذا المجال، بل حسبنا اعتراف القوم بأن الكتاب المقدس لا يؤبه به من الناحية التاريخية والعلمية والحسابية والجغرافية وما إلى ذلك. وهذا كل ما نريده للرد على المتنطعين الذين يحاولون أن

يتخذوا من هذا الكتاب معيارا للحكم على القرآن فى مسألة تاريخية مثل الاسم الخاص بوالد السيدة مريم عليها السلام .

- وهذا كله لو كان فى إنجيل لوقا (أو غيره من تلك السِّيَر التى ألَّفها بَشَرٌ لم يراعوا أى ضابط منهجى أثناء تأليفهم لها) أن مريم هى بنت هالى كما قال المسكين الذى ظن أنه يستطيع برعونته وجهله الغليظ أن يخطّئ القرآن المجيد ، وهو ما لا وجود له البتة ، إذ المذكور فى الموضع المحدد من ذلك الإنجيل (وهو النص الذى أوردناه قبل قليل للمقارنة بينه وبين النص المأخوذ من إنجيل متى فى نسب السيدة مريم) إنما هو سلسلة نسب المسيح لا مريم ، وفيها أنه (على ما يظن أبناء قومه) ابن يوسف بن عالى (هالى) . . . حتى تصل السلسلة إلى "آدم ابن الله" كما يقول كاتب السيرة العيسوية المسماة بـ "إنجيل لوقا" . لاحظ أيها القارئ الكريم قولهم عن آدم إنه "ابن الله"! بل لاحظ التناقض مع قولهم إن المسيح هو وحده ابن الله ، مع أن أولاد الله فى الكتاب المقدس كثيرون كما يعرف هذا كل من له دراية بذلك الكتاب . بل لاحظ كيف لم يستطع الكاتب المسكين (أخزاه الله) إلا أن يثبت فى حق المسيح ، عليه وعلى أمه الطاهرة الشريفة العفيفة السلام ، ما كان يقوله فى حقها وحقه الأوغاد من يهود! المهم أنه لا ذكر لهالى فى هذه السلسلة النَّسَبِيّة لمريم بتاتا . فعلام يدل هذا؟ فقد أخطأ هذا الحجّام فى عبارة "مع أن بينها وبين عمران وهارون وموسى ألف وستمائة سنة" خطأ أبلق ، إذ لم ينصب كلمة "ألف" ، رغم أنها اسم "أنّ" ، فكان يجب أن تكون منصوبة . أقول هذا لأن ذلك الغبى قد أفرد لما سماه "أخطاء نحوية فى القرآن" عشرات الصفحات ، مع أنه لا يستطيع أن يحسن كتابة أى شىء دون أغلاط نحوية وصرفية مضحكة تبرهن بأجلى برهان أن الأبعد جاهل يَهْرِف بما لا يعرف ، وأن الذين كلفوه بأن يكتب ما كتب قد ظلموه ، إذ أسندوا إلى حمارٍ مهمةً لا

يصح أن يقوم بها إلا عالم ضليع يضع نصب عينيه الوصول إلى الحق . وقد فَنَّدْتُها كلها فى كتابى: "عصمة القرآن الكريم وجهالات المبشرين" وبينتُ أن كل ما قاله سخف لا معنى له وأنه إنما يردد كلاما وضعوه فى فمه كما تفعل الببغاوات دون أن يفقه منه شيئا!

- وفضلا عن ذلك فليس القرآن المجيد هو القائل إن مريم هى أخت هارون ، سواء كان المقصود هارون أخا موسى أو هارونًا آخر ، بل الذين قالوا هذا هم قومها أنفسهم ، أما القرآن فمجرد حاكٍ لما قالوه . وقد سمع القرآنَ على عهد النبى كثيرٌ من اليهود والنصارى ، فلماذا يا ترى لم يكذبوه؟ بل لماذا دخل دينَ محمد ، عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليمات ، وآمن بقرآنه الملايينُ المُمَلْيَنَةُ من أهل الكتاب دون أن يمنعهم ذلك أو يستوقفهم مجرد استيقاف ، وفيهم الحاخامات والقساوسة والعلماء والفلاسفة والمفكرون والأدباء والفنانون والساسة والمؤرخون من كل جنس ولون ، ومن كل العصور والبيئات؟ وحتى يستطيع القارئ أن يقدِّر مدى مصداقية ما يقوله القوم عن مريم أمّ إلههم أذكر هنا أنهم لا يعرفون شيئا يُذْكَر عنها عليها السلام بعد أن توفى الله ابنها ، بل لا يعرفون كم من الأعوام لبثت بعده على قيد الحياة ، إذ يختلفون فى هذه النقطة ما بين ثلاث سنوات وخمس عشرة ، فتأمل! (انظر مادة "Mary" فى "Wikinfo, an internet encyclopedia") . بل إنهم لا يعرفون بالضبط من يكون إخوة عيسى (أو كما يقولون: إخوة الإله) الذين جاء ذكرهم فى العهد الجديد: أهم إخوته فعلا من أمه بما يفيد أنها قد تزوجت بعد ولادته من يوسف؟ أم هل هم مجرد أقارب له من جهة تلك الأم؟ أم هل هم أبناء يوسف من امرأة أخرى غير مريم؟ (انظر الجزء الخاص بمريم العذراء من مادة "Mary" فى "International Standard Bible Encyclopedia") . ودعنا مما

أورده كاتبو سِيَر المسيح المسماة بـ "الأناجيل" من الكلام القارص الذى قالوا إن المسيح عليه السلام قد وبخ به أمه ، وكذلك الكلام الذى قاله فى حقها هى وإخوته عندما كان يعظ بعض أتباعه وأرادت الأم والإخوة أن يخرج إليهم ليحدثوه فى أمر ما ، وهو كلام يفيد أنه لم يكن يَعُدّهم ضمن المؤمنين به . ولنقرأ النصين التاليين: "[1]وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ كَانَ عُرْسٌ فِي قَانَا الْجَلِيلِ وَكَانَتْ أُمُّ يَسُوعَ هُنَاكَ. [2]وَدُعِيَ أَيْضاً يَسُوعُ وَتَلاَمِيذُهُ إِلَى الْعُرْسِ. [3]وَلَمَّا فَرَغَتِ الْخَمْرُ قَالَتْ أُمُّ يَسُوعَ لَهُ: «لَيْسَ لَهُمْ خَمْرٌ». [4]قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «مَا لِي وَلَكِ يَا امْرَأَةُ! لَمْ تَأْتِ سَاعَتِي بَعْدُ»" (يوحنا/ ٢) ، "[46]وَفِيمَا هُوَ يُكَلِّمُ الْجُمُوعَ إِذَا أُمُّهُ وَإِخْوَتُهُ قَدْ وَقَفُوا خَارِجاً طَالِبِينَ أَنْ يُكَلِّمُوهُ. [47]فَقَالَ لَهُ وَاحِدٌ: هُوَذَا أُمُّكَ وَإِخْوَتُكَ وَاقِفُونَ خَارِجاً طَالِبِينَ أَنْ يُكَلِّمُوكَ. [48]فَأَجَابَ وَقَالَ لِلْقَائِلِ لَهُ: مَنْ هِيَ أُمِّي وَمَنْ هُمْ إِخْوَتِي؟ [49]ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ نَحْوَ تَلاَمِيذِهِ وَقَالَ: هَا أُمِّي وَإِخْوَتِي. [50]لأَنَّ مَنْ يَصْنَعُ مَشِيئَةَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ أَخِي وَأُخْتِي وَأُمِّي" (متى/ ١٢) . فإذا كان الأمر كذلك يا إلهى ، فلم إذن البجاحة مع القرآن الكريم؟

– والآن إلى ما جاء فى موقع "الكلمة" الذى يديره زكريا بطرس ، وهو موقع يشعر من يدخله بأنه فى مولد ، وصاحبه غائب ، فهو مملوء بلافتات بكل لون وحجم وكأننا فى سيرك الفيل أبو زلومة ، وتطالعك من كل زاوية أسماء كتب لا حصر لها ولا عدد تهاجم القرآن والرسول والتوحيد وكل ما أتى به الإسلام من عقائد شريفة وأخلاق نبيلة وتدافع عن والوثنيات المتهالكة التى يريد اللعين أن يعيد المصريين إليها بعد أن أنعم الله عليهم بالتوحيد المحمدى الكريم . وعلى رأس هذه الكتب ما يحمل أسماء سعيد العشماوى وسيد القمنى وخليل عبد الكريم ، وكأن لكلام هؤلاء وأمثالهم قيمة علمية عند أهل التحقيق والتدقيق! ولقد كنتُ كتبتُ كتابا أناقش فيه ما

جاء فى عدد من الكتب المنقوش عليها اسم خليل عبد الكريم وفضحتُ تهافت ما فى تلك الكتب من أفكار وأبرزتُ سخف ما يظنه المتنطعون الجهلة منطقا علميا لا يخرّ منه الماء، وظل الرجل يطاردنى برُسُله يريد الحصول على نسخة من كتابى لأنه (كما يقول) لم يقرأه، فكنت أضحك من هذا الكلام لأن الرسول كان يخبرنى بأننى قد قلت فى حق الرجل كذا وكذا وكذا وأنه متألم لهذا الكلام، مما يدل على أنه قد حصل على الكتاب وقرأه جيدا على عكس ما يدّعى. ثم فوجئت منذ سنتين تقريبا بأحد طلابى يرسل لى بصورة مقال لخليل عبد الكريم فى مجلة "أدب ونقد" يعرض فيه لكتابى المذكور ويدلّس تدليسا مكشوفا أكد لى أن رأيى فيه وفيما يحمل اسمَه من كُتُب هو رأىٌ فى محله تماما. ومع ذلك لم يستطع أن يتعرض لأى نقد وجهته إلى تلك الكتب، بل أخذ يلف ويدور قائلا إنه يسامحنى فيما قلته فى حقه تأسّيًا بحبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم. طبعًا "حبيبه المصطفى" الذى تطاول عليه واتهمه أشنع الاتهامات، وشكك فى صدقه ودوافعه وأخلاقه، ونفى عنه النبوة وجعله مجرد سارق لأفكار الحنفاء وعادات الجاهليين وتقاليدهم، وزنّ أصحابه وزوجاتهم بالشّبَق الجنسى وعدم القدرة على التماسك أمام فاحشة الزنا، واتهمه صلى الله عليه وسلم بأنه كان يَعْلَم ذلك منهم لكنه كان يغض الطّرْف حتى لا ينفضّوا عنه فلا يستطيع أن يقيم دولته الهاشمية التى كانوا يمثلون ذراعها العسكرى الضارب. يا سلام على الحب! ثم صدر كتاب آخر يحمل اسمه قيل فيه عن الرسول عليه الصلاة والسلام إن ورقة بن نوفل وخديجة بنت خويلد هما اللذان صنّعاه تصنيعا وجعلاه نبيا، وإن خديجة قد "صَنْفَرَتْه وقَلْوَظَتْه": هكذا بلغة الحشّاشين والمساطيل والعربجية والبُرْمَجيّة! كما وُصِف عليه السلام فى الكتاب بـ"آكل الشعير" (ومفهومٌ ماذا يريد الأوغاد الأوساخ أن يقولوا)، وقيل عن أمهات

المؤمنين: "نسوان صاحب النعلين"، وزُعِم أنه عليه السلام قد تزوج خديجة رضى الله عنها على مذهب النصارى، وأن هذا هو السبب فى أنه لم يتزوج عليها امرأة أخرى، وأن الذى قام بمراسم الزواج هو القسيس ورقة، وإن لم يذكر لنا فى أية كاتدرائية بالضبط تمّ ذلك: كاتدرائية كانتربرى أم كاتدرائية سان جرمان أم الكاتدرائية المرقسية؟ أرأيتم مثل هذا التخريف الذى يطنطن به واضع تلك الكتب مؤكدًا مع ذلك أنه كلام علمى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؟ وقد رددت بدورى على قلة الأدب هذه فى كتاب منذ عدة سنوات، وأعلنت عن اطمئنانى الذى يقرب من اليقين إلى أن عبد الكريم ليس هو مؤلف الكتب التى تحمل اسمه، وبخاصة ذلك الكتاب الأخير، وأغلب الظن أنه قد قرأ هذا الرد قبل أن يهلكه الله!

– نعود فنقول: لقد كذب اللعين زاعما أن "القرآن خلط أبا موسى بأبي مريم، فقال إنّ عمران أبا موسى وهارون هو أبو مريم التي حملت الكلمة الإلهية". ثم أضاف قائلا: "ومما يؤيد خطأه هذا قوله في سورة مريم: يا أخت هارون (٢٨)، مع أن بين موسى والمسيح نحو ١٥٠٠ سنة". وهاأنذا أورد أوّلاً النصين القرآنيين اللذين اعتمد عليهما فى التدليل على ما تخرّص وزعم: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (٣٥) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ (٣٦) ﴾ [آل عمران: ٣٥ – ٣٦]، ﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا (٢٧) يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (٢٨) ﴾ [مريم: ٢٧ – ٢٨]. لقد قال القرآن إن مريم ابنة عمران، هذا صحيح لا جدال فيه، لكنه لم يقل قطّ إن عمران هذا هو عمران أبو موسى وهارون. كما أنه لم يقل قط إنها أخت هارون، بل الذى

قال ذلك هم قومها، وإلا أفنقول أيضا إنه هو الذى اتهم مريم بالزنا وقال لها: "ما كان أبوك امرأ سوء، وما كانت أمك بغيا" ؟ ذلك أن الذى قال إنها أخت هارون هو نفسه الذى تهكم بها وشنّع عليها ورماها بالفاحشة؟ أجب أيها الفيل أبا زلومة! أما إن فسّر أحدٌ "عمران" هنا بأنه عمران أبو موسى، فإنه يكون أباها عندئذ بالمعنى المجازى، ثم إنه يبقى مع هذا تفسيرا مجرد تفسير وليس كلاما قرآنيا، إذ لم يقله القرآن، بل هو مجرد اجتهاد من صاحبه قد يصيب فيه، وقد يخطئ.

- أما قولك يا زيكو إن "علماء المسلمين لما رأَوْا هذا قالوا إن عمران المذكور في هذه العبارة هو غير والد موسى، ولكنهم أخطأوا، لأن الكتاب المقدس لا يذكر شيئاً عن ميلاد العذراء مريم، ولم يكن هناك مصدر يستقي منه محمد أخباره، ولكن كانت هناك بعض خرافات الغنوسيين الذين ملأوا الجزيرة العربية، وأيضاً المريميين الذين كانوا يُؤَلِّهون العذراء مريم ويضعون حول ميلادها وحياتها كثيرًا من المعجزات كما ورد في كتابي مولد العذراء وطفولية المخلّص و إنجيل الطفولية (راجع الطبري والقرطبي والرازي في تفسير "آل عمران"/ ٣٥- ٣٦)"، أما قولك هذا فلا معنى له بعد أن بيّنّا للقراء القيمة العلمية لتلك السِّيَر العِيسَوِيّة التى كتبها بعض الأشخاص بعد انتقال عيسى عليه السلام إلى ربه بعشرات السنين دون تمحيص، بل حسبما كان يخطر لهم وتسعفهم به ذاكرتهم وتمليه عليهم أهواؤهم. وقد رأيناهم يضطربون فى سلسة نسب المسيح اضطرابا شنيعا مضحكا، فكيف تريدنا أن نجعل معتمدنا على مثل تلك الكتابات فنجيز ما تقول ونضرب صفحا عما لم تقل؟ ثم أليست مهزلةً أن يسكت مؤلفو الكتاب المقدس عن ميلاد السيدة مريم وعن أبيها وأمها ونسبها مع أنها أم الإله عندكم؟ وما دام قد سكت، فكيف عَرَفْتَ أن ما قاله القرآن عن هذا الميلاد وعن نسبها واسم أبيها غير

صحيح؟ أم تراك تقول إنها هى أيضا قد وُلِدَتْ من غير أب وأم ما دام كتابكم المقدس لم يتحدث عن أبيها ولا عن أمها؟

- وما دمنا نتحدث عن مريم وإهمال الأناجيل والكتابات النصرانية المبكرة لمعظم أخبارها أرى من المستحسن أن أسوق هنا ما قاله المرحوم جلال كشك فى كتابه: "خَواطِر مُسْلِم فِي المَسْألة الجِنْسِيَّة"، من "أنَّ آية مقارنة بين الإنجيل وأعمال الرسل وتراث الكنيسة في القرون الأولى وبين القرآن حول مريم تؤكِّد أنه لا وجود "لمريم" في الفكر المسيحي الأوّل، أو أنها (كما تقول المؤرِّخة راي تاهيل) ظلَّت إلى القرن الثالث عشر: "مُجرّد قدِّيسة عادية"، أمّا في الإسلام فقد أُعْلِنَتْ منذ القرن السابع: "سيدة نساء العالمين"، فهي التي اصطفاها الله على نساء العالمين، هي "البتول" التي أحصنت فرجها. ليس لها في الأناجيل الأربعة سِفْر، ولها في القرآن سورة كاملة. وجاء اسمها في القرآن ٣٤ مرة، وفي ١٤ سورة. وذُكِرَ "عيسى" في القرآن ٢٥ مرة منها ١٥ منسوبًا إلى أمّه: "عيسى بن مريم"، وورد لقب المسيح في القرآن ١١ مرة منها ثماني مرات: "المسيح ابن مريم". ولم يَرِدْ ذلك ولا مرة في الأناجيل. ولكي لا يُقال إنَّ ذلك طبيعي لحرص الأناجيل على تأكيد أنه ابن الله، نقول إنه حتى عندما أراد كتّاب الأناجيل إثبات نسب المسيح الآدمي لتأكيد أنه "ابن داود" نسبوه ليوسف النجار وليس لمريم!" (مُحَمّد جَلال كِشْك/ خَواطِر مُسْلِم فِي المَسْألة الجِنْسِيَّة/ الطبعة الثالثة/ مكتبة التراث الإسلامي/ القاهرة/ رجب ١٤١٢هـ - يناير ١٩٩٢م/ ٥٠).

- أما إشارة زيكو اللعين فى آخر كلامه إلى مولد العذراء وطفولية المخلِّص وإنجيل الطفولية فستكون نقطة انطلاقنا نحو مناقشة ما ورد فى الموقع الإنجليزى، إذ ذكرت بعض الأناجيل غير المشهورة أن والد مريم هو يواقيم. ولكنّ للحكاية أصلاً لا بد أن أحكيه للقراء، إذ كنت قد رجعت

منذ عدة سنوات إلى معجم أوكسفورد لأسماء الأشخاص بحثا عن شيء يضيء لى الطريق فيما يتعلق باسم "يواقيم"، الذى يقول النصارى إنه أبو مريم، فوجدته يذكر أن عندهم رواية بأن مريم هى ابنة يواقيم، لكنه أضاف أن هذه الرواية لا تحظى بثقتهم (,Elizabeth Gidley Withy Combe The Oxford Dictionary of English Christian Names, 1948, P. 78). ثم قرأت فى مراجع أخرى أن الرواية المقصودة هنا هى ما تقوله بعض الأناجيل التى لا تعتمدها الكنيسة . وقد اطلعت على الرواية فعلا فى "إنجيل يعقوب: The Gospel of James" و"إنجيل ميلاد مريم: The Gospel of the Nativity of Mary"، وكذلك "إنجيل متى المزيف (هكذا يسمّونه رغم أنه لا يفترق عن إنجيل متى الذى يعترفون به فى أن كليهما تأليف بشرى لا يخضع للضبط العلمى): The Gospel of Psewdo-Matthew". وهى كلها أناجيل لا تعترف بها الكنيسة، ومن ثم لا يحق لها أن تحاجّ المسلمين بها، إذ لا يعقل أن آتى بشاهد فأحتج بشهادته إثباتًا لحقٍّ أدّعيه، على حين أنى أعلن فى كل مناسبة أنه شاهدُ زورٍ، وأنى أنا نفسى لا أثق فى شهادته طرفة عين. ألا إن هذا لَقِمّةُ التناقض! إنهم بهذه الطريقة "يُحِلّونه عامًا، ويُحَرِّمونه عامًا" كما قال القرآن الكريم عن المشركين بسبب خضوعهم القبيح للأهواء وتلاعبهم الأرعن بالأنظمة التشريعية! أليس هذا بالضبط هو ما يفعله هؤلاء المبشِّرون البُعَداء؟ ثم إنهم من بجاحتهم وبجاستهم يخطِّئون القرآن الكريم رغم ذلك كله لأنه يسمّى أبا مريم اسمًا آخر لم تذكره هذه الأناجيل!

- ونصل للموقع الإنجليزى، فماذا يقول؟ إنه يردد ما يقوله موقع "الكلمة" كحَذْوِكَ النَّعْلَ بالنَّعْل (فالحكاية كلها نِعَالٌ فى نِعَالٍ لا أدمغة وعقول!)، وهذا نَصّ كلامه: "إن القرآن يخلط بين مريم أم المسيح ومريم

بنت عمران ، أخت موسى وهارون التى كانت قبل نحو ١٤٠٠ عام". ثم بعد أن يورد الآيات التى يزعم أنها تخلط هذا الخلط ، وهى آيتا "آل عمران" اللتان مرّتا علينا من قبل ، وقوله تعالى فى الآية ١٢ من سورة "التحريم": "ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها . . .". وقد سبق أن بيّنا للذين يفهمون ، ولهم عقول فى رؤوسهم لا تعال وقباقيب ، أنه لا يوجد شىء من ذلك فى هذه الآيات أو غيرها ، وأن الذى يقول بغير ذلك هو كذّاب أفّاك أشر . والآن نخطو خطوة أخرى فنقول إنه من غير الممكن أن يخلط القرآن بين المَرْيَمَيْن حتى لو قلنا مع الخرّاصين الأفّاكين إن الرسول هو مؤلف هذا القرآن . لماذا؟ لأن القرآن يفرّق بين موسى وعيسى تفرقة واضحة فى العصر والظرف والرسالة بحيث لا يمكن الزعم بأنه كان يخلط بينهما كما يتضح من النصوص التالية:

- ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ [النساء: ١٥٣ - ١٥٨] . فالإشارة إلى قتل اليهود للأنبياء بعد نقضهم الميثاق الذى أخذه الله عليهم فى حياة موسى يدل دلالة لا تقبل الشك على أنه قد مر زمن طويل بين موسى وعيسى بما لا يمكن أن يكون هذا ابن أخت ذاك . وهو ما نجده أكثر تفصيلا فى الآية ٧٠ من سورة

"المائدة": ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾ [المائدة: ٧٠]، فهناك (حسبما تقول الآية) رسل قد تتابعوا بعد موسى وقابلهم بنو إسرائيل تارة بالتكذيب، وتارة بالتقتيل، مما يحتاج وقوعه إلى أزمان طويلة. وممن جاء بعد موسى من الأنبياء على وجه التحديد سليمان، الذى ذكر القرآنُ أن الشياطين قد افتروا عليه الأكاذيب حسبما جاء فى الآية ١٠٢ من سورة "البقرة"، وهناك أيضا أبوه داود، الذى لُعِن الكفار من بنى إسرائيل على يديه، أو بالحَرَى: على لسانه، قبل أن يلعنهم عيسى بدوره. وهناك عُزَيْر، الذى زعمت اليهود أنه ابن الله كما تقول الآية ٣٠ من سورة "التوبة". ولا ننس أن القرآن قد دان اليهودَ بأنهم حرّفو الكَلِم عن مواضعه ونَسُوا حظًّا آخر مما أتاهم به موسى عليه السلام مما أشارت إليه الآية ١٣ من سورة "المائدة". وهذا كله يستدعى مرور الزمان الطويل، إذ لا يُعْقَل أن يتم ذلك فى نفس الجيل الذى جاءهم فيه موسى بالتوراة. وبالمثل لا يمكن أن ينزّل الله كتابا آخر على عيسى عليه السلام، ولم يكن قد جفّ الحبر الذى كُتِبَتْ به التوراة بعد.

- كذلك فسُورَة "آل عمران" تتحدث عن زكريا أبى يحيى بوصفه كافل مريم، وأين زكريا ويحيى من موسى وهارون؟ كذلك أين فى مصر المحراب الذى كان تعبد اللهَ فيه مريمُ عليها السلام على راحتها دون أن يزعجها أحد، على حين أن بنى إسرائيل آنذاك كانوا مضطَهَدين ومستعْبَدين ولا يستطيعون أن يمارسوا دينهم؟ وهذا إن كانت لهم محاريبُ أصلاً فى ذلك الوقت! فالمعروف أنه حتى بعد أن جاء موسى إلى قومه برسالة السماء وأنجاهم الله على يديه من بطش فرعون وخرجوا إلى سيناء ظلوا لا يعرفون المعابد ولا المحاريب، إذ ضاعوا فى الصحراء أربعين سنة لا يعرفون

الاستقرار في القرى والمدن حيث تقام المعابد وتوجد المحاريب . ثم هل يُعْقَل أن يخلط القرآن بين المَرْيَمَيْن ثم لا يربط بين الخالين (موسى وهارون) و ابن الأخت (عيسى) ربطًا أُسَرِيًا ولو مرة واحدة يتيمة أثناء حديثه عنهم ، وما أكثر ما تحدث عنهم ، مثلما ربط بين أمه عليها السلام وبين زكريا ويحيى؟ بل كيف تكون مريم وحيدة أبويها على حسب ما هو واضح من القصة القرآنية ، على حين أنهما رُزِقا من الأولاد اثنين آخرين هما موسى وهارون ، وأصبحا بعد ذلك نبيين؟ بل كيف يسكت القرآن عن ذلك فلا يشير إليه ولا يربط بين مريم وأخويها هذين بأى حال؟ ذلك أن أخت موسى وهارون ، التى يزعم الأفاكون أن القرآن يخلط بينها وبين مريم أم عيسى ، لم يأت ذكرها فى القرآن إلا فى سياق مراقبتها من بعيد لموسى بعد أن وضعته أمه فى التابوت ثم قذفته فى النهر ، ولم يورد القرآن اسمها فى الحالتين (طه/ ٤٠ ، والقصص/ ١١- ١٢) . أمن الممكن أن يسمّيها القرآن حين لا يربط بينها وبين موسى ، ويضرب صفحا عن اسمها حين يربط بينهما ذاكرًا بصريح القول أنها أخته؟ ثم أكان القرآن يسكت فلا يشير إلى موقف الأخوين من معاناتها بسبب الحمل والولادة غير الطبيعية وتعرضها للاتهام فى شرفها وسخرية قومها منها فى قولهم: "يا أخت هارون ، ما كان أبوك امرأ سَوْءٍ ، وما كانت أمك بغيًا" ؟ أهذه مسألة تحتمل أن يغيب عنها موسى وهارون؟ من الواضح أن "مريمنا" هذه لم يكن لها أخ ولا أخت ولا اب ولا أم لأنها كانت وحيدة أبويها اللذين كانا قد ماتا ، فلم يبق لها أحد! كذلك كيف يسكت القرآن فلا يشير إلى موقفها من الأحداث الرهيبة التى وقعت لأخويها فى مصر وعند انفلاق البحر وفى التّيه؟ بل أين كان عيسى عند ذاك فلم يبرز لنصرة خالَيْه فى مواجهة فرعون أو ضد شغب بنى إسرائيل عليهما فى الصحراء؟ إذن فافتراض خلط القرآن بين المَرْيَمَيْن

مستحيل. لكن الدور والباقي على الكِتَاب المقدَّس، الذى يجعل الابن أكبر من أبيه بعامين، والذى يورد لعيسى سلسلتى نسب متعارضتين تعارضا بشعا بحيث يستحيل التوفيق بينهما ولو بالطبل البلدى، والذى ينسب إلى الأنبياء وأولادهم الزنا بالمحارم، والذى يَدَّعِى على نوح شرب الخمر حتى يسكر ويفقد عقله على النحو الفاحش الذى رأيناه، والذى يجعل من داود زانيًا وقاتلا (وزانيًا بمن؟ بأم سليمان عليه السلام!)، ويجعل من هارون صانعا للعجل كى يعبده بنو إسرائيل، ثم يقول عنه فوق ذلك إنه كان نبيًّا لموسى وإن موسى كان إلها له، والذى يتهم خليل الله بالدياثة على زوجته لقاء قطيع من المواشى (يا لها من صفقة كريمة تليق بأبى الأنبياء!)، والذى يقول إن مدينة "القيروان" كانت موجودة فى عصر المسيح، ناسبًا إليها "سمعان القيروانى"، على حين أنها لم تُبْنَ إلا فى الإسلام بعد ذلك بقرون (بالضبط فى سنة ٧٦٢م) على يد عقبة بن نافع رضى الله عنه! ترى أيكفى هذا أم أستمر؟

- أما كلام صاحب الرد الإنجليزى (على قول عبد الله يوسف على فى ترجمته للقرآن إن "أخت هارون" هنا إنما تعنى أنها من سلالة هارون الذين كانوا يتولَّوْن الكهانة فى بنى إسرائيل) بأن القرآن لو كان يريد بـ "يا أخت هارون" الإشارة إلى أن مريم تنتمى إلى أسرة يهودية كهنوتية لا أنها هى أخته فعلا لكان ينبغى أن يقول: "يا بنت هارون" بدلا من "يا أخت هارون"، فالرد عليه سهل جدا كما قلنا قبلا، فالقرآن ليس هو الذى سماها كذلك، بل هو مجرد حاكٍ لما قاله اليهود لمريم حين أتتهم بصبىٍّ أنجبته دون زواج. فإذا كان هناك اعتراض فليوجَّه إلى قومها الذين قالوا لها هذا، إذ القرآن مجرد حاكٍ لكلامهم. ولو كان القرآن قد أسند إلى قومها ما لم يقولوه لما سكت اليهود ولا النصارى العرب على الرسول، ولكانت هذه فرصة للدخول معه فى

جدال يحرجه ويفضحه هو والقرآن جميعا ، فلماذا لم يفعلوا يا ترى ، وهم الحريصون على هزيمته بكل سبيل ، ولم يكونوا يتورعون ولا طرفة عين عن التوسل بالألاعيب والأباطيل فى حربهم ضده؟

- وبالنسبة لتسميتها "مريم ابنة عمران" يردّ صاحب التخطئة أيضا على عبد الله يوسف على قائلا: لو كان القرآن يريد بذلك أنها تنتمى من بعيد إلى عمران أبى موسى فلتأتِ لى بمثال آخر من القرآن ينسب الشخص إلى جده البعيد لتعضيد تفسيرك هذا حتى أقتنع . ولأن عبد الله يوسف على قد مات فليسمح لى السيّد المخطِّئ بأن أسوق إليه هذه الشواهد القرآنية ، مع معرفتى من الآن أنه لن يقتنع ولو على جثته ، اللهم إلا إذا أراد الله به خيرا: فقد جاء فى كلام أبناء يعقوب فى ردّهم على أبيهم وهو على فراش الموت: ﴿نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ [البقرة: ١٣٣] ، فجعلوا كُلاًّ من إبراهيم وإسماعيل وإسحاق أبا ليعقوب ، رغم أنه لم يكن له بطبيعة الحال إلا أب واحد هو إسحاق ، أما إبراهيم فهو جدّه ، وأما إسماعيل فهو عمّه . أم لكم رأى آخر؟ ذلك أن الإنسان لا يمكن أن يكون له إلا أب واحد وأم واحدة على رأى أهل الفكاهة من المصريين الذين يقول لك الواحد منهم للتدليل على أنه مسكين إنه ليس له إلا أب واحد وأم واحدة ، وكأن الآخرين عندهم أكثر من أب وأكثر من أم! وبالمثل نسمع يعقوب يقول ليوسف عليهما السلام: " وكذلك يجتبيك ربُّك ويعلمّك من تأويل الأحاديث ، ويُتمّ نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبلُ: ﴿إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ﴾ [يوسف: ٦] ، ولست فى حاجة إلى القول بأن إبراهيم وإسحاق لم يكونا أبوين ليوسف ، بل الجد البعيد والجد المباشر على الترتيب . وفى الآية ٣٨ من سورة "يوسف" أيضا يعلن هذا النبى الكريم وهو فى السجن عن عقيدته قائلا: " واتبعتُ ملّة آبائى: إبراهيم وإسحاق

ويعقوب". بل إن الأمر فى هذه الآيات أعقد، إذ يستحيل (كما قلنا) أن يكون هناك أكثر من أب لشخص واحد، لكنها اللغة! كذلك فالقرآن الكريم يقول عن آدم وحواء إنهما أبوان للبشر أجمعين، والبشر من الناحية الأخرى هم "بنو آدم"، مع أن آدم وحواء لم يكونا أبوين إلا لقابيل وهابيل ومن يمكن أن يكونا قد أنجباه من الأبناء سواهما. ونحن الآن مثلا بيننا وبين هذين الأبوين لا يدرى إلا الله كم من الدهور والأحقاب، ورغم هذا فنحن "أبناء آدم وحواء"، وهما "أبوانا"! وفى الآية ٧٨ من سورة "الحج" يخاطب الله سبحانه المسلمين واصفًا إبراهيم عليه السلام بـ"أبيكم إبراهيم"، وأين إبراهيم فى الزمن من المسلمين فى عصر النبى ومن بعده إلى يوم القيامة؟ وفى الآية ٦١ من سورة "آل عمران" يُؤْمَر الرسول عليه السلام بأن يقول لوفد النصارى الذين وفدوا عليه فى المدينة: ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١]، ولم يكن للرسول حينذاك إلا فاطمة رضى الله عنها، لكن المقصود فاطمة وابناها الحسن والحسين، وهما لم يكونا ابنين للرسول بل حفيدين.

- وأما قوله إنه إذا كان القرآن يريد أن مريم تنتسب إلى هارون انتسابا روحيًا لا جسديًا لقال: "يا ابنة هارون" لأنه لا يعقل أن يُنسَب شخص إلى شخص لا معاصرة بينهما بنسب الأخوة، فرغم أنى قد أجبت بأن الذى قال هذا ليس القرآن، بل قوم مريم، وأن القرآن هو مجرد حاكٍ لما قالوه، فإنى أسوق إليه الآية ٣٨ من سورة "الأعراف" التى تتحدث عن تتابع الأمم الكافرة على النار واحدة بعد واحدة: "كلما دخلت أمةٌ لعنت أختها"، فقد جعلت الآية النسب بين هذه الأمم التى لم تكن متعاصرة هو نسب الأخوة لا البنوة. فما رأيه فى هذا؟ وما رأيه فى قول الرسول عليه السلام يصف

العلاقة التى تربط بين الأنبياء جميعا: "الأنبياءُ أولادُ عَلاَّتٍ"، أى إخوةٌ أبوهم واحد، وأمهاتهم شتى؟ ومعروف أن الأنبياء تفصل بينهم آمادٌ متناوحةٌ على صفحات التاريخ. وهناك أيضا هذا الحديث الذى يخاطب فيه موسى وهارونُ محمدًا عليه السلام حين التقَوْا ثلاثتهم فى السماء ليلة المعراج بقولهما: "مرحبًا بالأخ الصالح والنبى الصالح"، فسمياه "أخا" رغم المدى الزمنى الطويل الذى يفصل بينهما وبينه.

- وهناك نقطة أثارها كاتب التخطئة الذى نناقش كلامه هنا، وهى أن التفسيرات المتضاربة التى يقدّمها علماء المسلمين حول تسمية القرآن لمريم: "ابنة عمران" هى دليل على أن ثمة مشكلة لا يتوفر لها حل مقنع. وأنا معه فى أن المفسرين المسلمين قد يقدمون تفسيرات متناقضة أو مختلفة لهذه المسألة، بيد أن هذا لا يعنى أن القرآن مخطئ. لقد رأينا أن النصارى ليس لديهم رواية موثوقة بأن اسم أبى مريم هو يواقيم، بل كل ما هنالك أن هذا الاسم قد ورد فى بعض الأناجيل التى يؤكدون أنها أناجيل مزيفة. إذن فهم من الناحية التاريخية لا يستطيعون أن يثبتوا أن القرآن قد أخطأ فى القول بأن أباها هو عمران. بل حتى لو افترضنا أن رواية الأناجيل المذكورة هى رواية صحيحة فإن هذا لا يعنى بالضرورة أن رواية القرآن خطأ، إذ من الممكن جدا جدا أن يكون للرجل أكثر من اسم: وأستطيع أن أذكر الآن عددا من أقاربى وأبناء جيراننا فى القرية ممن يحمل الواحد منهم أكثر من اسم، كالشوادفى العداوى الذى كان يسمى أيضا: "إبراهيم الصاوى"، ومحمد العزلة ابن خالى الذى لا أناديه أنا وكثير ممن يعرفونه عن قرب إلا بـ"رمضان"، وإحدى قريباتى التى لا يناديها أهلها إلا بـ"عبلة"، على حين لا يناديها زوجها وأولادها وزملاؤها وزميلاتها فى الكلية وجيرانها فى بيت زوجها إلا بـ"فاطمة"... وهلم جرا. وفى الكتاب المقدس أشخاص

يجمعون بين اسمين وأكثر، مثل أبرام وإفرائيم وإبراهيم، وحَمِي موسى الذي يسمى في ذات الوقت: "يثرون" و"رعوئيل (بن يثرون)" (خروج/ ٣/ ١، و٤/ ١٨)، فضلا عن اسم ثالث سماه به التلمود هو "حوباب" حسبما ذكر أبو الأعلى المودودي في تفسيره للقرآن الكريم (S. A. A. Maududi, The Meaning of the Qur'an, Lahore, 1978, Vol. IX, P. 87). وطبعا لا بد ان يكون القارئ قد لاحظ التخبط في النظر إلى حَمِي موسى على أنه هو هو، وأنه هو ابنه في نفس الوقت، إذ هو مرة: "يثرون"، ومرة: "ابن يثرون"! وهناك يعقوب وإسرائيل، وهناك يسوع والمسيح وعمانوئيل . . . إلخ. وعندنا أبو بكر والصِّدّيق وعَتِيق، وكذلك عمر والفاروق، وأبو جهل وعمرو، وأبو لهب وعبد العُزَّى. وقبل هؤلاء جميعا رسولنا الكريم، الذي له من الأسماء محمد وأحمد والمصطفى، إلى جانب طه وياسين في الأوساط الشعبية. وكما يرى القارئ قد تكون بعض الأسماء في الأصل ألقابًا أو كُنًى اشتهر بها أصحابها حتى ظُنَّ أنها أسماؤهم الرسمية.

- كذلك كثيرا ما يقابلنا في الكتاب المقدس عدة أشخاص يَتَسَمَّوْن بنفس الاسم رغم تباعد الديار والأزمنة، ولن نذهب في ذلك بعيدا، فـ"يواقيم" مثلا يُطْلَق في ذلك الكتاب على ستة أشخاص طبقا لما ذكرته "The International Standard Bible Encyclopedia"، ومنهم يواقيم بن يشوع، الذي يُسَمَّى خطأ بـ"يواقيم بن زربابل" كما تقول هذه الموسوعة ذاتها. فما وجه الغرابة إذن في أن يكون هناك عِمْرانان: عِمْران أبو موسى وهارون، وعِمْران أبو مريم؟ وسواء بعد ذلك أ كان اسم هذا الأخير هو "عِمْران" فقط أو كان له اسم آخر هو "يواقيم". وبالمناسبة فعِمْران أبو موسى الذي يرفض إخواننا السذّج أن يكون هناك عِمْران غيره، هذا العِمْران

قد ورد ذكره فى الكتاب المقدس (عندهم لا عندنا) على أنه ابن قهات بن لاوى ، بيد أن كاتِبَىْ مادة "عِمْران" فى " The International Standard Bible Encyclopedia" و"دائرة المعارف الكتابية" يشكان فى هذا كثيرا قائلَيْنِ إنه لا يمكن أن يكون ابنا مباشرا لقهات ، بل أغلب الظن أنه من نسله فقط ، لأن المسافة الزمنية التى تفصل بين الاثنين ، والتى تمتد لعدة أجيال ، لا تسمح بأن يكونا أبا وابنا بالمعنى الحرفى . وهذا ما جاء فى "دائرة المعارف الكتابية" نصًا ، ويكاد أن يكون ترجمة حرفية لما ورد فى "The International Standard Bible Encyclopedia" ، وإن زاد عليه أن يوكابد زوجة عمران لا يمكن أن تكون ابنة لاوى حرفيًا ، بل من نسله فحسب:

- "عمرام بن قهات بن لاوي ، وأبو هرون وموسى ومريم (خر ٦: ١٨ ، عد ٣: ١٩ ، ٢٦: ٥٩ ، ١ أخ ٦: ٣ ، ٢٣: ١٣) . واسم امرأته يوكابد بنت لاوي (خر ٦: ٢٠ ، عد ٢٦: ٥٩) . وليس من السهل الجزم بأنه كان ابنًا مباشرًا لقهات ، بل لعله كان من نسل قهات ، حيث أن هناك عشرة أجيال بين يوسف ويشوع (١ أخ ٧: ٢٠- ٢٧) ، بينما لا تذكر سوى أربعة أجيال بين لاوى وموسى في نفس المدة تقريبا . كما أن عدد القهاتين في زمن الخروج كان ٨ . ٦٠٠ (عد ٣: ٢٨) ، وهو أمر مستبعد ، إن لم يكن مستحيلاً ، أن يحدث في خلال أربعة أجيال . ولذلك فالأرجح أن عمرام لم يكن ابنًا مباشرًا لقهات ، بل كان من نسله . وكذلك كانت يوكابد ابنة للاوي بنفس هذا المعنى".

- وبالمناسبة فكلمة "عِمْران" لا تعنى "الشعب تعالى أو تعظم" فقط كما نقرأ فى هذه المادة ، بل لها معان أخرى حسبما ورد فى موقع " Behind the Name" هى: " their sheaves, handfuls of corn, their

slime". وهكذا يتضح لكل ذى عينين وبصيرة أن مسألة "عمران" هى مسألة يحيط بها الشك من كل جانب، فكيف تواتى القومَ هذه الجرأة المتناهية فى الاندفاع إلى تخطئة القرآن؟

- والآن ما رأى الذين يملأون الدنيا صياحا ونواحا لأن القرآن قال: "مريم ابنة عمران"؟ أى أنه حتى لو ثبت أن "عمران" هنا هو عمران أبو موسى وهارون فلن تكون هناك أية مشكلة طبقا لتقاليدكم فى التسميات وما ورد فى كتابكم نفسه فى هذا المجال، ومنه "يوسف (النجار) بن داود" (متى/)، و"يسوع بن داود" (متى/ ١/ ١٦- ٢٠)، و"ابنة إبراهيم (حسبما نادى المسيح عليه السلام المرأة المنحنية الظهر التى قابلته فى الطريق)" (لوقا/ ١٣/ ١٦)، علاوة على "ابن الله" التى أُطْلِقَتْ فى الكتاب المقدس (عندهم) على عدة أشخاص مثل "آدم"، وقد مرّ من قبل، و"إفرائيم" (إرميا/ ٣١/ ٩)، و"إسرائيل" (خروج/ ٢٤/ ٢٢- ٣٢)، و"داود" (مزامير/ ٨٩/ ٢٦- ٢٧).

- إذن فمن الناحية التاريخية المحضة (فى حدود علمى) لا يوجد بين أيدينا دليل على أن أبا مريم كان يدعى: "يواقيم" أو "عمران" أو أى اسم آخر، ومن ثم كان من التنطع المسارعة بتخطئة القرآن. أقول إن هذا هو الموقف من الناحية التاريخية المحضة، بيد أن هذا الموقف لا يقفه إلا من يتناول المسألة تناولا باردا كأنه آلة من الآلات التى لا تستطيع أن تفكر من تلقاء نفسها، وليس عنده طريق آخر يسلكه. وفى حالتى أنا وأمثالى ممن يؤمنون بصدق القرآن وعصمته، لا بناءً على إيمان موروث بل استنادًا إلى بحثٍ استغرق سنواتٍ وسنواتٍ سعيتُ فيها حثيثًا وراء معرفة مصدره، وتحليل مضمونه وجوّه الروحى، والمقارنة بين لغته ولغة الحديث النبوى، وكذلك المقارنة بينه وبين الكتاب المقدس فى الموضوعات المشتركة بينهما

لمعرفة أيهما المصيب وأيهما المخطئ فى حالة وجود اختلاف لا يمكن التوفيق بينهما فيه ، والنظر فى كل اتهام أو تشنيع وُجِّه إليه من قِبَل من لا يؤمنون به ، بل ودراسة " دائرة المعارف الإسلامية " التى وضعها المستشرقون وبثوا فيها كل أفكارهم وآرائهم ونظرياتهم فى القرآن والرسول والإسلام بوجه عام وتأليف كتاب كامل تناولتُ فيه كل ما قالوه فى تلك الموسوعة وتوصلتُ إلى أنه كله كلام فارغ لا أساس له . . . إلخ ، وهو ما خرجتُ منه بأن القرآن هو كلام الله وأن محمدا صلى الله عليه وسلم هو رسول من عنده سبحانه وتعالى ، فهو لم يكن كاذبا مدَّعيا ولا واهما مخدوعا ولا مصابا بأى مرض نفسى مما يتهمه به الأفاكون المضللون . وقد سجلتُ كل ذلك فى عدد من كتبى ودراساتى ليطّلع عليه القراء ويشاركونى رحلتى فى هذا البحث . وعلى هذا فإننى موقن بأن ما قاله القرآن الكريم من أن " مريم " هى ابنة " عمران " هو حق لا يمكن التشكيك فيه . وهذا ما انتهى إليه فكرى وعقلى وسعيى الحثيث الدؤوب بعد أنْ لم آلُ جهدا فى هذا السبيل ، ثم يوم القيامة نمثل كلنا أمام الديّان ليحاسبنا على مدى اجتهادنا وإخلاصنا . وأملنا فى كرمه ورحمته واسع كبير يكافئ عظمته وبرّه ومقدرته ، والله من وراء القصد ، وهو الهادى إلى سواء الصراط !

- وبعد ، فقد كان هذا تحليلا علميا متأنيا لإحدى الدعاوى التى يطنطن المبشّرون ويُجْلِبون بها على العامّة وأشباههم يحاولون أن يوهموهم أن فى القرآن أخطاء ، ومن ثم فلا هو معصوم ولا هو من عند الله . ولا شك أن القارئ الكريم قد تبين له الآن أن الأمر ليس بالسذاجة التى يظن هؤلاء المتاعيس المناحيس أنها يمكن أن تُغْبَى عن العلم الصحيح ، ولاحظ كيف أن التنقيب والتفتيش قد انتهيا بنا إلى أن كل ما قالوه وأَجْلَبوا به لا يزيد على أن يكون رصاصة من ذلك الرصاص الفِشِنْك الذى يَخُصّون به

الأطفال . وهذه كل بضاعتهم التى لا يستطيعون أن يجدوا غيرها مستغلين المآسى الاقتصادية التى تمر ببعض البلاد الإسلامية فيتخذها هؤلاء الشياطين فرصة لبث سمومهم والضحك على العامّة وأشباههم بمثل تلك المزاعم التى لا يستطيع العَوَامّ أن يعرفوا وجه الحق فيها . وهدفهم من وراء ذلك هو تشكيك عوام المسلمين على الأقل إن لم يستطيعوا أن يَخْتِلُوهم عن دينهم! وقد أرسل إلىّ مشكورًا الصّديقُ المغربىُّ الأستاذ حسن السرّات (الذى عرفته بالمصادفة عن طريق المشباك منذ أسابيع) مقالا بالفرنسية عن التنصير فى الجزائر ، لافتًا نظرى إلى الأخطار التى تهدد هذا البلد العربى المسلم من جرّاء ذلك . وقد قرأت المقال فور وصوله ، فوجدت أن ما يحدث فى الجزائر هو هو نفسه ما يحدث فى المغرب مما تناوله مقال آخر بالفرنسية كان قد بعث به إلىّ أيضا الأستاذ السرّات من قبل وقمتُ بترجمته ونشرتُه فى بعض المواقع المشباكية: فالدجل التبشيرى هنا هو الدجل التبشيرى هناك ، والمزاعم المضحكة عن صلاح أخلاق المسلم بعد تنصره هنا هى نفسها هناك ، وتحويل بعض المنازل فى السر إلى كنائس هنا هو نفسه هناك ، واستغلال الجهل والفقر هنا هو نفسه هناك ، والغاية التى يتغياها المبشرون هنا هى نفسها هناك ، ألا وهى تحويل المغرب العربى إلى النصرانية مرة أخرى بعد أن انعم الله على شعوبه بنعمة التوحيد الطاهر الكريم . والأمر الآن إلى الشعوب العربية المسلمة حكاما ومحكومين: فهل ترضى تلك الشعوب بهذا الذى يجرى وتترك هؤلاء اللصوص يسرقون عقائد عوامّها وفقرائها فى الظلام مستغلين فقرهم وجهلهم ، أم هل تنظر فى هذا الخطر الماحق فتضع له الخطط التى تكفل وقفه والقضاء عليه قبل أن يستفحل ويتحول إلى سرطان يلتهم عقيدة الأمة وروحها وضميرها؟

***

إعجاز قرآني علمي
أم مجرد ملاحظات ساذجة
يعرفها كل أحد؟

إعجاز قرآني علمي
أم مجرد ملاحظات ساذجة يعرفها كل أحد؟

كنتُ أعِسّ (بتعبير ابني) في أرجاء المشباك منذ أيام فإذا بي أجد نفسي في أحد المواقع وجهًا لوجهٍ أمام معجمٍ فرنسي عنوانه: " Dictionnaire des religions et des mouvements philosophiques associés"، فقلت: أدخُل وألقِي نظرة لعلي أستفيد شيئا، فوجدت عنوانا جذبني إليه هو: "Coran et Sience" بقلم كاتبٍ اسمه yohanfrais لم يسبق أن سمعت به، فوقفت أحملق قليلا في العنوان، ثم استجمعت عزيمتي وتوكلت على الله وشرعت أقرأ، فألفيت الكاتب يتناول النصوص القرآنية التي يرى العلماءُ المسلمون أنها تتحدث عن موضوعات علمية، واقفا أمام كل نص من هذه النصوص محللا إياه لينتهي من التحليل إلى أنّ ليس في القرآن أي نص مما يمكن أن يقال عنه بحق إنه يتحدث عن موضوعٍ علمي. وفكرتُ في ترجمة أحد الموضوعات التي عالجها الكاتب تحت العنوان المذكور والتعليق عليه، واخترتُ الموضوع الخاص بما تتحدث عنه بعض آيات القرآن بشأن التقاء البحرين مع وجود برزخ يمنعهما أن يبغى أحدهما على الآخر. وهذه أولاً ترجمتي للنص المذكور:

"يتحدث القرآن في ثلاثة مواضع منه عن حاجزٍ يفصل بين بحرين عَذْبٍ ومِلْحٍ يلتقيان دون أن يمتزج أحدهما بالآخر (الفرقان/ ٥٣، وفاطر/ ١٢، والرحمن/ ١٩- ٢١). وهذه هي النصوص المذكورة:

١ - ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾﴾ [الرحمن: ١٩ - ٢١] . وجدير بالذكر أن كلمة "برزخ" المترجمة هنا بـ "zone intermediaire" تعني: "فاصلا ، حاجزا ، خندقا ، مانعا ، عائقا ، بوغازا" .

٢ - ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾﴾ [الفرقان: ٥٣] .

٣ - ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [فاطر: ١٢] .

وحسبما يقول بعض المفسرين فإن هذه الآيات تكشف عن وجود مانع يحول دون اختلاط مياه الأنهار عند مصابها بمياه البحار ، لأن هذا الاختلاط لا يتم في حالاتٍ معينةٍ إلا في عُرْض البحر بعيدا عن الشاطئ . ومن الممكن أن يكون هذا صحيحا ، لكنْ أَلَسْنا هنا بإزاء ملاحظة بسيطة لظاهرة طبيعية يعرفها كل أحد ، ألا وهى عدم اختلاط مياه دجلة والفرات بمياه البحر مباشرةً عند مصبهما في الخليج الفارسي؟ ومن الممكن أن نلاحظ عند مدينة البصرة بالعراق كيف أن مياه دجلة العذبة تصبّ في المحيط الهادي . وفى حالات المدّ العالي نشاهد طبقة مائية مالحة ذات لون أخضر تلامس طبقة من ماءٍ عذبٍ ضاربٍ إلى الحمرة دون أن يكون بينهما أدنى امتزاج . ولا شك أن القارئ يوافقني على أن هذا المشهد المثير للاهتمام بالنسبة لنا اليوم لا بد أنه كان شيئا هائلا في نظر أهل القرن السابع الميلادي!

والآن علينا أن ننظر فيما تقوله لنا الحكاية الأسطورية البابلية التالية التي يرجع تاريخها لما قبل القرآن بثلاثة آلاف من الأعوام: "في البدء لم يكن هناك إلا "تامُو" التي كانت تتخذ صورة البحر الأصلي ، أو فلنقل: المحيط الكوني .

وقد انجبت "نامُّو" هذه "أنْ" (السماء)، و"كِي" (الأرض)... وأخيرا "أونكى" الإله الخاص بالماء العذب الذي كان يناوئ الماء الملح في نامّو (البحر الأصلي)، فكان لا بد أن يُنْقَل إلى السماء على هيئة مطر".

ومن هذه الحكاية يتبين أن القرآن لم يكشف لنا شيئا في الواقع! وإذا كان بعض المسلمين يزعمون أن هذه الآيات القرآنية تكشف عن إحدى الحقائق العلمية، فينبغي حينئذ أن نتخذ نفس الموقف إزاء الأساطير البابلية، وأن نستخلص أن ثمة وحيًا كان ينزل على البابليين الوثنيين أيضا. إني لا أتصور أنه ينبغي الوصول في تفكيرنا إلى هذا المدى، بل كل ما علينا هو أن نكون شرفاء وأن نصرّ على القول بأن هذه الآيات لم تنبع إلا من ملاحظة بسيطة لظاهرة من الظواهر الطبيعية تحدَّث عنها ناس آخرون ينتمون لحضارات سابقة على محمد بآلاف السنين.

كذلك لا بد من التنبيه إلى أن هناك مفسِّرين آخرين قد ذهبوا أبعد من هذا وادّعَوْا أن القرآن يكشف لنا هنا عن وجود طبقات مائية تختلف بعضها عن بعض في درجة حرارتها، وفي ملوحتها، وفي كائناتها الحية، وفي مدى ذوبان الأوكسيجين فيها... إلخ. والآن لنفحصْ ما قاله القرآن: إنه يتحدث هنا عن عدم اختلاط الماء الحلو (العذب الفُرَات السائغ شرابه) بالماء المِلْح (الأُجَاج)، بيد أنه لا يقول شيئا عن اختلاف درجات الحرارة أو الكائنات الحية أو ذوبان الأوكسيجين. إن هذا كلام لا أساس له في القرآن في الوقت الذي يصف نفسه فيه بأنه تبيان وتفصيل لكل شيء، وأنه ما من شيء إلا وهو موجود في آياته.

إن القرآن إنما يتحدث عن ماء عذب سائغ شرابه، لكن هذا القول شيء، والقول بوجود بحار عذبة شيء آخر! ذلك أنه من الخطورة بمكان على البشر أن يعتقدوا في مثل هذه الأشياء، فشرب الماء المالح في الواقع من

شأنه أن يجعل الشخص عرضة للجنون . . . ومما لا ريب فيه أن البحث في القرآن عن الحقائق العلمية هو أمر ليس في صالحه ، وبخاصة إذا وضعنا في الاعتبار ما قلناه قبلا من أنه إذا استمر البعض في الزعم مع ذلك بوجود إشارات علمية في القرآن ، فينبغي أن نقف ذات الموقف من الأسطورة البابلية ، وهو ما يترتب عليه أن القرآن لم يُوحِ في هذا المجال بشيء ، وأنه لم يزد على أن ردّد ما قالته تلك الأسطورة قبله بما يزيد على ثلاثة آلاف عام! وهكذا نجد أنفسنا قد وصلنا إلى نفس النتيجة ، ألا وهي أن الآيات القرآنية لا تقدم لنا شيئا آخر غير الملاحظة البسيطة لإحدى الظواهر الطبيعية .

وفي الختام نحب أن نؤكد أنه خلافا لما يؤكده بعض المفسرين المسلمين فإن قراءة تلك الآيات يترتب عليها جهل وتخليط من شأنه ، إذا نظرنا إليه على أنه معجزة علمية ، الإضرار حتى بحياة الإنسان (جرّاء الاعتقاد بوجود بحار ذات ماء عذب) . ولكن إذا أصر البعض مع ذلك على أن يَرَوْا في هذه الآيات كشفا علميا ، فعليهم في هذه الحالة أن ينظروا إلى الحكاية البابلية بنفس العين . . . وهكذا تُخْتَزَل المعجزة القرآنية الوحيدة فلا تعدو أن تكون تكرارا لما سبق أن قاله الآخرون من قبل . . . " .

***

وأول كل شيء نفعله بعد أن ترجمنا ما قاله الكاتب هو أن نبين الأخطاء المعرفية والمنهجية التي وقع فيها: فقد ذكر أن في كتاب الله ثلاثة مواضع تتحدث عن حاجز يفصل بين بحرين عذبٍ وملحٍ يلتقيان دون أن يقع بينهما مع ذلك أي تمازج ، وهي: الفرقان/ ٥٣ ، وفاطر/ ١٢ ، والرحمن/ ١٩-٢١ . ونظرة سريعة إلى الآيات التي استشهد بها تدلنا على أنه لا توجد في سورة "فاطر" أية إشارة إلى الحاجز المذكور ، إذ الكلام فيها مقصور على الاختلاف الملاحَظ بين ماء البحر وماء النهر . ومع ذلك فهناك فعلا نص ثالث في

القرآن الكريم يشير إلى وجود مثل هذا الحاجز لم يذكره الكاتب، ألا وهو قوله تعالى في الآية ٦١ من سورة "النمل": ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النمل: ٦١]، فهذه واحدة.

أما الثانية فهي مقارنة الكاتب بين ما جاء في الأسطورة البابلية وما ذكرته النصوص القرآنية، والخروج من ذلك بأن القرآن لم يأت بشيء جديد، فها هي ذي الأسطورة البابلية قد سبقته منذ بضعة آلاف من الأعوام إلى هذا الذي قال. والواقع أنه لا وجه للمقارنة بين النصين، فالحكاية الخرافية تتحدث عن خلاف بين الماء المالح والماء العذب استتبع رفع الماء العذب إلى طبقات الجو العليا وتحويله إلى أمطار. فأين في القرآن ما يمكن أن نقارن به هذا الكلام؟ إن القرآن يتحدث عن إجرائه تعالى البحر والنهر بما يؤدي إلى التقائهما، ولكن دون أن يطغى أحدهما على الآخر. وهذا شيء مغاير تماما لما جاء في الخرافة البابلية، وهو من الوضوح بمكان، ولا أدري كيف سقط الكاتب الهمام في هذه الغلطة! ثم هل الماء العذب مقصور على طبقات الجو العليا؟ فماذا نقول في الأنهار والجداول والآبار والعيون إذن؟

وهنا نأتي إلى الخطأ الثالث الذي ارتكبه المؤلف، وهو ما فهمه من أن الآيات القرآنية تتحدث عن التقاء بين النهر والبحر دون أن يتم بينهما امتزاج، وهذا الزعم أيضا لا وجود له في القرآن. القرآن يقول إنه قد جعل بين البحرين (أي البحر والنهر) حاجزا أو برزخا يمنعهما من طغيان أي منهما على الآخر، لكنه لم يقل إنه لا يحدث بينهما امتزاج عند اللقاء. وسوف أوضح هذا المعنى فيما بعد، لكني أحب أن أركز هنا على أن الكاتب قد نسب للقرآن ما لم يقله القرآن! لقد فهم النصّ القرآني خطأً أو اعتمد على ترجمة فهم صاحبها ذلك النصّ فهمًا خاطئًا، فكان أنْ خطأً

القرآن الكريم ، والقرآن من الخطأ براء! وقد يكون تعمُّد هذا تعمُّدا!

وهناك خطأ رابع وقع فيه الكاتب أيضا ، وهو محاسبة النص القرآني على أساسٍ من فهم بعض المفسِّرين المسلمين كما قال . ولعله يقصد د . موريس بوكاي الطبيب الفرنسي المسلم الذي فسّر الآيات القرآنية المذكورة على أساس أن المقصود بالبحرين هما دجلة والفرات من جهة ، والخليج العربي من جهة أخرى ، وسوف أعود إلى هذه النقطة لاحقًا (انظر موريس بوكاي/ القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم/ دار المعارف/ القاهرة/ ١٩٨٢م/ ٢٠٥) . وليس في النصوص القرآنية ما يُفْهَم منه أن ذلك هو معنى البحرين الواردين فيها ، ومن ثَمَّ فليس للكاتب أي عذر في التهكم الذي وجَّهه للقرآن حين أكد أن ما يقوله الكتاب الكريم في هذا الشأن لا يزيد عن ملاحظةٍ بسيطةٍ جدا لظاهرة طبيعية يمكن كلٌّ من يقف عند مصب هذين النهرين في الخليج العربي أن يلاحظها ، وأن الخرافاتِ البابليةَ قد سبقت القرآنَ إلى هذه الملاحظة منذ آلاف السنين ، فلا إعجاز إذن ولا يحزنون!

ثم خطأٌ خامس ، وهو أن كاتبنا يشير إلى مسألة وجود طبقتين من الماء في حالات المدّ العالي إحداهما طبقة مالحة خضراء اللون تلامس طبقة عذبة مائلة للحمرة دون أن تمتزج بها بوصفها أمرا يستطيع الرجل العادي أن يلاحظه بسهولة ، وهو ما لا أظنه أبدًا صحيحا ، وإلا لذكره كل إنسان ، ودعنا من أنه كان من سكان البصرة في أيام ازدهار الثقافة الإسلامية علماء أجلاء وشعراء وأدباء كمحمد بن سيرين (مولى أنس بن مالك) والحسن البصري وعمرو بن عبيد والفرزدق وجرير وقطريّ بن الفُجَاءة ورؤبة بن العجّاج وبشار وأبي نُوَاس وابن المقفّع والأصمعي والمفضّل الضبّيّ والخليل بن أحمد وسيبويه والنظّام وواصل بن عطاء والجاحظ وابن سلام وابن قتيبة وابن دُرَيْد والباقلاني مثلا ممن لم يكن من الممكن أن تفوتهم ملاحظة مثل

هذه الظاهرة لو كان إدراكها سهلا إلى هذا الحد الذي يصوره لنا الكاتب، وبخاصة أنها كانت بالنسبة للقدماء أمرا هائلا كما يقول. والحقيقة أن هذه الملاحظة لم يتنبه لها إلا العلماء في العصر الحديث بعد رحلات وأبحاث ودراسات مضنية استعانوا فيها بآلات التصوير الحراري التي لم يكن لها أي وجود قبل القرن العشرين حسبما كتب العلماء المسلمون في هذه المسألة على ما سيأتي بيانه، ولولا الصورة المرفقة لحالة المدّ المشار إليها لما دار ذلك بخاطري، أما بالنسبة للقدماء فلم تكن لتلفت أنظارهم لأنها ليست مما يُدْرَك بالعين المجردة على خلاف ما يحاول الكاتب أن يوهم قراءه. وحتى لو غالطنا أنفسنا كما يريد منا وقلنا إنها قد لفتت منهم الأنظار، فكيف يا ترى كان لهم أن يعرفوا أن اللونين المختلفين يمثلان طبقتين من الماء إحداهما حلوة، والأخرى مالحة؟ وعلى أية حال فلم يكن الرسول من سكان منطقة البصرة حيث كان من الممكن أن يشاهد هذه الظاهرة لو كانت مشاهدتها ممكنة بالنسبة للرجل العادي فعلا كما يزعم الكاتب، بل كان عليه السلام من سكان مكة آنذاك، ومن ثم فلا يمكن أن يقال إنه في هذه النصوص القرآنية قد تكلم عن ملاحظة بسيطة لظاهرة طبيعية يعرفها كل أحد!

والواقع أنى لم أكتف بهذا، بل ذهبتُ فقلّبت كل ما أتيح لي من "معاجم البلدان" وقرأت ما كُتِب فيها عن "البصرة" ونَهْرَيْها لعلى أعثر على ما يمكن أن يُفْهَم منه، ولو على سبيل التأويل والتمحُّل البعيد، أن أجدادنا قد لاحظوا هذه الظاهرة التي يصرّ الكاتب في جرأة عجيبة على أنها مما تراه العين العادية للرجل العادي، فلم أجد شيئا بالمرة. ومن الكتب التي راجعتُها لهذا الغرض: "المسالك والممالك" لابن خرداذبة (من أهل القرن الثالث الهجرى)، و"الأعلاق النفيسة" لابن رستة (من أهل القرن الثالث الهجري أيضا)، و"معجم البلدان" لياقوت الحموى (من أهل القرنين

السادس والسابع)، و"أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" للمقدسى (من أهل القرن السابع)، و"آثار البلاد وأخبار العباد" للقزوينى (من أهل القرن السابع أيضا)، و"الروض المعطار في خبر الأقطار" لمحمد بن عبد المنعم الحِمْيَرى (من أهل القرنين السابع والثامن)، و"مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" لابن فضل الله العُمَرى (من أهل القرن الثامن الهجرى) و" Gazetteer of the Persian Gulf, Oman and Central Arabia" لـ J. G. Lorimer (من أهل القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين). ولقد تناول كلامُ هؤلاء الكتاب عن البصرة موقعَها وتاريخَها وجوّها وأنهارَها وأطعمتها وسكانها ومشاهيرَها وحيوانها وطيورَها ومَدّها وجَزْرها وما قيل في مدحها وذمها، لكنى لم أقرأ كلمة واحدة، كلمة واحدة يتيمة، عن تلك الظاهرة التي ادّعى الكاتب أنها مما لوحظ من قديم الزمان قبل القرآن ببضعة آلاف من السنين، رغم أن بعض هؤلاء الكتاب قد أورد في الحديث عن مدّها وجَزْرها الخرافات والأساطير مثل المقدسى، الذي نقل ما سمعه من أن ثمة مَلَكًا إذا وضع إصبعه في النهر حدث المدّ، وإذا رفعه جاء الجَزْر، أو أن الحوت إذا أخذ نفَسا سحب الماء إلى منخريه فكان الجَزْر، فإذا أخرجه كان المدّ" (المقدسي/ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم/ ط٢/ بِريل/ ١٩٠٦م/ ٣)! بل لقد تحدث القزوينى عن ملوحة ماء البصرة قائلا: "وماء دجلة والفرات إذا انتهى إلى البصرة خالطه ماء البحر فيصير ملحا" (القزوينى/ آثار البلاد وأخبار العباد/ دار صادر ودار بيروت/ ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م/ ٣٠٩)، أي أنه قد اقترب تماما من النقطة التي نتحدث عنها الآن، ورغم هذا فإنه لم ينبس بأي شيء مما يزعم الكاتب أنه ظاهرة طبيعية بسيطة لاحظها القدماء بكل سهولة، وليس فيها ما يمكن أن يُعَدّ إعجازاً بحال! إن الزعم أمرٌ هيِّن الشأن لا يكلف صاحبه شيئا، بخلاف البناء والتثبت، فإنه

يتعب من يرومه ويجشّمه من أمره جهدا ومشقةً ونَصَباً. إن كاتبنا لم يكلف نفسه أكثر من أنه تركها تزعم ما يحلو لها دون أن تقدّم على ما تقول أي برهان، وهو أمر لا يعجز عنه أي شخص مهما يكن حظه من العلم، أو فلنقل بالأحرى: مهما يكن حظه من الجهل. كل ما هنالك أنه ينبغي أن يتذرع بالاندفاع واللامبالاة، ثم لا عليه بعد ذلك من شيء! أما الذين يحرصون على سمعتهم ويلتزمون بقِيَم الدين والعلم والخلق الكريم فلا يستطيعون أن يخطّوا حرفاً إلا بعد اللُّتَيا والتي خشيةَ الخطأ وتحرُّزًا من الوقوع في التدليس. وصدق المثل القائل إنّ رَمْي حجر في بئر لا يحتاج إلى أكثر من مجنون واحد، أما إخراج الحَجَر من البئر فيحتاج إلى ألف عاقل!

ثم يضيف الكاتب أن من المسلمين من يقول بوجود بحارٍ ذات ماء عذب صالح للشرب (eau de mer potable)، قائلاً إن الاعتقاد بهذا والشرب بناء عليه من ماء البحر المالح يؤدي إلى الجنون. ولست أدرى من أين أتى الكاتب بهذا الكلام الذي ينسبه لبعض المفسرين المسلمين. لقد كان ينبغي أن يذكر لنا أسماء من قالوا بذلك ويحدد السياق الذي ورد كلامهم فيه، وعلى أي أساس قالوه. أما أن يتركنا في عماية من الأمر متصوراً أننا ينبغي أن نلقى إليه بمقاليد طاعتنا ونصغي إليه أسماعنا وأفئدتنا دون دليل أو توضيح فأمر لا يصحّ، ومن شأنه أن يدفعنا إلى تكذيبه فيما يقول نظرا لغرابته البالغة، إذ لا يعقل أن يكون بين المفسرين المسلمين في العصر الحديث ولا في أي عصر آخر من يُقْدِم على كتابة هذا الكلام المضحك مهما تبلغ قلة بضاعته من المعرفة. إن هذا الكلام يعرف كذبَه أي عاميٍّ فَدْم، فما بالنا بمن يتصدى لتفسير كتاب الله المجيد؟ ولقد رجعتُ إلى ما نشره "موقع الإيمان على شبكة الإنترنت" في هذا الموضوع فوجدت ما أورده الكاتب المذكور وعمل على تفنيده من تفسير علماء المسلمين المعاصرين للآيات

القرآنية التي نحن بصددها، لكني لم أعثر البتة على أي شيء يومئ من قريب أو من بعيد ولو على سبيل التوهم إلى ما يمكن أن يُفْهَم منه أنهم يقولون بوجود بحارٍ (بحارٍ كالبحر المتوسط أو البحر الأحمر أو بحر قزوين أو خليج المكسيك أو المحيط الهندي أو الأطلسي مثلا) ذات مياه عذبة، بل الذي قالوه، وهو صحيح مائة في المائة على ما ستوضّح لاحقاً، هو أن كلمة "البحر" قد تُطْلَق في لسان العرب على ما نسميه عادة: "النهر". وهذا غير ذلك كما هو واضح، لكن الكاتب إما أنه لم يفهم كلامهم، وهو ما أستبعده لأنه قد فهم بقية ما قالوه فهماً سليماً يدل على أنه يعرف ماذا قالوا بالضبط سواء اطّلع عليه مباشرة في لغته الأصلية أو ترجمه له مترجم، وإما أنه فهم هذا الكلام لكنه أراد السخرية والتشكيك فيما قالوه برُمَّته لينعكس ذلك على نظرة قارئي كلامه للقرآن أيضا، وهذا ما أرجّحه.

وقد استخدم القرآن كلمة "البحرين" للدلالة على ما نعرفه الآن بـ"النهر والبحر"، إذ "البحر" في اللغة العربية "هو الماءُ الكثيرُ، مِلْحًا كان أو عَذْبًا، وهو خلافُ البَرِّ، أو هو المِلْحُ فَقَطْ، وقد غَلَبَ عليه حتى قَلَّ في العَذْب" حسبما نقرأ في "لسان العرب" و"تاج العروس" وغيرهما من المعاجم. وقد يكون الكتاب المجيد استخدمها على سبيل التغليب كقولنا مثلا: "العُمَران" لأبي بكر وعمر، و"الحَسَنان" للحسن والحسين، و"الأبوان" للأب والأم، و"القَمَران" للشمس والقمر، و"الأسْوَدان" للتمر والماء. فقول علمائنا إن البحر قد يكون عذب الماء كما قد يكون مالحها هو كلام لا خطأ فيه، ولا يمكن أن يتوهم متوهم أنهم يقصدون أن الماء الملح يطفئ الظمأ حتى يخاف كاتبنا على البشر من هذا أن يصيبهم الجنون جرّاءَ تصديقهم لذلك الكلام وكَرْعهم من ثَمّ من هذا الماء، بل المقصود هو ما نعرفه الآن بـ"النهر"، وهذا كل ما هنالك. ونحن في مصر كثيراً ما نطلق على "النهر" اسم الـ"بحر"

كقولنا: "بحر النيل"، وفي قريتنا "كتامة الغابة" بمحافظة الغربية تسمى الترعة الواصلة بين بلدنا وطنطا: "بحر عاص"، كما نسمى الترعة الأخرى التي تمر بالقرب من "شفاقرون" المجاورة لنا: "بحر شفاقرون". وبالمثل تسمع الناس يقولون لفرع النيل القريب من "بسيون": "بحر القُصَّابة" على اسم قرية "القُصَّابة" التي تقع عليه، ولفرع النيل المارّ بدسوق: "بحر سيدي إبراهيم" على اسم إبراهيم الدسوقي الوليّ المعروف المدفون بالمدينة المذكورة، وللترعة التي تقوم على شاطئها قرية "سديمة": "بحر سيدى أبو اليزيد" على اسم "أبو اليزيد البسطامى"، إذ في اعتقاد أهل المنطقة أن الضريح الموجود في تلك البلدة هو لذلك الصوفي المشهور. ويوجد في القاهرة شارع اسمه "شارع البحر الأعظم"، كما يوجد في طنطا شارع يسمَّى: "شارع البحر" إشارة إلى ما كان يوجد في كل من المكانين من مجرًى للنيل. ولهذه الحكمة ذاتها كان العامة في مصر يسمّون "البحر المتوسط": "البحر المالح"، وهو دليل آخر على أن هناك في أذهانهم "بحرا عذبا" مثلما أن هناك "بحرا مالحا". بل لقد وجدت بدر الدين العيني يستخدم هذه التسمية في كتابه: "عِقْد الجُمان في تاريخ أهل الزمان" عدة مرات، ومرة واحدة على الأقل تسمية "البحر المِلْح". كذلك استعمل نشوان الحميرى هذه التسمية الأخيرة في "الروض المعطار في خبر الأقطار" عند تعريفه بمدينة "الإسكندرية"، وذلك فى قوله: "مدينة عظيمة من ديار مصر بناها الإسكندر بن فيلبش فنسبت إليه، وهي على ساحل البحر الملح". وبالمثل نقرأ في "ثمرات الأوراق" لابن حجة الحموي أن ملك بحو الأردن خاف على ابنته من أردشير حين أرسل يخطبها منه فـ "أرسلها إلى بعض الجزائر في البحر الملح". وهذه مجرد أمثلة قليلة.

وإذا كانت كلمة "mer" الفرنسية لا تعنى إلا البحر الملح، فينبغي الا نحمّل لغة الضاد هذه المسؤولية، فلكلّ لغة أوضاعها التي كثيرا ما تختلف فيها وبها

عن غيرها من اللغات كما هو معروف.

ومن الشواهد التي تجرى هذا المجرى قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ [المائدة: ٩٦]، ومعروف أن السمك يخرج من البحر والنهر كليهما لا من البحر فقط، وكذلك قوله عز شأنه: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنعام: ٦٣]، حيث وُضع البحر مقابل البرّ مما يدل على أن المقصود به النهر والبحر معاً. وقرأت في "الحيوان" للجاحظ هذه العبارة: "ومررتُ به وهو جالسٌ في يوم غِمق حارٍ ومِدٍ، على باب داره في شروع نهر الجُوبار بأردية، وإذا ذلك البحر يبخر في أنفه". فانظر كيف ذكر أولا "النهر"، ثم كيف سماه بعد ذلك: ""بحرا". وجاء في "كتاب الصناعتين" لأبي هلال العسكري: "ولولا كراهةُ الإطالة وتخوف الإملال لَزِدْتُ من هذا النوع، ولكن يكفى من البحر جرعة". والبحر هنا لا يمكن أن يكون إلا الماء العذب، فالإنسان لا يجرع إلا من النهر. وفى "الفرج بعد الشدة" للقاضي التنوخى نقرأ هذه العبارة: "فلا شدة أعظم من أن يُبْتَلَى الناس بمَلِكٍ يذبح أبناءهم، حتى ألقت أم موسى ابنها في البحر مع طفوليته، ولا شدة أعظم من حصول طِفْلٍ في البحر". ويقول الشابشتى في وصف دير القصير بمصر من كتاب "الدّيارات": "وهو مطل على القرية المعروفة بشهران وعلى الصحراء والبحر. وهذه القرية المذكورة قرية كبيرة عامرة على شاطىء البحر، ويذكرون أن موسى، صلى الله عليه، ولد فيها، ومنها ألقته أمه إلى البحر في التابوت". ويقول أيضا عن "دير طمويه": "وطمويه في الغرب بإزاء حلوان. والدير راكب البحر، وحوله الكروم والبساتين والنخل والشجر. فهو نَزِهٌ عامرٌ آهل. وله في النيل منظر حسن، وحين تخضر الأرض، فإنه يكون بين بساطين من البحر والزرع". وفى

"فوات الوَفَيات" لابن شاكر الكتبي أن توران شاه لمّا حاصرته مماليك أبيه في البرج عند المنصورة رمى بنفسه وهرب إلى النيل "ونزل في البحر إلى حلقه" فقتلوه. والمقصود بـ "البحر" في هذا كله: "النيل" كما هو واضح. وعندنا من الشواهد الشعرية الكثير، ومنها قول أبي الشيص الخزاعي:

بَحــرٌ يَلُــوذ المُعــتَفونَ بنَــيْله ::: فَعُـمُ الجَـداولِ مُتْـرَع الأحواضِ

وقول ابن الرومي:

هــو بحــرٌ مِــنَ الــبحورِ فُــراتٌ ::: لــيس مِلْحًــا وليس حاشاه ضَحْلا

وقول ابن حَيّوس:

وَمَــنْ جــادَ بالآمــالِ عَــنكَ فإنَّني ::: أرى كُــلَّ بَحــرٍ مُذ رَأيتُكَ جَدْوَلا

وقول ابن درّاج القسطلي:

وإن أرْهَقَــتْ في بَحْرِ جُودِكَ شِرْبَها ::: فَمِــنْ ظِمْءِ عَشْرٍ في الهجيرِ إلَى تِسْعِ

وقول البحتري:

بَحْـرٌ مَـتى تَقِـفِ الظِمـاءُ بِمَورِدٍ ::: مِـنهُ يَطِـيبُ لَهُـم جَداهُ وَيَعذُبِ

وقول الحيص بيص:

ولكِــنهُ بَحْــرٌ يَلَــذُّ لِــشارِبٍ ::: وَيُكــرِمُ مَــثوىً من مُسِيفٍ ومُرْمِلِ

وقول ظافر الحداد الشاعر المصري:

تأمَّلْــتُ بحــرَ النــيلِ طولاً، وخَلْفَه ::: مِــن الــبِركة الغَــنّاء شكلٌ مُدَوَّرُ

وقول البوصيري:

وَكلُّهُــمْ مِــنْ رَسُــولِ اللهِ مُلْتَمِسٌ ::: غَــرْفًا مِنَ البَحْرِ أوْ رَشْفًا مِنَ الدِّيَمِ

وقول المتنبي:

قَواصِــدُ كافــورٍ تَــوارِكُ غَــيرِهِ ::: ومَــن قَــصَدَ البَحرَ استقلَّ السواقِيا

ثم كيف يمكن أن يتوهم متوهّم هذا الذي يخشاه الكاتب (أو بالأحرى:

هذا الذي يزعم أنه يخشاه)، ويذهب فيَعُبّ من الماء الملح عبًّا؟ ويبقى تأكيده أن شرب هذا الماء يصيب الشخص بالجنون، ولا أعرف مدى صحة هذا الكلام من الناحية الطبية، وإن كنت أستغربه غاية الاستغراب، وبخاصة أنه من غير المعقول أو المتصوَّر أن يستمر أي إنسان في شرب ذلك الماء بمجرَّد أن يذوقه ويحس ملوحته! لكن الذي أنا متأكد منه أن الذي يَعُبّ من الماء الملح يكون قد أُصيبَ بالجنون فعلا، وانتهى أمره والعياذ بالله، لا أنه سيصاب به بعد الشرب، إذ لا يفعل ذلك عاقل بحال من الأحوال!

والآن نأتي لتفسير الآيات المذكورة لنرى أفيها ما لم تكن العرب بل ما لم تكن البشرية كلها تعرفه أولاً، ونبدأ بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٣﴾﴾ [الفرقان: ٥٣]، إذ هو من الوضوح بمكان بحيث لا يثير مشاكل وخلافات حول المقصود بالبحرين هنا: أهما بحران مِلْحان أم بحرٌ عَذْبٌ وآخر مِلْح؟ وقد فسره بوكاي قائلا: "معروفةٌ تلك الظاهرة التي كثيراً ما نشاهدها عند عدم الاختلاط الفوري لمياه البحر الملحة بالمياه العذبة للأنهار الكبيرة. ويرى البعضُ أن القرآن يشير إليها لعلاقتها بمصبّ نَهْرَيْ دجلة والفرات، اللذين يشكلان بالتقائها بحراً، إذا جاز القول، طوله ١٥٠ كم هو شط العرب. وفي الخليج ينتج تأثيرُ المدّ ظاهرةً طبيعيةً هي انحسار الماء العذب إلى داخل الأراضي، وذلك يضمن ريًّا طيبا" (موريس بوكاي/ القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم/ ٢٠٥). والحق أن هذا التفسير، رغم احترامي الكامل للدكتور بوكاي، هو تفسير غير مقنع: فمن الناحية اللغوية يصعب عليّ أن أوافق العالم الفرنسي على أن أداة التعريف في كلمة "البحرين" هنا للعهد، الذي قيل على أساسه إن "البحرين" المذكورين هما شط العرب والخليج الذي يصب فيه. ذلك أن الآيات السابقة تتحدث عن الظل والرياح والماء والأنعام والأناسيّ، وهي

مفاهيم عامة لا تشير إلى ظلٍّ بعينه ولا رياحٍ محدَّدة ولا أنعامٍ وأناسيَّ مخصوصة، فلِمَ يقال إذن إن "البحرين" هنا هما بحران معينان (الخليج وشط العرب)؟ إن السياق الذي وردت فيه هذه الكلمة هو سياق عام، ومن ثم فإن بلاغة الكلام تقتضي أن يكون "البحران" أيضا هنا هما "النهر والبحر" بإطلاق، أي أن "أل" فيهما هي "أل" الجنسية لا العهدية. وقد يظن قوم أن كلمة "فُرَات" الواردة في النص القرآني هنا تشير إلى نهر الفرات، ومن ثم يستغربون قولي بعدم وجود قرينة تدل على أن السياق هنا سياق خاص لا عام، لكن لا بد أن نعرف أن كلمة "فُرَات" في النص ليست عَلَمًا على النهر المعروف في بلاد الرافدين، بل صفة للبحر الأول من البحرين المذكورين معناها "الشديد العذوبة". كذلك فماء النهر، مهما توغَّل بقوة اندفاعه إلى مدًى بعيد في داخل البحر أو المحيط واحتفظ أثناء ذلك بخصائصه وعذوبته، يختلط في النهاية بمائهما ويتحول من ثم إلى ماءٍ ملحٍ أُجَاج. فظاهر الأمر إذن أن النهر يبغى في البداية على البحر (حين يشق ماءه الملح ويزيحه عن طريقه) ليعود البحر فيبغى في النهاية عليه (حين يختلط ماؤه العذب بماء البحر الملح الذي يُفْقِده خاصة العذوبة ويعطيه بدلا منها ملوحته)، فأين البرزخ يا ترى والحِجْر المحجور؟

أما "المنتخب في تفسير القرآن الكريم" فإنه يقول، في هامش خصَّصه للتعليق على هذه الآية، إنها ربما "تشير إلى نعمة الله على عباده بعدم اختلاط الماء الملح المتسرب من البحار في الصخور القريبة من الشاطئ بالماء العذب المتسرب إليها من البر اختلاطا تامًّا، بل إنهما يلتقيان مجرد تلاق: يطفو العذب منهما فوق الملح كأن بينهما برزخا يمنع بَغْيَ أحدهما على الآخر وحِجْرًا محجورا، أي حاجزا خفيًا مستوراً لا نراه". لكن ثمة نقطة هامة يظهر أن كاتبيْ هذا التعليق، رغم جدته وطرافته بالنسبة لي على

الأقل، قد أغفلاها، إذ إن الماء العذب والماء الملح اللذين يلتقيان في الصخور على هذا النحو لا يمكن تسميتهما: "بحرين". ثم إذا كان الماءان في هذه الظروف لا يلتقيان، فإنهما في عُرْض البحر يلتقيان ويتمازجان ويصبحان في النهاية ماءً واحدًا كما قلنا من قبل.

يبدو لي، والله أعلم، أن البرزخ المذكور في الآية الكريمة هو القوانين التي بمقتضاها بَقِيَ كل من الماء العذب والماء الملح كلَّ هذه الدهور المتطاولة التي لا يعلم مداها إلا الله، وسيبقى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، كما هو لا يتغير. فالأنهار تصب في البحار والمحيطات، وكان المفروض، لو أن الأمر انتهى عند هذا الحد، أن يختلط الماءان اختلاطًا دائمًا فلا ينفصلا بعد ذلك أبدا، ويصبح كل الماء الموجود على سطح الأرض من ثَمَّ ماءً مِلْحًا. بَيْدَ أن التقدير الإلهي قد شاء أن يقوم البَخْر بحمل ماء البحار والمحيطات فتسوقه الرياح ليسقط على الجبال وينحدر إلى الأنهار ماءً عذبًا كما كان... وهكذا دواليك. وهكذا أيضا يبقى الماء العذب والماء الملح كما هما، ويتعايش البحران دون أن يبغي أحدهما على الآخر ويقضي عليه. فهذا هو البرزخ، وهذا هو الحِجْر المحجور فيما أفهم، والله أعلم. وهو، كما نرى، برزخٌ وحِجْرٌ غير مادي. إنه حاجز من قوانين لا من أحجار أو مسافات أو تضاريس. ومن الحواجز المعنوية أيضا "برازخ الإيمان" التي جاء في المعاجم أنها تفصل بين الشك واليقين أو التي تفصل ما بين أول الإيمان وآخره، والبرزخ الذي يفصل بين الدنيا والآخرة، و"الحِجْر" المذكور في القرآن على لسان المشركين: "وقالوا: هذه أنعامٌ وحرثٌ حِجْرٌ لا يطعمها إلا من نشاء"، أي محرَّم أكلها حسبما نصت الآية الكريمة، والتحريم (كما هو معروف) حاجزٌ معنوي لا مادي. كما أن قوله تعالى في الآية ٢٢ من سورة "الفرقان": "حِجْرًا محجورًا" معناه: "حرامًا محرَّمًا"... وهكذا. ولهذا قالت

المعاجم وكتب التفاسير في البرزخ الفاصل بين البحرين إنه حاجز خفيّ من قدرة الله. ولا ننس أن القرآن لم ينف التقاء البحرين رغم وجود البرزخ، بل قال بصريح اللفظ: "مَرَجَ البحرين يلتقيان* بينهما برزخٌ لا يَبْغيان" كما جاء في الآيتين ١٩- ٢٠ من سورة "الرحمن". فالبرزخ موجود، ولكن الالتقاء حاصل أيضا لأن البرزخ في النص القرآني إنما يمنع بَغْي أحد البحرين على الآخر لكنه لا يمنع اللقاء بينهما.

يُقال: ذي قلناه فَسَّر الطبري الآيتين المذكورتين فقال: "قَوْله: "هَذَا عَذْبٌ فُرَات"، الفُرَات: شَدِيد العُذُوبَة. يُقَال: هَذَا مَاءٌ فُرَات، أَيْ شَدِيد العُذُوبَة. وَقَوْله: "وَهَذَا مِلْح أُجَاج"، يَقُول: وَهَذَا مِلْحٌ مُرّ، يَعْنِي بِالْعَذْبِ الْفُرَاتِ مِيَاهَ الأَنْهَار وَالأَمْطَار، وَبِالْمِلْحِ الأُجَاجِ مِيَاهَ الْبِحَار. وَإِنَّمَا عَنَى بِذَلِكَ أَنَّهُ، مِنْ نِعْمَته عَلَى خَلْقه وَعَظِيم سُلْطَانه، يَخْلِط مَاء الْبَحْر الْعَذْب بِمَاءِ الْبَحْر الْمِلْح الأُجَاج، ثُمَّ يَمْنَع الْمِلْح مِنْ تَغْيِير الْعَذْب عَنْ عُذُوبَته وَإِفْسَاده إِيَّاهُ بِقَضَائِهِ وَقُدْرَته لِئَلاَّ يَضُرّ إِفْسَاده إِيَّاهُ بِرُكْبَانِ الْمِلْح مِنْهُمَا فَلا يَجِدُوا مَاء يَشْرَبُونَهُ عِنْد حَاجَتهمْ إِلَى الْمَاء، فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: "وَجَعَلَ بَيْنهمَا بَرْزَخًا"، يَعْنِي حَاجِزًا يَمْنَع كُلّ وَاحِد مِنْهُمَا مِنْ إِفْسَاد الآخَر. "وَحِجْرًا مَحْجُورًا"، يَقُول: وَجَعَلَ كُلّ وَاحِد مِنْهُمَا حَرَامًا مُحَرَّمًا عَلَى صَاحِبه أَنْ يُغَيِّرهُ وَيُفْسِدهُ". على أن هذا التفسير لا يمنع أن يدخل فيه التقاء ماء دجلة والفرات بماء الخليج العربي بوصفه إحدى الحالات التي يتبدّى فيها القانون الذي شرحتُه آنفا لا بوصفه الحالة الوحيدة المقصودة في القرآن كما جاء في كلام الدكتور بوكاى، فضلا عن أن التفسير الذي ذكره يختلف عن تفسيري أنا حسبما وَضَّحْت.

وفى رأيي المتواضع أن آيات سورة "الرحمن" تدل على نفس هذا المعنى، لكن كاتب مقال "البرزخ المائي بين البحرين" في "موقع الإيمان على شبكة الإنترنت" يرى أن "البحرين" هنا بحران مالحان. وهذا نصّ كلامه: "قال تعالى:

﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الرحمن: ١٩ - ٢٢]، وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ﴾ [النمل: ٦١]. لقد توصل علماء البحار، بعد تقدُّم العلوم في هذا العصر، إلى اكتشاف الحاجز بين البحرين، فوجدوا أن هناك برزخًا يفصل بين كل بحرين ويتحرك بينهما، ويسميه علماء البحار: "الجبهة" تشبيهًا له بالجبهة التي تفصل بين جيشين. وبوجود هذا البرزخ يحافظ كلُّ بحرٍ على خصائصه التي قدرها الله له، ويكون مناسبًا لما فيه من كائنات حية تعيش في تلك البيئة. ومع وجود هذا البرزخ فإن البحرين المتجاورين يختلطان اختلاطًا بطيئًا يجعل القَدْر الذي يعبر من بحر إلى بحر آخر يكتسب خصائص البحر الذي ينتقل إليه عن طريق البرزخ الذي يقوم بعملية التقليب للمياه العابرة من بحرٍ إلى بحرٍ ليبقى كل بحرٍ محافظًا على خصائصه تدرج العلم البشري لمعرفة حقائق اختلاف مياه البحار وما بينها من حواجز:

اكتشف علماء البحار أن هناك اختلافًا بين عيناتٍ مائيةٍ أُخِذَتْ من البحار المختلفة في عام ١٢٨٤هـ - ١٨٧٣م على يد البعثة العلمية البحرية الإنجليزية في رحلة تشالنجر، فعرف الإنسان أن المياه في البحار تختلف في تركيبها عن بعضها البعض من حيث درجة الملوحة ودرجة الحرارة ومقادير الكثافة وأنواع الأحياء المائية. ولقد كان اكتشاف هذه المعلومة بعد رحلة علمية استمرت ثلاثة أعوام، جابت جميع بحار العالم. وقد جمعت الرحلةُ معلوماتٍ من ٣٦٢ محطة مخصَّصة لدراسة خصائص المحيطات، وملأت تقاريرُ الرحلة ٢٩,٥٠٠ صفحة في خمسين مجلدًا استغرق إكمالها ٢٣ عاما. وإضافةً إلى كون الرحلة أحد أعظم منجزات الاستكشاف العلمي فإنها أظهرت كذلك ضآلة ما كان يعرفه الإنسان عن البحر.

بعد عام ١٩٣٣م قامت رحلة علمية أخرى أمريكية في خليج المكسيك،

ونشرت مئات المحطات البحرية لدراسة خصائص البحار، فوجدت أن عددا كبيرا من هذه المحطات تعطي معلوماتٍ موحَّدةً عن خصائص الماء في تلك المنطقة من حيث الملوحة والكثافة والحرارة والأحياء المائية وقابلية ذوبان الأكسجين في الماء، بينما أعطت بقيةُ المحطات معلوماتٍ موحَّدة أخرى عن مناطق أخرى، مما جعل علماء البحار يستنبطون وجود بحرين متمايزين في الصفات لا مجرد عينات محدودة كما علم من رحلة تشالنجر.

وأقام الإنسان مئات المحطات البحرية لدراسة خصائص البحار المختلفة، فقرر العلماء أن الاختلاف في هذه الخصائص يميز مياه البحار المختلفة بعضها عن بعض. لكن لماذا لا تمتزج البحار وتتجانس رغم تأثير قوّتي المد والجزر التي تحرك مياه البحار مرتين كل يوم، وتجعل البحار في حالة ذهاب وإياب، واختلاط واضطراب، إلى جانب العوامل الأخرى التي تجعل مياه البحر متحركة مضطربة على الدوام مثل الموجات السطحية والداخلية والتيارات المائية والبحرية؟ ولأول مرة يظهر الجواب على صفحات الكتب العلمية في عام ١٣٦١هـ -١٩٤٢م، فقد أسفرت الدراسات الواسعة لخصائص البحار عن اكتشاف حواجزَ مائيةٍ تفصل بين البحار الملتقية، وتحافظ على الخصائص المميزة لكل بحر من حيث الكثافة والملوحة والأحياء المائية والحرارة وقابلية ذوبان الأوكسجين في الماء. وبعد عام ١٩٦٢م عُرِف دورُ الحواجز البحرية في تهذيب خصائص الكتل العابرة من بحر إلى بحر لمنع طغيان أحد البحرين على الآخر فيحدث الاختلاط بين البحار الملحة، مع محافظة كل بحر على خصائصه وحدوده المحدودة بوجود تلك الحواجز. ويبين الشكل التالي حدود مياه البحر الأبيض المتوسط الساخنة والمِلْحة عند دخولها في المحيط الأطلسي ذي المياه الباردة والأقل مُلُوحة منها.

وأخيرًا تمكن الإنسان من تصوير هذه الحواجز المتحركة المتعرجة بين

البحار المِلْحة عن طريق تقنية خاصة بالتصوير الحراري بواسطة الأقمار الصناعية، والتي تبين أن مياه البحار وإن بدت جسمًا واحدًا، إلا أن هناك فروقًا كبيرة بين الكتل المائية للبحار المختلفة تظهر بألوان مختلفة تبعًا لاختلافها في درجة الحرارة. وفي دراسة ميدانية للمقارنة بين مياه خليج عمان والخليج العربي بالأرقام والحسابات والتحليل الكيميائي تبين اختلاف كل منهما عن الآخر من الناحية الكيميائية والنباتات السائدة في كل منهما ووجود البرزخ الحاجز بينهما. وقد تطلب الوصول إلى حقيقة وجود الحواجز بين الكتل البحرية وعملها في حفظ خصائص كل بحر قرابة مائة عام من البحث والدراسة اشترك فيها المئات من الباحثين، واستُخْدِم فيها الكثير من الأجهزة ووسائل البحث العلمي الدقيقة، بينما جلّى القرآنُ الكريمُ هذه الحقيقةَ قبل أربعة عشر قرنا. قال تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾ [الرحمن: ١٩ - ٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ [النمل: ٦١].

هذا ما جاء في المقال المنشور على موقع "الإيمان على شبكة الإنترنت". والواقع أنني أميل إلى تفسير "البحرين" في سورتي "الفرقان" و"الرحمن" بأنهما بحران مختلفان، وأوثر هذا التفسير على القول بأن البحرين في هذه السورة هما بحران مالحان كلاهما، وعلى هذا فإني أرى أن البحرين في آيات سورة "الرحمن" أيضا هما البحر العذب والبحر الملح. والسبب في ذلك هو حرصي على أن يكون هناك انسجام بين آيات القرآن مراعاةً للسياق القرآني العام، إذ القرآن يفسّر بعضُه بعضًا كما هو معروف، وعلى هذا أرى أن تكون النصوصُ التي حددت البحرين بأنهما البحر العذب والبحر الملح حاكمةً على النصوص التي لم تحددهما. ولكني رغم ذلك لا أستطيع أن أخطّئ من يقولون بهذا التفسير مادامت الآية تقبله على وجه من الوجوه،

إذ ليس في النص الكريم ما يجعل التفسير الثاني مرفوضا، بل الأمرُ أمرُ تفضيلِ تفسيرٍ على تفسيرٍ كما أوضحت. أما الحجة التي استند إليها من فسّروا "البحرين" في النص الأخير بأنهما كليهما بحران مالحان، وهي أن المَرْجان قد ذُكِر فيه، وهو لا يُستَخرَج إلا من المياه الملحة، فلست أراها حجة كافية، إذ المَرْجان عند معظم اللغويين والمفسرين القدماء هو صغار اللؤلؤ أو كباره، واللؤلؤ يُستَخرَج من الأنهار أيضا مثلما يُستَخرَج من البحار على ما سوف أُبيّن بعد قليل. لكنى مع ذلك لا أجد، كما قلت، مانعا أن يفسرها الآخرون بغير ما فسرتُها به ما دامت تقبل هذا التفسير. إن yohanfrais يشير إلى أن النص القرآني لا يذكر اختلاف مياه البحار من حيث درجة الملوحة ودرجة الحرارة ومقادير الكثافة وأنواع الأحياء المائية، وكلامه صحيح بلا جدال، لكنْ صحيحٌ أيضا أن علماء المسلمين الذين يتحدثون عن هذه الفروق لا يقولون إن القرآن قد ذكر هذا، بل كلّ مقصدهم أن دلالة الآية تشمله، فلا داعي من ثم إلى اتهامهم بأنهم يُقوّلون النص القرآني ما لم يقله.

هذا، وقد اختتم كاتبُ المقال المنشور على "موقع الإيمان على شبكة الإنترنت" كلامه بالملاحظات التالية:"

١- أن القرآن الكريم الذي أُنزِل قبل أكثر من ١٤٠٠سنة قد تضمّن معلومات دقيقة عن ظواهرَ بحريةٍ لم تُكتَشَف إلا حديثًا بواسطة الأجهزة المتطورة، ومن هذه المعلومات وجود حواجزَ مائيةٍ بين البحار. قال تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۝٢٠﴾ [الرحمن: ١٩ - ٢٠].

٢- يشهد التطور التاريخي في سير علوم البحار بعدم وجود معلومات دقيقة عن البحار، وبخاصة قبل رحلة تشالنجر عام ١٨٧٣م، فضلاً عن وقت نزول القرآن قبل ألف وأربعمائة سنة الذي نزل على نبيٍّ أميٍّ عاش في

بيئة صحراوية ولم يركب البحر .

٣- كما أن علوم البحار لم تتقدم إلا في القرنين الأخيرين ، وخاصة في النصف الأخير من القرن العشرين . وقبل ذلك كان البحر مجهولا مخيفا تكثر عنه الأساطير والخرافات ، وكل ما يهتم به راكبوه هو السلامة والاهتداء إلى الطريق الصحيح أثناء رحلاتهم الطويلة . وما عرف الإنسان أن البحار المِلْحة بحارٌ مختلفةٌ إلا في الثلاثينات من هذا القرن بعد أن أقام الدارسون آلافَ المحطات البحرية لتحليل عينات من مياه البحار ، وقاسُوا في كلٍّ منها الفروقَ في درجات الحرارة ، ونسبة الملوحة ، ومقدار الكثافة ، ومقدار ذوبان الأوكسجين في مياه البحار في كل المحطات فأدركوا بعدئذٍ أن البحار المِلْحَة متنوعة .

٤- وما عرف الإنسانُ البرزخَ الذي يفصل بين البحار المِلْحَة إلا بعد أن أقام محطات الدراسة البحرية المشار إليها ، وبعد أن قضى وقتًا طويلاً في تتبع وجود هذه البرازخ المتعرجة المتحركة التي تتغير في موقعها الجغرافي بتغير فصول العام .

٥- وما عرف الإنسان أن ماءَي البحرين منفصلان عن بعضهما بالحاجز المائي ومختلطان في نفس الوقت إلا بعد أن عكف يدرس بأجهزته وسفنه حركةَ المياه في مناطق الالتقاء بين البحار ، وقام بتحليل تلك الكتل المائية في تلك المناطق .

٦- وما قرر الإنسان هذه القاعدة على كل البحار التي تلتقي إلا بعد استقصاء ومسح علمي واسع لهذه الظاهرة التي تحدث بين كل بحرين في كل بحار الأرض .

فهل كان يملك رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المحطات البحرية ،

وأجهزة تحليل كتل المياه، والقدرة على تتبع حركة الكتل المائية المتنوعة؟ وهل قام بعملية مسح شاملة، وهو الذي لم يركب البحر قط، وعاش في زمن كانت الأساطير هي الغالبة على تفكير الإنسان، وخاصة في ميدان البحار؟ وهل تيسر لرسول الله صلى الله عليه وسلم في زمنه من أبحاثٍ وآلاتٍ ودراساتٍ ما تيسر لعلماء البحار في عصرنا الذين اكتشفوا تلك الأسرار بالبحث والدراسة؟ إن هذا العلم الذي نزل بهالقرآن يتضمّن وصفًا لأدق الأسرار في زمنٍ يستحيل على البشر فيه معرفتها لَيَدُلّ على مصدره الإلهي كما قال تعالى: ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ ﴾ [الفرقان: ٦]. كما يدل على أن الذي أُنزل عليه الكتاب رسولٌ يُوحَى إليه. وصدق الله القائل: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [فصلت: ٥٣].

والآن، وبعد أن نقلنا ما خرج به كاتب المقال المشار إليه من نتائج، نأتي إلى آية سورة "فاطر": ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾ [فاطر: ١٢]. ولسوف أتناولها من زاوية أخرى لأنها، كما سبق القول، لا تذكر شيئا عن البرزخ أو الحِجْر المحجور الذي يمنع أحد البحرين من البغي على الآخر. لقد قرأتُ هذه الآية مرات لا تحصى، لكنى لم أكن ألتفت إلى ما تؤكده من أن الحلىَ تُسْتَخْرَج من البحر والنهر كليهما، بل كنت أتصور أن اللؤلؤ والمرجان لا يوجدان إلا في البحار المِلْحة. ومنذ عدة سنوات كنت أقرأ هذه الآية، وفجأة تنبهتُ لما كان غائبا عنى، فتساءلت: هل توجد الحلىّ حقا في مياه الأنهار كما هي موجودة في البحار؟ وقد رجعتُ يومها إلى ترجمة عبد الله يوسف على للقرآن إلى الإنجليزية، فألفيتُه، في تعليقه على هذه الآية في الهامش، يذكر من أنواع الحلىّ النهري العقيقَ وبرادةَ الذهب وغيرهما. ثم

رجعتُ بعد ذلك إلى "Encyclopaedia Britannica" (الطبعة الرابعة عشرة) فقرأتُ في مادة "Pearls" أن اللؤلؤ يوجد أيضا في المياه العذبة. وبعد هذا وقع في يدي "المنتخب في تفسير القرآن الكريم"، الذي أصدره المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر، فقرأتُ في التعليق العلمي الموجود بأسفل الصفحة على الآية المذكورة الكلام التالي الذي يبدو وكأنه كُتِب خصيصا لي: "قد يستبعد بعض الناس أن تكون المياه العذبة مصدرًا للحليّ، ولكن العلم والواقع أثبتا غير ذلك: أما اللؤلؤ فإنه، كما يُسْتَخْرَج من أنواع معينة من البحر، يُسْتَخْرَج أيضا من أنواع معينة أخرى من الأنهار، فتوجَد اللآلئ في المياه العذبة في إنجلترا وأسكتلندا وويلز وتشيكوسلوفاكيا واليابان . . . إلخ، بالإضافة إلى مصايد اللؤلؤ البحرية المشهورة. ويدخل في ذلك ما تحمله المياه العذبة من المعادن العالية الصلادة كالماس، الذي يُسْتَخْرَج من رواسب الأنهار الجافة المعروفة بالبرقة. ويوجد الياقوت كذلك في الرواسب النهرية في موجوك بالقرب من باتالاس في بورما العليا. أما في سيام وفى سيلان فيوجد الياقوت غالبا في الرواسب النهرية. ومن الأحجار شبه الكريمة التي تُسْتَعْمَل في الزينة حجرُ التوباز، ويوجد في الرواسب النهرية في مواقعَ كثيرةٍ ومنتشرةٍ في البرازيل وروسيا (الأورال وسيبريا)، وهو فلورسيليكات الألمونيوم، ويغلب أن يكون أصفرَ أو بنّيًا. والزيركون (circon) حَجَرٌ كريمٌ جذابٌ تتقارب خواصه من خواص الماس، ومعظم أنواعه الكريمة تُسْتَخْرَج من الرواسب النهرية"، علاوة على أن "المعجم: Glossary" الموجود بموقع "British Iles Natural History" يذكر أن المرجان ذاته (بالمعنى الحالى للمرجان لا بمعنى "اللؤلؤ: صغيره أو كبيره" كما سبق القول) قد يوجد فى المياه العذبة، أى فى الأنهار. وهذه هى عبارة المعجم المذكور:

"Coral: marine (rarely freshwater) organism that lives in shallow water, often in groups (colonies, reefs). Found over a wide span of Earth history, the Great Barrier Reef is a present-day example of a series of coral reefs ".

ولكى يقدّر القارئ رد فعلى الأول حق قدره أذكر أن بعض المترجمين الأوربيين أنفسهم في العصر الحديث قد استبعدوا أن تكون الأنهار مصدرًا من مصادر الحلىّ. وقد تجلّى هذا في ترجمتهم لهذه الآية: فمثلا نرى رودويل الإنجليزي يترجم الجزء الخاص بالحلىّ منها هكذا: " yet from both ye eat fresh fish, and take forth ornaments to wear". فعبارة "from both" لا تعطى المعنى الموجود في الآية، وهو أن كلا من البحرين فيه حلىّ لا أن الحلىّ تستخرج منهما معا بما يمكن أن يكون معناه أنه يخرج من مجموعهما حتى لو لم يخرج في الواقع إلا من أحدهما، وهو ما قد يصلح لترجمة قوله تعالى في سورة "الرحمن": "يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان" (لاحظ: "منهما" لا "من كل منهما"). كذلك ينقل رُودِى بارِيتْ المستشرق المعروف هذه العبارة إلى الألمانية على النحو التالي: " Aus beiden esst ihr frishes Fleish". إلى هنا والترجمة صحيحة، فهذه العبارة تقابل قوله تعالى: "ومن كلٍّ تأكلون لحمًا طريًا"، وإن استخدم بارِيتْ في مقابل "طريا" كلمة "frishes"، ومعناها الدقيق "طازج". لكن فلْننتبه لترجمة الجزء التالى الذى يقول فيه: " und (aus dem Salzmeer) gewinnt ihr Schmuck... um ihn eukh anzulegen"، والذي تَرْجَمَته: "وتستخرجون (من البحر الملح) حلية تلبسونها". ويرى القارئ بوضوح كيف أن المترجم قد أضاف من عنده بين قوسين عبارة "من البحر الملح: aus

dem Salzmeer"، وهو ما يوحي باستبعاده أن تكون الأنهار مصدرا من مصادر اللؤلؤ والعقيق وغيرهما من أنواع الحليّ على ما تقول الآية الكريمة. أما ترجمتا جورج سيلْ وبَالمْرْ الإنجليزيتان وترجمتا كازيمريسكي وماسون الفرنسيتان، وكذلك ترجمتا ماكس هننج ومولانا صدر الدين الألمانيتان على سبيل المثال، فقد ترجمت كلُّها النصّ القرآنيّ كما هو، لكنها التزمت الصمت فلم تعلق بشيء.

ويرى القارئ من هذه الآية كيف أن القرآن قبل أربعة عشر قرنا قد أشار إلى حقيقة علمية يستبعدها ناس مثلي ومثل المستشرق الإنجليزي رودويل ونظيره الألماني رُودِي باريت ممن يعيشون في هذا العصر التي بلغ فيه التقدم العلمي والتقنى آمادا مذهلة، فكيف عرفها الرسول الكريم إذن وأدّاها بهذه البساطة لو كان هو مؤلف القرآن، وبخاصة أن الأنهار التي ذُكِر أن اللؤلؤ وغيره من الأحجار الكريمة وشبه الكريمة تُسْتَخْرَج منها تقع في بلاد سحيقة بالنسبة للجزيرة العربية، بل إن بعضها كالبرازيل مثلا لم يُكْتَشَف إلا في العصور الحديثة؟

ومن هنا نستطيع أن نفهم كيف أن المفسرين القدامى، كالطبري والقرطبي وابن كثير والجلالين على سبيل المثال، قد وقفوا حائرين إزاء هذه الآية وأمثالها حيث يقررون أن الحليّ إنما تُسْتَخْرَج من البحر المِلْح فقط، وإن كان القرآن قد ذكر البحرين معا. يريدون أن يقولوا: إن العرب كانت تغلّب في مثل هذه الحالة أحدَ الطرفين على الآخر. بل إن بعضهم، محاولةً منهم الالتصاقَ بالآية وعدم الرغبة في اللجوء إلى المجاز هنا، قد قالوا إن المقصود بالبحر العذب هو ماء المطر، بمعنى أن اللؤلؤ والمَرْجان لا يتم تكونهما إلا إذا نزل ماء المطر على صَدَفهما في البحر فانعقد لؤلؤا ومَرْجانا. وهذا كله خَبْطٌ خاطئ، فالمطر لا يُسَمَّى: "بحرا"، فضلا عن أن القرآن الكريم قد نَصّ

على أن الحُلِيّ تُستَخرَج من كلٍّ من البحرين، لا من مجموعهما كما يقول مفسرونا القدامى، ولهم العذر رغم أنهم جاؤوا بعد الوحي بعدّة قرون كانت الحضارة الإسلامية قد قطعت أثناءها أشواطا في مجال العلم والفكر فسيحة، إذ إن المعلومات المتعلقة بهذا الموضوع لم تُكْتَشف إلا في العصر الحديث كما بيّنّا في الفقرات الأخيرة. وقد كانت هذه الحجة جاهزة في يدي في إحدى المناظرات التلفازية التي شاركتُ فيها منذ أعوام ضد من ينادون بإبعاد العلوم الطبيعية عن القرآن الكريم وعدم الاستعانة بها في تفسيره بشبهة أنه كتاب عقيدة وتشريع وأخلاق لا كتاب كيمياء أو فيزياء أو فلكٍ أو طبٍّ مثلا، إذ ها هم أولاء كبار المفسرين واللغويين يتجاهلون التركيب النحوي الواضح للعبارة القرآنية بسبب عدم توفر المادة العلمية بين أيديهم، فيعاملون تركيب "ومن كلٍّ . . ." على أن المراد به: "ومن مجموعهما . . ."، مع أن هذا غير ذاك تمامًا.

Le non mélange des eaux douces et salées

Dans le Coran, on parle en trois endroits d'une barrière séparant deux mers, l'une d'eau douce, l'autre d'eau salée, qui se rencontrent sans se mélanger (25: 53, 35: 12 et 55: 19-20):

" Il (Dieu) a donné libre cours aux deux ondes, pour qu'elles se rencontrent ;comme il y a entre les deux une zone intermédiaire, elles ne s'en veulent pas. Eh bien, vous deux, lequel des bienfaits de votre Seigneur traiterez-vous de mensonge ? " Sourate 55: 19-21

Le mot traduit ici par " zone intermédiaire " (barzakh) signifie " intervalle ", " barrière ", " fossé ", " barre ", " obstruction ", " isthme ".

" Et c'est Lui qui donne libre cours aux deux ondes : celle-ci, douce, rafraîchissante, celle-là, salée, amère. Et assigne entre les deux une zone intermédiaire et barrage barré. " Sourate 25: 53

" Les deux mers ne sont pas identiques: [l'eau de] celle-ci est potable, douce et agréable à boire, et celle-là est salée, amère. Cependant de chacune vous mangez une chair fraîche, et vous extrayez un ornement que vous portez. Et tu vois le vaisseau fendre l'eau avec bruit, pour que vous cherchiez certains [de produits] de Sa grâce. Peut-être serez vous reconnaissants " Sourate 35: 12

Ces versets révéleraient selon certains interprètes musulmans, l'existence du non mélange des eaux fluviales dans la mer à l'embouchure car le mélange des eaux ne s'opère parfois que loin au large.

Cela est possible, mais ne sommes nous pas là devant une simple observation d'un phénomène naturel bien connu, qui est le non mélange immédiat des eaux

de l'Euphrate et du Tigre avec celles de la mer, à leur débouché dans le golfe persique?

En effet, on peut observer à Bassorah (en Iraq), les eaux douces du Tigre se déverser dans l'Océan Indien. Dans la marée haute, on voit une masse d'eau salée de couleur verte côtoyant une masse d'eau douce de couleur rougeâtre sans qu'il y ait entre elles le moindre mélange.

Vous en conviendrez que ce spectacle impressionnant pour un homme d'aujourd'hui, devait l'être d'une plus ample mesure encore pour un homme du septième siècle!

Ceci dit, examinons ce que nous enseigne un conte de mythologie Babylonienne datant de plus de 3000 ans avant le Coran:

"A l'origine il n'y avait que Nammou, la mer primitive, l'océan cosmique. Elle engendra An et Ki, le ciel et la terre (...). Enki, enfin, parce qu'il est le dieu des eaux douces qui, en tant qu'elles s'opposent aux eaux salées de Nammou -la mer primordiale, doivent être situées du côté du ciel, comme eaux de pluies ". Conte babylonien

A cette lecture, nous constatons que le Coran n'a rien révélé!

De ce fait, si des musulmans aiment encore à alléguer, que ces versets coraniques révéleraient une vérité scientifique, il faudrait alors adopter la même attitude face aux textes mythologiques babyloniens, et en conclure qu'il y aurait là, une révélation divine faite aux Babyloniens, qui rappelons-le, sont polythéistes. Je ne pense pas qu'il faille en venir jusque là, mais simplement être honnête et se résoudre au fait que ces versets coraniques ne ressortent que d'une simple observation d'un phénomène naturelle, qui a été rapporté par d'autres hommes étant de civilisations antérieures de plusieurs millénaires à Mohammed.

Signalons aussi, que d'autres interprètes ont fait plus fort, et prétendent que le Coran révélerait ici l'existence de masses marines différentes l'une de l'autre, tant au niveau de la température, de la salinité, des organes vivant, de la solubilité de l'oxygène...

Examinons, ce que dit le Coran: celui-ci nous parle d'un non mélange d'eau douce (potable, rafraîchissante et agréable à boire) et d'une eau salée (amère). Le Coran n'indique en rien, la distinction de températures des

eaux, des organes vivant, de la solubilité de l'oxygène. Ceci ne trouve aucune base dans le Coran alors que le Coran se dit être un exposé DETAILLE de TOUTE chose où RIEN n'est omis avec des versets bien clairs.

Le Coran parle juste d'une eau douce potable, et agréable à boire, mais cela n'existe pas des mers d'eau potable! C'est même un danger pour l'homme de croire en telles choses. En effet, boire de l'eau salée, risque de rendre la personne sujette à la folie...

Il n'est décidément pas bon pour le Coran d'y chercher des vérités scientifiques... D'autant plus que comme explicité, si malgré cela on accorde ici une révélation scientifique au Coran, il faut par conséquent agir de même vis-à-vis du mythe babylonien, et ainsi le Coran n'a rien révélé, mais a alors simplement répété ce qui a déjà été dit, ceci il y a plus de 3000 ans! Nous en arrivons toujours à la même conclusion, à savoir : être honnête et conclure que ces versets ne proviennent que de la simple observation d'un phénomène naturel.

En conclusion Contrairement à ce qu'affirment certains commentateurs musulmans, de la lecture de ces versets, il ressort plutôt une méconnaissance scientifique et une ignorance qui considérées comme

vérités scientifiques pourraient même mettre en danger la vie de personnes (voir eau de mer potable). Si néanmoins, certains refusaient de cesser de voir dans ces versets coraniques une révélation scientifique, il faudra en faire de même pour le conte babylonien... et ainsi, le seul miracle coranique se réduirait à répéter ce que d'autres ont déjà dit...

***

حتى إذا بلغ مغرب
الشمس وجدها تغرب
في عينٍ حَمِئَةٍ

حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عَيْنٍ حَمِئَةٍ

بعث لي أحد نصارى المهجر في الأسبوع الماضي برسالة مشباكية (مكتوبة بلغة إنجليزية لا بأس بها، وإن لم تخل من الأخطاء) يعقب فيها على مقالي: "إعلان سيد القمني الاعتزال: خواطر وتساؤلات"، الذي نُشِر بجريدة "الشعب" الضوئية يوم الجمعة الموافق ٢٠/ ٨/ ٢٠٠٥م، لكنه ترك تقريبا كل ما قلته في مقالي المشار إليه فلم يردّ على شيء منه، اللهم إلا ما كتبته عن المعجزات وأن غيابها عن النسق العقيدى عندنا لا يضر الإسلام في شيء، ورغم هذا جاء تناوله للموضوع على نحو لم أجد معه داعيا إلى الخوض فيه كَرّةً أخرى، وبخاصة أنه لم يحقق جيدا ما كتبته في هذه النقطة. ثم ثنّى فتحدّى المسلمين أن يستطيعوا الرد على ما يوجَّه للقرآن من انتقادات علمية منها ما يتعلق مثلا بما جاء في الآية ٨٦ من سورة "الكهف" عن ذي القرنين ومشاهدته الشمس وهي تغرب في عين ماء، مما يخالف حقائق علوم الفلك كما قال. وفي نهاية الرسالة لم ينس أن يرجو لنا أن نفيق من الغاشية التي تطمس على أبصارنا منذ أربعة عشر قرنا من الظلام وأن نعود إلى المسيح بعد أن بيَّن لنا هو وأمثاله مقدار الجهل الكبير الذي يتصف به الله ومحمد حسبما قال. يا شيخ، قال الله ولا قالك! أتريدنا أن نرتد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله ونعود إلى العصر الحجري في مسائل العقيدة والعبادة؟ ألم تقرأ قول الحق تبارك وتعالى: "وقالت اليهود: عُزَيْرٌ ابنُ الله، وقالت النصارى: المسيحُ ابنُ الله! ذلك قولهم بأفواههم، يضاهئون قول

الذين كفروا من قبل . قاتلهم الله! أنّى يُؤْفَكون؟" (التوبة/ ٣٠)؟ لا يا عم، يفتح الله! خَلّك فيما أنت فيه، ولْنَبْقَ نحن أيضا في النور والهدى الذي أكرمنا الله به على يد سيد النبيين والمرسلين، صلّى الله وسلّم عليه وعليهم أجمعين . وقد كتبتُ هذه الكلمة على الطائر وأنا على جناح سفر، ولم يرنّق النوم في عيني طوال الليل إلا لساعة أو أقلّ دون سببٍ واضح، فلم يتسنّ لي تدقيق مراجعتها، ولعلي لم أخطئ فيها أخطاء فاحشة، وإلا فإني أعتذر مقدما من الآن .

والآية التي يشير إليها صاحب الرسالة هي قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ ﴾ (أي ذو القرنين) ﴿ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ﴾ [الكهف: ٨٦] . وأدْخُل في الموضوع على الفور فأقول: من المعروف في كتب اللغة أن حروف الجر ينوب بعضها عن بعض، بمعنى أن هناك توسعا في استعمالها، بل إن في اللغة توسعات كثيرة في غير حروف الجر أيضا، وإن لم تكن هذه التوسعات دون ضوابط حتى لو لم نستطع في بعض الأحيان أن نتنبه لها، أو على الأقل حتى لو لم نتفق عليها . وقد تُسَمّى هذه التوسعات بـ " المجاز"، وهو ما يعني أن الكلام لا ينبغي أن يؤخذ على ظاهره أو حرفيته . وهذا، كما سبق القول، معروف عند دارسي اللغات . ولْنأخذ حرف الجرّ " في" (الموجود في الآية) لنرى ماذا يقول النحاة في استعمالاته: فهم يقولون إنه يُسْتَخْدَم في عشرة معان: الأول: الظرفية، زمانًا أو مكانًا، حقيقةً أو مجازًا، ومن الزمانية: "حضرتُ إلى الاجتماع في العاشرة مساء"، ومن المكانية: "سكنتُ في هذا البيت أعواما طوالا" . الثاني: المصاحبة، نحو قوله تعالى: ﴿ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ ﴾ [الأعراف: ٣٨]، أي بمصاحبتها . الثالث: التعليل، نحو: ﴿ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ﴾ [يوسف: ٣٢]، أي بسببه . الرابع: الاستعلاء، نحو قوله تعالى: ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾ [طه: ٧١]، أي عليها . الخامس:

مرادفة الباء، نحو: "فلان بصير في الموضوع الفلاني"، أي بصير به. السادس: مرادفة "إلى" نحو قوله تعالى: ﴿فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ [إبراهيم: ٩]، أي مدّ الكفار أيديهم إلى أفواه الرسل ليمنعوهم من الدعوة إلى الهدى والنور. السابع: مرادفة "مِنْ". الثامن: المقايسة، وهي الداخلة بين مفضول سابقٍ وفاضلٍ لاحقٍ، كما في قوله سبحانه: ﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨]، أي أن متاع الحياة الدنيا بالقياس إلى الآخرة قليل. التاسع: التعويض، كما في قولنا: "دفعتُ في هذا الكتاب عشرين جنيها". العاشر: التوكيد، وأجازه بعضهم في قوله تعالى: "وقال: اركبوا فيها"، أي أن الركوب لا يكون إلا في السفينة، ولذلك لا ضرورة للنص على ذلك إلا من باب التوكيد (انظر في ذلك مثلا "مُغْنِي اللبيب" لابن هشام).

وفى القرآن الكريم نقرأ قوله عز وجل: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ [البقرة: ١٩]، والمقصود أن كلا منهم يضع طرف إصبع واحدة من أصابعه عند فتحة الأذن، لا في داخلها. ونقرأ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، وطبعا لم يجعل المولى الإنسان خليفة في الأرض، أي في باطنها، بل على سطحها. ونقرأ: ﴿وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة: ٩٣]، وليس المقصود العجل نفسه بل عبادته، وهى لا تُشْرَب ولا تدخل في القلب بالمعنى الذي نعرفه. ونقرأ: ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ [البقرة: ١٣٩]، أي أتحاجّوننا بشأن الله؟ ونقرأ: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ [البقرة: ١٤٤]، أي صوب نواحي السماء، وليس في السماء فعلا. ونقرأ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ

وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ ﴾ [البقرة: ١٧٧]، والإنسان لا ينفق ماله في الرقاب، بل يعتق به الرقاب. ونقرأ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى ﴾ [البقرة: ١٧٨]، أي مقابل جريمة القتل وتعويضا لأهل القتيل. ونقرأ: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا ﴾ [البقرة: ٢٠٥]، أي فوقها. ونقرأ: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ﴾ [البقرة: ٢١٠]، أي يقع بهم عقاب الله في هيئة ظلل من الغمام. ونقرأ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ﴾ [البقرة: ٢٤٠]، أي فعلن بأنفسهن. ونقرأ: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف: ١٤٥]، أي على الألواح. ونقرأ: ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِيٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِيٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ [الأنفال: ٤٤]، أي أمام أعينكم وأعينهم. ونقرأ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ ﴾ [الأنفال: ٧٠]، ولا يمكن إنسانا أن يكون في يد إنسان آخر بالمعنى الحرفي كما هو واضح. ونقرأ: ﴿ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكْرِي ﴾ [الكهف: ١٠١]، والعيون لا تكون في الغطاء، بل تحت الغطاء. ونقرأ: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا ﴾ [الحج: ٢٧]، أي أذن بحيث يسمعك الناس. ونقرأ: ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٩]، أي معهم. ونقرأ: ﴿ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ [العنكبوت: ١٠]، أي أوذيَ بسبب إيمانه بالله. ونقرأ: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ﴾ [سبأ: ١٥]، والجنتان لم تكونا في مساكن سبإ، بل حولها أو قريبا منها. ﴿ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ ﴾ [الزخرف: ١٨]، والنساء لا ينشأن في الحلية بل مرتديات لها ومستمتعات بها. ونقرأ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [القمر: ٥٤]، والمتقون في الآخرة سيكونون

فعلا في الجنان، لكنهم بكل تأكيد لن يكونوا في الأنهار، بل ستجرى الأنهار في الجنان. ونقرأ: ﴿ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الواقعة: ٢٨]، وهم لن يكونوا في الجنة في شجر السدر، بل سيأكلون منه. ونقرأ: ﴿ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ ﴾ [المجادلة: ٢٢]، ولا كتابة في القلوب بالمعنى الظاهري بطبيعة الحال ولا حتى فوقها. ونقرأ: ﴿ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الحاقة: ٣٢]، أي اربطوه بها. ونقرأ: ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾ ﴾ [المسد: ٥]، أي حَوْل جيدها... وهكذا.

وفي الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى أمثلة كثيرة على ما نقول، وهو أمر طبيعي، فهذه هي طبيعة اللغة، سواء في كتاب الله أو في كلام أهل الكتاب أو في أي كلام آخر. وهذه بعض الأمثلة من الكتاب المذكور: "كل شجر البرية لم يكن بعد في الارض" (تكوين/ ٢/ ٥)، "وكان قايين عاملا في الأرض" (تكوين/ ٤/ ٢)، "وأما نوح فوجد نعمة في عيني الرب" (تكوين/ ٦/ ٨)، "كان نوح رجلا بارا كاملا في أجياله" (تكوين/ ٦/ ٩)، "تنجح طريقي الذي أنا سالك فيه" (تكوين/ ٢٤/ ٤٢)، "فوضعت الخزامة في انفها" (تكوين/ ٢٤/ ٤٧)، "فأحب اسحق عيسو لأن في فمه صيدا" (تكوين/ ٢٥/ ٢٨)، "فتعاظم الرجل وكان يتزايد في التعاظم" (تكوين/ ٢٦/ ١٣)، "فالآن يا ابني اسمع لقولي في ما أنا آمرك به" (تكوين/ ٢٧/ ٨)، "ويتبارك فيك وفي نسلك جميع قبائل الأرض" (تكوين/ ٢٨/ ١٤)، "وخلع فرعون خاتمه من يده وجعله في يد يوسف وألبسه ثياب بوص ووضع طوق ذهب في عنقه" (تكوين/ ٤١/ ٤٢)، "فتقدموا إلى الرجل الذي على بيت يوسف وكلموه في باب البيت" (تكوين/ ٤٣/ ١٩)، "أليس هذا هو الذي يشرب سيدي فيه؟" (تكوين/ ٤٤/ ٥)، "وحمل بنو إسرائيل يعقوب أباهم وأولادهم ونساءهم في العجلات التي أرسل فرعون لحمله" (تكوين/ ٤٦/

٥)، "ومرّروا حياتهم بعبودية قاسية في الطين واللبن وفي كل عمل في الحقل" (خروج/ ١/ ١٤)، "خرج إلى إخوته لينظر في أثقالهم" (خروج/ ٢/ ١١)، "ما بالكنّ اسرعتنّ في المجيء اليوم" (خروج/ ٢/ ١٨)، "وقال الرب لموسى: عندما تذهب لترجع إلى مصر انظر جميع العجائب التي جعلتها في يدك واصنعها قدام فرعون" (خروج/ ٤/ ٢١)، "فذهب والتقاه في جبل الله وقبّله" (خروج/ ٤/ ٢٧)، "هما اللذان كلّما فرعون ملك مصر في إخراج بني إسرائيل من مصر" (خروج/ ٦/ ٢٧)، "الدمامل كانت في العرّافين وفي كل المصريين" (خروج/ ٩/ ١١)، "تخبر في مسامع ابنك وابن ابنك بما فعلتُه في مصر وبآياتي التي صنعتها بينهم" (خروج/ ١٠/ ٢) . . . إلخ، وهى بالمئات، إن لم تكن بالألوف. ومن هنا كان من السهل أن ندرك معنى قول القرطبى مثلا في الآية المذكورة: "وَيَجُوز أَنْ تَكُون الشَّمْس تَغِيب وَرَاءَهَا (أي وراء العَيْن الحَمِئَة) أَوْ مَعَهَا أَوْ عِنْدهَا، فَيُقَام حَرْف الصِّفَة مَقَام صَاحِبه". يقصد أن حروف الجر قد ينوب بعضها عن بعض، بمعنى أن يُسْتَعْمَل بعضها في مكان بعضها الآخر. وفى نفس المجرى يجرى ما نجده عند البغوى وأبى حيان، إذ نقرأ في تفسير الأول نقلا عن القتيبى أنه يجوز أن يكون المعنى هو أنه كان "عند الشمس" أو "في رأى العين" عين حمئة، أما الثاني فقد ذكر أن بعض البغداديين يفسر قوله تعالى: "في عين حمئة" بمعنى "عند عين حمئة".

بل إن في الكتاب المقدس عبارات كثيرة من نوع الآية القرآنية التي بين أيدينا بل أَوْغَل في مضمار الاستخدامات المجازية، ويقرؤها هؤلاء الذين يرددون تخطئة القرآن كما تفعل الببغاوات الغبية، لكن دون فهم أو تمييز، ومن ثم لا يخطر في بالهم أن يقفوا ويتدبروا ويفكروا في أمر هذا التشابه في الاستعمالات الأسلوبية وأنه مسألة عادية جدا لأنه هكذا كانت اللغة وهكذا ستظل إلى يوم يبعثون. وهم في هذا كالكلب الذي ربّاه صاحبه على نباح

المارة وعضهم، فكلما رأى شخصا مارًا من أمام البيت نبحه وعضه دون تفكير. لنأخذ مثلا الشواهد التالية: "أما هما في عبر الأردن وراء طريق غروب الشمس في أرض الكنعانيين..." (تثنية/ ١١/ ٣٠)، "هكذا يبيد جميع أعدائك يا رب. وأحباؤه كخروج الشمس في جبروتها" (قضاة/ ٥/ ٣١)، "هكذا قال الرب: هأنذا أقيم عليك الشر من بيتك وآخذ نساءك إمام عينيك وأعطيهنّ لقريبك فيضطجع مع نسائك في عين هذه الشمس" (صموئيل ٢/ ١٢/ ١١)، "وقلت لهما: لا تفتح أبواب أورشليم حتى تَحْمَى الشمس" (نحميا/ ٧/ ٣)، "قدام الشمس يمتد اسمه" (مزامير/ ٧٢/ ١٧)، "ثم رجعت ورأيت كل المظالم التي تجرى تحت الشمس" (الجامعة/ ٤/ ١)، "ويخجل القمر وتَخْزَى الشمس" (إشعيا/ ٢٤/ ٢٣)، "وأظلمت الشمس وانشقّ حجاب الهيكل من وسطه" (لوقا/ ٢٣/ ٤٤)، "إنك قد طردتني اليوم عن وجه الأرض ومن وجهك أختفي وأكون تائها وهاربا في الأرض. فيكون كل من وجدني يقتلني" (تكوين/ ٤/ ١٤)، "وفسدت الأرض أمام الله وامتلأت الأرض ظلما" (تكوين/ ٦/ ١١)، "الآن قم اخرج من هذه الأرض" (تكوين/ ٣١/ ١٣)، "وأدخلكم إلى الأرض التي رفعت يدي أن أعطيها لإبراهيم" (خروج/ ٦/ ٨)، "واستراحت الأرض من الحرب" (يشوع/ ١٤/ ١٥)، "دور يمضي ودور يجيء والأرض قائمة إلى الأبد" (جامعة/ ١/ ٤)، "فوجدها ملاك الرب على عين الماء في البرية. على العين التي في طريق شور" (تكوين/ ١٦/ ٧). ومن الواضح أن هذا كله على خلاف الواقع وينبغي الا يأخذه القارئ مأخذا حرفيا، وإلا لم يكن للكلام معنى: فمثلا ليس هناك للشمس تحتٌ ولا فوقٌ، وإنما هو تعبير بشرى، فنحن أينما كنا على الأرض نتصور أن الشمس فوقنا، ومن ثم فنحن تحتها، على حين أنه لو كان الأمر كذلك لكان ينبغي إذن أن تكون

"فوق" الشمس بعد ستة أشهر من ذلك حين تدور الأرض نصف دورتها السنوية، وهذا لا يصير. كذلك فليس للشمس عين (ولا أذن ولا أنف) أصلا حتى تكون أوْ لا تكون في عينها، كما أنها ليس لها طريق تسير فيه على الأرض، ودَعْك من أننا يمكن أن نسير نحن فيه أيضا. وبالنسبة لقول قابيل إنه هرب في الأرض، فهو مجرد تعبير بشريّ، وإلا فقولنا: "في الأرض" إنما يعني حرفيا: "داخل الأرض"، وهو ما لا يقصده قابيل ولا أي إنسان آخر في مثل وضعه... وهكذا.

وقبل كل ذلك فإن الكلام هنا ليس كلاما في علم الطبيعة أو الجغرافيا أو الجيولوجيا، بل هو كلام أدبي يقوم في جانب منه على التعبيرات المجازية والتجسيدية والتشخيصية وما إلى ذلك. باختصار: هذه هي طبيعة اللغة، أما الكلاب التي تنبح المارة وتعضهم لا لشيء سوى أنه قد قيل لها: انبحي أيّ مارٍّ من هنا وعضّيه، فإنها لا تفهم هذا ولا تفقهه ولا تدركه ولا تتذوقه، إذ متى كانت الكلاب تستطيع أن تتذوق شيئا غير العظم المعروق الذي أُكِل ما عليه من لحم، ثم أُلقِيَ به لها تعضعضه وتمصمصه تحت الأقدام؟ وعلى هذا فليس هناك أي متعلَّق لأي إنسان كائنا من كان كي ينتقد الآية القرآنية إلا إذا كان يريد النباح والعضّ والسلام، ولا يبغى فهما أو معرفة. فالحرف "في" في الآية الكريمة لا يعني "داخل العين الحمئة" لأن الآيات القرآنية التي تذكر الشمس (كما سنوضح لاحقا) تتحدث عنها على أنها جِرْمٌ موجودٌ في الفضاء لا يغادره أبدا، بل يعني أنه قد تصادف وقوع غروب الشمس حين كان ذو القرنين في ذلك المكان عند العين الحمئة، وإن كان ما شاهده بعينه يوحي أنها قد غربت في تلك العين. وحتى لو قيل إنها لم تغرب في العين بل وراء العين أو عند العين أو ما إلى ذلك، فإن هذا كله لا يصح من الناحية العلمية، فالشمس لا تبتعد ولا تختفي، بل الأرض هي التي تتحرك حولها،

فتبدو الشمس وكأنها هي التي تغيب. لكنى قد عثرت أثناء تقليبي في المشباك بمن يقول معترضا على الآية إن مثل هذا التوجيه كان يمكن أن يكون مقبولا لو أن الآية قالت إن ذا القرنين "رأى" أو "شاهد" الشمس تغرب في العين، أمّا والآية تقول إنه "وجدها" تغرب في عينٍ حمِئةٍ فمعنى هذا أن المقصود هو أنها كانت تغرب في العين فعلا. وقد جعلني هذا أفكر في استعمال هذا الفعل في مثل ذلك السياق في العربية لأرى أهو حقا لا يعنى إلا أن الأمر هو كذلك في الواقع لا في حسبان الشخص وإدراكه بغضّ النظر عما إذا كان هذا هو الواقع فعلا أو لا. وقد تبين لي أن الأمر ليس كما ذهب إليه ذلك المعترض الذي سمي نفسه: "جوتاما بوذا" أو شيئا كهذا، فنحن مثلا عندما يُسْأَل الواحد منا السؤال التالي عن صحته: "كيف تجدك اليوم؟" (أي "كيف حالك؟") يجيب قائلا: "أجدني بخير وعافية"، وقد يكون هذا القائل مريضا لكنه لا يدرى لأن أعراض المرض ليست من الوضوح أو لأنه من الاندماج في حياته اليومية بحيث لا يتنبه لحالته الصحية الحقيقية. وبالمثل يمكن أن يقول الواحد منا (صادقا فيما يظن) إنه وجد فلانا يضرب ابنه عند البيت، بينما الحقيقة أنه كان يداعبه أو كان يضرب ابن الجيران مثلا، لكن المتكلم توهم الأمر على ما قال. كذلك فالمصاب بعمى الألوان قد يقول إنه وجد البطيخة التي اشتراها خضراء على عكس ما أكد له البائع، ثم يكون العيب في الشاري لا في البائع ولا في البطيخة. أما المتنبي في قوله:

ومن يكُ ذا فمٍ مُرٍّ مريضٍ ::: يجِدْ مُرًّا به الماءَ الزُّلالا

فقد كفانا مؤنة التوضيح بأنّ وِجْداننا الشيء على وضعٍ ما لا يعنى بالضرورة أنه على هذا الوضع في الحقيقة والواقع. وفى القرآن مثلا: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾ [الكهف: ٧٧]، وليس هناك في أي مكان في الدنيا جدار عنده إرادة: لا للانقضاض ولا للبقاء على وضعه الذي

هو عليه، لأن الجدران من الجمادات لا من الكائنات الحية ذوات الإرادة. كذلك فعندنا أيضا قوله عز شأنه: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ﴾ [النور: ٣٩]، ولا يمكن القول أبدا بأن الآية على معناها الحرفي، فالله سبحانه لا ينحصر وجوده في مكان من الأمكنة، بل الكون كله مكانا وزمانا وكائنات في قبضته عز وجل، ومن ثم لا يمكن أن ينحصر وجوده عند السراب، وهذا من البداهة بمكان لأنه سبحانه وتعالى هو المطلق الذي لا يحده حد. والطريف أن بعض المفسرين الذين رجعت إليهم بعد ذلك قد وجدتهم يقولون إنه لو كانت الآية قالت إن الشمس "كانت تغرب" في العين فعلا لكان ثم سبيل لانتقادها، أما قولها إن ذا القرنين "وجدها تغرب" في العين فمعناه أن ذلك هو إدراكه للأمر لا حقيقته الخارجية. ومن هؤلاء البيضاوي، وهذه عبارته: "ولعله بلغ ساحل المحيط فرآها كذلك إذ لم يكن في مطمح بصره غير الماء، ولذلك قال: وجدها تغرب، ولم يقل: كانت تغرب"، وهذا الذي قاله أولئك المفسرون هو الصواب. وفي الكتاب المقدس لدى اليهود والنصارى شيء مثل ذلك، ومنه هذا الشاهدان: "وأما نوح فوجد نعمة في عيني الرب" (تكوين/ ٦/ ٨)، "فوجدها ملاك الرب على عين الماء في البرية. على العين التي في طريق شور" (تكوين/ ١٦/ ٧). فالنعمة لا توجد في عين الرب على سبيل الحقيقة، فضلا عن أن الله لا يمكن أن يُرَى ولا أن تُرَى عينه (إن قلنا إن له سبحانه عينا لكنها ليست كأعيننا). كما أن المرأة التي وجدها ملاك الرب لم تكن "على" العين، بل "عند" العين. أي أن الحقيقة الخارجية في كلا الشاهدين لم تكن على حَرْفِيَّة ما جاء في العبارتين.

وعلى هذا النحو يمكننا أن نقرأ الشواهد الشعرية التالية: قال الأسعر الجعفي:

إنّي وَجَدتُ الخَيلَ عِزّاً ظاهِراً ::: تُنجي مِنَ الغُمّى وَيَكشِفنَ الدُجى

وقال الحارث بن عباد:

وَامتَرَتهُ الجَنوبُ حَتّى إِذا ما ::: وَجَدَت فَودَهُ عَلَيها ثَقيلا

وقال امرؤ القيس:

ألَم تَرَياني كُلَّما جِئتُ طارِقاً ::: وَجَدتُ بِها طيباً وَإِن لَم تَطَيَّبِ؟

وقال الدحداحة الفقيمية:

* مِنْ معشرٍ وجدتُهم لئاما *

وقال حاتم الطائى:

إذا أوطَنَ القَومُ البُيوتَ وَجَدتَهُم ::: عُماةً عَنِ الأَخبارِ خُرقَ المَكاسِبِ

وقال سلامة بن جندل:

فَإِن يَكُ مَحمودٌ أَباكَ فَإِنَّنا ::: وَجَدناكَ مَنسوباً إِلى الخَيرِ أَروَعا

وقال النابغة الذبيانى:

مَتى تَأتِهِ تَعشو إِلى ضَوءِ نارِهِ ::: تَجِد خَيرَ نارٍ عِندَها خَيرُ مَوقِدِ

وقال مالك بن عمرو:

مَتى تَفخَرْ بِزَرْعَةَ أو بِحُجْرٍ ::: تَجِدْ فخرا يطيرُ بِهِ السَناءُ

وقال الحصين بن الحمام الفزارى:

تَأَخَّرتُ أَستَبقي الحَياةَ فَلَم أَجِد ::: لِنَفسي حَياةً مِثلَ أَن أَتَقَدَّما

ذلك أن وِجْدانك الشيء على وضع من الأوضاع إنما يعنى إدراكك له على هذا الوضع رؤيةً أو سماعًا أو شمًّا أو لمسًا أو شعورًا باطنيًّا أو استدلالا عقليًّا كما في العبارات التالية: "نظرتُ فوجدتُه قائما"، أو "حينما اقتربتُ من الحجرة وجدتُه يغنى"، أو "قرّبت الزهرة من أنفى فوجدتها مسكيّة العبير"، أو "احتكت يدي بالحائط فوجدته خشن الملمس"، أو

"وجدتُ وقع إهانته لي عنيفا"، أو "أعاد العلماء النظر في هيئة الأرض فوجدوها أقرب إلى شكل الكرة"، ثم سواء عليك بعد هذا أكان هو فعلا في الواقع والحقيقة كذلك أم لا. وفي ضوء ما قلناه نقرأ قول الزبيدي صاحب "تاج العروس": "وقال المُصنّف في البصائر نقلاً عن أبي القاسم الأصبهاني: الوُجُودُ أَضْرُبٌ، وُجُودٌ بإحدى الحَوَاسّ الخَمْسِ، نحو: وَجَدْتُ زَيْدًا وَوَجَدْتُ طَعْمَه ورائحته وصَوته وخُشُونَته، ووجُودٌ بِقُوَّةِ الشَّهْوَةِ نحو: وَجَدْتُ الشبع ووجوده أيده الغضب كوجود الحُزْنِ والسُّخْطِ، ووُجُودٌ بالعَقْل أو بوساطَة العَقْلِ، كمَعْرِفَة الله تعالى، ومَعْرِفَة النُّبُوَّةِ. وما نُسِبَ إلى الله تعالى مِن الوُجُود فبِمَعْنَى العِلْم المُجَرَّدِ، إذ كان اللهُ تعالَى مُنَزَّهاً عن الوَصْفِ بالجَوَارِحِ، والآلاتِ، نحو قوله تعالى: "وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ"، وكذا المعدوم يقال على ضِدّ هذه الأَوْجُهِ. ويُعَبَّر عن التَّمَكُّنِ من الشيْءِ بالوُجُودِ نحو: "فَاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ" أي حَيْثُ رَأَيْتُمُوهُم، وقوله تعالى: "إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ"، وقوله: "وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ" وقوله: "وَوَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ"، ووجود بالبصيرة، وكذا قوله: "وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا" وقوله: "فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا"، أي إن لم تقدِروا على الماءِ".

ولقد كفانا مؤنة المضيّ أبعد من ذلك (على كفايته في حد ذاته) كاتبان ألّفا بحثا عثرت عليه في المشباك بعنوان: "Islam and the Setting of the Sun: Examining the traditional Muslim View of the Sun's Orbit" يهاجمان فيه القرآن ويزعمان أن الرسول حين قال ما قال في الآية التي نحن بإزائها هنا إنما كان يقصد فعلا أن الشمس تغرب في عين حمئة على حرفية معناها، ومع هذا فقد بدءا كلامهما بالقول بما معناه أن تعبيرا مثل التعبير الذي في الآية الكريمة لا يدل بالضرورة على أن صاحبه قد

اجترح خطأ علميا أو أنه يعتقد أن الشمس تغرب فعلا في العين . ثم أضافا أننا ، حتى في عصرنا هذا حيث يعرف الجميع تمامًا أن الشمس في الواقع لا تشرق ولا تغرب ، ما زلنا نقول إنها تشرق وتغرب . والكاتبان هما: Sam Shamounnو Jochen Katz ، وهذا نَصّ ما قالاه:

we do need to make it clear that statements about the sun rising or setting do not, in and of themselves, prove that a person or author held to erroneous scientific views, or made a scientific error. One can legitimately argue that the person or author in question is using everyday speech, ordinary language, or what is called phenomenological language. From the vantage point of the person who is viewing the sun from the earth, the sun does indeed appear to be rising and setting. In fact, even today with all our advanced scientific knowledge we still refer to sunrise and sunset. Hence, an ancient book or writer may have not intended to convey actual scientific phenomena when describing the sun as rising or setting any more than today's meteorologists, or newscasters, are speaking scientifically when referring to the rising and setting of the sun.

وقد أخذتُ أنقّر في النصوص الإنجليزية والفرنسية الموجودة في المشباك حتى عثرتُ على طائفة من الشواهد النثرية والشعرية يتحدث فيها أصحابها لا على أن الشمس تشرق وتغرب فحسب ، بل عن سقوطها أو غوصها أو

غروبها في البحر أو في السهل أو ما إلى هذا . وإلى القارئ عينةً مما وجدته من تلك النصوص:

Alone stood I atop a little hill, And beheld the light-blue "sea lying still, And saw the sun go down into the sea (من قصيدة بعنوان: "AN EPISTLE" لـ Numaldasan)، "The sun sinks down into the sea" (من رواية "The Water-Babies" لـ Charles Kingsley)، "The Sun came up upon the left, out of the sea came he! And he shone bright, and on the right Went down into the sea" (من قصيدة "The Rime of the Ancient Mariner" لكوليردج)، "The red sun going down into the sea at Scheveningen" (من "Letter from Theo van Gogh to Vincent Gogh van Auvers-sur-Oise, 30 June 1890")، " The sun sank slowly into the sea" (من مقال "The Light Of The Setting Sun" لـ Rocky)، "Just then the sun plunged into the sea it popped out from behind the gray cloud screen that had obscured the fiery disk" (من مقال بعنوان "Taps for three war buddies" في موقع "sun-herald. com")، "le soleil descendre dans l'ocean ..." (من "L'ILE DES PINGOUINS" لأناتول فرانس)، "Le soleil, disparu dans la mer, avait laissé le ciel tout rouge, et cette lueur saignait aussi sur les grandes pierres, nos voisines" (من "En Bretagne" لجي دي موباسان)، "Spectacle saisissant, que le soleil couchant dans ces

"RAID EN LIBYE " (من مقال "dunes impressionnantes" لـ " Roger Vacheresse)، On comprend aussi que la blessure de Réginald a quelque chose du Soleil plongeant dans la mer" (من "LES CHANTS DE MALDOROR" لـ le comte de Lautréamont).

هـذا، ومـن معانـى "العـين" في العـربية (فيما يهمنا هنا) حسبما جاء في "لسان العـرب": "عين الماء. والعين: التي يخرج منه الماء. والعين: ينبوع الماء الـذي ينبع مـن الأرض ويجري . . . ويقال: غارت عين الماء. وعين الركية: مَفْجَر مائها ومنبعها. وفي الحديث: "خير المال عينٌ ساهرةٌ لعينٍ نائمة"، أراد عـين المـاء الـتي تجـري ولا تنقطع ليلا ونهارا، وعين صاحبها نائمة، فجعل السـهر مثلا لجريها . . . وعين القناة: مصب مائها . . . والعين من السـحاب: مـا أقبل من ناحية القبلة وعن يمينها، يعني قبلة العراق . . . وفي الحديث: إذا نشأت بحـرية ثم تشاءمت فتلك عينٌ غديقة . . . والعين: مطر أيام لا يُقْلِع، وقيل: هو المطر يدوم خمسة أيام أو ستة أو أكثر لا يُقْلِع، قال الراعي:

وأنـاء حـيٍّ تحـت عـينٍ مطـيرةٍ ::: عظـام الـبيوت يـنـزلون الروابيا

. . . والعين: الناحية". وعلى هذا فعندما يقول عبد الفادى (اقرأ: "عبد القاضـى") مؤلـف كـتاب "هـل القـرآن معـصوم؟" (وهـو جاهل كذاب من أولـئك الجهـلاء الكَذَبة الذين يَشْغَبون على كتاب الله المجيد) إن القرآن، بناء على مـا جـاء في تفـسير البيضاوي، يذكـر أن الشمس تغرب في بئر، فإننا نعـرف في الحـال أنه يتكلم بلسان الكذب والجهل: فأما الجهل فلأن المسألة، حـسبما رأينـا في "لـسان العـرب"، أوسع من ذلك كثيرا بحيث تَصْدُق كلمة "العـين" على البحر والسحاب والمطر أيضا. ولذلك وجدنا من المترجمين من يترجمهـا بمعنـى "بحر" أو "بحيرة". فـضلا عـن أنه من غير المستبعد أن يكون

المعنى في الآية هو ذلك النوع المذكور من السحاب أو المطر. وأما الكذب فلأن البيضاوي لم يقل هذا، بل قال: "حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة: "ذات حمأ"، من "حَمِئَتِ البئر" إذا صارت ذات حمأة. وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر: "حامية"، أي حارة، ولا تنافي بينهما لجواز أن تكون العين جامعة للوصفين، أو "حَمِيَة" على أن ياءها مقلوبة عن الهمزة لكسر ما قبلها. ولعله بلغ ساحل المحيط فرآها كذلك إذ لم يكن في مطمح بصره غير الماء. ولذلك قال: "وجدها تغرب"، ولم يقل: "كانت تغرب"...". فكما ترى ليس في البيضاوي أنها غربت في بئر، بل كل ما فعله المفسر الكبير أنه اتخذ من "البئر" مثالا لشرح كلمة "حمئة"، لكنه لم يقل قط إن معنى "العين" هو "البئر"، بل قال ما نصه: لعل ذا القرنين قد بلغ ساحل المحيط فرآها كذلك. وحتى لو قال ذلك فإن كلامه يبقى مجرد اجتهاد منه قد يصح أو لا يصح، ولا يجوز حمله على القرآن أبدا، وبخاصة أن كثيرا من المفسرين كذلك لم يفسروا العين بهذا المعنى. بيد أننا هنا بصدد جماعة من الطَّغَام البُلَداء الرُّقَعاء الذين كل همهم هو الشَّغْب بجهل ورعونة، إذ هم في واقع الأمر وحقيقته لا يعرفون في الموضوع الذي يتناولونه شيئا ذا بال، ومع هذا تراهم يتطاولون على القرآن الكريم! فيا للعجب! إن الواحد من هؤلاء الطَّغَام يتصور، وهو يتناول الكلام في كتاب الله، أنه بصدد كراسة تعبير لطفل في المرحلة الابتدائية، بل إن معلوماته هو نفسه لا تزيد بحال عن معلومات طفل في تلك المرحلة كما تبين لي وبينته للقراء الكرام في كتابي: "عصمة القرآن الكريم وجهالات المبشرين"، الذي فَنَّدْتُ فيه كلام هذا الرقيع، ومسحت به وبكرامته وكرامة من يقفون وراءه الأرض!

وهأنذا أسوق أمام القارئ الكريم بعض ما جاء في كتب التفسير القديمة: ففي القرطبي مثلا: "وَقَالَ الْقَفَّال: قَالَ بَعْض الْعُلَمَاء: لَيْسَ الْمُرَاد أَنَّهُ انْتَهَى

إلَى الشَّمْس مَغْرِبًا وَمَشْرِقًا ووَصَلَ إلَى جُرْمِهَا وَمَسِّهَا ، لأنَّها تَدُور مَعَ السَّمَاء حَوْلَ الأَرْض مِنْ غَيْر أَنْ تَلْتَصِق بِالأَرْضِ ، وَهِيَ أَعْظَم مِنْ أَنْ تَدْخُلَ فِي عَيْن مِنْ عُيُون الأَرْض ، بَلْ هِيَ أَكْبَر مِنْ الأَرْض أَضْعَافًا مُضَاعَفَة ، بَلْ الْمُرَاد أَنَّهُ اِنْتَهَى إلَى آخِر الْعِمَارَة مِنْ جِهَة الْمَغْرِب وَمِنْ جِهَة الْمَشْرِق ، فَوَجَدَهَا فِي رَأْي الْعَيْن تَغْرُب فِي عَيْن حَمِئَة ، كَمَا أَنَّا نُشَاهِدهَا فِي الأَرْض الْمَلْسَاء كَأَنَّهَا تَدْخُل فِي الأَرْض . وَلِهَذَا قَالَ: "وَجَدَهَا تَطْلُع عَلَى قَوْم لَمْ نَجْعَل لَهُمْ مِنْ دُونهَا سِتْرًا" ، وَلَمْ يُرِدْ أَنَّهَا تَطْلُع عَلَيْهِمْ بِأَنْ تُمَاسّهمْ وَتُلَاصِقهُمْ ، بَلْ أَرَادَ أَنَّهُمْ أَوَّل مَنْ تَطْلُع عَلَيْهِمْ . وَقَالَ الْقُتَبِيّ: وَيَجُوز أَنْ تَكُون هَذِهِ الْعَيْن مِنْ الْبَحْر ، وَيَجُوز أَنْ تَكُون الشَّمْس تَغِيب وَرَاءَهَا أَوْ مَعَهَا أَوْ عِنْدهَا ، فَيُقَام حَرْف الصِّفَة مَقَام صَاحِبه . وَاَللَّه أَعْلَم" . وفى ابن كثير: "وَقَوْله: "حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِب الشَّمْس" ، أَيْ فَسَلَكَ طَرِيقًا حَتَّى وَصَلَ إِلَى أَقْصَى مَا يُسْلَك فِيهِ مِنْ الْأَرْض مِنْ نَاحِيَة الْمَغْرِب ، وَهُوَ مَغْرِب الْأَرْض . وَأَمَّا الْوُصُول إِلَى مَغْرِب الشَّمْس مِنْ السَّمَاء فَمُتَعَذَّر ، وَمَا يَذْكُرهُ أَصْحَاب الْقَصَص وَالْأَخْبَار مِنْ أَنَّهُ سَارَ فِي الْأَرْض مُدَّة ، وَالشَّمْس تَغْرُب مِنْ وَرَائِهِ ، فَشَيْء لَا حَقِيقَة لَهُ . وَأَكْثَر ذَلِكَ مِنْ خُرَافَات أَهْل الْكِتَاب وَاخْتِلَاق زَنَادِقَتهمْ وَكَذِبهمْ . وَقَوْله: "وَجَدَهَا تَغْرُب فِي عَيْن حَمِئَة" ، أَيْ رَأَى الشَّمْس فِي مَنْظَره تَغْرُب فِي الْبَحْر الْمُحِيط . وَهَذَا شَأْن كُلّ مَنْ اِنْتَهَى إِلَى سَاحِله يَرَاهَا كَأَنَّهَا تَغْرُب فِيهِ ، وَهِيَ لَا تُفَارِق الْفَلَك الرَّابِع الَّذِي هِيَ مُثَبَّتَة فِيهِ لَا تُفَارِقهُ" . وفى الجلالين: ". . . "حَتَّى إذَا بَلَغَ مَغْرِب الشَّمْس": مَوْضِع غُرُوبهَا "وَجَدَهَا تَغْرُب فِي عَيْن حَمِئَة": ذَات حَمْأَة ، وَهِيَ الطِّين الْأَسْوَد . وَغُرُوبهَا فِي الْعَيْن: فِي رَأْي الْعَيْن ، وَإِلَّا فَهِيَ أَعْظَم مِنْ الدُّنْيَا" . وأرجو ألا يغيب عن ناظر القارئ الحصيف كيف أن ابن كثير يلقى باللوم في أمر التفسيرات الخرافية في الآية على زنادقة أهل الكتاب وكذابيهم ، مما يدل على أن القوم

هم هكذا من قديم لم تتغير شِنْشِنَتهم، وأن فريقا من علمائنا كانوا واعين بالدور الشرير الذي كانوا يضطلعون به لتضليل المسلمين بإسرائيلياتهم، وكانوا يعملون على فضح سخفهم ومؤامراتهم.

أما الرازي فإني أود أن نقف معه قليلا لنرى كم يبلغ جهل عبد القاضي وبلادته وتدليسه هو وأشباهه، إذ إن مفسرنا العظيم قد أشبع القول في هذا الموضوع بما يكفي لقطع لسان كل زنديق كذاب. قال العلامة المسلم عليه رضوان الله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ ﴾ [الكهف: ٨٦ - ٨٩]: اعلم أن المعنى أنه أراد بلوغ المغرب فأتبع سببا يوصله إليه حتى بلغه، أما قوله: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ ففيه مباحث: الأول: قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم "في عين حامية" بالألف من غير همزة، أي حارة... وهي قراءة ابن مسعود وطلحة وابن عامر، والباقون: "حمئة"، وهي قراءة ابن عباس... واعلم أنه لا تنافي بين "الحمئة" و"الحامية"، فجائز أن تكون العين جامعة للوصفين جميعا. البحث الثاني: أنه ثبت بالدليل أن الأرض كرة وأن السماء محيطة بها، ولا شك أن الشمس في الفلك، وأيضا قال: ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾، ومعلوم أن جلوس قوم في قرب الشمس غير موجود، وأيضا الشمس أكبر من الأرض بمرات كثيرة، فكيف يعقل دخولها في عين من عيون الأرض؟ إذا ثبت هذا فنقول: تأويل قوله: ﴿تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ من وجوه. الأول: أن ذا القرنين لما بلغ موضعها في المغرب ولم يبق بعده شيء من العمارات وجد الشمس كأنها تغرب في عينٍ وهدةٍ مظلمةٍ، وإن لم تكن كذلك في الحقيقة، كما أن راكب البحر يرى الشمس كأنها تغيب في البحر إذا لم ير الشط، وهي في

الحقيقة تغيب وراء البحر . هذا هو التأويل الذي ذكره أبو علي الجبائي في تفسيره . الثاني: أن للجانب الغربي من الأرض مساكن يحيط البحر بها ، فالناظر إلى الشمس يتخيل كأنها تغيب في تلك البحار ، ولا شك أن البحار الغربية قوية السخونة فهي حامية ، وهي أيضا حمئة لكثرة ما فيها من الحمأة السوداء والماء ، فقوله: ﴿تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ إشارة إلى أن الجانب الغربي من الأرض قد أحاط به البحر ، وهو موضع شديد السخونة . الثالث: قال أهل الأخبار: إن الشمس تغيب في عين كثيرة الماء والحمأة ، وهذا في غاية البعد ، وذلك لأنا إذا رصدنا كسوفا قمريا فإذا اعتبرناه ورأينا أن المغربيين قالوا: " حصل هذا الكسوف في أول الليل " ، ورأينا المشرقيين قالوا: " حصل في أول النهار " ، فعلمنا أن أول الليل عند أهل المغرب هو أول النهار الثاني عند أهل المشرق ، بل ذلك الوقت الذي هو أول الليل عندنا فهو وقت العصر في بلد ، ووقت الظهر في بلد آخر ، ووقت الضحوة في بلد ثالث ، ووقت طلوع الشمس في بلد رابع ، ونصف الليل في بلد خامس . وإذا كانت هذه الأحوال معلومة بعد الاستقراء والاعتبار ، وعلمنا أن الشمس طالعة ظاهرة في كل هذه الأوقات كان الذي يقال: إنها تغيب في الطين والحمأة كلاما على خلاف اليقين . وكلام الله تعالى مبرّأ عن هذه التهمة ، فلم يبق إلا أن يُصَار إلى التأويل الذي ذكرناه . ثم قال تعالى: ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾ . الضمير في قوله: " عندها " إلى ماذا يعود؟ فيه قولان: الأول: أنه عائد إلى الشمس ، ويكون التأنيث للشمس لأن الإنسان لما تخيل أن الشمس تغرب هناك كان سكان هذا الموضع كأنهم سكنوا بالقرب من الشمس . والقول الثاني: أن يكون الضمير عائدا إلى العين الحامية ، وعلى هذا القول فالتأويل ما ذكرناه " .

ومع هذا كله يريد الكاتبان المذكوران آنفًا (Sam Shamoun

و Jochen Katz) أن يعيدانا مرة أخرى إلى المربع رقم واحد، إذ يقولان إن مؤلف القرآن (يقصدان بالطبع الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام. نعم عليه الصلاة والسلام رغم أنفهما وأنف رشاد خليفة وتابعه قُفّة) قد ذكر أن ذا القرنين وجد الشمس تغرب في عين حمئة، ولم يقل إنها كانت تبدو له كذلك. وهذا رغم قولهما إننا لا نزال حتى الآن، ورغم كل التقدم العلمي والفلكي والجغرافي، نقول إن الشمس تشرق وتغرب، ولم يقولا إن على الواحد منا أن يوضح أن الأمر إنما يبدو فقط كذلك. فلماذا الكيل بمكيالين هنا؟ ترى أي خبث هذا الذي أتياه حين أرادا في البداية أن يتظاهرا بالموضوعية والحياد والبراءة كي يخدّرا القارئ ويوهماه أنهما لا يريدان بالقرآن شرا ولا تدليسا، ثم سرعان ما يستديران بعد ذلك ويلحسان ما قالاه؟

ثم يمضي العالمان النحريران فيقولان إن القرآن يؤكد أن ذا القرنين قد بلغ فعلا المكان الذي تغرب فيه الشمس، وهو ما لا وجود له على الأرض، مما لا معنى له البتة إلا أن مؤلف القرآن قد ارتكب خطأ علميا فاحشا بظنّه أن القصة الخرافية التي وصلت إلى سمعه هي حقيقة تاريخية:

However, the Quran goes beyond what is possible in phenomenological language when it states that Zul-Qarnain reached the place where the sun sets, i. e. the Quran is speaking of a human being who traveled to the place of the setting of the sun. Such a statement is wrong in any kind of language, since such a place does not exist on this earth. This is a serious error that was introduced into the Quran because the author mistook a

legend to be literal and historical truth". أي أن سيادتهما يريان أن كلمة "مغرب الشمس" لا تعني إلا مكان غروب الشمس، وأن معنى الكلام لا يمكن أن يكون إلا ما رآياه بسلامتهما. فلننظر إذن في هذا الكلام لنرى نحن أيضا مبلغه من العلم أو الجهل: فأما أن "غروب الشمس" لا تعني هنا إلا المكان الذي تغرب فيه الشمس فهو كلامٌ غبيٌّ كصاحبيه، إذ إن صيغة "مَفْعل" (التي جاءت عليها كلمة "مغرب") قد تعني المكان، أو قد تعني الزمان، بل قد تعني المصدرية فقط، وهو ما يجده القارئ في كتب الصرف والنحو في بابَيِ "اسم الزمان والمكان" و"المصدر الميمي". أي أن الآية قد يكون معناها أن ذا القرنين قد بلغ مكان غروب الشمس أو أن يكون قد بلغ زمان غروبها، إذ البلوغ كما يقع على المكان فإنه يقع على الزمان أيضا (فضلاً عن الأشياء والأشخاص). جاء في مادة "بلغ" من "تاج العروس": "بَلَغَ المَكانَ، بُلُوغاً، بالضَّمّ: وَصَلَ إليْهِ وانْتَهَى، ومنْهُ قوْلُه تعالى: لَمْ تَكُونُوا بالغِيهِ إلا بشِقِّ الأنْفُسِ. أو بَلَغَه: شارَفَ عليْهِ، ومنه قولُه تعالى: فإذا بَلَغْنَ أجَلَهُنَّ. أي قارَبْنَهُ. وقالَ أبو القاسِمِ في "المُفْرَداتِ": البُلُوغُ والإبْلاغُ: الانْتِهاءُ إلى أقْصَى المَقْصِدِ والمُنْتَهَى، مَكاناً كان، أو زَماناً، أو أمْراً مِنَ الأمُورِ المُقَدَّرَةِ. ورُبَّما يُعَبَّرُ بهِ عن المُشارَفَةِ عليهِ، وإن لم يُنْتَهَ إليْهِ، فمنَ الانْتِهاءِ: "حتى إذا بَلَغَ أشُدَّهُ وبَلَغَ أرْبَعِينَ سنَةً"، و"ما هُمْ ببالغِيه"، "فلما بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ"، و"لَعلِّي أبْلُغُ الأسْبابَ"، و"أيمانٌ علَيْنا بالِغَةٌ"، أي مُنْتَهِيَةٌ في التَّوْكِيدِ، وأمّا قَوْلُه: "فإذا بَلَغْنَ أجَلَهُنَّ فأمْسِكُوهُنَّ بمَعْرُوفٍ"، فللمُشارَفَةِ، فإنّها إذا انْتَهَتْ إلى أقْصَى الأجَلِ لا يَصِحُّ للزَّوْجِ مُراجَعَتُها وإمْساكُها. وبَلَغَ الغُلامُ: أدْرَكَ، وبَلَغَ في الجَوْدَةِ مَبْلَغاً، كما في "العُبابِ"، وفي "المُحْكَمِ": أي احْتَلَمَ، كأنَّهُ بَلَغَ وَقْتَ الكِتابِ عليْهِ والتَّكْلِيفِ، وكذلكَ: بَلَغَتِ الجارِيَةُ...".

فإذا كان بلوغ الزمان (أو حتى بلوغ الحدث ، أي المصدر) هو المقصود في الآية الكريمة فلا مشكلة ، إذ سيقال حينئذ إن ذا القرنين حين أتى عليه وقت المغرب قد وجد كذا وكذا . لكن ماذا لو كان مكان غروب الشمس هو المراد؟ والجواب هو أن الكاتبين الألمعيين أنفسهما قد ذكرا ما معناه أنه لا غضاضة في أن يقول المتكلم حتى في عصرنا هذا إن الشمس قد غربت في البحر أو في السهل أو فيما وراء الجبل . . . إلخ . أليس كذلك؟ فهذا إذن هو مغرب الشمس طبقا لما تجيزه اللغة الظاهراتية (phenomenological language) حسب تعبيرهما ، وعليه فإنه يجوز أيضا أن يقال إن فلانا أو علانا أو ترتانا قد بلغ مغرب الشمس ، أي وصل إلى البحر أو الجبل أو السهل الذى رآها تغرب عنده . وعلى هذا أيضا فلا مشكلة! وأنا أحيلهما إلى ما سقتُه في هذا المقال من تعبيرات مشابهة في الكتاب المقدس ، ومنها ما هو أبعد من الآية القرآنية في انتجاع هذه الاستعمالات المجازية! فما قول سيادتهما إذن؟ ألا يرى القارئ معي أن الأسداد قد ضُرِبت عليهما تماما فلا يستطيعان أن يتقدما خطوة ولا أن يتأخرا؟ وبالمناسبة فقد تكرر الفعل "بلغ" في صيغتي الماضي والمضارع هنا سبع مرات ، وهو ما لم يتحقق لآية سورة أخرى غيرها . كما تعددت صيغة "مفعل" فيها: "مسجد ، موعد (مرتين) ، موبق ، مصرف ، موئل".

والعجيب أنهما يُورِدان بعد ذلك عددا من النصوص القرآنية المجيدة التي تتحدث عن لزوم الشمس والقمر مسارا سماويا دائما لا يخرجان عنه ، وهو ما يعضد ما قلناه من أن الأمر في قصة ذي القرنين إنما هو استعمالٌ مجازيٌّ أو وَصْفٌ لما كان يظنه ذلك الرجل في نفسه بخصوص غروب الشمس لا لما وقع فعلا خارج ذاته لأن القرآن يؤكد وجود مسارات سماوية دائمة لهذين الجِرْمَيْن ، بَيْدَ أنهما كعادتهما يحاولان عبثا لي الآيات الكريمة عن معناها كي تدل على ما يريدان هما على سبيل القسر والتعنت! وعلى هذا فقول

المؤلفين إنه إذا كان المفسرون المسلمون يشرحون الآية القرآنية بما يصرفها عن معناها الحرفي فذلك لأنهم يعرفون أن الشمس أكبر من الأرض ، ومن ثم يستحيل أن تسعها أي عين فيها ، ولأنهم أيضا يؤمنون بعصمة القرآن مما يدفعهم من البداية إلى تأويل الآية بحيث لا تدل على أن ثمة خطأ علميا قد ارتُكِب هنا ، أكرر أن قول المؤلفين هذا هو قول متهافت بناء على ما أورداه هما أنفسهما من آيات قرآنية تنص على أن لكل من الشمس والقمر مسارا فلكيا دائما لا يفارقه ، ومن ثم فمن المضحك أن تتمسك بحرفية المعنى في الآية المذكورة بعد كل الذي قلناه وقالاه هما أيضا . والعجيب أيضا أن المؤلفين يَعْمَيَان ، أو بالحرى: يتعاميان عن أنه كان أولى بهما ، بدلا من تضييع وقتهما في محاولتهما الفاشلة لتخطئة القرآن الكريم ، أن يحاولا إنقاذ الإنجيل مما أوقعه فيه النص التالي مثلا من ورطة مخزية ليس لها من مخرج .

قال متى: " ولما وُلد يسوع في بيت لحم في أيام هيرودوس الملك إذا مجوس من المشرق قد جاءوا إلى أورشليم قائلين . أين هو المولود ملك اليهود؟ فإننا رأينا نجمة في المشرق وأتينا لنسجد له... وإذا النجم الذي رأوه في المشرق يتقدمهم حتى جاء ووقف فوق حيث كان الصبي ، فلما رأوا النجم فرحوا فرحاً عظيماً جدا " (متى/ ٢/ ١- ١٠) ، فها نحن أولاء إزاء نجم حجمه ضِعْف حجم الأرض مراتٍ ومراتٍ ومراتٍ. . . يتحرك من مكانه في الفضاء ويهبط مقتربا منها إلى حيث البيت الذي كان فيه الطفل الرضيع مع أمه وخطيبها السابق يوسف النجار ، وهذا هو المستحيل بعينه ، ولا يمكن توجيهه على أي نحوٍ يخرج كاتبه من الورطة الغبية التي أوقعه سوء حظه العاثر فيها . إن النص لا يقول بأي حال إن النجم قد صدر منه مثلا شعاع اتجه إلى المكان المذكور ، بل قال إن النجم نفسه هو الذي اقترب من البيت ، كما أنه لم يقل إن جماعة المجوس وجدوا النجم يقترب أو بدا لهم أنه يقترب ، بما

قد يمكن أن نقول معه إنهم كانوا يُهَلْوِسُون، ومن ثم ننقذ كاتب الإنجيل من ورطته ولو على حساب جماعة المجوس المساكين، وأمرنا إلى الله، بل كان الكلام واضحا قاطعا في أن النجم هو الذي تحرك هابطًا حتى بات فوق المكان تماما!

وإلى القارئ شيئا من النصوص القرآنية التي تبين أن هناك مسارا سماويا دائما للشمس والقمر: ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ﴾ [الأنعام: ٩٦] (أي بنظام وحساب دقيق)، ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ ﴾ [يونس: ٥]، ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٣]، ﴿ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [لقمان: ٢٩]، ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ﴾ [يس: ٤٠]، ﴿ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ ﴾ [نوح: ١٦] (أي في السماوات السبع)، ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ ﴾ [التكوير: ١] (أي خُلِعَتْ من مسارها يوم القيامة، بما يعني أنها لا تفارق هذا المسار قبل ذلك الحين). وقد صادفتُ بحثا في المشباك بعنوان: "Orbits of Earth, Moon, & Sun: 18 RELEVANT VERSES REGARDING THE SUN'S & MOON'S: ORBIT, ROTATION AND LIFE" لكاتب وقَّع باسم "Frank" يستشهد بهذه الآيات وأمثالها على ما قلناه هنا، ويردّ من خلالها على من يتهمون القرآن بأن ثمة أخطاء علمية في حديثه عن الشمس والقمر والأجرام السماوية. ثم إنه يؤكد أيضا أننا ما زلنا نقول حتى الآن إن "الشمس غربت في البحر" كما جاء في الآية التي يدور حولها هذا المقال: "we still use expressions such as the sun set into the sea, as is used in verse 18: 86". وفى النهاية أحب أن أقول للقارئ إن هناك وجها آخر في تفسير الآية الكريمة يجنّبها كل هذا اللغط رأيت ابن حزم في كتابه العبقرى العظيم: "الفِصَل في الملل والنِّحَل" يقول به

ويرفض كل ما سواه ، وهو أن الذي كان في " عينٍ حمئةٍ " ليس هو الشمس ، بل ذو القرنين نفسه . والمعنى حينئذ هو أن الرجل قد أدركه المغرب (أو أدرك هو المغرب) وهو في العين الحمئة . وتركيب الجملة يسمح بهذا بشيء غير قليل من الوجاهة ، وإن لم يكن هو المعنى الذي يتبادر للذهن للوهلة الأولى . وشِبْه جملة " في عين حمئة " في هذه الحالة سيكون ظرفًا متعلقًا بفاعل " وجدها " وليس بالمفعول ، أي أنه يصور حال ذى القرنين لا الشمس ، وإن كان من المفسرين من يرفض هذا التوجيه كأبي حيان في " البحر المحيط " ، إذ يرى فيه لونا من التعسف . وسأضرب لهذا التركيب مثلا أبسط يوضح ما أقول ، فمثلا لو قلنا: " ضرب سعيدٌ رشادًا واقفا " لجاز أن يكون المعنى هو أن سعيدا ضرب رشادا ، وسعيد واقف ، أو أن يكون المعنى هو أن سعيدا ضرب رشادا ، ورشاد واقف . والسياق هو الذي يوضح ما يراد .

وأخيرًا أختم المقال بإيراد نص الرسالة التي بعث بها الأخ النصراني المهجري إلى العبد لله ، والتي يصلنا منها الكثير منه ومن أمثاله لكننا نُغْضِي عنها عادة ولا نحب أن نشير إليها حتى لا يتحول الأمر إلى مسألة شخصية . وهذا هو النص المذكور:

Mr. Ibrahim Awad

In your article titled, 'Sayed Qumni retires', in the 8/20/05 issue of the Online El Shaab Newspaper. Even though the article subject was a critical review of Mr. Qumni's response to a threat on his life, you could not help but inject your venomous hate to Christianity, Christians and the West at large. What concerns me here is that you made two, equally absurd, Claims.

First claim: Christianity needs Islam ,because it is the only religion that witness to the legitimacy of the lord Jesus Christ.

Second claim : Denying miracle occurrence, matters not to Islam, Muhammad or the Quran because of its absence in their make up. Unlike Christianity with it's theology that relies heavily on belief in miracles.

To address the first claim: Make no mistake, Christianity never admitted that Islam is a God inspired religion, nor Christians ever appealed to

Muslim's god 'Allah', his prophet Muhammad or the Quran to vouch for it's legitimacy. It would be absolutely inappropriate for God, Jesus Christ, to ask a human to testify for Him. In the Gospel of John chapter 5, the lord Jesus Christ explained what would be acceptable as witness for Him. I chose 3 verses to quote. John 5: 31 " If I bear witness to myself, my witness is not true. " He goes on to say in 5: 34 " But I receive not testimony from man, but these things I say that you may be saved. " then He drives in the point in 5: 36 " But I have greater witness than that of John (the Baptist). For the works which the Father has given me to finish. The same works that I do bears witness of Me that the Father

has sent me."

You Are a writer and your works are articles and books. we know you as good or bad writer through your works, likewise a taxi driver, his works is to drive safely his customers, a teacher's work is to teach and so on... , God's work is to create. and all his works to us humans are supernatural.

No one else but Him can do it, we call it miracles.

The works that Jesus Christ did, Mr. Awad, bears witness to Him, and all His works can only be explained as the works of God. No sane person can deny that God's work s are miracles.

Responding to your second claim : By contrast you claim that denying miracles, matters not to Islam.

A close examination of this statement reveals fast that it is unfounded. on account that Hadith and Sunnah recite that Muhammad experienced a miracle at the start of his mission. Whereupon, while in a cave in the mountain an angel Gabriel appeared to him Then holding Muhammad three times and ordering him to read in the name of Allah, Sura 96: 1-5. He Muhammad-an illiterate man-learned to read. Would

not you say that was a miracle of substantial importance to the advent of Islam.

However the internal evidence within the Quran reveals that it was a lie.... ! , Because if Allah the creator had performed the miracle of causing Muhammad learned to read. It would have stayed with him for the rest of his life.... ! Alas a short while later when Muhammad had doubts about what Allah says to him. Allah in Sura Yunis 10: 94 says If you Muhammad had doubts about what I said to you then ASk those who read the

Book before thee.. This clearly shows that if Allah had taught him how to read, then He would have told him in this Sura to read what is written in the Book. The truth always has a funny way of being shouted out loud from the roof top of buildings and it prevails.

Without miracles, how else can you explain the events of the Israa and Mi'raj?

No discussion of the Quran miracles is complete without talking about what I call the 'MOTHER' of all miracles. Most miracles we know of are recitation of a single supernatural event that ceased to occur anymore

and there are no ways to verify it. Not so,with the Mother of all miracles because it is an event that recurs once daily since the creation of earth and will keep going on strong until the hereafter. It is out there for every one to see and verify, should He/she will. If you are now anxious enough to know about it, read Sura El-Kahf 18: 83-85. In response To the people curiosity about where does the sun go at night... ? The all knowing Allah creator of the Earth and heavens provided the answer in the above said sura (18)

in which Allah instructed his macho man " 'Zul Qurnain " to follow the sun, so he followed it until he saw it submerse in a hot murky spring.

The American philosopher Mark Twain said: " It is better to keep your mouth shut and appear stupid, than to open it and remove all doubts. "

Little did Allah and his prophet Muhammad know neither about mark Twain, nor that the sun that appears to the human as big as a Basketball or a big round water melon, if you will, in the sky is actually the largest body in the solar system.

Consider these scientific facts before you embark on

doing unwise thing. :

The sun's diameter is : 1,390,000 kilometers

The Earth's diameter is : 12,106 kilometers

That means that the sun is 115 times bigger than the earth.

downscale it to visualize it. The sun would be the size of a Basketball or a large round water melon, then the earth would be the size of one grapes and the hot murky spring, may be a dot, if can see it all, on the outer skin of this one grapes.

need I say anything more to show how hopelessly impossible the situation is and how pathetically ignorant Allah and Muhammad turned to be.

Tank you Mr. Awad, for giving me the challenge to respond to your unfounded allegations about Christianity and I pray that Lord Jesus Christ would break the shackles and locks that holds a steal veil of darkness upon Muslim people mind, so they would come out from 1400 years of ignorance to the light of knowing the one and only true God; the Father; His Word (Jesus Christ); and the Holy Ghost.

* * *

تقاليع مخبولة

في

دراسة السيرة النبوية

تقاليع مخبولة فى دراسة السيرة النبوية

عندى فى قائمة المفضّلة موقعٌ عثرتُ عليه فى المشباك منذ شهور يضم بين الكتب التى يضعها تحت تصرف القارئ أكثر من خمسين سيرة نبوية باللغة الفرنسية: بعضها قائم برأسه، وبعضها فصلٌ من كتاب. وبعضها بأقلام مسلمةٍ، والبعض الآخر من تآليف المستشرقين. وبعضها معروض كاملاً بقضّه وقضيضه، والقليل جدًّا منها قد اكتُفِىَ بعرض خطوطه العامة مع بضعة نصوص قليلة منه، ومن هذا الصنف الأخير كتاب الطبيب الفنانى الفرنسى برنار راكان المسمّى: "Un Juif nommé Mahomet: يهودىٌّ اسمه محمد". وقد اعتمدتُ فى كتابة هذه الدراسة التى بين يَدَىِ القارئ على تلخيص الكاتب لأفكاره المودعة فى كتابه، فضلا عن تعليقات بعض القراء على تلك الأفكار وردوده عليها. ونبدأ بما كتبه أحد قراء الكتاب المذكور تعقيبا على ما أثاره المؤلف من تشكيكات جامحة ترى فى الإسلام وكِتَابه ونبيّه ووقائع تاريخه اختراعات كاذبة ملفقة تمت فى وقت متأخر كثيرا عن التواريخ المعروفة للناس جميعا على ما سوف يتضح فى هذه الدراسة. ويوجه القارئ المذكور الخطاب لراكان قائلا إن كتابه قد أقنعه تمام الإقناع، وبخاصة ما جاء فيه عن الخندق مما يمثل المسمار الأخير فى نعش ما يعدّه خرافة لا صلة لها بالواقع، إذ إن هذا الخندق (الذى تذكر كتب السيرة والحديث والتاريخ أن المسلمين فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم قد حفروه لحماية المدينة من هجوم الأحزاب عليها) هو فى رأيه أمر لا وجود له فى الواقع. ذلك أنه ليس ثمة دليل على أنه قد تم حفره فعلاً، ومن ثم

فكل ما يقال عن الرسول ووجوده التاريخي هو محض هراء . ولا ينقص إثبات ذلك إلا شيء واحد ، هو أن يتم التحقق ، عن طريق الحفر أو التصوير الجوى ، من أنه لم يكن هناك خندق بالمرة ، وعندئذ يتبين للمسلمين أنهم كانوا يعيشون طوال هاتيك القرون على وهم كبير ، ومن ثم يتركون الإسلام نهائيا .

والملاحظ أن المنطق المستخدم فى كلام المعلق والمؤلف جميعا هو منطق متهافت تمام التهافت كما سيتبين للقارئ عندما نأتى إلى تحليل هذه الأفكار التى لا يمكن أن تدور إلا فى عقلٍ مضطربٍ أو عقلٍ قصد صاحبه قصدًا منذ البداية التشكيكَ فى كل شىء دون أدنى دليل: التشكيك لمجرد التشكيك رغم كل الطنطنات المدوية التى تكاد أن تنفجر منها رؤوسنا! قال القارئ المذكور الذى لم يكتب اسمه إنه قد اشترك فى البحث عن بقايا بعض الفِلَل الغاليّة الرومانيّة فى موقع يعود عهده إلى عصرٍ أقدمَ من عصر الخندق المزعوم بالمدينة ، بَيْدَ أنه لم يعثر على أكثر من كسور بعض الزُّهْريات ، وإنه قد استطاع أن يرى من الطائرة بقايا منازلَ تعود إلى عصر الرومان ، وإن من الممكن جدا ، بمجرد الحفر على عمق متر أو مترين أو أكثر من ذلك قليلا ، العثور على آثار ترجع إلى أزمنةٍ جِدِّ سحيقةٍ مما لا يُعَدّ معها الزمن الذى يقال إن الخندق قد تم حفره فيه شيئًا مذكورًا ، وبخاصة بالنسبة لخندق يقال إنه قد حُفِرَ بعمقٍ يستحيل معه على جندى المشاة عبوره ، وبعَرْضٍ لا يتيح للفارس القفز فوقه بسهولة . وعلى هذا فمن الواضح تماما أن خندق المدينة ، إذا كان قد حُفِرَ فعلا ، لا بد أن يكون الآن موجودا رغم أنه قد أُعيد ردمه بطبيعة الحال ، إذ من المعروف أنه قد تم حفره فى الصخر ، والصخر لن يعيد نفسه بنفسه إلى ما كان عليه قبل الحفر ، ومع ذلك فـ "الله أكبر"! وواضح أن الجملة الأخيرة هى سخرية من الكاتب! ومن المعروف ، كما

يقول ، أن الخندق كان يحيط تماما بالمدينة ، التى كانت أصغر كثيرا مما هى الآن ، ومن ثم فلو حفرنا من أى نقطة حول المسجد باتجاه الخارج فلا بد أن يتقاطع الحفر مع الخندق القديم بعد قليل من الزمن:

Je vais vous dire l'argument qui m'a définitivement convaincu, genre le dernier coup de marteau qui enfonce le clou déjà solidement planté : le fossé de Médine. J'ai participé à des fouilles de villas gallo-romaines, dans un site PLUS ANCIEN que le site potentiel de Médine. Je n'ai rien trouvé de plus que des bouts de poteries dont le plus grand lot formait au mieux un fond de vase. En avion, j'ai vu des vestiges de maisons pouvant remonter jusqu'aux Romains. Je sais qu'il suffit de gratter sous un à deux mètres de terre, parfois plus mais pas tant que ça, pour retrouver des traces remontant à des époques faramineusement lointaines. 2000 ans ce n'est rien. 1400 ans encore moins, surtout pour un personnage qui aurait creusé un fossé suffisamment profond pour être infranchissable à des fantassins, et suffisamment large pour être difficilement franchissable à un cheval. Or, il est TOTALEMENT évident, que ce fameux fossé de la bataille de Médine devrait toujours exister! Comblé, certes, mais toujours là. Il est censé avoir été creusé

dans la roche par endroits : la roche n'a pas pu se reformer (quoique, Allah est grand...) Et le fossé ne pouvait qu'encercler la ville, plus petite qu'actuellement. Sinon il suffisait de passer par l'endroit où il n'y avait pas de fossé! Donc on creuse une tranchée depuis l'extérieur de la mosquée vers n'importe quelle direction et, mathématiquement, on coupe le fossé à un moment ou à un autre.

كذلك حين يحفر الإنسان خندقا فلا بد ، حسب كلامه ، أن تكون هناك سواتر ، أو على الأقل أكوام من التراب ، ناتجة عن الحفر ، إلا أن الروايات لا تتحدث أبدا عن شيء من ذلك . ثم يضيف قائلا إنه كانت هناك ، فيما يَذْكُر ، مبارزة بين أحد الصحابة وفارس من فرسان الأعداء استطاع عبور الخندق قفزًا بالحصان ، وأن المتحاربَيْن كانا ظاهرَيْن لكل من الطرفين على جانبى الخندق . وهذا أمر فى نظره عجيب ، فما دام واحد قد استطاع القفز فوق الخندق ، لقد كان الجميع يستطيعونه هم أيضا ، فما الذى منعهم من ذلك؟ ثم ما دام الموجودون على جانبى الخندق يستطيعون رؤية المتبارزَيْن ، فلِمَ لَمْ يصوّبوا عليهما السهام؟ لكن أحدا من الطرفين لم يتحرك ، ومعنى ذلك أنه كانت هناك مبارزة تدور بمرأى ومسمع من جيشين سلبيين تماما ، وهو ما لا يقبله العقل . أما بالنسبة لهؤلاء الذين تربَّوْا على نمط التعليم الإسلامى فإنهم لن يُعَنّوا أنفسهم بالتفكير فى تلك الرواية غير المنطقية أبدا . وعلى هذا فإنه ينتهى إلى تأكيد ما قاله المؤلف من أن شهرين فقط من التنقيب فى ذلك المكان كفيلان بالقضاء على تلك الخرافة ، وعندها يكون المسلمون قد تخلصوا من دينهم:

En plus, quand on fait un fossé, on fait un rempart, au minimum un remblai, avec les déblais : or le récit ne parle pas de rempart ni de remblai. Si je me rappelle bien, il y a un duel entre un adepte de Mahomet et un cavalier qui réussit à sauter le fossé, et les combattants sont visibles des deux côtés du fossé, encouragés par leurs armées respectives. Le terrain est donc à découvert des deux côtés du fossé. N'importe quoi. J'avais trouvé le détail bizarre : si un cavalier passe, tous passent ; si on peut voir le duel, on peut tirer des flèches sur les duellistes, or personne ne bouge. Les duels qui se déroulent devant deux armées passives, ça n'existe pas. Dès que l'on se met à réfléchir, ça saute aux yeux, oui mais voilà le " merveilleux " du récit berce l'intelligence qui s'endort, et la grosse couleuvre s'avale comme une cuillère de confiture même quand on n'est pas musulman. Alors ceux qui sont passés par les écoles coraniques, ils ne risquent pas de réfléchir. C'est évident, comme vous l'écrivez : deux à trois mois de fouilles, et c'est fini, les musulmans sont débarrassés de l'islam.

ومن الغريب ، كما يقول ، أن أحدا لم يفكر فى هذا الأمر بتاتا على ما فيه من مخالفة للمنطق تبعث على الدهشة ، وهو ما يبين لنا إلى أى مدى

استطاع الإسلام التلاعب بالعقول عن طريق التقنيات الخاصة بذلك جميعها دون استثناء: بدءًا مما يسمَّى بغسل المخ ، ومرورًا بالتزام مبدأ السمع والطاعة والخضوع لتأثير العواطف الجمعية وتجنب مسائل بعينها لا ينبغي الخوض فيها واستغلال الجنس ، وانتهاءً بتعطيل عمل العقل . . . إلخ . ويقول أيضا إنه ، رغم حرصه على أن يظل مفتوح العينين حتى لا يخدعه خادع ، قد انطلى عليه ما يُسَمَّى: " البُرْهَان السُّلْطَوِيّ " ، إذ ظن أنه ما دامت هناك كتب تتحدث عن محمد فمعنى هذا أن محمدا كان موجودا حقيقة ، مع أن هناك كتبا كثيرة عن تنتان ، ومع ذلك فإن تنتان لم يكن له فى يوم من الأيام وجود:

C'est ahurissant comme c'est simple, et encore plus ahurissant que l'on n'y pense pas. Voilà qui montre à quel point cette manipulation de l'islam est psychologiquement bien conçue. En fait TOUTES les techniques de la manipulation sont utilisées dans l'islam, absolument toutes : le lavage de cerveau par mantras, la démonstration publique de soumission, la pression du groupe, les non-dits, l'intrumentalisation de la sexualité, la paralysie de l'intelligence par la double contrainte etc... Moi qui me targue d'être du genre " on ne me la fait pas! " hé bien je me suis fait " couillonné " par l'" argument d'autorité " : il existe des livres qui racontent les aventures de Mahomet, donc Mahomet a existé. Ben non : il existe aussi les aventures de Tintin, et il n'a

jamais existé!

وحسب قوله فإن علم الآثار يفسر لنا السرّ فى حظر الذهاب إلى مكة والمدينة على غير المسلمين ، إذ لا بد أن يكون زوار تينِك المدينتين عميانا لا يبصرون ولا يفكرون ، أىْ مسلمين مقتنعين بما يقال لهم ، وألا يكون عندهم وقت للتفكير إذا ذهبوا إلى هناك . ومن ثم كان لا بد من أن تُفْرَض عليهم شعائر معقدة يؤدونها ثم يعودون على الفور من حيث أتَوْا دون أن تكون لديهم فرصة لإعمال العقل أو لزيارة الأماكن المحيطة ، وهو ما نشاهده فى نفس الظروف عند الأمم الأخرى:

L'archéologie explique de surcroît cette interdiction faite aux non-musulmans d'aller dans les villes de La Mecque et de Médine. Il faut absolument que les gens allant dans ces endroits soient aveugles, psychologiquement parlant, donc musulmans convaincus, et ils ne doivent pas avoir le temps de réfléchir quand ils viennent. Donc on leur impose des rituels compliqués, il font ça, et ils repartent. Point. Pas de réflexion, pas de visite des alentours. Surtout pas! On retrouve un peu la même chose dans le pèlerinage au volcan de Lassolas pour l'histoire de Raël. Et le pèlerinage à Arès, pour la révélation d'Arès du frère Michel Potay.

وهو يتساءل: أمن المستطاع أن تزيح لنا بعض الصور البسيطة التى يمكن التقاطها عن طريق الأقمار الصناعية الستار عن سر اختفاء ذلك الخندق ،

من خلال المقارنة بينها وبين صور المواقع الأخرى التى فيها خنادق يعود تاريخها إلى نفس الفترة الزمنية وتمّ ردمها ، ومع ذلك يمكن رؤيتها من خلال التصوير الجوى ، على حين أنه لا يوجد شىء من هذا فى حالة المدينة؟ :

Je me demande si de simples photos par satellite ne pourraient pas révéler l'absence de ce fameux fossé, en comparant avec des photos de sites similaires connus pour avoir eu des fossés avérés, datant de la même époque, maintenant comblés mais toujours visibles sur des vues aériennes. Alors qu'a Médine, rien.

هذا ما قاله المعلق على كتاب راكان: "يهودى اسمه محمد"، وواضح من كلامه أنه يريد من السلطات السعودية أن تنكت المدينة المنورة كلها: بيوتها ومحلاتها ومؤسساتها وفنادقها ومطاعمها ومدارسها وجامعتها وشوارعها وطرقاتها وحدائقها ، وإخلاء السكان طبعا قبل هذا (أما أين يذهبون ، فلهم ربٌّ اسمه الكريم) ، وذلك كله من أجل التحقق من وجود الخندق أو عدمه! ياه! أية سادية تدميرية ودموية هذه؟ الواقع أننا لم نسمع بشىء من هذا فى الأولين ، ولا أظننا سنسمعه فى الآخرين! وهل تراه سيؤمن لو وجدنا آثار الخندق بعد أن تكون المدينة المنورة قد تم تدميرها وتحويلها إلى أنقاض وخرائب ينعق فيها البوم والغربان؟ أبدا لن يؤمن! ألم يقل المؤلف (وتابَعَه المعلّق فيما قال) إن محمدا لم يكن له وجود ، وإنه قد تم اختراعه بعد ذلك بزمن طويل؟ يعنى أنه حتى لو دمرنا المدينة المنورة كى نرضى هذا الرجل فلن يؤمن هو وأمثاله! ولو أن كل أصحاب دين استجابوا لما يدعو إليه هذا الكائن وأشباهه ما بقى شبر واحد فى الأرض معمورا ، ولتحولت البسيطة كلها خرابًا وبورًا . ولقد كان أمثال الكاتب والمعلّق ينكرون وجود

عاد مثلاً إنكارًا شديدًا، ويَصِمُون ما قاله القرآن عنهم وعن حضارتهم وأبنيتهم التى لم يُخْلَق مثلها فى البلاد بأنه كلام أساطير لا يستحق أن يصغى له العلماء الباحثون المدققون، ثم ثبت وجود تلك المبانى المهولة الضخمة فى الأماكن التى حددها القرآن مساكن لقوم عاد، عن طريق التصوير الجوى الذى قام به الغربيون أنفسهم فى صحراء الجزيرة العربية، فهل رجعوا عن تكذيبهم للقرآن؟ وهل أعلنوا إيمانهم بما قاله كتاب الله المجيد؟ لا لم يفعلوا شيئا من ذلك! ولماذا نذهب بعيدا؟ أترى الأمريكان والبريطان بعد أن ثبت كذبهم فى موضوع أسلحة الدمار الشامل بالعراق قد تراجعوا عما فعلوه فى العراق واعتذروا، وأعادوا موتاه الذين يُعَدّون بمئات الألوف إلى الحياة، وأرجعوا ما نهبوه ودمروه من عمارة العراق وثروة العراق؟

وهذا كله لو أننا لا نعرف حقيقة الخندق معرفة تمنعنا من التهور والإقدام على هذا الإجرام التدميرى، فقد كتب الواقدى فى "مغازيه" عن حفر الخندق ما يلى: "حدثني أبو بكر بن أبي سبرة قال حدثني أبو بكر بن عبد الله بن جهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب فرسا له ومعه نفر من أصحابه من المهاجرين والأنصار، فارتاد موضعا ينزله فكان أعجب المنازل إليه أن يجعل سَلْعًا خلف ظهره ويخندق من المذاد إلى ذباب إلى راتج. فعمل يومئذ في الخندق، وندب الناس فخبرهم بدنو عدوهم وعسكرهم إلى سفح سلع، وجعل المسلمون يعملون مستعجلين يبادرون قدوم العدو عليهم وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل معهم في الخندق لينشط المسلمين وعملوا، واستعاروا من بني قريظة آلة كثيرة من مساحي وكرازين ومكاتل يحفرون به الخندق، وهم يومئذ سلم للنبي صلى الله عليه وسلم يكرهون قدوم قريش. ووكل رسول الله صلى الله عليه وسلم بكل جانب من الخندق قوما يحفرونه فكان المهاجرون يحفرون من جانب راتج إلى

ذباب ، وكانت الأنصار تحفر من ذباب إلى جبل بني عبيد ، وكان سائر المدينة مشبكا بالبنيان . فحدثني محمد بن يحيى بن سهل عن أبيه عن جده قال كنت أنظر إلى المسلمين والشباب ينقلون التراب والخندق بسطة أو نحوها ، وكان المهاجرون والأنصار ينقلون على رءوسهم في المكاتل وكانوا إذا رجعوا بالمكاتل جعلوا فيها الحجارة يأتون بها من جبل سلع ، وكانوا يجعلون التراب مما يلي النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكان يسطرون الحجارة مما يليهم كأنها حبال التمر ، وكانت الحجارة من أعظم سلاحهم يرمونهم بها . فحدثني ابن أبي سبرة عن مروان بن أبي سعيد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ يحمل التراب في المكاتل ويطرحه والقوم يرتجزون ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

هـذا الحمـال لا حمـال خيـبر ::: هـذا أبـرُّ ربّنـا وأطْهَـر

وجعل المسلمون يومئذ إذا رأوا من الرجل فتورا ضحكوا منه . وتنافس الناس يومئذ في سلمان الفارسي ، فقال المهاجرون: سلمان منا وكان قويا عارفا بحفر الخنادق . وقالت الأنصار: هو منا ونحن أحق به فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قولهم فقال سلمان رجل منا أهل البيت . ولقد كان يومئذ يعمل عمل عشرة رجال حتى عانه يومئذ قيس بن أبي صعصعة ، فلبط به فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مروه فليتوضأ له وليغتسل به ويكفئ الإناء خلفه . ففعل فكأنما حُلّ من عقال .

فحدثني ابن أبي سبرة عن الفضيل بن مبشر قال سمعت جابر بن عبد الله يقول لقد كنت أرى سلمان يومئذ وقد جعلوا له خمسة أذرع طولا وخمسا في الأرض فما تحينته حتى فرغ وحده وهو يقول:

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة . وحدثني أيوب بن النعمان عن أبيه عن جده عن كعب بن مالك قال جعلنا يوم الخندق نرتجز ونحفر وكنا ، بني

سلمة ، ناحيةً فعزم رسول الله صلى الله عليه وسلم علي ألا أقول شيئا ، فقلت : هل عزم على غيري؟ قالوا: حسان بن ثابت . قال فعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما نهانا لوجدنا له وقلته على غيرنا ، فما تكلمت بحرف حتى فرغنا من الخندق . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ لا يغضب أحد مما قال صاحبه لا يريد بذلك سوءا ، إلا ما قال كعب وحسان فإنهما يجدان ذلك . وحدثني يحيى بن عبد العزيز عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال كان جُعَيْل بن سُرَاقة رجلا صالحا ، وكان ذميما قبيحا ، وكان يعمل مع المسلمين يومئذ في الخندق ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غير اسمه يومئذ فسماه عَمْرًا ، فجعل المسلمون يرتجزون ويقولون:

سماه من بعد جُعَيْلٍ عَمْرا ::: وكان للبائس يوما ظَهْرا

قال فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقول من ذلك شيئا إلا أن يقول: "عَمْرا".

فبينا المسلمون يحفرون وكان زيد بن ثابت فيمن ينقل التراب مع المسلمين فنظر إليه سعد بن معاذ وهو جالس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الحمد لله يا رسول الله الذي أبقاني حتى آمنت بك ، إني عانقت أبا هذا يوم بعاث ، ثابت بن الضحاك ، فكانت اللبجة به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما إنه نعم الغلام وكان زيد بن ثابت قد رقد في الخندق ، غلبته عيناه حتى أخذ سلاحه وهو لا يشعر وهو في قر شديد: ترسه وقوسه وسيفه ، وهو على شفير الخندق مع المسلمين فانكشف المسلمون يريدون يطيفون بالخندق ويحرسونه وتركوا زيدا نائما ، ولا يشعرون به حتى جاءه عمارة بن حزم فأخذ سلاحه ولا يشعر حتى فزع بعد فقد سلاحه حتى بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا زيدا فقال يا أبا رقاد نمت حتى ذهب سلاحك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من له علم بسلاح

هذا الغلام؟ فقال عمارة بن حزم : أنا يا رسول الله وهو عندي . فقال فرده عليه . ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يروع المسلم أو يؤخذ متاعه لاعبا جادا . حدثني علي بن عيسى ، عن أبيه قال ما كان في المسلمين يومئذ أحد إلا يحفر في الخندق أو ينقل التراب ولقد رئي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر (وكان أبو بكر وعمر لا يتفرقان في عمل ولا مسير ولا منزل) ينقلان التراب في ثيابهما يومئذ من العجلة إذ لم يجدا مكاتل لعجلة المسلمين . وكان البراء بن عازب يقول ما رأيت أحدا أحسن في حلة حمراء من رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه كان أبيض شديد البياض ، كثير الشعر يضرب الشعر منكبيه . ولقد رأيته يومئذ يحمل التراب على ظهره حتى حال الغبار بيني وبينه وإني لأنظر إلى بياض بطنه . وقال أبو سعيد الخدري: لكأني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحفر في الخندق مع المسلمين والتراب على صدره وبين عُكَنه وإنه ليقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ::: ولا تصدّقنا ولا صلّينا

ومما نقلناه عن الواقدى يتبين لكل من يفهم ولا يعاظل معاظلة الكفر والضلال أن الأمر يتعلق بحفر أتربة لا بتكسير حجارة كما يزعم الكاتب المعلق ، فالأرض إذن كانت ترابية دَمِثة لا صخرية صُلْبة ، وهذا واضح من قول مؤرخنا المسلم: "فحدثني محمد بن يحيى بن سهل عن أبيه عن جده قال: كنت أنظر إلى المسلمين والشباب ينقلون التراب والخندق بسطة أو نحوها ، وكان المهاجرون والأنصار ينقلون على رءوسهم في المكاتل . وكانوا إذا رجعوا بالمكاتل جعلوا فيها الحجارة يأتون بها من جبل سلع ، وكانوا يجعلون التراب مما يلي النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكانوا يسطرون الحجارة مما يليهم كأنها حبال التمر . وكانت الحجارة من أعظم سلاحهم يرمونهم بها". ففى النص ، كما هو واضح ، أنهم كانوا ينقلون التراب الذى يتم

استخراجه من الخندق بعيدا عنه ، ويحضرون الحجارة من خارجه فى طريق عودتهم . أى أن حركة الحجارة كانت حركة عكسية ، فقد كانت تُجْلَب من خارجه إليه ولا تؤخذ منه إلى الخارج ، كما أنها حجارة لا صخور ، وهى حجارة للرمى مما يدل على أنها كانت حجارةً صغيرةَ الحجم لا كتلاً كبيرة . ويؤكد هذا الآلاتُ التى كان المسلمون يستعملونها فى عملية الحفر ، وهى المكاتل والمساحى والفؤوس ، وهى (كما نرى) آلاتٌ لحفر الأتربة وتسويتها ونقلها ، ولو كانوا يكسّرون صخورا لكانت الآلات المستعملة آلات تكسير وتحطيم ، ولكانت وسائل النقل عربات تستطيع أن تحمل الصخور بعيدا عن ميدان العمل . ويؤكده أيضا أن المدة التى كان عليهم حفر الخندق فيها كانت مدةً جِدَّ قصيرةٍ لا يمكن أبدا تكسير الصخور لصنع خندق كبير مثل هذا ونقلها خلالها ، إذ كان المدة ستة أيام لا غير كما جاء فى "مغازى" الواقدى . كما كانت الإمكانات الإسلامية فى ذلك الوقت أعجز من أن تنجز مثل هذا العمل الشديد الصعوبة . ولْنلاحظ أنهم قد استعاروا حتى هذه الأدوات البسيطة البدائية من يهود ، وهذا يعطينا فكرة عن مدى التخلف التقنى عندهم ، هذا التخلف الذى لم يمنعهم مع ذلك من الانتصار فى معاركهم مع قوى الكفر والشرك والطغيان المحلية والعالمية وتحطيمها تحطيما لم تقم لها قائمة بعدها ، على حين أننا نحن العرب والمسلمين فى هذا العصر النكد نمتلك من الإمكانات ما لم يحلم أجدادنا هؤلاء بواحد على المليون منه ، ومع ذلك يسيطر علينا العجز وتنتشر فينا روح الخوف والهزيمة المبسقة فلا نكاد نحسن شيئا فى عالم الانتصارات ، اللهم إلا على أيدى رجال المقاومة الإسلامية الذين يمرغون أنوف الأمريكان وأذنابهم فى الطين! وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشترك يومئذ فى العمل ، شأنه شأن أى واحد من المسلمين لا يتميز عنهم بشىء ، فكان يحمل التراب في المكاتل ويطرحه

حسبما جاء فى النص السابق وحسبما ذكر الواقدى فى نصوص أخرى على لسان بعض الصحابة: "وكان المسلمون يومئذ ثلاثة آلاف ، فلقد كنت أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنه ليضرب مرة بالمِعْوَل ، ومرة يغرف بالمِسْحَاة التراب ، ومرة يحمل التراب في المِكْتَل "، "ولقد رأيته يومئذ يحمل التراب على ظهره حتى حال الغبار بيني وبينه وإني لأنظر إلى بياض بطنه"، "لكأني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحفر في الخندق مع المسلمين والتراب على صدره وبين عُكَنه". ولْنلاحظ هنا أيضا ذِكْر التراب لا الصخور مما يؤكد أن المسألة كانت حفرا لا تكسيرا ، وهو الأمر الذى تكررت الإشارة إليه عند الكلام عن اشتراك زيد بن ثابت فى الحَفْر ، إذ نقرأ فى النص قول الراوى: "وكان زيد بن ثابت فيمن ينقل التراب مع المسلمين". كما يؤكد ذلك أن بعض الصحابة كأبى بكر وعمر كانوا يستخدمون ثيابهم فى حمل ناتج الحفر بعيدا عن الخندق لقلة المكاتل (وهى تقابل الغُلْقان والقُفَف عندنا فى مصر) ، والإنسان لا يستخدم ثيابه فى نقل الصخور بل التراب . وفى "صحيح البخارى" أيضا يطالعنا هذا الحديث لأنس بن مالك: "جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق حول المدينة ، وينقلون التراب على متونهم ، وهم يقولون :

نحن الذين بايعوا محمدا ::: على الإسلام ما بقينا أبدا

قال: يقول النبي صلى الله عليه وسلم ، هو يجيبهم: اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة ، فبارك في الأنصار والمهاجرة". كما نقرأ فيه كذلك قول البراء بن عازب: "رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق ينقل معنا التراب ، وهو يقول :

والله لولا الله ما اهتدينا ::: ولا صمنا ولا صلينا

فأنزلَنْ سَكِينةً علينا ::: وثبِّتِ الأقدام إن لاقينا

والمشركون قد بَغَوْا علينا ::: إذا أرادوا فتنة أبينا "

ويؤكد هذا كذلك أن الروايات لم تتحدث إلا عن صخرتين اثنتين قابلتا المسلمين أثناء عملية الحفر وسبَّبتا لهم عناءً فاق طاقتهم وخبرتهم مما اضطرهم إلى اللجوء إلى رسول الله ، الذى قام بنفسه بتحطيمهما كما رأينا ، وهذا هو الاستثناء الذى يؤكد القاعدة . وقد تكرر هذا الكلام فى المصادر الأخرى ، إذ نقرأ فى سيرة ابن هشام مثلا: " قال ابن إسحاق: وكان في حفر الخندق أحاديث بلغتني فيها من الله تعالى عبرة في تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحقيق نبوته عاين ذلك المسلمون . فكان مما بلغني أن جابر بن عبد الله كان يحدّث أنه اشتدت عليهم في بعض الخندق كُدْيَة فشكَوْها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بإناء من ماء فتَفَل فيه ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به ثم نضح ذلك الماء على تلك الكُدْيَة فيقول من حضرها: فوالذي بعثه بالحق نبيا ، لانهالت حتى عادت كالكثيب لا ترد فأسا ولا مسحاة . . . وحدثت عن سلمان الفارسي أنه قال ضربت في ناحية من الخندق ، فغلظتْ عليَّ صخرة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قريب مني ، فلما رآني أضرب ورأى شدة المكان علي نزل فأخذ المعول من يدي ، فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة قال ثم ضرب به ضربة أخرى ، فلمعت تحته برقة أخرى . قال ثم ضرب به الثالثة فلمعت تحته برقة أخرى . قال قلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما هذا الذي رأيتُ لَمَعَ تحت المعول وأنت تضرب؟ قال أوَقَدْ رأيت ذلك يا سلمان؟ قال قلت: نعم قال أما الأولى فإن الله فتح علي بها اليمن ، وأما الثانية فإن الله فتح عليَّ بها الشام والمغرب ، وأما الثالثة فإن الله فتح علي بها المشرق " . ومن هذا كله نرى رؤية اليقين أنه لن يكون ثمة وجود للخندق حتى لو بَقَرْنا الأرض كلها أو صورناها من الجو ، ذلك أن حَفْر التراب بعد أن يتم ردمه كرة أخرى لا يَبِين

له أثر، فما قول الشياطين المخربين المدمرين أعداء الحياة والحضارة والثقافة فى هذا؟ وقد تحدث المستشرق الفرنسى إميل درمنجم (فى صفحتى ٢٦٣- ٢٦٤ من كتابه: "La Vie de Mahomet "، Librairie Plon, Paris, 1929، وفى صفحتى ٢٦٦- ٢٦٧ من الترجمة العربية للكتاب التى قام بها عادل زعيتر/ ط٢/ عيسى البابى الحلبى/ ١٩٤٩م) عن الخندق فذكَر التراب والغبار الذى كان يغطى جسد الرسول عليه السلام أثناء عمله فى الحفر ونقل الأتربة، وإن كنتُ وجدتُ رصيفه سافارى (M. Savary)، الذى كان يعيش فى القرن الثامن عشر الميلادى والذى ترجم القرآن إلى الفرنسية وكتب له مقدمة طويلة بمثابة كتاب كامل خصَّصها لسيرة سيد المرسلين عنوانها: "Abrégé de la vie de Mahomet"، يقول فى هذه المقدمة عند حديثه عن غزوة الخندق (ولا أدرى على أى أساس قال ما قال، ولا من أى مصدر استقاه) إن الأرض كانت صخرية صعبة الحفر، وإن المسلمين كانوا يستعملون القواديم فى كسرها. كما أشار إلى الصخرة التى استعصت على المسلمين واستطاع الرسول عليه السلام أن يفتّها، وإن فسَّر ذلك تفسيرا طبيعيا نافيا عنه جانبه الإعجازى:

"On n'entendait de toutes parts que le bruit des marteaux, les cris des travailleurs. Le sol était pierreux et difficile à creuser. Une roche fort dure résistait aux attaques des pionniers et rebutait leur constance. Mahomet, s'apercevant de leur découragement, prit de l'eau dans sa bouche et en répandit sur la pierre ; elle s'amollit, et céda aux coups redoublés des marteaux. Les Musulmans crièrent miracle et attribuèrent à la vertu de

cette eau merveilleuse un succès qu'ils devaient à leurs nouveaux efforts. Tel Annibal, se frayant une route à travers les Alpes, ranima le courage de ses soldats, en faisant répandre du vinaigre sur le rocher qu'il voulait percer. Partout le grand homme est le même ; partout il aplanit les obstacles sous ses pas et fait céder la nature à ses efforts. Le charme invincible qu'il emploie pour produire des prodiges est l'assurance du success dont il enivre les curs des mortels ".

وهذا كلام ليس له مرجع يَحُور إليه ، بل اعتمد فيه الكاتب على تخيلاته وأوهامه للأسف الشديد ، وليس هذا مما يرتضيه العلم ولا البحث المنهجى!

أما بالنسبة لكلام كاتبنا هو وقارئه عن سلبية الجيشين: المسلم والكافر فهأنذا أسوق ما كتبه الواقدى كى يتبين القراء مدى الغشم الذى يندفع إليه الغربيون بوجه عام عندما تأتى سيرة الإسلام فيَنْسَوْن كل ما يلوكونه عن المنهج العلمى ووجوب تثبت الباحث من كل ما يقوله أو يكتبه بحيث لا يخط حرفا إلا بعد الرجوع إلى المصادر والمراجع التى تتناول الموضوع . المهم: تعالَـوْا إلى ما قاله الواقدى لنرى إلى أى مدى كان الكاتب والمعلق الفرنسيان مخلصَيْن للمنهج العلمى: " قال الواقدي: حدثني عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر ، عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم قال قالت أم سلمة كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخندق فلم أفارقه مقامه كله وكان يحرس بنفسه في الخندق ، وكنا في قر شديد فإني لأنظر إليه قام فصلى ما شاء الله أن يصلي في قبته ثم خرج فنظر ساعة فأسمعه يقول هذه خيل المشركين تطيف بالخندق من لهم؟ ثم نادى: يا عباد بن بشر . فقال عباد لبيك قال أمعك

أحد؟ قال نعم أنا في نفر من أصحابي كنا حول قبتك .

قال فانطلق في أصحابك فاطف بالخندق فهذه خيل من خيلهم تطيف بكم يطمعون أن يصيبوا منكم غرة . اللهم ادفع عنا شرهم وانصرنا عليهم واغلبهم لا يغلبهم غيرك فخرج عباد بن بشر في أصحابه فإذا بأبي سفيان في خيل من المشركين يطيفون بمضيق الخندق . وقد نذر بهم المسلمون فرمَوْهم بالحجارة والنَّبْل . فوقفنا معهم فرميناهم حتى أذلقناهم بالرمي فانكشفوا راجعين إلى منزلهم . ورجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجده يصلي فأخبرته . قالت أم سلمة فنام حتى سمعت غطيطه فما تحرك حتى سمعت بلالا يؤذن بالصبح وبياض الفجر فخرج فصلى بالمسلمين . فكانت تقول يرحم الله عباد بن بشر فإنه كان ألزم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لقبة رسول الله يحرسها أبدا .

فحدثني أيوب بن النعمان عن أبيه قال كان أسيد بن حضير يحرس الخندق في أصحابه فانتهوا إلى مكان من الخندق تطفره الخيل فإذا طليعة من المشركين مائة فارس أو نحوها عليهم عمرو بن العاص يريدون أن يغيروا إلى المسلمين فقام أسيد بن حضير عليها بأصحابه فرموهم بالحجارة والنبل حتى أجهضوا عنا وولّوْا . وكان في المسلمين تلك الليلة سلمان الفارسي ، فقال لأسيد إن هذا مكان من الخندق متقارب ونحن نخاف تطفره خيلهم ، وكان الناس عجلوا في حفره . وبادروا فباتوا يوسعونه حتى صار كهيئة الخندق وأمنوا أن تطفره خيلهم . وكان المسلمون يتناوبون الحراسة وكانوا في قُرٍّ شديدٍ وجوعٍ .

فحدثني خارجة بن الحارث عن أبي عتيق السلمي عن جابر بن عبد الله قال لقد رأيتني أحرس الخندق ، وخيل المشركين تطيف بالخندق وتطلب غرة ومضيقا من الخندق فتقتحم فيه وكان عمرو بن العاص وخالد بن الوليد

همـا اللـذان يفعلان ذلك يطلبان الغفلة من المسلمين . فلقينا خالد بن الوليد في مائـة فـارس ، قـد جال بخيله يريد مضيقا من الخندق يريد أن يعبر فرسانه فنضحناهم بالنبل حتى انصرف . فحدثني إبراهيم بن جعفر عن أبيه قال قال محمـد بن مسلمة أقبل خالد بن الوليد تلك الليلة في مائة فارس ، فأقبلوا من العقيـق حتـى وقفـوا بالمذاد وجـاه قبة النبي صلى الله عليه وسلم . فنذرت بالقـوم فقلت لعباد بن بشر وكان على حرس قبة النبي صلى الله عليه وسلم وكان قائما يصلي ، فقلت: أتيت فركع ثم سجد وأقبل خالد في ثلاثة نفر هو رابعهم فأسمعهم يقولون هذه قبة محمد ارموا فرموا ، فناهضناهم حتى وقفنا علـى شـفير الخـندق ، وهم بشفير الخندق من الجانب الآخر فترامينا ، وثاب إلينا أصـحابنا ، وثـاب إلـيهم أصـحابهم وكثرت الجراحة بيننا وبينهم . ثم اتـبعوا الخـندق علـى حافتيه وتبعـناهم والمسلمون على محارسهم فكلما نمر بمحـرس نهـض معـنا طائفـة وثـبت طائفة حتى انتهينا إلى راتج فوقفوا وقفة طـويلة وهم ينتظرون قريظة يريدون أن يغيروا على بيضة المدينة ، فما شعرنا إلا بخيل سـلمة بـن أسلم بن حريش يحرس فيأتون من خلف راتج ، فلاقَوْا خالـد بـن الوليد فاقتتلوا واختلطوا ، فما كان إلا حلْب شاة حتى نظرتُ إلى خـيل خالـد مولـية وتـبعه سلمة بن أسلم حتى رده من حيث جاء . فأصبح خالـد وقـريش وغطفـان تزري عليه وتقول ما صنعت شيئا فيمن في الخندق ولا فيمن أصحر لك . فقال خالد أنا أقعد الليلة وابعثوا خيلا حتى أنظر أيّ شيء تصنع".

ولنقرأ أيضا فى الواقدى: "حدثني ابن أبي سبرة عن عبد الواحد بن أبي عـون عـن أم سـلمة زوج الـنبي صـلى الله علـيه وسلم قالت والله إني لفي جوف الليل في قبة النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم إلى أن سمعت الهيعة وقائـل يقـول يا خيل الله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل شعار

المهاجرين "يا خيل الله" ففزع رسول الله صلى الله عليه وسلم بصوته فخرج من القبة فإذا نفر من الصحابة عند قبته يحرسونها ، منهم عباد بن بشر فقال ما بال الناس؟ قال عباد يا رسول الله هذا صوت عمر بن الخطاب ، الليلة نوبته ، ينادي: "يا خيل الله" والناس يثوبون إليه وهو من ناحية حسيكة ما بين ذباب ومسجد الفتح . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعباد بن بشر اذهب فانظر ثم ارجع إلي إن شاء الله فأخبرني قالت أم سلمة فقمت على باب القبة أسمع كل ما يتكلمان به .

قالت فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما حتى جاءه عباد بن بشر فقال يا رسول الله هذا عمرو بن عبد في خيل المشركين معه مسعود بن رخية بن نويرة بن طريف بن سحمة بن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان في خيل غطفان ، والمسلمون يرامونهم بالنَّبْل والحجارة .

قالت فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبس درعه ومِغْفَره وركب فرسه وخرج معه أصحابه حتى أتى تلك الثغرة فلم يلبث أن رجع وهو مسرور فقال: صرفهم الله . وقد كثرت فيهم الجراحة . قالت فنام حتى سمعت غطيطه وسمعت هائعة أخرى ، ففزع فوثب فصاح يا عباد بن بشر قال لبيك قال انظر ما هذا . فذهب ثم رجع فقال هذا ضرار بن الخطاب في خيل من المشركين معه عيينة بن حصن في خيل غطفان عند جبل بني عبيد ، والمسلمون يرامونهم بالحجارة والنبل .

فعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبس درعه وركب فرسه ثم خرج معه أصحابه إلى تلك الثغرة فلم يأتنا حتى كان السحر فرجع وهو يقول رجعوا مفلولين قد كثرت فيهم الجراحة . ثم صلى بأصحابه الصبح وجلس . فكانت أم سلمة تقول قد شهدت معه مشاهد فيها قتال وخوف:

المريسيع وخيبر ، وكنا بالحديبية . وفي الفتح وحنين لم يكن من ذلك شيء أتعب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أخوف عندنا من الخندق . وذلك أن المسلمين كانوا في مثل الحرجة وأن قريظة لا نأمنها على الذراري والمدينة تحرس حتى الصباح يسمع تكبير المسلمين فيها حتى يصبحوا خوفا ، حتى ردهم الله بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال .

حدثني إبراهيم بن جعفر عن أبيه عن محمد بن مسلمة قال كنا حول قبة رسول الله صلى الله عليه وسلم نحرسه ورسول الله صلى الله عليه وسلم نائم نسمع غطيطه إذ وافت أفراس على سلع ، فبصر بهم عباد بن بشر فأخبرنا بهم قال فأمضى إلى الخيل وقام عباد على باب قبة النبي صلى الله عليه وسلم آخذا بقائم السيف ينظرني ، فرجعت فقلت: خيل المسلمين أشرفت عليها سلمة بن أسلم بن حريش فرجعت إلى موضعنا . ثم يقول محمد بن مسلمة كان ليلنا بالخندق نهارا حتى فرجه الله".

ولنستمر فى القراءة للمرة الثالثة حتى يتبين الرُّشد العلمىّ المسلم من الغىّ الفرنسى المتحذلق الغشيم: "حدثني خارجة بن الحارث عن أبي عتيق عن جابر وحدثني الضحاك بن عثمان ، عن عبيد الله بن مقسم ، عن جابر بن عبد الله ، قال كان خوفنا على الذراري بالمدينة من بني قريظة أشد من خوفنا من قريش حتى فرج الله ذلك .

قالوا: فكان المشركون يتناوبون بينهم فيغدو أبو سفيان بن حرب في أصحابه يوما ، ويغدو هبيرة بن أبي وهب يوما ، ويغدو عكرمة بن أبي جهل يوما ، وضرار بن الخطاب يوما ، فلا يزالون يجيلون خيلهم ما بين المذاد إلى راتج ، وهم في نشر من أصحابهم يتفرقون مرة ويجتمعون أخرى ، حتى عظم البلاء وخاف الناس خوفا شديدا . ويقدمون رماتهم ، وكان معهم رماة حبان بن العرقة وأبو أسامة الجشمي وغيرهم من أفناء العرب ، فعمدوا يوما

من ذلك فتناوشوا بالنبل ساعة وهم جميعا في وجه واحد وجاه قبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم عليه الدرع والمغفر ويقال على فرسه . فيرمي حبان بن العرقة سعد بن معاذ بسهم فأصاب أكحله فقال خذها وأنا ابن العرقة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرق الله وجهك في النار . ويقال أبو أسامة الجشمي رماه وكان دارعا . فكانت عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم تقول كنا في أُطُم بني حارثة قبل الحجاب ومعنا أم سعد بن معاذ ، فمر سعد بن معاذ يومئذ عليه ردع خلوق ما رأيت أحدا في الخلوق مثله وعليه درع له مشمرة عن ذراعيه والله إني لأخاف عليه يومئذ من تشميرة درعه ما أصابه فمر يرفل في يده الحربة وهو يقول:

لبث قليلا يدرك الهيجا حَمَل ما أحسن الموت إذا حان الأجل ، وأمه تقول الحق برسول الله يا بني ، وقد والله تأخرت ، فقلت: والله يا أم سعد لوددت أن درع سعد أسبغ على بنانه .

قالت أم سعد يقضي الله ما هو قاض فقضى له أن أصيب يومئذ ولقد جاء الخبر بأنه قد رمي تقول أمه وا جبلاه ثم إن رؤساءهم أجمعوا أن يغدوا جميعا ، فغدا أبو سفيان بن حرب ، وعكرمة بن أبي جهل ، وضرار بن الخطاب ، وخالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وهبيرة بن أبي وهب ، ونوفل بن عبد الله المخزومي ، وعمرو بن عبد ، ونوفل بن معاوية الديلي في عدة فجعلوا يطيفون بالخندق ومعه رؤساء غطفان: عيينة بن حصن ومسعود بن رخيلة والحارث بن عوف ، ومن سليم رؤساؤهم ومن بني أسد طليحة بن خويلد . وتركوا الرجال منهم خُلُوفًا ، يطلبون مضيقا يريدون يقتحمون خيلهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فانتهوا إلى مكان قد أغفله المسلمون فجعلوا يكرهون خيلهم ويقولون هذه المكيدة ما كانت العرب

تصنعها ولا تكيدها . قالوا: إن معه رجلا فارسيا ، فهو الذي أشار عليهم بهذا . قالوا: فمن هناك إذا؟ فعبر عكرمة بن أبي جهل ، ونوفل بن عبد الله ، وضرار بن الخطاب ، وهبيرة بن أبي وهب ، وعمرو بن عبد ، وقام سائر المشركين من وراء الخندق لا يعبرون وقيل لأبي سفيان ألا تعبر؟ قال قد عبرتم فإن احتجتم إلينا عبرنا . فجعل عمرو بن عبد يدعو إلى البِرَاز ويقول:

ولقد بححت من النداء ::: ء لجمعكم: هل من مبارز؟

وعمرو يومئذ ثائر قد شهد بدرا فارتث جريحا فلم يشهد أحدا ، وحرم الدهن حتى يثأر من محمد وأصحابه وهو يومئذ كبير . يقال بلغ تسعين سنة . فلما دعا إلى البراز قال علي عليه السلام: أنا أبارزه يا رسول الله ، ثلاث مرات . وإن المسلمين يومئذ كأن على رءوسهم الطير لمكان عمرو وشجاعته . فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه ، وعمّمه وقال اللهم أعنه عليه . قال وأقبل عمرو يومئذ وهو فارس وعلي راجل فقال له علي عليه السلام "إنك كنت تقول في الجاهلية لا يدعوني أحد إلى واحدة من ثلاث إلا قبلتها" قال: "أجل". قال علي: "فإني أدعوك أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتسلم لله رب العالمين". قال يا ابن أخي ، أخّر هذا عني . قال: فأُخْرَى ، ترجع إلى بلادك ، فإن يكن محمد صادقا كنت أسعد [الناس] به وإن غير ذلك كان الذي تريد . قال هذا ما لا تتحدث به نساء قريش أبدا ، وقد نذرت ما نذرت وحرمت الدهن . قال فالثالثة؟ قال البِرَاز . قال فضحك عمرو ثم قال إن هذه الخصلة ما كنت أظن أن أحدا من العرب يرومني عليها إني لأكره أن أقتل مثلك ، وكان أبوك لي نديما ، فارجع فأنت غلام حدث إنما أردت شيخي قريش أبا بكر وعمر . قال فقال علي عليه السلام فإني أدعوك إلى المبارزة فأنا أحب أن أقتلك . فأسف عمرو ونزل وعقل فرسه .

فكان جابر يحدث يقول فدنا أحدهما من صاحبه وثارت بينهما غبرة فما نراهما ، فسمعنا التكبير تحتها فعرفنا أن عليا قتله . فانكشف أصحابه الذين في الخندق هاربين وطفرت بهم خيلهم إلا أن نوفل بن عبد الله وقع به فرسه في الخندق ، فرمي بالحجارة حتى قتل . ورجعوا هاربين وخرج في أثرهم الزبير بن العوام وعمر بن الخطاب ، فناوشوهم ساعة . وحمل ضرار بن الخطاب على عمر بن الخطاب بالرمح حتى إذا وجد عمر مس الرمح رفعه عنه وقال هذه نعمة مشكورة فاحفظها يا ابن الخطاب إني قد كنت حلفت لا تمكنني يداي من رجل من قريش أبدا . فانصرف ضرار راجعا إلى أبي سفيان وأصحابه وهم قيام عند جبل بني عبيد .

ويقال حمل الزبير على نوفل بن عبد الله بن المغيرة بالسيف حتى شقه باثنين وقطع أندوج سرجه .

والأندوج: اللبد الذي يكون تحت السرج ، ويقال: إلى كاهل الفرس . فقيل يا أبا عبد الله ما رأينا سيفا مثل سيفك فيقول والله ما هو بالسيف ولكنها الساعد . وهرب عكرمة وهبيرة فلحقا بأبي سفيان وحمل الزبير على هبيرة فضرب ثفر فرسه فقطع ثفر فرسه وسقطت درع كان محقبها الفرس ، فأخذ الزبير الدرع وفر عكرمة وألقى رمحه . فلما رجعوا إلى أبي سفيان قال هذا يوم لم يكن لنا فيه شيء ارجعوا فنفرت قريش فرجعت إلى العقيق ، ورجعت غطفان إلى منازلها ، واتَّعدوا يَغْدُون جميعا ولا يتخلف منهم احد . فباتت قريش يعبئون أصحابهم وباتت غطفان يعبئون أصحابهم ووافَوْا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق قبل طلوع الشمس . وعبا رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وحضهم على القتال ووعدهم النصر إن صبروا ، والمشركون قد جعلوا المسلمين في مثل الحصن من كتائبهم فأخذوا بكل وجه من الخندق .

فحدثني الضحاك بن عثمان، عن عبيد الله بن مقسم، عن جابر بن عبد الله قال قاتلونا يومهم وفرقوا كتائبهم ونحوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة غليظة فيها خالد بن الوليد، فقاتلهم يومه ذلك إلى هوي من الليل ما يقدر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحد من المسلمين أن يزولوا من مواضعهم وما يقدر رسول الله صلى الله عليه وسلم على صلاة الظهر ولا العصر ولا المغرب ولا العشاء فجعل أصحابه يقولون يا رسول الله ما صلينا فيقول ولا أنا والله ما صليت حتى كشفهم الله تعالى فرجعوا متفرقين. فرجعت قريش إلى منزلها، ورجعت غطفان إلى منزلها، وانصرف المسلمون إلى قبة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأقام أسيد بن حضير على الخندق في مائتين من المسلمين فهم على شفير الخندق إذ كرت خيل من المشركين يطلبون غرة، عليهم خالد بن الوليد، فناوشهم ساعة ومع المشركين وحشي، فزرق الطفيل بن النعمان من بني سلمة بمزراقه فقتله فكان يقول أكرم الله تعالى حمزة والطفيل بحربتي ولم يهني بأيديهما.

فلما صار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى موضع قبته أمر بلالا فأذن. وكان عبد الله بن مسعود يقول أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن وأقام للظهر وأقام بعد لكل صلاة إقامة إقامة".

ونمضي فنقرأ في الواقدي: "وأرسلت بنو مخزوم إلى النبي صلى الله عليه وسلم يطلبون جيفة نوفل بن عبد الله يشترونها بالدية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما هي جيفة حمار. وكره ثمنه. فلما انصرف المشركون تلك الليلة لم يكن لهم قتال جميعا حتى انصرفوا، إلا أنهم لا يدعون يبعثون الطلائع بالليل يطمعون في الغارة. وخرجت بعد ذلك طليعتان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا، فالتقيا ولا يشعر بعضهم ببعض ولا يظنون إلا

أنهم العدو، فكانت بينهم جراحة وقتل ولسنا نعرف من قتل ولم يسم لنا. ثم نادوا بشعار الإسلام وكف بعضهم عن بعض وكان شعارهم حم لا ينصرون. فجاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: جراحكم في سبيل الله، ومن قتل منكم فإنه شهيد. فكانوا بعد ذلك إذا دنا المسلمون بعضهم من بعض نادوا بشعارهم لأن يكف بعضهم عن بعض فلا يرمون بنَبْل ولا بحجر. كانوا يطيفون بالخندق بالليل حتى الصباح يتناوبون وكذلك يفعل المشركون أيضا، يطيفون بالخندق حتى يصبحوا. قال فكان رجال من أهل العوالي يطلعون إلى أهليهم فيقول لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إني أخاف عليكم بني قريظة. فإذا ألحوا في كثرة ما يستأذنونه يقول من ذهب منكم فليأخذ سلاحه فإني لا آمن بني قريظة هم على طريقكم. وكان كل من يذهب منهم إنما يسلكون على سلع حتى يدخلوا المدينة، ثم يذهبون إلى العالية".

فهذه هى الحقائق لا الذى يقوله ذانك الفرنسيان! وخلاصة ما قرأناه معا أنه كان هناك أكثر من محاولة للعبور لا محاولة واحدة كما زعم المتحذلقان بجهل، وبعض هذه المحاولات نجح إلى حين، وإن كان انتهى بمقتل أصحابها، وبعضها ارتد على عقبه على الفور. ولا ينبغي أن يغيب عن البال فى هذا السياق أن عبور الخندق كان أمرا جديدا على العرب لم يتعودوه لا هم ولا خيولهم، كما أن نقاط العبور الضيقة التى تغرى بالمحاولة كانت محصورة فى موضع واحد تقريبا سَبَّبَه العَجَلة التى كان فيها المسلمون أثناء حفر الخندق نظرا لضيق الوقت وبدائية الأدوات والأساليب، فضلا عن أن المجازفين بحياتهم وسلاحهم هم بطبيعة الحال قلة فى كل العصور، ولا يُعْقَل من ثم أن نتوقع محاولة الجميع العبور، فضلا عن أن يتم هذا العبور فعلا. إن هذا لَيُدَابِر منطق الحياة والواقع أشد المدابرة، وبخاصة إذا

كان المسلمون بالمرصاد لكل من يعبر فيُجْهِزون عليه ، أو يرمونه بالسهام أو يضربونه بالسيوف حتى يردوه على عقبيه مخذولا مدحورا . أما أثناء المبارزة فكيف فات الأخطلَيْن الفرنسيَّيْن أنه من غير الممكن تفكير أى من الفريقين فى رمى الفارس المعادى بالسهام خوفا أن يصيب السهم فارسهم هم بدلا من فارس الأعداء ، إذ إن المبارزة لا تتم فى سكون وتخشب ، بل يتدافع المبارزان أثناءها ويتنقلان من موضع إلى موضع فى كل لحظة ، بل كثيرا ما يتبادلان موقعيهما فى مثل لمح البصر؟ أما السواتر التى ظن الأفاكان الفرنسيان أنهما سيُسْكِتان بها المسلمين إلى الأبد فها هو ذا ما قاله الواقدى بشأنها على لسان راوى القصة: "وكانوا يجعلون التراب مما يلي النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكانوا يسطرون الحجارة مما يليهم كأنها حيال التمر ، وكانت الحجارة من أعظم سلاحهم يرمونهم بها" . أى أنهم كانوا حريصين على أن يُبْقُوا الأتربة فى جهتهم كى يتترّس وراءها النبى وأصحابه عند اللزوم ، فيما كانوا يرمون المشركين بالحجارة التى كانوا يحضرونها من جبل سلع وراءهم ، والتى يصفها الراوى بأنها كانت أعظم أسلحتهم ، وأضيف أنا أنها كانت المثال الذى نسج على منواله أبطال الانتفاضة الحجرية فى أرض فلسطين المباركة .

ومن يشأ الاطلاعَ على الدراسات المكتوبة بالإنجليزية والفرنسية يمكنه أن يراجع وصف معركة الخندق فى الفصل السابع عشر من كتاب وليام موير : "Life of Mohammad" (طبعة John Grant, Edinburgh, 1912 ، بدءًا من صفحة ٣٠٦ فصاعدًا) ، وكذلك الفصل الستين من كتاب أبو بكر سراج الدين (مارتن لنجز سابقا): "MUHAMMAD- His Life Based on the Earliest Sources" ، إلى جانب كتاب "The Life of Muhammad" لمؤلفه A. H. Siddiqui (طبعة Millat

Book Centre, New Delhi, 1993 بدءًا من صفحة ٢١٥ فصاعدًا)، وفيه تفصيل للأمر كله حفرًا وتشوينًا للتراب والحجارة وحراسةً وتجسُّسًا وعبورًا ومبارزةً... إلخ في أسلوب عصري. ومثله في هذا التفصيل الدقيق الفصلُ التاسع والعشرون من كتاب: Salim Ibn-i-Muhammad Raffi: " Muhammad the Beloved of Allah" (طبعة Kazi Publications, Lahore, 1998 بدءًا من صفحة ٢٩٣ فصاعدًا). ولا أذكر أنني قد قابلت تشكيكا أي تشكيك في واقعة الخندق وحَفْره عند أي من المستشرقين على تباين أديانهم واتجاهاتهم الفكرية والسياسية واختلاف أهوائهم وجنسياتهم وعلى طول ما قرأت لهم، وكثير منهم مشككون مداورون من الطراز الأول لا يتورعون عن محاولة إثارة ريبتك حتى في حقيقة وجودك نفسه وأنت واقف أمامهم.

أما قول المعلق إنه لغريب حقا أن أحدا لم يفكر في أمر الخندق بتاتا على ما فيه من مخالفة للمنطق تبعث على الدهشة، وإن هذا يبين لنا إلى أي مدًى استطاع الإسلام التلاعب بالعقول عن طريق التقنيات الخاصة بذلك جميعها دون استثناء: بدءًا مما يسمَّى بغسل المخ، ومرورًا بالتزام مبدإ السمع والطاعة والخضوع لتأثير العواطف الجمعية وتجنب مسائل بعينها لا ينبغي الخوض فيها واستغلال الجنس، وانتهاءً بتعطيل عمل العقل... إلخ، وإنه، رغم حرصه على أن يظل مفتوح العينين حتى لا يخدعه خادع، قد انطلى عليه ما يُسَمَّى: "برهان السلطة"، إذ ظن أنه ما دامت هناك كتب تتحدث عن محمد فمعنى هذا أن محمدا كان موجودا حقيقة، مع أن هناك كتبا كثيرة عن تنتان، ومع ذلك فإن تنتان لم يكن له في يوم من الأيام وجود. والواقع أنه لا يسعنى إلا الاتفاق معه في أن وجود كتب أو حكايات عن فلان أو علاّن أو ترتان لا يعني بالضرورة أن هذا الفلان موجود أو كان موجودا، إلا أن

هذا لا يعنى أيضا أن نشك فى وجود فلان ذاك شكًا آليًا رغم وجود كتب ودراسات تتحدث عنه، وبخاصة إذا لم تكن هناك بواعث للشكوك غير مجرد العناد والرغبة فى المخالفة، فما بالنا لو توفرت الدواعى على القول بأن ما ترويه تلك الكتب والدراسات قد وقع فعلا؟ إذ ما الداعى لأن يخترع المسلمون قصة الخندق؟ إنها لتدل على أنهم كانوا مضطربين خائفين يتوقعون الشر من كل اتجاه، وغير قادرين على مواجهة المشركين، ومن ثم فقد احتمَوْا خلف ذلك الخندق، واستحقوا سخرية الكفار واستخفافهم بهم! كما أن الرواية تعزو التفكير فى هذه الوسيلة إلى رجل فارسى (الفارسى الوحيد بينهم) لا إلى رجل عربى، وهو ما يضيف على كاهلهم عبئا نفسيا مؤلما إلى العبء السابق. لقد كان بإمكانهم، ما دام الأمر أمر اختراع وتزييف، أن يقولوا إن الملائكة قد حاربت فى صف المسلمين وإنها . . . وإنها . . . ، لكنهم لم يلجأوا إلى مثل هذا على قربه من منطق الاختراع والتزييف واتساقه معه! أما تصوير المسلمين فى عصر النبى ومن بعده إلى يومنا هذا بصورة من لا يفكر ولا يعقل ولا يستخدم حاسته النقدية فهو يدل على خَطَلٍ فى تفكير المعلق والمؤلف وغباء غليظ وجهل مدقع لديهما، لماذا؟ لأن المسلمين لم يتركوا شاردة ولا واردة فى دينهم سواء تعلق بالعقائد أو بالتشريع أو بالتاريخ إلا ومحّصوه ووضعوه على مائدة البحث والجدال فى حرية تامة. ومن له أى اتصال بالفكر الإسلامى يعرف مصداق ما أقول، فمن الواضح إذن أن الرجلين جاهلان جهلا عجيبا لا يليق بمن يتصدى لمناقشة مثل هذه الموضوعات. ولقد كان الصحابة يناقشون الرسول فى كل أمر تقريبا، وكان هو من ناحيته يشجعهم على ذلك ويطلب منهم المشورة فى أحيان كثيرة مؤكدا لهم أن المجتهد ماجور حتى لو أخطأ، كما كان يُفهِمهم أنه فى نهاية المطاف ليس أكثر من بشر لا يعرف الغيب ولا يدرى ما

الله فاعل به ولا بهم ، وأنه ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد بمكة! أفبعد كل هذا يقال إن الإسلام قد مارس على المسلمين طوال العصور تقنية غسل المخ وما أشبه؟

ويتبقى زعم الكاتب أن علم الآثار يفسر لنا السرّ فى حظر الذهاب على غير المسلمين إلى مكة والمدينة ، إذ لا بد أن يكون زوار تينك المدينتين ، حسبما يَدّعِى ، عميانا لا يبصرون ولا يفكرون ، أىْ مسلمين مقتنعين بما يقال لهم ، وإلا يكون عندهم وقت للتفكير إذا ذهبوا إلى هناك ، ومن ثم كان لا بد من أن تُفْرَض عليهم شعائر معقدة يؤدونها ثم يعودون على الفور من حيث أتَوْا دون أن تكون لديهم فرصة لإعمال العقل أو لزيارة الأماكن المحيطة ، وهو ما نشاهده فى نفس الظروف عند الأمم الأخرى .

وهذا لو كان المسلمون جميعا يرجعون دائما إلى بلادهم عقب الحج ، إذ الواقع أن كثيرا من المسلمين كانوا يتحركون بطول العالم الإسلامى وعرضه خلال تاريخهم الطويل ، ولم يكونوا يعرفون الحدود المصطنعة ولا جوازات السفر التى نعرفها الآن ، ولم يكن هناك بترول يجعل أهله يخافون أن يشاركهم فيه غيرهم من فقراء المسلمين ، وكان كثير منهم يذهب لبلاد الحرمين ويستقر هناك فترة قد تطول ، وقد تقصر ، وقد تستمر إلى الأبد ، وهذا معروف للجميع ، فدَعُونا من الجاهلَيْن الفرنسيَّيْن وما يسوِّله لهما جهلهما من خزعبلات! ولنترك هذا كله ونأتى إلى الحاضر ، أليست السعودية فيها أكبر جالية عربية وإسلامية الآن من الأيدى العاملة والعقول الخبيرة بسبب كِبَر مساحتها وكثرة سكانها؟ أتراهم يعصبون عيون هؤلاء العمال والخبراء كلما مروا بالكعبة ومسجد النبى والمناطق المحيطة؟ أتراهم يأخذون عليهم فى عقود العمل شرطا بألا يحضروا معهم معاول وجواريف وقُفَفًا وغَلَقَانًا حتى لا يُسَهِّوهم بالليل وهم نائمون وينكتوا طرقات المدينة

لفضح خرافة الخندق .

ويستمر الكاتب قائلا إن المدينة كانت تقع فى قلب الصحراء فى مكان ليس فيه ماء ولا زرع ، وإن سكانها العشرين ألفًا (حسبما أحصاهم) لم يكن باستطاعتهم أن يحفروا خندقا يحيط بالبلد كله . ولا أدرى من أين له بأن المدينة المنورة ليس فيها زرع ولا ماء . لقد كانت حرفة سكانها الأساسية هى الزراعة لأنها تقع فى واد خصيب يتوفر له الماء ، ولم تكن هى المدينة الوحيدة التى تتمتع بهذه الميزة فى جزيرة العرب ، وإلا فكيف ننسى واحاتها الكثيرة ، وهى تقع فى قلب الصحراء ، ومع هذا كانت عامرة بالماء والزرع؟ بل كيف كان يعيش المكيون ، الذين لم تكن مدينتهم فى واد خصيب كالمدينة؟ أتراهم كانوا لا يشربون ولا يغتسلون ولا يطبخون؟ إن الماء موجود ، بقدرة الله ، فى كل مكان على وجه العموم: سواء من الأنهار أو السيول أو الآبار أو العيون ، ولولا هو ما قامت حياة ، والجزيرة العربية رغم كل شىء كانت مسكونة بالأحياء والبشر ، أم للمؤلف رأى آخر؟

ولا تنس أيها القارئ الكريم أن الخندق لم يكن يحيط بالمدينة كلها كما يتوهم الطبيب الفرنسى ، بل تم حفره فقط فى المواضع التى لم يكن فيها جبال ولا حصون ولا بيوت متشابكة ولا حَرّات (والحرات هى أودية الصخور البركانية المتصلة) حسبما قالت الروايات كلها التى وصلتنا ، لأن الجبال والحصون والحرات والبيوت المتشابكة تقوم تلقائيا بدور الخندق فى العزل والصدّ . ومن الواضح أن الطبيب الفرنسى لا يعرف عن هذه الروايات شيئا ، ثم هو رغم ذلك يجد عند نفسه الجرأة لاقتحام الكلام برعونة وغشم وجهل ، غير عابئ بشىء ولا مالئ أحد عينيه! ماذا يمكن أن نقول لمثل هذا الصنف من البشر؟ إنه يظن أوربيته كافية لتأهيله للخوض فى كل حديث ولطرق كل موضوع دون أن يعقّب عليه حسيب ولا رقيب!

بالمناسبة فطبيبنا ينكر أن تكون هناك مدينةٌ منوَّرةٌ فى ذلك الوقت، ويؤكد تبعا لأحد المستشرقين أن معركة الخندق قد دارت رحاها فى الشام بعد ذلك التاريخ بعدة عقود. لكنْ علىَّ أوَّلاً أن أسوق للقارئ الكريم نص كلام الطبيب فى أصله الفرنسى:

"L'islamologue Alfred-Louis de Prémare (Les fondations de l'islam, Editions du Seuil) établit qu'une bataille s'est déroulée en 683 en Syrie, et non à Médine, ville qui n'existait pas au septième siècle, soit cinquante ans après la mort officielle de " Mahomet ". D'après les légendes islamiques, j'ai calculé que Médine aurait compté vingt mille habitants, soit autant que Paris à la même époque... en plein désert, sans eau et sans agriculture. Creuser un fossé autour relève de la fantaisie " .

لكن ما حكاية المدينة المنورة هذه؟ الواقع أن المدينة المنورة ليست هى وحدها التى يشكك فيها هذا المجنون، بل مكة والرسول ذاته والمعارك التى خاضتها القوات المسلمة فى ذلك العصر والمواقع التى دارت رحاها فيها أيضا، ولنستمع أولا إلى ما يقوله عن وفاة الرسول عليه السلام وتولى أبى بكر رضى الله عنه الخلافة من بعده: " Mahomet a été déclaré mort en 632 suite à une tractation entre Abou Bakr et le calife Omar, sans concertation avec Ali, floué alors qu'il dirigeait une armée de la région qui est aujourd'hui l'Irak. Pourtant " Mahomet " donne des ordres en 634,

855 830, 785, 725, 688, 683, 660, 651, 640,". فحسب أوهام طبيبنا كان قد تمّ اتفاق بين أبى بكر وعمر، عند وفاة الرسول عليه السلام، على تولى الأول حكم المسلمين، على حين كان على بن أبى طالب، طبقا لعلم صاحبنا اللَّدُنّىّ، يقود الجيوش وقتها بعيدا فى العراق فلم يتم التنسيق معه بل تم خداعه. كما يسخر طبيبنا المتهوس من أن الرسول، رغم وفاته فى ٦٣٢م، كان لا يزال يصدر الأوامر بعد ذلك لوقت طويل فى الأعوام ٦٤٠، ٦٥١، ٦٦٠، ٦٨٣، ٦٨٨، ٧٢٥، ٧٨٥، ٨٣٠، ٨٥٥ م! ترى من أين لكاتبنا كل هذه العبقرية التى لا مثيل لها؟

لكن بالله متى كان علىٌّ يقود الجيوش فى العراق عند وفاة النبى؟ لقد كان، رضى الله عنه وكرّم وجهه، آنذاك فى المدينة مشغولا بتغسيل النبى وتكفينه ودفنه مع غيره من أهله صلى الله عليه وسلم، ولم تكن هناك جيوش إسلامية فى أى مكان فى ذلك الحين، اللهم إلا جيش أسامة بن زيد، الذى كان قد تم تجهيزه للذهاب إلى حدود الشام، إلا أن موت النبى عليه الصلاة والسلام قد أوقفه إلى حين. وبالنسبة للعراق بالذات لم يحدث أن وطئه أى جيش مسلم، بل لم يحدث أى تفكير فى إرسال قوات إلى حدوده المشتركة مع جزيرة العرب، فى عهد النبى قط. أما أنه عليه السلام كان يصدر أوامره إلى المسلمين إلى ما بعد وفاته بعد عقود فليقل لى القراء الكرام: كيف كان هذا؟ وهذا الرجل يترك حقائق التاريخ ويذهب فيفترض أشياء لا يمكن أن تكون صحيحة أبدا ثم يبنى فوقها ما يريد الوصول إليه من نتائج يرى أن من شأنها التشكيك فى تلك الحقائق التاريخية. فعلى سبيل المثال فمكة عنده كانت، فيما يبدو (فيما يبدو!: لا حظ!) حيًّا من أحياء دمشق، لكن لماذا؟ الجواب، حسبما يقول، هو أن كلمة "مكة" تعنى بالآرامية: "مدينة منخفضة". ثم يمضى مؤكدا "أننا الآن قد أصبحنا نعرف أن

المسلمين الأوائل، شأنهم شأن القَرَائين الأوائل (جمع "قرآن")، تم اختراعهم في الشام، وليس في جزيرة العرب:

"Le mot la mecque est araméen syrien, et signifie ville basse, désignant probablement un quartier de Damas. On sait maintenant que les premiers musulmans, comme les premiers corans, et la vie de Mahomet, furent inventés en Syrie, et non en Arabie... La Mecque n'existait pas, car on n'a jamais vu des milliers d'habitants s'installer dans un désert aride sans eau ni cultures".

خلاص: لقد أبرم سيادته التاريخ إبراما وأصدر فرماناته بأن مكة ليست من مدن جزيرة العرب بل من مدن الشام! ولا يستطيع المتضرر أن يلجأ إلى أى قضاء بعد هذا القضاء المبرم الذى قضاه صاحبنا! فانظر بالله عليك أيها القارئ كيف يُكتَب التاريخ، وكيف يريد بعض الناس أن يحكّموا أهواءهم المجنونة فى تغيير حقائقه، وكيف يريدوننا أن نتابعهم على هذا التنطع، وإلا كنا متخلفين! لكن لو كانت مكة حيًّا من أحياء دمشق، فأين ذهب ذلك الحى؟ ولماذا سكت الدمشقيون عن هذا التزييف العجيب الذى لم يحدث مثله فى التاريخ، وبخاصة أنه يسلبهم الشرف المتمثل فى أن بلادهم هى مركز الإسلام ومصدره؟ وكيف صمت أحفاد القرشيين، والأمويون منهم بالذات، على ما قالته أقلام المؤرخين وكتب السيرة المزيفة عن أجدادهم وعن معاداتهم للدعوة الجديدة مما يشهّر بهم ويفضحهم فى كل أرجاء العالم؟ وأين ذهب الرومان الذين كانوا يحتلون بلاد الشام فلم ينبّهوا العالم إلى هذا التزييف الوقح الذى مارسه العرب والمسلمون، على الأقل من باب

الانتقام والحرب المعنوية والدعائية بعد أن خسروا الحرب العسكرية والسياسية؟ ومعروف أن الشوام لم يسلموا كلهم، بل بقى منهم حتى الآن كثير من النصارى واليهود، فكيف يسكتون على مثل تلك الفعلة العجيبة، وهى فرصة لفضح القوم الذين فتحوا بلادهم وأتوْهم بدينٍ غير الدين الذى يعتنقونه، ولسان غير اللسان الذى كانوا يتكلمونه؟ ولماذا لم يتكلم ويصدع بالحقيقة واحد مثل ثيوفان الكاتب البيزنطى الذى أتى بعد عصر الرسول ببضعة عقود ليس إلا وأخذ على عاتقه محاربة الإسلام بدلا من نسبة الأكاذيب إلى الرسول الكريم وأصحابه على عادة المبشرين؟ ترى هل من الممكن أن يتم تزييف شىء مثل هذا ثم تسكت الدنيا كلها عنه فلا تتكلم ولا تعترض أو لا تبدى على الأقل شكًا، إلى أن هلّ علينا طبيبنا الفرنسى العبقرى بعد أربعة عشر قرنا من الزمان فعدل الوضع المائل، اعتمادا على ماذا؟ اعتمادا على أوهام ما أنزل الله بها من سلطان!

ثم ما دخل المعنى الذى يدعيه، صوابًا أو خطأً، لكلمة "مكة" فى الآرامية فى أن تكون تلك المدينة حيًا فى دمشق لا مدينةً فى جزيرة العرب؟ إن كلامه يوحى بأن كلمة "مكة" ليست عربية، وهو سخف آخر من سخافات الرجل الذى من الواضح أنه لا يفقه شيئا بالمرة فى موضوعنا، بل ينقل من كتب بعض المستشرقين ما يوافق هواه دون عقل أو فهم! فالآرامية والسريانية والكلدانية والأشورية والعبرية والحبشية . . . كل هذه اللغات، مَثلها مَثل العربية، لغاتٌ ساميّة، بالضبط مثلما نقول إن الفرنسية والطليانية والإسبانية والبرتغالية هى لغات لاتينية، أىْ لغات تفرعت من اللغة الأم واستقلت بنفسها. وعلى هذا فالقول بأن هذه الكلمة الموجودة فى لساننا العربى أو تلك ليست عربية بل سريانية مثلا أو آرامية هو فى الواقع كلام يُقصَد به التلبيس على القارئ العادىّ الذى لا يعرف شيئا عن الموضوع، إذ

ليس هناك أى دليل على أن ذلك صحيح، فضلاً عن أنْ ليس هناك من معنًى لأن تُخْتَصّ العربية دون أخواتها الساميات بالأخذ عنهن بدلا من القول المنطقى العاقل بأنها تشتمل على هذه الألفاظ كما تشتمل عليها أخواتها.

والغريب أن المستشرقين عادةً لا يفعلون العكس، فتراهم لا يقولون باستعارة اللغات السامية الأخرى شيئا من العربية. والسبب فى هذا وذاك هو الرغبة فى التحامل على العرب والمسلمين لا غير، وبخاصة إذا وضعنا فى الاعتبار أن بعض علماء الساميات يَرَوْن فى اللغةِ العربيةِ اللغةَ الساميّةَ الأمَّ التى تفرعت منها الأكادية والحبشية والعبرية... إلخ! ومرة أخرى نقول: ترى ما دخل المعنى الذى يدّعيه، صوابًا أو خطأً، طيبنا المضطرب الفكر لكلمة "مكة" فى الآرامية فى أن تكون تلك المدينة حيًّا فى دمشق لا مدينة من مدن جزيرة العرب؟ والعجيب أنه يرجع إنكاره وجود مكة إلى أنها تقع فى وادٍ جديب غير ذى ماء ولا زرع. أفنكذّب إذن أقاربنا ومعارفنا وكل المصريين والعرب والمسلمين وكل الكتّاب والرحالة من مسلمين وغير مسلمين ممن زاروا مكة قبل توظيف شطر من أموال النفط فى تحلية ماء البحر الأحمر لسكانها ولسائر أهل السعودية والخليج كله عموما، ونقول لهم: وإنْ! مهما قلتم لنا عن مكة فليس لمكة وجود! لقد نسى الرجل أن زمزم كانت ولا تزال هناك طول الوقت يشرب الناس ويستمدون حاجاتهم الأخرى من مائها فتكفيهم هم وضيوف الرحمن بحمد الله. وهذا أمر قد شهد به المستشرقون الذين استطاعوا الاندساس بين الحجيج والتظاهر بأنهم مسلمون وكتبوا عن البلد الأمين. وحتى بعد أن توفر لها ماء البحر المُحَلَّى فلا تزال المنطقة المحيطة بها واديا غير ذى زرع. وما زال الناس كذلك يقطنونها ويحبون العيش فيها حتى الآن رغم شدة حرارتها، وسيظلون

يفعلون ذلك إلى ما شاء الله . وعلى أى حال فليس العيش فيها بالصعوبة التى عليها الحياة فى مناطق الإسكيمو ولا بواحد على المليون منها ، ومع ذلك فتلك المناطق تعجّ بالسكان ويحبها أهلها كما يحب أهل كل بلد بلدهم!

لقد فات الكاتب أن الأصل فى الأخبار عموما أنها صادقة ما لم يقم دليل على عكس ذلك أو يَحُكْ فى النفس شيء مما سمعته ، فعندئذ يشك الإنسان فيما بلغه ، وحقّ له أن يشك . فما الذى فى الخندق أو فى وجود مكة أو المدينة مما يبعث على الريبة؟ لقد كان أحرى بهذا المجنون أن يذهب فيقرأ أولا قبل أن يتهور كل هذا التهور ويقترح تلك الاقتراحات النيرونية المسعورة .

ولكنْ فلنترك هذا كله ونسأل: ما الذى يريد منا هذا الرجل أن نفعل بمكة (مكة التى فى جزيرة العرب ، وليست مكة الشامية التى لا وجود لها إلا فى ذهنه)؟ أننكتها هى أيضا ، لا للبحث هذه المرة عن خندق ، بل لنمحوها مَحْوًا كى يتسق الوضع الموجود على أرض الواقع مع أوهامه؟ وهل يمكن أن يتصور عاقل أنه لم تكن هناك فى بلاد العرب قبل الإسلام مدينة اسمها مكة ، ثم نبتت هكذا نبتا عفاريتيا بعده ، ثم لم يبد أحد دهشته (وبخاصة من سكانها الجدد الذين لم يكن لهم قبل ذلك وجود) من هذا التراث الغزير الهائل الذى يدور حولها شعرًا ونثرًا وتاريخًا ودينًا وأنسابًا والقائل بأنها طول عمرها كانت موجودة فى جزيرة العرب؟ وماذا نقول فى بطليموس الجغرافى اليونانى القديم الذى تكلم عنها وسماها "مَكُرَبا: Macoraba" كتاب وليم موير عن سيرة الرسول الذى سلف ذكره/ ص xc ، ومادة "Mecca" فى الطبعة الأولى من "The Encyclopaedia of Islam"؟ وماذا نصنع مع ما قاله هيرودوت عن اللات ، إحدى الآلهة الوثنية التى كان لها صنم فى كعبة مكة قبل الإسلام (وليم موير/ ص cii-

ciii)؟ كذلك ما العمل إزاء ما ذكره الرحالة الأوربى بروس (Bruce)، الذى زار بلاد الحبشة فى القرن الثامن عشر الميلادى من أن الأحباش يروون فى تواريخهم أن أبرهة قصد مكة ثم ارتد عنها لما أصاب جيشه من المرض الذى يصفونه بالجدرى (عباس محمود العقاد/ مطلع النور/ كتاب الهلال ديسمبر ١٩٦٨م/ العدد ٢١٣/ ٧٥)؟

وفضلا عن ذلك فثمة بحث لكرزويل الآثارى المشهور يرد فيه على كايتانى المستشرق الإيطالى وما يذهب إليه من إنكار بناء قريش للكعبة، ويؤكد أن ما وصلنا فى كتب التاريخ عن هذا الأمر صحيح لا شك فيه (العقاد/ مطلع النور/ ٧٦) . وهناك أيضا كتاب للمستشرق الهولندى دوزى يحاول أن يثبت فيه وجود بنى إسرائيل فى مكة (التى نعرفها) خلال عصورها الجاهلية عنوانه: "Die Israeliten zu Mekka"، كما كتب فى نفس الموضوع المستشرق البلجيكى لامنس كتابا عنوانه: "Les Juives à la Mecque"، وهو ما يدل على أن وجود مكة هناك فى ذلك الحين لا يواجه أى شك فى نفس ذينك المستشرقين . بل إننا لم نسمع بأحد سواهما من المستشرقين أو غير المستشرقين ممن يؤبه بكلامهم أو لا يؤبه يقول إن مكة لم يكن لها فى إقليم الحجاز أثناء الجاهلية وجود! ثم لماذا يفعل العرب بعد الإسلام هذا كله؟ وهل يُتصَوَّر أن يفكر الحكام العرب بعد الإسلام، وبعد أن أضحَوْا يسبحون فى بحور الغنى والترف، فى إنشاء مدينة مثل مكة فى قلب الجبال والصحراء حيث يشحّ الماء (على أساس أن زمزم غير موجودة بناء على فرضيته) وحيث تنعدم الزراعة والصناعة؟ ثم كيف يَرْضَوْن بعد ذلك كله، وهم المسلمون، أن يَنْسُبوا لآبائهم زورا وبهتانا أنهم كانوا مشركين يعبدون الأصنام والأوثان وأنهم حاربوا القرآن والرسول الذى أتاهم به وحاولوا القضاء عليه وعلى دعوته، بل وصل الأمر بهم أن فكروا

يوما فى قتله والتخلص منه غدرا وغيلة؟ ومن المجنون الذى سولت له نفسه بالانتقال إلى مثل تلك المدينة دون أن يكون هناك جاذب من أى نوع يَهْوِى بفؤاده إليها حتى ولا ذكريات الطفولة والصبا فيها وكونها موطن الأجداد؟ باختصار لا يوجد سبب واحد، كما رأينا، يجعلنا نصدق هذا الهراء، فى الوقت الذى تتضافر كل الدواعى لرفضه والسخرية من عقل صاحبه.

ولقد وقعتُ على الفقرة التالية فى مادة "مكة" بالـ "ويكيبيديا: الموسوعة الحرة" الموجودة على المشباك، وهى إذا صحت (ولا أظن إلا أنها صحيحة، وإلا لم يسمح بنشرها المشرفون على هذه الموسوعة العالمية) كانت كفيلة وحدها بنسف كل هذه السخافات، إذ لا يمكن أن تكون المواصفات الجغرافية التى يؤكد الكاتب أنه قد اكتشفها فى موقع تلك المدينة المكرمة على الخريطة قد أتت عن طريق المصادفة حين طَقّ فى أدمغة حكام المسلمين أن يبنوها بالمخالفة لكل الذرائع والأسباب حسبما وضّحنا، بل لا بد أن يكون ذلك من تدبير الخالق العليم منذ بدايتها الموغلة فى التاريخ. تقول الفقرة المذكورة: "الاكتشاف العلمي الجديد الذي كان يشغل العلماء والذي أعلن في يناير ١٩٧٧ يقول: إن مكة المكرمة هي مركز اليابسة في العالم، وهذه الحقيقة الجديدة استغرقت سنوات عديدة من البحث العلمي للوصول إليها، واعتمدت على مجموعة من الجداول الرياضية المعقدة استعان فيها العلماء بالحاسب الآلي. ويروي العالم المصري الدكتور حسين كمال الدين قصة الاكتشاف الغريب فيذكر أنه بدأ البحث وكان هدفه مختلفا تماما، حيث كان يجري بحثا ليعد وسيلة تساعد كل شخص في أي مكان من العالم على معرفة وتحديد مكان القبلة، لأنه شعر في رحلاته العديدة للخارج أن هذه هي مشكلة كل مسلم عندما يكون في مكان ليست فيه مساجد تحدد مكان القبلة، أو يكون في بلاد غريبة، كما يحدث لمئات الآلاف من طلاب البعثات

في الخارج ، لذلك فكر الدكتور حسين كمال الدين في عمل خريطة جديدة للكرة الأرضية لتحديد اتجاهات القبلة عليها وبعد أن وضع الخطوط الأولى في البحث التمهيدي لإعداد هذه الخريطة ورسم عليها القارات الخمس ، ظهر له فجأة هذا الاكتشاف الذي أثار دهشته . فقد وجد العالم المصري أن موقع مكة المكرمة في وسط العالم . وأمسك بيده برجلا وضع طرفه على مدينة مكة ، ومر بالطرف الآخر على أطراف جميع القارات فتأكد له أن اليابسة على سطح الكرة الأرضية موزعة حول مكة توزيعا منتظما . ووجد مكة في هذه الحالة هي مركز الأرض اليابسة . وأعد خريطة العالم القديم قبل اكتشاف أمريكا وأستراليا وكرر المحاولة ، فإذا به يكتشف أن مكة هي أيضا مركز الأرض اليابسة ، حتى بالنسبة للعالم القديم يوم بدأت الدعوة للإسلام . ويضيف العالم الدكتور حسين كمال الدين: لقد بدأت بحثي برسم خريطة تحسب أبعاد كل الأماكن على الأرض ، عن مدينة مكة ، ثم وصلت بين خطوط الطول المتساوية لأعرف كيف يكون إسقاط خطوط الطول وخطوط العرض بالنسبة لمدينة مكة ، وبعد ذلك رسمت حدود القارات وباقي التفاصيل على هذه الشبكة من الخطوط ، واحتاج الأمر إلى إجراء عدد من المحاولات والعمليات الرياضية المعقدة بالاستعانة بالحاسب الآلي لتحديد المسافات والانحرافات المطلوبة ، وكذلك احتاج الأمر إلى برنامج للحاسب الآلي لرسم خطوط الطول وخطوط العرض لهذا الإسقاط الجديد . وبالصدفة وحدها اكتشفت أني أستطيع أن أرسم دائرة يكون مركزها مدينة مكة وحدودها خارج القارات الأرضية الست ، ويكون محيط هذه الدائرة يدور مع حدود القارات الخارجية . مكة إذن ، بتقدير الله ، هي قلب الأرض ، وهي بعض ما عبر عنه العلم في اكتشاف العلماء بأنه مركز التجمع الإشعاعي للتجاذب المغناطيسي". وقد سبق أن قال القرطبي ، عند تفسيره

لقوله تعالى: "وكذلك جعلناكم أمة وسطا"، إن "الكعبة" تقع "وسط الأرض"، فعلقت أنا على ذلك بأنه لا يوجد مكان على سطح الكرة الأرضية يمكن أن يقع فى وسطها لأن الأرض كرة، فوسطها إذن لا يكون إلا فى داخلها. ولو كانت الأرض دائرة أو مستطيلا أو مربعا مثلا لصحّ فى هذه الحالة أن تحتل إحدى البنايات وسطها، أمّا وأنها كرة فمركزها لا يمكن أن يقع على سطحها بل فى بطنها (انظر كتابى: "من الطبرى إلى سيد قطب- دراسات فى مناهج التفسير ومذاهبه"/ دار الفكر العربى/ ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م/ ٢١٦). لكن يُفْهَم من كلام الدكتور حسين كمال الدين أن كلمة "الوسط" (أو كما قال هو: "القلب") لا ينبغى أن تُؤْخَذ على حَرْفِيَّتها، وعلى هذا فإنى أتراجع عن اعتراضى على ما جاء فى تفسير القرطبى عن هذه القضية إذا صح ما قاله الدكتور المذكور.

ونفس الشىء الذى قاله الكاتب عن مكة نجده فى كلامه التالى عن يثرب، إذ يقول: "Le mot medina (s'écrivant mdn) est un mot araméen syrien, et signifie district, dans la région de Madian (s'écrivant aussi mdn) en Syrie". وكما قضى قضاءه المبرم فى أمر مكة فحكم عليها أن تكون شامية لا عربية، ومُحْدَثة النشأة بعد الإسلام لا عريقة الجذور قبله، نراه هنا كذلك يصدر حكمه الذى لا يُصَدّ ولا يُرَدّ بأن المدينة هى أيضا ذات أصل شامى، وأن اسمها آرامى! ونفس الردود التى أوردناها عليه فى تخريفاته عن مكة تكفى فى الرد على تخريفاته هنا! ونزيد على ذلك أن بطليموس وإسطفانوس البيزنطى قد كتبا عن المدينة وسمياها: "يثربًا: Yathrippa"، كما تشير إليها النقوش المعينية باسم "يثرب" (مادة "Al-Madina" فى "The Encyclopaedia of Islam"). وبالإضافة إلى هذا فإن ثمة

كتابات يهودية شامية من القرن الثالث قبل الميلاد تتحدث عن وجود يهود فى منطقة خيبر وما حولها ، وإن أنكرت عليهم طريقة ممارستهم لدينهم (إسرائيل ولفنسون/ تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام/ لجنة التأليف والترجمة والنشر/ ١٩٢٧م/ ١٣) ، وهو ما يتسق مع ما يقوله المسلمون عن وجود يهود قبل الإسلام فى تلك المناطق بما فيها يثرب ، هؤلاء اليهود الذين لم يعد لهم أثر هناك بعد مجىء الدين الجديد ، فما الذى يدفع المسلمين يا ترى إلى القول بأنه كان هناك قبل الإسلام وجود لليهود فى يثرب إذا لم يكن لهذه المدينة وجود فعلى حسبما تزعم تخريفات الطبيب الفرنسى؟ وثمة كتاب للعالم الغربى لِنْزِيِنْسِكى يتناول وجود اليهود فى المدينة قبل الدعوة المحمدية اسمه "Die Juden zu Medina" . .

كما يتحدث إسرائيل ولفنسون الباحث اليهودى فى كتابه السالف الذكر عن وجود اليهود فى يثرب وما حولها حديث الموقن تمام الإيقان ، مُورِدًا أقوال المستشرقين فى ذلك ، ومستدلاً من بعض أسماء القبائل والشخصيات والأماكن والحصون والآبار اليهودية على سبيل المثال على أن ما يقوله العرب عن هذا الموضوع صحيح (ص ١٦ - ١٧ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٨١) ، فضلا عن أنه لا ينكر شيئا البتة مما تقوله المصادر الإسلامية عن الحوادث التى جرت هناك بين النبى عليه الصلاة والسلام وبين بنى إسرائيل عليهم اللعنة . وما هذا ، رغم ذلك كله ، إلا غَيْضٌ من فَيْض!

ولا يقف تهور الكاتب عند هذا الحد ، بل ينطلق زاعما أن عقيدتنا فى الله عقيدةٌ شِرْكِيّة ، إذ نحن (حسب كلامه) نؤمن بالله ، وهذا (بناءً على مفترياته) إله القمر ، ونؤمن معه بالرحمن ، وهو (طبقا لما يقول) إله الصواعق ، كما نؤمن بإبليس ، وإبليس (فى زعمه الكاذب) إله الجحيم . وعندنا ، فضلا عن هذا ، كثير من الخرافات كالجن والملائكة والشياطين

والعفاريت وغير ذلك من الأوهام، علاوة على الكعبة و "العذراء السوداء" (يقصد الحجر الأسود!)، ثم هناك الأحجار التى نسبَ خدمها، كما يقول، فى المسجد وفى الطهارة، وكذلك الصلوات التى تقرب بها إلى الشمس قبل الشروق وبعده، وفوق ذلك القرآنُ، الذى يُسْتَخْدَم كرُقًى وتعاويذَ للحماية من الشرور. ثم ينبغى الا ننسى بوجهٍ خاصٍ محمدًا، ذلك الإله الجديد الذى اخترعه الإسلام وجعله شريكا لله، والذى ينظر إليه الإسلاميون على أنه "الإنسان الكامل" الذى ينبغى احتذاؤه، وبخاصة فى مجال الجرائم الدينية والعنف الذى يمارسونه ضد النساء وضد من يفوقونهم تطورا بين البشر!

Une part du succès de l'islam, en dehors de la violence qui hébète les méchants, vient du polythéisme islamique et des superstitions coraniques: Allah le dieu de la lune, Al Rahman le dieu de la foudre, Satan le dieu des enfers, Iblis le diable, les trois filles d'Allah (divinités d'origine sumérienne puis syrienne), les djinns, les ogres, les anges, les démons, les ifrits, les malaks et autres fantasmes, la Kaaba (Cybèle), la Vierge Noire (météorite) et le culte des cailloux utilisés dans les mosquées ou aux toilettes. Et bien sûr le culte solaire, avec la prière qu'on doit faire avant ou après le lever du soleil, pour ne pas avouer le paganisme de cette pratique qui vient des rédacteurs zoroastriens du Coran. Et le Coran, qui sert de fétiche et de talisman dans les

niaiseries populaires. Sans oublier le seul dieu iventé par l'islam : Mahomet, le nouvel Associé d'Allah. Les islamistes le considèrent comme un homme " parfait ", et veulent donc l'imiter... surtout dans les crimes rituels, les violences faites aux femmes et aux gens plus évolués qu'eux.

أما القرآن ، فما أدراك ما القرآن حسب ما يهرف به هذا الرجل؟ القرآن عنده هو توراة يهود السامرة والناصرة ، مضافا إليها عدد من القصص الخرافية والأخطاء التاريخية من هنا ومن ههنا على مدى بضعة قرون ، وكان فى بداية أمره مكتوبا بعدد من اللغات الأجنبية كالآرامية والحبشية والعبرية والسريانية واللاتينية والسلافية واليونانية والجريجورية ولغة الصابئة ، كتبه العشرات من اليهود المارقين والنصارى الآريوسيين ، ثم لحق بهم الزرادشتيون ، ثم دخل العرب على الخط فى آخر المطاف بعد القرن التاسع الميلادى فترجموه إلى العربية ، التى كانت قد اختُرِعَتْ فى ذلك القرن ولم يكن لها وجود قبله! أية عبقرية هذه يا ربى؟

Le Coran n'était au début que le Pentateuque des Juifs samaritains et nazaréens de Syrie, puis on y a ajouté des légendes et des erreurs historiques pendant encore cinq ou six siècles, la plupart du temps issues de romans populaires antérieurs au cinquième siècle. Dès le cinquième siècle, des guerriers arabes de Syrie se convertirent au judaïsme samaritain et deviennent les Ismaélites, qui donneront plus tard " islam " (qui ne veut

pas dire soumission, mais ismaélite, car c'est ainsi qu'ils étaient appelés par les chroniqueurs contemporains). Ce n'étaient pas des Bédoins, mais des soldats professionnels de Syrie, au service des grandes puissances : Rome, Constantinople et la Perse. Les rédacteurs des premiers corans ont été plusieurs dizaines, d'abord des hérétiques juifs en Syrie (cinquième siècle), puis des chrétiens arianistes à Damas (septième siècle), puis des scribes zoroastriens à Bagdad et en Perse (huitième siècle), et ensuite des Arabes, après le neuvième siècle, lors de la traduction du Coran en arabe. En dehors des groupes des langues anciennes qui ont servi à rédiger les légendes coraniques (akkadien, sumérien, phénicien, moabite, ugaritique, égyptien, nabatéen, chaldéen) les textes des corans originels au cinquième et sixième siècle sont en sabéen, abyssin, araméen, syriaque, hébreu, slavon, latin, grec, géorgien... Le Coran, s'appuyant sur des mythes juifs sans fondements, est entièrement faux historiquement et scientifiquement... On sait maintenant que le Coran a été rédigé avec des textes datant d'avant le cinquième siècle, quand des rabbins convertirent les soldats de Syrie à l'ismaléisme, une hérésie judaïque qui deviendra

l'islam après le neuvième siècle. Ce n'est que bien plus tard que le Coran fut traduit en arabe, langue inventée au neuvième siècle, ce qui en explique les incroyables falsifications et absurdités. La lecture du Coran ne fut (partiellement) unifiée qu'après 935. Heureusement, beaucoup de croyants sont capables d'interpréter le texte selon des conceptions modernes du Dieu, en écoutant leur coeur.

والرجل المسكين يأبى إلا أن يَمَسَّ طائفٌ من سخفه الأئمةَ والخطباءَ المسلمين ، فهو يتهمهم بالضحك على جماهير المسلمين والحُؤُول بينهم وبين التفكير وإعمال العقل حتى يظلوا منبعا لا يغيض لملء جيوبهم . . . إلى آخر هذا الهراء الذى يُضْحِك الثكلى ، فالأئمة الغَلابَى مظلومون ظلم الحسن والحسين ، إذ هم ليسوا إلا موظفين حكوميين مطحونين . وهم ، شأن أى موظف حكومى ، لا يحتكمون بعد الخمسة أيام الأولى من الشهر إلا على الستر ، إذ تصبح جيوبهم التى يفترى عليها الأخطل أنظف من الصينى بعد غسله! ومن هنا فإن كثيرا منهم لا يتورع عن الاشتغال بأية صنعة بعد الظهر كى يمكنه الحياة: فترى هذا سبّاكا ، وذاك نجّارا

وأعتقد ، بعد أن اطَّلَعْنا على عينة من تلك الهلوسات ، أننا لسنا بحاجة إلى الرد على هلوساته الأخرى التالية ، فهو يقول مثلا إن محمدا قد تم اختراعه فى نفس الوقت التى اختُرِعت فيه الأحاديث في القرن التاسع الميلادى ، أما القرآن فاختُرِع (حسب هُرَائه) بعد ذلك فى القرن الحادى عشر ، وهو ما يفسر لنا ، كما يقول ، الإضافات والكشوط التى كان الكتبة يقومون بها فى مخطوطات ذلك الكتاب طبقا لأهواء المحاربين التى كانت

تملى عليهم ما يكتبون أو يشطبون! ثم يستمر فى اضطراباته العقلية مؤكدا أن محمدا قد صار الآن شريكا لله فى ألوهيته، بل إن هناك اتجاها عند المسلمين لإحلاله محله كما حدث فى الأديان الأخرى. لقد تمّ، بناءً على مزاعمه، تأليه محمد وعلىّ كما هى العادة، واستُبدِل النبى بالله بعد أن أصبح يتكلم باسمه! وبطبيعة الحال فلا أظن أن ثمة حاجة للرد على هذا الغثاء الذى لا يمكن أحدا أن يأخذه مأخذ الجدّ. ومع هذا فقد وقع لى النص التالى لنبيل فياض، وهو عدة سطور من تعليق طويل أضافه إلى مقال ترجمه لبرنارد لويس المستشرق اليهودى المعروف بعنوان "نصّان يهوديان حول بدايات الإسلام" ونشره فى "شبكة اللادينيين العرب"، وفيه إشارة لعدد من النصوص التى كتبها بعض أتباع الديانات الأخرى المعادية للإسلام من المعاصرين للنبى محمد عليه السلام أو ممن جاؤوا بعده بقليل، وكلها تؤكد وجوده التاريخى صلى الله عليه وسلم: "ثلاثة أمور جديرة بالاهتمام في النص السابق: أولاً: واقعة أنّ النبي كان على قيد الحياة حين غزا العرب المسلمون أرض فلسطين، واقعة تجد توثيقاً آخر مستقلا في التقاليد التاريخية لليعاقبة، النساطرة، والسامريين. إنّ أقدم توثيق لذلك هو توثيق نص Continuatio Byzantia Arabica الذي يحفظ لنا في ترجمة لاتينية تاريخا سريانيا يرجع إلى زمن هشام بن عبد الملك، وربما يكون من أصل يعقوبي أو ملكاني. وهذا المصدر يرى، أنّ السرسنيين (أى المسلمين) غزوا أقاليم سوريا، شبه جزيرة العرب وبلاد مابين النهرين تحت قيادة ماهمت (أى محمد). من الجانب اليعقوبي فإنّ أهمّ شهادة هي الرواية القديمة لأصول الإسلام التي حفظها لنا ميخائيل السرياني. وإلى هذا يمكن أن نضيف مدوّنة سريانية مجهولة المؤلّف تعود إلى القرن الثامن. ويبدو هذا واضحاً من الجانب النسطوري في شاهد متأخر من تاريخ سيئريد Si'ird

العربي . لكن تاريخا سريانيا مكتوبا على الأرجح في حوزستان في العقد السابع من القرن السابع يمرر على نحو إيحائي ذكر محمد كحاكم للعرب في خضمّ رواية الفتوحات . أمّا من الجانب السامري ، فلدينا شهادة تحرير عربي للتقليد ترجع إلى القرون الوسطى . ثانيا: واقعة أنّ النبي كان يبشّر بالممسوح أو المسيح الذي سيأتي . وفي هذا نلمح أحد اشكال المسيانية اليهودية ، وهو ما سنعالجه لاحقاً . ثالثاً: حديث النصّ السابق حول امتلاك النبي لمفاتيح الجنة يدعمه نصّ آخر متضمن في قَسَم بيزنطي بالتنكر للإسلام ، يقول: «إنني ألعن عقيدة السرستيين (أي المسلمين) السرية ووَعْد موامد Moamed بانه سيكون حارس بوابة الجنة kleidou khos » . وعلى أية حال فهانذا أخلّي بين القراء وما قاله "راكان" في الأصل الفرنسي لكلامه:

La vie de " Mahomet " fut inventée au neuvième siècle, en même temps que les hadits. La mise en forme du Coran s'étant achevée bien après le onzième siècle. Ce qui explique pourquoi les rédacteurs effaçaient et réécrivaient directement sur les manuscrits, selon les exigences des guerriers qui leur dictaient les sourates à inclure ou à effacer. Quant à l'idée coranique qu'Allah efface ses propos pour les remplacer par d'autres, elle paraît, aux yeux de beaucoup, éminemment profanatoire... Aujourd'hui, Mahomet est devenu l'Associé d'Allah, et a, comme dans d'autres religions, tendance à le remplacer. Mahomet et Ali, comme c'est la coutume, sont divinisés : le prophète, parlant au nom de Dieu, s'y

substitue.

وممـا لسنا أيضا بحاجة إلى الرد عليه لوضوح سخفه قوله إن قبر الإمام علىّ لم يُكْتَشَف إلا بعد مقتله بخمسين عاما عندما لوحظ أن الكلاب تتجنب مكان دفنه احتراما لجثته كما تقول الأسطورة حسبما قال، وإن علىّ بن الحسين ابن الإمام على (يقصد الحسين بن على سبط النبى عليه رضوان الله) قد ذُبِح وهو طفل رضيع، والسبب فى مقتله أنه كان هاجريًا، أى من سلالة هاجر (الأَمَة التى تزوج بها إبراهيم عليه السلام)، وإن كلمة "هاجرىّ" كانت مستعملة على نطاق واسع للدلالة على المسلمين حتى القرن العاشر الميلادى، ثم تحولت فى الترجمة إلى "الهِجْرة"، أى انتقال النبى عليه السلام من مكة إلى المدينة، مثلما كانت كلمة "إسماعيلى" هى المستخدمة فى البداية قبل أن تفسح المجال لكلمة "مسلم"، وإنه لو كانت جثة الحسين الموجودة فى مسجده بالقاهرة تخصّ النصارى لكانوا أخذوا عينة من الحَمْض النووى والكربون ١٤ الخاص بها وحللوها كى يتثبتوا أنها ليست له، وبذلك تنتهى خرافته!

أرايتم المدى الذى يمكن أن يصل إليه انفلات التفكير؟ فالحسين يصبح علىّ بن الحسين، وقد مات فى عمر الرضاع، والمسلمون كانوا يُسَمَّوْن إلى القرن الذى لا أدرى كم بـ"الإسماعيليين" و"الهاجريين"! ثم فليكن رأس الحسين فعلا فى المسجد المسمَّى باسمه فى القاهرة أو لا يكن، فماذا فى ذلك؟ إن الرجل الفارغ يثير عراكا فى غير معترك، فرأس الحسين، رضى الله عنه، أو رأس أى شخص آخر حتى لو كان نبيا من الأنبياء، ليست من شعائر الدين فى قليل أو كثير، بل إن الإسلام ("الإسلام" لا المسلمين من عوامّ ومتصوفة) لا يعترف بالأضرحة ولا يستريح للصلاة فى مساجد يوجد فيها ما يُعْرَف بـ"مقامات الأولياء"، والوهابية مثلا تتشدد فى هذا تشددًا لا

يعرف الهوادة! وهكذا نرى أن سيادته يشنّ زوبعة فى فنجان! على أية حال هذا نص ما قاله الرجل بالفرنسية ، أسوقه دون تعليق كما وعدت:

Concernant les objets ayant appartenu à Mahomet, c'est la même chose que le tombeau d'Ali découvert cent cinquante ans après sa mort, parce que des chiens évitaient respectueusement un monticule de terre : de la légende. De même dans une mosquée en Egypte, on trouve la tête d'Ali Hussein, fils d'Ali, égorgé bébé uniquement parce qu'il était agarène, c'est-à-dire descendant d'Agar, prétendue esclave d'Abraham. Cette tête fut retrouvée cinq siècles après sa mort. Des tests ADN et au carbone 14 anéantiraient ce culte imité des chrétiens, mais l'islam ne peut se passer dixième siècle. Le mot ismaélite (descendant d'Ismaël, fils d'Agar) fut traduit en arabe par musulman (soumis), le mot agarène (descendant d'Agar) étant traduit par hégire, en inventant la fiction de la fuite à Médine.

وما قلناه عن رأس الحسين نسوقه تعليقا على ما يقوله بعض المسلمين عن مخلفات أثرية يقولون إنها للنبى عليه السلام مما يجادل فيه صاحبنا ويحاول أن يجعل من حبته قبة ترتفع فى أجواز الفضاء وتملأ الآفاق ، فمثل هذه الأشياء لا تقدّم فى ميزان الدين ولا تؤخّر قيد أنملة ، فالمهم أن النبى صلى الله عليه وسلم قد ترك لنا ميراثا روحيا عظيما لا يقدّر بأثمان ، هو القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة والسيرة العطرة التى ترينا كيف يكون

الـرجال رجالا بحقٍّ ، وكيف يثق الإنسان فى مولاه وفى القدرات التى منحه إيـاه فينجـز جلائـل الأعمال ويَدْفَع بأحداث التاريخ فى الاتجاه الذى يريده ربه سبحانه ولا يقعد كَلاًّ عاجزا تحت رحمة الأعداء يسومونه الخسف والهوان ويدمـرون بـلاده ويقتلون أهله ويغتصبون نـساءه وينهبون ثرواته وهو مكتفٍ بوضع يديه على خدّيه كالوَلاَيَا .

وعـودةً إلى مـا قالـه الطبيب الفرنـسى عـن مخلّفـات النبى عليه الصلاة والـسلام ، حقيقيةً كانت هذه المخلّفات أو مدّعاةً ، تؤكد أن مثل هذه الأشياء لا علاقـة لهـا بالـدين ، الذى هو فى الحقيقة عقيدة وأخلاق وسلوك مستقيم كـريم وعقـل يسعى وراء المعرفة فى نهم ونشوة وعزيمة جبارة تذلّل العِقَاب وتحقّـق أصعب الرِّغَاب . وعلى هذا فإننا لا نأخذ مأخذ الجِدّ ما يقول جنابه العـالى (أو الواطى بالأحرى) إنهم قد طالبوا الـسلطات التركية به من فحص مـا عـندها من أشياء يقال صدقا أو كذبا إنها تخص النبى عليه السلام . ذلك أن الأمر لا يستحق كل هذا الضجيج ، لأنه حتى لو تبيَّن أن هذه الأشياء لا تخص النبى فلن تؤثر فى إيمان المؤمن بشَرْوَى نَقيرٍ أو قِطْمير . أما الأحاديث الـتى يـزعم أنها إنما اختُرِعَتْ للاستعانة بها على بسط النفوذ والـسيطرة على الجمـاهير ، فمن الواضح أنه لا يفقه شيئا عن طبيعة تلك الأحاديث ، إذ هى تدعو إلى الإيمان بالله وتوحيده واليقين بأن هناك ثوابا وعقابا على ما يجترحه البـشر أو يهملـون أداءه من أعمال ، مثلما تنادى بمكارم الأخلاق والتمسك بالعـزة والـشرف والـرفق فـى كل الأمور والحنوّ على الضعفاء والمسحوقين والـتعاون مـع الآخرين والبشاشة فى وجوههم والمحافظة على صلة الأرحام والاحـتفاظ دائمـا بـباب الأمل مفتوحا واتخاذ العمل وإتقانه مبدأ أساسيا فى الحـياة ، وإلى تـسهيل شؤون الزواج والـستر على الضعف الإنسانى ما أمكن إلا إذا أدى إلى ضـياع الحقـوق ، كمـا تحـض على الشورى والعلم والتفكير

والاجتهاد فى سبيل بلوغ الحق حتى لو كان مُرًّا وحتى لو أخطأ المجتهد الطريق ما دام لم يدخر فى اجتهاده وسعا أو إخلاصا ، ومن ناحية أخرى نراها تحذر من النفاق والتفريط في الكرامة والانسياق وراء الجموع دون تفكير والسكوت على الباطل والرضا بالدنيّة ، وتأبى على المسلم أن يستنيم لظلم الحاكم ما كان فى مستطاعه أن يقاومه ويغير ظلمه ، أو أن يفرط فى استقلال وطنه ، بل توجب عليه أن يهب للدفاع عن عِرْضه ورزقه وداره وأن يحيل حياة المعتدين إلى جحيم عاجل فى الدنيا قبل أن يذوقوا جحيم الآخرة الآتى فى نهاية المطاف . . . وبالمناسبة فمن حق العلماء المؤهَّلين أن ينظروا فى الأحاديث ويمحصوها بغية الاستزادة من الاستيثاق والتعمق فى الفهم ، وليس مطلوبا منهم أن يخرّوا عليها صُمًّا وعُمْيًا وبُكْمًا دون بحث أو تدقيق . فأى شىء فى هذا يمكن أن يُوصَم بأنه إنما اختُرِع للضحك على أذقان الجماهير؟

Concernant les reliques de Mahomet, comme les hadiths, elles ont été inventées pour se donner du pouvoir et du prestige, et en imposer aux foules. Les marchands vendent ce qu'on leur demande, et quoi de plus rentable que de fournir des objets ayant appartenu à un soi-disant prophète ? On peut émettre l'hypothèse que les " objets ayant appartenu à Mahomet, sa dent et des cheveux " ne datent pas du septième siècle, quand le calife Omar inventa le personnage de Mahomet, mais probablement du huitième ou neuvième siècle, quand sa légende fut fabriquée à partir de nombreux textes de

provenances diverses. Mais on peut parier que la Turquie, surtout avec la régression islamiste actuelle, refuserait de faire expertiser, par un collège international d'archéologues spécialisés, avec diffusion 24/24 par webcam sur internet, ces reliques, sous prétexte qu'elles sont " sacrées ", comme le tombeau du " prophète " et le tombeau d'Ali.

وأخيرا لا بد من كلمة توضيحية: فالرجل ، كما هو ظاهر من كلامه ، ثائر على الأديان كلها ، إلا أننى ركزت ردى على ما يخص الإسلام فى ذلك الكلام . وقبل أن أترك القلم (آسف: قبل أن أترك لوحة أصابع الحاسوب) أحب أن أقول كلمة فيما ادّعاه من أن الأديان إنما تقوم على الصراع: الصراع بين الإله والإنسان ، والصراع بين الرجل والمرأة ، والصراع بين البشر والحيوان ، والصراع بين الأب والابن ، والصراع بين شعب من الشعوب وسائر الشعوب الأخرى:

" Le mécanisme psychologique du prophétisme est le conflit: Dieu contre l'humanité, l'homme contre la femme, les humains contre les animaux, le père contre son fils, et un peuple contre tous les autres peuples ".

وبالطبع سوف أركِّز ردّى هنا أيضا على ما فى الإسلام من قيم ومبادئ تناقض ما قاله على خط مستقيم: فالله هو الخالق الرازق الرحيم الكريم الودود الغفار التواب الذى يَجْزِى على الحسنة بعشر أمثالها إلى مائة ضعف فسبعمائة ، على حين لا يجازِى على السيئة ، إن جازَى ، إلا بمثلها ، وكثيرا ما يغفرها بل يغفر الذنوب جميعا ، وليس فى عقيدتنا صراع بينه وبين عباده

على أى نحو، ومن الواضح أن الغبى قد خلط هنا بين توحيد المسلمين ووثنية الإغريق. وقد كان للملائكة موقف رافض من خلق الإنسان، إلا أن الله قد بيّن لهم أن باستطاعة آدم أن يتعلم الجديد دائما فتزداد معرفته باستمرار، بخلافهم هم، إذ لا يمكنهم تعلم أى شىء آخر غير ما خُلقوا له منذ البداية، فهل فى شىء من هذا ما يمكن اتخاذه ذريعة للزعم بأن هناك صراعًا بين الله والإنسان فى الإسلام؟ أما بالنسبة للرجل والمرأة فقد خُلقا، كما يقول القرآن، من نَفْسٍ واحدة، فالنساء شقائق الرجال حسبما جاء فى كلام النبى محمد عليه السلام، والله سبحانه قد خلق الرجال والنساء من نفس واحدة ليسكنوا إليهن وجعل بينهم وبينهن مودة ورحمة طبقا لما جاء فى الآية الحادية والعشرين من سورة "الروم". ونصل إلى العلاقة التى ينبغى أن تسود فى الإسلام بين الأب والابن: فالأب مأمور أن يكون عطوفا وشفوقا على ابنه وأن يحسن تربيته وتعليمه، والابن مأمور باحترام والده والقيام بحاجاته إذا كان مُعْوِزا وأن يخفض له جناح الذل من الرحمة وأن يحفظ له الجميل وأن يدعو له بالمغفرة. أما الحيوانات فالرفق بها فى الإسلام واجب دينى، وقد دخلت امرأة النار فى هرة حبستها حتى ماتت، فلم تطعمها ولم تطلقها تبحث عن رزقها بنفسها فى أرض الله الواسعة، ودخلت مومسٌ الجنة لأنها عطفت على كلب وملأت خُفّها ماءً من البئر وسقته من الظمأ الذى كان يعذبه. وتبقى العلاقة بين الشعوب كما يريدها الإسلام، ويكفى فى تصويرها أن نسوق الآية ١٣ من "الحجرات" التى يقول فيها مولانا سبحانه وتعالى: "يا أيها الناس، إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوبًا وقبائلَ لِتَعارفوا. إن أكرمكم عند الله أتقاكم". إن ما فى القرآن شىء، وما فى الكتاب المقدس عن هذه الموضوعات شىء آخر، وكان ينبغى على الكاتب ألا يخلط بين هذا وذاك ولا يتوهم أن القرآن يمكن أن يقول

شيئا يشبه ما كتبه مؤلف سفر "التكوين" مثلا عن شجرة الحياة التى نهى الله سبحانه آدم وحواء عن الأكل منها حتى لا يصيرا عارفَيْن بالخير والشر كمعرفة الله لهما ، لكن الحيَّة استطاعت أن تُغْوِىَ أبوينا بعصيان النهى الإلهى ، فأكلا من الشجرة مثيرَيْن بذلك حقده سبحانه عليهما وخشيته من أن ينازعاه ألوهيته: "قالت الحية للمرأة: لن تموتا ، بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفَيْن الخير والشر* فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون وأن الشجرة شهية للنظر ، فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضا معها فأكل* . . . * وقال (أى الرب) للمرأة: تكثيرًا أُكَثِّر أتعاب حبلك . بالوجه تلدين أولادا ، وإلى رَجُلِكِ يكون اشتياقكِ ، وهو يَسُود عليكِ* . . . * وقال الرب: هو ذا الإنسان قد صار كواحدٍ منا عارفا الخير والشر . والآن لعله يمد يده ويأخذ من ثمرة الحياة أيضا ويأكل ويحيا إلى الأبد* فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التى أُخِذ منها" (الإصحاح ٣ كله) ، أو هذا الكلام الذى ينبئ عن نقمة الله وخوفه من بنى آدم حين رآهم قد بَنَوْا مدينة وبرجا فقال: "هو ذا شعب واحد ، ولسان واحد لجميعهم ، وهذا ابتداؤهم بالعمل . والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه* هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض" (١٠/ ١- ٩) .

الفهـــرس

الفهرس

***

المحتويات